المنار

١٣١٥



مجلة علمية ادبية تهذيبية ملية اخبارية

« تصدر في غرة كل شهر عربي وفي السادس عشر منه »

لمنشئها

« السيد محمد رشيد رضا »

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي « المنار بمصر »

(المجلد الخامس)

قيمة الاشتراك فيها خمسون غرشاً اميرياً في السنة وفي الخارج ١٦ فرنكا وفي الهند عشر روبيات

مطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر

فهرست

(المجلد الخامس من المنار)

﴿ تنبيه ﴾

اننا اعتمدنا في بعض مسائل هذا الفهرس على المعنى الظاهر الذي يطلب بالمراجعة ووضعنا لبعض المسائل المهمة التي في أثناء المقالات عناوين فمن كشف عن شي ولم ير له عنوانا فليقرأ في الصفحة يجد مطلوبه

الجزء الأول — المجلد الخامس

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر في يوم الخميس غرة محرم الحرام سنة ١٣٢٠ — ١٠ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٢ ﴾

﴿ فاتحة السنة الخامسة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ،

وبعد فقد تم للمنار أربع سنين ودخل بهذا الجزء في السنة الخامسة ولم ينس القراء ان فواتح السنين الخالية وخواتيمها كانت تكتب بمداد الصبر والتبرم ، على صحائف الامل والتعلل ، لما لقيناه من معارضة أنصار الجهل ، ومناهضة الذين ألفوا الذل ، وما تحملناه من مناصبة الظالمين ، ومغاضبة المقلدين ، مع العناء الكبير ، وقلة العون والنصير ، ولو كان هذا المنار منشأ لاجل الكسب ، وابتغاء الرزق ، لقوضته أنواء المناوأة والمناكدة ، ودكته رياح المماكرة والمكايدة ، ولو قصد به التوسل الى الوظائف والمناصب ، والتوصل الى الرتب والرواتب ، لنال منها ما أراد ، اونالت

منه ماتريد ، ولو كان الغرض منه الرياء والفخر ، وحسن السمعة والذكر ، لتلاعبت به الاهواء ، وعبثت به أيدي الزعماء والرؤساء ، فأمالتـه عن الطريقـة ، وصرفته عن طلب الحقيقة ، كلا والله ما كان شيء من ذلك ولن يكون . « إنْ أُرِيدُ إلاّ الإصْلاحَ مَا استَطعتُ ومَا تَوْفِيقي الا بالله عليه توكلت واليه أُنيب »

صرحت في فاتحة السنة الاولى بأنني كنت في هذا العمل بين يأس ورجاء يحركني الباعثان ، ويتنازعني العاملان ، وفي خاتمتها بان غوغاء الناس سلقونا بألسنة حداد ، ورمونا بسهام الانتقاد ، ولم تكن السنة الثانية بأمثل من الأولى ، ولا بأقل بلاء وأكثر قبولا ، وقلت في فاتحة السنة الثالثة إن المنار قد انتشرت تعاليمه ولم أقل انه زاد هو انتشاراً ، وقلت ان الكتاب والخطباء قد تداولوا مسائله ولم أقل انهم كانوا أعواناً له وأنصاراً ، بل صرحت بانهم كانوا « بين مخطئ ومصيب ، ومنتقد ومجيب ، وهكذا يكون الأمر في أوله وستتجلى الحقيقة للناس ان شاء الله عن قريب » . وكتبت في فاتحة السنة الرابعة انه « قد نما النموَّ الطبيعيَّ المقدَّر له من أول نشأته (أي التدريجي البطئ) ولقي صاحبه من الألاقي بعض مالقي الذين تصدوا للاصلاح من قبله وصبر كما صبروا والله مع الصابرين » نعم اننا كنا نمزج هذه الشكوى بشكر العلماء ، والاعتراف بفضل الفضلاء ، الذين تقبلوا المنار بأحسن القبول ، ورأوه من بواعث إحياء الامل وحصول المأمول ، مع الايماء الى قلتهم ، والتبرم من عدم نجدتهم ،

هذا مجمل تاريخ المنار من أول نشأته الى سنته الرابعة التي كان آخرها خيراً من أولها ، وخاتمتها أفضل من فاتحتها ، ولم ينس القراء اننا اعترفنا

فيها بتضاعف قراء المنار ، وكونه صار موضع الثقة في جميع الاقطار ، ونزيد تحدثاً بالنعمة فنقول : لقد خشعت بفضل الله تعالى أصوات المشاغبين ، وأعرض الناس عن جهل المارضين ، وخنست شياطين الوساوس ، وطاشت سهام أرباب الدسائس ، وصارلنا من مستحسني العمل في السر ، من يدعو اليه في الجهر ، ومن المتبرمين منه ، من يناضل دونه ويدافع عنه ،

فلنا ان نقول الآن تحدثاً بالنعمة : اننا انتقلنا من مقام الصبر الى مقام الشكر . فأما الصبر فلا بد للداعي الى الحق من الاعتصام به ولذلك قرن الله تعالى التواصي بالحق بالتواصي بالصبر . ومن فوائد الصبر الظفر وحسن الجزاء قال تعالى « ولَيَجزِيَنَّ الذين صَبرُوا أَجرَهم بأحسنِ ما كانُوا يَعمَلُون » وقال عز وجل « وجعَلْنَاهُم أئمةً يَهدُونَ بأمرِنا لما صَبَرُوا وكانوا بآياتنا يُوقِنُون » بل وعد سبحانه أهل الصبر ، بمضاعفة الجزاء والاجر ، فقال « أُولئكَ يُؤتَونَ أَجرَهُم مرَّتَينِ بما صَبَرُوا » . وأما الشكر فقد وعد الله تعالى صاحبه بالمزيد من النعمة والأمن من العذاب فقال عز شأنه « وإذ تأَذَّنَ ربُّكم لَئِنْ شكَرْتُم لأَزِيدَنَّكُم ولَئِنْ كفرتُم إنَّ عَذابي لَشَديدٌ » وقال جل ثناؤه « ما يَفعَلُ اللهُ بعذابِكُم إنْ شكَرْتُم وآمَنْتُم وكانَ اللهُ شاكِراً عليماً » فنسأله تعالى ان يوفقنا للشكر على الآلاء ، كما وفقنا للصبر على البلاء ، فأن الشكر مقام عزيز لأن من شأن الإنسان ان تبطره النعمة ويشغله الغرور بها عن الشكر عليها ولذلك قال تعالى « وَقَليلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُور »

الشكر هو معرفة النعمة للمنعم تعالى والثناء عليها وصرفها في اقامة سننه وموافقة حكمته وموجبات محبته . ومن شكر الله شكر من أحسن

العمل من عباده فقد روى احمد وأبو داود وابن حبان من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » لهذا نشكر لأولئك الافاضل الذين انتدبوا للدعوة الى المنار والسعي في نشره عملهم ، ونعرف لهم فضلهم ، ونشكر أيضاً للمشتركين الكرام الذين يؤدون الحقوق في أوقاتها وفاءهم . ونعترف بالسبق بالفضل ، لقوم سبقوا بالبذل ؛ فأدوا قيمة الاشتراك عن السنة الخامسة قبل دخولها حتى إنا لم نقبل ذلك من بعضهم الا بعد الإلحاح منهم والاصرار . ونرجو من سائر المشتركين الفضلاء ، ان يبادروا الى حسن الاداء ؛ فان من يُشكَرُ له ، خير ممن يصبر عليه ، ونحمد الله تعالى ان أكثر قراء المنار ، من المصطفين الاخيار ، فمنهم العلماء الفضلاء ، والامراء والوزراء ، والقضاة المقسطون ، والمحامون البارعون ، ونظار المدارس وأساتذتها ، والاذكياء النابغون من تلامذتها ، والتجار الامناء ، والزراع الوجهاء ، وأهل الاستقامة من الموظفين ، وذوو الشهامة من الضباط المصريين ، ونعد الجميع باننا سنبذل الجهد في زيادة الفوائد ، وتحرير المسائل ، والبحث عن أقرب الوسائل لنهضة المسلمين ، ومنفعة جميع الشرقيين ، بل نرجو أن يكون عملنا خدمة للناس أجمعين

ونسأل الله أن يحفظنا من عثرة القلم ، وزلة القدم ، وان يلهمنا السداد ، ويوفقنا للصواب ، وان ينصر سلطاننا ، وينير برهاننا ، ويحقق آمالنا ، ويحسن مآلنا ، فهو نعم المولى ونعم النصير ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير

صاحب المنار ومحرره
محمد رشيد رضا

القسم الديني

﴿ باب تفسير القرآن الحكيم ﴾

(مقتبس مما يلقيه في الازهر مولانا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصريه)

« كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فأحياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثم اليه تُرْجَعُون . هُوَ الّذي خَلَقَ لَكُمْ ما في الأَرْضِ جَمِيعاً ثم استَوَى الى السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ وهُوَ بِكُلِّ شيءٍ عَلِيم »

الكلام متصل بما قبله ومرتبط به ارتباطاً محكما والخطاب للفاسقين الذين يضلون بالمثل فانه وصفهم أولا بنقض العهد الالهي الموثق ، وقطع ما أمر به سبحانه أن يوصل ، سواء كان الأمر أمر تكوين وهو السنن الكونية ، أو أمر تشريع وهو الديانة السماوية ، ثم بعد هذا البيان جاء بهذا الاستفهام التعجبي عن كيفية كفرهم مقترناً بالبرهان الناصع على انه لا وجه له ولا شبهة تسوغ الاقامة عليه . أي بأي كيفية من كيفيات الكفر بالله تعالى تأخذون مع أنكم كنتم أمواتاً فأحياكم الخ والحال هو مجموع جملة « وكنتم أمواتا » وما عطف عليها وهو المبين لشأن الانسان في موتتيه وحياتيه . أي « كيف تكفرون بالله و » هذا حالكم - « كنتم أمواتا » منبثة أجزاؤكم في الارض بعضها في طبقتها الجامدة وبعضها في طبقتها السائلة وبعضها في طبقتها الغازية (الهوائية) لا فرق في ذلك بينها وبين أجزاء سائر الحيوان والنبات فخلقكم في أحسن تقويم وصوركم فأحسن صوركم وفضلكم على غيركم بما وهبكم من العقل والادراك وسخر لكم من الكائنات « ثم يميتكم » بقبض الروح الحي الذي به نظام حياتكم هذه فتنحل أبدانكم بمفارقته إياها

وتعود الى أصلها الميت وتنبث في طبقات الأرض وتدغم في عوالمها حتى ينعدم هذا الوجود الخاص بها « ثم يحييكم » حياة ثانية كما أحياكم بعد الموتة الأولى بلا فرق الا ما تكون به الحياة الثانية أرقى في مرتبة الوجود لأن من سنته تعالى في خلقه الترقي (وخلقنا كم أطوارا) كل طور أرقى مما قبله « ثم اليه ترجعون » فينبئكم بما عملتم، ويحاسبكم على ما قدمتم

فاذا كان هذا شأنكم معه وهذا فضله عليكم؛ وهذا مبدأكم وذلك منتهاكم، فكيف تكفرون به وتنكرون عليه ان يضرب لكم مثلا تهتدون به ويبعث فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياته ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون من مصالحكم في حياتكم الاولى وسعادتكم في حياتكم الثانية ؟

لا يقال كيف يحتج عليهم بالحياة الثانية قبل الايمان بالوحي الذى هو دليلها ومثبتها؛ لانه احتجاج على مجموع الناس بما عليه الاكثرون منهم ولا عبرة بالشذاذ المنكرين للبعث فى هذا المقام لأن الاحتجاج بالحياة الأولى بعد الموتة الأولى كاف للتعجب من كفرهم بالله وانكارهم عليه أن يضرب مثلا ما لهداية الناس زعماً ان هذا لا يليق بعظمته فان من يوجد هذا الانسان الكريم، ويجعله فى أحسن تقويم، من تلك الذرات الصغيرة، والنطفة المهينة الحقيرة، والعلقة الدموية، والمضغة اللحمية، « لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها » والكلام مسوق لابطال شبه منكري المثل والقرآن الذى جاء به، لا لابطال شبه منكري البعث بلوامع شبهه، ثم ان تمثيل احدى الحياتين بعد الموت بالأخرى داحض لحجة من يزعم عدم إمكان الثانية لأن ما جاز فى احدى المثلين جاز في الآخر

والكلامُ في إثبات الوحي الالهي للرسل من البشر والايمانُ بالبعث تابع له

ثم بعد بيان بعض آياته فى أنفسهم بذكر المبدأ والمنتهى ذكرهم بآياته في الآفاق فقال: « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعاً » فالكلام على اتصاله وترتيبه. وانتظام جواهره فى سلك أسلوبه. فليس فى قوله كيف تكفرون الخ انتقال لاثبات البعث كما قال بعض المفسرين. غفلة عن هذا الاتصال المتين؛ ولعمري ان وجوه الاتصال بين الآيات؛ وما فيها من دقائق المناسبات؛ لهي ضرب من ضروب البلاغة؛ وفن من فنون الاعجاز؛ اذا امكن للبشر الاشراف عليه؛ فلا يمكنهم البلوغ اليه؛ والكلام فى البعث فى القرآن كثير جداً فلا حاجة الى الاسراع اليه هنا

يصوّر لنا قوله تعالى « خلق لكم » قدرته الكاملة؛ ونعمه الشاملة؛ وأي قدرة أكبر من قدرة الخالق وأي نعمة أشمل من جعل كل ما فى الأرض مهيئاً لنا ومُعَدًّا لمنافعنا؛ وللانتفاع بالأرض طريقان أحدهما الانتفاع بأعيانها فى الحياة الجسدية؛ وثانيهما النظر والاعتبار في الحياة العقلية؛ والارض هي ما فى الجهة السفلى كما ان المراد بالسماء كل ما فى الجهة العليا وانا ننتفع بكل ما فى الأرض برها وبحرها من حيوان ونبات وجماد وما لا تصل اليه أيدينا ننتفع فيه بعقولنا بالاستدلال على قدرة مبدعه وحكمته. والتعبير بفي يتناول ما فى جوف الارض من المعادن بالنص الصريح

قال تعالى « ثم استوى الى السماء » أي قصد اليها قصداً مستويا وهذا يوافق ما كان معروفاً عند اليهود عن سيدنا موسى عليه السلام من أن الله تعالى خلق الارض أولا ثم خلق السموات والنور. ولا

مانع من الأخذ بظاهر الآية فان الخلق غير التسوية ألا ترى ان الانسان فى طور النطفة والعلقة يكون مخلوقا ولكنه لا يكون بشراً سويا في أحسن تقويم كما يكون عند انشائه خلقاً آخر . وسنبين ان شاء الله تعالى عند تفسير قوله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما) ان العالم كان شيئاً واحداً ثم فصله الله تعالى بالخلق تفصيلا وقدّره تقديرا . فلا مانع إذَنْ من أن يكون خلق الارض وما فيها سابقاً على تسوية السماء سبعاً . نعم ان هذا من أسرار الخلقة التى لا نعرفها

وربما يتوهم ان هذه الآية تناقض أو تخالف قوله تعالى بعد ذكر خلق السماء وأنوارها « والارضَ بعد ذلك دَحاها » والجواب عنه من وجهين (أحدها) ان البعدية ليست بعدية الزمان ولكنها البعدية في الذكر وهي معروفة فى كلام العرب وغيرهم فلا بعد فى أن تقول فعلت كذا لفلان وأحسنت عليه بكذا وبعد ذلك ساعدته في عمل كذا كما تقول وزيادة على ذلك ساعدته في عمله تريد نوعا آخر من أنواع الاحسان ؛ من غير ملاحظة التأخر في الزمان ؛ (ثانيهما) أن الذي كان بعد خلق السماء هو دَحْوُ الأرض أي جعلها ممهدة مدحوّة قابلة للسكنى والاستعمار لا مجرد خلقها وتقدير أقواتها فيها وخلقُ الله وتقديره لم ينقطع من الارض ولا ينقطع منها ما دامت وكذلك يقال فى غيرها .

وحاصل القول ان الله تعالى خلق هذه الأرض وهذه السموات التى فوقنا بالتدريج وما أشهدنا خلقهن وإنما ذكرنا ما ذكره للاستدلال على قدرته وحكمته ؛ وللامتنان بنعمته ؛ لا لبيان تاريخ تكوينهما بالترتيب لأن هذا ليس من مقاصد الدين . فابتداء الخلق غير معروف ولا ترتيبه

الا أن تسوية السماء سبع سموات يظهر أنه كان بعد تكوين الأرض ويظهر ان السماء كانت موجودة الا انها لم تكن سبعاً ولذلك ذكر الاستواء اليها وقال « فسواهن سبع سموات » فنؤمن بأنه فعل ذلك لحكم يعلمها وقد عرض علينا ذلك لنتدبر ونتفكر فمن أراد أن يزداد علماً فليطلبه من البحث فى الكون وحسبه ان الكتاب أرشده الى ذلك وأباحه له

هذه الاباحة للنظر والبحث في الكون بل هذا الارشاد اليها بالصيغ التى تبعث الهمم وتشوق النفوس ككون كل ما فى الارض مخلوقا لنا محبوساً على منافعنا هو مما امتاز به الاسلام فى ترقية الانسان فقد خاطبنا القرآن بهذا على حين ان أهل الكتاب كانوا متفقين فى تقاليدهم وسيرتهم العملية على أن العقل والدين ضدان لا يجتمعان ، والعلم والدين خصمان لا يتفقان ؛ وان جميع ما يستنتجه العقل خارجا عن نص الكتب فهو باطل ولذلك جاء القرآن يلحّ أشد الالحاح بالنظر العقليّ والتفكر والتدبر والتذكر فلا تقرأ منه قليلا الا وتراه يعرض عليك الأكوان ويأمرك بالنظر فيها واستخراج أسرارها واكتشاف حكم اتفاقها واختلافها — « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ... — قل سيروا فى الأرض فانظروا ... — أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها الخ — أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ... » الى غير ذلك من الآيات الكثيرة جداً . وإكثار القرآن من شئ دليل على تعظيم شأنه ووجوب الاهتمام به . ومن فوائد الحث على النظر فى الخليقة للوقوف على أسرارها بقدر الطاقة واستخراج علومها لترقية النوع الانساني الذى خلقت هي لأجله مقاومةُ تلك التقاليد الفاسدة التى كان عليها أهل الكتاب فأودت

بهم وحرمتهم من الانتفاع بما أمر الله الناس أن ينتفعوا به

كانت اوربا المسيحية فى غمرة من الجهل وظلمات من الفتن تسيل الدماء فيها أنهاراً لأجل الدين وباسم الدين وللاكراه على الدين ثم فاض طوفان تعصبها على المشرق ورجعت بعد الحروب الصليبية تحمل قبساً من دين الاسلام وعلوم أهله فظهر فيهم بعد ذلك قوم قالوا ان لنا الحق فى ان نتفكر وان نعلم وان نستدل فحاربهم الدين ورجاله حربا عوانا انتهت بظفر العلم ورجاله بالدين ورجاله . وبعد غسل الدماء المسفوكة قام منذ مائتي سنة الى اليوم رجال منهم يسمون هذه المدنية القائمة على دعائم العلم المدنية المسيحية ويقولون بوجوب تلاشي سائر الأديان بعد انهزامها من امام الدين المسيحي لأنها لا تتفق مع العلم وفى مقدمتها الدين الاسلامي وحجتهم على ذلك حال المسلمين نعم ان المسلمين أمسوا وراء الأمم كلها فى العلم حتى سقطوا فى جاهلية أشد جهلا من الجاهلية الأولى فجهلوا الارض التى هم عليها وضعفوا عن استخراج منافعها فجاء الاجنبي يتخطفها من بين أيديهم وهم ينظرون وكتابهم قائم على صراطه يصيح بهم « هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعاً — وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض جميعامنه — قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا » وأمثال ذلك ولكنهم « صم بكم عمي فهم لا يعقلون » الا من رحم الله ولو عقلوا لعادوا ؛ ولو عادوا لاستفادوا ، وبلغوا ما أرادوا ؛ وهانحن أولاء نذكرهم بكلام الله لعلهم يرجعون ؛ ولا نيأس من روح الله انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون ؛

ثم ختم الآية سبحانه وتعالى بقوله « وهو بكل شئ عليم » أى فهو

المحيط بكيفية التكوين وحكمته وبما ينفع الناس بيانه . واذا كان العاقل يدرك ان هذا النظام المحكم لا يكون الا من عليم حكيم فكيف يصح له ان ينكر عليه ان يرسل من يشاء من خلقه لهداية من شاء من عباده فهذا الآخر يتصل باول الآيات في تقرير رسالة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وابطال شبه الذين أنكروا أن يكون البشر رسولا والذين أنكروا أن يكون من العرب رسول لأن قصارى ذلك كله اعتراض الجاهلين على من هو بكل شئ عليم

﴿ باب الاخبار النبوية وآثار السلف الصالح ﴾

ننشر في هذا الباب ما يعرف به المسلمون أصل مدنيتهم ومنشأ سعادتهم التي ذهبت بتركه

القضاء فى الاسلام — النبذة الثانية

وجوب نصب القاضى (الحديث [٨]) قال صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الارض الا أمّروا عليهم أحدهم » وفي رواية : « اذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا عليهم أحدهم » استدل العلماء بهذا الحديث على ان نصب الامير الذى يسوس الناس والقاضي الذى يحكم بينهم واجب شرعا لأن هذا أولى بالوجوب من تأمير المسافرين وان كانوا أقل الجمع واحداً منهم عليهم والعلة ظاهرة والعمل عليها من أول الاسلام . وفي الحديث إرشاد الى ان الامة هي التى تولي الامراء والحكام كما تقدم شرحه فى باب الاحاديث الواردة في الامراء من المجلد الرابع

«٨» رواه احمد عن عبد الله بن عمرو . والرواية الثانية أخرجها أبو داود عن أبي سعيد . واخرج نحوها البزار بسند صحيح عن عمر بن الخطاب

موانع القضاء اوشروطه تقدم في الاحاديث السبعة التى أوردناها فى النبذة الاولى مايدل على ان الضعيف لايكون قاضياً وبينا أنواع الضعف وأن الجاهل لايكون قاضيا كما يؤخذ من حديث قاضي الجنة وقاضي النار وغيره وان الجائر لايكون قاضياً وأن المرأه لا تكون قاضية وخالف فى هذا الشرط الحنفية ولوكان المخالف من علماء هذا العصر لحكم بكفره أكثر المسلمين ، ورموه بمصانعة الاجانب وتقليد الأوربيين ، وكذلك الصبي لايكون قاضياً ونقل بعضهم الاجماع على هذا ويستدل له بما استدل به على منع قضاء المرأة وفي هذه الموانع أحاديث أخرى نورد بعضها

(٩) قال صلى الله تعالى عليه وسلم « استعيذوا بالله من رأس السبعين وإمارة الصبيان » والقضاء ضرب من الامارة ولانعرف في الناس من يولي الصبيان القضاء ولكنهم يولونهم الامارة والسلطنة بالوراثة وقد قلد المسلمون الأوربيين في هذه الوراثة . فاما أولئك فانهم آمنون من مضرة ولاية الصبي لأن حكوماتهم مقيدة بقوانين ؛ ووزراء مسؤلين ومنفذين ؛ وانما الحاكم العام ؛ (كالملك ورئيس الجمهورية) لأجل الوحدة في مصدر الاحكام ، وهو لايستبد دونهم بنقض ولا إبرام . واما بلاد الشرق فلقد تأصل فيها الاستبداد ورسخت عروقه واعتادت أممها عليه وضعفت عن مقاومته فلو قضت شؤن السياسة وتقلب الحوادث على بعضها بوضع قانون يجعل احكامها مقيدة بالقوانين ؛ التى تغل أيدى الأمراء والسلاطين ؛ لما وجد من الأمة كافل يضمن تنفيذ القانون ولاستبد الحاكم الاكبر كيف شاء اويجد قوة اجنبية تأخذ على يده . وتوقفه عند حده . ولهذا المعنى كانت

«٩» رواه احمد عن أبي هريرة

توليه الصبي الملك خطرا فى الشرق ومثله المرأة . واما رأس السبعين فى الحديث فقالوا انه انباء بما وقع فى عشر السبعين من الفتن كقتل سيدنا الحسين عليه السلام والرضوان ووقعة الحرة وغير ذلك

(١٠) عن ابي بكرة قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى قال : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . والنظر فى هذا الحديث الشريف من وجهين أحدهما كونه خبراً وثانيهما كونه حكما شرعيا لأنه يتضمن بمعناه النهي عن تولية النساء الأمور العامة كالخلافة والقضاء . اما الاول فهو مبني على العادة التى كانت متبعة فى الشرق بل فى العالم كله وهى ان الامر والنهي والتصرف السياسي والقضائي بأيدي الملوك والامراء ولا شك ان هذه الوظائف لايصح ان تسند الى النساء لأنهن أضعف رأيا لاسيما فى محافل الرجال وما يتعلق بأعمالهم وأقل جلداً وثباتا وأميل مع الهوى لرقة قلوبهن وسرعة انفعالهن ولانهن إن يشتغلن بذلك يضعفن عن وظيفتهن الطبيعية وهى تربية الاولاد وتدبير المنزل فاذا كان في المرأة استعداد لان تجاري الرجل وتكون مثله فى كل شئ كما يزعم بعض الاوربيين فهذا الاستعداد لما يتحقق فعلا مع العناية بتربية النساء فى أوربا فلا يعترض به على حديث قيل في شأن الفرس من ثلاثة عشر قرنا ولا ينبغى السعي فى تحقيقه بتربية المرأة كما يتربى الرجل تماماً لان هذا يضر النوع الانساني من وجوه اهمها تربية الاولاد فان المربي يجب ان يكون بينه وبين المربّى تقارب وتناسب فى السجايا والاخلاق والافكار والرغائب ليسهل الائتلاف والامتزاج معه والتقليد له والأخذ

«١٠» رواه أحمد والبخاري والنسائي والترمذي وصححه

عنه بالطبع لا بالتكلف والمرأة وسط بين الاطفال وبين الرجال فهي التي تربي البنات كل التربية وتربي الصبية التربية الاولى التي تعدّهم للاخذ عن الرجال والاقتداء بهم . واذا اشتغل الرجل بتربية الاطفال ، فانه يعامل الذكران والاناث معاملة الرجال ، وفي ذلك خروج بالبنات عن سنة الفطرة ؛ وذهاب بالصبيان مع الطفرة ؛

وأما الثاني — وهو كون الحديث حكما شرعياً بمنع ولاية النساء — فهو من جهة مناسب لاستعداد النساء ولوظيفتهن الفطرية ومن جهة أخرى مناسب لما كانت عليه حالة الأمم في ذلك العصر ولا حاجة لاباحته في عصر آخر بل فيه الضرر المذكور في الوجه الأول وهو التعدي على وظيفة النساء الطبيعية . ولا يعترض بحال أوربا وكون الدولة الانكليزية أفلحت فى عهد الملكة فيكتوريا فلاحاً ما رأت هي ولا غيرها من الدول مثله لان فرقا بين أمم أوربا والامة الاسلاميه وهو أن الملك فيهم ليس له من الوظائف مثل ما للخليفة عند المسلمين فان الخليفة هو الامام الديني الذي يصلي بالناس ويخطبهم فى صلاتهم وحجهم عند حضوره الحج وكل الائمة والخطباء فى البلاد الاسلامية نوابه ووكلاؤه وهو القاضي الاكبر الذي يحكم فيهم حيث يكون وكل القضاة والمفتين نوابه ووكلاؤه فهو الذي يقلدهم هذا المنصب بشرط الكفاءة واليه يرجعون فى مسائل الخلاف ليفصل فيها ومن شروط الكفاءة أن يكون القاضي والمفتي فى مرتبة الائمة المجتهدين فى الدين ومعرفة مصلحة المسلمين ولا يعرف هذا الا من هو أهله . وإن فرضنا أن فى استعداد المرأة الوصول الى هذه المرتبة وانه لا ضرر فى هذا على النوع الانساني فهناك مانع آخر من امامتها

وهو انها تكون فى طور لا تصح فيه صلاتها بنفسها فكيف تكون إماماً لغيرها . ولا يقال تستنيب لأن من ليس له الحق بشيء لا يصح أن يستنيب فيه إذ النائب يؤدي وظيفة المنيب ولا وظيفة له هنا — هذا بعض ما يقال فى المنع من الجهة الدينية المحضة وثم موانع أخرى من الجهة الدنيوية وهي كون الخليفة مدبر السياسة والحروب ومتولي النظر فى المصالح الداخلية والخارجية ولذلك اشترطوا أن يكون شجاعاً . فان قيل ان الاسلام شرع المشاورة فى الأمر وجعلها فرضاً لازماً ومنع الخليفة أن يستبد فى أمر بنفسه وهذا عين ما عليه الأوربيون فى تقييد الملوك بالمجالس النيابية . قلنا نعم هذا صحيح ولكن الاسلام أوجب على الخليفة أن يكون عاملا بالمشاورة لا ان يكون آلة تجري الامور باسمه بدون شعور . والكلام فى هذا المقام كثير وفيما ذكرناه غناء للبصير .

ومن موانع القضاء عند الجماهير الرق وحكي عن العترة انه يصح أن يكون العبد قاضياً وكأنهم أخذوا بظاهر الحديث وهو

(١١) قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشيّ كأن رأسه زبيبة » وفى رواية « اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله » قال القسطلاني فى شرح البخاري : معناه ان استعمله الامام الاعظم على القوم لا ان العبد الحبشي هو الامام الاعظم فان الائمة من قريش . أو المراد به الامام الاعظم على سبيل الفرض والتقدير وهو مبالغة فى الامر بطاعته . والنهي عن شقاقه ومخالفته . اه أي ليس المراد به ظاهره فان العبد اذا ولي الخلافة لا يطاع بل يخلع ويعزل .

«١١» رواه أحمد والبخاري عن أنس . والرواية الثانية لمسلم عن ام الحصين

قال الخطابي قد يضرب المثل بما لا يقع في الوجود . وقال الحافظ في الفتح: ونقل ابن بطال عن المهلب قال قوله « اسمعوا وأطيعوا » لا يوجب أن يكون المستعمل للعبد الا إمام قرشي لما تقدم من ان الامامة لا تكون الا في قريش وقد أجمع الامة على أنها لا تكون في العبيد ويحتمل ان يكون سماه عبداً باعتبار ما كان قبل العتق اه

والحاصل ان شروط القضاء في الشرع سبعة كما قال في الاحكام السلطانية الرجولية والحرية والاسلام والعدالة والاجتهاد في العلم والعقل وسلامة الحواس وجوز مالك قضاء الاعمى كما جوز شهادته

﴿ آثار السلف عبرة للخلف ﴾

عدل عمر روى ابن عبد الحكم عن أنس ان رجلا من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين : عائذ بك من الظلم . قال : عذت معاذا . قال سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته فجعل يضربني بالسوط ويقول : أنا ابن الأكرمين . فكتب عمر الى عمرو يأمره بالقدوم ويقدم ابنه معه فقدم فقال عمر : اين المصري ؟ خذ السوط فاضرب . فجعل يضربه بالسوط وعمر يقول « اضرب ابن الأكرمين » قال أنس فضرب فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه . ثم قال للمصري : ضع السوط على صلعة عمرو . فقال يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي ضربني وقد استقدت منه . فقال عمر لعمرو : مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » قال يا امير المؤمنين لم اعلم ولم يأتني .

وروى عبد الرزاق في الجامع والبيهقي بسند صحيح عن ابن عمر قال:

شرب اخي عبد الرحمن وشرب معه ابو سروعة عقبة بن الحارث وهما بمصر في خلافة عمر فسكرا فلما اصبحا انطلقا الى عمرو بن العاص وهو امير مصر فقالا طهرنا فانا قد سكرنا من شراب شربناه (يظهر من هذه الكلمة انهما لم يكونا يقصدان السكر ولم يعرفا ما هو الشراب) قال عبد الله فذكر لي اخي انه سكر فقلت ادخل الدار اطهرك ولم اشعر انهما قد اتيا عمروا فأخبرني اخي انه اخبر الامير بذلك فقلت لا تحلق اليوم على رؤس الناس ادخل الدار احلقك وكانوا اذ ذاك يحلقون مع الحد فدخلا الدار قال عبد الله فحلقت اخي بيدي ثم جلدهم عمرو فسمع بذلك عمر وكتب الى عمرو ان ابعث اليّ بعبد الرحمن على قتب ففعل ذلك فلما قدم على عمر جلده وعاقبه لمكانه منه ثم ارسله فلبث شهراً صحيحاً ثم اصابه قدره فمات فيحسب عامة الناس انما مات من جلد عمر ولم يمت من جلد عمر .

وروى هذا الأثر ابن سعد في الطبقات مطولا ذكر فيه مجيء عبد الرحمن الى مصر ونزوله في اقصاها وان عمراً خشي ان يزوره او يهدي اليه شيئاً فيعلم ابوه عمر بذلك فيعاقبه لانه كان كتب اليه : « إياك ان يقدم عليك احد من اهل بيتي فتحبوه بأمر لا تصنعه بغيره » حتى جاءه هو ورفيقه ابو سرعة منكسرين يطلبان إقامة الحد عليهما . وفيه ان عمر لما علم ان عمراً اقام الحد على ولده في بيته وحلقه في بيته ظن انها خصوصية اختص بها ولده فكتب اليه يوبخه ويهدده بالعزل ويطالب عبد الرحمن . وان عمراً اعتذر له بأنه يحد كل مسلم وذمي في بيته . اه ملخصاً من (كتاب كنز العمال . في سنن الاقوال والافعال)

﴿ باب العقائد من الامالي الدينية ﴾

« الدرس ٣١ — عصمة الانبياء عليهم السلام »

(المسئلة ٧٩) حقيقة العصمة هي في اللغة المنع . وقال الجرجاني في التعريفات « العصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها » أي ان المعصوم من الشئ يجد في نفسه قدرة عليه ويشعر بزاجر منها يحول دون الوقوع فيه فالعصمة وازع نفسي راسخ في النفس وهي في الانبياء فطرية وقد يكون لغيرهم بحسن التربية من ملكة الفضيلة ما يربأ بنفوسهم عن مواقعة الفجور والدنايا ويسمي علماؤنا هذا المعنى حفظاً للتفرقة وإنما يكون هذا بالتربية الفاضلة بين الفضلاء مع مساعدة الوراثة واعتدال المزاج . وقد ينكر الذين ابتلوا باقتراف الكبائر هذا المعنى أن يكون لغير الانبياء ويسلمون به للانبياء تقليداً ولهم العذر فانه أمر لا يعرفه الا من ذاقه وقليل ما هم

(م ٨٠) العصمة في التبليغ جاء في المواقف ان أهل الملل والشرائع قد أجمعوا على عصمة الانبياء عن تعمد الكذب فيما دل المعجز على صدقهم فيه كدعوى الرسالة وما يبلغونه عن الله تعالى . وإن عاقلا لا يجمع بين الايمان والوحي والنبوة وبين تجويز كذب النبي على الله تعالى فيما يبلغ عنه . فان كان هذا جائزاً فاي ثقة بالوحي وكيف يميز المكلف بين ما هو عن الله وما عن غير الله والمبلغ غير موثوق بصدقه !! ولقد أبعد القاضي أحد أئمة الاشعرية في قوله بجواز صدور الكذب منهم سهواً وهو قول مردود لا يعول عليه أحد . والدليل على هذا النوع من العصمة هو عين الدليل

على النبوة من الآيات العلمية أو الكونية

(م ٨١) العصمة من الكفر أجمع المسلمون من جميع الفرق على عصمتهم من الكفر قبل النبوة وبعدها وليس هنا شبهة لأحد فنتوسع فيه

(م ٨٢) العصمة من كبائر الذنوب قال في المواقف وشرحه : « أما الكبائر » أي صدورها عنهم عمداً « فمنعه الجمهور » من المحققين والأئمة ولم يخالف فيه الا الحشوية « والاكثر » من المانعين « على امتناعه سمعاً » قال القاضي والمحققون من الاشاعرة ان العصمة فيما وراء التبليغ غير واجبة عقلا إذ لا دلالة للمعجزة عليه فامتناع الكبائر عنهم سمعاً مستفاد من السمع وإجماع الامة قبل ظهور المخالفين في ذلك « وقالت المعتزلة بناء على أصولهم » الفاسدة في التحسين والتقبيح العقليين ووجوب رعاية الصلاح والاصلح « يمتنع ذلك عقلا » لان صدور الكبائر عنهم عمداً يوجب سقوط هيبتهم من القلوب وانحطاط رتبتهم في أعين الناس فيؤدي الى النفرة عنهم وعدم الانقياد لهم ويلزم منه إفساد الخلائق وترك استصلاحهم وهو خلاف مقتضى العقل والحكمة . « وأما » صدورها عنهم « سهواً » وعلى سبيل الخطأ في التأويل « فجوزه الاكثرون » والمختار خلافه اه ولم يذكر ناقلي الاجماع ولا كيف وقع هذا الاجماع وما أراه الا الاجماع السكوتي وعجيب من سادتنا الاشاعرة كيف ينقضون الادلة العقلية على عصمة الانبياء لاجل مخالفة المعتزلة ولو بالتكلف اذ استلزام دليلهم للتحسين والتقبيح بالمعنى النافي لاختيار الله تعالى ممنوع كما سنبينه . ثم انهم جوّزوا وقوع الكبائر منهم سهواً وتأويلا كما ترى وذكر السيد أن المختار خلاف ما عليه الاكثرون وقد جزم المتأخرون بهذا في عقائدهم ولا شك

ان المتأخرين أشد تعظيما بالقول للانبياء والصلحاء وكذلك فى الاعتقاد التخيلي دون البرهاني على أنهم في هذه المسئلة أقرب الى الصواب من المتقدمين

(م ٨٣) العصمة من الصغائر قال المواقف : « وأما الصغائر عمداً فجوزه الجمهور الا الجبائي وأما سهواً فهو جائز اتفاقاً الا الصغائر الخسية كسرقة حبة أو لقمة وقال الجاحظ يجوز بشرط أن ينبهوا عليه فينتهوا عنه وقد تبعه فيه كثير من المتأخرين وبه نقول » قال الشارح : (أي نحن الاشاعرة)

(م ٨٤) العصمة قبل النبوة قال المواقف بعد ايراد ما ذكر كله : « هذا كله بعد الوحي وأما قبله فقال الجمهور : لا يمتنع أن يصدر عنهم كبيرة اذ لا دلالة للمعجزة عليه ولا حكم للعقل . وقال أكثر المعتزلة تمتنع الكبيرة وان تاب منها لانه يوجب النفرة وهى تمنع عن اتباعه فتفوت مصلحة البعثة ومنهم من منع عما ينفر مطلقاً كعهر الامهات والفجور فى الآباء والصغائر الخسية دون غيرها . وقالت الروافض : لا يجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة قبل الوحي فكيف بعد الوحي » اه وقول الروافض هذا هو الذي اعتمده المتأخرون من أهل السنة بل منع بعضهم وقوع المكروه منهم الا على سبيل التشريع

(م ٨٥) رأينا [1] انما ذكرنا هذا الاختلاف فى العصمة ليعرف من يطلع عليه من دعاة النصارى ومجادليهم ان المسلمين لم يتكلفوا القول بعصمة الانبياء تكلفاً لاثبات قدرتهم على إنجاء الناس من العذاب فى

«١» راجع النبذة ١١ من شبهات المسيحيين وحجج المسلمين فى عصمة الانبياء والخلاص» ص ٨١٦ م ٤ »

اليوم الآخر كما يزعمون وإنما يتبعون فى ذلك كغيره ما يظهر لهم من الأدلة العقلية والسمعية أي أدلة الوحي . وإنما نقلنا عبارة كتاب المواقف الذي هو أعظم كتب الكلام عندنا لئلا يظن قليل الاطلاع من المسلمين ان الاقوال التى أوردناها فى الخلاف هى أقوال شاذة أو مسندة لغير أصحابها سهواً أو جهلا لا سيما اعتماد متأخري أهل السنة قول الرافضة .

والذي نراه انه يصح الاستدلال بالعقل على عصمة الانبياء عليهم السلام ولا يستلزم ذلك القول بقاعدة التحسين والتقبيح العقليين ولا سلب الاختيار عن الله تعالى . وكذلك يستنبط من كثير من الآيات القرآنية ما يدل على نزاهتهم وكونهم قدوة فى الخير والفضائل ولكن ليس فيها نص صريح على العصمة من الذنوب مطلقاً ولذلك قال صاحب المواقف بعد ايراد تلك الآيات انها ليست بالقوية فيما هو محل النزاع وهو الكبيرة سهواً والصغيرة عمداً . وفى الكتاب والسنة أسناد الذنوب الى بعض الانبياء عليهم السلام وما جاز على بعضهم جاز على الآخرين والعلماء يأولون ذلك .

وقصارى هذا كله وجوب الاعتماد على الدليل العقلي والتوفيق بينه وبين ما ورد من أسناد الذنوب اليهم فاطلب ذلك من الدرس الآتي

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

(س ١) محمد توفيق افندى حمزه بالفشن (المنيا) : هل يوجد حديث صحيح بأن في القرآن لحناً ستقيمه العرب بألسنتها وأن منه قوله تعالى « والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة » نرجو الرد على ذلك لازالة الشبهة

(ج) لم يرد فى هذا المعنى حديث صحيح ولا ضعيف ولا موضوع ولكن الزنادقة الذين حاولوا العبث بدين الاسلام كما كان يفعل أمثالهم فى الاديان الاخرى لما عجزوا عن زيادة حرف فى القرآن أو نقص حرف منه لحفظه فى الصدور والصحف أرادوا أن يشككوا بعض المسلمين فيه بشيء يضعونه عن لسان الصحابة الكرام فزعم بعضهم ان عكرمة قال: لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان فوجد فيها حروفاً من اللحن فقال « لا تغيروها فان العرب ستغيرها أو قال ستعربها بألسنتها. لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف »

وفى لفظ آخر « أحسنتم وأجملتم أرى شيئاً من لحن ستقيمه العرب بألسنتها ولو كان المملي من هذيل والكاتب من قريش لم يوجد هذا » ولما تصدى المحدثون رضي الله عنهم لنقد الحديث والاثر من جهة الرواية التى راج فى سوقها الطيب والخبيث تبين لهم فى هذا الاثر ثلاث علل — الانقطاع والضعف والاضطراب فهو لا يعول عليه لو كان فى الحث على فضائل الاعمال فكيف يلتفت اليه فى موضوع هو أصل الدين الاصيل وركنه الركين؟ ومن يدري ان كان الساقط من سنده مجوسي أو دهري وإسرائيلي؟ على ان الكلمة التى نسبت الى عثمان تدل على ان اللحن في الرسم وأنه لم يكن مما يشتبه فى قراءته لانه لا يحتمل فى النطق وجهاً آخر كرسم الصلاة والزكاة والحياة بالواو مثلا (الصلوة الحيوة) ولكن الموسوسين حملوا ذلك على كلمات قليلة جاءت فى المصحف على خلاف القواعد النحوية التى وضعها الناس لكلام العرب وتحكموا بها عليهم ومن ذلك الآية التى أشار اليها السائل وهي قوله تعالى « لكن الراسخون في العلم منهم

والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة » وأني لأعجب من دخيل في لغة قوم يتحكم عليهم فى شيء يخترعه هو ويجعله أصلا لها. وأعجب من هذا أن يكون هذا التحكم على أصح شيء فى اللسان فان الذين يؤلون ما ورد عن بعض سفهاء الاعراب من الشعر المخالف للقواعد أو يكتفون بأنه صحيح لأنه هكذا سُمع يتوقفون فى بعض الكلم من القرآن اذا رأوا انها على خلاف القياس. على ان علماء العربية خرجوا تلك الكلمات على ما يوافق قواعدهم من وجوه مذكورة فى كتب التفسير وكتب النحو لا محل لها هنا. وسنفصل القول فى مسئلة جمع القرآن فى دروس الأمالي الدينية بما يشفي الصدور ان شاء الله تعالى

(س ٢) أحمد افندى الالفى فى أبي كبير (شرقية): ما أقرب الطرق لمعرفة أحكام العبادات من الكتاب والسنة؟

(ج) الكتاب العزيز لم يفصل القول في صور العبادات وانما بين روح العبادات والمقصود منها وفيه كيفية الوضوء وذكر الركوع والسجود من أعمال الصلاة والسنة بينت صورها وأذكارها. وأصحاب الكتب الستة التي هي أصح كتب الحديث انما ألفوا كتبهم لمعرفة الدين منها فجامع البخاري هو مذهبه الذى يعتمد عليه فى فهم الدين وقد قال بعض العلماء ان سنن أبي داود كافية فيما يشترط للاجتهاد من علم السنة. ويوجد كتاب يسمى منتقى الاخبار جمع فيه صاحبه أحاديث الأحكام من الكتب الستة ومن مسند الامام احمد وقد شرحه الامام الشوكاني وأورد فى شرحه خلاف جميع ائمة المسلمين المشهورين من الصحابة والتابعين مع بيان

الترجيح فى الاستدلال واسم الشرح (نيل الاوطار) فهو أجمع كتاب في أحكام الدين من السنة وهدي سلف الأمة لمن هو أهـل للفهم والاحاديث الشريفة أسهل فهماً من كلام العلماء ولكن لا يستغنى عن هدايتهم فى معرفة ما يحتج به وما يختلف مع غيره

(س٣) ومنه : هل يفيـد حفظ القرآن فى اكتساب ملـكة البلاغة كغيره من الكلام البليغ ؟

(ج) لعل سبب السؤال توهم ان القرآن فى علو اسلوبه واعجازه لا يمكن أن يحتـذي بلاغته ، من لا يطمع أن يبلغ غايته ، والصواب أن لحفظ القرآن مع فهمه أبلغ التأثير فى ارتقاء ملـكة البلاغة العربية ولقد ارتقى به كلام العرب انفسهم فكان كلامهـم فى المنظوم والمنثور بعـد الاسلام اعلى منـه قبله . فالقرآن أنفع الكلام فى ارتقاء اللغة كما انه انفعه فى اصلاح الارواح وتهذيب النفوس وإكمال العقول ولا يستلزم نفعه فى ارتقاء البـلاغة امكان التسلق الى درجتـه ، والجري الى غايته ، وان لنا لعودة الى هذه المسئلة ان شاء الله تعالى

(س٤) ع . ا . ر . في الاسكندرية : لا يخفى مارسخ في أوهام العوام من مسئلة كرامات الاولياء والخروج في فهم حقيقتها عن الحد الذى نبهت عليه شريعتنا السمحة . وبثغرنا واحد من هؤلاء الدجالين الجهلاء المنتحلين لأنفسهم علم الغيب وله سبحة طويلة ينظر فيها عند سؤاله من العامة فيخبرهم بما يحصل لهم فى غد من الحوادث فيصـدقونه والمتنبهون منهم ان سألوا بعض العلماء عن ذلك جوزوه بدعوى انه كرامة من غـير توضيح ماهي الـكرامة ومن يكرم الله بها من عباده المتقين غير الدجالين الذين هم عن

صلاتهم ساهون . ولما كان للاسلام والمسلمين صوى « ومنار » كمنار الطريق يتخذونه نبراساً لهم ودليلا إن هم تاهوا فى بيداء الحيرة وتهور الضلال فقد أرسلت بهـذه السطور اليكم ملتمساً من بحر علمكم وواسع حكمتكم ان توضحوا بعدد المنار المقبل (وان كان سبق توضيح) هل ورد فى الشرع مايجيز لاحـد من الناس التهجم على غيب علم الله الذي ستره عن عباده وإخبار الناس بما يصيبهم من خير أو شر .. فان ضل او استشعر منه الخبط والخلط قال : « السبحه تايهة السبحه تايهة » فالمرجوان توضحوا انا ذلك بمناركم المنير وتزيلوا هذه الغيوم المتلبدة على العقول ....

(ج) لم يرد في كتاب الله ولا سنة نبيه عليه الصلاة والسلام مايدل على جواز هـذه الدعوى لأحـد بل ورد مايدل على ان الانبياء عليهم السلام قد أمروا بأن يتنصلوا منها « قُلْ لا أَقولُ لكم عِندي خزائنُ اللهِ ولا أعلم الغيبَ ولا أقولُ لكم إنّي مَلَكٌ إنْ أَتّبعُ الاما يُوحى اليّ قل هل يَسْتوي الأعمَى والبصيرُ أفلا تتفكرون » « قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ماشاء اللهُ ولو كنتُ أعلمُ الغيب لاستكثرتُ من الخيرِ وما مَسَّنِيَ السوءُ إن أنا إلا نذيرٌ وبشيرٌ لقومٍ يؤمنون » ـ « قل لا يَعْلمُ مَنْ في السمٰواتِ والأرضِ الغيبَ الا اللهُ » والآيات في هذا المعنى كثيرة . واستشكل بعضهم نفي علم الغيب عن النبي مع انه أخبر بكثير منه وأحسن جواب أجابوه ماتؤيده الآيات كقوله تعالى « إن اتبع الا مايوحي اليّ » فنقول فيما أخـبر به من ذلك كما قال الله تعالى « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يُوحَى » وأما النفيّ فهو مايتعلق بمصالح الدنيا وما يكون من أمر الناس فيها واستشهدوا له بالحديث الصحيح الوارد فى تأبير النخل وقوله لما خرج خلاف ماقاله عليه السلام : (أنتم أعلم بأمر دنياكم) وفى رواية لمسلم : (ان كان شيء من أمر دنياكم فشأنكم وان كان من أمر دينكم فاليّ) فالحديث يدل على ان الله تعالى لم يعط الانبياء معرفة الغيب في مصالح الناس فى دنياهم وانما جعل علم الدنيا كسبياً يعلمه الناس بالبحث والجد . أما هؤلاء الدجالون من أصحاب السُّبح ونحوهم فلا تزال بضاعتهـم تروج مادام هذا الجهل فاشياً في جميع طبقات الامة ولا ينفع في الجاهل المقلد الاعمى دليل ولا برهان . وراجعوا مقالات (كرامات الاولياء) فى ص ٤٠١ و ٤١٧ و ٤٤٩ و ٤٨١ و ٥٤٥ من مجلد المنار الثاني

القسم العمومي

﴿ الكتاب الموعود بنشره ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل المخلوقين وعلى آله وأصحابه أنصار دينه الاولين وعلى أتباعهم في مسالكهم الى يوم الدين ٠

أما بعد فاقول لما كان عهدنا هذا وهو أوائل القرن الرابع عشر عهداً عمّ فيه الخمال والضعف جميع المسلمين وكان من سنة الله في خلقه ان جعل لكل شئ سبباً فلا بد لهذا الخمال الطارئ والضعف النازل من أسباب ظاهرية غير سر القدر الخفيّ عن البشر . فدعت الحمية بعض أفاضل العلماء والسراة والكتاب السياسيين للبحث عن أسباب ذلك والتنقيب عن أفضل الوسائل للنهضة الأسلامية فأخذوا ينشرون آراءهم في ذلك في بعض الجرائد الأسلامية الهندية والمصرية والسورية والتاتارية . وقد اطلعت على كثير من مقالاتهم الغراء في هذا الموضوع الجليل واتبعت أثرهم بنشر مالاح لي فى حل هذا المشكل العظيم ٠

ثم بدا لي ان أسعى في توسيع هذا المسعى بعقد جمعية من سراة الأسلام فى مهد الهداية أعني (مكة) المكرمة فعقدت العزيمة متوكلا على الله تعالى على اجراء سياحة مباركة بزيارة أمهات البلاد العربية لاستطلاع الافكار وتهيئة الاجتماع فى موسم أداء فريضة الحج فخرجت من وطني أحد مدن الفرات في أوائل محرم سنة ست عشرة وثلاثمائة والف وكلي ألسن تنشد ٠

دَرَاكِ فمَن يُدنَفْ لعمري يدفَن ... وما نافع نَوحٌ متى قيل قد فَني
دراكِ فإنّ الدين قد زال عزه ... وكان عزيزاً قبل ذا غير هين
فكان له أهل يوفون حقه ... بهديٍ وتلقين وحسن تلقن
إلَامَ وأهلُ العلم أحلاس بيتهم ... اما صار فرضاً رأب هذا التوهن
هلموا الى (ام القرى) وتآمروا ... ولا تقنطوا من رَوح رب مهيمن
فان الذي شادته الأسياف قبلكم ... هو اليوم لايحتاج الا الألسن

فسلكت الطريق البحري من اسكندرون معرجا على بيروت فدمشق ثم يافا فالقدس ثم جئت الإسكندرية فمصر ثم من السويس بمت الحديدة فصنعاء فصعدا الى

البصرة ومنها رجعت الى حائل الى المدينة على منورها أفضل الصلاة والسلام الى مكة المكرمة فوصلتها فى أوائل ذى القعدة فوجدت أكثر الذين أجابوا الدعوة ممن كنت اجتمعت بهم من أفاضل البلاد الكبيرة المذكورة وسراتها قدسبقونى بموافاتها وما انتصف الشهر وهو موعد التلاقى الاّ وقدم الباقون ماعدا الأديب البيروتي الذى حرمنا القدر ملاقاته لسبب انبأنا عنه فعذرناه ٠

وفي أثناء انتظارنا منتصف الشهر سعيت مع بعض الاخوان الوافدين في تحري وتخيير اثنى عشر عضواً أيضاً لاجل اضافتهم للجمعية وهم من مراكش وتونس والقسطنطينية وبغجه سراي وتفليس وتبريز وكابل وكشغر وقازان وبكين ودهلي وكلكته وليفربول ٠ واذ كنت المباشر لهذه الدعوة بادرت واتخذت لي داراً فى حيٍّ متطرف فى مكة لعقد الاجتماعات بصورة خفية ومع ذلك استأجرتها باسم بواب داغستاني روسي لتكون مصونة من التعرض رعاية للاحتياط ٠ وقد انعقد من منتصف الشهر الى سلخه اثنا عشر اجتماعا غير اجتماع الوداع جرت فيها مذاكرات مهمة صار ضبطها وتسجيلها بكمال الدقة كما سيعلم من مطالعة هذا السجل المتضمن كيفية الاجتماعات مع جميع المفاوضات والمقررات غير ما آثرت الجمعية كتمه كما سيشار اليه ٠

﴿ الاجتماع الاول ﴾

يوم الأثنين خامس عشر ذى القعدة سنة ١٣١٦

فى اليوم المذكور انتظمت الجمعية للمرة الاولى واعضاؤها اثنان وعشرون فاضلا كلهم يحسنون العربية فبعد ان عرفت كلا منهم بباقى اخوانه وتعارفوا بالوجوه بادرتهم بتوزيع اثنين وعشرين قائمة كنّ مهيئات قبلا مطبوعات بمطبعة (الجلاتين) التي استعرتها من تاجر هندي فى مكة لأجل طبع هذه القائمة وأمثالها من أوراق الجمعية محرراً في نسخ القائمة مختصر تراجم اخوان الجمعية جميعهم ببيان الاسم والنسبة والمذهب والمزية لخصوصة وموضحاً فيها أيضاً مفتاح الرموز التي يحتاج الاخوان لاستعمالها

وأعضاء الجمعية هم السيد الفراتى ، الفاضل الشامي ، البليغ القدسى ، الكامل الاسكندرى ، العلامة المصري ، المحدث اليمنى ، الحافظ البصري ، العالم النجدي ، المحقق المدني ، الاستاذ المكي ، الحكيم التونسي ، المرشد الفاسي ، السعيد الانكليزي ، المولى الرومي ، الرياضي الكردي ، المجتهد التبريزي ، العارف التاتاري ، الخطيب القازاني ، المدقق التركي ، الفقيه الافغاني ، الصاحب الهندي ، الشيخ السندي ،

الإمام الصيني . ثم بادرت الاخوان جاهراً بكلمة شعار الأخوة التي يعرفونها مني من قبل وهي (لا نعبد الاّ الله) مسترعياً سمعهم وخاطبتهم بقولي : من كان منكم يعاهد الله تعالى على الجهاد في اعلاء كلمة الله والأمانة لاخون التوحيد أعضاء هذه الجمعية المباركة فليجهر بقوله (على عهد الله بالجهاد والامانة) ومن كان لا يطيق العهد فليعتزلنا وما جال نظري فيهم الاّ وسارع الذي عن يميني الى عقد العهد ثم الذي يليه ثم الذي يليه الى آخرهم .

ثم التمست منهم ان ينتخبوا أحدهم رئيساً يدير الجمعية ومذاكراتها وآخر كاتباً يضبط المفاوضات ويسجل المقررات فاجابني العلامة المصري ان معرفة الاخوان بعضهم بعضاً جديدة العهد وانك أشملهم معرفة بهم فأنا أترك الانتخاب لك وما أتم رأيه هذا الا وأجمع الكل على ذلك فحينئذ اعلنت لهم اني أتخير للرئاسة الاستاذ المكي وأتخير نفسي لخدمة الكتابة تفادياً من اتعاب غيري في الخدمه التي يمكنني القيام بها واستأذنت الافاضل الاعجام منهم بنوع من التصرف في تحرير بعض الفاظهم فاظهر الجميع الرضاء والتصويب وصرح الاستاذ بالقبول مع الامتنان من حسن ظنهم به واستولى على الجمعية السكوت ترقباً لما يقول الرئيس .

أما (الاستاذ الرئيس) فقطب جبينه مستجمعاً فكره ثم استهل فقال : الحمد لله عالم السر والنجوى ، الذي جمعنا على توحيده ودينه وأمرنا بالتعاون على التقوى ، والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في الله انتصاراً لدينه لم يشغلهم عن اعزاز الدين شاغل وكان أمرهم شورى بينهم يسعي بذمتهم أدناهم اللهم « اياك نعبد » لا نخضع لغيرك « واياك نستعين » لا ننتظر نفعاً من سواك ولا نخشى ضرّاً « اهدنا الصراط المستقيم » الذى لا خفيات ولا ثنيات فيه « صراط الذين أنعمت عليهم » بنعمة الهداية الى التوحيد غير المغضوب عليهم بما أشركوا « ولا الضالين » بعد ما اهتدوا سبحانك . ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً .

وبعد فيا أيها السادة الكرام كل منا يعلم سبب اجتماعنا هذا من مفاوضات أخينا السيد الفراتي الذى أجبنا دعوته لهذه الجمعية شاكرين سعيه . ولذلك لا أرى لزوماً للبحث عن السبب كما لا أجد حاجة لتنشيط همتكم ، وتأجيج نار حميتكم ، لأننا كلنا في هذا العناء سواء ولكن أذكركم بخلاصة تاريخ هذه المسئلة فاقول :

ان مسئلة تقهقر الاسلام بنت الف عام أو أكثر وما حفظ عزّ هذا الدين المبين كل هذه القرون المتوالية الا متانة الأساس مع انحطاط سائر الأمم عن المسلمين في

كل الشؤن الى ان فاقتنا بعض الأمم في العلوم والفنون المنورة للمدارك فربت قوتها فانتشرت نفوذها على أكثر البلاد والعباد من المسلمين وغيرهم ولم يزل المسلمون في سُبَاتهم الى أن استولى الشلل على كل أطراف جسم الممالك الأسلامية وقرب الخطر من القلب أعني (جزيرة العرب) فتنبهت افكار من رزقهم الله بصيرة بالعواقب ووفقهم لنيل أجر المجاهدين فهبوا ينشرون المواعظ والتذكرة والمباحث المنذرة فكثر المتنبهون وتحركت الخواطر لكنها حركة متحيرة الوجهة ضائعة القوة فعسى الله أن يرشد جمعيتنا للتوصل الى توحيد هذه الوجهة وجمع هذه القوّة .

وبتدقيق النظر في النشريات والمقالات التي جادت بها أقلام الفضلاء في هذا الموضوع نرى كلها دائرة على أربعة مقاصد ابتدائية

(الاول) منها بيان الحالة الحاضرة ووصف أعراضها بوجه عام وصفاً بديعاً يفيد التأثر ويدعو الى التدبُّر على ان ذلك لا يلبث الا عشية أو ضحاها . (والثاني) بيان ان سبب الخلل النازل ، هو الجهل الشامل ، بيان اجمال وتلميح ، مع أن المقام يقتضي عدم الاحتشام من التفصيل والتشريح . (والثالث) إنذار الأمة بسوء العاقبة المحدقة بها انذاراً هائلا تطير منه النفوس مع أن الحال الواقع لا تغني فيه النذر . (والرابع) توجيه اللوم والتبعة على الأمراء أو العلماء أو على الأمة كلها لتقاعدهم عن استعمال قوة الاتفاق على النهضة مع ان الاتفاق وهم متشاكسون متعذر لا متعسر .

فهذه المقاصد القولية قد استوفت حقها من أنواع بدائع الأساليب وآن أوان استثمارها وذلك لا تتم اذا لم يشخص المرض أو الأمراض المشتركة تشخيصاً دقيقاً سياسياً بالبحث أولاً عن مراكز المرض ثم عن جراثيمه ليتعين بعد ذلك الدواء الشافي الأسهل وجوداً والأضمن نتيجة وبالتنقيب ثانيا عن تدبير إدخاله في جسم الأمة بحكمة تصرع العناد والوهم ، وتتغلب على مقاومة أعضاء الذوق والشم .

ثم أظنكم أيها السادة تستحسنون الاكتتام الذى اختاره أكثر هؤلاء الكتاب الأفاضل لان لذلك محسنات بل موجبات شتي ينبغي ان تستعملها جمعيتنا أيضاً فلنحرص كلنا على الاكتتام لان من موجباته التزام كل منا المشرب العمري أعني القول الصريح في النصيحة للدين بدون رياء ولا استحياء ولا مراعاة ذوق عامة أو عتاة لأن حياء المريض مهلكة وكتم الامر المستفيض سخافة والدين النصيحة ولا حياء في الدين .

ومن موجبات الاكتتام أيضاً ان كل ما يخالج الفكر في موضوع مسألتنا معروف عند الاكثرين ولكن بصورة مشتتة والناس فيه على أقسام فصنف العلماء اما جبناء يهابون

الخوض فيـه واما مراؤن مداجون يأبون أن تخالف أقوالهم أحوالهم وباقي النـاس يأنفون أن يذعنوا لنصح ناصح صادع غير معصوم ولذلك كان القول من غـير معرفة القائل ارعى للسمع وأقرب للقبول والقناعة وأدعى للاجماع ..

ثم أظنكم أيها الاخوان تستصوبون أن نترك جانباً اختلاف المذاهب التي نحن متبعوها تقليـداً فلا نعرف مآخذ كثير من أحكامها وان نعتمد مانعـلم من الكتاب وصحيح السنة وثابت الاجماع وذلك لكيلا نتفرق في الآراء وليكون مانقرره مقبولا عند جميع أهل القبلة اذ أن مذهب السلف هو الاصل الذى لا يردّ ولا تستنكف الامة أن ترجع اليه وتجتمع عليه في بعض أمهات المسائل لان في ذلك التساوي بين المذاهب فلايثقل على أحد نبذ تقليد أحـد الائمة في مسألة تخالف المتبادر من نص الكتاب العزيز أو تباين صريح السنة الثابتة في مدونات الصدر الأول .

ولا يكبرن هذا الرأي على البعض منكم فما هو برأي حادث بين المسلمين بل جميع أهل جزيرة العرب ماعدا اخلاط الحرمين على هذا الرأي ولا يخفى عليكم أن أهل الجزيرة وهم من سبعة ملايين الى ثمانية كلهم من المسلمين السلفيين عقيدة الحنابلة أو الزيدية او الشافعية مذهباً وقد نشأ الدين فيهم وبلغتهم فهم أهله وحملته وحافظوه وحماته وقلما خالطوا الاغيار أو وجدت فيهم دواعي الغرباء والتفنن في الدين لاجل الفخار ولا يعظمن على البعض منكم أيضاً انه كيف يسوغ لأحدنا أن يثق بفهمه وتحقيقه مع بعد العهد ويترك تقليد من يعرف انه أفضل منه وأجمع علماً وأكثر احاطة واحتياطاً .

ولا أظن أن فينا من ليس في نفسـه إشكال عظيم في تحري من هو الاعظم من بين الائمة والعلماء والأحرى بالاعتماد على تحقيقه لوجود اختلافات واضطرابات مهـمة بينهم مابين نفي وإثبات حتى في كثير من الامور التعبدية الفعلية التي مأخذها المشاهدة المتكررة الوف مرات مثل هل كان النبيّ عليه الصلاة والسلام ثم جمهور أصحابه عليهم الرضوان يصلون وتر العشاء بتسليمة أم بتسليمتين وهل كانوا يقنتون في الوتر أم في الصبح وهل كان المؤتمون يقرأون أم ينصتون وهل كانوا يرفعون الأيدي عند تكبيرات الانتقال أم لا يرفعون وهل يعقدون الأيدي أم يرسلونها . فاذا كان الائمة والعلماء الأقدمون هذا شأنهم من التباين والتخالف في تحقيق كيفية عبـادة فعلية هي عماد الدين أعني الصلاة التي هي من المشهـودات المتكررات وتؤدى بالجموع والجماهير فكيف يكون شأنهم في الاحكام التى تستند الى قول أو فعـل أوسكوت صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرة أو مرات فقط ورواها فرد أو افراد .

فعلى هـذا لا أرى من مانع ان نترك النقول المتخالفة خصوصاً منها المتعلق بالبعض القليل من الأصول ونجتمع على الرجوع الى مانفهـمه من النصوص أو ما يحقق عنـدنا حسب طاقتنا انه جرى عليه السلف وبذلك تحد وجهتنا ويتسنى لنا الاتفاق على تقرير مانقرره ويقوى الامل فى قبول الأمة منا ماندعوها اليه .

واني أسلفـكم أيها السادات انه ينبغي ان لا يهولنا ماينبسط في جمعيتنا من تفاقم اسباب الضعف والفتور كيلا نيأس من روح الله وان لا نتوهم الإصابة في قول من قال اننا أمة ميتة فلاترجى حياتنا كما لااصابة في قول من قال اذا نزل الضعف في دولة أو أمة لا يرتفع فهذه الرومان واليونان والامريكان والطليان واليابان وغيرها كلها أمم أمثالنا استرجعت نشأتها بعد تمام الضعف وفقد كل اللوازم الادبية للحياة السياسية بل ليس بيننا ولا سيما عرب الجزيرة منا وبين أعظم الأمم الحية المعاصرة فرق سوى فى العلم والاخلاق العالية على ان مدة حضانة العلم عشرون عاماً فقط ومدة حضانة الاخلاق أربعون سنة . فعلينا ان نثق بعنايه الله الذي لايعبد سواه وبهـذا الدين المبين الذي نشر لواء عزّه على العالمين ولم يزل بالنظر لوضعه الالهي ديناً حنيفاً متيناً محكماً مكيناً لايفضله ولايقاربه دين من الاديان في الحكمة والنظام ورسوخ البنيان

ثم أيقنوا أيها الاخوان ان الامر ميسور وان ظواهر الاسباب ودلائل الاقدار مبشرة بأن الزمان قد اسـتدار ونشأ في الاسلام أنجاب أحرار وحكماء أبرار يعدّ واحدهم بألف وجمعهم بألف ألف فقوة جمعية منتظمة من هؤلاء النبلاء كافية لان تخرق طبل حزب الشيطان وتسترعي سمع الامة مهما كانت في رقاد عميق وتقودها الى النشاط وان كانت في فتور مسـتحكم عتيق على ان محض انعقاد جمعيتنا هـذه لمن أعظم تلك المبشرات خصوصاً اذا وفقها الله تعالى بعنايته لتأسيس جمعية قانونية منتظمة لأن الجمعيات المنتظمة يتسـنى لها الثبات على مشروعها عمـراً طويلا يفي بما لايفي به عمر الواحد الفرد وتأتي باعمالها كلها بعزائم صادقة لايفسدها التردد وهـذا هو سر ماورد في الأثر من أن يد الله مع الجماعة وهذا هو سر كون الجمعيات تقوم بالعظائم وتأتي بالعجائب وهذا هو سر نشاة الامم الغربية وهذا هو سر النجاح في كل كل الاعمـال المهمة لان سـنة الله في خلقه ان كل امر كليا كان أو جزئيا لا يحصل الا بقوة وزمان متناسبين مع أهميته وان كل امر يحصل بقوة قليلة فى زمان طويل يكون أحكم وأرسخ وأطول عمراً مما اذا حصل بمزيد قوة في زمان قصير وكلنا يعلم ان مسألتنا أعظم من أن يفي بها عمر انسان ينقطع أو مسلك سلطان لا يطرد أوقوة

عصبية حضرية حمقاء تفور سريعاً وتغور سريعاً

وإذا تفكرنا ان مبدأ أعظم الأعداد اثنان فكذلك مبدأ الجمعيات شخصان ثم تتزايد حتى تكمل وتنقلب اشكالا حتى ترسخ فعلى هذا لايبعد ان تتم لنا انعقاد جمعية منتظمة تنعقد الآمال بناصيتها، ولاينبغي الاسترسال مع الوهم الى ان الجمعيات معرضة فى شرقنا لتيار السياسة فلا تعيش طويلا ولاسيما اذا كانت فقيرة ولم تكن كغالب (الاكاديميات) أي المجامع العلمية تحت حماية رسمية بل الاليق بالحكمة والحزم الاقدام والثبات وتوقع الخير الى أن يتم المطلوب.

هذا وان شرقنا مشرق العظائم والزمان أبو العجائب وما على الله بعزيز ان يتم لنا انتظام جمعية يكون لها صوت جهوري اذا نادى مؤذنها حيّ على الفلاح فى رأس الرجاء يبلغ أقصى الصين صداه.

ومن المأمول أن تكون الحكومات الاسلامية راضية بهذه الجمعية حامية لها ولو بعد حين لأن وظيفتها الأساسية أن تنهض بالأمة من وهدة الجهالة وترقى بها في معارج المعارف متباعدة عن كل صبغة سياسية وسنعود لبحث الجمعية فيما بعد.

ولنبدأ الآن بتشخيص داء الفتور المستولي على الامة تشخيصاً سياسياً مدققاً فارجوكم أيها السادات أن يعمل كل منكم فكره الثاقب فيما هو سبب الفتور ليبين رأيه وما يفتح الله به عليه في اجتماعاتنا التي نواليها كل يوم ماعدا يومي الثلاثاء والجمعة من بعد طلوع الشمس بساعة الى قبيل الظهر أعني الى ما بعد مثل هذا الوقت بساعة فنفتتح كل اجتماع بقراءة ضبط المذاكرات التي جرت في الاجتماع السابق ثم نشرع بالمفاوضات

واني أختم اجتماعنا اليوم ببرنامج المسائل الاساسية التي تدور عليها جمعيتنا وينبغي لكل منا ان يفتكر فيها ويدرسها وهي عشر مسائل

(١) موضع الداء (٢) اعراض الداء (٣) جراثيم الداء (٤) ماهو الداء (٥) ماهي وسائل استعمال الدواء (٦) ماهي الاسلامية (٧) كيف يكون التدين بالاسلامية (٨) ما هو الشرك الخفيّ (٩) كيف تقاوم البدع (١٠) تحرير قانون لتأسيس جمعية تعليمية

ولما انتهى خطاب الرئيس وانتهت الجلسة قال السيد الفراتي: أرى أن يقيد كل منا هذه المسائل العشر فى جانب من ورقة التراجم لاجل التذكرة ففعلوا. ثم دعاهم الى الطعام فاجابوا وكان حديثهم على المائدة استقصاء أخبار المهتدين فى ليفربول من السعيد الانكليزي. وبعد ان طعموا عرض عليهم الشاي والقهوة والشراب المثلوج فاختار كل ما ألف وأحب ثم انصرفوا أزواجاً وفرادى مجيبين دعوة خير الدعاة .اذ كان قد دنا وقت الصلاة ،

آثار علمية أدبية

علم تلامذة العرب وبلاغتهم

جاء فى أمالي ابي علي القالي مانصه : حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا أبو عثمان سعيد بن هارون الاشناندانى عن التوزي عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء قال: كان لرجل من مَقَاوِل حمير ابنان يقال لاحدهما عمرو وللآخر ربيعة وكانا قد برعا فى الأدب والعلم فلما بلغ الشيخ أقصى عمره وأشفى على الفناء دعاهما ليبلو عقولهما ويعرف مبلغ علمهما فلما حضرا قال لعمرو وكان الأكبر : أخبرني عن أحبّ الرجال اليك ، واكرمهم عليك ، قال : السيد الجواد ، القليل الأنداد ، الماجد الأجداد ، الراسي الأوتاد ، الرفيع العماد ، العظيم الرماد ، الكثير الحساد ، الباسل الذوّاد ، الصادر الورّاد ، . قال ماتقول ياربيعة ؟ قال ما أحسن ماوصف وغيره احبّ الي منه قال ومن يكون بعد هذا ؟ قال : السيد الكريم ، المانع للحريم . المفضال الحليم ، القمقام (١) الزعيم ، الذى ان همّ فعل ، وان سئل بذل ، .

قال أخبرني ياعمرو بأبغض الرجال اليك ، قال . البَرَمُ الئيم . (٢) المستخذي الخصيم ، (٣) المبطان النّهم ، (٤) العيّ البكم ، (٥) الذي ان سئل منع . وان هدد خضع ، وان طلب جَشع ، (٦) . قال ماتقول ياربيعة ؟ قال غيره أبغض الي منه . قال ومن هو؟ قال . النموم الكذوب . الفاحش الغضوب . الرغيب عند الطعام ، (٧) الجبان عند الصدام ،

قال أخبرني ياعمرو أيّ النساء أحب اليك ؟ قال الهركولة اللفاء ، (٨)

---

(١) القمقام من أسماء البحر ويطلق على السيد الكريم. ويطلق أيضاً على الدنئ أخذا من قمقم فلان ماعلى المائدة كتقممه واقتمّه اذا تتبعه وأتى عليه (٢) البرم بالتحريك ثمر العضاه وهو لاينتفع به فيطلقونه على الرجل لاخير فيه والبرم أيضاً من لايدخل مع القوم في الميسر وهو جدير بالاستعمال (٣) استخذي — خضع وذل وأقبح بالمستخذي كثير الخصومة (٤) المبطان كبير البطن من كثرة الاكل والنهيم والنهم الشره (٥) العيي العاجز عن الافصاح بالقول والبكم والابكم (٦) الشجع الحرص على الاكل وغيره (٧) فى الاساس : رجل رغيب واسع الجوف أكول (٨) الهركولة الحسنة الجسم والخلق والمشية والجارية الضخمة الاوراك . واللفاء مؤنث الالف وهي الضخمة الفخذين

الممكورة الحيداء ، (٩) التي يشفى السقيم كلامها ، ويبرىء الوَصِبَ إلمامها ، (١٠) التي ان احسنت اليها شكرت ، وان أسأت اليها صبرت ، وان استعتبتها أعتبت، (١١) الفاترة الطرف . الطَّفْلَةُ الكف ، (١٢) العميمة الردف ، •قال ما تقول ياربيعة ؟ قال نعت فأحسن وغيرها أحب الي منها قال ومن هي ؟ قال . الفتانة العينين ، الاسيلة الخدين، الكاعب الثديين، الرَّدَاح الوركين، (١٣) الشاكرة للقليل ، المساعدة للحليل، الرخيمة الكلام ، الجماء العظام ، الكريمة الاخوال والأعمام ، العذبة اللثام •

قال فأيُّ النساء أبغض اليـك ياعمـرو ؟ قال القَتَّاتة (١٤) الكذوب ، الظاهرة العيوب ، الطوّافة الهبوب ، (١٥) العابسة القَطُوب ، السَّبابة الوَثُوب ، التي إن ائتمنها زوجها خانته ، وإن لان لها اهانته ، وان أرضاها اغضبته ، وان أطاعها عصته ، •

قال ماتقول ياربيعة ؟ قال بئس والله المرأة ذكر وغـيرها أبغض الي منها قال: وأيتهن التي هي أبغض اليـك من هذه ؟ قال . السـليطة اللسان ، المؤذية للجيران ، الناطقة بالبهتان ، التي وجهها عابس ، وزوجها من خيرها آيس ، التي ان عاتبها زوجها وَتَرَتْه، (١٦) وان ناطقها انتهرته ، قال ربيعة وغيرها أبغض الي منها . قال ومن هي؟ قال التي شَقِي صاحبها ، وخَزِى خاطبها، واقتضح أقاربها ، قال ومن صاحبها ؟ قال صاحبها مثلها في خصالها كلها ، لاتصاح الاّ له ولا يصاح الاّ لها ، قال فصفه لي •قال الكفور غير الشكور ، اللئيم الفَخُور ، العبوس الكالح ، الحرون الجامح ، الراضي بالهوان ، المختال المنان ، الضعيف الجنان ، الجعد البنان ، (١٧) القؤول غير الفعول ، الملول غير الوصول ، الذي لا يَرع عن المحارم ، ولا يرتدع عن المظالم •

قال فأخبرني ياعمرو أيّ الخيـل أحب اليك عند الشدائد ، اذا التقى الأقران للتجالد ، ؟ قال ، الجواد الأَنِيق ، الحِصَان العتيق ، الكفيت العريق ، (١٨) الشديد الوثيق ، الذي يفوت اذا هرب ، ويلحق اذا طلب . قال نعم الفرس والله نعتّ فما

(٩) الممكورة — المطوية الخلق • والحيداء الطويلة الجيد الحسنته (١٠) الوصب المريض والالمام الزيارة (١١) اي ان استرضيتها أرضت (١٢) الطفلة الناعمة (١٣) الثقيلتهما (١٤) النمامة (١٥) يصفها بكثرة الطواف كالريح ويحسن من المرأة أن تقر في بيتها «١٦» الوتر الثأر ووتره أصابه بالوتر أو ظلم فيه ووتره عمله أوحقه نقصه اياه «١٧» البخيل المنقبض الكف «١٨» الكفيت السريع والعريق ماله عرق فى الكرم أو اللؤم

تقول ياربيعة ؟ قال غيره أحبّ الىّ منه ، قال وماهو ؟ قال الحِصَان الجواد ، السَّلِسُ القياد ، الشهم الفؤاد ، الصبور اذا سَرَى ، السابق اذا جرى ، قال فأيّ الخيل أبغض اليك ياعمرو ؟ قال الجموح الطَّموح ، النَّكول الأَنُوح ، (١٩) الصؤول الضعيف ، الملول العفيف ، الذي ان جاريته سبقته ، وان طالبته أدركته ، قال فما تقول ياربيعة ؟ قال غيره ابغض اليّ منه • قال وما هو ؟ قال ، البطيء الثقيل ، الحرون الكليل ، الذي ان ضربته قَمَص ، (٢٠) وان دنوت منه شَمَس ، يدركه الطالب ، ويقطع بالصاحب ، قال ربيعة : وغيره أبغضُ اليّ منه • قال وما هو؟ قال الجموح الخبوط ، «٢١» الركوض الخرُوط ، «٢٢» الشموس الضروط ، القطوف «٢٣» في الصعود والهبوط ، الذى لايسلم الصاحب « لعلها بالصاحب » ، ولا ينجو من الطالب

قال أخبرني ياعمرو أيّ العيش الذّ ؟ قال عيش في كرامة ، ونعـيم وسلامة ، واغتباق مدامة ؛ قال ماتقول ياربيعة ؟ قال نعم العيش والله وصف وغيره أحب اليّ منه • قال وما هو ؟ قال ، عيش في أمن ونعـيم ، وعزّ وغنى عميم ، في ظل نجاح ، وسلامة مساء وصـباح ، وغيره أحب اليّ منه قال وما هو؟ قال غنى دائم ، وعيش سالم ، وظل ناعم ،

قال فما أحب السيوف اليك ياعمرو ؟ قال الصقيل الحسام ، الناثر الجذام ، الماضي السِّطام . (٢٤) المرهف الصمصام . الذى اذا هززته لم يكْبُ . واذا ضربت به لم يَنْبُ ،

قال ماتقول ياربيعة ؟ قال نعم السيف نعت وغيره أحب اليّ منه . قال وماهو ؟ قال . الحسام القاطع ، ذو الرونق اللامع ، الظمآن الجائع ، الذى اذا هززته هتك ، واذا ضربت به بَتَكَ ، (٢٥) قال فما أبغض السيوف اليك ياعمرو ؟ قال الفطار الكَهَام (٢٦) الذى اذا ضرب به لم يقطع ، وإن ذبح به لم ينخع (٢٧) قال ما تقول ياربيعة؟ قال بئس السيف والله ذكر وغيره أبغض الي منه. قال وماهو ؟ قال الطَّبِعُ الدَّدَان، (٢٨)

«١٩» نكل عن الشيء نكص ولم يقـدم أو هم بالشيء وهاب اتيانه • وأنح أنحاً وأنوحا زحر من ثقل مرض أو بهر نفس • والأنوح أيضاً البخيل يتنحنح اذا سئل «٢٠» قمص الفرس ونحوه استن اي رفع يديه معاً ووضعهما معاً «٢١» الذي يخبط الارض برجله «٢٢» الجموح يجتذب الرسن من ممسكه «٢٣» الذى يبىء السير ويبطىء «٢٤» الحد «٢٥» قطع «٢٦» الفطار مافيه تشقق فلا يقطع والكهام الكليل لايمضي «٢٧» نخع الذبيحة جاز بالذبح الى النخاع وذلك أقصاه «٢٨» الطبع الصدىء

المِعْضَدُ (٢٩) المهان .

قال فأخبرني ياعمرو أيّ الرماح أحب اليك عند المراس ، اذا اعتكر الباس ، واشتجر الدعاس ، (٣٠) قال أحبها الي المارن المثقَّف ، (٣١) المقوّم المخطف ، (٣٢) الذى اذا هززته لم يتعطف ، واذا طعنت به لم يتقصف . قال ماتقول ياربيعة ؟ قال نعم الرمح نعت وغيره أحب الي منه . قال وماهو ؟ قال الذابل العسّال ، المقوّم النسال ، (٣٣] الماضي اذا هززته . النافذ اذا همزته ، [٣٤] قال فأخبرني ياعمرو عن أبغض الرماح اليك . قال الأعصل [٣٥] عند الطعان ، المثلّم السنان . الذى اذاهززته انعطف . واذا طعنت به انقصف . قال ماتقول ياربيعة ؟ قال بئس الرمح ذكر وغيره أبغض الي منه . قال ماهو ؟ قل . الضعيف المهَزّ ، اليابس الكزّ ، [٣٦] الذى اذا اكرهته انحطم ، واذا طعنت به انقصم ، قال انصرفا الآن طاب لي الموت اه فهل نجد فى تلامذتنا أو شيوخنا من يلم بمثل هذه المعاني أو يحسن مثل هذا الوصف ؟ أنّى ولا لغة لنا ولا علم الا بلغة حية مرتقية فليرجع القاريء الى ماجاء فى نبذة التفسير من الحكم بأننا أجهل الجاهلية الاولى

الهدايا والتقريظ

(سلم الارتقاء . لمعرفة دروس الاشيا) مجموعة كتب علمية فى التاريخ الطبيعي وحفظ الصحة والتدبير المنزلي والاشياء «الطبيعيات» شرع في تأليفها الفاضل محمد أفندي أمين من موظفي الادارة بنظارة الاشغال العمومية وقد صدر الجزء الاول منها وفيه ٣٦ درساً في مباحث التاريخ الطبيعي العمومية مع شئ من التفصيل في الانسان . والغرض الاول من هذا الكتاب تسهيل فهم هذه العلوم على تلامذة المدارس فانهم يتعلمونها باللغة الاجنبية في أثناء تعلم اللغة فيعسر عليهم فهمها كما يعسر عليهم فهم الكتب العربية المؤلفة فيها لانها لم توضع للمبتدئين . وقد تكرم المؤلف الفاضل باهداء باكورة عمله الينا ورغب الينا أن ندله على غلطه ليصلحه في طبعة ثانية

والدان الكهام «٢٩» الذي يهان بعضد الشجر أي قطعه «٣٠» الدعاس الطّعان واشتجروا اختلفوا وتشاجروا بالرماح تطاعنوا «٣١» اللين المقوم «٣٢» لا أعرف وصفاً للرمح من حرف خطف ومن معانيه المناسبة استلابه بسرعة «٣٣» السريع والعسال اللين المتحرك «٣٤» دفعته طاعناً «٣٥» الاعوج الملتوي «٣٦» اليابس

ولكن بعض الاصدقاء أخذ الكتاب منا ليطلع عليه ويعيده بعد يوم أو يومين فعرض ما اوجب تأخير ارجاعه زمناً طويلا ولذلك لم نتمكن من مطالعته ولكننا تصفحنا قليلا منه فالفيناه فى غاية السهولة فنتمنى ان يقبل عليه مع التلامذة نبهاء المجاورين في الازهر الذين سألونا عن كتاب في هذا الفن يسهل عليهم فهمه من غير استاذ . وأسلوب كتابة الكتاب أسلوب الجرائد السيارة وفيها من الانتقاد مانودّ ان نذاكر المؤلف فيه مشافهة . وفى آخر الكتاب عدة رسوم وثمنه خمسة قروش فقط

(الاحاطة في أخبار غرناطة) تاريخ عظيم لاديب الاندلس الشهير الوزير محمد لسان الدين بن الخطيب عثرت عليه شركة طبع الكتب العربية فاختارت طبعه وقد صدر الجزء الاول منه مطبوعا طبعاً متقناً . وهو مبتدأ بكلام عام في تلك العاصمة كوضعها وفتحها ونزول العرب الشاميين بها وما آل اليه حال سكانها الاولين معهم وحال مايتصل بها وينسب الى كورتها ووصف سورها ونحو ذلك وسائر الكتاب في تراجم من نشأ فيها من رجال السيف والقلم من الرجال والنساء . ولا شك ان كل قاريء بالعربية يتشوق الى معرفة تاريخ الاندلس التى كانت أكبر فخر للعرب فى العلم والمدنية وكل محب للأدب يتلذذ بقراءة كتابة لسان الدين بن الخطيب البليغة وكفى بهذين تشويقاً وترغيباً ولكننا أسفنا لما رأيناه فى الكتاب من الغلط والتحريف كأكثر المطبوعات الجديدة وانما نبهنا على هذا لأن هذه الشركة أقدر على ضبط كتبها من الأفراد الذين يتجرون بطبع الكتب ولعل عذرها في هذا الجزء انه لم يوجد منه الا نسخة واحدة وثمنه ١٥ قرشاً وصفحاته ٣٧٥

(الانصاف فى التنبيه على الاسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم) تصنيف العلامة عبدالله بن محمد بن السِّيد البَطَلْيَوْسي الأندلسي الشهير واسم الكتاب يدل على سموّ موضوعه وهو على اختصاره قد جمع من الفوائد فى بابه مالم تجمعه الأسفار الكبيرة ولاشك انه من أنفع الكتب التى ألفها سلفنا . وقد طبعه واعتنى بضبطه وتصحيحه وشرح أبياته وتفسير غريبه أخونا الفاضل الشيخ احمد عمر المحمصاني الأزهري بمراجعة امام اللغة فى هذا العصر الاستاذ الشيخ محمد محمود الشنقيطي الشهير فنحث جميع الذين يعولون على رأينا في اختيار الكتب النافعة على قراءته وثمنه ثلاثة قروش ولو لم أظفر به الا بثلاثة دنانير لبذلتها مرتاحاً وسنعود الى الاقتباس منه بعد

«مرشد مأموري الضبطية القضائية . في ضبط الوقائع الجنائية»

لقد أحسن صنعاً الفاضل محمد بك صبري عضو النيابة بمحكمة الزقازيق بتأليف

رسالة سهلة العبارة في كيفية ضبط الوقائع الجنائية ليستعين بها العمد ومأمورو الضبطية فيما يعهد اليهم من هذا العمل العظيم الذى يتعلق بحفظ الدماء والاعراض وأكثر العمد والمأمورين جهلاء بالطرق التي تتبع في ذلك ويصعب عليهم الاستمداد من كتب القوانين فسهل لهم هذا المؤلف ذلك فعسى ان يقبلوا عليه ويحيطوا بما فيه. وهو مطبوع طبعاً حسنا بمطبعة الشعب ويطلب من مكتبة الشعب ومن حضرة مؤلفه

(المصوّر) جريدة أسبوعية سياسية أدبية مصورة بالالوان أنشأها حديثاً أحد الكتاب المشهورين بآثارهم القلمية في المؤلفات العصرية والجرائد اليومية الفاضل خليل افندى زينية وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشاً أميرياً فى السنة وهي جديرة بالرواج

« الرأى العام » جريدة مشهورة فى مصر يمتاز صاحبها البارع اسكندر افندى شلهوب باسلوب فى كتابة الجرائد يجذب القاريء الي المطالعة فاذا أخذ جريدته قرأها كلها بلذة وان كان ممن لا يقرأون من الجرائد الا مايحبون موضوعه • وقد كانت احتجبت ثم أسفرت فعسى أن تظل مسفرة دئماً

——————

باب الاخبار والاراء

﴿ حرية الجرائد والشعور العام بالفضيلة فى مصر ﴾

اكبر النعم التي منحتها مصر في عهد الاحتلال الأمن العام وحرية المطبوعات. ومن العجائب ان المتمتعين بهذه الحرية يشكون في هذه الأيام منها ويطلب بعضهم ان تقيد الحكومة هذه الحرية المطلقة كمن يطلب احتكار الهواء الذي يحيا به الناس ليعطوا منه بقدر مايراه المحتكر لازما لحياتهم. هذا مايظهر باديء الرأي من الذين يردون على طالبي التقييد على انه لم يطلبه أحد ونحن نذكر الحقيقة مع بيان السبب،

كثرت الجرائد الاسبوعية في مصر واكثر أهلها ليسوا من اهل الصحافة فلا استعداد عندهم لجعلها حاجة من حاجات البلاد ولذلك أشرعوا لهم طريقاً جديداً وهو التنديد او التعريض بمساوي الاشخاص وقد وجدوا في هذا الطريق لماجا وعوارض يرضون بها قرمهم فمن الناس من يفتدي عرضه منهم بقليل من المال أو العروض ومنهم من يغريهم بذم عدوله بأجر معلوم وقد أطمعتهم معاملة هؤلاء السفهاء بالعظماء والفضلاء فلم يسلم منهم صنف من الاصناف وقد اكثروا في هاتين السنتين من الخوض «بالمعية السنية ...» والارجاف باعمالها

هذا كله — والرأي العام ساكت عنهم فما الذي اقام عليهم القيامة في هذه الأيام، وافاض التبرم والشكوى على جميع الالسنة والاقلام؟ الجواب عن هذا السؤال يعرفه كل من يقرأ الجرائد المصرية وانما نذكره صريحاً لانه من المبشرات بدخولنا في الحياة الاجتماعية بعد ان كانت حياتنا فردية آحادية وليكون مسجلا في تاريخ مصر الأدبي وهو: ان جريدة (حمارة منيتي) الهزلية التي تكتب غالباً باللغة العامية المصرية قد طعنت من عهد قريب بفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فهاج الراي العام في مصر للطعن بهذا الامام العظيم وذهب الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر بنفسه الى محكمة مصر الكبرى وطلب من رئيس النيابة فيها محاكمة صاحب جريدة الحمارة بعد أن طلب مقابلة النائب العمومي فقيل له انه مسافر وتقدمت المحاضر العمومية من العلماء وطلاب الازهر ومن الاهالي فى القاهرة ومن بعض البلاد فى خارجها يطلبون محاكمته وانطلقت أقلام الكتاب والشعراء فى ذم صاحب الحمارة وأجمعت الجرائد على ذمه وانبرى بعض الكتاب لإحصاء عيوب جريدته منذ أنشئت وذكروا منها اهانة القرآن وافساد الآداب وافساد اللغة والطعن بالسلطان والامير وغير ذلك • وقد قال بعض الأدباء ان بعض هذه الذنوب أكبر عقوبة من الطعن بمفتي الديار المصرية فلماذا سكت الناس عنها الى الآن

وقد ذكر صاحب الحمارة نفسه هذا المعنى في مقدمة العدد الاول من السنة الخامسة ونصه: «قل لي بحقك ما الذى جناه صاحب الحمارة اليوم حتى قامت عليه هذه القيامة وماهي بالله تلك الخطيئة التي ارتكبها واستحق عليها الملام، حتى اتجهت اليه أسنة الاقلام. وانصبت عليه كل هذه السهام، فلم يبق فى أرض مصر جريدة ولا مجلة ولا قصيدة الا وقد حملت عليه، بعد أن كانت في العادة تحمل منه لا عليه، ولم يبق شاعر، ولا كاتب واعر، الاوحرك في ذكراه شفتيه، كأنهم يريدون ابتلاعه بكل ما لديه، » الخ

هذا هو السبب في تألم الرأي العام من اطلاق المطبوعات، وما من شيء في هذا الوجود الاوله سيئات وحسنات، وهو دليل على ان الأمة المصرية قد دب فيها الشعور بشؤن الحياة الاجتماعية وصار الرأي العام يعرف لذى الفضل فضله ولذا طلب بعض أعضاء الجمعية العمومية الرغبة الى الحكومة بالاتفاق مع وكلاء الدول لوضع قانون عام عادل لفوضوية المطبوعات ليأمن كل انسان على عرضه واستحسن رأيه هذا بعض أصحاب الصحف الكبيرة وعده الآخرون وسيلة لتقييد حرية الصحافة والمطبوعات فانكروه ولا يزالون يتناقشون فيه وهم متفقون على ان حرية الطباعة والصحافة حسناتها أكثر من سيئاتها بأضعاف مضاعفة • واذا رجعنا الى مثالنا الأول نقول ان هذه الحرية كالهواء

الذى هو شرط للحياة فاذا مرّ فى بعض الأيام على جيفة فحمل الينا ريحها أو هبَّ شديداً فأثار الغبار فى وجوهنا فلا شك أننا نبادر الى ذمه والشكوى منـه ولكننا لا نطلب انقطاعه وانما نطلب منع الجيف من طريقه وازالة الغبار برش الأرض بالماء فلا خلاف إذن بين الناس في وجوب بقاء هذه الحرية

أما إزالة هذه الجيف فأمثل طرقها تصدي النيابة العمومية لمحاكمة أصحابها فيجب عليها أن تحاكم كل من ينتهك حرمات الآداب وينال من أعراض الناس وان لم يطالب ذلك ممن يطعن فيه فان لم تقم النيابة بهذه الخدمة للامة فيجب على الناس أن يحاكموا من يطعن فيهم الا عثرة الكريم فانها تقـال شرعاً وأدباً . والامتناع عن محاكمتهم توهما ان ذلك يعلي شأنهم أو يخفض شأن من يحاكمهم خطأ كبير فان الحدود والعقوبات لم تسن فى الشرائع الألهية ولم توضع في القوانين البشرية الا لهؤلاء المعتدين «أم حسب الذين اجترَحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعمِلوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساءَ ما يحكمُون »

وأما صاحب الحمارة فقد حاكمته النيابة العمومية فحـكم عليه بالسجن مدة ثلاثة أشهر وبالنفـقات ولم يدخل المفتي فى الدعوى مطلقاً ولا طلب حقاً مدنياً، وكان في الجرائد التى حملت على صاحب الحمارة جريدة طلبت من المفتي العفو عنه ولو كان هو الذى طلب ذلك تائباً لأجيب طلبه قطعاً فان الاستاذ سليم القلب واسع الحلم لايحب أن ينتقم لنفسه على أن ما كتبته الحمارة كان أكبر خـدمة له لأنه أظهر أن له مكانة عالية في نفوس خواص الأمة وعوامها لايدانيه فيها أحد مع العلم القطعي لكل أحد بأنه بريء من سبب نهاق الحمارة براءة عائشة من افك المنافقين وصاحب الحمارة نفسه يعتقد ذلك أيضاً لأن هذيانه لم يكن مبنيا الا على الاستنباط من صورة اخترعها بعض المفسدين

أما العبرة التى نقصدها من ايراد هـذه المسئلة فهى ازالة شبهة عاقت فى أفهام أكثر الناس فكانت أضر اعتقاد تقلدوه وهي أن من يشتغل بالعلوم الحقيقية ويتخلق بالاخـلاق الفاضلة والسجايا الكاملة كالصدق والمروءة وعـلو الهمة وبذل المعروف والسعي فى خير الناس ومنفعتهم لا ينجح فى عمله ولايعرف له أحـد فضله ويستدلون بأمثال يضربونها قد اشتبه عليهم حقها بباطلها وهذا المثل الحق الذى يدحضها وهو أن الشيخ محمدا عبده سلك هذه الطريقة فحل من نفوس الامة محـلا علياً ونال فيها اسما سمياً مازاحمه فيه عالم ولا أمير ، ولاشاركه فيه غني ولا وزير ؛ والعاقبة كما قال الله تعالى للمتقين

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر فى يوم الجمعة ١٦ محرم الحرام سنة ١٣٢٠ — ٢٥ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٢ ﴾

القسم الديني

﴿ باب تفسير القرآن الحكيم ﴾

(مقتبس مما يلقيه في الازهر مولانا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصريه)

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ . — الآيات

(تمهيد للقصة ومذهب السلف والخلف في المتشابهات)

ان أمر الخلقة وكيفية التكوين من الشؤن الالهية التي يعز الوقوف عليها كما هي وقد قصّ الله تعالى علينا في هذه الآيات خبر النشأة الانسانية على نحو مايؤثر عن أهل الـكتاب من قبلنا ومثّل لنا المعاني في صـور محسوسة وأبرز لنا الحكم والاسرار ، بأسلوب المناظرة والحوار ، كما هى سنته في مخاطبة الخلق ، وبيان الحق ، وقد ذهب الاستاذ الى أن الآيات من المتشابهات التي لا يمكن حملها على ظاهرها لأنها بحسب قانون

التخاطب إما استشارة وذلك محال على الله تعالى وإما إخبار منه سبحانه للملائكة واعتراض منهم ومحاجة وجدال وذلك لا يليق بالله تعالى أيضاً ولا بملائكته ولا يجامع ماجاء به الدين من وصف الملائكة المقربين ككونهم « لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُم وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » ثم أورد الاستاذ مقدمة تمهيدية لفهم القصة فقال ،امثاله :

أجمعت الأمة الاسلامية على ان الله تعالى ليس بجسم ولا يشبه الاجسام وشذت فرقة من الحشوية لا يقيم لها الدين وزناً فنعتدّ بها وقد قام البرهان العقلي والبرهان النقلي على هذه العقيدة فكانت هي الأصل المحكم في الاعتقاد الذي يجب ان يردّ اليه غيره وهو التنزيه . فاذا جاء في نصوص الكتاب أو السنة شيء ينافي ظاهره التنزيه فللمسلمين فيه طريقتان (احداهما) طريقة السلف وهي التنزيهُ الذي أيد العقل فيه النقلُ كقوله تعالى « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » وقوله عز وجل « سبحان ربك رب العزّة عمّا يَصِفون » وتفويضُ الأمر الى الله تعالى في فهم حقيقة ذلك مع العلم بأن الله يعلمنا بمضمون كلامه مانستفيد به في أخلاقنا وأعمالنا وأحوالنا و (الثانية) طريقة الخلف وهي التأويل . يقولون ان قواعد الدين الاسلامي وضعت على اساس العقل فلا يخرج شيء منها عن المعقول فاذا جزم العقل بشيء وورد في النقل خلافه يكون الحكم العقلي القاطع قرينة على ان النقل لا يراد به ظاهره ولا بد له من معنى موافق يحمل عليه فينبغي طلبه بالتأويل (قال الاستاذ) وأنا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته وعالم الغيب واننا نسير في فهم الآيات على كلا الطريقتين لأنه لابد للكلام من فائدة يحمل عليها

لأن الله عز وجل لم يخاطبنا بما لانستفيد منه معنى

أما الملائكة فيقول السلف فيهم انهم خلق أخبرنا الله تعالى بوجودهم وببعض عملهم فيجب علينا الايمان بهم ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم فنفوّض علمها الى الله تعالى فاذا ورد ان لهم أجنحة نؤمن بذلك ولكننا نقول انها ليست أجنحة من الريش ونحوه كأجنحة الطيور إذ لو كانت كذلك لرأيناها . واذا ورد أنهم موكلون بالعوالم الجسمانية كالنبات والبحار فاننا نستدل بذلك على ان في الكون عالماً آخر الطف من هذا العالم المحسوس وان له علاقة بنظامه وأحكامه والعقل لا يحكم باستحالة هذا ولكنه يحكم بامكانه لذاته ويحكم بصدق الوحي الذي أخبر به (قال الاستاذ) وقد بحث أناس في جوهر الملائكة وحاولوا معرفتهم ولكن من أوقفهم الله تعالى على هذا السر قليلون والدين انما شرع للناس كافة فكان الصواب الاكتفاء بالايمان بعالم الغيب من غير بحث عن حقيقته لأن مشروعية البحث والتكليف به مما لا يطاق ومن خصّه الله تعالى بزيادة في العلم فذلك فضله يؤتيه من يشاء فقد ورد في معرض الكلام على ختم النبوة في الحديث « إلا أن يؤتيَ الله عبداً فهماً في القرآن »

وأما ذلك الحوار في الآيات فهو شأن من شؤون الله تعالى مع ملائكته صوّره لنا في هذه القصة بالقول والمراجعة والسؤال والجواب . ونحن لانعرف حقيقة ذلك القول ولكننا نعلم انه ليس كما يكون منا وان هناك معاني قصدت إفادتها بهذه العبارات وهي عبارة عن شأن من شؤونه تعالى قبل خلق آدم وانه كان يُعِدُّ له الكون وشأن مع الملائكة يتعلق بخلق نوع الانسان وشأن آخر في بيان كرامة هذا النوع وفضله

وأما الفائدة فيما وراء البحث في حقيقة الملائكة وكيفية الخطاب بينهم وبين الله تعالى فهي من وجوه . (أحدها) ان الله تعالى في عظمته وجلاله يرضى لعبيده ان يسألوه عن حكمته في صنعه وما يخفى عليهم من أسراره في خلقه لاسيما عند الحيرة . والسؤال يكون بالمقال ويكون بالحال والتوجه الى الله تعالى في استفاضة العلم بالمطلوب من ينابيعه التي جرت سنته تعالى بأن يفيض منها (كالبحث العملي والاستدلال العقلي والالهام الالهي وربما كان للملائكة طريق آخر لاستفاضة العلم غير معروفة لاحد من البشر) فيمكننا ان نحمل سؤال الملائكة على ذلك

(ثانيها) اذا كان من اسرار الله تعالى وحكمه مايخفى على الملائكة فنحن أولى بأن يخفى علينا فلامطمع للانسان في معرفة جميع اسرار الخليقة وحكمها لأنه لم يؤت من العلم الا قليلا .

(ثالثها) أن الله تعالي هدى الملائكة في حيرتهم وأجابهم عن سؤالهم بإقامة الدليل بعد الارشاد الى الخضوع والتسليم . وذلك أنه بعد أن أخبرهم بأنه يعلم مالا يعلمون علم آدم الاسماء ثم عرضهم على الملائكة كما سيأتي بيانه

(رابعها) تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب الناس ومحاجتهم في النبوة بغير برهان على إنكار ما انكروا وبطلان ما جحدوا فاذا كان الملأ الأعلى قد مثلوا على انهم يختصمون ، ويطلبون البيان والبرهان فيما لا يعلمون ، فاجدر بالناس أن يكونوا معذورين ، وبالانبياء أن يعاملوهم كما عامل الله الملائكة المقربين ، أي فعليك يامحمد أن تصبر على هؤلاء المكذبين ، وترشد المسترشدين ، وتأتي أهل الدعوة بسلطان مبين .
وهذا الوجه هو الذي يبين اتصال هذه الآيات بما قبلها وكون الكلام

لا يزال في موضوع الكتاب وكونه لاريب فيه والرسول وكونه يبلغ وحي الله تعالى ويهدي به عباده واختلاف الناس فيهما . ومن خواص القرآن الحكيم الانتقال من مسئلة الى أخرى مباينة لها أو قريبة منها مع كون الجميع في سياق موضوع واحد

وأما الخلف فمنهم من تكلم في حقيقة الملائكة ووضع لهم تعريفا ومنهم من امسك عن ذلك وقد اتفقوا على انهم يدركون ويعلمون والقصة على مذهبهم وردت مورد التمثيل لتقرب من افهام الخلق ما تفيدهم معرفته من حال النشأة الآدمية ، وما لها من المكانة والخصوصية ، أخبر الله الملائكة بانه جاعل في الارض خليفة ففهموا من ذلك أن الله يودع في فطرة هذا النوع الذي يجعله خليفة انه يكون ذا إرادة مطلقة واختيار في عمله وأن الترجيح يكون بحسب علمه وان العلم اذا لم يكن محيطا بوجوه المصالح والمنافع فانه يوجه الإرادة الى خلاف المصلحة والحكمة وذلك هو الفساد وهو متعيّن لازم الوقوع لإن العلم المحيط لايكون الا لله تعالى فعجبوا كيف يخلق الله هذا النوع من الخلق وسألوا الله تعالى بلسان المقال ان كانوا ينطقون أو بلسان الحال والتوجه اليه لاستفاضة المعرفة بذلك وطلب البيان والحكمة وعبّر الله عن ذلك بالقول لانه هو المعهود بالاستعلام والاستفهام عند البشر الذين أنزل القرآن لهدايتهم فاول ما ألقي اليهم من الإلهام ، أو غيره من طرق الإعلام ، هو وجوب الخضوع والتسليم ، لمن هو بكل شئ عليم ؛ لأن مايضيق عنه علم أحد ويحار في كيفيته يتسع له علم من هو أعلم منه . ومن شأن الإنسان ان يسلم لمن يعتقد انه فوقه في العلم ما يتصدى له مهما كان بعيد الوقوع في اعتقاده ومثّل الاستاذ لذلك بمشايخ الصوفية مع

مريديهم ومن ذلك اعتقادنا بامكان ما يتصدى لعمله أهل العلم الطبيعي فان الذين يصنعون سلكا لنقل الاخبار بالكهرباء الى الاماكن البعيدة يصدقون بأنهم يوصلون تلك الاخبار من غير سلك وقد كان ، ويصدقون بامكان إيجاد آلة تجمع بين نقل الصوت ورؤية المتكلم وهو ما يحاولون الآن ، والملائكة أعلم منا بشان الله في افعاله وانه العليم الحكيم فهم وان فاجأهم العجب من خلق الخليفة يردهم الى اليقين أدنى التنبيه ولذلك كان قوله تعالى « اني أعلم مالا تعلمون » جوابا مقنعا أيّ اقناع

على أن هذا النوع من التسليم للعالم القادر ربما لا يذهب بالحيرة ولا يزيل الاضطراب من نفس المتعجب وإنما تسكن النفس ببروز ذلك الأمر الذي كانت تعجب من بروزه الى عالم الوجود ووقوفها على أسراره وحكمه بالفعل ولذلك تفضل الله تعالى على الملائكة باكمال علمهم بحكمته في خلق هذا الخليفة الانساني وسره ، عند طلوع فجره ، فعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة كما سيأتي بيانه فعلموا ان في فطرة هذا الخليفة واستعداده علم مالم يعلموا وتبين لهم وجه استحقاقه لمقام الخلافة في الارض وان كل ما يتوقع من الفساد وسفك الدماء لا يذهب بحكمة الاستخلاف وفائدته ومقامه وناهيك بمقام العلم وفائدته ، وسر العالم وحكمته ،

فعلمنا ان السلف والخلف متفقون على تنزيه الله تعالى عما لا يليق به من شؤون المخلوقين وأحوالهم وعصمة ملائكته عما لا يليق بهم من الاعتراض أو الانكار فلا فرق في هذه النتيجة بين تفويض وتسليم . وتاويل وتفهيم ، والله بكل شيء عليم ، وسيأتي تفسير الآيات بالتفصيل

﴿ باب العقائد من الأمالي الدينية ﴾

(الدرس ٣٣ — عصمة الانبياء عليهم السلام)

(المسألة ٨٦) الدليل العقليّ على عصمة الانبياء يؤخذ الدليل على عصمة الانبياء من وجه الحاجة اليهم في الكمال الانساني ومن وظائفهم المنطبقة على وجه الحاجة اليهم وقد تقدم الكلام في ذلك ومنه ان الوظائف خمس وهي نوعان - نوع في بيان الاعتقادات التي ترقي العقل وتعتقه من رق العبودية لمظاهر الطبيعة التي خلق مستعداً لتسخيرها والتصرف فيها فجنت عليه الوثنية فسخرته لعبادة كل مظهر منها لا يعرف علته ولا يحيط بحكمته ونوع في تهذيب النفس وتزكيتها بالاخلاق الفاضلة والاعمال النافعة . ولا يرتقي النوع الانساني الا بمجموع ما يندرج في هذين النوعين من التكاليف وبارتقائه يكون خليفة الله تعالى في الارض وتلك غاية سعادته في هذه الحياة الدنيا التي تستتبع سعادته في الحياة الآخرة الباقية التي جعلت هذه الحياة مزرعة لها كما ورد

وبديهي ان العمدة في بيان النوع الأول صدق الخبر بحيث لا يحوم حوله الشك والريب والعمدة في الثاني صدق الخبر كذلك مع حسن الاسوة وصحة القدوة بالمخبر لانه تربية وانما التربية بالقدوة والتعليمُ القولي مساعد للتأسي وأثره دون أثره . ولا تحصل الثقة القطعية بصدق الخبر الا اذا كان المخبر معصوماً من الكذب والخطأ في التبليغ ولا تتم القدوة وتحسن الاسوة الا اذا كان الامام المقتدى به بريئاً من النقائص منتهياً عما ينهى عنه مؤتمراً بما يأمر به متخلقاً بما يرغّب في التخلق به . اذاً لا تتم

حكمة الله تعالى في إرسال الرسل الا اذا كانوا بحيث ذكرنا من الصدق والنزاهة. والحكمة واجبة لله تعالى فوجب أن يكون الانبياء المبلغون عنه سبحانه صادقين معصومين «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون» ولا يلزم من هذا إيجاب شيء على الله تعالى فيكون حجة للمعتزلة وإنما هو إيجاب الحكمة له كايجاب العلم والقدرة

(م ٨٧) الدليل النقلي على عصمتهم ان الله تعالى ما أرسل المرسلين الا ليتَّبعوا ويُقْتَدَى بهم وقد أمر باتباعهم كقوله في خاتمهم عليه السلام «فآمِنُوا بِاللهِ ورسولِهِ الذي يؤمن بالله وكلماته واتَّبِعُوه لعلكم تَهتَدُونَ» فلو كانوا يخالفون مايجيؤن به من الهدى لكان الله تعالى آمراً بالشيء ناهياً عنه في آن واحد وهو محال على الله تعالى. ولو فعلوا الفاحشة لكان الله آمرا بها من حيث أمر باتباعهم أمر تشريع وأمر بالتأسي بالعظماء أمر تكوين بأن أودع ذلك في فطرة الانسان وقد قال تعالى «ان الله لا يأمر بالفحشاء» على ان الطاعة هي ما أمر الله تعالى به فلو فرض ان المرسلين يرتكبون المعاصي لكان معنى ذلك ان الطاعات هي من المعاصي كما قال السنوسي في الكبرى وذلك تناقض لا يقول به عاقل. وهذا الاستدلال لا يصح على أصول أهل الكتاب من اليهود والنصارى ويجب أن يكون أصلا يرجع اليه جميع ماورد في الوحي مما يظهر انه يخالفه والا كان الوحي غير منطبق على الادلة التي يثبت هو بها فيكون ناقضاً لنفسه

(م ٨٨) الشبه على العصمة يقولون ورد في القرآن اثبات الذنوب للانبياء والمرسلين إجمالا وتفصيلا. أما الاجمال فكقوله تعالى «ليَغفِرَ لكَ اللهُ ماتقدم مِنْ ذَنبك ومَا تأخّر» وقوله «واستغفر لذنبك» وقوله

عز وجل «فسبّحْ بحمدِ ربِّك واستغفره» وأما التفصيل فكقوله «وعصى آدمُ ربَّهُ فغوى» وكقصة داود وسليمان عليهما السلام وكقصة اخوة يوسف ونحن نجيب عن ذلك بالتفصيل :

(م٨٩) مغفرة الذنوب علمنا مما تقدم ان معنى عصمة الانبياء في النوع الثاني (العملي) هو نزاهتهم وبعدهم عن ارتكاب الفواحش والمنكرات التي بعثوا لتزكية الناس منها لئلا يكونوا قدوة سيئة مفسدين للأخلاق والآداب وحجة للسفهاء على انتهاك حرمات الشرائع وليس معناها أنهم آلهة منزهون عن جميع ما يقتضيه الضعف البشري من التقصير في القيام بحقوق الله تعالى على الوجه الأكمل ومن الخطأ في الاجتهاد ببعض المصالح والمنافع ودرء المضارّ. كلا ان الانسان خلق ضعيفاً وما أوتي من العلم الا قليلا ولا يمكن أن يحيط بوجوده المصالح والمنافع ودرء المضار والمفاسد الا من هو بكل شيء عليم ومن ليس له هذه الإحاطة قد يخطئ في اجتهاده فيعمل العمل وهو يعتقد انه الصواب والخير فيجيء بخلاف ذلك ومثل هذا يسمّى ذنبا من الكامل والمقرّب لان الإنسان مستعد لادراك الصواب في تلك المسئلة التي أخطأ فيها فاذا وقع هذا من الانبياء يعاتبهم الله تعالى عليه ويغفره لهم ويأمرهم بتبليغ ذلك لأمتهم ليعرفوا الفرق بين الرب والعبد فلا يفضي بهم الغلوّ بتعظيم أنبيائهم والإعجاب بفضائلهم ونزاهتهم الى عبادتهم مع الله تعالى ومن أمثلة ذلك اجتهاد نبينا صلى الله عليه وسلم في استمالة رؤساء قومه وأغنيائهم الى الإيمان الذي أداه الى الإعراض عن ابن أم مكتوم لما جاءه يسأله أن يعلّمه مما علمه الله وكان يدعو صناديد قريش فانه كره أن يشتغل به عنهم لئلا ينفرهم ولا يخفى ان اؤلئك النفر من كبارهم هم الذين كانوا

يحادّون النبي ويناصبونه ولو آمنوا أولا لتبعهم سائر قريش فهذا هو وجه اجتهاده صلى الله عليه وسلم في العناية بهم والاعراض عن الأعمى اذ جاء يشغله عنهم . فعاتبه الله تعالى على ذلك وردعه عنه بالقول الشديد كقوله « وما يدريك لعلّه يزكّى » فلتتلُ الآيات في أول سورة (عبس) وذلك ان سنة الله تعالى مضت في أن الأديان تقوم بالدعوة والاقتناع والرؤساء والمترفون أبعد الناس عن معرفة الحق وعن الخضوع له اذا عرفوه وقد جاء في هذا المعنى آيات

ومن الامثلة أيضاً عتابه فى مسئلة زيدوزينب (فلتراجع فى ص ٦٣٠ و ٧١٤ من المجلد الثالث) . ومنها إذنه صلى الله تعالى عليه وسلم للذين استأذنوه في التخلّف يوم الخروج الى تبوك وقد عاتبه الله تعالى على ذلك ألطف عتاب بقوله « عفا الله عنك لم أذنت لهم » الآية . فكان الأولى ان لا يأذن ليعلم الكاذب المنافق ، من المؤمن الصادق ، ومنها مسئلة أخذ الفداء من أسرى بدر اجتهد صلى الله عليه وسلم وشاور فاختلف أصحابه فوافق رأيه رأي ابي بكر بأخذ الفداء فعاتبه الله تعالى عتاباً شديداً حتى بكى وبكى أبو بكر وذلك قوله تعالى : « ما كان لنبيٍّ أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم » قال البيضاوى فى تفسيره : والآية دليل على أن الانبياء يجتهدون وأنه قد يكون خطأ ولكن لا يقرّون عليه .

فهذه هي ذنوب الانبياء وهم يستغفرون منها وهي مغفورة لهم بفضل الله تعالى لانهم لم يريدوا الا الخير والنفع وليس فيها قدوة سيئة

وإنما فيها فائدة معرفة الناس ان النبي وان جلّ قدره وعلت نفسه فهو بشر مثلهم ميزه الله تعالى بالوحي وجعله إماماً فى الخير وأنه على هذه الخصوصية يعاتب وينسب اليه الذنب والتقصير ويمنحه الله المغفرة دلالة على أن له ان يغفر له وله أن يعاقبه « قُل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يُهلك المسيح ابن مريم وأمّه ومن في الأرض جميعا » وعلى أن توقع نزول العقوبة بأصحاب المعاصي التى تنتهك فيها الشرائع ويخالف الدين عمداً وهو ما لا يقع من الانبياء أقرب وانهم أولى بالخوف من وأجدر بالتوبة . وأن الكمال المطلق لله تعالى وحده فلا رب غيره ولا معبود سواه

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

(س ١) من الشيخ مقبل عبد الرحمن الذكير فى البحرين : ما قول منار الاسلام وهداة الانام سادتنا العلماء الاعلام في الاوراق المسماة بالأنواط التي وضعها بعض الدول للتعامل عوضاً عن بعض المسكوكات الفضية كالروبيات مثلا والتزمت تلك الدولة التعويض عنها بالأثمان المقدرة بها هل تجري مجرى العروض كما هو واقع من كثير من التجار يتعاطونها بيعاً وشراء رواجاً وبخساً أو تجري مجرى العين ؟ فان قلتم بالثاني فهل تقولون به من كل وجه وفي كل باب أو من بعض الوجوه وفي بعض الأبواب ؟ فان قلتم بالأول فيقتضي أن لا يجوز صرف تلك الاوراق بباقي أيّة سكة من السكك الفضية الا وزناً بوزن يداً بيد وهو في الظاهر بعيد كما ان ذلك يقتضي أن لا يجوز الزيادة على الثمن الذي قدرت به بشيء ما الى غير ذلك

مما يتعلق بهذه المسئلة ويتفرع عنها في باب الزكاة وباب الصرف وباب الدين والحوالة والبيع نقداً ونسيئة وما تقولون في الحديث الوارد اذ اختلف الجنس فبيعوا كيف شئتم وبالضرورة ان الورق المذكور بل وجنس الورق كيف كان ليس هو من جنس أحد النقود الذهبية والفضية والنحاسية لا لغةً وهي معتبرةٌ هنا في الشرع ولا عقلا وشرعاً ولا عرفاً عاماً والمأمول ان يكون التقرير في غاية الوضوح والبيان والمتانة على منهج القواعد الشرعية والادلة المرعية والطرق الاصولية بالسيرة المرضية لان المسئلة بعموم البلوى والضرورة العامة صار لها في البحث أهمية ولكم الأجر والثواب من الملك الوهاب

(ج) الورق ليس مالا ربوياً في عرف فقهائنا ولذلك أفتى بعض علماء الشافعية بأن هذه الاوراق المالية المسماة بالأنواط (مفرد نوط) لا يجري فيها الربا ويفتي غيرهم من علماء المذاهب بذلك لان الربا مخصوص بالنقدين والأقوات عند الشافعية ومن وافقهم . والعلة عند الحنفية الكيل مع الجنس أو الوزن . فكل مكيل أو موزون اذا بيع بجنسه متفاضلا فهو ربا محرم ولكن هذا لا يأتي فى هذه الانواط وإن ورقتين منها يتساويان فى الوزن وقيمة احداها مائة روبية والأخرى الف روبية مثلا . فلا بد من النظر في مقاصد الشريعة وحكمها وجعلها مدار معرفة الاحكام وإننا نأخذ بكلام الفقهاء ما لم يخل بهذه المقاصد فاذا أخل بشيء منها كمنع الزكاة أو إباحة الربا الضار الذي حرّمه الله تعالى رحمة بالناس فاننا لا نقبله إذ لا يصح أن يكون الاجتهاد مبطلا للنص بل لا يصح مع النص والعبرة بالمقاصد والمعاني لا بالالفاظ والمباني . ولا يخفى على أحد أن هذه الأوراق

المالية لا قيمة لها من حيث هي ورق وإنما هي سند بمبلغ من النقود فقيمتها بحسب الرقم الذى يعين المبلغ . ولا يضر المتدين الأخذ بقول أي فقيه ما لم يمنع الزكاة أو يستبيح الربا

فاما الزكاة فلا تضيع اذا اعتبرنا هذه الأنواط من عروض التجارة لأنها تقوّم في كل حول بقيمتها وتؤدى زكاتها . وأما الربا فالذى أجمع المسلمون على تحريمه منه هو ربا النسيئة والجماهير من الائمة الأربعة وغيرهم على تحريم ربا الفضل أي الزيادة في أحد العوضين مع التقابض فيما هو ربوي كالنقود والتمر والحنطة ونحوهما وفيه خلاف بعض الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين كابن عمر وابن عباس وأسامة بن زيد وابن الزبير وزيد بن أرقم وكسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير من التابعين واستدلوا بما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أسامة « انما الربا في النسيئة » في رواية مسلم عن ابن عباس « لا ربا فيما كان يداً بيد » ومثل ذلك الاحاديث الصحيحة في جواز الصرف يداً بيد . والعلة أو الحكمة في منع الربا لا محل لتفصيلها في هذا الجواب وإنما نقول بالاجمال إن من أكل شيئاً من مال أخيه بغير مقابل من عين أو عمل فقد أكله بالباطل وانّ أخذ زيادة عما يعطي الانسان لاخيه بمجرد التأخير في الوفاء من دواعي قسوة القلوب ومحو عاطفة التراحم وقطع طريق الصنيعة وعمل المعروف فلا يليق بالدين أن يبيحه ومن بليغ الكلام، ما قاله الاستاذ الامام ، وهو ان الربا عبارة عن استغلالك حاجة أخيك . وإن مشروعية التعامل بالنقود خاصة تفضي الى الجناية على التجارة — وسنفصل القول في الربا ومضاره في فرصة أخرى

أما حقيقة الربا فليس بعد بيان الله تعالى فيها بيان قال تعالى « ذلك بأنهم قالوا إنّما البيعُ مثلُ الربا وأحلّ اللهُ البيع وحرّم الربا » فعملنا ان الربا قسيم البيع ومقابله فالجامع بينهما المعاوضة والفارق هو ان أحد العوضين في البيع وهو الثمن يقابل جميع العوض الآخر وهو المثمن بخلاف الربا فان أحد المتعاوضين فيه يأخذ جزءاً من مال الآخر بدون عوض ولا مقابل وهذه التفرقة معتبرة في التسمية الى الآن فالربا لا يسمّى بيعاً ولكن من البيع ما تدخله شبهة الربا بحسب ما توسع فيه الفقهاء من أحكامه وجزئياته ولكن من فهم حكمة الشارع المبنية على درء المفسدة وجلب المنفعة لمجموع الامة يقدر أن يميز بتفقهه في الدين بين المعاوضة المقصود بها البيع ونفع أخيه بمثل ما ينتفع به منه بالمعروف وبين انتظار الفرص لضرورته واستغلال حاجته وأكل ماله بالباطل

وأني أنصح للأخ السائل وغيره من تجار المسلمين الذين يهمهم أمر الدين أن يلاحظوا هذا الفقه الحقيقي ويجعلوه الاصل في معاملتهم لأنه هو روح الدين وسرّه الذي يتعلق بإصلاح القلب وتزكية النفس فاذا أفتاهم علماء الرسوم بفتوى تؤدي الى منع الزكاة بحيلة من الحيل ، أو أكل أموال الناس بلا بدل ، أو تجعل البيع ربا فليحتاطوا لأنفسهم فان الله تعالى ما تعبدنا بظواهر الألفاظ ومدلولات كلم الناس وما يضعون من الأقيسة والقواعد التي لا تصلح بها القلوب . وقد قال عليه السلام لوابصة « استفت نفسك البرُّ ما اطمأن اليه القلب واطمأنت اليه النفس والإثم ما حاكَ في القلب وتردّد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك » رواه أحمد والبخاري في التاريخ وغيرهما . ومن فقه ما ذكرنا لا يحار سواء عليه أعدّ تلك الانواط

عروضاً أم عدّها نقوداً والذي يميل اليه القلب هو اعتبارها نقوداً

وأما الحديث الذي ذكره فهو جزء من حديث صحيح اخرجه أحمد وابن أبي شيبة في مسنديهما ومسلم في صحيحه وأبو داود وابن ماجه في سننهما عن عبادة بن الصامت ولفظه : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبُرُّ بالبرّ والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يداً بيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم ان كان يداً بيد » ومعلوم انه اذا اختلف الصنف بطل الربا ولا معنى لبيع شئ بمثله من صنفه الا اذا كان منه جيد ورديئ وفي هذه الحالة أجاز النبي صلى الله عليه وسلم المعاوضة بالتفاضل بشرط أن يكون بيعاً يقدر بالثمن كما في حديث البخاري وغيره وليس هذا من الحيلة التي تضيع بها حكمة التشريع وانما هي سدّ لذريعة الربا وبيان لقاعدة نافعة وهي ان الربا ينتفي بقصد البيع فكل ما تحقق فيه معنى البيع فليس من الربا في شئ . هذا ما يتسع له المجال الآن وسنعود الى الموضوع ونطلب من العلماء الكرام بيان رأيهم لننشره والله الموفق للصواب

(س ٢) السيد احمد منصور الباز ببني صالح : يعتري بعض الناس حال تسميها العامة (جذبا) فيغيب عن وجوده حتى يصير كالمجنون لا يدري ما يقول ويفعل ويظهر هؤلاء بمظاهر مختلفة تعتقدهم العامة بل والعلماء وكتب الصوفية طافحة بأخبارهم وأخبار القطب والانجاب والاوتاد والابدال ويسمون مجموع هؤلاء الدائرة القطبية ورئيسها القطب الملقب بالغوث ويقال انه يتلقى الأوامر الالهية وتفيض منه الى الدائرة القطبية بترتيب معروف عندهم فما رأيكم فيهم ؟ نرجو الافادة بالمنار ليظهر الحق للناس كافة .

(ج) أما الحال التي يسمونها جذبا فهي فن من فنون الجنون وانما

يسمى صاحبها مجذوباً أو بهلولا اذا كان سبب الخال هو الافراط فى الرياضة والمجاهدة النفسية والانقطاع للذكر والعبادة إكراماً لمن كان كذلك ان يساوى بسائر المجانين والاعتقاد بهؤلاء البهاليل قديم العهد عندنا وسببه ان منهم من كان يظهر على لسانه بعض الحكم لان من يذهب عقله لايعدم كل ما كان أدركه وعلمه وانما يعدم النظام بين الافكار والمعلومات ومنهم من ظهر على يديه بعض الغرائب أو أسنده اليهم بعض المغرورين الذين يضيفون الاشياء الغريبة الى ما يقارنها من الحوادث وان لم يكن علة لها كأن يؤذي انسان آخر فيصاب عقيب ذلك بمصيبة تقع بوقوع سببها

وأما القطب وسائر الموظفين الروحانيين فى دائرة تصرفه الذين يسمونهم رجال الغيب كالامامين والأوتاد والابدال فلم يرد فيه شئ صحيح فى السنة الا ما رووه فى الابدال وهي روايات ضعيفة مضطربة في بعضها يعدون ثلاثين وبعضها أربعين الخ. ومن عجيب تمحلهم فى الاستدلال على القطب ما نقله ابن حجر عن بعض المحدثين من حمله خبر أبى نعيم فى الحلية على القطب وهو: «ان الله في كل بدعة كِيدَ بها الاسلام وأهله ولياً صالحا يذب عنه» الخ وأعجب من هذا أن المسلمين فى الغالب لا يحفلون بمن يدافع عن البدع بالفعل ولا يسمونه ولياً ولا قطبا بل ربما عادوه ولكن يسهل عليهم أن يقولوا ان الذي يدافع عن البدع رجل خفيٌّ من رجال الغيب يدافع فى الغيب عن الاسلام فلا يعرف ولا تُعرف مدافعته. والحاصل ان الشرع لا يطالب أحداً بتصديق ما لم يقم عليه دليل ولا يكلفه بالايمان بهؤلاء الرجال المجهولين بل يحرم عليه أن يقول مالا يعلم. وهذا لا يمنع أن تصطلح طائفة الصوفية على ألقاب تطلقها على أهل الخصوصيات وليس لهم أن يفضوا بذلك الى من لا يعرف

تلك الخصوصية لئلا يكلفوه بالقول بغير علم وللمبحث ذيول سنفصلها تفصيلا

(س ٣) محمد افندي مأمون كرشه بسنديون (غربية): هل حكم الحاكم يرفع الخلاف أم لا ومن هو هذا الحاكم فان كان رافعاً فهل يبقى كذلك بعد موته؛ فانه اذا لم يبق يلزم أن لا يعمل بحكم قاضي مصر السابق الا اذا أجازه من يخلفه

(ج) حكم الحاكم الشرعي الذى رأيتم شروطه فى الجزء الماضي يرفع الخلاف فى المسائل الاجتهادية فيجب تنفيذه ولو عزل أو مات. ونعني بالمسائل الاجتهادية مالا يخالف الكتاب والسنة والإجماع. قال فى الجامع الصغير «وما اختلف فيه الفقها فقضى به القاضي ثم جاء قاض آخر يرى غير ذلك أمضاه» وعلله الكمال فى الفتح بأن اجتهاد الثاني كاجتهاد الأول ويرجح هذا باتصال القضاء به فلا ينقض بما دونه.

(س ٤) ومنه: هل يصح ما يقول الوعاظ وعصابة الزار من ان الجنّ مسلطون على الانسان وهل الزار على هذا منكر يجب النهي عنه شرعاً أم لا؟ وان أجبتم بالسلب فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم «اتخذوا الحمام المقاصيص فانها تلهي الجن عن صبيانكم» ومعنى ما ورد فى الآثار ان الجن يجري فى جسم الانسان مجرى الدم فى الشرايين

(ج) لفظ الجن يطلق على المخلوقات الخفية ويقال ان منها ما هو مادي وما هو روحاني وأجدر بهذه الاحياء التى يسمونها الميكروبات ان تكون من المادي وهي سبب الامراض والأوبئة كالطاعون والهيضة وعليها يحمل ما ورد من ان الطاعون من وخز الجن فهى مسلطة على الانسان وهو مسلط عليها بالعلم الصحيح وإن كان لما يقدر على كثير منها بعد تمكنها

في الجسم . وأما الروحانية فلا سلطة لها على الاجساد وانما هي منشأ الوساوس والخواطر القبيحة الضارة فمن العلماء من يقول انها القوى المعنوية الباعثة على الشر والاكثرون على انها عالم مستقل من جنس عالم الروح يلابس افراده النفوس المستعدة للشر بسوء التربية فيقوي فيها الرغبة فيه . وعليه يحمل حديث الصحيحين وغيرهما « ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع »

وهو كناية عن تمكنه من الوسوسة . وأما الزار فهو منكر قبيح يجب ابطاله بالفعل فان لم يستطع فبالقول وأما احاديث اتخاذ الحمام المقاصيص فغير صحيح

ويطلق لفظ الشياطين والجن على الاشرار من الناس وعلى الحيّات والثعابين وعلى الاول يحمل الحديث لو ثبت وكذا غيره مما ورد في النهي عن خروج الصبيان في الليل لانه وقت انتشار الشياطين . واننا نرى شياطين الازبكية وجهها ينتشرون اذا جنّ الليل ونحث من يهمهم تربية أولادهم على منعهم من الخروج لئلا يفسدهم هؤلاء الشياطين .

(س ٥) ومنه : هل التسبيح في قوله تعالى « وإن من شيء إلا يُسبّحُ بحمده » بلسان المقال أم بلسان الحال أم المقصود انه سبب في تسبيح الرائي

(ج) المتبادر الذي اختاره المفسرون ان التسبيح من غير العقلاء هو بلسان الحال أي ان إمكان الاشياء وحدوثها يدلان على تنزيه واجب الوجود . وذهب بعض الى انه بلسان المقال لقوله « ولكن لا تفقهون تسبيحهم » وأجابوا عنه بأن الخطاب للمشركين لا للناس أجمعين . أي لا تفقهون هذه الدلالة لاهمالكم النظر الصحيح والاستدلال العقلي

القسم العمومي

القرآن والكتب المنزلة

المقالة الثالثة للقس اسحاق طيلر نشرت في جريدة سنت جمس في ١٣ مايو سنة ١٨٨٨

ان المسلمين قد آمنوا بالمسيح وصدقوا ببعثته وهو عندهم معدود في اولى العزم من رسل الله الى خلقه فهم عندنا مسيحيون نصلي لهم كل يوم أحد ونسأل الله أن يهديهم وإيانا الى الحق وطريق مستقيم ولا منافاة عندهم بين الاعتقاد بالقرآن وانه كلام الله وتنزيل من عنده وبين الاعتقاد بسائر الكتب السماوية وانها بوحي من الله والهام بل يعرف من صريح كلام المسلمين ان اعتقادهم بالكتب السماوية انما ساقه الى قلوبهم الاعتقاد بالقرآن فهم في اعتقادهم بها يمتثلون أمراً من أوامره ويجيبون داعياً من دواعيه وليس في المسلمين من يدعي ان القرآن يكذب شيئاً من الكتب الآلهية ولا في امكان مسلم أن يدعي ذلك لما يشهد به القرآن من انه مهيمن على ما بين يديه من الكتب يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون مصدق لما معهم من الحق ولكنهم يقولون إن القرآن خاتمة الكتب كما ان من أنزل عليه (صلى الله عليه وسلم) خاتمة الانبياء ولا تجد مسلما الا يؤمن بالتوراة والانجيل والزبور والقرآن فكل صحيفة من الكتب الآلهية ثبت مجيئها على لسان نبي صادق فهي عندهم كلام الله المنزه عن الخطأ والزلل وما صح نقله عن عيسى عليه السلام فهو حق واجب التصديق وكثيراً ما ينقلون عن نبيهم صلى الله عليه وسلم فيما يعرف بالاحاديث شيئاً

من أقوال المسيح ونصائحه وأحواله ويتلقونها بالقبول غير ان المعروف عندنا ان الاناجيل المشهورة لم تكتب فى عهد المسيح عليه السلام كما كتب القرآن وغيره فى حياة من أنزل عليهم فلا لوم على المسلم اذا طلب التثبت وتحقيق السند لصحة النقل كما يكون منه ذلك فيما ينقل عن نبيه (صلى الله عليه وسلم) من الاحاديث لان عروض الشبهة فى نقل من تحقق عصمته أمر طبيعي عند عموم البشر

قال لي أحد المسلمين ان القرآن يشهد بان الله آتى عيسى عليه السلام الانجيل وجعل فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة وما نعرفه من الكتب الآلهية نقبله ولا ننكر شيئاً منه وان كنا قد نختلف معكم على تفسيره وتأويله كما اختلف الاحزاب من بينكم وعندنا ان كتابنا ونبينا صلى الله عليه وسلم قد بشر بهما أنبياؤكم من قبل كما تقولون فى المسيح عليه السلام وكما لم يقدح إنكار اليهود لعيسى فى اصطفاء الله له كذلك لا يقدح انكار من أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى ثبوت رسالته . ولقد أرشدني الاطلاع على مذاهب المسلمين فى التعليم الى انهم لا يأبون عن تسليم أدلة القسيس بالي التى ذكرها فى كتابه المسمى ببراهين دين المسيح غير انهم يتخذون منها حججاً قوية على ان دينهم الحق . مثلا يعدون من بينات دينهم ودلائل انه الحق سرعة انتشاره واستقبال القلوب وجهته على نحو غريب عزيز المثال ثم اشراق نور الاخلاص من عقائد الذين اتبعوه كما يرشد اليه أدنى الفكر فى أحوالهم من ثباتهم معه فى ساعات العسرة ومصابرتهم فى الشدائد وازدياد ايمانهم فى الضراء واستقامة سيرهم فى السراء . ومنها ما بهر العقول من الحكم الدقيقة التي برعت بها أحكام القرآن وانطباقها

العجيب على ما تقتضيه طبيعة الانسان الدينية (أي من حيث يطلب ديناً) وتأثيرها الغريب فى قلوب الآخذين بها والقائمين على سبيلها واحتباسها لنفوسهم على الكمالات الانسانية واجتذابها لهممهم عن الانبعاث الى ماتدعو اليه الرعونة البدنية فهي تلبسهم ثوب الوقار والحشمة فى النعماء وتشعرهم شعار التسليم والاصطبار فى البأساء . وفى الحق أن لهم أن يسألونا هل يمكن لأمي مثل محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يأتي بحقائق زكية نقية علية وأحكام تسطو بسلطانها على النفوس كالتى جاء بها القرآن بدون أن يكون ذلك بوحي من الله وامداد منه

أما ما يقال من ان القرآن لم يذكر فيه معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم سوى القرآن نفسه فعلى فرض ان لا يصح شئ مما نقل فى كتب الاحاديث من المعجزات مع انها أشبه بالاناجيل عندنا يجاب عنه بأن هذا لا يقدح فى رسالته بل هو أوضح دليل على صدقه فى دعواه اذ لو كان ملبساً أو مفترياً (والعياذ بالله) لما أعوزه التمويه ببعض الغرائب المخترعة ليشبه على اصحابه ويحمل الناس على الإعجاب بغرائبه وقد رأينا ان المسيح عليه السلام كان يوبخ اليهود على مطالبتهم له بالمعجزات والذي يظهر لنا انه لولا قساوة قلوبهم وعنادهم لما عوّل فى دعواه عليها . على ان الاعاجيب التى رويت عن المسيح عليه السلام اصبحت فى هذه الايام مما يعد عقبة فى طريق الاعتقاد بدينه فكثير من الناس يحسبون الدين سهل القبول لولاها فعدول محمد (صلى الله عليه وسلم) فى اثبات نبوته عن سبيل الغرائب واكتفاؤه من المعجزة بكتابه وصدق أنبائه والبراهين العقلية التى تحدق اليها البصائر السامية كل ذلك آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم على

صدقه ولا اشكال فيه بل هو عين ما يطلبه المسلمون

ثم ان المسلمين لا يقفون في اثبات دينهم عند نهاية هذا الحد ولكنهم يذهبون أن لهم فى الكتب السابقة أدلة بينة على صدق كتابهم ونبيهم (صلى الله عليه وسلم) وهم على يقين أن الانبياء السابقين (عليهم الصلاة والسلام) قد توالت أنباؤهم على التبشير بنبيهم كما نقول في عيسى عليه السلام وما يذهب اليه المسيحيون فى تأويل بعض الاخبار المأثورة عن الانبياء أو الاصفياء الاولين يخالفهم فيه المسلمون الى تأويل أفضل لهم وقد نجد التأويل الثاني الصق بعبارة النبأ فان لم يكن فانا نرى التأويلين فى كفتين متعادلتين وانما يرجح كلا الف صاحبه وميله ولذلك أمثال كثيرة يطول سردها ويسهل على الطالب إيجادها

أذكر ما نبهني اليه أحد أصدقائي المسلمين من معنى العددين المذكورين فى آخر كتاب دانيال النبي عليه السلام وهما عدد ١٢٩٠ وعدد ١٣٣٥ فبعد ان بين بتاريخ انقطاع الذبيحة اليومية من يوم بنى منسه ملك اليهود مذابح للاصنام فى هيكل القدس وفسر الصنم المصوغ الذي نصبه الملك فى القدس بالرجس المخرب وعبر عن الخراب بتسخير الأثوديين لاورشليم فأراني كيف أن احد العددين المذكورين يأتي بنا الى زمان الهجرة النبوية وان الثاني ينتهي بنا الى خلافة معاوية بن أبي سفيان عند ما أتم المسلمون فتوحاتهم في سورية ومصر وفارس وافريقيا وكيف قطعت مصالحة الحسن ابن عليّ دابر الشقاق بين الأمة وسكن المسلمون الارض آمنين مطمئنين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولست أحكم بصحة التأويل ولا عدمها ولكن أقول انه ليس بأقل جودة من بعض ما أول به قوم آخرون

وأهم ما نقصد الآن أن يعرف النصارى عندنا في انكلترا كيف يستدل المحمديون بانباء كتب اليهود والنصارى على اثبات دينهم وتحقيق يقينهم

بقي شئ يشتد الانكار فيه منا على المسلمين وهو اعتقادهم بجنة جسمانية فيها من الحور العين ما تشتهيه نفوس المؤمنين على انى أقول وما انكارنا ونحن نرى في كتاب نشيد الاناشيد المنسوب الى سليمان بن داود (عليه السلام) عبارات ان حملت على ظاهرها كانت أدخل فى الجسمانية وعالم المادة من كل ما ينسب الى القرآن غير اننا لمحنا من درس فصول ذلك الكتاب في ترجمته المشهورة ان تلك كنايات عن محبة المسيح لأمته ثم اننا نرى ذكراً صريحاً للجنة الجسمانية في مكاشفات يوحنا المعدودة عندنا خاتمة الاناجيل فانه يذكر وصف أورشليم الجديدة وهى الجنة ومساحتها الدقيقة وحدودها وما فيها من أبواب من لؤلؤ وأزقة من ذهب وجدران من جوهر ويفيض فيما رواه ذلك مما لم يأت القرآن عليه وان لنا عبارة تألفها نفوسنا ونترنم بها فى عبادتنا مع الافتخار اذ نقول «أورشليم المذهبة المباركة باللبن والعسل» وليس يخطئ قائل لنا ان نغمات المظفرين وأغاني المحتفلين التي نجدها في مكاشفات يوحنا تذكرنا بأن غاية المسيحي من ايمانه وأمله المطلوب من عبادته ان يصل الى جنة نعيمه فيها ان يأكل ويشرب ويسكر ويغني كما نرى من عمله فى هذه الدنيا أيام الاعياد المشهورة على اننا نأول ذلك كله ونصرفه عن ظاهره ونحمل كل لفظ وجد لمعنى محسوس على سر معقول

وان العرفاء من المسلمين يعتقدون بأن لهم نعيما روحانيا يتعالى الى غير النهاية عن النعيم الجسداني ولسنا نكابر كما يكابر القسيس (مكول)

ونحكم بأن المسلم لا مطمح له في أخراه الا الاكل والشرب وقضاء شهوات أخر وقد ذكر فى القرآن في سورة القيامة من جزاء المؤمنين ان تكون وجوههم يوم القيامة ناضرة الى ربها ناظرة وفي الاحاديث عندهم مايدل على ذلك فقهيا عن نبيهم (صلى الله عليه وسلم) مامعناه . ان أعظم فوز يفوز به العبد فى الآخرة هو لقاء ربه فى الغدوّ والآصال وهو نعيم يفوق كل نعيم كما يفوق البحر قطرات العرق وفي حديث آخر ان المؤمنين يرون ربهم كما يرون القمر ليلة البدر وفى آخر مايشبه المعروف عندنا « ان الله قد أعد للمؤمنين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وان فى عقائد المحمديين ان رضوان الله أكبر من كل نعيم فان وافقنا المسلم على ان جنة جسدانية لا تليق أن تكون جزاء المؤمن فى الآخرة أفلا يجوز له أن يأول ماورد فى كتابه من ذلك كما أولنا عبارة النشيد وعبارات المكاشفات والتأويل عليه أسهل منه علينا فان عنده فى كتابه مايشير الى أن بعض ماقص الله عليهم من المتشابه لا يؤخذ على ظاهره وله فى السنة مامعناه ليس فى الجنة شئ مما فى الدنيا الا الاسماء أما نحن فلم يذكر لنا فى المكاشفات ما يسوغ التأويل ويشير الى أن ماجاء فيها من الاوصاف ضرب من التمثيل لأن صاحب الكتاب يصرح لنا بأن ما فيه من الأقوال حق لاريبة فيه كما هو مذكور فللمحمديين حق ان طلبوا الجنة الروحانية واللذائذ السامية العقلية وهم مؤمنون بكتابهم ويرون ان هذا المطلب عليهم أيسر منه على كثير من غيرهم واني أحسب من الظلم الفاحش أن لا نسوغ للمسلمين سلوك طريق من التفسير لم نزل نسلكه في ايضاح غوامض كتابنا المقدس (اسحق طيلر)

« الاجتماع الثاني — الداء او الفتور العام »

في مكة المكرمة يوم الاربعاء سابع عشر ذى القعدة سنة ١٣١٦

في صباح اليوم المذكور انعقد الاجتماع وبعد قراءة ضبط الجلسة الاولى افتتح الكلام (الاستاذ الرئيس) فقال : انا نجد الباحثين في الحالة النازلة بالمسلمين يشبهونها بالمرض فيطلقون عليها اسم الداء مجرداً أو مع وصفه بالدفين او المزمن أو العضال ولعل مأخذ ذلك ماورد في الاثر وألفته الاسماع من تشبيه المسلمين بالجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائره بالسهر والحمى . ويلوح لي ان إطلاق الفتور العامّ أليق بان يكون عنوانا لهذا البحث لتعلق الحالة النازلة بالأدبيات اكثر منها بالماديات ولأن آخر مافيها ضعف الحس فيناسبه التعبير عنه بالفتور .

ان هذا الفتور في الحقيقة شامل لجميع أعضاء الجسم الاسلامي فيناسب ان يوصف بالعام وربما يتوقف الفكر في الوهلة الاولى عن الحكم بان الفتور عام يشمل المسلمين كافة ولكن بعد التدقيق والاستقراء نجده شاملا للجميع في مشارق الارض ومغاربها لايسلم منه الا افراد شاذةٌ .

فيا أيها السادة ماهو سبب ملازمة هذا الفتور منذ قرون للمسلمين من أي قوم كانوا وأينما وجدوا وكيفما كانت شؤنهم الدينية أو السياسية أو الافرادية أو المعاشية حتى اننا لانكاد نجد اقليمين متجاورين او ناحيتين في أقليم او قريتين في ناحية او بيتين في قرية أهل أحدهما مسلمون وأهل الآخر غير مسلمين الا ونجد المسلمين أقل من جيرانهم نشاطاً وانتظاماً في جميع شؤنهم الحيوية الذاتية والعمومية وكذلك نجدهم أقل اتقاناً من نظرائهم في كل فنّ وصنعة مع اننا نرى أكثر المسلمين في الحواضر وجميهم في البوادي محافظين على تميزهم عن غيرهم من جيرانهم ومخالطيهم في أمهات المزايا الاخلاقية مثل الامانة والشجاعة والسخاء .

فما هو والحالة هذه سبب شمول هذا الفتور وملازمته لجامعة هذا الدين كملازمة العلة للمعلول بحيث يقال اينما وجدت الاسلامية وجد هذا الداء حتى توهم كثير من الحكماء ان الاسلام والنظام لايجتمعان . هذا هو المشكل العظيم الذي يجب على جمعيتنا البحث فيه اولا ببحث تدقيق واستقراء عسى ان نهتدي الى جرثومة الداء عن يقين فنسعى في مقاومتها حتى اذا ارتفعت العلة برئ العليل أن شاء الله تعالى .

(قال الفاضل الشامي) أني أوافق الاستاذ الرئيس على تعريفه ووصفه الحالة النازلة بالفتور ولا أعلم مايعارض كون هذا الفتور عاماً محيطاً بجميع المسلمين .

قال (الصاحب الهندي) اني وان كنت أقل الاخوان فضيلة ولكنني جوّال وقد خبرت البلاد وأحوال العباد ولا شك عندي في ان هذا الفتور عام وان كان لايظهر في بعض المواقع التي ليس فيها غير المسلمين كقلب جزيرة العرب وبعض جهات افريقيا ولا يظهر أيضاً في بعض مواقع اخرى مجاورو المسلمين فيها ومخالطوهم من أهل النحل الوثنية الغريبة الوضع المتناهية في الشدة كبقايا الصابئة حول دجلة الذين يضيعون كثيراً من أوقاتهم منغمسين في الماء تعبداً وكالكونغو من الزنوج وكالبودية من الهنود المعتقدين ان كل مصائبهم حتى الموت الطبيعي من تأثيرات أعمال السحرة عندهم فان أمثال هؤلاء أكثر فتوراً من المسلمين على ان ذلك لايرفع صفة الفتور وعموميته عن المسلمين .

فقال (الاستاذ الرئيس) ان الصاحب الهندي مصيب في تفصيله وتحريره ولذلك رجعت عن قولي بان المسلمين أحط من غيرهم مطلقاً الى الحكم بانهم أحط من غيرهم ماعدا أهل النحل المتشددة في التدين .

قال (الحافظ البصري) يلوح لي انه يلزم استثناء الدهريين والطبيعيين وأمثالهم ممن لادين لهم لانهم لابد ان يكونوا على غير نظام ولا ناموس في أخلاقهم معذبين منغصين في حياتهم منحطين عن أهل الاديان كما يعترف بذلك الطبيعيون أنفسهم فيقولون عن أنفسهم انهم أشقى الناس في الحياة الدنيا .

فاجابه (الصاحب الهندي) اني كنت أيضاً أظن انه يوجد في البشر أفراد ممن لادين لهم وان من كانوا كذلك لا خلاق لهم ثم ان اختباري الطويل قد برهن لي على ان الدين بمعناه العام وهو ادراك النفس وجود قوة غالبة تتصرف بالكائنات والخضوع لهذه القوة على وجه يقوم في الفكر هو أمر فطري في البشر وان قولهم فلان دهري أو طبيعي هو صفة لمن يتوهم ان تلك القوة هي الدهر أو الطبيعة فيدين لما يتوهم . فثبت عندي مايقرره الاخلاقيون من أنه لايصح وصف صنف من الناس بأنهم لادين لهم مطلقاً بل كل انسان يدين بدين اما صحيح او فاسد عن أصل صحيح واما باطل او فاسد عن أصل باطل والفاسدان يكون فسادهما اما بنقصان او بزيادة او بتخليط فهذه أقسام ثمانية .

فالدين الصحيح كافل بالنظام والنجاح في الحال والسعادة والفلاح في المآل والباطل

والفاسدان بنقصان قد يكون أصحابهما على نظام ونجاح في الحياة على مراتب مختلفة وأما الفاسدان بزيادة أو تخليط فهلكة محضة ثم أقول ربما كان تقريري هذا غريباً في بابه فالتمس ان لايقبل ولا يرد الا بعد التدقيق والتطبيق لانه أصل مهم لمسألة الفتور العام المستولي على المسلمين .

(قال الرئيس الاستاذ) اني اجلكم أيها السادة الافاضل عن لزوم تعريفكم آداب البحث والمناظرة غير اني أنبه فكركم لامر لابد ان يكون في نفوسكم جميعاً اوتحبوا ان يصرح به الا وهو عدم الاصرار على الرأي الذاتي وعدم الانتصار له واعتباران مايقوله ويبديه كل منا ان هو الا خاطر سنح له فربما كان صواباً أو خطأ وربما كان مغايراً لما هو نفسه عليه اعتقاداً وعملا وهو انما يورده في الظاهر معتمداً عليه وفي الحقيقة مستشكلا او مستثبتاً أو مستطلعاً رأي غيره فلا أحد منا ملزم برأي يبديه ولاهو بملوم عليه وله أن يعدل او يرجع عنه الى ضده لاننا انما نحن باحثون لامتناظرون فاذا أعجبنا رأي المتكلم منا أثناء خطابه اعجاباً قوياً فلا بأس ان نجهر بلفظ (مرحى)(١) تأييداً لاصابة حكمه واشعاراً باستحسانه فلنمض في بحثنا عن أسباب الفتور العام على هذا النسق

قال (الفاضل الشامي) اني أرى ان منشأ هذا الفتور هو بعض القواعد الاعتقادية والاخلاقية مثل العقيدة الجبرية التي من بعد كل تعديل فيها جعلت الامة جبرية باطناً قدرية ظاهراً (مرحى) ومثل الحث على الزهد في الدنيا والقناعة باليسير والكفاف من الرزق واماتة المطالب النفسية كحب المجد والرياسة والتباعد عن الزينة والمفاخر والاقدام على عظائم الامور وكالترغيب في أن يعيش المسلم كميت قبل ان يموت وكفى بهذه الاصول مفترات مخدرات مثبطات معطلات لايرتضيها عقل ولم يأت بها شرع ولمثلها نفى عثمان بن عفان رضي الله عنه أبا ذر الغفاري الى الربذة .

فاجابه (البليغ القدسي) ان هذه الاصول الجبرية والتزهيدية الممتزجة بعقائد الامة وماهو أشد منها تعطيلا الاخذ بالاسباب ولنشأة الحياة موجودة في جميع الديانات لتعدل من جهة شره الطبيعة البشرية في طلب الغايات وتدفعها الى التوسط في الامور ولتكون من جهة اخرى تسلية للعاجزين وتنفيساً عن المقهورين البائسين وتوسلا الى حصول التساوي بين الاغنياء والفقراء في مظاهر النعيم .

الا يرى اجماع كل الاديان على اعتقاد القدر خيره وشره من الله تعالى او خيره

(١) مرحى — كلمة تعجب يقولها العرب عند اصابة الرامي المرمي

منـه وشره من النفس او من الشيطان ومع ذلك ليس فى البشر من ينسب أمراً الى القدر الا عند الجهل بسببه ستراً لجهله او عند العجز عن نيل الخير او دفع الشر ستراً لعجزه وحيث غلب أخيراً على المسلمين جهل اسـباب المسببات الكونية والعجز عن كل عمل التجأوا الى القدر والزهد تمويهاً لا تديناً . وهذا التبتل والخروج عن المـال من أعظم القربات في النصرانية فهل كان قصد شارع الرهبانية ان ينقرض النـاس كافة بعد جيل واحد ام كان قصده ان يشرعها على انلا يتلبس بها الا القليل النزر ؟ كلا لا يعقل فى هذا المقام الاالتعميم وينتج من ذلك انه لا يصح اعتبارهذه الاصول الجبرية والتزهيدية سبباً للفتور بل هي سبب لاعتدال النشاط وسيره سير انتظام ورسوخ •

وفى النظر الى المشاق والعظائم التي اقتحمها الصحابة والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم لنيل الغنى والرياسة والفخار مع الاجر والثواب أقوى برهان مع ان الامةاذ ذاك كانت زاهدة فعلا لا كالزهد الذي ندعيه الآن كذباً ورياء (مرحى)

واذا تتبعنا كل ما ورد في الاسلامية حاثا على الزهد نجده موجهاً الى الترغيب فى الإيثار العاماى بتحويل المسلم ثمرة سعيه للمنفعة العمومية دون خصوص نفسهحتى ان كل ماورد فى الحث على الجهاد فى سبيل الله مراد به سعي المؤمن بكل الوسائل حتى ببذل حياته لاعزاز كلمة الله واقامة دينه لا فى خصوصية محاربة الكفار كما تتوهم العامة كما ان المراد من محاربة الكفار هو من جهة اعزاز الجامعة الاسلاميـة ومن أخرى خدمة الجامعةالانسانية من حيث الجاء الكفار الى مشاركة المسلمين فى سعادة الدارين لان للامم المترقية علماً ولايةً طبيعية على الامم المنحطة فيجب عليها انسانيةان تهديها الى الخير ولو كرهاً باسم الدين أو السياسة •

ثم قال أماأنا فيخيّل إليَّ أن سبب الفتور هو تحول نوع السـياسة الاسلاميـة حيث كانت نيابية اشتراكية أى (ديمقراطية) تماماً فصارت بعد الراشدين بسبب تمـادي المحاربات الداخلية ملكية مقيدة بقواعد الشرع الاساسـية ثم صارت أشبه بالمطلقة • وقد نشأ هذا التحول من ان قواعد الشرع كانت في الأول غيرمدونة ولا محررة بسبب اشـتغال الصحابة المؤسسين رضى الله عنهـم بالفتوحات وتفرقهم فى البلاد فظهر في أمر ضـبطها خلافات ومباينات بين العلماء وتحكمت فيهـا آراء الدخلاءفرجحوا الاخذبمايلائم بقايا نزعاتهم الوثنية(واپتهم لم يدنسوا الاسلام بالدخول فيه) فاتخذ العمال السياسـيون ولا سيما المتطرفون منهم هذا التخالف في الاحكام وسيلة للانقسام والاستقلال السـياسي فنشأ عن ذلك ان تفرقت المملكة الاسلامية

الى طوائف متباينة مذهباًمتعادية سياسة متكافحة على الدوام وهكذا خرج الدين من حضانة أهله وتفرقت كلمـة الامة فطمع بها أعداؤها وصارت معرضـة للمحاربات الداخلية والخارجية معاً لا تصادف سوى فترات قليلة تترقى فيها في العلوم والحضارة على حسبها • وقد أثر استمرار الامة في هذه الحروب ان صارت باعتبار الاكثرية أمة جندية صنعةً وأخلاقاً بعيدة عن الفنون والصنائع والكسب بالوجوه الطبيعية • ثم بسبب فقدان القواد والمعدات لم يبق مجال للحروب الرابحة فاقتصرت الامة على المدافعات خصوصاً منـذ قرنين الى الآن أي منذ صارت الجندية عند غيرنا صنعة علمية مفقودة عندنا فصرنا نستعمل بأسنا بيننا فنعيش بالتغالب والاحتيال لا بالتعاون والتبادل وهذا شأن يميت الانتباه والنشاط ويولد الخمول والفتور (مرحي)

فابتدر (الحكيم التونسي) وأجابه ان غيرنا من الاقوام كجرمانيا مثلاً وجدوا في حكومات مطلقة وفي اختلافات مذهبية وفي انقسامات الى طوائف سياسـية وفي حروب مستمرةولم يشملهم الفتور بوجه عام فلا بدللفتور في المسلمين من سبب آخر •

ثم قال وفيما أتصـور ان بلاءنا من تأصـل الجهل في غالب أمرائنا المـترفين الأخسرين أعمالا الذين ضلوا وأضلونا سواء السبيل وهم يحسبون انهم يُحْسنون صنعاً حتى بلغ جهل هؤلاء دركة أسفل من جهل العجماوات التي لها طبائع ونواميس فمنها التي تحمي ذمارها وتمنع عن حدودها وتدافع عما استحفظت عليه وهؤلاء ليس لهم طبائع ونواميس فيخرّبون بيوتهم بأيديهم وهم لا يشعرون • ومنهم الذين ضلوا على علم وهم الذين يشكون ويبكون حتى يظن انهم مغلوبون على أمرهم ويتشدقون بالاصلاح السياسي مع انهم وأيم الحق يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم يظهرون الرغبـة في الاصلاح ويبطنون الإصرار والعناد على ماهم عليـه من إفساد دينهم ودنياهم وهدم مباني مجدهم واذلال أنفسهم والمسلمين وهذا داء عياء، لا يرجي منه الشفاء ،لانه داء الغرور لا يقر صاحبه لفاضل بفضيلة ولا يجاري حازماً في مضمار وقد سرى من الامراء الى العلماء ثم الى سائر الطبقات

فأجاب (المولى الرومي) ان القاء التبعة على الامراءخاصة غير سديد خصوصاً لان أمراءنا ان هم الا لفيف منا فهم أمثالنا من كل وجه وقد قيل كما تكونوا يولَّى عليكم فلو لم نكن نحن مرضى لم يكن أمراؤنا مدنفين

وعندي ان البلية هي فقدنا الحرية وما أدرانا ما الحرية ؟ هي ماحرمنا معناه حتى نسيناه ، وحرم علينا لفظه حتى استوحشناه ، وقد عرّف الحرية من عرَفَها بأن

يكون الإنسان مختاراً في قوله وفعله لايعترضه مانع ظالم ومن فروع الحرية تساوي الحقوق ومحاسبة الحكام باعتبار أنهم وكلاء وعدم الرهبة في المطالبة بالحق وبذل النصيحة. ومنها حرية التعليم وحرية الخطابة والمطبوعات وحرية المباحثات العلمية . ومنها العدالة بأسرها حتى لايخشى انسان من ظالم أو غاصب أو غدار مغتال. ومنها الأمن على الدين والأرواح والأمن على الشرف والأعراض والأمن على العلم واستثماره فالحرية هي روح الدين وينسب الى حسان بن ثابت الشاعر الصحابي رضي الله عنه

وما الدين الا أن تقام شرائع   وتؤمن سبل بيننا وهضاب

فلينظر كيف حصر هذا الصحابي الدين في اقامة الشرع والامن . هذا ولا شك ان الحرية أعز شيء على الانسان بعد حياته وان بفقدانها تفقد الآمال وتبطل الاعمال وتموت النفوس وتتعطل الشرائع وتختل القوانين . وقد كان فينا راعي الخرفان حراً لايعرف للملك شأناً يخاطب أمير المؤمنين ياعمر وياعثمان فصرنا ربما نقتل الطفل في حجر أمه ونلزمها السكوت فتسكت ولا تجسر أن تزعج سمعنا ببكائها عليه . وكان الجندي الفرد يؤمّن جيش العدو فلا يخفر له عهد فصرنا نمنع الجيش العظيم من صلاة الجمعة والعيدين وتستهين بدينه لا لحاجة غير الفخفخة الباطلة (مرحى)

فلمثل هذا الحال لاغرو ان تسأم الامة حياتها فيستولى عليها الفتور وقد كرت القرون وتوالت البطون ونحن على ذلك عاكفون فتأصّل فينا فقد الآمال . وترك الأعمال ، والبعد عن الجد والارتياح الى الكسل والهزل والانغماسُ في اللهو تسكيناً لآلام أسرِ النفس والاخلادُ الي الخمول والتسفل طلباً لراحة الفكر المضغوط عليه من كل جانب الي أن صرنا ننفر من كل الماديات والجديات حتى لانطيق مطالعة الكتب النافعة ، ولا الاصغاء الى النصيحة الواضحة ، لأن ذلك يذكّرنا بمفقودنا العزيز فتتألم أرواحنا وتكاد تزهق اذا لم نلجأ الى التناسي بالملْهيات ، والخرافات المروّحات. وهكذا ضعف احساسنا وماتت غيرتنا وصرنا نغضب ونحقد على من يذكرنا بالواجبات التي تقتضيها الحياة الطيبة لعجزنا عن القيام بها عجزاً واقعياً لاطبيعياً

هذا ونعترف بأن فينا بعض أقوام قد ألفوا من ألوف سنين الاستعباد والاستبداد والذل والهوان فصار الانحطاط طبعاً لهم تؤلمهم مفارقته وهذا هو السبب في أن السواد الاعظم من الهنود والمصريين والتونسيين صاروا بعد أن نالوا رغم أنوفهم الأمن على الانفس والاموال ، والحرية في الآراء والاعمال . لا يَرْثُونَ ولا يتوجعون لحالة المسلمين في غير بلادهم بل ينظرون للناقمين على امرائهم المسلمين شزراً وربما يعتبرون

طالبي الاصلاح من المارقين من الدين كأن مجرد كون الامير مسلماً يغني عن كل شيء حتى عن العدل وكأن طاعته واجبة على المسلمين وان كان يخرب بلادهم ، ويقتل اولادهم ، ويقودهم ليسلمهم لحكومات أجنبية كما جرى ذلك قبلا معهم والحاصل ان فقدنا الحرية هو سبب الفتور والتقاعس عن كل صعب وميسور .

أجاب (المجتهد التبريزي) ان هذا الحال ليس بعام مع ان الفتور لم يزل في ازدياد واستحكام فلا بد لذلك من سبب آخر

ثم قال : ويلوح لي ان انحطاطنا من أنفسنا اذ اننا كنا خير أمة أخرجت للناس نعبد الله وحده أي نخضع ونتذلل له فقط ونطيع من أطاعه مادام مطيعاً له نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر أَمْرُنا شُورَى بيننا نتعاون على البر والتقوى ولا نتعاون على الاثم والعدوان ، فتركنا ذلك كله ماصعب منه وماهان . وقد يظن أن أصعب هذه الامور النهي عن المنكر مع أن ازالة المنكر في شرعنا تكون بالفعل فان لم يمكن فبالقول فان لم يمكن فبالقلب وهذه الدرجة الثالثة هي الاعراض عن الخائن والفاسق والنفور منه وابطان بغضه في الله

ومن علائم ذلك تجنب مجاملته ومعاملته . ولا شك ان اقامة هذا الواجب الديني كافٍ للردع ولا يتصور العجز عنه قط قال تعالى (ولولا دَفْعُ اللهِ الناسَ بَعْضَهُم ببعضٍ لَفَسَدت الارضُ) فهذا هو سبب استرسال الامة في عبادة الامراء والاهواء والاوهام وفي طاعة العصاة اختياراً وترك التناصح والركون الى الفساق والاذعان للاستبداد والتخاذل فى الخير والشر قال تعالى (وَلْتَكُنْ منكم أُمَّةٌ يَدْعُونَ الى الخيرِ وَيأْمُرُونَ بالمعروفِ وَيَنْهَوْنَ عن المنكرِ واولئك هُمُ الْمُفْلِحُون) وعنه صلى الله عليه وسلم (*) « لتأمُرُنَّ بالمعروف وَلتنْهَوُنَّ عن المنكر أوْ لَيَسْتَعْمِلَنَّ اللهُ عليكم شِرَارَكم فليسومونكم سوء العذاب » الى غير ذلك من الآيات البينات والاحاديث المنذرات القاضيات بالخذلان على تاركي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا هو السبب الناشئ عنه الفتور .

(*) المنار — لفظ الحديث « او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم » رواه البزار عن عمر والطبراني عن أبي هريرة وسندهما ضعيف . وللترمذى من حديث حذيفة نحوه الا انه قال « أو ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » وقال حديث حسن

باب التربية والتعليم

﴿ التعليم الذي ترتقي به الامة ﴾

أكثر الناس في بلاد الشرق — بلاد البطالة والكسل — يفنون أزمنتهم بالعبث واللغو من القول فلا تسمع منهم في أنديتهم وسمّارهم الا الخوض بفلان والازراء بعلاّن ومما أشبه ذلك ، مما هنا وهنالك ، ورب فئة قليلة تحب الجد وتختار للبحث والحوار المسائل النافعة وقد كتبنا مقالة في الجزء الرابع والعشرين من السنة الماضية فى موضوع حديثهم في سامر من سمارهم وهو اصلاح الدولة العلية • ونذكرههنا أنهم رأوا أن يقترحوا على كل واحد منهم كلما ضمهم نادٍ أو سامرٌ أن يتكلم في مسئلة من المسائل النافعة وابتدأوا بالاقتراح على كاتب هذه السطور أن يتكلم في التعليم النافع للمسلمين فأجاب واني أذكر بعض ماقلته هناك ملخصاً وقد ابتدأت بذكر عيوب التعليم عندنا وهي

العيب الاول عدم اللغة احياء العلم لا يكون الا بلغة حية ولغة الاسلام والمسلمين العربية ولكنهم أهملوا تعلمها وتعليمها حتى أنني أقول ماقلته من قبل انى لاأعرف مدرسة في الدنيا تعلّم فيها اللغة العربية الصحيحة ومن عنده حظ من هذه اللغة فانما تعلّمه بنفسه لاهتدائه الى طريقة التعلم بذكائه أو بارشاد مرشد آخر وستأتي الاشارة الى كيفية هذا التعلم وان كان المنار قد فصله من قبل تفصيلا •

العيب الثانى في اختلاف منابع التعليم التعليم النافع هو ما يكون به قوام الامة وترقيها والترقي انما يكون بالرجال المتعلمين العلم النافع لها لأن زمامها يكون في أيديهم وقواد الأمة يجب أن يكونوا متفقين في مقاصدهم الاصلاحية وانما يكون هذا الاتفاق والاتحاد اذا كانت تربية عقولهم وافكارهم متحدة ولن تكون متحدة الا اذا كان التعليم من منبع واحد . والتعليم في بلادنا بعضه في مدارس الحكومة وبعضه في المدارس الاجنبية من فرنسوية وأميركانية وانكليزية واسرائيلية وليس منه شئ موافق لحاجة الامة ومنطبق على مصلحتها فان لكل صنف من هذه الاصناف مقصد من التعليم اما سياسيّ واما ديني غير اسلامي والتعليم فى المدارس الاهلية الاسلامية ناقص بحيث يصح ان نقول انه دون كل تعليم . ولا استثني المدرسة الدينية الاسلامية الكبرى وهي

الجامع الازهر فكلنا نعرف أنها ليس فيها غناء وانها مقصرة كل التقصير فى وظيفتها الاولى وهي احياء اللغة العربية وعلوم الدين . على ان علم الدين لايكاد يوجد في غير الازهر ومايتبعه من المساجد فهو على نقصه خير من غيره من هذه الجهة « ومن للعُمْي بالعَوَر »

العيب ٣ عدم التربية التعليم لايفيد النجاح المطلوب للامة الا اذا كان مقارناً للتربية الملية القومية وهذه التربية مفقودة عندنا لان القائمين على أمر التعليم لايهمهم أمرها بل هو مباين لمقصدهم السياسي والديني . على انهم لو حاولوها لما أحسنوها لانه لا يحسن الشئ الا من يتوجه اليه بباعث الشعور بحاجته وحاجة أمته اليه مع العلم بطريقه الطبيعي . وقد علمنا ان اكثر المسلمين المشتغلين بالتعليم جاهلون بطرقه وعادموا الاحساس والشعور بالحاجة الملية القومية . وعلمنا حال مدارس الاجانب ولمدارس الحكومة في مصر حكمها لان روح التعليم فيها انكليزي استعماري لا انكليزي سكسوني . ولا يحسبنّ أحد ان مدارس الحكومة في بلاد الدولة العلية أمثل وأنفع من مدارس الحكومة في مصر بل الصواب أنها دونها في كل البلاد لاسيما العربية منها الا مدارس دار السلطنة فانها أرقى من مدارس مصر لان فيها روحاً وطنياً حقيقياً عجزت السياسة عن ازهاقه

هذه هي العيوب الاساسية للتعليم في البلاد الاسلامية • اما ازالة هذه العيوب من مواطنها فلا سبيل اليه ولا طاقة لنا به ولكن من الممكن السعي في ايجاد تعليم نافع وتربية قويمة والطريق اليه واحد وهو انشاء المدارس الكلية التي تربي الناشئين وتعلمهم التعليم الابتدائي والتجهيزي والعالي ولكنه طريق يعسر تطريقه وإشراعه لاننا فقراء في المال وفي العلوم والعقول وهذا الفقر المعنوي أشدفينا فتكا ولكنه لا يعوزنا ويعجزنا في طريقنا هذا كما يعجزنا ويعوزنا الفقر المادي فان من اوتي نصيباً من العلم والعقل والأدب يجود بما عنده مرتاحا اليه اذا رجا الانتفاع به ولكن الذين أوتوا المال منا قد أوتوا معه البخل والسفه معاً فهم يبذلون المال في طرق الفساد بغير حساب ولايخرج من ايديهم درهم في طريق الخير الا نكداً . وليس المقام مقام بيان تطريق الطريق لانشاء مدرسة كلية في مصر ولكنني أقول ان هذه الفئة تحب خدمة أمتها اذا لم تجتهد في انشاء هذه المدرسة فلنا ان نحكم بأنها لم تعمل شيئاً يذكر واذا هي لم تعمل فلا ندري متى تلد أرض مصر خيراً منها ليعمل خيراً من عملها

أما التعليم والتربية في الكلية فلانبحث فيهما لان الحاضرين يعرفون هذا الفن (البيداجوجيا) وانما ننبه على وجوب احياء اللغة العربية بالعمل بان يكون الكلام

العربي الصحيح هو اللسان الرسمي فيها ويعلم كما تعلم اللغات الاخرى في المدارس لا كما يعلم هو فيها • وأما تعليم الدين فيجب أن يكون أساسه القرآن والسنة الصحيحة ومعرفة الاجماع وان يعدّ كل ماوراء هذا من الخلاف بين ائمة المسلمين وعلمائهم كالخلاف في المسائل العامية ، لاينكث من فتل الاخوّة الاسلامية ، وكل ماهو من أعمال الجوارح يكون تعليمه بالعمل كالصلاة مثلا وماعدا ذلك يعلم بالقول • وأما التربية فمما يجب التنبيه عليه تربية الإرادة والعزيمة التي هي منشأ الاستقلال الشخصي والنوعي تبع للشخصي وتربية الاخلاق بملاحظة السيرة والسلوك وتربية الخيال التي تعدّ للخطابة والشعريات المؤثرة في النفوس • هذا ماأراه نافعا من التعليم الاسلامي وفق الله المسلمين لتحقيقه ، والسير طريقه ، آمين

آثار علمية ادبية

مقدمتنا لكتاب أسرار البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمنُ علم القرآن ، خلق الانسان علمه البيان ، فله الحمد أن علم ، والشكر على ما أنعم ، ومنه الصلاة والتسليم ، على نبيه الرؤف الرحيم ، الذي جاء بتوحيد اللغة والدين ، وجعل الكتاب والحكمة في الاميين ، فكانوا بذلك ائمة وكانوا هم الوارثين

الانسان يمتاز بالعلم وانما العلم بالتعلم والتعلم باللغة . واللغات تتفاضل في حقيقتها وجوهرها بالبيان وهو تأدية المعاني التي تقوم بالنفس تامة على وجه يكون أقرب الى القبول وأدعى الى التأثير وفى صورتها وأجراس كلمها بعذوبة النطق وسهولة اللفظ والالقاء والخفة على السمع . وان للغة العربية من هذه المميزات الميزان الراجح ، والجواد القارح ، يعرف ذلك من اخذها بحق ، وجرى فيها على عرق ، فكان من مفرداتها على علم ، وضرب في أساليبها بسهم ، ومن آية ذلك لغير العارف ان اولئك الشراذم والأوزاع من أهلها قد حملوها الى الأمم ، التي كان للغاتها فى العلوم قدم ، ولم يحملوهم عليها بالإلزام ، ولا بالتعليم العام ، وكان من أمرها مع هذا أن نسخت

بطبيعتها لغة المصريين من مصرهم والرومانيين من شامهم واستعلت على الفارسية العذبة في مهدها وموطنها وامتد شعاعها الى الاندلس في غربي أوربا بعد ماطاف ساحل أفريقيا الشمالي والى جدار الصين من الشرق — كل ذلك في زمن قريب لم يعرف في التاريخ مثله للغة اخرى من لغات الفاتحين الذين يتخذون كل الوسائل لنشر لغاتهم وتعميمها بالتعليم العام وضروب الترغيب والترهيب

كانت لغة أميين وثنيين جاهليين فظهر فيها أكمل الأديان فكانت له أكمل مظهر ، وتجلى لها العلم فكانت له خير مَجْلَى ، وصارت بذلك لغة الدين والشريعة ، وعلوم العقل والطبيعة . ولكن عَدَتْ على أهلها عواد كونية ، وطرأت عليهم أمراض اجتماعية ، فضعف فيهم كل مقوّم من مقوّمات الامم الحية ، ومن تلك المقوّمات الحقيقية اللغة فقد فسدت ملكتها في الالسنة والتوى طريق تعليمها فى المدارس ، حتى كادت تكون من اللغات الدوارس

ظهر ضعف اللغة فى القرن الخامس وكانت في ريعان شبابها وأوج عزها وشرفها وكان أول مرض ألم بها الوقوف عند ظواهر قوانين النحو ومدلول الالفاظ المفردة والجمل المركبة والانصراف عن معاني الاساليب ، ومغازي التركيب ، وعدم الاحتفال بتصريف القول ومناحيه ، وضروب التجوز والكناية فيه ، وهذا ما بعث عزيمة الشيخ عبد القاهر الجرجاني امام علوم اللغة فى عصره الى تدوين علم البلاغة ووضع قوانين للمعاني والبيان كما وضعت قوانين النحو عند ظهور الخطأ في الاعراب فوضع هذا الكتاب في البيان ومن فاتحته يتنسم القارئ ان دولة الالفاظ كانت قد تحكمت في عصره واستبدت على المعاني وأنه يحاول بكتابه تأييد المعاني ونصرها ، وتعزيز جانبها وشد أسرها

كتب قبل عبد القاهر في مسائل من البيان بعض البلغاء كالجاحظ وابن دريد وقُدامة الكاتب ولكنهم لم يبلغوا فيما بنوه أن جعلوه فناً مرفوع القواعد مفتح الابواب كما فعل عبدالقاهر من بعدهم فهو واضع علم البلاغة كما صرح به بعض علمائها وان لم يذكر له هذه المنقبة المؤرخون الذين رأينا ترجمته في كتبهم حتى ان ابن خلدون الذي تصدى دون القوم للإلمام بتاريخ الفنون اهمل ذكره وزعم ان الذي هذب الفن بعد أولئك الذين كتبوا في مسائل متفرقة منه هو السكاكي • وماكان السكاكي الا عيالا على عبد القاهر تلاتلوه وأخذ عنه مع المخالفة في شئ من الترتيب والتبويب ولكنه لم يسلم من التكلف في بعض عبارته ، والتعقيد في بعض منازعه ، فاذا جاز لنا

ان نقول أنه فاق لتأخره بالترتيب المعلوم ، وبما حرره من الحدود والرسوم ، فاننا لاننسى من فضل المتقدم سلامة عبارته ، وصفاء ديباجته ، وغوصه على أسرار الكلام ، ووضع دررها في أبدع نظام ،

كان السكاكيّ وسطاً بين عبد القاهر الذي جمع في البلاغة بين العلم والعمل وأضرابه من البلغاء العاملين وبين المتكلفين من المتأخرين الذين سلكوا بالبيان مسلك العلوم النظرية ، وفسروا اصطلاحاته كما يفسرون المفردات اللغوية ، ثم تنافسوا في الاختصار والايجاز ، حتى صارت كتب البيان أشبه بالمعمّيات والالغاز ، فضاعت حدوده بتلك الحدود ، ودَرَسَتْ رسومهُ بهاتيك الرسوم ، وكان من أثر فساد ذوق اللغة اختيارُ هذه الكتب التي ملكت العجمة عليها أمرها على الكتب التي تهديك الى العلم الصحيح بمعانيها ، وتهدي اليك الذوق السليم بأساليبها ومناحيها ، فكادت كتب عبد القاهر تمحى وتنسخ ، وصارت حواشي السعد تطبع وتنسخ ، وهذا هو حظ العلم النافع اذا أتى الى الامة في طور التدلّي والضعف ، فمثل عبد القاهر في أسرار بلاغته ودلائل اعجازه كمثل ابن خلدون في مقدمته والسلطان سليمان العثماني في قوانينه

رب غذاء طيب نافع عافته النفس لمرض ألمّ بها حتى اذا نقهت أو ابلّت اشتهته وطلبته وهذا هو مثلنا أمس واليوم فقد كنا متفقين على أخذ العلم من كتب علمائنا المتأخرين كما يختار المريض الغذاء الضار فظهر فينا هداة مرشدون يسعون في احياء ما أماته الجهل من آثار سلفنا ومصنفات أئمتنا ويدلوننا على العلم الحيّ الذي تفجر من ينابيع النفوس الحية لنفرق بينه وبين الرسوم الميتة التي سماها الجهل علما

ولما هاجرت الى مصر في سنة ١٣١٥ لانشاء (المنار) الاسلامى ألفيت إمام النهضة الاسلامية الحديثة الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده رئيس جمعية احياء العلوم العربية ومفتي الديار المصرية اليوم مشتغلا في بعض وقته بتصحيح كتاب دلائل الاعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني وقد استحضر نسخه من المدينة المنورة ومن بغداد ليقابلها على النسخة التي عنده فسألته عن كتاب (أسرار البلاغة) للامام المذكور فقال انه لايوجد في هذه الديار فأخبرته بان في أحد بيوت العلم في طرابلس الشام نسخة منه فحثني على استحضارها وطبعها فطلبتها من صديقي الحميم العالم الأديب عبد القادر افندي المغربي وهي مما تركه له والده فلبى الطلب • وعلمنا ان نسخة أخرى من الكتاب في احدى دور الكتب السلطانية في دار السلطنة السنية فندبنا بعض

طلاب العلم الاذكياء لمقابلة نسختنا بتلك النسخة لنخرج لنا من مجموعهما نسخة صحيحة شرعنا في طبعها ووضعنا في ذيل المطبوع شرحاً لطيفاً ضبطنا فيه الكلمات الغريبة وفسرنا منها ومن جمل الكتاب ما رأيناه يستحق التفسير وأشرنا الى الخلاف بين النسختين ، فيما يحتمل صحة الاثنتين ،

أما كون عبد القاهر هو واضع الفن ومؤسسه فقد صرح به غير واحد من العلماء الاعلام أجلهم قدراً ، وأرفعهم ذكراً ، أمير المؤمنين، محيي علوم اللغة والدين، السيد يحيى بن حمزة الحسيني صاحب كتاب (الطراز ، فى علوم حقائق الاعجاز ،) فقد قال في فاتحة كتابه هذا وهو من أحسن ما كتب في البلاغة بعد عبد القاهر ما نصه:

« وأول من أسس من هذا الفن قواعده وأوضح براهينه ، وأظهر فوائده ورتب أفانينه » الشيخ العالم النحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجاني فلقد فك قيد الغرائب بالتقييد ، وهد من سور المشكلات بالتسوير المشيد ، وفتح أزاهره من اكمامها، وفتق أزراره بعد استغلاقها واستبهامها ، فجزاه الله عن الاسلام أفضل الجزاء، وجعل نصيبه من ثوابه أوفر النصيب والاجزاء ، وله من المصنفات فيه كتابان أحدهما لقبه بدلائل الاعجاز ، والآخر لقبه بأسرار البلاغة ، ولم أقف على شيء منهما ، مع شغفي بحبهما وشدة اعجابي بهما ، الا ما نقله العلماء في تعاليقهم منهما ، »

وأما مكانة هذا الكتاب وبيان ما يمتاز به على كتب البيان فحسبي عرضه على الانظار مع التنبيه على مسئلتين نافعتين (احداها) ان العلم هو صورة المعلوم مأخوذة عنه بواسطة الادراك كما تؤخذ الصورة الشمسية بالآلة المعروفة فان كان المعنى المنتزع من الجزئيات قانوناً كلياً يرشد اليها فهو القاعدة وان كان صورة تناسبها وتقربها من الفهم فهو المثل • (والثانية) ان القاعدة الكلية هي صورة اجمالية للمعلومات الجزئية والامثلة والشواهد صور تفصيلية لها • والتعليم النافع انما يكون بقرن الصور المفصلة بالصورة المجملة اذ بالتفصيل تعرف المسائل وبالاجمال تحفظ في العقل وبهذه الطريقة يجمع بين العلم والعمل الذي يثبت به العلم وهي طريقة عبد القاهر في كتابه هذا وكتاب دلائل الاعجاز على ان كلام الشيخ رحمه الله تعالى كله من آيات البلاغة فهو يعطيك علمها بمعانيه ، وعملها بمبانيه ، وبهذه المميزات يفضل هذا الكتاب جميع ما بين أيدينا من كتب الفن لانها انما تقتصر على سرد القواعد والاحكام بعبارات اصطلاحية ، تنكرها بلاغة الاساليب العربية ، ولا تذكر من الشواهد والامثلة الا القليل النادر، الذي أدلى به السابق الى اللاحق والاول الى الآخر ،

لهذا بادر الاستاذ الامام ، مفتي الديار المصرية في هذه الاعوام ، الى تدريس الكتاب في الازهر الشريف عقيب شروعنا في طبعه فأقبل على حضور درسه مع أذكياء الطلاب كثيرون من العلماء والمدرسين وأساتذة المدارس الاميرية ٠ وقد قال أحد فضلاء هؤلاء الاساتذين بعد حضور الدرس الاول « اننا قد اكتشفنا في هذه الليلة معنى علم البيان »

وقد ظهر للاستاذ في غضون التدريس والمطالعة اغلاط في الكتاب بعضها من الطبع وبعضها من تحريف النساخ في الاصل واغلاط أخرى في الهوامش فأحصيناها كلها من نسخته ووضعنا لها جدولا فى آخر الكتاب اتماماً للفائدة ٠ ومما يجب التنبيه عليه ان بعض تراجم فصول الكتاب هي من وضعنا فان المصنف رحمه الله تعالى كان يكتفي في كثير منها بكلمة (فصل) اه ويلي هذا ترجمة المصنف

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(فتح القدير شرح الهداية لمجتهد الحنفية في القرن السابع الكمال بن الهمام) يتعب طلاب فقه الحنفية عشرين سنة أو أكثر ليكونوا فقهاء في هذا المذهب فيضيع تعب الاكثرين سدًى لاشتغالهم بكتب المتأخرين المحشوّة بالفروع الشاذة وغير الشاذة والاضطراب في التصحيح والترجيح ولا يكون الانسان بهذه الطريقة فقيهاً ولو أفنى عمره في المدارسة ٠ وقد كان لهؤلاء بعض العذر قبل أن يطبع هذا الكتاب (فتح القدير) الذي هو أحسن كتب المذهب في تحرير المسائل وبسط أدلتها وارجاعها الى أصولها ٠ وقد كان العلماء يتنافسون في الاطلاع عليه حتى ان ابن عابدين المشهور ظفر بنسخة منه فاشتراها بوزنها ذهباً ٠ وقد كان طبع في الهند فطاب نسخاً منه أكابر فقهاء الحنفية فألفوه كما كان يقول أحدهم (الشيخ عبد الغنى الرافعي رحمه الله تعالى): توراة مبدّلة ٠ أي انه كثير الغلط والتحريف ٠ وقد طبعه أخير السيد عبد الواحد بك الطوبي وأخوه في المطبعة الاميرية واعتنىَ بتصحيحه وأضيف اليه تكملته المسماة (نتائج الافكار) للمولى شمس الدين أحمد المعروف بقاضي زاده ٠ ووضع في هامشه (شرح العناية على الهداية) لأكمل الدين البابرتي وحاشية سعدي چلبي المفتي الشهير فبلغ الجميع ثمانية مجلدات وجعل ثمنه ١٦٠ قرشاً و ١٦٥ من الورق النباتي ويطلب من مكتبة طابعيه في مصر فنوجه اليه أنظار الحنفية عامة وأهل الهند خاصة

(جواهر الانشاء) أنشأ أخونا الاستاذ الفاضل الشيخ طنطاوي جوهري مدرس العربية في المدرسة الخديوية نبذا وفصولا فى موضوعات مختلفة لتكون تمريناً للتلامذة على الكتابة والانشاء ٠ ثم ضم اليها بعض الاحاديث النبوية فى الفضائل ومحاسن الاعمال وشيئاً من الحكم المنثورة ومن الاشعار المختارة فى الآداب ومنها نظم ملخص من كتاب أدب الدنيا والدين وسمى هذه المجموعة [جواهر الانشاء] وقد طبعت فى مطبعة الترقى الشهيرة بالاتقان وثمنها قرشان وهي ٩٠ صفحة وتطلب من مكتبة الترقي ومن حضرة ملتزم طبعها توفيق افندى كاشف بشارع بركة الفيل -

(رسالة الشيرازي في علم الاخلاق) هي رسالة مختصرة مفيدة في الأخلاق والآداب سهلة العبارة اعتنى بطبعها المحامي الفاضل الأديب عبد العليم افندي صالح ولا يعرف مؤلفها وربما يتبادر الى الذهن انها للشيخ أبى اسحق وما هي له فيما يظهر من اهدائها فى فاتحتها ٠ على ان العبرة بالقول لا بالقائل والرسالة نافعة فى بابها وهي ثلاثة أقسام أحدها في الاصول الكلية لعلم الاخلاق وثانيها فيما يجري مجرى الأمثال السائرة ، من الكلمات النادرة ، وثالثها في محاسن أخلاق الملوك وآداب اتباعهم وحواشيهم وهذا القسم يدلنا على استبداد الملوك في ذلك العصر واقرار العلماء على ذلك ٠ فنشكر لطابعها فضله في احياء هذه الآثار الاخلاقية التي نحن أشد حاجة اليها من سائر العلوم ونحث الناس على قراءة هذه الرسالة وثمنها قرشان

(تاريخ حرب الدولة العثمانية مع اليونان) كما يجب على الانسان أن يعرف نفسه من حيث هو شخص يجب عليه أن يعرفها من حيث هو أمة أي عضو من أمة شرفه بشرفها ومهانته بمهانتها والأمم الحية تعتنى بتاريخها فتعلمه أولادها بالتفصيل وتاريخ سائر الأمم والدول بالاجمال ولكننا نرى أكثر المسلمين يجهلون تاريخ الاسلام وأكثر العثمانيين يجهلون تاريخ الدولة العلية ولآل العظم فضل على الفريقين بالعناية بالتأليف في التاريخين فاذا كان رفيق بك العظم مشغولا بتأليف تاريخ (أشهر مشاهير الاسلام) فحقى بك العظم الفاضل مشغول بتاريخ الدولة العلية فبعد أن الف كتاب (دفاع بلفنا) وطبعه الف لنا كتاب تاريخ الحرب العثمانية اليونانية بالتفصيل وطبعه فجاء كتاباً حافلا صفحاته ٢٢٥ وفيه مباحث تاريخية واجتماعيه نافعة منها بحث « اللغة تحفظ كيان الشعب » ومنها التعريف بمقدمات الحرب وأسبابها والجمعية الوطنية اليونانية ومنها تعليل الحوادث والوقائع ونتائجها وختمه بنظرة سياسية في موقف الدولة العلية قبل الحروب وبعدها وأحوال البانيا ومكدونيا واحتياج الدولة للرجال الاكفاء

وسبب سكوت الدوله عنها الآن . والكتاب مطبوع في مطبعة الترقى على ورق جيد ويطاب منها ومن ادارة المنار وثمنه عشرة قروش أميرية

(البيان) مجلة أخبارية تاريخية تصدر مرة في الشهر باللغتين العربية والاوردية لمنشئها الفاضل الشيخ عبد الله العمادي وصاحب امتيازها المولوي عبد الولي بن الفاضل الراسي عبد العلى المدراسى » . والغرض منها جمع كلمة الامة الهندية ، واحياء الفضائل العربية ، ومن المباحث النافعة فيها نبذة (الحضارة والهند) شكا فيها الكاتب من فقر الامة وقلة الكسب وكثرة الاتاوات والضرائب وهي نحو ٥٠٠ مليون روبية . منها ١٦٠ مليوناً من الخراج و٨٥ مليوناً من الملح و٣٥ مليوناً من القراطيس القضائية و٥٥ مليوناً من الخمور و٣٥ مليوناً من الزيادات الخراجية و٥ ملايين من التسجيل (السيكورتاه) . ومنها نبذة في مقاصد ندوة العلماء لم تتم ولعلنا نلخصها بعد تمامها ونرجو لهذه المجلة الرواج فقيمة الاشتراك فيها ٨ روبيات فى الهند و٣٠ غرشاً او ٦ شلينات فى الخارج

(تنبيه) ضاق هذا الجزء عن باب الاخبار النبوية وآثار السلف وعن الاخبار والآراء والبدع والخرافات

للشاعر المجيد مصطفى افندى صادق الرافعي (فى الساعه)

تضرب كالقلب شفّه السقم ... كأن فيها الهموم تضطرم
ذات محيا أظل اقرأ من ... خطوطه مايخطه القلم
* الفتها لا أذم صحبتها ... وعيَّ بي في اصطحابها السأم
وما أراها سوى الزمان أما ... يدور فيها النعيم والنقم
تذكرني ما مر من عمري ... فكل يوم يجد لى ندم
ما إن تراعى لأهلها ذمما ... ان رعيت عند أهلها الذمم
وليس انّما سعت عقاربها ... يدب في غير مهجتي الألم
ولا اذا اعجلت فجائعها ... في غير ضيق القلوب تزدحم
يا أخت ذات البروج هل حجبت ... طوالع السعد هذه الظلم
كأنها والخطوب تكتمها ... سر بقاب الزمان منكتم
وهل تعود الجدود ثانية ... من بعد هذا العبوس تبتسم
ما أنبت الهم في الصدور اذا ... أمست ليالي الحياة تنهزم
وهذه الدار كلها تعب ... سيان فيها الوجود والعدم
والناس كالنائمين مالبثوا ... فكل ما يشهدونه حلم
أبدع ذات العماد مبدعها ... فأين راحت بأهلها ارم

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

المنار
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر فى يوم الجمعة غرة صفر سنة ١٣٢٠ — ٩ مايو (أيار) سنة ١٩٠٢)

القسم الديني

﴿ باب تفسير القرآن الحكيم ﴾

(مقتبس مما يلقيه في الازهر مولانا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصريه)

« وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ »

تقدم في التمهيد الذي نشرناه في الجزء الماضي ان الآيات متصلة بما قبلها من الكلام في الكتاب ومن جاء به ومن دُعِيَ اليه فهي من جهة تُجَلِّي حجة الرسول ودعوته لأن الملائكة اذا كانوا محتاجين الى العلم ويستفيدونه بالتعلم من الله تعالى بالطريقة التي تناسب حالهم فالبشر أولى بالحاجة الى ذلك منهم لأن طبيعة البشر جبلت على أن يكتسبوا كل شيء اكتساباً . ومن جهة أخرى تسلّي النبي صلى الله عليه وسلم ببيان ان البشر أولى من الملائكة بانكار مالم يحيطوا بعلمه حتى يعلموا وأنهم جبلوا على أن يتوبوا ويرجعوا

بعد ان يخطؤا ويذنبوا وأن الإفساد في الأرض وجحود الحق ومناصبة الداعي اليه ليس بدعاً من قومه وانما هو من جبلّة الأولين وطبيعة النوع

ثم الكلام في تفسير الآيات بالتفصيل : للمفسرين في (الخليفة) مذهبان — ذهب بعضهم الى أن هذا اللفظ يشعر بأنه كان في الأرض صنف أو أكثر من نوع الحيوان الناطق وانه انقرض وان هذا الصنف الذي أخبر الله الملائكة بأن سيجعله خليفة في الأرض سيحلّ محله ويخلفه كما قال بعد ذكر اهلاك القرون « ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم » . وقالوا ان ذلك الصنف البائد قد أفسد فى الأرض وسفك الدماء وان الملائكة استنبطوا سؤالهم بالقياس عليه لأن الخليفة لا بد أن يناسب من يخلفه ويكون من قبيله كما يتبادر الى الفهم . ولكن لا دليل على أنه يكون مثله من كل وجه وليس ذلك من مقتضى الخلافة ولذلك أجاب الله الملائكة بأنه يعلم مالا يعلمون مما يمتاز به هذا الخليفة على من قبله وما له سبحانه في ذلك من الحكمة البالغة . (قال الاستاذ) واذا صح هذا القول فليس آدم أول الصنف العاقل من الحيوان على هذه الأرض وإنما كان أول طائفة جديدة من الحيوان الناطق تماثل الطائفة أو الطوائف البائدة منه في الذات والمادة وتخالفها في بعض الاخلاق والسجايا

هذا أحسن ما يُجَلَّى فيه هذا المذهب وأكثر ماقالوه فيه قد سرى الى المسلمين من أساطير الفُرس وخرافاتهم ومنه انه كان في الأرض قبل آدم خلق يسمون بالحنّ والبنّ أو الطمّ والرمّ . والاكثرون على ان الخلق الذين كانوا في الارض قبل آدم مباشرة كانوا يسمون الجن والقائلين منهم بالحن (بالمهملة) والبن قالوا انهم كانوا قبل الجن . وقالوا ان هؤلاء

عاثوا في الارض فساداً فأبادهم الله (كما تقدم آنفاً) وقالوا ان الله تعالى أرسل اليهم ابليس في جند من الملائكة فحارب الجن فدمّرهم وفرقهم في الجزائر والبحار . وليس لهم سند يحتج به على هذه القصص ولكن تقاليد الامم الموروثة فى هذه المسئلة تنبئ بامر ذي بال وهى متفقة فيه بالاجمال الا وهو ما قلناه من ان آدم ليس أول الاحياء العاقلة التى سكنت الأرض

هذا هو المذهب الأول في تفسير الخليفة . وذهب الآخرون الى أن المراد إني جاعل في الأرض خليفة عني ولهذا شاع ان الانسان خليفة لله في أرضه . وقال تعالى « ياداود إنّا جعلناكَ خليفة في الارض » والظاهر — والله أعلم — أن المراد بالخليفة آدم ومجموع ذريته ولكن مامعنى هذه الخلافة ؟ وما المراد من هذا الاستخلاف هل هو استخلاف بعض الانسان على بعض أم استخلاف النوع على غيره ؟

جرت سنة الله في خلقه بأن تعلم أحكامه للناس وتنفذ فيهم على ألسنة أناس منهم يصطفيهم ليكونوا خلفاء عنه في ذلك . وكما ان الانسان أظهر أحكام الله وسننه الوضعية (أي الشرعية لأن الشرع وضع الهي) كذلك أظهر حكمه وسننه الخلقية الطبيعية فيصح أن يكون معنى الخلافة عاماً في كل ما ميّز الله تعالى به الانسان على سائر المخلوقات

نطق الوحي ودلّ العيان والاختبار على ان الله تعالى خلق العالم أنواعاً مختلفة وخصّ كل نوع غير نوع الانسان بشيء محدود معين لا يتعداه . فأما مالاندريه الا من طريق الوحي كالملائكة فقد ورد في الآيات والاحاديث مايدل على ان وظائفه محدودة قال تعالى: « يُسَبِّحونَ اللّيلَ والنّهارَ لا يَفتُرُونَ — وَإنّا لَنحنُ الصافُّونَ وإنا لنحن المُسبِّحُون — والصّافّاتِ صفّاً

فالزَّاجراتِ زَجرًا فالتَّالياتِ ذكرا — والنَّازِعَاتِ غرْقاً والنَّاشِطاتِ نشطا والسَّابحاتِ سَبْحاً فالسابقاتِ سبقاً فالمُدبِّراتِ أمْرًا » الى غير ذلك مما يدل على انهم طوائف لكل طائفة وظيفة محدودة . وورد في الأحاديث ان منهم الساجد دائماً والراكع دائماً الى يوم القيامة

وأما مانعرفه بالنظر والاختبار فهو حال المعدن والجماد ولا علم له ولا عمل وحال النبات وإنما تأثير حياته في نفسه فلو فرض ان له علما وإرادة فهما لا أثر لهما في جعل عمل النبات مبيناً لحكم الله وسننه في الخلق ولا وسيلة لبيان أحكامه وتنفيذها . فكل حيّ من الاحياء المحسوسة والغيبية فإن له استعداداً محدوداً وعلما إلهامياً محدوداً وعملا محدوداً وما كان كذلك لا يصلح ان يكون خليفة عن الذي لاحد لعلمه وإرادته ولا حصر لأحكامه وسننه ولا نهاية لأعماله وتصرفه

أما الإنسان فقد خلقه الله ضعيفاً كما قال في كتابه وخلقه جاهلاً كما قال « واللهُ أخرجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لاَ تَعْلَمونَ شَيْئًا » ولكنه على ضعفه وجهله عبرة لمن يعتبر وموضع لعجب المتعجب لأنه يتصرف بالأقوياء ، ويعلم جميع الاسماء ، يولد الحيوان عالماً بالالهام ماينفعه ومايضره وتكمل له قواه في زمن قليل ويولد الانسان وليس له من الالهام الا الصراخ بالبكاء ثم يحسّ ويشعر بالتدريج البطئ بالنسبة الى غيره من الحيوان ويعطى قوة أخرى تتصرف بمدركات شعوره وإحساسه تصرفاً يكون له به السلطان على هذه الكائنات فيسخرها ويذلها بعد ذلك كما يشاء . تلك القوة الغريبة هي التي يسمونها العقل ولا يعقلون سرها ، ولا يدركون حقيقتها وكنهها ، فهي أنني تغني الانسان عن كل ماوهب للحيوان في أصل

الفطرة من الكساء الذي يقيه البرد والحر والاعضاء التي يتناول بها قوته والتي يدافع بها عن نفسه ويسطو بها على عدوّه وغير ذلك من المواهب التي يعطاها الحيوان بلا كسب حتى كان له بها من الاختراعات العجيبة ما كان ، وسيكون له من ذلك مالا يصل اليه التقدير والحسبان

فالانسان بهذه القوة غير محدود الاستعداد ولا محدود الرغائب ولا محدود العلم ولا محدود العمل فهو على ضعف أفراده يتصرف بمجموعه في الكون تصرفاً لاحدَّ له باذن الله وتصريفه . وكما أعطاه الله تعالى هذه المواهب والاحكام الطبيعية ليظهر بها أسرار خليقته وملَّكه الأرض وسخر له عوالمها أعطاه أحكاماً وشرائع حدَّ فيها لاطلاقه حدًّا يحول دون بغي أفراده وطوائفه بعضهم على بعض فهي تساعده على بلوغ كماله لانها مرشد ومربٍّ للعقل الذي له كل تلك المزايا . لهذا كله جعله خليفته في الأرض وهو أخلق المخلوقات بهذه الخلافة

ظهرت آثار الانسان في هذه الخلافة على الأرض ونحن نشاهد عجائب صنعه في المعدن والنبات وفي البر والبحر فهو يتفنن ويبدع ، ويكتشف ويخترع ، ويجد ويعمل حتى غير شكل الأرض فجعل الحزن سهلا ، والماحل خصبا ، والخراب عمرانا ، والبراري بحاراً أو خلجانا ، وولّد بالتلقيح أزواجاً من النبات لم تكن كالليمون المسمَّى (يوسف افندي) فان الله تعالى خلقه بيد الانسان وأنشأه بكسبه . وقد تصرف في أبناء جنسه من أنواع الحيوان كما يشاء بضروب التربية والتغذية والتوليد حتى ظهر التغير في خلقها وخلائقها واصنافها فصار منها الكبير والصغير ومنها الأهلي والوحشيّ وهو ينتفع بكل نوع منها ويسخره لخدمته كما سخر القوى

الطبيعية وسائر المخلوقات

أليس من حكمة الله الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ان جعل الانسان بهذه المواهب خليفته فى الأرض يقيم سننه ويظهر عجائب صنعه وأسرار خليقته وبدائع حكمه ومنافع أحكامه ؟ وهل وجدت آية على كمال الله تعالى وسعة علمه أظهر من هذا الانسان الذى خلقه الله فى أحسن تقويم ؟

واذا كان الانسان خليفة بهذا المعنى فكيف تعجب الملائكة منه « وإذ قال ربك للملائكة إنّي جاعل فى الأرض خليفة » بادروا الى السؤال واستفهام الاستغراب و« قالوا أتجعلُ فيها مَنْ يُفسدُ فيها ويسفكُ الدماء » فيغفل بذاك عن تسبيحك وتقديسك « ونحن نسبّحُ بحمدكَ ونقدّسُ لك » بلا غفلة ولا فتور ؟ لاشك ان هذا السؤال نشأ من فهم المعنى المراد من الخليفة وما يقتضيه من العلم غير المحدود والارادة المطلقة وكون هذا العلم المصرف للارادة لايحصل الا بالتدريج وكون عدم الاحاطة مدعاة للفساد والتنازع المفضي الى سفك الدماء (كما تقدم في التمهيد فى الجزء الماضي) نعم إنَّ هذا العلم الواسع لا يعطاه فرد من أفراد الانسان ولا مجموع النوع دفعة واحدة فيشابهَ علم الله تعالى وكلما أوتي نصيباً منه ظهر له من جهله مالم يكن يعلم فهو على سعة علمه لم يؤت من العلم الالهيّ الا قليلا وهو مع ذلك أكمل مظاهر العلم الالهي ولذلك اجاب الله الملائكة بالعلم « قال إني أعلم مالا تعلمون » فأثبت لذاته العلم بحكمة هذه الخلافة ونفاه عنهم ثم أظهر لهم ان الانسان يكون خليفة بالعلم وما يتبعه فقال « وعلم آدم الاسماء كلها » وسيأتي تفسير ذلك في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

« باب العقائد من الأمالي الدينية »

(الدرس ٤٣ — الاجوبة عن شبهات العصمة)

(المسئلة ٩٠) معصية آدم عليه السلام علمنا ان مذهب جمهور أهل السنة ان الانبياء معصومون بعد النبوّة لاقبلها فلا تردُ معصية آدم على هذا المذهب لأنه لم يكن نبيا حين عصى ربه بل لم يكن فى طور التكليف الا بالنسبة الى النهي عن الأكل من الشجرة . ولا ترد أيضاً على ما اختاره المتأخرون من عصمتهم قبل النبوة (وان كان يلزم منه ان هناك أحكاما قبل التشريع والوحي) لأن الدليل العقلي الذي يمكن أن تثبت به هذه العصمة لايأتي في مسئلة آدم وهو ان يكون من اختاره الله للنبوة معروفا فى قومه بمكارم الاخلاق وأحاسن الافعال لان سيء السيرة ممقوت منبوذ تحفظ مساويه وجرائمه فتحول دون قبول دعوته وكون هذا لايجيء فى مسئلة آدم بديهيّ لايحتاج الى بيان . فان قيل ان الدليل يرشد الى ان فطرة لانبياء زاكية ونفوسهم عالية فهم ينفرون من المعاصي والجرائم بوازع نفسي راسخ فيهم كما علم من إثبات النبوّة والوحي فكيف يقترف آدم تلك المعصية مع كونه خلق فى أحسن تقويم وأكمل صفة ؟ والجواب ان صاحب النفس الزاكية ترفأ به نفسه عن تعمد إتيان المنكر وارتكاب الفاحشة التي يعرف مضرتها وسوء عاقبتها وآدم لم يتعمد المخالفة بدليل قوله تعالى « ولقدْ عَهِدْنا الى آدمَ مِن قبل فَنَسِيَ » ولم يكن عالما بوجوه مضرتها لتنفر فطرته منها بل كان يعتقد صدق الشيطان الذى وسوس اليه بأنها شجرة الخلد وملك لايبلى فهذا الاعتقاد دفعه عند نسيان النهي الى الأكل

ليكون مظهراً لهذا النوع الذي هو أبوه وليعلم من بعده من ولده غير المعصومين مايجب على من عصى ربه من التوبة والانابة الى الله تعالى

على أن في قصة آدم وجهاً في التأويل، بأنها وردت، ورد التمثيل، لاظهار طبيعة النشأة البشرية، في اطوارها التدريجية، فالجنة والعيش الرغد فيها مثل لما كان عليه النوع البشري في طور السذاجة الأولى وعصيان آدم وهبوطه هو وزوجه من الجنة مثل لدخول البشر في طور المخالفات التي تجر عليهم الشقاء والبلاء. والتوبة والمغفرة مثل لطور الكمال الكسبي والارتقاء العلمي والعملي. (سيأتي إيضاح ذلك في باب التفسير المقتبس من مفتي الديار المصرية)

(م ٩١) قصة داود عليه السلام ولع بالاسرائيليات بعض الذين اشتغلوا بتفسير القرآن بالمأثور فألصقوا بالقرآن ما تلقفوه من أهل الكتاب لأدنى مناسبة ولولا ذلك لما كنا محتاجين الى الجواب عن هذه الشبهة بعد ما قررنا في الدرس الماضي الفرق بين ذنوب الأنبياء وبين المعاصي الحقيقية التي عصمهم الله تعالى منها

القرآن مهيمن على الكتب السماوية لأنه ثابت بالتواتر دونها فما أثبته فهو الثابت وما نفاه فهو المنفي وقصة داود مع الخصم ليس فيها بحسب نصّ القرآن الا ان اجتهاد داود اختلف في قضيتين متشابهتين فعرفه الله خطأ الاجتهاد الأول بما هداه اليه في الثاني لأن خطأ الانبياء في اجتهادهم لا يقرّون عليه كما تقدم في الدرس الماضي عن البيضاوي. هذا اذا كان لقصة المرأة أصل والا فان قضية الخصمين اللذين تحاكما الى داود عليه السلام ليست نصاً في انه أخطأ في قضية أو تزوج امرأة بعد ما عرّض زوجها

للقتل او غير ذلك مما يزعمون. القضية ان احد الخصمين له تسع وتسعون نعجة وللآخر نعجة واحدة فطلب الأول أن يضمها الى نعاجه وحاجّ صاحبها في بيان ان ذلك هو الصواب والأولى فعزّه وغلبه في الخطاب والكلام فحكم داود بان صاحب التسع والتسعين ظالم وان من شأن الخلطاء البغي. ولكن ختمَ النبأ بقوله تعالى «وظنَّ داودُ أنَّما فتنّاه فاستغفرَ ربَّه وخرَّ راكعاً وأناب. فغفرنا له ذلك وإنَّ لهُ عندنا لزُلفى وحُسنَ مآب» يدل على أن وراء القضية او فيها هفوة لداود. ولقائل ان يقول: يحتمل ان تلك الهفوة في نفس الحكم فانه لا يبعد أن يكون الصواب ضم النعجة الى القطيع لتحفظ وتأتي بالنسل وأن بقاءها عند صاحبها مضيعة لها فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية كما ورد في الحديث الشريف. واعتراف المدعي بأن خصمه عزّه في الخطاب دليل على انه لم يطلبها الا بحق وبعوض كثمن المثل او منفعة أخرى من اللبن او النسل

وفي البيضاوي وغيره احتمال آخر في التأويل مروي وهو ان الذين تسوروا المحراب كانوا يقصدون اغتيال داود في يوم انفراده فوجدوا عنده قوماً فتصنّعوا بالتحاكم فعلم غرضهم وقصد أن ينتقم منهم ثم لم يجد مسوغا شرعيا فعاتب نفسه وظن أن الله تعالى أراد ابتلاءه واختباره بذلك فاستغفر ربه مما همّ به لأن ذلك ذنب بالنسبة الى مقامه

واذا كان لقصة امرأة أوريا أصل فيجب أن يكون مطابقا لقضية الخصمين بأن يكون داود اعتقد أن امرأة جميلة في بيت جندي فقير حلف أسفار لاتسلم من تطلع السفهاء وتعرّض الفجار وأن الطريقة المثلى لصيانتها هي ان تكون في بيت النبوّة والملك وأنه كلم زوجها في أن

يكفلها فأقنعه وعزّه في الخطاب، لأن هذا هو الصواب، وإنما استغفر داود من ذلك لأنه ظن أن اجتهاده في أمر المرأة مشوبٌ بشيء من ميل النفس الى كفالتها وان هذا الميل هو الذي رجّح في نفسه الرأي الأول بدليل أنه ظهر له خلافه في قضية تشابه الأولى ومثل هذا يعده هؤلاء الكمَلَةُ ذنباً وإن لم يكن فيه مخالفة لأمر الله تعالى وحيد عن شريعته .

ومن تأمل ماتقدم القصة وما تأخر عنها من الثناء على داود عليه السلام علم ان القرآن يتنزه في حكمته وبلاغته أن يكون ذكر الفاحشة فيه محتفا بهذا الثناء والاطراء . ويقال ان تنازل الرجل عن امرأته لآخر ليتزوج بها كان مشروعاً عندهم . وقد آثر الانصار المهاجرين (رضي الله عنهم أجمعين) بزوجاتهم فكان من عنده امرتان يطلق احداهما ليتزوج بها أخوه المهاجر . وفي القصة روايات كثيرة في كل فرع من فروعها لا يعبأ بها أهل العقل ولا أهل النقل . فان قبلنا منها شيئاً فلنقبل مايوافق قواعدنا الثابتة كرواية ان أوريا لم يكن متزوجاً بالمرأة وانما كان خاطباً ورواية نهى الأمام علي كرم الله وجهه عن التحديث بالقصة على مايرويه القصاص ووعيده من خالف بجلد مائة وستين جلدة وذلك حد الفرية على الأنبياء عليهم السلام

(م ٩٢) الشبهة الاولى على سليمان عليه السلام حاسب الله القصاص فلقد شوهوا كتب التفسير بقصصهم . استعرض سليمان نبيّ الله وملك بني اسرائيل الخيل وهو نعم العبد « إِذْ عرِض عليه بالعَشِيّ الصافِناتُ الجياد . فقال أني أحبَبْتُ حب الخير » المعقود بنواصي الخيل لا عن هوى نفسي ولكن « عَنْ ذكر ربي » ووحيه الذي أمر برباط الخيل للدفاع عن الحق . فما زالت تعرض « حتَّى توَارَتْ بالحجاب » فقال « ردُّوها عليّ » لأراها

مقبلة ومدبرة أو لاختبر حالها فقد قيل إنه كان عالماً بها وبأمراضها أو لا تمتع بمسح سوقها وأعناقها فردُّوها عليه « فَطَفِقَ مَسْحا بالسُّوقِ والاعْناق » كما هو شأن محبّي الخيل في كل جيل وزمان . فأي دليل أم أية شبهة في هذه الآيات على ان سليمان عليه السلام ترك صلاة العصر شغلاً بالخيل حتى غربت الشمس وأنه انتقم منها بقطع سوقها وأعناقها — ولو كان المسح هو القطع لكان قوله تعالى « فامسحوا برؤسكم وأرجلكم » بمعنى اقطعوها — وأن قوله ردّوها عليّ خطاب للملائكة الموكلين بالشمس يأمرهم بردها بعد غروبها ليصلّي العصر وأيّ حاجة لتطويل الفقهاء البحث في هذه الصلاة هل هي أداء أم قضاء ؟؟ ولكن هذا قضاء الله في قوم اشتغلوا عن لباب العلم بلوك القشور، أَلَا الى الله تصير الامور

(م ٩٣) الشبهة الثانية على سليمان عليه السلام رووا في تفسير قوله تعالى « ولَقَدْ فَتَنَّا سلَيْمانَ وأَلقَيْنا على كُرْسيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَاب » روايات مضطربة متعارضة فاذا حكّمنا علم الرواية فانَّنا نقبل رواية البخاري ومن وافقه وملخصها ان سليمان قال لأطوفنّ الليلة على أربعين امرأة (من نسائه) تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فلم تحمل منهن الا واحدة جاءت بشق رجل فألقي على كرسيه عرضا عليه وسمي جسداً لانه ليس إنساناً كاملاً فكان ذلك فتوناً واختباراً من الله تعالى له فأناب اليه وتاب ان يجزم بشيء دون الاستثناء بمشيئته فأين التماثيل وعبادة الاصنام ووثبان الشياطين على كرسيّ الملك وما أشبه هذا الهذيان الذي رووه ؟؟

(م ٩٤) الشبهة على عصمة يوسف عليه السلام ان ماجرى ليوسف مع امرأة العزيز كان قبل نبوته وليس فيما قصه الله تعالى علينا الا أنه « همّ بها

لولا أن رأى برهان ربّه فيجوز أن يكون جواب لولا محذوفاً دلّ عليه ما قبله فتكون الآية ناطقة بأنه لم يهمّ وبعض النحاة جوّز تقديم جوابها أي انه لولا رؤية برهان ربّه لهمّ بها لتوفّر الدواعي ولكنه رأى من تأييد الله له بالبرهان ماصرف عنه السوء والفحشاء فلم يهمّ . ولو فرضنا ان الجواب « لغشيها » وأنّ الهمّ وقع منه لكان لنا ان نقول ان الأنبياء ليسوا معصومين من حديث النفس ومراودة الشهوة البشرية ولكنهم معصومون من طاعتها والانقياد اليها ولو لم توجد عندهم داعية الى خطأ لما كانوا مأجورين على ترك المنكرات والمعاصي لأنهم يكونون مجبورين على تركها طبعاً والعنين لا يؤجر ويثاب على ترك الزنا لأن الأجر لا يكون الا على عمل والترك بغير داعية ليس عملا وأما الترك مع الداعية فهو كفّ النفس عما تتشوّف اليه فهو عمل نفسي

(م ٩٥) الشبهة على أخوة يوسف لاشك ان أخوة يوسف قد ارتكبوا المعصية المشتملة على عدة معاصي ولكنهم لم يكونوا أنبياء . وأما ذكر الاسباط فيمن أوحى الله تعالى اليهم من الانبياء فالمراد به (والله أعلم) أنبياء الاسباط وهم فرق بني اسرائيل الاثنى عشر قال تعالى « وقطّعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً » وقد بعث الله فى كل أمة من هؤلاء الاسباط أنبياء وأوحى اليهم فعل الخيرات وهداية بني اسرائيل . وما رواه ابن جرير الطبري من استغفار يعقوب لهم فى وقت السحر وتأمين يوسف عليهما السلام وان الله استجاب له على رأس العشرين سنةً من دعائه وأوحى اليه انه غفر لهم « وعقد مواثيقهم على النبوة » فهو غير صحيح

هذا هو الحق فى هذه القصص وقد انكشفت به الشبه فينبغي ان يلقن للمسلمين فى الدروس ويعلم للأطفال لكيلا يغترّ أحد بما فى كتب العهد

العتيق التي يسمونها التوراة وبما حشي فى كتب قصص الأنبياء وبعض التفاسير من الاسرائيليات والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿ لاوثنية فى الاسلام ﴾

(نبذة من الجزء الثاني من كتاب أشهر مشاهير الاسلام الذي يطبع الآن)

« رأيت ماقاله عمر رضي الله عنه لكعب الاحبار وهو قول لانحب ان يفوتنا البحث فيه لهذا رأينا أن نفرد له هذا الفصل فنقول(١)

أولع الانسان بالافراط كما أولع بالتفريط في كل شؤونه الروحية والجسمانية ولو أنصف واعتدل ولم يطلق لنفسه العنان ليبلغ مقام الملائكة في أعلى عليين أو يهبط بها الى مقر الشرور في أسفل سافلين لكانت السعادة الدائمة به ألزم وطريق النعيم الحيويّ لديه أوسع ولما احتاج الى كثير من هذه القوانين وقوّامها وزعماء السيطرة وجنودهم والحكام وأعوانهم والسجون وحراسها بل ولكان اكتفى بدين واحد قويم وشرع آلهيّ مستقيم ولم يشوّه وجه الشرائع ولم يدع لتعدد الاديان وارسال الرسل في آن وآن

أجل أولع الانسان بالشطط حتى في العقائد فبينا يكون هذا في طرف التفريط مارقاً من كل دين منكراً لكل نحلة هائماً في المادة التي يتناولها حسه وينكر مافوقها عقله يكون الآخر مسلما لعقيدته بما لا يبعد طبعه عن طبيعته طالباً بخياله مايظن له قدرة فوق قدرته وسلطة أعلى من سلطته وأوّل مايلاقيه في طلبه يعلق بقلبه ويظنه منتجع عقله والغاية التي

(١) يريد قول عمر لكعب « ضاهيت والله اليهودية ياكعب وقد رأيتك وخلعك نعليك » وذلك حين استشاره في أمر قبلة المسجد فأشار بجعل المصلى الى الصخرة

يطلبها في سيره فتولع به نفسه ويقوى فيه أمله ويختص به عمله فيغلو في عبادته غلو الماديّ في مادته حتى يساويه من طرف الافراط بالتوجه تارة للأقمار وأخرى للأشجار وآونة للأحجار ووقتاً للارواح وآخر للأشباح الى غير ذلك مما هو داخل في المادة قريب من متناول الحس . فكأن العقل الانساني في حال الايمان والكفر أسير المادة لايفات من شرك الحس ولا يذعن الى مافوق المادة ويصعد الى أفق الكمال الا هنيهة ريثما يتلقى برهان ربه بواسطة الانبياء ويطمئن الى التسليم بقوة آلهية تفوق قوى المادة وتعلو عن العقل وتحكم على الكائنات تحكم الصانع المختار ثم لايلبث أن ينحط عن هذه المرتبة فيعود الى نحيزته الاولى للهبوط الى هوة النقص والتوجه الى مظاهر المادة ولو تدريجاً حتي يلتصق بالحضيض ويعود الى الشرك وهو يظنه الايمان ويخاله منتهى العبادة وإن من دين الأصيب أهله بهذا المصاب وأشركوا مع الله الارواح تارة وأخرى الانصاب توسلا اليه على زعمهم بالحس وارتياحاً الى ماتحت النظر والعقل والله سبحانه وتعالى فوق مايتصورون ليس من المادة ولا المادة منه بل هي مخلوقة له مفتقرة اليه وليس بينه وبين خلقه سبب منها يتوصل به اليه بل هو كما قال في كتابه الكريم (الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم لاتأخذه سنةٌ ولانوم له مافى السموات ومافي الارض من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) الآية

ومن الثابت أن العرب كانوا على دين ابراهيم الذي هو كباقي الاديان الآلهية دين التوحيد بالله والايمان بأنه تعالى خالق الكون وما فيه وإنكار ما دون ذلك من الاعتقاد بشئ من المادة ومن التمسك في العمل بأهداب الشرك ولكن لم يلبثوا أن تدرجوا في مدارج المادة وهبطوا الى حضيض

الشرك وتدرجوا من الاعتقاد بالارواح الى الاعتقاد بالاشخاص ثم الى الاعتقاد بالانصاب والاحجار وغير ذلك مما هو داخل في المادة واقع تحت الحس وهم مع ذلك كانوا يزعمون انهم مؤمنون لا مشركون وانهم بعبادة المادة يعبدون الله ويتقربون بها اليه كما أخبر عن ذلك القرآن بقوله تعالى « ما نعبدهم الا ليقرّبونا الى الله زُلفى » وهذا من الاغراق في الجهل والانحطاط في العقيدة والافساد لاصل التوحيد ولم يكن هذا الافساد قاصراً على العرب فقط بل عم سائر أرباب الاديان مما لامحل لبسطه الآن



اذا تمهد هذا علمنا ان الاسلام بما جاء به من آيات التوحيد الخالص من كل شائبة من شوائب الشرك انما جاء لاستئصال شأفة الوثنية من نفوس العرب وغيرهم من أرباب الاديان بمحو شائبة الاعتقاد بأي أثر من آثار المادة وصرف النفوس عن التوجه الى تلك الآثار بالحس لتتوجه الى واجب الوجود بالضمائر والاكتفاء باستحضار هيبة جلاله في القلب وتمكين الاعتقاد بأن الأثر الواقع تحت الحس إنما يقوم قوامه بالمؤثر المستحضر في الضمير الخارج عن الحس اذ بغير هذا لايقوم للتوحيد أثر متين في النفس ينجي من مزلة القدم الى الوثنية المفضية الى الشرك المؤدي الى الجحود وانما الانسان مادة وهذه أعراض منها تنمو وتعظم في النفس ما دامت النفس مستشعرة بشئ من وجوب التعظيم لغير الله تعالى والتوجه لأيّ أثر من آثار المادة وساء منقلب الظالمين

هذا هو التوحيد الذي جاء به الاسلام ودعا اليه النبي محمد عليه الصلاة والسلام وانما اضطربت العقول وساءت الاوهام لتفاوت الافهام وتباين مراتب المسلمين في العلم بحقيقة الدين والاحاطة بأسراره والوقوف

على جميع مقاصده حتى على عهد الرسالة واليك الدليل

أخرج الامام أبوالفرج ابن الجوزي في سيرة العمرية عن المعرور بن سويد قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب في حجة حجها قال فقرأ بنا في الفجر «ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل» «ولإيلاف قريش» فلما انصرف رأى الناس مسجداً فبادروه فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هكذا أهلك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً . من عرضت له فيه صلاة فليصلّ ومن لم تعرض له صلاة فليمض :

فلو كان أولئك المصلون يومئذ في مرتبة عمر في العلم واستشعروا من إقبالهم على ذلك المسجد للصلاة فيه تعظيما له كما استشعر به عمر رضي الله عنه وعنهم أجمعين لما بادروا للصلاة فيه الا اذا عرضت لهم صلاة ولا جرم أن أعظم الناس فهماً للاسلام وعلما بغوامض الدين ووقوفاً على مقاصد النبوّة المحمدية وما كانت تدعو اليه من التوحيد البحت الخالي عن كل شائبة من الشوائب التي مر ذكرها هم أهل السابقة من المهاجرين الاولين الذين تلقوا الدين أنجماً كان ينزل بها الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم من لدن البعثة ولازموا الرسول ملازمة الظل فاكتنهوا سر شريعته وأدركوا مرامي غرضه وقلدوه في أعماله وأقواله وانتهجوا منهجه واهتدوا بسيرته فتفوقوا على غيرهم في العلم بالدين وعرفوا حقيقة التوحيد ومن هؤلاء مَن هم في المرتبة الأولى في فهم مقاصد الاسلام ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ومن تتبع سيرته وأنعم النظر في أقواله وأفعاله وانطباقها على الكتاب الكريم ونهج السنة القويم علم ما هو التوحيد

الذي أرشد اليه الاسلام وعرفه أولئك الصحابة الكرام فأرادوا أن يمحوا به كل أثر من آثار الوثنية عن صفحات الضمائر والقلوب وحسب العاقل دليلا على هذا قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكعب الاحبار لما أشار عليه بجعل المصلّى الى الصخرة : لقد ضاهيت اليهودية يا كعب الى قوله اذهب اليك [1] فانا لم نؤمر بالصخرة ولكنّا أُمرنا بالكعبة : وقد مر الخبر في الفصل السابق نقلا عن الطبري ولأجله عقدنا هذا الفصل ليكون به عبرة وذكرى لقوم يعقلون

تقدم معنا كيف تدرّج العرب الى الوثنية حتى أنسوا بلمس الاحجار وعكفوا على عبادة الاصنام وأن أصول التوحيد عند أرباب الاديان كلها أفسدت تدريجاً كما حصل في دين العرب وانما كان مبدأ هذا التدريج الاستسلام للشعور بوجوب تعظيم مظهر من مظاهر المادة يظن ان له صلة بما فوق المادة كالمعابد مثلا ثم يأخذ هذا الشعور ينمو ويتعدى المظهر الأول الى غيره ويتدرج في أطوار التعبد له حتى تنقلب صورة التوحيد المرتسمة على صفحات الضمائر الى صورة من صوَر المادة متجسمة للحس ويستحيل الايمان بإله واحد فوق المادة الى آلهة شتى كلها من المادة أولها صلة بها وهذا هو الشرك التام الجليّ ومبدؤه ذلك الشرك الخفيّ ولم تكن دعوة الاسلام قاصرة على استئصال الوثنية فقط بل كان من مقاصدها الاولى والغايات التي ترمي اليها بل من أولاها بالاهتمام وأجدرها بالعناية تطهير النفوس من كل أثر من آثار ذلك الشعور الفاسد ولو أشبه بدقته دقة الجرثومة الحية التي لا ترى الاّ بالنظارة المكبرة الا انها اذا وجدت

(١) هكذا جاءت هذه العبارة في تاريخ الطبري بهذا اللفظ ولعلها اليك عني اهمن الاصل

منبتاً صالحا لها تولد عنها ما لا يحصى من الجرائم فى بضع ثوان فمن قال بخلاف ذلك أو ظن ان الاسلام يتسامح فى تلك الجزئيات أو يبيح تعظيم أيّ مظهر من مظاهر المادة تعظيما دينيا فقد أخطأ ونسب العبث الى دين الله لهذا ولما أشرب قلب عمر (رض) من التوحيد الحق الصادق لم يتسامح مع كعب الاحبار حتى فى خلعه نعليه عند دخوله المسجد الاقصى وآخذه على عمله ذلك كما آخذه على رأيه فى جعل المصلّى الى الصخرة كما رأيت وسترى من أخباره بهذا الصدد ان شاء الله

هكذا كان فهم كبار الصحابة للدين ومن أمعن النظر فى قول ابى بكر الصديق رضى الله عنه فى إحدى خطبه التى مر ايرادها فى هذا الكتاب وهو « ان الله لا شريك له وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً ولا يصرف عنه سوءاً الا بطاعته واتباع أمره » يعلم كيف كان أولئك الصحابة الكرام يعلّمون الناس التوحيد ويقتلعون من أعماق نفوسهم اصول الشرك ورحم الله امرءاً حاسب نفسه وعرف دينه وتأدب بأدب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ونبذ بدع النفوس واهواءها وتنكب مواضع الزلل ومواقع الخطل وسوء الفهم والله وليّ الرحمة وهو القاهر فوق عباده » اه

باب شبهات المسيحيين وحجج المسلمين

نشرت مجلة بشائر السلام الانجيلية في الجزء الرابع منها نبذة في الطعن بالمسلمين عامة وبأكابر الصحابة الكرام خاصة وذلك أن عابتهم وعابت دينهم بالرجاء لفضل الله والخوف من الله وهذا مبلغ القوم من

العلم بالله وبدين الله — اثبتت « ان كثيرين من المسلمين يموتون على بساط الرجاء بدخول الجنة والتنعم بنعيمها بناء على مالهم من المواعيد الكريمة في قرآنهم » الى ان قالت : « وما علة ذلك سوى جهلهم حقيقة أنفسهم وكمالات الباري تعالى » ثم قالت مستدركة إن أولي العلم والذكاء من المسلمين غالوا في النسك والتعبد والصلاة والابتهال الى الله تعالى وجعلت علة هذه العبادة انهم لم يجدوا ما يريح نفوسهم من الشعور بثقل حمل خطاياهم. واستشهدت على المعلول دون العلة بكلام في الخوف من الله عن أبي بكر الصديق وعلي ابن أبي طالب وسفيان الثوري وعدّت سفيان من الصحابة وما هو من الصحابة ولكن العلم ليس شرطاً للقول عند هؤلاء المشاغبين وفي العبارة أيضاً تحريف وليست الامانة من شروط النقل عند هؤلاء المبشرين

وما لنا وللبحث في الروايات التي نقلتها وبيان التحريف ، وضعف الضعيف ، نضرب عن ذلك صفحاً وعن العبارات التي أساء بها الكاتب الادب مع هؤلاء الأئمة الذين يفتخر بهم النوع الانساني ولو صدق المسلمون هذه الكتب التى تسمى التوراة وسمح لهم دينهم بتفضيل أحد على الانبياء لكان لهم من التاريخ ما يفضلون به هؤلاء الائمة على أنبياء التوراة إذ لم ينقل عن واحد منهم مثلما نقل القوم عن أنبيائهم من القسوة والظلم والسكر والزنا وسفك الدماء برّأهم الله مما قالوا ، نغض الطرف عن هذا ونبيّن للقراء ان الغرض من ذم الخوف والرجاء اللذين هما الركنان لكل دين صحيح هو تقرير قاعدة إباحة المعاصي والشرور التى هي العنوان لبشاراتهم ، والجاذبة الى دياناتهم ، وهي ان النجاة فى الآخرة من العذاب والحياة الأبدية فى الملكوت إنما يحصلان باعتقاد ان الاله لم يجد وسيلة لنجاة البشر

من ذنب ابيهم آدم الا بحلوله فى جسم إنسان وتسليط طائفة كانت أفضل الشعوب عليه وصلبها إياه وصيرورته ملعوناً بحكم الناموس والشريعة!! فمن أطفأ سراج عقله وأفسد فطرة نفسه وسلّم بهذه القاعدة فهو الناجي الذى يرث الملكوت الأعلى وان قتل وزنا وسكر وأكل أموال الناس بالباطل وظلم العباد وكان آفة العمران . ولذلك صرّح الكاتب الذي لا أقدر ان أصفه الا بكونه مبشراً داعياً الى هذه العقيدة بأن سبب خوف أبي بكر وعليّ وسفيان من الله هو جهلهم بقاعدة الفداء يعني انهم لو عرفوها وصدقوا بها لكانوا عاشوا آمنين من مكر الله وعذابه يسرحون ويمرحون فى أهوائهم وحظوظهم . والحاصل ان المسلم الذى يغلب عليه الرجاء بفضل الله ووعده للمحسنين بالنعيم جاهل ضال والذى يخاف الله هيبة وتعظيما أو لاتهام نفسه بالتقصير في الأعمال الصالحة النافعة للناس وفي المعارف والكمالات المزكية للنفس فهو جاهلٌ ضالٌّ . وأن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله من غير تفرقة بينهم وتهذيب الاخلاق وإصلاح الأعمال كل ذلك لا ينفع المسلم الصادق ولا يغني عنه شيئاً . فما حيلة المسلم المسكين اذا ابتلاه الله تعالى بسلامة الفطرة ونور العقل فلم يقبل تلك القاعدة التي تفصّى منها الذين تربوا عليها تقليداً لمّا عقلوا وميّزوا . على ان كتب القوم لا تخلو من نصوص تدل على ان رسلهم ومقدسيهم كانوا يخافون من الله تعالى ويرجون رحمته لانهم لم يكونوا إباحيين بل كانوا قوماً صالحين

ان القرآن الحكيم علمنا بأن دين الله تعالى واحد في جوهره وان جميع الانبياء وصالحي المؤمنين بهم كانوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن صفات الحوادث وإفراده بالعبادة والخوف الزاجر عن المعاصي والشرور

والرجاء الباعث على الخير والصلاح واننا نرى جميع عقلاء المسيحيين يوافقوننا على هذه القاعدة ويودون ان يهتدي اليها دعاة كل دين ورؤساؤه ليكون الدين كما شرع الله سعادة للبشر لا وبالا وشقاء عليهم ومثاراً للخلاف والشحناء والبغضاء بينهم

وقد ذكر الامام الغزالي أنواعا للخوف كخوف الموت قبل التوبة وخوف نقض التوبة ونكث العهد وخوف ضعف القوة عن الوفاء بالحقوق وخوف زوال رقة القلب وتبدُّلها بالقساوة وخوف الميل عن الاستقامة وخوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة وخوف الغرور بالحسنات وخوف البطر بكثرة النعم وخوف الاشتغال عن الله بغير الله وخوف الاستدراج بتواتر النعم وخوف انكشاف غوائل الطاعات بأن يبدو للمرء ما لم يكن يحتسب وخوف تبعات الناس عنده فى نحو غيبة أو خيانة أو غش أو إضمار سوء وخوف ما عساه يطرأ عليه فى مستقبله وخوف نزول البلاء وخوف الاغترار بزخرف الدنيا وخوف اطلاع الله على السريرة فى حال الغفلة وخوف سوء الخاتمة . ويمكن استنباط أنواع أخرى . وأعلى الخوف خوف المهابة والاجلال لله عز وجل . وكل ذلك من الذنوب عند هؤلاء المبشرين

القسم العمومي

الاسلام فى انكلترا

رأينا في كراسة سياسية تسمى (ديلوماتيك فلي شينس) أى المنشورات السياسية لشهرى نوفمبر وديسمبر سنة ١٨٨٧ مقالة بامضاء المستر جورج كرواشى أحد أعضاء البرلمنت الانكليزى أخذنا منه ما يأتي تعربيه وهو

الاسلام دين لا يبتدع أحكاماً ولا يخترع للوحي أساساً

جديداً ولا يوصى بغير معهود ليس له كهنوت خاص ولا رئاسة كنسية ولكنه يسن للملة شرعاً وللدولة قانوناً يكون تنفيذهما باسم الدين هـذا ما قاله (داود ارقوهارت) في المجلد الاول من كتابه المسمى بروح الشرق في الصفحة الخامسة والعشرين من مقدمة طبعته الثانية سنة ١٨٣٩

ان حقيقة الاسلام التي أماط الحجاب عنها أولا من اشهر بروح الشرق وأبرزها للمرتابين من الغربيين لم تزل تزداد وضوحاً منذ كشفها حتى تجلت اليوم بنفسها على وجه لم يبق معه للاكاذيب المفتراة على الاسلام سبيل لسلطتها على النفوس فيما بعد . ذلك التجلي الباهر كان فيما ألقاه القسيس (اسحق طيلر) من خطابتـه في المحفل الديني . صدق ارقوهارت في دعواه أن حقيقة الاسلام أمر مسلم عنـد كثيرين فالنبـلاء الكرام (بالكراد) و . مبرى . و . راولنسون . و . لايارد . و . رولاند . و . ستانلى اوف الدرلى . و . ديشانسكي . وقوم آخرون من قبلهم شاركوه في البصيرة وصدقوه فيما قرره وكل مسافر عاشر الاقوام المحمدية وانس اليهم فله عنهم خبر محمود ومع ذلك كله نرى الجمهور في انكلترا لم تزل اراؤهم في مواقفها الأولى . كانت الحقيقة في احتجاب عن انظار العامة لان أكثر أهالي انكلترا مصروفون الى النصرانية عن النظر فيما سواها وتوارثوا فيها عصبية تظهر لهم في شعار الدين أما الآن وقد قام قسيس محترم من البيعة الانكليزية يصدع بهذا الحق فلا بد أن يصغى الى قوله ويذعن له ملايين ممن كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم ويعرضون عن مقالات قوم يعدونهم سياحين أو متفلسفين

هذه الحقائق مما لا يقبل الانكار وانما كان الاشكال في طريق

اجتلاب الخواطر اليها حتى تجتليها وحيث زال هذا الاشكال بهمة احد القسيسين المحترمين فالغاية المطلوبة أصبحت مما لا يشك فيه معشر الذين قبلوا نصيحة داود ارقوهارت . ليس السعي لبيان ان الاسلام مما يمكن احتماله فقط بل لم نزل نطالب أن يكون من النفوس في مكانة الاحترام وقد استيقنا الآن ان رجاءنا المُرْجا قد تحقق ومدّعانا الحق قد سلم به

لا ينبغي أن يظن اننا نحسب دين الاسلام مخالفاً للدين المسيحي فذلك مما لم يخطر لنا ببال قط وقصارى ما نقول ان الغاية من كل دين انما هو العمل الصالح والمسلك المستقيم ولسنا نحكم على أبناء جنسنا الا كما قال المسيح عليه السلام « بثمراتهم تعرفونهم » وحيث استمسكنا بهذا الاصل فلنا أن نجهر بأن المعتقدين بالدين المسيحي في هـذه الاوقات ليسوا بمنزلة يفضلون بها على المسلمين . هذا الحق ننادي به ونحن على يقين منه ونحث الذين يقولون انا نصارى على أن يضعوا الاسلام في منزلة تنطبق على الواقع ونفس الأمر فان استطاعوا ان يدحضوا حجتنا بالبراهين الساطعة فليعملوا على مكانتهم وان لم يفعلوا ولن يفعلوا فليكن نظرهم الى الاسـلام على حد ما بيّنا مناسباً للحقيقة الواقعية ولينصفوا الاسلام ذلك الدين القيم الذي هو نظام لمعيشة قسم عظيم من امم كريمة كثيرة العدد من النوع البشري

مما يهم الشعب الانكليزي خاصة أن يتخلصوا من اطوار التعصب التي لا تنحصر آثارها في الحاق العار بهم فقط بل تتعدى الى جلب المضرة عليهم ايضاً لان لحضرة الملكة ملايين من رعاياها كلهم مسلمون ونحن في مقام على احد جانبيه دولة الروسية وعلى الجانب الآخر الدولة العثمانية ولا يمكننا ان نزعم عدم المبالاة بمقابـل الحروب التي قامت على سوقها

بين هاتين الدولتين من أمد بعيد والى الآن لم تضع اوزارها وضعاً حقيقيا . ان الدولة الروس لايمكنها أن تكون فى حرب مستمرة لكنها لاتراعي ماتكلف به من شروط السلام ولا يزال وكلاؤها الخفيّون مشتغلين بالعمل (كذ) وما من زمان الا والحذرفيه من الروسية ضروري للباب العالى وهذا مجموع أحوال توجب على دولة الانكليز أن تسأل نفسها آناً بعد آن هل لنا ان نقاوم الروسية او ندعها وشأنها

كل وجه من وجوه السياسة يتعلق بسلامة الدولة الانكليزية وبقائها يرشدنا الى الاعتراف بلزوم عقد معاهدة مع الدولة التى لم تضرنا قط وفتحت فُرَصَها لتجارتنا وابواب بلادها لاشغالنا اما الصيحة الفارغة بأن الروسية دولة نصرانية والدولة العثمانية دولة محمدية فقد كان لها الى الآن اسوأ الاثر فى إعماء عقولنا وخطلنا فى سياستنا فلنأخذ من الآن بأصل صحيح وهو ان نعلق الحكم بالاعمال لا بالعقائد فانه ليس خاصاً بالافراد بل كما يكون بها يكون بالاقوام والدول أيضاً فان قابلنا بين روسيتنا النصرانية وبين العثمانية المحمدية لم نشك فى ان المعاهدة مع العثمانية هي التي تظهر افضليتها عند الحاكمين بالحق اجمعين واذا ذكرنا المعاهدة العثمانية فلا نستعمل اللفظ فيها بمعناه السياسي أو تركيبه الديبلوماسى ولا ينبغي ان يفهم ذلك من كلامنا انما المعاهدة التي كنا نجتهد في إعدادها لسنين طويلة كانت معاهدة مبنية على شروط مساواة مؤسسة على الاحترام من الجانبين وظهر لنا فى الازمان الماضية ان اكمال مثل تلك المعاهدة من المحال اما الآن فلا نقول انها من قبيل الممكن الذاتي فقط بل صارت من قبيل ما بالقوة القريبة من الفعل

﴿ تتمة الاجتماع ٢ لجمعية أم القرى — الداء أو الفتور العام ﴾

أجابه (المرشد الفاسيّ) اننا كنا على عهد السلف الصالح وشريعتنا سمحة واضحة المسالك معروفة الواجبات والمناهي فكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة لكل مسلم ومسلمة وكنا في بساطة من العيش متفرغين لذلك ثم شغلنا شأن التوسع نخصصنا لذلك محتسبين ثم دخل في ديننا أقوام ذوو بأس ونفاق أقاموا الاكتساب مكان الاحتساب وحصروا اهتمامهم في الجباية وآلتها التى هي الجندية فقط فبطل الاحتساب وبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طبعاً فهذا يصلح أن يكون سبباً من جملة الاسباب ولكنه لا يكفي وحده لإيراث مانحن فيه من الفتور ٠

على أن انحصار همة الامراء الدخلاء في الجباية والجندية أدّى بهم الى اهمال الدين كلياً ولو لا أن في القرآن آيتين اثنتين لهجروه ظهرياً أحدهما قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) مع الغفلة عن المراد بكلمة (أولي) وما تقتضيه صيغة الجمع وما يقتضيه قيد منكم ٠ والثانية قوله تعالى (وجاهدوا في سبيل الله) مع اغفال بيان الجهاد المأمور به هل هو مايكون به اعزاز كلمة الله أم ماتؤيد به ساطة الامراء العاملين على الاطلاق ؟ فاهمال الاهتمام بالدين قدجرّ المسلمين الى ماهم عليه حتى خلت قلوبهم من الدين بالكلية ولم يبق له عندهم أثر الا على رؤس الألسن لاسيما عند بعض الامراء الأعاجم الذين ظواهر أحوالهم وبواطنها تحكم عليهم بأنهم لايتراءون بالدين الا لقصد تمكين سلطتهم على البسطاء من الامة ٠ كما أن ظواهر عقائدهم وبواطنها تحكم عليهم بأنهم مشركون ولو شركا خفياً من حيث لايشعرون

فاذا أضيف الى شركهم هذا ماهم عليه من الظلم والجور يحكم عليهم الشرع والعقل بأن ملوك الاجانب أفضل منهم وأولى بحكم المسلمين لانهم أقرب الى العدل واقامة المصالح العامة وأقدر على عمارة البلاد وترقية العباد وهذه هي حكمة الله في نزع الملك من أكثرهم كما يقتضيه مفهوم « وماكان ربك لِيُهلك القُرَى بظلمٍ وأهلها مُصلحون » (١) وقد افتخر النبيّ عليه السلام بأنه ولد في زمن كسرى انوشروان عابد الكواكب (٢) فقال : « ولدت في زمن الملك العادل » (٣)

(١) الظلم هنا الشرك (٢) يظن ان اتخاذ الشمس الى الآن شارة للملك في ايران وكذلك اتخاذ الهلال والنجم شارة للملك عند الترك هو من بقايا دياناتهم الاولى (٣) الحديث موضوع باطل وان استشهد به بعض العلماء الاعلام ومنهم حجة الاسلام

وحكى ابن طباطبا في الآداب السلطانية والدول الاسلامية انه لما فتح السلطان هلاكو (وهو مجوسي) بغداد سنة (٦٥٦) امر أن يستفتى علماؤها اي الرجلين أفضل السلطان الكافر العادل ام السلطان المسلم الجائر ؟ فاجتمع العلماء في المستنصرية لذلك فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب حيث كان رضى الدين علي بن طاووس حاضراً وكان مقدماً محترماً فتناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الظالم فوضع العلماء خطوطهم بعده .

ثم قال : اني أظن ان السبب الاعظم لمحنتنا هو انحلال الرابطة الدينية لان مَبْنَى ديننا على ان الولاء فيه لعامة المسلمين فلا يختص بحفظ الرابطة والسيطرة على الشؤن العمومية رؤساء دين سوى الامام ان وجد والاّ فالامر يبقى فوضى بين الجميع واذا صار الامر فوضى بين الكل فالطبع تختل الجامعة الدينية وتنحل الرابطة السياسية كما هو الواقع . ومن أين لنا حكيم (كبسمرك) اوملزم (كغاريبالدي) يوفّق بين امرائنا او يلزمهم بجمع كلمتنا . وقد زاد على ذلك فقدنا الرابطة الجنسية أيضاً فان المسلمين في غير جزيرة العرب لفيف اخلاط دخلاء وبقايا أقوام شتى لا تجمعهم جامعة غير التوجه الى هذه الكعبة المعظمة .

ومن المقرر المعروف انه لولا رؤساء الدين في سائر الملل وروابطهم المنتظمة المطردة أو من يقوم مقام الرؤساء من الدعاة او مديري ومعلمي المدارس الجامعة المتحدة المبادئ لضاعت الاديان وتشعبت أخلاق الأمم ونالهم ما نالنا من كون كل فرد منا أصبح أمة في ذاته .

اجابه (المحقق المدني) ان فقد الرابطة الدينية والوحدة الخلقية لا يكفيان ان يكونا سبباً للفتور العام بل لابدّ لذلك من سبب أعمّ وأهمّ . ثم قال أما أنا فالذي يجول في فكري أن الطامّة هي من تشويش الدين والدنيا على العامة بسبب العلماء المدلّسين وغلاة المتصوفين الذين استولوا على الدين فضيعوه وضيعوا أهله . وذلك ان الدين انما يعرف بالعلم والعلم يعرف بالعلماء العاملين وأعمال العلماء قيامهم في الأمة مقام الانبياء في الهداية الى خير الدنيا والآخرة . ولا شك ان لمثل هـذا المقام في الامة شرفاً باذخاً يتعاظم على نسبة الهمم في تحمل عنائه والقيام باعبائه . فبعض ضعيفي العلم وفاقدي العزم تطلعوا الى هـذه المنزلة التي هي فوق طاقتهم وحسدوا أهلها المتعالين عنهم فتحيلوا للمزاحمة والظهور في مظهر العلماء العظماء بالإغراب في الدين ، وسلوك مسلك الزاهدين ، ومن العادة ان يلتجاء ضعيف العلم الى التصوف كما يلتجأ

فاقد المجد الى الكبر وكما يلجأ قليل المال الى زينة اللباس والاثاث (مرحى) .

فصار هؤلاء المتعالون يدلّسون على المسلمين بتأويل القرآن بما لا يحتمله محكم النظم الكريم فيفسرون البسملة أو الباء منها مثلا بسفر كبير تفسيراً مملوءاً بلغط لا معنى له أو تحكم لا برهان عليه . ثم جاؤا الامة بوراثة اسرار ادّعوها وعلوم لدنيات ابتدعوها وتسنم مقامات اخترعوها ووضع أحكام لفقوها وترتيب قربات زخرفوها . وبالامعان نجدهم قد جاؤا مصداقا لما ورد في الحديث الصحيح « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع » وفي رواية حذو القذة بالقذة « حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم » قلنا يارسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال هو فمن ؟) . وذلك ان هؤلاء المدلسين اقتبسوا ماهنالك كله أو جله عن أصحاب التلمود وتفاسيرهم ومن المجامع المسكونية ومقرراتها ومن البابوية ووراثة السرّ ومن مضاهاة مقامات البطارقة والكردينالية والشهداء واسقفية كل بلد ومظاهر القديسين وعجائبهم والدعاة المبشرين وصبرهم والرهبنات ورؤسائها وحالة الاديرة وبادريها والرهبنة أي التظاهر بالفقر ورسومها والحمية وتوفيتها ورجال الكهنوت ومراتبهم وتميزهم في ألبستهم وشعورهم ومن مراسم الكنائس وزينتها والبيع واحتفالاتها والترنحات ووزنها والترنمات واصولها وإقامة الكنائس على القبور وشد الرحال لزيارتها والاسراج عليها والخضوع لديها وتعليق الآمال بسكانها . وأخذوا التبرك بالآثار كالقدح والحربة والدستار من احترام الذخيرة وقدسية العكاز وكذلك إمرار اليد على الصدر عند ذكر بعض الصالحين من امرارها على الصدر لاشارة التصليب . وانتزعوا الحقيقة من السرّ ووحدة الوجود من الحلول والخلافة من الرسم والسقيا من تناول القربان والمولد من الميلاد وحفلته من الاعياد ورفع الاعلام من حمل الصلبان وتعليق ألواح الاسماء المصدرة بالنداء على الجدران من تعليق الصور والتماثيل والاستفاضة والمراقبة من التوجه بالقلوب انحناءً امام الأصنام ومنع الاستهداء من نصوص الكتاب والسنة من حظر الكهنة الكاثوليك قراءة الانجيل على غيرهم وسدّ اليهود باب الأخذ من التوراة وتمسكهم بالتلمود الى غير ذلك مما جاء به المدلسون تقليداً لهؤلاء شبراً شبراً واقتفاء لأثرهم بالدخول حيث دخلوا جحراً جحراً وهكذا اذا تتبعنا البدع الطارئة نجد اكثرها مقتبساً وقليلها مخترعاً .

وقد فعل المدلّسون ذلك سحراً لعقول الجهلاء واختلاباً لقلوب الضعفاء كالنساء

وذوى الاهواء والامراض القلبية او العصبية من العامة والأمراء السَّلسي القيادطبعاً الى الشرك لان التعبد رغبةً أو رهبة لما بين أيديهـم وتحت أنظارهم أقرب الى مداركهم من عبادة آله ليس بجوهر ولا عرض وليس كمثله شئ ولأن التعبد باللهو واللعب أهون على النفس والطبع من القيام بتكليفات الشرع كما وصف الله تعالى عبادة مشركي العرب فقال « وَما كانَ صَلاتُهم عِندَ البيتِ الا مُكاءً وتَصْدِيةً » أي صفيراً وتصفيقاً وهؤلاء جعلوا عبادة الله تصفيقاً وشهيقاً وخلاعة ونعيقاً (مرحى)٠

والحاصل انه بذلك وامثاله نجح المدلسون فيما يقصدون ولا سيما بدعوى فئة منهم الكرامة على الله والتصرف بالمقادير وباستمالتهم العامة بالزهد الكاذب والورع الباطل والتقشف الشيطاني وبتزيينهم لهم رسوما تميل اليها النفوس الضعيفة الخاملة سموها آداب السلوك ما أنزل بها من سلطان ولا عمل بها صحابي ولا تابعي ظاهرها أدب وباطنها تشريع وشرك وبجذبهم البُلْهَ الجاهلين بتصعيب الدين من طريق العلم والعمل بظاهر الشرع وتهوينه كل التهوين من طريق الاعتقاد بهم وباصحاب القبور. وقد تجاسروا على وضع أحاديث مكذوبة أشاعوها في مؤلفاتهم حتى التبس أمرها على كثير من العلماء الخاصين من المتقدمين والمتأخرين مع انها لا أصل لها في كتب الحديث المعتبرة. وجلبوا الناس بالترهيب والترغيب أما الترغيب فبالاستفادة من الدخول في الرابطات والعصبيات المنعقدة بين اشياعهم واما الترهيب فبتهديدهم مناوئيهم أو مسيئي الظن بهم باضرارهم في أنفسهم واولادهم وأموالهم ضرراً يتعجلهم في دنياهم قبل آخرتهم ٠ (مرحى)

وقد قام لهؤلاء المدلسين اسواق في بغداد ومصر والشام وتلمسان قديماً ولكن لا كسوقها القائم في القسطنطينية منذ أربعة قرون الى الآن حتى صارت فيها هذه الاوهام السحرية والخزعبلات كأنها هي دين معظم اهلها لا الاسلام وكأنهم لما ورثوا عن الروم الملك حرصوا على ان يرثوا طبائعهم أيضاً حتى التوسع في هذه المصارع السيئة فاقتبس لهم المدلسون كثيراً مما بيناه وطبقوه على الدين وان كان الدين يأباه وزينه لهم الشيطان بأنه من دقائق الدين وآدابه ومن هذه العواصم سرى ذلك الى الآفاق بالعدوى من الامراء الى العلماء الاغنياء الى العوام ٠

فهؤلاء المدلسون قد نالوا بسحرهم (١) نفوذاً عظيماً به أفسدوا كثيراً في الدين وبه

(١) السحر لغة اخراج الباطل في صورة الحق بالتمويه والخداع . والسحر =

جعلوا كثيراً من المدارس تكايا للبطّالين الذين يشهدون لهم زوراً بالكرامات المرهبة وبه حولوا كثيراً من الجوامع مجامع للطبّالين الذين ترنح من دوىّ طبولهم قلوب المتوهمين وتكفهرّ أعصابهم فيتابهم نوع من الخبل يظنونه حالة من الخشوع ٠ وبه جعلوا زكاة الأمة ووصاياها رزقاً لهم وبه جعلوا ريع أوقاف الملوك والامراء عطايا لأتباعهم مما يسمّى في البلاد العثمانية (دعاكو وطعامية) (مرحى)٠ وبذلك ضاق على العلماء الخناق لا رزق ولا حرمة وكفى بذلك مضيعاً للعلم وللدين لأنه قد التبس على العامة علماء الدين بالفقراء الاذلاء من هؤلاء المدلسين الاغنياء الاعزاء فتشوشت عقائدهم وضعف يقينهم فضيع الاكثرون حدود الله وتجاوزوها وفقدوا قوة قوانين الله ففسدت أيضاً دنياهم واعتراهم هذا الفتور ٠

أجاب (المولى الرومى) ان كل الديانات معرضة بالتمادي لانواع من التشويش والفساد ولكن لا تفقد من أهلها حكماء ذوي نشاط وعزم ينهون الناس ويرفعون الالتباس أو يعوّضون قواعدالدين اذا كان أصلها واهياً (لامتيناً كقواعد الاسلام) بقوانين موضوعة تقوم بنظام دنياهم ويتحملون في سبيل ذلك ما يتحملون من المشاق خدمة لافكارهم السامية ويبذلون ماعزّ وهان حفظاً لشرفهم القائم بشرف قومهم بل حفظاً لحياتهم وحياة قومهم من أن يصبحوا أمواتاً متحركين في أيدي أقوام آخرين ٠ ولقد أثبت الحكماء المدققون بعد البحث الطويل العميق ان المنشأ الاصليّ لكل فساد في أخلاق العباد والمنبت الاول لكل شقاء في بنى حواء هو أمر واحد لا ثاني له الا وهو وجود السلطة القانونية منحلة ولو قليلا لفسادها أو لغلبة سلطة شخصية عليها من فرد أو اكثر فما بال الزمان يضنّ علينا برجال ينبّهون الناس ، ويرفعون الالتباس ، يفتكرون بحزم ، ويعملون بعزم ، ولا ينفكون ، حتى ينالوا ما يقصدون ، فينالوا حمداً كثيراً ، وفخراً كبيراً ، وأجراً عظيما ؟ وعندي ان ان داءنا الدفين دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميّين وبعبارة أخرى تحت ولاية الجهال المتعمّمين ٠

وهنا نبّه السيد الفراتي الاستاذ الرئيس الى قرب وقت الانصراف عند تذ جهر

= الذى جاء في الشرع ليس غير هذا بدليل وصفه تعالى لعمل سحرة فرعون في قوله جلت حكمته « فلما القوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم » وقوله « فاذا حبالهم وعصيهم يُخَيَّل اليه من سحرهم أنها تسعى »

(الاستاذ الرئيس) بشعار (لا نعبد الا الله) تنبيهاً للاخوان وقال لهم ان أخانا المولى الرومي لفارسيّه مغوار نحبّ ما عودّنا من التفصيل والاشباع والآن قد آن وقت الظهر وحان أن نتفرق لندرك الصلاة وموعدنا غداً ان شاء الله تعالى ٠

باب التربية والتعليم

﴿ قانون التعليم الرسمي والجمعية العمومية ﴾

كان كل مصري يسيء الظن بكل عمل يجري على أيدي المحتلين فما زالت الاعمال تنقض وتبرم وتمحو وتثبت حتى اعترف الاكثرون بأكثر نتائج الاعمال الاصلاحية النافعة في الري والمالية والادارة والسياسة ولولا ان أكثر الناس أو كل الناس غير راضين عن سير نظارة المعارف لاعترفوا أجمعين بحسن نية المحتلين وارادتهم الخير للبلاد وأهلها وليس هذا مقام بسط هذه المسئلة ولكن هذه الكلمة تمهيد لما يأتي وهو

ان سخط الناس من سير نظارة المعارف في التعليم جعل شأناً عظيماً لاقتراح الوجيه الفاضل أمين بك الشمسي على الجمعية العمومية أن تطلب من الحكومة عرض قوانين التعليم (بروجرامات) ومنشورات المعارف على مجلس شورى القوانين ومجلس النظار ٠ وتوقع الناس أن تقبل الحكومة هذا الاقتراح بمقدار مالهم من حسن الظن فيها وما كانوا ينتظرون أن يدافع صاحب السعادة ناظر المعارف الجمعيةَ العمومية ويناضلها نضال بني ثُعَل ليدفع عن نظارته هذا الاقتراح لأنهم يعتقدون أنه مستريح من أعمال المعارف لثقته بأمين أسرارها العامل الدائب المستر دنلوب وسائر الموظفين تحت يده ولان من شأن الواثق بحسن عمل ينسب اليه حقيقة أو عرفاً بالذات أو بالواسطة أن يحب عرضه على الناس ويسعى في توجيه أنظاهم اليه لا سيما اذا كان الغرض من العمل المنفعة العامة وكان نقد الناظرين فيه من أسباب ترقيه واتقانه كنظام التعليم ولكن الناظر جاء بما لم يكن في الحسبان ولا نخوض في تعليل ذلك مع الخائضين ولكننا نبحث في دفاعه وتعليله في مناقشة الجمعية العمومية في جلسة ٦ ذي الحجة سنة ١٣١٩ ونختصر ما نورده من المناقشات غالباً ونحذف الالقاب الرسمية فنقول :

عند ما عرض اقتراح الشمسي بيّن الناظر للجمعية كيفية وضع قوانين التعليم

(البروجرامات) وهو ان نظار المدارس ومفتشيها يقدمون في آخر كل سنة مكتبية تقارير بما يرونه في نظام التعليم فتبحث فيه اللجنة العلميه المؤلفة من كبارهم وتقدم ما تقرر عليه منه الى مجلس المعارف الأعلى فيبحث فيه ويقدم ما يراه منه الى مجلس النظار (قال) : « والذى يتقرر يصدر الأمر باجرائه »

فقال مفتي الديار المصريه : الذى يلاحظه الناس هو ان القوانين تعرض بمقتضى العادة على مجلس النظار ثم ترسل الى مجلس شورى القوانين ومن ذلك ما يكون متعلقاً بوضع مائة قرش غرامة ونحوه ٠ فالقوانين المتعلقة بالاصول العامة للتربية والتعليم اولى بهذا وهي لا تخص نظارة المعارف وحدها بل القطر كله فيصح للجمعية العمومية ان تطلب ضماناً زائداً بالنسبة الى حالة الاشخاص فان الكثيرين يعتقدون ان تلامذة السنة الثانية في المدارس الابتدائية يُعَلَّمون بعض العلوم باللغات الاجنبية فلا يفهمونها طبعاً. ثم ان طرق التهذيب وتربية النفوس هي التي عليها مدار مستقبل الناشئين ومعرفتهم ما يجب عليهم لمصلحة انفسهم فمن الضروري الاعتناء بامثال هذه المسائل فلو درس قانون التعليم بمجلس النظار وتحول الى مجلس الشورى لكان ذلك اكثر ضماناً فان المشتغل بعمل يحكم ذلك العمل عليه فيضيع منه كثير من الاشياء المتعلقة بالحالة العمومية

(الناظر) : « البروجرامات جار نشرها قبل دخول السنة المكتبية وما يفهمه البعض من ان السنة الثانية تدرس باللغة الاجنبية فهو خطأ لأن التلميذ يبتدئ في هذه السنة في تعلم مبادي اللغة الاجنبية فقط ولم يكن المعلمون وحدهم منفردين في ابداء رأيهم في سير التعليم بل المشتغل بذلك هم ونظار المدارس والمفتشون الذين هم من خيار الناس فعندنا تقارير نظار المدارس وتقارير المفتشين وتقارير اللجنة العلمية وقرار مجلس المعارف وقرار مجلس النظار فهذه خمس ضمانات »

اوردنا جواب ناظر المعارف بلفظه كما نشر على ما فيه من ضعف العبارة لتظهر مغالطته بأتم ايضاح وهي من وجهين احدهما قوله ان التلميذ يبتدئ في السنة الثانية بتعلم اللغة الاجنبية اي فلا يتعلم بها شيئاً من العلوم والصواب انه يبتدئ بتعلمها في السنة الاولى كما ترى في الصفحة ١٠ من قانون التعليم الابتدائي الصادر بامضاء الناظر نفسه في جمادى الثانية سنة ١٣١٩ اى قبل هذه المناقشة بنحو نصف سنة وكون التلميذ يتعلم في السنة الاولى وكذا الثانية لغة أجنبية خطأ ظاهر وانا لنعرف كثيرين من المعلمين ونظار المدارس يتبرمون منه ولكنهم يعتقدون انه أمر مبرم هبط من سماء

القوة على أرض الضعف والاستكانة ولو علموا ان ابداء رأيهم يصل الى مجلس الشورى فيطالب به باسم الامة لأبدوه آمنين من مغبته لان كل مايتوقعونه حينئذ من المؤاخذة على نكث شئ من فتل ذلك الامر المبرم يكون معلوما للناس اذا وقع بعض اطلاع مجلس الشورى ومجلس النظار وسائر الناس على اقتراح المقترح •

ثم ان تعليم التاريخ الطبيعي (الاشياء) وتقويم البلدان يكون باللغة الانكليزية في السنة الثالثة الابتدائية والفرق بينها وبين السنة الثانية ليس بكبير وانهم ليعلمون انه لايمكن ان يحصل التلميذ من اللغة الاجنبية في سنتين مايتمكن به من فهم العلوم الطبيعية فيها ولذلك يعيدون عليه في السنة الثالثة من دروس تقويم البلدان بالانكليزية ما كان تعلمه بالعربية فان كان الغرض العلم فلا معنى لهذا الرجوع القهقرى وان كان المراد اللغة فالاوقات المخصصة لها ليست بقليلة كما سنبينه فى نبذة اخرى

والوجه الثاني «الضمانات الخمس» وهي لاتصلح دفعاً لقول المفتي لأنه قال ان عرض نظام التعليم على مجلس الشورى اكثر ضماناً أى ان الخمس تكون به ستاً فاذا كان الناظر واثقاً من اتقان نظام نظارته ويودّ ان تزداد اتقانا وارتقاء فماذا يضره لو عرض ذلك على كل من له رأي من الناس وعلم رأيه فيه ؟ ثم هو يعلم ان الحكومة أنشأت مجلس الشورى والجمعية العمومية لتعلم الامة كيف تُحكم ولتجعل لها رأيا فى قوانينها ونظاماتها لتكون أمة حية كامم أوربا حتى اذا ما استعدت لذلك يكون كل شئ برأي مجلسها النائب عنها فلماذا يبخل عليها ناظر المعارف بالبحث فى قوانين نظارته ونظام التعليم فى مدارسها بواسطة أعضاء مجلس الشورى الذين هم من خيارها كما ان نظار المدارس ومفتشيها من الخيار كما قال وزيادة الخيار خير • ولايخفى عليه ان الامة تثق بمجلس الشورى أكثر من ثقتها بأي مجلس من مجالس الحكومة لانها تعتقد ان أعضاءه لاسلطان عليهم للسياسة لان الحكومة وضعتهم للانتقاد على قوانينها ولانهم لايتوقعون ضرا من مخالفة رغائبها

أما «الضمانات الخمس» فهى فى المعنى شئ واحد وان شئت قلت لاشئ لأن العامل الذي تطلب الامة الضمان على اتقان عمله هو نظارة المعارف فلا يصح ان تكون هي الضامنة لنفسها بأن عملها برأي الموظفين فيها، وذلك التعدد فى «الضمانات» لاتأثير له لان أراء المعلمين والناظرين والمفتشين يدغم بعضها فى بعض ولايعرض على مجلس النظار الا مايراه مجلس المعارف الاعلى وحده فمجلس النظار لايبحث فى أراء أصحاب «الضمانات» الثلاث ولايعرفها • ذلك ان المعلمين يبدون آراءهم لنظار

مدارسهم فيختار منها هؤلاء مايَرضونه أومايُرضون به ويقدمونه للجنة العلمية فتمحو منه ماتشاء وتثبت ماتشاء وترفعه الى اللجنة العليا فتنسخ منه ماتشاء وتقدم الباقى الى مجلس النظار فيصدق عليه • وانما يحقق الضمان من معلمي المدارس ونظارها ومفتشيها اذا أعطوا حرية بأن يقولوا مايرونه وكان يعمل بما يقولون أو يبين المانع من العمل به وأعطوا مع ذلك ضمانا بأن من رأت اللجنة العلمية أو العالية خطأ رأيه فأنه لايؤاخذ سراً ولا جهراً

ثم ان المفتي احتج على كون تلك «الضمانات» غير كافية بأمرين أحدهما استمرار التغيير في قانون التعليم (البروجرام) حتي فى المسائل الكلية • قال: وهذا يدل على أن معلومات واضعي التقارير غير كافية • وأجاب الناظر عنه بأن التغيير يدل على دقة البحث • وظاهر ان هذا الجواب غير سديد لان دقة البحث اذا سلمت وكان من المسلم أيضاً ان التغيير مستمر حتى المسائل الكلية فذلك دليل على في ان هذه الدقة لم تأت بالفائده المطلوبة وما ذلك الا لانها غير مبنية على علم كاف فهي تحتاج الى الامداد والمساعدة وللحكومة مجلس أنشئ للبحث فى القوانين خاصة فيجب أن يكون هو المساعد والممد لنظارة المعارف فى تنقيح قوانينها

والامر الثانى الذى احتج به المفتي هو أن لكمال ثقة الناس بسير التعليم أكبر شأن وأهمه وان ذلك يكون باطلاع مجلس النظار ومجلس الشورى على قوانينه • وأجاب الناظر باعادة ذكر «الضمانات الخمس» وزاد ضامناً آخر سماه «الضمانة» الكبرى وهو طبع تلك القوانين ونشرها قال: وقلمانرى واحداً من الناس يقرأها فيعرف سير التعليم • وظاهر أن هذا الجواب في غير موضوع الدعوى لان الدعوى هى ان ثقة الامة بالتعليم مطلوبة وانها تكون بكذا بدليل طلب نوّابها له • فكان ينبغي ان يكون الجواب اما بالتسليم واما بمنع الحاجة الى ثقة الامة بالتعليم أو بمنع ان ثقتها تكون بعرض قوانين التعليم على مجلس النظار ومجلس الشورى فاما المنع الاول فيستحيل ان يصدر من ناظر المعارف وأما الثانى فالفصل فيه للجمعية العمومية وقد وافقت أخيراً عند أخذ الاراء على وجوب عرض قوانين التعليم ومنشورات المعارف على مجلس الشورى فثبت رأي مفتي الديار المصرية وأما الجواب عن «الضمانة» الكبرى فهو ان عدم رؤية الناظر لقراء قوانين التعليم لايدل على عدم القارئين لها فاذا قال: كان يجب ان ينتقدوها ان لم يرتضوها نقول ان العاقل لايتوجه الى عمل الا اذا رجا فائدته ولايطوف فى ذهن أحد أن انتقاده قانون التعليم يكون

سيبا لرجوع نظارة المعارف عن خطأها فيه • واذا كان قد ظهر ان ناظر المعارف يدافع الجمعية العمومية الناطقة باسم الامة المصرية كلها ويمنعها بالمغالطات عن طلب النظر في قوانين التعليم فهل كان ينتظر ان يلتفت الى قول واحد من الناس أو اثنين أو أكثر اذاهم انتقدوا على قوانينه ؟ على ان الجرائد كثيراً ماتنتقد المعارف فى سير التعليم وسائر نظامها فيه ولم يغن ذلك شيئاً

ثم تكلم بعدالمفتي الشيخ على يوسف فذكر بعض ماينتقد على نظام التعليم وقوانينه مما يصح ان يذكر فى مجلس رسمي وسنذكر ذلك الجزء الثانى مع جواب الناظر عنه وبيان الصواب ونزيد من الانتقاد على تلك القوانين ماشاء الله ان نزيد

آثار علمية ادبية

الى الأغنياء

قال الاديب الشهير حافظ افندى ابراهيم في حريق ميت غمر الذى يذكر في باب الاخبار

سائلوا الليل عنهمو والنهارا ... كيف باتت نساؤهم والعذارى
كيف أمسى رضيعهم فقد الا ... م وكيف اصطلى مع القوم نارا
كيف طاح العجوز تحت جدار ... يتداعى وأسقف تتجارى
ربِّ ان القضاء أنحى عليهم ... فاكشف الكرب واحجب الاقدارا
ومُرِ النار أن تكف اذاها ... ومر الغيث أن يسيل انهمارا
أين طوفان صاحب الفلك يروي ... هذه النار فهي تشكو الأوارا
أشعلت فحمة الدياجي فباتت ... تملأ الارض والسماء شرارا
غشيتهم والنحس يجري يمينا ... ورمتهم والبؤس يجري يسارا
فأغارت وأوجه القوم بيض ... ثم غارت وقد كستهن قارا
اكلت دورهم فلما استقلت ... لم تغادر صغارهم والكبارا
أخرجتهم من الديار عراة ... حذر الموت يطلبون الفرارا
يلبسون الظلام حتي اذا ما ... أشرق الصبح يلبسون النهارا
حلة لا تقيهم البرد والحـ ... ـرّ ولا عنهمُ ترد الغبارا

أيها الرافلون فى حلل الوشـ ... ـي يجرون للذيول افتخارا
ان تحت العراءِ قوماً جياعا ... يتوارون ذلة وانكسارا
أيهذا السجين لا يمنع السجـ ... ـن كريماً من أن يقيل العثارا
مُرْ بألف لهم وان شئت زدها ... وأجرهم كما أجرت النصارى
قد شهدنا بالأمس في مصر عرسا ... ملأ العين والفؤاد انبهارا
سال فيه النضار حتي حسبنا ... أن ذاك الفِناء يجري نضارا
بات فيه المنعمون بليل ... أخجل الصبح حسنه فتوارى
يكتسون السرور طورا وطورا ... في يد الكأس يخلعون الوقارا
وسمعنا في (ميت غمر) صياحا ... ملأ البر ضجة والبحارا
جل من قسم الحظوظ فهذا ... يتغنى وذاك يبكى الديارا
رُبَّ ليل في الدهر قد ضم نحساً ... وسعودا وعسرة ويسارا

الهدايا والتقاريظ

(كتاب الفوز الاصغر) هو للفيلسوف الاسلامي الشيخ احمد بن مسكويه الرازي صاحب كتاب (تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق) المتوفى سنة ٤٢١ وضعه لتحقيق البحث النظري في ثلاث مسائل (١) اثبات الصانع و (٢) النفس وأحوالها و (٣) النبوات وقد نزع فيه منازع دقيقة في الوفاق بين الفلسفة والدين وجعل لكل مسئلة عشرة فصول فمن فصول المسئلة الاولى فصل في بيان ان وجود الاشياء كلها انما هي بالله عز وجل وفصل في ان الله تعالى ابدع الاشياء من لاشيء ومعلوم ان الفلاسفة يقولون يستحيل ايجاد شيء من لاشيء . وفي فصول المسئلة الثانية اثبات النفس وكونها ليست جسما ولا عرضاً واثبات انها جوهر حي باق وانها ليست الحياة بعينها بل انها تعطى الحياة وبيان ماهية النفس والحياة وبيان كمال النفس والكلام في السعادة وفي حال النفس بعد البدن • وفي فصول المسئلة الثالثة بيان مراتب الموجودات واتصال بعضها ببعض وبيان ان الانسان عالم صغير وقواه متصلة ذلك الاتصال والكلام في كيفية الوحي وفي العقل وكونه ملكا مطاعاً وفي المنام الصادق وفي الفرق بين النبوة والكهانة وفي النبي المرسل وغيره وفي أصناف الوحي وفي الفرق بين النبي والمتنبي . وقد طبع الكتاب طبعاً جميلاً في بيروت ويباع في مكتبة أمين افندي هنديه بمصر

فنحث جميع المشتغلين بالعلم على مطالعته

(كتاب تفصيل النشأتين . وتحصيل السعادتين) هو للامام أبي القاسم الحسين بن محمد ابن المفضل الراغب الاصفهاني المتوفى في رأس المائة الخامسة ومباحث الكتاب فلسفية اخلاقية اسلامية وقد قرن جميع مسائله بالآيات القرآنية فجعلها شواهد وادلة وبعضها لا يصلح لما وضعه له ولكن له منازع دقيقة فيها . وابواب الكتاب على اختصاره ٣٣ وهي في معرفة الانسان نفسه وفي أجناس الموجودات وموضع الانسان منها وفي العناصر التي اوجد منها الانسان والقوى التي جمعت فيه وفي تدرج الانسان حتى يصير كاملا وفي كونه مستصلحاً للدارين وفي كونه هو المقصود من العالم وكون ماعداه خلق لاجله وفي تفاوت الناس وسببه وفي الشجرة النبوية وفضلها وفي الشرع والعقل والعبادة وغير ذلك وهو كالذى قبله جدير بالمطالعة وطبع حيث طبع ويباع حيث يباع

﴿ اقامة البراهين العظام . على نفي التعصب الديني فى الاسلام ﴾

رسالة من تأليف الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة الجزائري المدرس بجامع سفير في الجزائر الغرض منها اقناع مسلمي الجزائر بوجوب الخضوع لفرنسا وعدم الخروج عليها وقد جاء فيها بمسائل نافعة تثبت ان دين الاسلام يأمر بمعاملة المخالفين فى الدين بالعدل ويحرم ايذاءهم والاعتداء عليهم وانه شرع فيه مايقتضي التآلف مع أهل الكتاب كحل مؤاكلتهم وتزوج المسلم منهم وغير ذلك من الفوائد المسلّمة . وفي الرسالة ماينتقد . فمنه انه اخطأ في بعض ما أسنده الى الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية عند الاحتجاج بكلامه واصفا اياه بكونه « خاتمة الائمة وعلامة الآفاق على الاطلاق » فقد قال عن الاستاذ الامام انه قال في درس التفسير بالأزهر : ان قوله تعالى « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنةٌ ويكونَ الدينُ لله » خاصٌّ بالواقعة التي كانت متوقعة للمسلمين في رواحهم الى مكة الخ . والاستاذ الامام لم يقل بهذا التخصيص وانما قال ان معنى « حتى لا تكون فتنة » هو أن يؤمن شر المعتدين ويأمن الدعاة الى الدين على أنفسهم وعلى من يجيبهم الى ما دعوا اليه . ومعنى « ويكون الدين لله » أن يكون دين كل شخص خالصا لربه لا تدخله محاباة ولا مداجاة ولا يهدده مهدد . ولا ينقضه خوف من معتد ، فلا يكون لغير خشية الله أثر فى نفوس المؤمنين . وانظر بمَ يكون هذا . ومما ينتقد عليه أشد الانتقاد قوله في نصيحته للمسلمين بعد اطراء فرنسا وذمهم ووصف سوء حالهم « فلا ينبغي لهم الاهتمام الا بشؤنهم المعاشية » الخ كأنه يريد ان

يجعلهم بهائم . وهل يرى ذلك الاستاذ أن فرنسا التي وصف عدلها وحريتها وفضلها ومدنيتها لاترضى من المسلمين في الخضوع لها الا ان يكونوا كالانعام ، لا يهتمون الا بالأكل والشرب والمنام ، وهل ينافي خضوعهم لها اشتغالهم بالعلوم والآداب التي يرتقون بها ارتقاء معنويا ويساوون الافرنج في الصفات البشرية ؟ ان كان يقول هذا فهو ناقض به كل مدحٍ مدح به فرنسا ! فينبغي لهذا الشيخ المدرس وامثاله اذا كلفوا بالكتابة في مثل هذا المقام ان يقتصدوا ويقفوا عند حدٍّ معلوم وكان المجال واسعاً لاقناع المسلمين بعدم الخروج على فرنسا وتعريض انفسهم للهلكة من غير عبث بالاحكام ، ولا تكليف للمسلمين بان يكونوا كالانعام ، وبهذا القدر كفاية وسلام ،

(الحضرة الأُنسيَّة . في الرحلة القدسية) للشيخ عبد الغني النابلسي الفقيه الصوفي الشهير رحلتان او ثلاث وهذه منها وهي أخصرها وقد طبعت في مطبعة جريدة الاخلاص الغراء على نفقتها ووقف على طبعها احد محرري الجريدة ديمتري افندى نقولا المحترم صاحب مجلة الفكاهة . أما المؤلف فانه يذكر في هذه الرحلة كيفية سفره من الشام الى القدس ونواحيه ومارآه وجرى له فيه وأهمه زيارة قبور الانبياء والصالحين بحسب تعريف المعرّفين الذين يصحبون الزائرين في تلك البلاد وما في الكتب المؤلفة في تاريخها . وقد ختم الكتاب ملتزم طبعه باحصاء ماذكر في الرحلة من المدن والقرى والامكنة ومقامات الانبياء والجوامع والمساجد والمدارس والكنائس والاديرة والانهر والعيون والآبار وقبور الصحابة والأولياء والصالحين وذلك احسن مافي الرحلة . وربما ننقل بعد في باب البدع شيئاً مما في الرحلة . وصفحاتها ٨٤ وهي تطلب من ادارة جريدة الاخلاص الغراء وثمنها ٥ قروش صاغ

(الدنيا في باريس) هي الرسائل التي وصف بها مشاهد معرض باريس الأخير صديقنا الفاضل الشهير احمد زكي بك الكاتب الثاني لأسرار مجلس النظار وقد اشتهر أمر هذه الرسائل وانتشرت في البلاد لأن رصيفنا البارع الدكتور عيد افندى كان يطبعها ويوزعها مع مجلة « طبيب العائلة » وقد سبق للمنار تقريظها وبيان بعض فوائدها والآن نخبر قراء المنار بان هذه الرسائل قد جمعت كلها في كتاب واحد مزين بالرسوم صفحاته ٢٧٢ وثمنها ١٥ قرشاً وسننقل بعض فوائدها عند سنوح الفرصة ان شاء الله تعالى

(قاموس الجغرافية القديمة بالعربي والفرنساوي) اهدى الينا صديقنا مؤلف رسائل (الدنيا فى باريس) مع هذه الرسائل نسخة من هذا القاموس المختصر المفيد

الذى يعرف الكتاب حاجتهم اليه من اسمه٠ قال المؤلف في مقدمته « هذا معجم صغير اوردت فيه كثيرا من الاعلام الجغرافية التى لها ذكر في تواريخ الاقدمين من مصريين واشوريين وروم وعجم وغيرهم من الامم جمعته بعد أبحاث شتى ومطالعات عديدة فكابدت فيه عناء ليس باليسير يعرفه من اطلع عليه أو اشتغل بشئ من هذا القبيل » ثم قال « واذا نال هذا الكتاب الصغير من الاقبال ماهو خليق به تشددت عزيمتي لإبراز المعجم الكبير الوافي الذى جمعته في هذا الموضوع المفيد » فعسى أن تحقق الآمال، وينال فوق مايطلبه مؤلفه الفاضل من الاقبال ، والكتاب مطبوع في المطبعة الاميرية وثمنه ٨ قروش وهو يطلب من مؤلفه ومن ادارة مجلة طبيب العائلة

(مجموعة حقوقية طبية هندسية٠ لجمعية متخرجي المدرسة الخديوية لسنة ١٩٠١) اذا وجب أن نذكر ماينتقد على نظارة المعارف في نظام التعليم وقوانينه فمن الواجب أيضاً أن نذكر مالها من الحسنات لان الله تعالى يحب العدل في كل شئ ولأن فائدة استحسان الحسن لاتنقص عن فائدة انتقاد المنتقَد فكل واحد من الامرين جعله الله سبباً لاتقان الاعمال واختيار النافع منها وتجنب الضار ٠ ومن حسنات المعارف المصرية الاذن للتلامذة المتخرجين في المدرسة الخديوية بانشاء جمعية علمية أدبية في نفس المدرسة يعُدون فيها المقالات الضافية فى مسائل العلوم التي يتعلمونها في المدرسة وفي المدارس العالية التي ينتقلون منها اليها ويعرضونها للانتقاد والبحث والتمحيص وقد حضرت اجتماعاً لهم في المدرسة فسررت سرورا عظيماً ورغبوا اليّ في انتقاد ماتكلموا فيه وهو حقيقة الجنون وتاريخه وأنواعه فانتقدته علنا فتلقوا انتقادي بالقبول والشكر كما هو شأن الباحث المستفيد

وقد طبعوا في هذه الأيام الجزء الأول من مقالاتهم التي تليت فى السنة الماضية وسموه بما ذكر فى صدر الكلام ٠ وتفضل وكيل الجمعيه الفاضل النبيل على بك ماهر نجل صاحب السعادة ماهر باشا محافظ مصر بتقديم نسخة الينا بنفسه فشكرناله ذلك ٠ وفي المجموعة ست مقالات «١» في التربية والتاريخ لعلى بك ماهر بمدرسة الحقوق و «٢» فى أشعة رنتجن لعبد الرحمن افندى عمر بمدرسة الطب و«٣» في التكافل والتضامن لمحمد حلمي افندى عيسى بمدرسة الحقوق و «٤» في التنويم المغناطيسى واستحضار الارواح لمحمد افندى شكري بمدرسة الطب و«٥» في لوازم الحياة الاصلية لمحمود افندى ماهر بمدرسة الطب و «٦» شهران بسويسرا لعلى بك ماهر ٠ وفى

المقالات فوائد كثيرة ٠ وعدد صفحات المجموعة ٦١٢ فنحث جميع المصريين على اجتناء هذه الثمرة الشهية ، التي انتجتها فروعهم الزكية

(مجلة الاحكام الشرعية) كثرت الجرائد والمجلات في مصر حتى تناولت كل موضوع يمكن ان تنشأ له الا موضوع القضاء الشرعي كأن المحاكم الشرعية وأعمالها ليست من حاجات العمران التي يجب ان تخدمها الصحافة . وقد انبرى في أول هذا العام للقيام بهذه الخدمة الجليلة المحامي الشرعي الشهير حسن بك حماده المتخرج في مدرسة الحقوق السلطانية في الاستانة العلية فانشأ هذه المجلة الشهرية وقد صدر الجزء الاول منها مفتتحاً بمقدمة بليغة في حالة القضاء الشرعي والمحاكم الشرعية وسيرها والحاجة الى الاصلاح فيها على الوجه الذى حرره الاستاذ الامام مفتي الديار المصرية في تقريره المشهور . وقد كادت هذه المقدمة ان تكون تاريخاً للمحاكم الشرعية بصورة مجملة . ويلي ذلك مقالة في القضاء الشرعي بمصر ماضيه وحاضره وهي تاريخية مفصلة ومقالات اخرى في المحاماة والقضاء وفي المجالس الحسبية وتاريخها بمصر وفي المحاكم الشرعية وتنازع الاختصاص . وقد فتح فيها باباً لنشر تراجم المشهورين من علماء الشرع وبدأ بترجمة الامام ابي حنيفة وبابا لأشهر القضايا الشرعية التي لها فائدة عامة . وفي المجلة غير ذلك من الفوائد العلمية والادبية وقيمة الاشتراك فيها ستون قرشاً في القطر المصري وعشرون فرنكا في خارجه فتتمنى لها النجاح الذى تستحقه

(تقويم المؤيد) صدر تقويم المؤيد لسنة ١٣٢٠ على مايعهد الناس وفوق مايعهدون من الاتقان وكثرة الفوائد العلمية والفلكية والطبية والتاريخية والادبية وغير ذلك وقد جلد في هذه السنة تجليداً جميلا مزخرفا اجتلب له جلده من أوربا منقوشاً عليه اسمه واسم مؤلفه فنهنئ صديقنا الفاضل محمد افندى مسعود بما صادفه عمله المتقن من النجاح الذى هو جدير به

(النتيجة الوحيدة) اهدتنا مطبعة الموسوعات نسخة من هذه النتيجة التي تطبع فيها بالدقة والاتقان فنشكر لها اتقان طبعها ولمؤلف النتيجة الحاسب المدقق السيد مصطفى محمد الفلكي المحامي تلك الفوائد التى فيها

(التقويم الازهرى) يسرّ المسلمين ان يروا جميع الآثار العلمية منسوبة الى الازهر الشريف وصادرة من أهله . وهذا الشاب الفاضل الشيخ محمد محمد عمر الاسطهاوى الفلكي قد أنشأ تقويما يصدره في كل سنة هجرية وقد أذن له الاستاذ

الاكبر شيخ الجامع الازهر بأن يسميه التقويم الازهري فعسى ان يقبل عليه الناس ليزيدوا مؤلفه تنشيطاً على اتقان عمله

(باب الاخبار)

﴿ الحريق في ميت غمر ﴾

« ميت غمر » بلدة في مديريه الدقهلية أصابها في آخر الشهر الماضي حريق دمّر الدور ، وقوض القصور ، والتهم الاثاث والرياش ،ولم يبق على الناس ، الا من لجأ الى الفرار ،قبل أن تحيط به النار ، فيأخذه لسانها ، أو يخنقه دخانها ، ويقال ان ان عدد البيوت التي احترقت بأهلها الا من أنجاه الله تقارب ٥٠٠ وان الخسائر تقدر بمئات الالوف من الجنيهات ،وقد كان الهول عظيما ، والخطب جسيما ، وقد كاد يكون حال الذين نجوا شراً من حال الذين فقدوا فان عذاب ساعة وان كان شديداً دون العذاب المستمر الذي يتلون ألواناً كثيرة وكيف حال من أمسى واجداً فأصبح معدماً وكان كاسياً فصار عارياً وكان ذا مكان آهل فعاد ولا مكان ولا اهل ، صار الزوج أيماً والمرأة أرملة والولد يتيماً كما صار الغني فقيراً والعزيز ذليلاً ،وما من هؤلاء احد الا وقد لفحته النار أو لذعته أو احرقت له عضواً وحاصل القول ان هؤلاء الذين سلموا من هذا الحريق قد صبت عليهم جميع المصائب التي تفرقت فى العالمين فكان كل واحد منها باعثاً للرحمة والشفقة وسبباً للاغاثة والاعانة ، وقد توجهت النفوس لجمع الاعانات لهم ولاشك ان الباخل في هذا الموضع هو أبخل الناس بل هو من جنس الجماد لا من نوع الانسان ولا من جنس الحيوان . لا عذر لاحد من خلق الله فى البخل على هؤلاء « ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه » فمن وجد في قلبه قساوة و فى نفسه شحاً مطاعا وفى يده انقباضاً وامساكا فليمثل فى نفسه هذا المصاب واقعا به وباهله والناس معرضين عنهم لايجودون عليهم بشئ ولينظر كيف يكون حكمه عليهم ثم لينظر هل يرضى بأن يكون محكوما عليه عند الله والناس بمثل مايحكم به عليهم . ليبذل كل انسان مما يستطيع ولولا الاعتماد على التعاون لوجب عليه ان يبذل كل مايملك ان كانت وقاية إخوانه متوقفة على ذلك « لِيُنْفِقْ ذو سَعَةٍ من سَعَتِهِ ومن قُدِرَ عليه رزقه (أي ضُيِّقَ) فلينفقْ مما آتاه اللهُ لا يكلفُ اللهُ نفساً الا ما آتاها سيجعل اللهُ بعد عُسْرٍ يُسْراً »

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر في يوم السبت ١٦ صفر سنة ١٣٢٠ — ٢٤ مايو (أيار) سنة ١٩٠٢ ﴾

القسم الديني

﴿ باب تفسير القرآن الحكيم ﴾

(مقتبس مما يلقيه في الازهر مولانا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصريه)

« وعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ »

تقدم فى بيان معنى الخليفة ان علم الملائكة وعملهم محدودان وان علم الانسان وعمله غير محدودين وبهذه الخاصة التي فطر الله الناس عليها كانوا أجدر بالخلافة من الملائكة وهذه هي حجة الله البالغة على الملائكة التي بينها لهم بعد مانبههم الى علمه المحيط بما لايعلمون فقال « وعلّم آدم الاسماء كلها » أي أودع فى نفسه علم جميع الاشياء من غير تحديد ولا

تعيين فالمراد بالاسماء المسميّاتُ عبّر عن المداول بالدليل لشدة الصلة بين المعنى واللفظ الموضوع له وسرعة الانتقال من أحدهما الى الآخر والعلم الحقيقي انما هو ادراك المعلومات أنفسها والألفاظ الدالة عليها تختلف باختلاف اللغات التي تجري بالمواضعة والاصطلاح فهي تتغير وتختلف والمعنى لاتغيير فيه ولا اختلاف

قال الاستاذ : ثم ان الاسم قد يراد منه مايصل الى الذهن من المعلوم أي صورة المعلوم فى الذهن وبعبارة أخرى مابه يعلم الشئ عند العالم . فاسم الله مثلا هو مابه عرفناه فى أذهاننا بحيث يقال اننا نعتقد بوجوده ونسند اليه صفاته فالاسماء هى مابه تعلم الاشياء وهي العلوم المطابقة للحقائق . والاسم بهذا الاطلاق هو الذي جرى الخلاف فى أنه عين المسمىّ أوغيره وقد كان اليونانيون يطلقون على مافى الذهن من المعلوم لفظ الاسم والخلاف فى أن مافى الذهن من الحقائق هو عينها أو صورتها مشهور كالخلاف فى أن العلم عين المعلوم أوغير المعلوم. أما الخلاف فى ان الاسم الذى هو اللفظ عين المسمىّ أوغيره فهو ماأخطأ فيه الناظرون لعدم الدقة فى التمييز بين الاطلاقات لبداهة أن اللفظ غير معناه بالضرورة .

والاسم بذلك الاطلاق الذي ذكرناه هو الذي يتقدس ويتبارك ويتعالى « سبح اسم ربك الاعلى * تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام » فاسمه جل شأنه مايمكننا ان نعلم منه من صفاته ومايشرق فى أنفسنا من بهائه وجلاله

ولامانع من أن نريد من الاسماء هذا المعنى وهو لايختلف فى التأويل عما قالوه من ارادة المسميات ولكنه على مانقول أظهر وأبين

علم الله آدم كل شئ ولافرق فى ذلك بين أن يكون له هذا العلم فى آن واحد أوفى آنات متعددة [1] والله قادر على كل شئ . ثم ان هذه القوة العلمية عامة للنوع الآدمي كله ولايلزم من ذلك ان يعرف ابناؤه الاسماء من أول يوم فيكفي فى ثبوت هذه القوة لهم معرفة الاشياء بالبحث والاستدلال .

علم الله آدم الاسماء على نحو مابينا « ثم عرضهم على الملائكة » أي اطلعهم إطلاعاً إجمالياً بالالهام الذي يليق بحالهم على مجموع تلك الأشياء ولو عرضت على نفوسهم عرضاً تفصيلياً لعلموها ولم يكن علمهم محدوداً والحال انه عرضها عليهم وسألهم عنها سؤال تعجيز « فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء » المسميات والغرض من الانباء بأسمائها الابانة عن معرفتها ومعنى « إن كنتم صادقين » ان كان هناك موقع للدهشة والاستغراب من جعل الخليفة في الارض من البشر وكان ماطرق نفوسكم وطرأ على أذهانكم أوّلا حالا محلّه ومصيبا غرضه ولمّا تعرفوا حقيقة مايمتاز به الخليفة فأنبؤني بأسماء ماعرضته عليكم؟ « قالوا سبحانك » نقدسك وننزهك أن يكون علمك قاصراً تخلق الخليفة عبثاً أو تسألنا شيئاً نفيده وأنت تعلم اننا لانحيط بعلمه ولا نقدر على الإنباء به. وكلمة سبحانك تهدي الى هذا فكأنها جملة وحدها . وهذه هي البلاغة مضروب سرادقها ، مثمرة حدائقها ، متجلية حقائقها ، على ان القصة

---

(١) الذي يتبادر الى الفهم من صيغة التعليم هو التدرج . قال تعالى « ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون » وماكان ذلك الا تدريجاً . وهذا ظاهر في جميع الآيات التي فيها لفظ التعليم كقوله « وعلمك مالم تكن تعلم » وقوله « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل » الى غير ذلك

وردت مورد التمثيل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، وبعد تنزيه الباري تبرؤا من علمهم الى علمه تعالى وحكمته فقالوا «لا علم لنا الا ما علمتنا» وهو محدود لا يتناول جميع الاسماء ولا يحيط بكل المسميات « إنك أنت العليم » بخلقك ، « الحكيم » في صنعك

قال الاستاذ : ان هذه التأكيدات [1] تشعر بأن سؤال الاستغراب الأول كان يُتَنَسَّمُ منه شيء وكذلك الجواب عن « أنبؤني » بقولهم : لا علم لنا . ولذلك ختموا الجواب بالتبرؤ من كل شيء والثناء على الله تعالى بالعلم الثابت الواجب لذاته العلية والحكمة البالغة اللازمة له فقد تقدم في تفسير الفاتحة ان صيغة (فعيل) تدل غالباً على الصفات الراسخة اللازمة فكان جواب الملائكة بهذا مؤذناً بأنهم رجعوا الى ما كان يجب ان لا يغفل عنه وهو التسليم لسعة علم الله وحكمته حتى يبلغ الكتاب أجله

« قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم » فكان الإنباء كما أراد الله تعالى وذكره عند ترتيب الحكم عليه بقوله « فلما أنبأهم بأسمائهم قال » الله تعالى للملائكة « أَلَمْ أقل لكم إني أعلم غيبَ السموات والأرضِ » ومن كان هذا شأنه فلا يخلق شيئاً سدًى ولا يجعل الخليفة في الأرض عبثاً « وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون » والذي يبدونه هو مايظهر أثره في نفوسهم وأما مايكتمون فهو مايوجد في غرائزهم وتنطوي عليه طبائعهم

وقد علم مما تقدم ان كل هذه الأقوال والمراجعات والمناظرات

---

(١) في التنزيه تأكيد معنوي وكذلك في نفي العلم عن أنفسهم لذاتها وإثبات ما اعطاها الله فقط ثم بلى ذلك التأكيد اللفظي بإن والجملة الاسمية وضمير الفصل والمعنوي بصيغتي المبالغة في العلم والحكمة

يفوّض السلف الأمر الى الله تعالى في معرفة حقيقتها ويكتفون بمعرفة فائدتها وحكمتها وقد تقدم بيان ذلك ؛ وأما الخلف فيلجؤن الى التأويل، وأمثل طرقه في هذا المقام التمثيل ، وقد مضت سنة الله في كتابه بأن يبرز لنا الاشياء المعنوية ، في قوالب العبارة اللفظية ، ويجلّي لنا المعارف المعقولة، بالصور المحسوسة ، تقريباً للأفهام ،وتسهيلاً للاعلام ، ومن ذلك انه عرفنا بهذه القصة قيمة أنفسنا ، وما أودعته فطرتنا ، مما نمتاز به على غيرنا من المخلوقات فعلينا ان نجتهد في تكميل أنفسنا بالعلوم التي خلقنا مستعدين لها من دون الملائكة وسائر الخلق لتظهر حكمة الله فينا ولعلنا نشرف على معنى إعلام الله الملائكة بفضلنا ، ومعنى سجودهم لاصلنا ، « ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون » .

باب الاخبار النبوية وآثار السلف الصالح

« ننشر في هذا الباب ما يعرف به المسلمون أصل مدنيتهم ومنشأ سعادتهم التي ذهبت بتركه »

القضاء في الاسلام – النبذة الثالثة في آدابه

السكون وعدم الغضب عن أبي بكرة [12] رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يقضينّ حاكم بين اثنين وهو غضبان » وروى عن غير أبي بكرة أيضاً وهذا أدب عظيم لا بد من مراعاته فان الغضب يذهب بالروّية والفطنة ويحكم الهوى فلا يتيسر معه استيفاء النظر والاحاطة باسباب الحكم العادل . وقد ذهب بعض علماء المسلمين الى أن الحكم في حال الغضب لا ينفذ لثبوت النهي عنه والنهي

---

(١٢) رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن الاربعة

يقتضي الفساد . وقال الاكثرون انه صحيح وان كان اتيانه مكروها وينفذ اذا وافق الحق وذلك لان النهي الذي يفيد الفساد عند هؤلاء هو ما كان لذات المنهي عنه أو لجزئه أو لوصفه اللازم له والغضب وصف مفارق لالازم وفي القاعدة خلاف لامحل للبحث فيه هنا

المساواة بين الخصمين [١٣] عن عبد الله بن الزبير (رض) قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخصمين يقعدان بين يدي الحاكم . وهذا من المساواة التي جاء بها الاسلام . وقال بعض العلماء : ان هذه الهيئة مشروعة لذاتها لالمجرد المساواة

[١٤] عن علي كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « ياعلي اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فانك اذا فعلت ذلك تبين لك القضاء »

[١٥] عن أم سلمة (رض) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « قال من ابتلي بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم في لحظه واشارته ومقعده ومجلسه ولا يرفع صوته على أحد الخصمين مالا يرفع على الآخر » وهذا هو العدل الاكمل الذي مابعده غاية . وذكر المسلمين فيه لان الكلام في دينهم وشرعهم وحكومتهم وان كان المتقاضون من غيرهم كذلك اذ لافرق في حكمهم العادل بين مسلم وذمي ومعاهد . وما روي

(١٣) رواه أحمد وأبو داود والبيهقي والحاكم وقد طعن بمصعب بن ثابت من رجاله بانه كان يغلط كثيراً على صدقه ولا يضرنا هذا في مثل هذا الحديث (١٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وابن حبان وصححه وله طرق أخرى (١٥) رواه الدارقطني والطبراني والبيهقي . وفي أسناده عبادة ابن كثير وقد ضعف ولكن الحديث صحيح المتن

عن علي كرم الله وجهه انه جلس بجنب شريح القاضي في خصومة له مع يهودي أو نصراني وقال لو كان خصمي مسلما جلست معه بين يديك ولكني سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول : « لاتساووهم في المجالس » فقد قال المحدثون انه منكر وأورده ابن الجوزي في العلل وقال لا يصح تفرد به أبو سمية . هذا ماقالوه في رواية ان الخصم كان يهوديا . ورواية البيهقي التي ذكر فيها ان الخصم كان نصرانيا في إسناده عمر بن سمرة عن جابر الجعفي وهما ضعيفان وقال ابن الصلاح لم أجدله اسناداً . فهو منكر وباطل ومضطرب والعلة في سنده ومتنه معاً وكأن مروجه من الجهلاء الذين يرون تعظيم شأن المسلمين بظلم غيرهم ولو كانوا كذلك لما قامت لهم دولة .

ومما تجب ملاحظته هنا ان ملوك عصرنا وأمراءه لو فعلوا مثل له ذلك ورضي أحدهم بأن يخضع للقضاء ويحاكم مع بعض رعيته الموافقين او المخالفين في الدين وجاس مع ذلك بجنب القاضي أو على رأسه لوصف بأنه أعدل العادلين ، وفضل على الخلفاء الراشدين ، وانهم ليصفونهم بالعدل وينتحلون لهم ماشاء الهوى من الفضل ، على حين أنهم رفعوا أنفسهم فوق الشريعة الالهية ، بل نسخوا أكثر أحكامها بقوانينهم الوضعية ، فلايمكن ان يحاكم سلطان أو أمير ، مع كبير من رعيته ولا صغير ، فاضاعوا بكبريائهم الدين والدنيا والى الله المصير ،

[١٦] عن ابن أبي حدرد الاسلمي (رض) انه كان ليهودي عليه أربعة دراهم فاستعدى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] فقال : يامحمد

(١٦) رواه الامام أحمد (١) استعداه عليه أي استغاثه واستنصره

ان لي على هذا أربعة دراهم وقد غلبني عليها. فقال «أعطه حقه» قال والذي بعثك بالحق ما أقدر عليها. قال «أعطه حقه» قال والذي بعثك بالحق ما أقدر عليها قد أخبرته انك تبعثنا الى خيبر فأرجوا أن تغنمنا شيئاً فأرجع فاقضيه قال «أعطه حقه» قال (الراوي) وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قال ثلاثاً لا يراجع. فخرج به ابن أبي حدرد الى السوق وعلى رأسه عصابة وهو متزر ببردة فنزع العمامة عن رأسه فاتزر بها ونزع البردة وقال اشتر مني هذه البردة فباعها منه بأربعة دراهم فمرّت عجوز فقالت مالك ياصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرها فقالت: هادونك هذا البُرْد عليها طرحته عليه وقد أوردت هذا في أدب المساواة وان كان من باب آخر لمناسبة له. وانظر الى شدة الاسلام في أداء الحقوق والى قساوة اليهود في أخذ دينهم فقد ترك اليهوديُّ صاحب النبي (ص) عريانا لا ساتر لعورته الا عمامته لأجل أربعة دراهم لم ينظره بها

الاحتجاب عن المتظلمين (١٧) عن عمر بن مرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مامن امام أو والٍ يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة الا أغلق الله دونه أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته» استدلوا بالحديث على منع الحاكم من اتخاذ حاجب لبابه في مجلس حكمه. والحديث ناطق بان المراد منع المظلومين من التقاضي والشكوى اشتغالا عنهم بشؤون النفس أوحبا بالراحة أو ترفعا عن الناس ونحو ذلك ولا يدخل في النهي الحجّاب الذين يقفون على أبواب الحاكم لحفظ النظام ومنع الفوضى والخلل وهو الذى قال بعض علمائنا بجوازه وبعضهم باستحبابه

(١٧) رواه أحمد والترمذي والحاكم والبزار وتقدم غيره في الكلام على الامراء في المجلد الرابع

وإنما يدخل فيه حُجّاب الامراء والسلاطين الذين يذودون الناس عن مجالسهم لأنهم لا يقابلون الا أشخاصا معلومين لهم صفة رسمية عندهم ويجهلون سائر أصناف رعيتهم بدون عذر. ونقل ابن التين عن الداودي انه قال: الذي أحدثه القضاة من شدة الاحتجاب وإدخال بطائق من الخصوم لم يكن من فعل السلف. ثم قال متعقبا له: ان كان مراده البطائق التي فيها الاخبار بما جرى فصحيح وان كان مراده البطائق التي يكتب فيها للسبق ليبدأ بالنظر في خصومة من سبق فهو من العدل في الحكم. وقال الشوكاني لولم يحتجب الحاكم لدخل عليه الخصوم وقت طعامه وشرابه وخلوه بأهله وصلاته الواجبة وجميع أوقات ليله ونهاره. وهذا ظاهر لا نزاع فيه

منع الرشوة (١٨) عن عبد الله بن عمرو (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لعن الله الراشي والمرتشي» والرشوة هي السحت في قوله تعالى «سماعون للكذب أكّالون للسحت»

(١٩) عن أبي هريرة (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعنة الله على الراشي والمرتشي في الحكم» وفي هذا زيادة بيان.

(٢٠) عن ثوبان (رض) قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي والرائش يعني الذي يمشي بينهما. وفي هذا زيادة فائدة. ولا حاجة لبيان مفسدة الرشوة وتدميرها للمالك وثلها لعروش الامراء والسلاطين فان هذا يكاد يكون معلوما للناس أجمعين

(١٨) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الا النسائي. وابن حبان والطبراني والدار قطني
(١٩) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وابن حبان وصححه (٢٠) رواه أحمد

منع الحاكم من الهدية

(٢١) عن أبي حميد الساعديّ قال : استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من بني أسد يقال له ابن اللتبية على صدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدي اليّ فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر (قال سفيان أيضاً) فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « مابال العامل نبعثه فيأتي يقول هذا لكم وهذا لي فهلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدي له أم لا . والذي نفسي بيده لايأتي بشيء الا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته ان كان بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أوشاة تيعَرُ » ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه « الاهل بلّغتُ » ثلاثا . وتيعر الشاة بمعنى تصيح

(٢٢) عن أبي حميد الساعدي (رض) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هدايا العمّال غلول » وفي رواية هدايا الامراء . الغلول في الاصل الخيانة في الغنيمة وهي المال الذي كان يأتي الى أيدي الامراء والعمال في الاكثر وورد في الكتاب العزيز التشديد فيه والهدية للحاكم مثله أو منه بحكم السنة . قال الحافظ ابن حجر اسناده ضعيف . ولكن له شواهد وطرقا متعددة تقويه . والهدية مستحبة لغير علة الحكم ومابمعناه

(٢٣) عن بريدة (رض) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذه بعد ذلك فهو غلول »

(٢٤) عن علي (رض) عن النبي صلى الله عليه وسلم « أخذ الامير الهدية سحت وقبول القاضي الرشوة كفر » وانني لاتسمّ من تشديده الوضع

(٢١) رواه البخاري بل هو متفق عليه . (٢٢) رواه احمد والبيهقي وابن عدي وكذا أبوسعيد النقاش زاد في كنز العمال بعد ذكر أبي حميد الساعدي في الاولى « عن عرباض » وفي الثانية « وعن أبي سعيد عن أبي هريرة » . وابن جرير وابن عساكر وغيرهم (٢٣) أخرجه أبو داود (٢٤) رواه أحمد في الزهد عن علي

﴿ آثار السلف عبرة للخلف ﴾

عدل عمر وسياسته

(٢) روى سعيد ابن أبي منصور في سننه وأبو بكر ابن أبي شيبة في مسنده والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : اشتريت ابلا وارتجعتها الى الحمى فلما سمنت قدمت بها فدخل عمر السوق فرأى إبلا سمانا فقال : لمن هذه الابل ؟ قيل لعبد الله بن عمر فجعل يقول: ياعبد الله بن عمر بخ بخ ابن أمير المؤمنين !! فجئت أسعى فقلت مالك ياأمير المؤمنين ؟ قال : ماهذه الابل ؟ قلت إبل اشتريتها وبعثت بها الحمى ابتغي مايبتغي المسلمون . فقال : ادعوا إبل ابن أمير المؤمنين . اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين . ياعبد الله بن عمر اغد على رأس مالك واجعل الفضل في بيت مال المسلمين . اه قولهُ « ادعو إبل ابن أمير المؤمنين » الخ حكاية قول الناس .

فماذا يقول أمراؤنا الذين يستعبدون رعاياهم مااستطاعوا . ويمتصون دماءهم ان استطاعوا . ويسخرونهم في خدمة أرضهم ومواشيهم . مالم يأخذ الاجنبي الذي يسمونه كافرا على أيديهم . فما هذا الزمان الذي يعلمنا فيه « الكفار » العدل بل يلزموننا به الزاما حتى يطمئن الرعية على أموالهم ويأمنوا على أنفسهم من أمرائهم وأئمتهم الذين انتحلوا لانفسهم إمامة الدين .

(٣) روى ابن سعد في الطبقات وابن راهويه عن عطاء قال : كان عمر ابن الخطاب يأمر عماله ان يوافوه بالموسم فاذا اجتمعوا قال : ياأيها الناس اني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم ولا من اعراضكم إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم وليقسموا فيئكم بينكم فمن فعل

به غير ذلك فليقم . فما قام أحد الا رجل قام فقال أمير المؤمنين إن عاملك فلانا ضربني مائة سوط . قال فيم ضربته ؟ قم فاقتصَّ منه . فقام عمرو بن العاص فقال ياأمير المؤمنين إنك ان فعلت هذا يكثر عليك وتكون سنة يأخذ بها من بعدك . قال أنا لا أقيد وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقيدُ من نفسه؟[1] . قال فدعنا لنرضيه . قال دونكم فأرضوه . فافتدى منها بمائتي دينار عن كل سوط بدينارين .

فماذا يقول الناس هنا فى أمرائهم الذين كانوا يضربونهم السياط بغير حساب لتحصيل الاموال الاميرية ويضربونهم بغير حساب لتحصيل الضرائب والمكوس الظالمة ويضربونهم بغير حساب لتحصيل ديون الخواجات ويضربونهم بغير حساب لتسخيرهم في الاعمال العامة والخاصة . ومع هذا كله يمنّون على البلاد انهم أنقذوها من ظلم الظالمين السابقين أي انهم حصروه فى أنفسهم واحتكروه لهما ولا فرق عند المظلوم بين ان يسمى ظالمه مالكا أو مملوكا . وانه ليفرح بإنقاذه سواء سمي منقذه مسلما أم سمي كافرا . فالحقائق لا تتبدل بتبدل الاسماء والالقاب وبالعدل قامت ممالك الاسلام وبالظلم سقطت ممالك المسلمين « عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا »

(٤) روى ابن عساكر من مسند عمر عن الاحنف بن قيس قال : ما كذبت الامرة قالوا وكيف ياأبا بحر ؟ قال وفدنا على عمر بفتح عظيم فلما دنونا من المدينة قال بعضنا لبعض لو ألقينا ثياب سفرنا ولبسنا ثياب

(١) القَوَدُ القصاص وأقاد الامير القاتل بالقتيل اذا قتله به والمراد هنا التمكين من القصاص

صوننا فدخلنا على أمير المؤمنين والمسلمين في هيئة حسنة وشارة حسنة كان أمثل . فلبسنا ثياب صوننا وألقينا ثياب سفرنا حتى اذا طلعنا في أوائل المدينة لقينا رجل فقال انظروا الى هؤلاء أصحاب دنيا ورب الكعبة. قال فكنت رجلا ينفعني رأيي فعلمت ان ذلك ليس بموافق للقوم فعدلت فلبستها (وفي نسخة فلبست ثياب سفري) وادخلت ثياب صوني العيبة وأشرجتها[1] وأغفلت طرف الرداء ثم ركبت ولحقت باصحابي فلما دفعنا الى عمر نبتْ عيناه عنهم ووقعت عيناه علي فأشار اليّ بيده فقال : أين نزلتم ؟ قلت في مكان كذا وكذا فقال أرني يدك فقام معنا الى مناخ ركابنا فجعل يتخللها ببصره ثم قال : الا اتقيتم الله في ركابكم هذه ؟ اما علمتم ان لها عليكم حقا ؟ الاتقصدتم بها في المسير ؟ (وفي رواية قصدتم وهما بمعنى التوسط) ألا حللتم عنها فأكلت من نبت الارض ؟ فقلنا ياأمير المؤمنين إنا قدمنا بفتح عظيم فأحببنا ان نسرع الى أمير المؤمنين والى المسلمين بالذي يسرّهم فحانت منه التفاتة فرأى عيبتي فقال : لمن هذه العيبة ؟ قلت لي ياأمير المؤمنين . قال فما هذا الثوب ؟ قلت ردائي . قال بكم ابتعته ؟ فألقيت ثلثي ثمنه فقال : إن رداءك هذا لحسنٌ لولا كثرة ثمنه

ثم انطلق راجعا ونحن معه فلقيه رجل فقال : ياأمير المؤمنين انطلق معي فأعدني على فلان فانه قد ظلمني . فرفع الدِرةَ فخفق بها رأسه[2] وقال تدَعُونَ أمير المؤمنين وهو معرض لكم حتى اذا اشتغل في أمر من أمر المسلمين أتيتموه : اعدني اعدني . فانصرف الرجل وهو يتذمّر فقال : عليّ

(١) العيبة وعاء توضع فيه الثياب واشرجها ضمها (٢) خفقه ضربه ضربا خفيفا بشيء عريض كالمخفقة وهي الدرة أو خشبة عريضة

الرجل فألقى المخفقة فقال امتثل . فقال لا والله ولكن أدعها لله ولك قال: ليس هكذا إما تدعها لله إرادة ماعنده أو تدعها لي فأعلم ذلك . قال ادعها لله . قال فانصرف ثم مضى حتى دخل منزله ونحن معه فافتتح الصلاة فصلى ركعتين وجلس فقال : يا ابن الخطاب كنت وضيعا فرفعك الله وكنت ضالاً فهداك الله وكنت ذليلاً فاعزك الله ثم حملك على رقاب المسلمين فجاءك رجل يستعديك فضربته. ماتقول لربك غداً اذا أتيته ؟ قال فجعل يعاتب نفسه فى ذلك معاتبة ظننا انه خير أهل الارض اه

فاين أمراؤنا اليوم وما مبلغ معرفتهم بالله وخوفهم منه وتعظيمهم له. أعرف ان بعض من يتراءى بالدين ويفتخر بانه يصلي قال له قائل مرة : ورد فى الحديث الصحيح « الدين النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم » ومولاي من أئمتهم فأنا عملا بالحديث أقدم له نصيحة فى شأن كذا . فغضب عليه غضبا شديداً لأنه وجه اليه النصيحة ومثله أعلى فى اعتقاده من ان يُنصح وان كان الحديث ناطقا بأن النصيحة لله ولرسوله . ومثل هذا من أمرهم لا يحصى

(٥) روى الدينوريُّ فى المجالسة عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: قدم بريد ملك الروم على عمر بن الخطاب فاستقرضت امرأة عمر بن الخطاب ديناراً فاشترت به عطرا فجعلته فى قوارير وبعثت به مع البريد الى امرأة ملك الروم فلما أتاها فرغتهن وملأتهن جواهر وقالت اذهب الى امرأة عمر بن الخطاب . فلما أتاها فرغتهن على البساط فدخل عمر فقال ماهذا فاخبرته بالخبر فأخذ عمر الجواهر فباعها ودفع الى امرأته دينارا وجعل مابقى من ذلك فى بيت مال المسلمين . اه

وفى الأثر من الفقه ان الهدية وان كانت مكافأة على هدية أخرى فهي لأجل ان امرأة عمر امرأة أمير المؤمنين لا لذاتها فيجب ان يكون ما أخذ بجاه أمير المؤمنين للمؤمنين . ولكن الملوك والامراء على المؤمنين فى هذه العصور قد ملأوا قصورهم جواهر من بيت مال المؤمنين وهم يهدون منها ويهبون بلا معارض ولا منازع . وفيه أيضا الموادة والتحاب بالهدايا بين المسلمين وغيرهم وان كانوا حربيين ولكن فى غير وقت الحرب وغير مايتعلق بالحرب كالاعانة عليها فان عمر لم ينكر على امرأته إهداء العطر الى ملكة الروم . وهو يدل ان النساء أسرع الى الائتلاف والموادة بعضهن مع بعض من الرجال وهو مشاهد معروف

باب الاسئلة والاجوبة

(س ١) نزول المسيح من أحمد أفندي عبد الحليم بشبين الكوم: هل يوجد دليل شرعي على أن المسيح سينزل ويحكم وهل يكون بنزوله نبيا مع أن النبي صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين كما هو معلوم في الشرع ولماذ حينئذ ينزل المسيح وهل يكون قبل نزوله فترة ؟

(ج) ليس فى الكتاب والسنة نص قطعي الثبوت والدلالة على نزول المسيح توجب على المسلمين الاعتقاد بذلك وانما ورد في نزوله أحاديث آحاد اشتهرت لغرابة موضوعها وتخريج الشيخين لها وأكثرها عن أبي هريرة . وهذه المسئلة من المسائل الاعتقادية التي يطلب فيها النص القطعي المتواتر . وقد استدل بعضهم عليها بآيتين من القرآن ليستا نصاً فيها بل ربما كان الظاهر منهما خلاف ماحملتا عليه عند من ذكر (احداهما)

قوله تعالى « وانْ من أهلِ الكتاب الا ليُؤمننَّ به قبْلَ موتهِ » جاءت الآية في سياق الكلام على المسيح ومزاعم أهل الكتاب فيه ومعناها الظاهر أنه لا احد من أهل الكتاب الا ويؤمن بالمسيح الايمان الصحيح قبل أن يموت أي قبل خروج روحه لانه وقت تشرف فيه النفس على العالم الاخر فيظهر لها الحق ولكن اذا جاء هذا الوقت « لاينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبلُ أو كسَبَتْ في ايمانها خيرا » فالضمير في (موته) للمنفي في قوله (وان من أهل الكتاب) الذي معناه لا أحد من أهل الكتاب وعليه الاكثرون . وذهب المستدل بالاية على نزول المسيح الى ان الضمير للمسيح وانهم يؤمنون به قبل ان يموت عند ماينزل ويقيم دين الاسلام ويحكم به ولكن النفي العام في الاية لايصح على هذا الوجه لانه لايشمل أهل الكتاب الذين يموتون قبل نزوله ولا يؤمنون به كاليهود في عصر التنزيل وما بعده الى عصر النزول المدّعَى . على ان القرآن مصرح بأن المسيح قد توفي قبل رفعه كما هو المتبادر من قوله عز وجل (ياعيسى انى متوفيك ورافعك اليّ) ولا يصار الى التأويل ، مالم يقم على خلاف الظاهر الدليل ، هذا مايقال في الاية لذاتها فهي من حيث انها متواترة ليست نصاً ولا ظاهرا في المطلوب وان وردت شاهداً في بعض الروايات المرفوعة وللرواية حكمها ومن ثبتت عنده وجب عليه الايمان بها

والاية الثانية قوله تعالى بعد ذكر عيسى عليه السلام ومقارنة المشركين بينه وبين آلهتهم (وإنّه لَعِلْمٌ للساعةِ فلا تمترُنَّ بها واتّبِعُونِ هذَا صراطٌ مستقيم) فذهب بعضهم الى أن الضمير (إنه) لعيسى واختلفوا في وجه كونه علما للساعة فقيل انه حدوثه وقيل احياؤه الموتى وقيل نزوله في

اخر الزمان والاية لاتدل على هذا وإنما هو احتمال . وذهب بعضهم الى ان الكلام في القرآن لأن فيه الاعلام بالساعة والاستدلال عليها بالادلة التى تقرب الاعتقاد بها من العقول وهذا مما امتاز به على سائر الكتب السماوية التي سكتت عن ذلك أو أشارت اليه من طرف خفي ولا غرو فنبيُّ القرآن هو نبي الساعة وقد عرفنا من أسلوب القرآن الانتقال من محاجة الزائغين في عقائدهم وتقاليدهم الى الدعوة الى القرآن واتباع من جاء به وتتمة الآية تؤيد هذا القول الأخير . فظهر ان لادليل في القرآن على نزول المسيح وأما الاخبار فقد ورد فيها ذلك فتلقاه الناس بالقبول لاسيما بعد اشتهار كتابي الشيخين ولكنهم لم يذكروه في العقائد الاسلامية لانه ليس قطعيا

ومما يستحق الذكر ان القول بظهور المسيح فى آخر الزمان قد اتفق فيه المسلمون مع اليهود والنصارى فى الجملة ولكنهم اختلفوا في التفصيل فاليهود ينتظرون مسيحاً جديدا يجدد ملك اسرائيل ولذلك يدعون لتحقيق هذه الامنية سعيا ماديًّا يناسب الملك . والنصارى ينتظرون مجيء المسيح فى ملكوته وصليبه ليدين العالمين ويحاسبهم على نحو مايعتقد المسلمون في الآخرة . والمسلمون يعتقدون ان المسيح ينزل في آخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقيم الشريعة الاسلامية ويصلي مأموما وراء أحد أئمة المسلمين ليظهر ان الدين عند الله الاسلام

وقد بنت فرقة البهائية دينها على أساس هذا الاتفاق الاجمالي بين أهل الاديان السماوية وزعموا ان زعيمهم (بهاء الله) دفين عكا هو المسيح المنتظر وان الباب هو المهدي الذي يقول المسلمون ان ظهوره يتقدم

ظهور المسيح ولهم سبح طويل في تأويل الاحاديث وأقوال الصوفية الواردة في المهدي والمسيح وتطبيقها على الباب والبهاء وعند مايدعون النصارى الى دينهم يعترفون بأن المسيح كان الهاً كاملا ويقولون انه لم يكن الهاً بجسمه بل بروحه وهذه الروح الالهية نفسها هي التي حلت في البهاء فهو اله كامل « سبحانَ ربِّكَ ربِّ العزّةِ عمّا يصفُون »

وفي الهند قائم يدعي الآن انه المسيح عيسى ابن مريم وكان من مشايخ الطريق وأهل العلم الاسلامي وقد رددنا عليه في مجلد المنار الثالث ورددنا على البهائية أيضاً وان لنا لعودة ان شاء الله تعالى

وان من النصارى من يحمل ظهور المسيح أو نزوله في آخر الزمان على ان الصفات التي امتاز بها والتعاليم التي كان يرشد اليها هي التي تكون سائدة فى الناس وهي المحبة والمسالمة والمؤاخاة والاخذ بمقاصد الدين والشريعة دون الوقوف عند الرسوم الظاهرة التي قالوا إنه طمسها من اليهودية ثم عاد المنتسبون اليه فوضعوا لهم رسوما غيرها ربما تزيد عليها من بعض الوجوه. وهذا التأويل على حدّ « ظَهَرَ في المسلمين عُمر » اذا قام فيهم ملك عادل « وهذا الجيش يقوده نابليون » اذا كان قائده شجاعا مدربا. ولا حاجة للمسلمين بالتأويل الا اذا ثبت ان الاخبار الواردة متواترة ويعارضها قطعي آخر ككون محمد خاتم النبيين صلى الله عليهم أجمعين. فعلم من هذا انه لايكون زمن فترة يضيع فيها الاسلام فيجدده المسيح وإنما يبقى الاسلام معمولا به الى قيام الساعة كما ورد في الحديث الصحيح. هذا وان لفظ النزول يستعمل بمعنى الخروج كقوله تعالى « وانزلنا الحديد » فاذا احتجنا للتأويل نقول ان معنى حديث نزول عيسى هو

ظهور حقيقته بظهور الاسلام واستعلاء برهانه فيعلم النصارى ان المسيح بشر لا آله وان دين الله واحد لافرق فيه بين عيسى ومحمد وغيرهما من الرسل وهو توحيد الله والإيمان بلقائه في الآخرة ووجوب عمل الخير وترك الشر وما يتفرع عن هذه الأصول ولا شك ان الترقي في علم النفس وعلوم الكون سيرتقي بالناس الى هذه المعرفة « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم انه الحق. أوَلَمْ يكفِ بربك انه على كل شيء شهيد »

(س ٢) **انتفاع الموتى بالقراءة** من الشيخ أحمد حسن يوسف معمّر بالازهر: هل ورد دليل من الكتاب أو السنة أو الاجماع بانتفاع الموتى بقراءة القرآن عليهم أم لا ؟ فان كان ورد شيء يؤيد ذلك فما معنى قوله تعالى « وأنْ ليسَ للانسان إلا ماسَعَى » الرجاء كشف النقاب عن هذه المسئلة ولكم الفضل

(ج) لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا في الاجماع شيء يثبت انتفاع الاموات بقراءة غيرهم القرآن عليهم والآية ناطقة بأن الانسان لاينتفع الا بعمله وكسبه ومنه مايبقى أثره أوعينه بعد موته كالصدقة الجارية والعلم النافع والذرية الصالحة ولذلك ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « اذا مات الإنسان انقطع عمله الا من ثلاث صدقةٍ جارية أوعلم يُنْتَفَعُ به أو ولدٍ صالح يدعو له » رواه مسلم وأصحاب السنن من حديث أبى هريرة. فهذه الثلاث ملحقة بعمل الانسان ومعتبرة منه فلا حاجة الى ماقاله بعضهم من تخصيص عموم قوله تعالى « وان ليس للانسان الا ما سَعَى » بالحديث إذ لا منافاة. ومثل ذلك يقال في من سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل يتصدق عن أبيه ومن سأله هل يتصدق عن أمه وإجابته

اياهم بنعم ومنهم سعد بن عُبادة الذي سأله أي الصدقة أفضل ؟فقال: سقي الماء . ولم يرد مثل ذلك الا في صدقة الابناء عن الوالدين . وقد ألحقوا بهم غيرهم في الصدقة ولا دليل على ذلك الا اذا صح القياس في الأمور التعبدية. وخصُّوا الآية بالعبادات البدنية كالصلاة والقرآءة . وقد استدل الامام الشافعي رحمه الله تعالى بالآية على ان ثواب القراءة لايلحق الأموات وهو مذهب مالك أيضاً . ولا نخوض هنا في خلاف العلماء وتأويلهم لأن السائل لم يسأل عن ذلك

وأما حديث « اقرأوا يس على موتاكم » فقد رواه أبو داود وابن ماجه والنسائي وابن حبان وصححه واحمد بلفظ آخر . ولكن ابن القطان أعلّه بالاضطراب وبالوقف وبجهالة حال أبي عثمان وأبيه من رجال سنده وقال الدارقطني هذا حديث ضعيف الاسناد مجهول المتن . وتصحيح ابن حبان لايعوّل عليه مع هذا الجرح لانه كان يتساهل بالجرح فيعتمد جرحه دون تعديله اذا انفرد به كما صرح به الذهبي في ميزان الاعتدال . على انه فسره في صحيحه بقراءتها عند المحتضر فقال « أراد به من حضرته المنية لا أن الميت يُقرأ عليه » وخالفه المنتصرون للقراءة على الأموات. ولو ان في الباب حديثاً صحيحاً لما احتاجوا للاستدلال بحديث وضع الجريدتين على القبر ولا دلالة فيه كما هو ظاهر

(س ٣) اتخاذ الصور احمد افندي صادق الدباغ بالاسكندرية : ماحكم اتخاذ الصور وهل يحرم تزيين المنازل بها ؟

(ج) اختلف العلماء في اتخاذ الصُّور فقيل إنه محرم مطلقاً وقيل ان المحرم منها ماله ظل وأما مالا ظل له فلا بأس باتخاذه وقيل ان المحرم هو ما اتخذ

بهيئة تعظيم وهذا أقوى الأقوال عندي لوجهين أحدهما حديث عائشة عند أحمد والبخاري ومسلم وهو « أنها نصبت ستراً وفيه تصاوير فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزعه . قالت :فقطعته وسادتين فكان يرتفق عليهما » وفي لفظ أحمد « فقطعته مرفقتين فلقد رأيته متكئاً على احداهما وفيها صورة » المرفقة المتَّكأ والمخدّة ولو كانت الصورة ممنوعة لذاتها لأزالها من المرفقة وإنما هتك الستر لأنه كان منصوباً كالصور المعبودة فهو يذكّر بها وفيه تشبُّه بعابديها . ثانيهما العلة الحقيقية في النهي عن التصوير والصور المعظمة وهي محاكاة عباد الاصنام لاماقالوه من انفيها محاكاة خلق الله فان هذه العلة تقتضي تحريم تصوير الشجر والجماد وقد نقل بعضهم الاجماع على حله . فاذا انتفت العلة انتفى المعلول والله تعالى أعلم

القسم العمومي

الاجتماع الثالث ـ الداء أو الفتور العام

في مكة المكرمة يوم الخميس ثامن عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦

في الوقت المعين وهو بعد طلوع الشمس بساعة تم توارد الاخوان لمحفل الجمعيه غير ان الاستاذ الرئيس تأخر نحو نصف ساعة ثم حضر واعتذر بأنه عاقه عن الحضور ان حضرة الشريف الأمير قد طلبه لزيارته فما وسعه الا الاجابة باكراً وما كان يظن أن يسترسل بينهما الحديث فيتأخر عن الميعاد ولكن اتفق ان الحديث كان طويلاً .

ثم قال (الاستاذ الرئيس) اننا متشوقون لتمام بحث المولى الرومي وأمر السيد الفراتي كاتب الجمعية فقرأ ضبط مذاكرات الاجتماع السابق حتى بلغ آخره من عبارة المولى الرومي وهي قوله وعندي ان داءنا الدفين دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين وبعبارة أخرى تحت ولاية الجهال المتعممين

فحينئذ أفاض (المولى الرومي) في الكلام فقال وهم المقربون من الامراء على انهم علماء وارتباط القضاء والامضاء بهم فان بعض هؤلاء المتعممين في البلاد الاسلامية

كانوا اتخذوا لانفسهم قانوناً جعلوا فيه من الاصول ما انتج منذ قرنين الى الآن ان يصير العلم منحة رسمية تعطى للجهال حتى للاميين بل وللاطفال •

ويترقى صاحبها في مراتب العلم والفضل والكمال بمجرد تقادم السنين أو ترادف العنايات لاسيما اذا كان من زمرة الاصلاء . فانه يكون طفلا في المهد وينعت رسما بانه « أعلم العلماء المحققين » ثم يكون فطيما فيخاطب بانه « أفضل الفضلاء المدققين » ثم يصير مراهقاً فيعطى لقب « أقضى قضاة المسلمين ، معدن الفضل واليقين ، رافع اعلام الشريعة والدين ، وارث علوم الانبياء والمرسلين ، » ثم وثم حتى يبلغ الوصف (باعلم العلماء المتبحرين ، وافضل الفضلاء المتورعين ، ينبوع الفضل واليقين ،)

ولا يظن ظانّ ان هذا الاطراء من الامراء للمتعممين هو بقصد ان يقابلوهم بالمثل بألقاب « المولى ، المقدس ، ذي القدرة ، صاحب العظمة والجلال ، المنزه عن النظير والمثال ، واهب الحياة ، ظل الله ، مهبط الالهامات ، سلطان السلاطين ، مالك رقاب العالمين ، ولي نعمة الثقلين ، ملجأ أهل الخافقين ، » الى غير ذلك من مصارع الكبرياء والمهالك •

هذا ولا ريب ان كثيراً من هؤلاء العلماء المتبحرين لايحسنون قراءة نعوتهم المزوّرة كما ان بعض اولئك المتورعين رافعي اعلام الشريعة والدين يحاربون الله جهاراً ويستحقون مايستحقون من الله وملائكته والمؤمنين •

ويكفى حجة عليهم بذلك تميزهم جميعاً بلباس عروسي مزركش بكثير من الفضة والذهب مما هو حرام في الاسلام وقد اقتبسوا هذا اللباس من كهنة الروم الذين يلبسون القباء والقلنسوات المذهبة عند اقامة شعائرهم وفي احتفالاتهم الرسمية وكم من خطيب يستوي على المنبر ويقول اتقوا الله وعلى رأسه وصدره ومنكبيه هذا اللباس المنكر (مرحى) •

ثم ان هؤلاء المتعممين ماكفاهم هذا القانون فالحقوه بقانون آخر جعلوا فيه التدريس والارشاد والوعظ والخطابة والامامة وسائر الخدم الدينية كالعروض تباع وتشترى وتوهب وتورث وما يخل منها نادراً عن غير وارث يبيعها القضاة لمن يزيد في ثمنها او يتكرمون بها على المتملقين وبهذا القانون انحصرت الخدم الدينية في الجهلاء والمنافقين •

ثم لما شكلت بعض الحكومات مجالس ادارية لم يرض المتعممون حتى جعلوا فيها قاضي المسلمين وكذلك مفتي المؤمنين فهما في كل بلد عضوان في مجالس الادارة يحكمان باشياء كثيرة مما يصادم الشرع كالربا والضريبة على الخمور والرسوم العرفية وغيرها مما كان الأليق والأنسب بالاسلامية ان يبقى العلماء بعيدين عنه كما ان القسيس بل

الشماس لايحضر مجلساً يعقد فيه زواج أو تفريق مدنيان ولا يشهد في صك دين داخله ربا فضلا عن ان يقضي أو يمضي بصفة رسمية كهنوتية امثال ذلك من الاعمال التي تصادم دين النصرانية •

وكذلك لما وضعت المحاكم العرفية (الاهلية) تهافت المتعممون على جعل قاضي المسلمين رئيساً للمحكمة العرفية التي تحكم بما لم ينزل الله وبما يتبرأ الدين الحنيف منه من نحو ربا صريح ومن ابطال حدود الله التي صرح بها القرآن أو باستبدال عقوبات سياسية أو تغريمات مالية بها • ومن نحو معاقبة العباد بمجرد الظن والرأي وشهادة الواحد وشهادة الفاسق وشهادة العاهرة المجاهرة بما لايلائم الشرع قطعاً ومن نحو تنفيذ كل حكم عرفي حق أو باطل بدون نظر فيه ومن تحصيل ضرائب وغرامات ومن توقيف الاحكام الشرعية على استيفاء الرسوم من الاخصام وأموال الايتام

ومن أهم دسائس المتعممين انهم ينفثون في صدور الامراء لزوم الاستمرار على الاستقلال في الرأي وان كان مضراً ومعاداة الشورى وان كانت سنة متبعة والمحافظة على الحالة الجارية وان كانت سيئة ويلقون عليهم بأن مشاركة الامة في تدبير شؤونها واطلاق حرية الانتقاد لها يخل بنفوذ الامراء ويخالف السياسة الشرعية ويلقنونهم حججاً واهنة لولا ان امامها جهل الامة ووراءها سطوة الامارة لما تحركت بها شفتان ولا تردد في ردها انسان

والامر الامرّ أن اولئك الامراء يقتبسون من هذه الحجج مايتسلحون به في مقابلة من يعترض على سياستهم من الدول الاجنبية بقولهم ان قواعد الدين الاسلامي لاتلائم اصول الشورى ولاتقبل النظام والترقيات المدنية وانهم مغلوبون على أمرهم ومضطرون لرعاية دين رعاياهم ومجاراة ميل الفكر العام

وبهذه القوانين استأثر الجهلاء الفاسقون بمزايا العلماء العاملين واغتصبوا أرزاقهم من بيت المال ومن أوقاف الاسلاف فبالضرورة قلت الرغبات في تحصيل العلوم وتثبطت الهمم وصار طالب العلم يضطر للاكتفاء ببلغة منه ويشتغل بالاحتراف للارتزاق وهكذا فسد العلم وقل أهله فاختلت التربية الدينية في الامة فوقعت في الفتور وعمت فيها الشرور •

أجاب (الرياضي الكردي) ان هذا الداء خاص ببعض الشعوب الاسلامية فلا يصلح سبباً للفتور العام الذي نبحث فيه ونتساءل عنه . وعندي ان السبب العام هو ان علماءنا كانوا اقتصروا على العلوم الدينية وبعض الرياضيات واهملوا باقي العلوم الرياضية

والطبيعية التي كانت اذ ذاك ليست بذات بال ولا تفيد سوى الجمال والكمال ففقد أهلها من بين المسلمين واندرست كتبها وانقطعت علاقتها فصارت منفوراً منها على حكم « المرء عدو ماجهل » بل صار المتطلع اليها منهم يفسّق ويرمى بالزيغ والزندقة على حين اخذت هذه العلوم تنمو في الغرب وعلى كر القرون ترقت وظهر لها ثمرات عظيمة في جميع الشؤن المادية والادبية حتى صارت كالشمس لاحياة لذي حياة الا بنورها فاصبح المسلمون مع شاسع بعدهم عنها محتاجين اليها لمجاراة جيرانهم احتياجا يعم الجزئيات والكليات من تربية الطفل الى سياسة الممالك ومن استنبات الارض الى استمطار السماء ومن عمل الابرة والقوارير الى عمل المدافع والبوارج ومن استخدام اليد والحمار الى استخدام البرق والبخار ٠

ولاشك ان المسلمين أصبحوا بعد الاكتشافات الجديدة يستفيدون من العلوم الطبيعية والحكمية فوائد عظيمة جداً بالنظر الى كشفها بعض اسرار كتاب الله وبالغ الحكمة المنطوية فيه مما كان مستوراً الى الآن وقد خبط فيه المفسرون خبط عشواء

بل اضحى المسلمون محتاجين للحكمة العقلية التي كادت تجعل الغربيين ادرى منا حتى بمباني ديننا كاستدلالهم بالمقايسة على ان نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام أفضل العالمين عقلاً وأخلاقاً وكاثباتهم بالمقابلة ان ديننا أسمى الديانات حكمة ومزيّة ٠

وعندي انه لولا هذا القصور ، لماوقع المسلمون في هذا الفتور ، والامل بعناية الله انهم بعد زمان قصيراً و طويل لابد أن يلتفتوا الى هذه العلوم النافعة فيستعيدوا نشأتهم بل يجلبوا الى دينهم العالم المتمدن لان نور المعارف على قدر ابعاده العقلاء عن النصرانية وامثالها يقربهم من الاسلامية لان الدين المملوء بالخرافات والعقل المستنير لايجتمعان في دماغ واحد ٠ (مرحى)

ثم ان تبعة هذا التقصير وان كانت تلحق علماء الأمة المتقدمين الا ان علماءنا المتأخرين اكثر قصوراً لانهم فى زمان ظهرت فيه فوائد هذه العلوم ولم يحصل فيهم ميل لاقتباسها بل نراهم مقتصرين على تدريس فنون اللغة والفقه فقط أو بعلاوة شئ من المنطق اتماما للعقائد وشئ من الحساب اكمالا للفرائض والمواريث قلما يفيد ٠

وكذلك نرى وعاظنا ، مقتصرين على البحث فى النوافل والقربات المزيدة فى الدين ورواية الحكايات الاسرائيليات ومثلهم المرشدون أهل الطرائق فهم مقتصرون على حكايات نوادر الزهاد من صحيح وموضوع ورواية كرامات الانجاب والنقباء والابدال وعلى ضبط وزن التمايل واصول الانشاد ولاننسى خطباءنا واقتصارهم على تكرار

عبارات في النعت والدعاء للغزاة والمجاهدين وتعداد فضائل العبادات والشهور والمواسم ٠

والحاصل ان تقصيرات العلماء الاقدمين واقتصارات المتأخرين وتباعد المسلمين الى الآن عن العلوم النافعة الحيوية جعلتهم أحط من كثير من الأمم ولا شك انه اذا تمادى تباعدهم هذا خمسين عاما أخرى تبعد النسبة بينهم وبين جيرانهم كبعدها مابين الانسان وباقي أنواع الحيوان فبناء عليه يكون ناموس الارتقاء هو المسبب لهذا الفتور كما قال تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون)

فاجابه (الكامل الاسكندرى) ان هذا سبب من الاسباب ولا يكفي وحده لحل الاشكال لان فقد العلوم الحكمية والطبيعية لايصلح سبباً لفقد الاحساس الملي والاخلاق العالية لانها توجد فى اعرق الامم جهالة وانما سبب فتور حياتنا الادبية هو يأسنا من المباراة وذلك اننا كنا علماء راشدين وكان جيراننا متأخرين عنا فغرنا البقاء فنمنا واجتهدوا فلحقونا ، ولبثنا نياما فاجتازوا وسبقونا . وتركونا وراء ، وطال نومنا فبعد الشوط حتى صار ما بعدورائنا وراء ، فصغرت نفوسنا وفترت همتنا وضعف احساسنا فيئسنا من اللحاق والمجاراة وخرجنا من ميدان المنافسة والمباراة وأسندنا تفيض بقوله تعالى « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص » فعدنا الى كهف النوم مستسلمين للقضاء ، نطلب الفرج بمجرد التمني والدعاء ، ذاهلين على ان الله تعالى جلت حكمته رتب هذه الحياة الدنيا على أسباب ظاهرية ولم يشأ ان يجعلها كالآخرة عالم أقدار فهذا اليأس هو سبب الفتور فنسأل الله تعالي اللطف في المقدور

اجابه (العارف التاتاري) ان هذه شكاية حال ولا تفي بالجواب لانه ما السبب في أن هذا النوم غشي المسلمين ولم يزل يغشاهم دون كثير غيرهم من الامم التي انتبهت وسارت ولحقت ظعن الاحياء وما المسلمون بالابعدين المنقطعين كأهل الصين ولاهم بالمتوحشين العريقين كاهل امريكا الاصليين .

ثم قال : انا ارى ان عارضنا فقدنا السراة والهداة فلا أمير عام حازم مطاع ليسوق الامة طوعاً أو كرهاً الى الرشاد ولا حكيم معترف له بالمزية والاخلاص لتنقاد اليه الامراء والناس ولا تربية متحدة المقصد ينتج منها راي عام ، لا يطرقه تخاذل وانقسام ، ولا جمعيات منتظمة تسعى بالخير ، وتتابع السير ، ولذلك حل فينا الفتور ، والى الله ترجع الامور .

أجابه (الفقيه الافغاني) ان ما وصفته من أمير وحكيم لايوجدان في الامم المنحطة الا اتفاقاً وأما الرأي العام والجمعيات فلا يفقدان الا بسبب فقد الاحساس وهذا مانتساءل عنه . وذكر ان الداء العام فيما يراه هو الفقر الآخذ بالزمام لأن الفقر قائد

كل شر ورائد كل نحس فمنه جهلنا ومنه فساد أخلاقنا بل منه تشتت آرائنا حتى في ديننا ومنه فقد احساسنا ومنه كل ما نحن فيه ، أو نتوقع اننا سنوافيه. فهذه فطرتنا لانقص فيها عن غيرنا وعددنا كثير وبلادنا متواصلة وأرضنا خصبة ومعادننا غنية وشرعنا قويم ونخارنا قديم فلا ينقصنا عن الامم الحية غير القوة المالية التي أصبحت لا تحصل الا بالعلوم والفنون العالية وهذه لا تحصل الا بالمال الطائل فوقعنا فى مشكل الدور وعسى أن نهتدي لفكه سبيلا والا فيحيق بنا ناموس فناء الضعيف في القوى وفناء الجاهل في العالم

ومن أعظم أسباب فقر الامة ان شريعتنا مبنية على ان في أموال الاغنياء حقاً معلوماً للبائس والمحروم فيؤخذ من الاغنياء ويوزع على الفقراء وهذه الحكومات الاسلامية قد قلبت الموضوع فصارت تجبي الاموال من الفقراء والمساكين وتبذلها للاغنياء وتحابي بها المسرفين والسفهاء . (للاجتماع بقية)

باب التربية والتعليم

« الكتاب الثالث «من أميل القرن التاسع عشر» فى اليافع * »

شذرات مقتطفة من جريدة ارازم . تحرير أيمرازيون في سنة ـ١٨ الداخلة في سنة ـ١٨٦

الشذرة الاولى

حب الزوجة والولد والوطن

منذ سنة تغيرت شؤن حياتي كلها

ولقد وجدتها هي بعينها (١) ولما تلاقينا كنا كأننا لم نفترق في حياتنا فان النوى لم تغير شيئاً من ضروب وجداننا ولا من عاداتنا لبقاء قلبينا على ما كانا عليه من الارتباط والاتحاد وغاية ما حدث انى أراني الآن آنس مني في جميع أيامي السالفة بحسن معاشرتها وجمال معاملتها نعم انها لم تبق طفلة كما عهدتها ولكنها لم تأخذ من مرور

(*) الباب الأول من هذا الكتاب في الأم والباب الثاني في الولد وقد تقدما وهذا الباب الثالث في تربية الغلام اليافع (١) يريد زوجته أم أميل

الاعوام وكرور الايام الا ما يزيد المرأة في القلوب محبة وفي النفوس تأثيراً فكأن روحها وملامح وجهها تكملت وتطهرت بادائها فروض الامومة المقدسة

كنت أوشكت ان أقنط من معرفتي لولدي ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام ان الذين هم اكثر الناس اشتغالا بالتربية لم يرزقوا أولاداً أو رزقوهم وحرموا من رؤيتهم وربما كان هذا هو الباعث لهم على الاهتمام بالتربية وجعل البحث في شؤنها غايتهم ليؤدوا بذلك ما فرضه الله عليهم منها بنوع آخر من الاداء

فليت شعري بماذا استحققت أن اكون أسعد من هؤلاء مع كونهم أجدر مني بالسعادة

ما أشدني حُنُوًّا وتأثراً عند تقبيل ولدي اياي وما أعظم زهوي وإعجابي به عند ما آخذ بيده وأتنزه معه في المزارع وان الدنيا لترى في عيني جديدة وهو معي كأن لم أرها منذ سبع سنين . ولا جرم ان الانسان لا يبصر وهو رهين السجن محروم من الحرية فكل ما كنت أراه من أشجار وصخور عمرت عمر الدنيا القديمة كان يخيّل الي انه لم يخلق الا بالامس

خطر في ذهني ساعة خاطر العود الى فرانسا ولكن الف مانع — وان شئت فقل الف وهم — قد تحول بين المرء وبين معيشته في وطنه وما أدراك ان من هذه الموانع ما يعتريني من الألم الممضّ الذي لا أستطيع التعبير عنه اذا رأيت أمة عظيمة عهدتها حرة قد أصبحت في قبضة حاكم وجميع ما يحصل في هذا الوطن لا يقل عن ذلك ايلاماً للقلب ولا ازهاقاً للنفس

يوجد في جميع عصور التاريخ رجال بررة صالحون رأوا من الواجب عليهم لأنفسهم ولأوطانهم أن يخدموا هذه الاوطان وهم بمعزل عنها فمثل هؤلاء هم فيما أرى أشدّ حباً لها لأنهم سواء قربوا منها أم بعدوا عنها يحيون بنفحاتها وينتعشون بمجاهدتها في سبيل الخير وبما لها من الآمال في الوصول اليه . جرحهم في صميم أفئدتهم ما مس أمتهم من القروح وان كان يبدو من حال الامة عدم شعورها بألمها كأن في مرور الزمن عليها والاعتياد على احتمالها من قوة التأثير ما يكفي لاندمالها جميعاً . مثل هؤلاء المتطوعين بالاغتراب والنفي يلومون الناس وحوادث الدهر ولكن اذا حاول مجادل امامهم أن ينقص من كرامة فرانسا ويحط من شأنها استشاطوا غضباً وتبيّغ الدم في عروقهم . ذلك أن هذه القطعة من الارض التي تنازلوا عن سكناها مختارين قد تغلغل حبها في أحشائهم وأخذ بمجامع قلوبهم فتراهم يبذلون الوطن نفسه في اعزاز شأن المعنى الذي قام في أذهانهم منه ويفضلون الحكم على أنفسهم بالبعد عنه على رؤيتهم اياه مهيناً ذليلا .

كأني بسائل يقول : لماذا اتخذت هـذه العادة وهي تقييد أفكارك ومذ كراتك كل يوم بحسب المصادفة والاتفاق فاجيبه ان هذا مطوي ايام معيشتي في السجن أنشره للناس لأني لما لم يكن لي فيه أنيس أطارحه الحديث كنت ا كتب كأني أراسل نفسي . اه

الشذرة الثانية

(تعليم المسميات قبل الاسماء)

لم تُخالِفْ طريقتها في تربية « اميل » أملا من آمالى فلتبق على ماهي بسبيله من تهذيبه وتثقيفه بما تقدمه له من الأُسى وبما توحيه الى نفسه . من الثقة بها . على أننا من عهد أن انعم الله علينا باللقاء رأينا من المفيد أن نقسم العمل بيننا لان التعليم — ان لم اكن غالياً في حكمي — هو من وظائف الوالد غالباً واما التربية فانها من أعمال الوالدة وان أردت ان تعلم اين نحن من قيام كل منا بعمله فاقول :

لما يدرسْ « أميل » شيئاً درساً منتظماً فهو انما لقف دروسه الاولى فى علم التاريخ الطبيعي متفرقة على نحو من الاتفاق وذلك بمعاينة ما كان يجده كل يوم على شاطئ البحر من أنواع المحار والصدف . ثم اني أمكنتــه من النظر بالمنظار المعظم (الميكرسكوب) وهو آلة شائعة الاستعمال جداً عندنا محركا أجزاءه بنفسي فيكبرله بعض عجائب المخلوقات غير المتناهية في الصغر واريه بالمرقَب (التليسكوب) وهو آلة أرصد بها النجوم ليلا عجائب المخلوقات غير المتناهيــة في الكبر • وقد ملأنا اناء من الزجاج بالماء المالح ووضعنا فيه حيوانات هلامية وحيوانات قشرية وأسماكا وكنا نجدد ماءه كل ثمانيــة أيام ومنه تلقى « أميل » كل ما عرفه فيما أرى من علم حياة الحيوانات التي تعيش في جوف البحر • وفي بعض الاحيان أكرر بمشهد منــه بعض تجارب سهلة جداً في الكيمياء والطبيعة وهو على جهله باسمي هذين العالمين يدرك بعض الادراك تأثير بعض الاجسام الفطرية في بعض • ورأني يوماً أضع مقاييس للحرارة والهواء ومع كونها لم تكن من الاتقان في شيء بدالي منه انه ادرك استعمالها في الجملة لأني رأيته يريد محا كاتها • جميع ما تقدم هو كتب تعليمنا حتى الآن

لابد ان أكون انا و « اميل » تابعين في التعليم لمذهب ارسطاليس لان اغلب درسنا يحصل في وقت التنزه فاني أدع لامور الكون وحوادثه تنبيه ذهنه غير متعرض لها بشرح ولا تفسير الاان يكون اجابة عما يوجه الي من الاسئلة مجتهداً في أن يكون الشرح واضحاً والبيان وافياً . وقد عرفت من محاورته ان الوسيلة الى اصغائه الي هى

تتبُّع سلسلة افكاره عند محادثته وان كثيراً ممن يأخذون على أنفسهم تعليم الاطفال ليبالغون لهم في البيان ويفرطون في الشرح كما لو كانوا في حاجة الى ان يثبتوا بذلك لانفسهم انهم على معارف واسعة وعلوم جمة . انا لا اعلم « اميل » شيئاً بل اني أتعلم معه فعوضاً عن كوني أعلمه طريقتي في النظر أجتهد في معرفة طريقته وتمييزها ومالا يميل الى معرفته بحال أجهله مثله أو أتجاهله . نعم ان هذه الطريقة ليس من شأنها ان تعلي قدر الاستاذ في نظر تلميذه وانه لابد في اتباعها من تنزه العقل عن الغرض وتنازله عن بعض شهواته ولكن ماهو متبع الآن من نقش صيغ العلوم وقوانينها وقضاياها في أذهان الاطفال ليس هو لا كرقم الالفاظ على الرمل

ملكة البحث عنـد الطفل هي كغيرها من الملكات تنمو بالاعتياد والمراس فان الشوق الى معرفة الاشياء يتولد في الانسان ولا يولد معه وانما يكتسب ذوق الملاحظة الاستقلالية بالملاحظة نفسها . ان لي أن اعين تنبه « اميل » والتفاته بأن اريه مالا يراه في الاشياء لاول نظره اليها غير انه في هذه الحالة يجب ان يكون هو مصدر الميل الى ذلك أيضاً وان يكون صدور هذا الميل منه فطريا . ثم ان الاطفال في الجملة مدفوعون جداً بسائق الطبع الى الاكثار من السؤال فرأيي أن التعجيل لهم بالجواب قبل السؤال وتجاوز حدود ما يطلبون معرفته مما تخبو به نار هذا الاستعداد المبارك لان ذلك يفضي بكثير منهم الى التزام السكوت ليكفوا أنفسهم مؤنه سآمة الدرس وطوله • اه

﴿ قوانين التعليم الرسمي والجمعية العمومية ﴾

« النبذة الثانية »

تقدم في الجزء الماضي ملخص ما دار بين مفتي الديار المصرية وناظر المعارف من المناقشة والمراجعة فى اقتراح عرض قوانين التعليم فى مدارس الحكومة على مجلس شورى القوانين كسائر قوانين الحكومة ونذكر في هذا الجزء ملخص ما دار في الجمعية بين الناظر والشيخ علي يوسف في ذلك مع بيان رأينا فيه ثم ننقد القانون فنقول

(الشيخ علي) : « الضمانات » (١) التي ذكرها سعادة ناظر المعارف انما هي كافية فى التغييرات الادارية كتحديد أوقات الدروس وحصص المدرسين وأما القواعد

(١) رأى القراء فى النبذة الأولى أننا كنا نضع كلمة « الضمانة » و « الضمانات » بين علامات مميزة كما هنا اشارة الى معناها الذي يخلف ما استعملت فيه وهو المرض فكان ناظر المعارف يقول ان لقوانين التعليم في نظارته خمسة أمراض ونحن نقول انها أكثر

الكلية المتعلقة بالعلوم من حيث ترتيبها في التعليم واللغة التي تعلم بها فربما لايصح تغيير قوانيها في أقل من عشرين سنة مثلا لذلك يجب الضمان • والتعليم باللغة الاجنبية معناه نقل أشخاص الى العلم وأما التعليم بلغة الأمة فهو نقل العلم الى الأمة فيسهل على الطالب معه أن ينفع بيته بعلمه وبما يجيء به من كتب التعليم • وقد نشأ عن التعليم باللغة الاجنبية قلة التأليف بالعربية وعدم وجود الأساتذة الاكفاء في المدارس الحرّة ولم تق من ذلك « ضمانات » ناظر المعارف • فالقوانين العمومية يجب عرضها على مجلس شورى القوانين اذ لا يكفي فيها نظر الحكومة وحدها

(الناظر) ان الطرق المتبعة فى التعليم ما وضعت الا بعد تجارب شتى بمعنى ان هذا العلم الذي تبين ان تعليمه بالعربية أنفع يكون تعليمه بها والعكس بالعكس اذ المدار في ذلك على الكتب والمدرسين والاقرب للترقي . ومما بينته من « الضمانات » وغيرها يتضح ان وضع « البروجرامات » يتبع فيه أحسن الطرق وأفضلها اه كما كتب

(الشيخ) ذلك يراد به الاسهل في التعليم والذي نريده هو نفع الأمة وقد كان منذ عشر سنين تؤلف كتب فى الطب والطبيعة وغيرهما من العلوم فيأتي بها التلميذ فيستفيد منها أبوه وأهله ولا شيء من ذلك الآن لأن التعليم والتأليف باللغة الاجنبية فيجب أن يكون التعليم الوسط بلغة البلاد ويصح أن يكون فى المدارس العالية باللغة الاجنبية

(الناظر) يترتب على هذا جعل التعليم ناقصا • وانتشار العلم فى البيوت لا يكون بوجود الكتب في أيدي أفرادها اذ لا يفهم الكتاب الا من كانت عنده مبادي العلوم

وعند ما رأى أعضاء الجمعية ان الناظر يعيد كلامه ويحتج « بضماناته » كلما الحّت الجمعية بوجوب اطلاع مجلس الشورى على قوانين التعليم قال حسن بك مدكور ان أحسن ضمان هو ارسال قوانين التعليم لمجلس الشورى وأمر الرئيس بأخذ الآراء « فتقرر بأغلب الآراء » طلب ذلك من الحكومة • ولا أدري هل كان في المخالفين أحد غير ناظر المعارف ؟ ان كان فلعله من بعض الموظفين الذين يرون موافقة الناظر تأييداً لحزب الحكومة وان كانت المصلحة واحدة والشورى من الحكومة

أما الجواب الأول للناظر فقد أحسن الشيخ علي فى نقضه بقدر ما يسمح له المجلس الرسمي ونزيده ايضاحاً بأن هذا التعليم الذي وصفه الناظر بأنه أنفع وأحسن وأفضل قد خالفت النظارة فيه ما اتفقت عليه الأمم الأوربية كلها وفى مقدمتهم الانكليز • ذلك أن التعليم الابتدائي فى أوربا لا يكون الا بلغة البلاد لأن حياة الامة بلغتها

وتعلم لغة أخرى لاجل المزيد فى العلم كتعلم الانكليز لغة الألمان هو من الكماليات التي يجب أن تكون بعد الضروريات • فهل وصل نظار مدارس معارفنا ومفتشوها — ان كان قانون التعليم برأيهم — الى ما لم يصل اليه فلاسفة اوربا وأساتذتها فى علم التربية والتعليم ؟؟

فان قال الناظر اذا ثبت ان تعلم الطبيعيات مثلا أسهل باللغة الانكليزية منه باللغة العربية فكيف نتنكب الطريق السهل ونسير في الحزون الوعرة ؟ نقول له بعد التسليم : وهل تعدل عن الانكليزية الى التركية او اليابانية اذا ثبت عندك ان التعليم بها أسهل والتحصيل أقرب ؟ وانما قلنا أسهل وأقرب ولم نقل « أنفع » كما قال الناظر لأن الانفعية لاشبهة عليها الا اذا فسرت بالسهولة وقرب التحصيل اذ لا يمكن ان يقول عاقل اني أسعى بمحو لغة أمتي واستبدال لغة أخرى بها لمنفعة من المنافع وأي نفع فى الدنيا يوازي ضرر اهمال لغة الأمة التي هي من أقوى مقوماتها أو هي اقواها فى نظر الاكثرين

وأما الجواب الثاني من أجوبة الناظر فأمثل ناقض له ما فعلته الجمعية من ترك المناقشة بالمكابرة والاصرار على ان الضمان على التعليم لا يكون للأمة الا بعرض قوانينه على مجلس الشورى والجزم بطلب ذلك من الحكومة • وماذا عسى أن يقال لمن يقول ان التعليم الابتدائي بلغة الأمة يكون ناقصاً وجميع الأمم الحية عليه كأن الكمال لم يوجد الا في معارف مصر التي لا أثر لمعارفها يذكر بالنسبة الى سائر الامم • وماذا عسى أن يقال لمن يدعي أن انتشار الكتب العلمية في الأمة لا تأثير له في منفعة البيوت وترقي أفرادها ؟ أليس تحدث التلامذة في بيوتهم ومذاكراتهم في المسائل العلمية بلغتهم مما يجعل الاصطلاحات العلمية مألوفة فى البيوت لكثرة طروقها المسامع ؟ أليس الآباء والأمهات الذين تلقوا شيئاً من مبادئ العلوم وقضت عليهم شؤن المعيشة بعدم اتمام تعليمهم ينتفعون بالكتب المؤلفة اذا كانت بلغتهم ؟ بلى وانـنا نعود الى الكلام في قانون التعليم فنقول : ان في هذا القانون (البروجرام) عيوباً وتقصيراً نسرد ما يظهر لنا منها بالاختصار على ترتيب القانون وهو

(١) كون القرآن لا يدرس الا فى السنتين الأولى والثانية وكون الذي يقرأ منه جزأين فقط • والأمة ترغب في اقراء أولادها القرآن كله لما في قراءته من تقويم اللسان وتعويده على الفصاحة فى النطق والاستعانة على الكتابة والخطابة ولكونه أصل الدين والوسيلة العظمى لكمال من يفهه • ولم تغن « الضمانات الخمس » عن

هذا النقص شيئاً »

(٢) كون تعليم الدين والتهذيب في أثناء سنتين فقط مع انه يجب أن يكون ذلك موزعاً على جميع السنين لأن الدين والتهذيب هما المقصود الأهم من التعليم ومن لم يتمكن منهما يكون خاسراً في حياته وان تعلم جميع الفنون الأخرى . ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٣) كون الوقت المخصص لتعليم الدين والتهذيب معاً ساعة واحدة في الاسبوع مع ان اللغة الاجنبية التي تعلم من السنة الاولى الابتدائية الى آخر يوم من أيام التعليم العالي لها سبع ساعات في الاسبوع من السنتين الاولين . فالساعات المقررة في القانون لتعليم علوم الدين وعلم التهذيب ٣٦ ساعة فى السنة و٧٢ ساعة في مدة الدراسة كلها وتغتال منها أيام الاعياد والمواسم ما تغتال . فالمدة نحو ثلاثة أيام وهي لا تكفي لتعليم الاكل . فهل تكفي ببركة « الضمانات الخمس » لمعرفة الله وما اوجبه على عباده من أصول الايمان وتثقيف الاخلاق وكيفية العبادات مع التهذيب المدني الدنيوي الذي نوه به ذلك القانون . هذا اكبر عيب ونقص فى نظام المعارف ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٤) كون علم الدين لا شأن له في درجات ترقي التلامذة في الامتحان المعبر عنها بالنمره فلو فرضنا ان تلميذاً بلغ في فهم الدين ومعرفة احكامه مبلغ الأئمة وكان مساويا لآخر في سائر العلوم فان هذه المعرفة لا ترفعه عنه درجة واحدة فان زاد ذلك الآخر درجة واحدة في الخط الافرنجي مثلا فانه يرتفع بذلك ويتقدم على ذلك الامام الديني الجليل . ومن لاحظ ان التلامذة لا يجتهدون الا لأجل السبق في الامتحان وعلم ان الدين لا مجال فيه للسبق لأنه لا درجة له علم ان النظارة متعمدة اهمال الدين أو جاهلة منزلته ومكانته وهذا نقص فاحش فى قانون التعليم ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٥) كون المسائل التي يبتدأ بها في تعليم الدين تعلو على عقول المبتدئين وهي كما فى الصفحة ١٢ من القانون « احتياج الانسان الى الدين — بيان الفوائد المترتبة على التمسك به — بيان أنه ليس قاصراً على انواع العبادات بل هو مشتمل على ما يلزم للانسان من المعاملات وغيرها ويرشده الى طريق المجد والشرف فى الدنيا والآخرة — أول ما أوجبه الدين — ما يجب فى حقه تعالى وما يستحيل وما يجوز — الحكمة فى ارسال الرسل — ما يجب في حقهم عليهم الصلاة والسلام وما يستحيل وما يجوز —

نسبه صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه وأمه »

ولا شك ان هذه المسائل يتوقف فهمها على معرفة الاحكام العقلية والالمام بعلم الاجتماع فابتداء التعليم بها نقص . واذا فرضنا ان تلامذة السنة الثالثة الذين لم يكونوا تعلموا من الدين شيئاً مستعدون لفهم مقدمات هذه المسائل ثم لفهمها ثم فرضنا أنهم يعلمون المقدمات فعلا فهل يقدر المعلمون على تعليم ذلك كله مع علم التهذيب في ست وثلاثين ساعة وهو الوقت المعين لدرس هذه الاشياء كما تقدم ؟ اللهم ان هذا ما لا يستطيع أن يتصوره عاقل وانه لنقص فاحش وخلل فاضح في قانون تعليم المعارف ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٦) كون هذه المسائل غير محيطة بالعقائد الدينية فهناك مسائل أخرى تجب معرفتها وليس بعد هذه السنة تعليم للعقائد وهذا نقص ضار منتقد ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً آخر

(٧) كون الكتاب الذي تعلم به هذه العقائد وما معها ليس مؤلفاً على الوجه الذي يؤدي الى الغاية المذكورة في قانون التعليم قبل تلك المسائل التي ذكرناها ثم ان أثر تلك الغاية لم يظهر في تلامذة مدرسة من المدارس كلهم أو جلهم فنقول ان المدار على المعلمين في الوصول اليها وهذا اهمال عظيم ونقص محسوس ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٨) كون قسم الاخلاق الدينية لا وجود له في تعليم مدارس الحكومة وهذا نقص عظيم ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٩) كون علم الحلال والحرام مهملا لا وجود له في التعليم الديني وهذا نقص قبيح والغاية من تعليم الدين لا تتم الا به ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(١٠) كون مسائل العبادات التي تدرس في السنة الرابعة غير كافية وغير مؤدية الى الغاية المطلوبة وكون الوقت المخصص لتعلم العبادة غير كاف وهذه أنواع من النقص والخلل جعلناها واحدة لانه تقدم في قسم العقائد نظيرها . ولم تغن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً . وقد طال الكلام فى انتقاد تعليم القسم الديني ومن بين لنا خطأ في شيء منه فاننا نرجع عنه لان قصدنا الاصلاح لا اظهار العيوب . وسنتكلم عن النقص في سائر الاقسام فيما يأتي ان شاء الله تعالى

آثار علمية أدبية

﴿ شهادة مفتي الديار المصرية لكتاب اسرار البلاغة ﴾

طلبنا من مولانا الاستاذ الامام مفتي الديار المصرية أن يكتب لنا رأيه في كتاب أسرار البلاغة الذي طبعناه بارشاده فكتب حفظه الله ما يأتي :

اطلعت على كتاب أسرار البلاغة من تأليف الامام الجليل الشيخ عبد القاهر الجرجاني وسعيت في طبعه وقرأته درساً في الجامع الازهر . وقد وضعه مؤلفه في علم البيان والاستعارة والمجاز وسلك المسلك الذي يوافق العقل البشري سلوكه في تصوير المعاني وتشخيصها على وجه تتأثر منه العقول بالأثر المطلوب من ابرازها لها . ولم ار كتابا في هذا الفن لا بقلم متأخر ولا بقلم متقدم يقرب من هذا الكتاب في حسن الاسلوب وحياة المعنى ورونقه . ولقد كان كنزاً مخفياً لا تصل اليه يد الباحث حتى يسّر الله لنا نسخة بعث بها الينا أحد أهل العلم من طرابلس الشام وكان فيها نقص وتحريف فأرسلت أحد طلبة العلم الى الاستانة العلية ليقابلها على نسخة هناك ثم كمل تصحيحها أثناء التدريس فكان ظهور هذا الكتاب من نعم الله على المشتغلين بهذا الفن الجليل . وهو جدير بأن ينتفع به الاستاذ ويقتطف منه التلميذ وتزين به كل مكتبة في مشارق الارض ومغاربها

مفتي الديار المصرية
محمد عبده

﴿ دلائل الاعجاز ﴾

يعلم قراء المنار ان الأمام عبد القاهر الجرجاني قد أسس علمي البلاغة بكتابيه المشهورين (أسرار البلاغة) الذي طبعناه وهو في فن البيان و(دلائل الاعجاز) الذي نطبعه وهو في فن المعاني . وانما سماه دلائل الاعجاز لأنه لا طريق الى معرفة كون القرآن الآن معجزاً ببلاغته (كما انه معجز بهدايته) الا بالقوانين التي وضعها في هذا الكتاب . وقد كتب رحمه الله تعالى مقالة أو رسالة سماها (المدخل في دلائل الاعجاز) وجعلها مقدمة له مبينة لمنزلته ، ودالة على مكانته ، ومصرحة بانه هو الواضع للفن . وهي على اختصارها قد أشارت الى أصول قواعد النحو وقال بعد ذلك ان جميع

كلام العرب كان موافقاً لهذه القواعد فاذا قال معترض ماهذا الذي امتاز به القرآن حتى كان معجزاً ؟ نقول ان الجواب عن هذا السؤال هو كتاب دلائل الاعجاز لا جواب غيره . واني اذكر خاتمة كلامه في المدخل بنصه وقصيدة ختمه بها وهو

«واذا كان ذلك كذلك فما جوابنا لخصم يقول لنا : اذا كانت هذه الامور وهذه الوجوه من التعلق التي هي محصول النظم موجودة على حقائقها وعلى الصحة وكما ينبغي في منثور كلام العرب ومنظومه ورأيناهم قد استعملوها وتصرفوا فيها وكملوا بمعرفتها وكانت حقائق لا تتبدل ولا يختلف بها الحال اذ لا يكون للاسم بكونه خبراً لمبتدأ أو صفة لموصوف أو حالا لذي حال أو فاعلا أو مفعولاً لفعل في كلام حقيقة هي خلاف حقيقته في كلام آخر . فما هذا الذي تجدّد بالقرآن من عظيم المزية وباهر الفضل والعجيب من الرصف حتى أعجز الخلق قاطبة وحتى قهر من البلغاء والفصحاء القُوَى والقُدَر ، وقيد الخواطر والفكر ، حتى خرست الشقاشق ،(١) وعدم نطق الناطق ، وحتى لم يجر لسان ، ولم يُبِنْ بيان ، ولم يساعد امكان ، ولم ينقدح لأحد منهم زند ؛ ولم يمض له حد ، وحتى أسال الوادي عليهم عجزا ، وأخذ منافذ القول عليهم أخذا ؟ أيلزمنا أن نجيب هذا الخصم عن سؤاله ، ونرده عن ضلاله ، وأن نَطِبّ لدائه ، ونزيل الفساد عن رأيه ؟ ، (٢) فان كان ذلك يلزمنا فينبغي لكل ذي دين وعقل ان ينظر في الكتاب الذي وضعناه ، (٣) ويستقصي التأمل لما أودعناه ، فان علم انه الطريق الى البيان ، والكشف عن الحجة والبرهان ، تبع الحق وأخذ به وان رأى أنَّ له طريقاً غيره أومأنا اليه ، ودلنا عليه ، وهيهات ذلك ، وهذه أبيات في مثل ذلك ،

اني أقول مقالاً لست أُخفيه ... ولست أرهب خصماً ان بدا فيه
مامن سبيل الى اثبات معجزة ... في النظم الا بما أصبحت أبديه (٤)

---

(١) الشقائق ج شقشقة بكسر الشين وهي لهاة البعير أو شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه اذا هاج . ويقال للفصيح : هدرت شقاشقه . يريدون الانطلاق في القول وقوة البيان ويقال في مقابل ذلك . خرست الشقاشق (٢) الراء هنا بمعنى الرأي كما قال ابن نباتة السعدي

يا أيها الملك الذي أخلاقه ... من خَلقه ورواؤه من رائه

(٣) يريد كتاب (دلائل الاعجاز) وهو صريح في كونه هو الواضع لعلم المعاني

(٤) يريد نظم القرآن وأسلوبه وفى هذا البيت تصريح أيضاً بأنه هو الواضع للفن

فما النظم كلام أنت ناظمه ... معنى سوى حكم اعراب تزجّيه(١)
اسم يرى وهو أصل للكلام فما ... تم من دونه قصد لمنشيه
وآخر هو يعطيك الزيادة في ... ما أنت تثبته أو أنت تنفيه
تفسير ذلك ان الأَصل مبتدأ ... تلقى له خبراً من بعد تثنيه
وفاعلٌ مسندٌ فعل تقدمه ... اليه يَكْسِبه وصفاً ويعطيه(٢)
هذان أصلان لا تأتيك فائدة ... من منطق لم يكونا من مبانيه
وما يزيدك من بعد التمام فما ... سلطت فعلا عليه في تعديه
هذي قوانين يكفى من تتبعها ... ما يشبه البحر فيضاً من نواحيه
فلست تأتي الى باب لتعلمه ... الا انصرفت بعجز عن تقَصّيه(٣)
هذا كذاك وان كان الذين ترى ... يرون ان المدى دَانٍ لباغيه(٤)
ثم الذي هو قصدي ان يقال لهم ... بما يجيب الفتى خصما يماريه
تقول من أين أن لا نَظْمَ يشبهه ... وليس من منطق في ذاك يحكيه
وقد علمنا بأن النظم ليس سوى ... حكم من النحو نمضي في توَخّيه(٥)
لو نقَّب الارضَ باغ غير ذاك له ... معنى وصَعَّدَ يعلو في ترقيه(٦)
ما عاد الا بخُسْرٍ في تطلّبه ... ولا رأى غير غيّ في تبَغّيه(٧)
ونحن ما إن بثثنا الفكر ننظر في ... أحكامه ونروّي في معانيه
كانت حقائق يافي العلم مشتركا ... بها وكلاًّ تراه نافذاً فيه
فليس معرفة من دون معرفة ... في كل ما أنت من باب تسمّيه
ترى تصرفهم في الكل مطردا ... يجرونه باقتدار في مجاريه
فما الذي زاد في هذا الذي عرفوا ... حتى غدا العجز يهمي سيل واديه
قولوا والا فاصغوا للبيان تروا ... كالصبح منبلجاً في عين رائيه

---

(١) تزجيه بالتشديد تدفعه برفق وتسوقه ومثله التخفيف(٢) يكسبه من الثلاثي ومنه الحديث «تكسب العدوم» (٣) التقصي التتبع (٤) باغيه طالبه (٥) توخي الشيء تحريه وتعمد طلبه (٦) صعد بالتشديد رقي كالثلاثي وهو هنا مقابل التنقيب في الارض الذي فيه معنى التسفل • ويقال صوَّبَ النظر وصعده اذا نظر في أسفل الشيء وإعلاه • وعدَّى نقب بنفسه حاذفا الخافض ولعله كان يراه قياساً والمسموع تعديه بفي «فنقبوا في البلاد» (٧) تبغاه كابتغاه طلبه

وقد كان هذا الكتاب كالذي قبله كنزاً مخفياً فظفر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية بنسخة منه وكان عند الاستاذ العلامة اللغوي الشيخ محمد محمود الشنقيطي نسخة اخرى وكلاهما كان محرفاً ومبدّلا فعلم الاستاذ الامام ان فى المدينة المنورة نسخة منه وفى بغداد أخرى فعمل على استنساخهما وصحح الكتاب هو والاستاذ الشنقيطي بمقابلة النسخ الاربع فكان الكتاب الوحيد الذى اجتمع على تصحيحه أعلم علماء العصر فى المعقول والمنقول

هذا وان هذا الكتاب أكبر من أسرار البلاغة حجما ، وأغزر علما ، فهو يزيد عليه بنحو عشر ملازم وقد شرعنا بطبعه على ورق جيد وجعلنا قيمة الاشتراك فيه مع ذلك كقيمة الاشتراك في أسرار البلاغة رفقاً بمجاوري الأزهر الذين سيكونون أكثر الناس اشتراكا فيه لأن الاستاذ الامام سيقرأه درساً في الأزهر الشريف • وستكون قيمته بعد تمام الطبع عشرين قرشاً أميريا فمن أراد الاشتراك فليدفع الينا القيمة ويأخذ بها وصلا بامضائنا

باب الأخبار والآراء

الاحتفال بتذكار محمد علي باشا

في يوم الاربعاء الماضي تم لتأسيس محمد علي باشا هذه الامارة فى مصر مائة عام هجري فاحتفل ديوان الاوقاف بذلك في جامع القلعة وكذلك احتفلت به مشيخة الازهر فى الجامع الازهر ومن بدع الزمان وغرائب الأيام أن يحتفل فى بيوت الله تعالى بذكر الأمراء والسلاطين والظلمة من الحاكمين وهى البيوت التي اذن الله ان ترفع عن الحظوظ الدنيوية ويذكر فيها اسمه وحده تقرباً اليه وابتغاء مرضاته لا لذكر أمير ميت ولا لمرضاة أمير حي. فلماذا تنفق اوقاف المسلمين على احياء البدعة ومخالفة السنة ولماذا لا تكون أمثال هذه الاحتفالات في قصور المنعمين كعابدين ورأس التين ؟ فمحمد علي لم يؤسس ديناً ولم يكن امام مذهب فى دين وانما أسس ملكا عضوضاً بسفك الدماء والقوة والجبروت — هذا هو محمد علي فى نظر الدين والحكمة فى الاحتفال بذكره والإشادة بحمده فى بيوت الله تعالى دون بيوت الحكومة يعرفها جميع الناس

أما محمد علي فى نظر التاريخ فهو من الرجال العاملين الذين يحفظ التاريخ ذكرهم لان التاريخ سياسي أكثر مما هو ديني أو علمي وقد جرت العادة ان يتملق الناس للامراء بمدحهم ومدح سلفهم وجعل سيئاتهم حسنات فانك ترى العالم الديني الذي يحكم بكفر من يحكم بالقانون وظلمه وفسقه يقدس من وُضع القانون باسمه وحُكم فيه بأمره فمدح الامراء والسلاطين وأصحاب الجاه اكثره كذب والمادح محل التهمة والمنتقد لهؤلاء أقرب الى العدل والانصاف وان احتمل ان يكون له هوى فى بعض الاحوال وانا نقول فى تاريخ محمد علي كلمة عادلة نرجو ان يتلقاها كل عاقل بالقبول وهى

اذا ذكر الرجل باعماله فلمحمد علي ثلاثة أعمال كبيرة وهى (١) تأسيس حكومة في بلاد مصر كانت مقدمة لدخول الاجانب فيها واحتلالهم اياها . و (٢) محاربة الدولة العثمانية واظهار ضعفها للبرية . و (٣) محاربة الوهابية وخضد شوكتهم وابطال امتداد دعوتهم . وكل عمل من هذه الاعمال محل نظر فمن الناس من يعده له ومنهم من يُعده عليه وهم الاكثرون أو المحققون

أما الاول فالمكبرون لاعماله يتوسعون فيه ماشاؤا لأن المجال واسع أمامهم فيذكرون ازالة دولة المماليك الظالمة الغاشمة وهو عمل جليل ولكنهم يستدلون بذلك على ان دولته كانت عادلة وهذا غير صحيح فان حكومته كانت ظالمة منذ أسست الى ان تولى الاوربيون السيطرة عليها فكان الظلم يقل كلما كثروا والبغي يضعف كلما قوى نفوذهم ولكن الحسن في ازالة دولة المماليك من وجهين احدهما ان الظلم كان مشوشاً وحكومة محمد علي وابنائه نظمته وكان متفرقا فوحدته وكان غير محصور فحصرته وثانيهما ان نتيجة هذا النظام وهذه الوحدة هي تمهيد السبيل لدخول مدنية اوربا في مصر والاعمال انما تمدح وتذم بنتائجها وغاياتها والعاملون انما يمدحون بحسن القصد والنية وباتقان العمل فاما محمد علي فقد اتقن عمله ولكن قصده لايحمد في نظر الدين ولا فى نظر الفضيلة وانما يحمد فى نظر متاع الحياة الدنيا وزينتها لأن سيرته الملطخة بالدماء المحترمة تدل على انه لم يكن يقصد غير الملك وعظمته له ولذريته من بعده . وأما نتيجة عمله فهي كما قلنا دخول الأوربيين هذه البلاد ونشر مدنيتهم فيها وإلقاء سيطرتهم عليها بالاحتلال الانكليزى فمن يرى ان هذا خير وسيلة لنجاح البلاد وسعادتها فعليه أن يحمد عمل محمد علي وآل بيته مهما ظلموا فى الاموال والاعراض لإن الاصلاح الكبير

لا يأتي الا ببذل الثمن الكثير ، ومن يقول ، ان مدنية أوروبا شر على البلاد ، وان الاصلاح الانكليزى بلاء عليها ووبال ، فليحكم على عمل محمد علي وذريته بالإفساد وليحفظ له سوء الذكر الى يوم التناد ،

وأما العمل الثاني وهو الخروج على الدولة العثمانية ومحاربتها وقهرها واظهار ضعفها فلو سألت عنه أيّ مسلم فى أي قطر لأجابك بأنه كان أضر عمل عمله انسان على الاسلام والمسلمين لأنه في ذاته خروج والٍ على موليه وسلطانه وتلك أكبر الخيانات ، وأقبح الجنايات ، فى الشرائع الالهية ، وفي القوانين البشرية . وفى نتيجته إضعاف وقهر لأقوى دولة اسلامية . فى عصر قويت فيه الدول الأجنبية ، فضعف بذلك الاسلام ، ولم تقم لأهله قائمة بعد ذلك الى الآن ، ولكنك لا تعدم ثلاثة نفر او ثلاثين من الثلاثمائة المليون المسلمين يعتذر عن عمله أو يعده فضيلة ومحمدة . فأشدّ هؤلاء المدافعين أفنا فى الرأي وصغاراً في النفس من يقول ان الدولة العلية لم تكن مرتاحة لاستقلاله . فكانت تدس الدسائس لزلزاله ، أي انه انتقم لنفسه من دولته ؛ وحاربها لتمكين سلطته ، ومن الناس من يقول ان تلك الحرب كانت بمواطأة بين محمد علي ورجال الدولة العلية فى الاستانة وأنهم هم الذين مكّنوا له فى أرض مصر ليخرج على الدولة وانه كان غرضهم الأخذ على يد السلطان محمود وتخفيف سلطته الاستبدادية ومنعه من سفك الدماء ، وعزل العمال والوزراء ، بمجرد الهوى

وأما العمل الثالث وهو محاربة الوهابية فاكثر العامة أو كلهم يعتقدون انه كان خدمة للاسلام ، كفرت عن محمد علي جميع الذنوب والآثام ، أما الخواص فانهم يعلمون ان الوهابية كانوا قائمين باصلاح إسلامي لو تم لعاد للاسلام مجده الأول وأن الذين وسوسوا لمحمد علي بمحاربتهم هم الأوربيون الذين ينظرون الى غايات الأمور وعواقبها كما هو مصرح به فى بعض تواريخهم . وأما ما شاع فى بلاد الشام والحجاز من ان الوهابية خارجون عن السنة وملحقون باهل البدعة فسببه بعض المصنفات التي لفقها العلماء الرسميون المصانعون للحكام وهي مملوءة بالاكاذيب وانما مذهب القوم مذهب السلف فى العقائد ومذهب الامام أحمد فى الفروع ولهم تشديد عظيم على مخالف السنة . هذا هو اعتقاد الخواص وهم يقولون ان هذا العمل الثالث هو اكبر سيئات محمد علي وانه به وبما سبقه كان اكبر بلاء على الاسلام والمسلمين فى القرن الماضي

﴿ مكتوب عالم هندي من أركان النهضة الاسلامية ﴾

كتب الينا العلامة العامل . والسريّ الكامل . محسن الملك بهادر سيد

مهدي علي خان ناظم مدرسة العلوم (في على كده) وكان انقطع المنار عنه لأن جزءا ردّ الينا مما أرسل اليه لخطأ في عنوانه فتوهمنا انه هو الذى ردّه فمنعناه فكتب الينا يقول بعد رسوم المخاطبة ما نصه:

« كانت ترد علينا فى الاعوام الخالية مجلتكم الغراء وكنا نقرأها بشغف وفرحة لامزيد عليهما ونستفيد من مقالاتها الضافية العلمية الدينية الاسلامية فى الرد على المنكرات والبدع والتعاليم الفاسدة التى انتشرت بين المسلمين انتشاراً عاما • ويسرنا مالاح لنا من تآلف الأذواق وتوارد الخواطر بيننا وبينكم فاننا أيضاً قد بذلنا جهدنا منذ عشرين عاما في ايقاظ المسلمين من نوم الغفلة التي غرقوا فيها حتى أضاعوا كل ما كان في أيديهم من العلوم والفنون والحكم والصنائع واتخذوا دينهم هزؤا ولعباً فأصبحوا كأنهم قوم لايعقلون • فأخذنا ندعوهم الى الانتباه من منامهم الذي سبب امتهانهم لأجل تأخرهم عن الأقوام الذين كانوا شركاءهم فى الوطنية بالمقالات المشهرة في الجرائد والمجلات، والخطبات والتصنيفات والتأليفات، لتنبيههم واستنهاض هممهم على الأعمال النافعة كتحصيل العلم حسب مقتضيات الزمان وتعلم اللغة الانكليزية (فى الاصل اللسان) التي هي لغة حكامنا العادلين مع الاقبال على تحصيل العلوم الجديدة المغربية، والنظر في شؤن حياتهم الاجتماعية، وأمورهم الدينية. والالتفات الى اصلاحهم من كل الوجوه

« ولكننا نقول بأسف زائد ان جميع مؤلفاتنا ومصنَّفاتنا ورشحات أقلامنا كلها في لغتنا الأوردية، (وفي الاصل لساننا) التي لاتكاد تفهم في البلاد الاجنبية، والا كان بودي أن نرسل اليكم بعض مؤلفاتنا • أما الآن فالمرجو من حضرتكم أن تَفَضَّلوا وتواصلوا بارسال مجلتكم الغراء ولا تقطعوا عنا ارسالها

« ونثني ثناء جميلا على غيرتكم الدينية وشغفكم بالاجتهاد في اصلاح حال المسلمين وارجاع مجدهم وحثهم على أسباب التقدم الملية والقومية • وقد سرني ما شاهدت في مجلتكم من المقالات البديعة البالغة حد الاعجاز المطابقة لذوقي تماما وكمالا • فبهذا تعرفون ما يناسب ذوقي من الكتب لأن ما وجدتم انه تلذكم مطالعته فلا بد من انه يلذني أيضاً • فالرجاء أن ترسلوا الينا من أمثال تلك الكتب منها مصنفات حضرتكم ومصنفات حضرة الاستاذ الشيخ محمد عبده المصري صاحب رسالة التوحيد وغير ذلك من الكتب المفيدة » الخ فنشكر لهذا الاستاذ حسن ظنه ونسأل الله ان يوفقنا جميعاً لما يرضاه

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر فى يوم السبت غرة ربيع الاول سنة ١٣٢٠ — ٧ يونيه (حزيران) سنة ١٩٠٢ ﴾

القسم الدينى

﴿ باب تفسير القرآن الحكيم ﴾

﴿ مقتبس مما يلقيه في الازهر مولانا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصريه ﴾

وَاذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى واسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ

بعد ما عرف الله تعالى الملائكة بمكانة آدم ووجه جعله خليفة في الارض أمرهم بالخضوع له وعبر عن ذلك بالسجود فقال « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا » وهو سجود لانعرف كيفيته ولكن أصول الدين تعلمنا أنه ليس سجود عبادة إذ لايعبد الا الله تعالى وقد جاء في اللغة استعمال هذا الحرف (السجود) فى غير معنى العبادة كقوله تعالى « والنجمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَان » ولم يكن هذا السجود عامًّا واقعاً من كل من أمر به فقد سجدوا اجمعون « الا ابليس » وهو فرد من أفراد الملائكة

كما يفهم من الآية وأمثالها في القصة الآية الكهف فانها ناطقة بأنه كان من الجن . وليس عندنا دليل على أن بين الملائكة والجن فصلا جوهرياً يميز أحدهما عن الآخر فالظاهر ان الجن صنف من الملائكة (وقد أطلق في القرآن لفظ الجِنَّة على الملائكة في قوله تعالى « وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً » وعلى الشياطين في آخر سورة الناس) ووصف الله تعالى إبليس بأنه « أبى » السجود « واستكبر » فلم يمتثل أمر الحق ترفعاً عنه وزعماً بأنه خير من الخليفة عنصراً وأزكى جوهراً كما حكى الله تعالى عنه في غير هذه السورة « قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » والاستكبار بمعنى التكبر وهو الظهور بصفة الكبرياء التي من آثارها الترفع عن الحق وكأن السين والتاء للاشعار بأن الكبر ليس من طبيعة ابليس . ثم قال تعالى بعد وصفه بالاباء والاستكبار « وكان من الكافرين » وقال بعض المفسرين : كان من حق الترتيب ان يقال كان من الكافرين واستكبر وأبى . لأن الكفر عنده سبب الاستكبار والاستكبار سبب الإباء ومثل هذا المفسر يعلل مخالفة الترتيب الطبيعي في النظم برعاية الفاصلة (قال الاستاذ) ولكن نظم الآية جاء على مقتضى الطبيعة في الذكر فإنه يفيد ان الله تعالى أراد ان يبين الفعل اوّلاً لأنه المقصود بالذات وهو الاباء ثم يذكر سببه وعلته وهو الاستكبار ثم يأتي بالأصل في العلة والمعلول والسبب والمسبب وهو الكفر

ثم ان الاستاذ المفسر اعاد هنا ملخص ماتقدم بيانه في وجه اتصال الآيات بما قبلها وكون الكلام في القرآن والرسول الذي جاء به وتسليته بهذه القصة ثم توسع في الكلام عن الملائكة فقال ما مثاله ملخصاً : تقدم

ان الملائكة خلق غيبي لاندرك حقيقته وإنما نؤمن به بإخبار الله تعالى الذي نقف عنده ولا نزيد عليه . وتقدم ان القرآن ناطق بأن الملائكة أصناف لكل صنف وظيفة وعمل . ونقول الآن ان إلهام الخير والوسوسة بالشر مما نطق به الوحي وقد اسندا الى هذه العوالم الغيبية[١] وخواطر الخير التي تسمى إلهاماً وخواطر الشر التي تسمى وسوسة كل منها محله الروح فالملائكة والشياطين إذن ارواح تسري في أرواح الناس فلا يصح ان تمثل الملائكة بالتماثيل الجثمانية المعروفة لنا والواجب على المسلم في الآية الإيمان بمضمونها مع التفويض أو الحمل على انها حكاية تمثيل ثم الاعتبار بها بالنظر في الحكم التي سيقت لها القصة

وذهب بعض المفسرين مذهباً آخر في فهم معنى الملائكة وهو ان مجموع ماورد في الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من إنماء نبات وخلقة حيوان وحفظ إنسان وغير ذلك فيه إيماء الى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة

(١) المنار ـ إسناد الوسوسة الى الشياطين معروف في الكتاب والسنة وأما اسناد إلهام الحق والخير الى الملائكة فيؤخذ من خطاب الملائكة لمريم عليها السلام . ومن حديث الشيخين في المُحدَّثين وكون عمر منهم والمحدَّثون الملهمون وحديث الترمذي والنسائي وابن حبان وهو « ان للشيطان لمةً بابن آدم وللملك لَمَّة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمَّةُ الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله على ذلك ومن وجد الاخرى فليتعوَّذ بالله من الشيطان . ثم قرأ « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » قال الترمذي حسن غريب لا نعلمه مرفوعاً الا من حديث ابي الاحوص . والرواية إيعاد في الموضعين كما ان الآية من الثلاثي في الموضعين فما قالوه في التفرقة بين الوعد والإيعاد أغلبي فيما يظهر والا فهو غير صحيح . واللمة بالفتح الإلمام والاصابة .

وهو ان هذا النموّ في النبات لم يكن الا بروح خاص نفخه الله في البذرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة وكذلك يقال في الحيوان والانسان فكل أمر كليّ قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الألهية في ايجاده فانما قوامه بروح الهي سمي في لسان الشرع ملكا[1] ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمي هذه المعاني القوى الطبيعية. والأمر الثابت الذي لانزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمراً هو مناطها وبه قوامها ونظامها لايمكن لعاقل ان ينكره وإن انكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكا وزعم انه لادليل على وجود الملائكة وانكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموساً طبيعياً لأن هذه الاسماء لم ترد في الشرع فالحقيقة واحدة والعاقل من لاتحجبه الاسماء عن المسميات

يشعر كل من افتكر فى نفسه ووازن بين خواطره عند مايهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير ووجه للباطل أو للشر بأن فى نفسه تنازعا كأن

(١) بمناسبة ذكر التسمية أقول ان الإمام الغزالي سبق الى بيان هذا المعنى وعبر عنه بالسبب وقال انه سمي ملكاً فانه بعد ما قسم الخواطر الى محمود ومذموم قال: « ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دلَّ ذلك على اختلاف الاسباب . هذا ماعرف من سنة الله تعالى فى ترتيب المسببات على الاسباب فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة . وكذلك لانوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكاً وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمَّى شيطاناً واللطف الذى يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمَّى توفيقاً والذى يتهيأ به لقبول الشر يسمَّى إغواء وخذلاناً فان المعاني المختلفة تحتاج الى اسامي مختلفة » اه المراد منه فليراجع في كتاب شرح عجائب القلب من الاحياء

الأمر قد عرض فيها على مجلس شورى فهذا يورد وذاك يدفع وواحد يقول افعل وآخر يقول لاتفعل حتى ينتصر أحد الطرفين ويترجح أحد الخاطرين فهذا الشيء الذي أودع فى أنفسنا ونسميه قوة وفكراً وهو فى الحقيقة معنى لايدرك كنهه وروح لاتكتنه حقيقتها لايبعد ان يسميه الله تعالى ملكا (أو يسمي أسبابه ملائكة) أو ماشاء من الاسماء فان التسمية لاحجر فيها على الناس فكيف يحجر فيها على صاحب الارادة المطلقة والسلطان النافذ والعلم الواسع؟ فاذا صح الجري على هذا التفسير فلا يستبعد ان تكون الاشارة في الآية الى ان الله تعالى لما خلق الارض وأودع فيها ما شاء من القوى الروحانية التي بها قوامها ونظامها وجعل كل صنف من القوى مخصوصاً بنوع من أنواع المخلوقات لايتعداه خلق بعد ذلك الانسان وأعطاه قوة يكون بها مستعداً للتصرف بجميع هذه القوى وتسخيرها فى عمارة الارض وعبّر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير وجعله بهذا الاستعداد الذي لاحدَّ له والتصرُّف الذي لم يعط لغيره خليفة الله فى أرضه لأنه أكمل الموجودات فى هذه الأرض واستثنى من هذه القوى قوة واحدة عبّر عنها بإبليس وهي القوة التي تعارض فى اتباع الحق وتصد عن عمل الخير وتنازع الانسان فى صرف قواه الى المنافع والمصالح التي تتم بها خلافته فيصل الى مراتب الكمال الوجودي التي خلق مستعداً للوصول اليها

قال الاستاذ: ولو ان نفساً مالت الى قبول هذا التأويل لم تجد فى الدين ما يمنعها من ذلك والعمدة على اطمئنان القلب وركون النفس الى ما أبصرت من الحق . ونقول ان ترتيب النظم يلتئم معه فان هذه المعاني التي

وردت بصيغة الحكاية وبرزت في صورة التمثيل جاءت عقيب قوله تعالى « هو الذي خلق لكم مافى الارض جميعاً » . وبقي شيء واحد يفهم مما قاله الاستاذ ولا أذكر انه صرح به ولعله تركه لوضوحه وهو أن كل قوة من قوى هذه الارض وكل ناموس من نواميس الطبيعة فيها خلق خاضعاً للانسان وخلق الانسان مستعداً لتسخيره لمنفعته الا قوة الاغراء بالشر وناموس الوسوسة بالإغواء الذي يجذب الانسان دائماً الى شر طباع الحيوان ويعيقه عن بلوغ كماله الانساني فالظاهر من الآيات ان الانسان لايغلب هذه القوة ويخضعها مهما ارتقى وكمل وقصارى مايصل اليه الكاملون الحذر من دسائس الوسوسة والسلامة من سوء عاقبتها بأن لايكون لها سلطان على نفس الكامل تجعله مسخراً لها وتستعمله بالشرور كما قال تعالى « ان عبادي ليسَ لك عليهم سُلْطَانَ » وقال عز وجل « إن الذين اتَّقَوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون » فنسأل الله تعالى ان يجعلنا من أهل التقوى والبصيرة وان يعيذنا من من الشيطان الرجيم

باب الاخبار النبوية وآثار السلف الصالح

ننشر في هذا الباب مايعرف به المسلمون أصل مدنيتهم ومنشأ سعادتهم التي ذهبت بتركه

القضاء في الاسلام — النبذة الرابعة مابه القضاء

(تمهيد) أركان القضاء وأصول الحكم في الاسلام أربعة الكتاب العزيز والسنة المتبعة والاجتهاد في الرأي والمشاورة في الأمر وإنها الاركان عظيمة ، وأصول قويمة ، والأساس الذي بنيت عليه هذه الأركان « درء

المفاسد وجلب المصالح والمنافع » ولهذا كان الاجتهاد شرطاً في القاضي لوجوب تطبيق الاحكام على المنفعة في كل زمان ومكان بحسبه . فمن يدعى انه وجد في أمة من الأمم أساس أثبت من هذا الاساس وأركان أقوى من هذه الاركان فليدلنا على ذلك والا فليذعن لنا الناس بأن شريعتنا خير الشرائع وأساس العمران ولا يحتج علينا بسوء حال قومنا الذين ما رعوها حق رعايتها في زمان ولا مكان . أما الاخبار والآثار الدالة على ما ادعيناه فهذا بعضها

(الحديث ٢٥) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال له لما بعثه الى اليمن : « كيف تقضي ؟ » قال أقضي بكتاب الله قال « فإن لم تجد في كتاب الله » قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فإن لم تجد في سنة رسول الله » قال أجتهدُ رأيي ولا آلو (أي لا أقصّر) قال فضرب رسول الله صلى الله عليه على صدره وقال: « الحمد لله الذي وفق رسولَ رسول الله لما يرضى به رسول الله » . فهذا دليل على ان القاضي مفوّض اليه تحري الحق في الأقضية والاجتهاد لاستبانة العدل المطلوب في الكتاب والسنة وذلك بعد اختياره من أهل الكفاءة الذين استوفوا الشروط التي نوهنا بها من قبل وقد اتبع هذه الطريقة الانكليز في هذا العصر فالعمدة عندهم في الاحكام اجتهاد القاضي العادل

(ح ٢٦) عن عمرو بن العاص وأبي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « اذا اجتهد الحاكم فاخطأ فله أجر وان أصاب فله أجران »

(٢٥) رواه ابو داود والترمذي والدارمي (٢٦) رواه البخاري ومسلم . وكذا الحاكم والدارقطني واحمد بالفاظ اخرى

والذي يصيبه الحاكم أو يخطئه هو الحق وإصابة الحق هي العدل ومتى تحرى الحاكم العدل ولم يتعمد الميل الى أحد الخصمين يظهر له الحق في الغالب فاذا تعمد الجور اختلط عليه الامر وكان مخذولا في الدنيا والآخرة . يدل على ذلك الحديث الآتي وهو

(ح ٢٧) عن واثلة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « مامن مسلم ولي من أمر المسلمين شيئاً الا بعث الله اليه ملكين يسددانه مانوى الحق فاذا نوي الجور على عمد وكلاه الى نفسه » . ويظهر من النصوص الواردة في الحق والعدل أن مراد الشرع منها هو ما يعرفه الناس بالفطرة السليمة والعقل وإنما شرعت الأحكام ووضعت القواعد لتهدي الحاكم الى طريق الوصول الى الحق الذي يتعمد الظالمون اخفاءه

(ح ٢٨) عن علي كرم الله وجهه قال قلت يارسول الله اذا بعثتني في شيء أكون كالسكة المحماه أم الشاهد يرى مالايراه الغائب ؟ قال « بل الشاهد يرى مالايراه الغائب » وهذا دليل على ان مراعاة المصالح والمنافع هي الأصل في القضاء لأن الأحكام القضائية ليست من الأمور التعبدية وإنما هي وسائل لمعرفة الحقوق وإعطاء كل ذي حق حقه ولذلك لايحل لمن حكم له بشيء يعلم انه ليس له أن يأخذه وان كان القاضي هو الرسول عليه الصلاة والسلام كما يعلم من الحديث الآتي وهو

---

(٢٧) رواه الطبراني ورواه البيهقي بلفظ آخر بمعناه من حديث ابن عباس وضعفوه ورواه البزار بلفظ آخر وفي سنده متهم (٢٨) رواه احمد والبخاري في التاريخ والدورقي وابو نعيم في الحلية وابن عساكر وابن منصور

(ح ٢٩) عن أم سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ ولعلّ بعضكم أن يكون ألحَنَ بحجته من بعض فأقضي بنحو مما اسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار » والألحن بالحجة هو الأبلغ قولاً والافصح عبارة .

وبقي من أركان الحكم المشاورة ولا أعرف فيها حديثاً مرفوعاً يتعلق بالقضاء وحسبنا الامر العام بها في القرآن وستأتي شواهدها في آثار السلف

(ح ٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو يعطى الناس بدعواهم لادّعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه » قال النووي في شرح مسلم : وفي رواية البيهقي باسناد حسن أو صحيح زيادة عن ابن عباس مرفوعاً « لكن البيّنة على المدعي واليمين على من أنكر »

(ح ٣١) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « البينة على المدعي واليمين على المدَّعَى عليه »

(ح ٣٢) عن وائل بن حجرة قال : جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة الى النبي (ص) فقال الحضرمي : يارسول الله ان هذا قد غلبني على أرض كانت لأبي . قال الكندي هي أرض في يدي أزرعها ليس له فيها حق فقال النبي (ص) للحضرمي « ألك بينة ؟ » قال لا . قال « فلك يمينه » . فقال يارسول الله الرجل فاجر لا يبالي على ماحلف عليه فقال رسول الله (ص) لما أدبر الرجل « أما لئن حلف على مال ليأ كله ظلماً

---

(٢٩) رواه احمد والشيخان واصحاب السنن الأربعة (٣٠) رواه أحمد ومسلم (٣١) رواه الترمذي (٣٢) رواه مسلم والترمذي وصححه .

ليلقين الله وهو عنه معرض »

قال الامام الحافظ الفقيه ابن القيم الجوزية في كتابه (إعلام الموقعين)
مانصه : البينة في كلام الله ورسوله وكلام الصحابة اسم لكل مايبين الحق
فهي أعم من البينة في اصطلاح الفقهاء حيث خصوها بالشاهدين أو الشاهد
واليمين . ولا حجر في الاصطلاح مالم يتضمن حمل كلام الله ورسوله عليه
فيقع بذلك الغلط في فهم النصوص . ونذكر من ذلك مثالا واحداً وهو مانحن
فيه ـ لفظ البينة ـ فانها في كتاب الله اسم لكل مايبين الحق كما قال تعالى
« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات » وقال « وما أرسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم
فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات » وقال « وما تفرق الذين
أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءتهم البينة » وقال « قل إني على بينة من
ربي » وقال « أفمن كان على بينة من ربه » وقال « أم آتيناهم كتاباً فهم على
بينات منه »(1) وقال : « أوَلَمْ تَأْتِهِمْ بيِّنة مافي الصحف الأولى » وهذا
كثير لم يختص به لفظ البينة بالشاهدين بل ولا استعمل في الكتاب فيها البتة
اذا عرف هذا فقول النبي صلى الله عليه وسلم للمدعي « ألك بينة »
وقول عمر : البينة على المدعي . ـــ وان كان هذا قد روي مرفوعاً ـــ
المراد به ألك مايبين الحق من شهود أو دلالة ؛ فان الشارع في
جميع المواضع يقصد ظهور الحق بما يمكن ظهوره به من البينات التي هي
أدلة عليه وشواهد له ولا يرد حقاً قد ظهر بدليله أبداً فيضيع حقوق
الله وعباده ويعطلها . ولا يقف ظهور الحق على أمر معين لافائدة في
تخصيصه به مع مساواة غيره في ظهور الحق أو رجحانه عليه ترجيحاً

(1) قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر (بيناتٍ) والباقون (بينةٍ)

لا يمكن جحده ودفعه كترجيح شاهد الحال على مجرد اليد في صورة
من على رأسه عمامة وبيده عمامة وآخر مكشوف الرأس يعدو أثره ولا
عادة له بكشف رأسه . فبينة الحال ودلالته هنا تفيد من ظهور صدق
المدعي أضعاف مايفيد مجرد اليد عند كل أحد فالشارع لايهمل مثل هذه
البينة والدلالة ويضيع حقاً يعلم كل أحد ظهوره وحجته . بل لما ظنّ هذا من
ظنه ضيعوا طريق الحكم فضاع كثير من الحقوق لتوقف ثبوتها عندهم
على طريق معين وصار الظالم الفاجر ممكناً من ظلمه وفجوره فيفعل مايريد
ويقول لا يقوم عليّ بذلك شاهدان اثنان . فضاعت حقوق كثيرة لله
ولعباده وحينئذ أخرج الله أمر الحكم العام عن أيديهم وأدخل فيه من
أمر الامارة والسياسة ما يحفظ به الحق تارة ويضيع به أخرى ويحصل به
العدوان تارة والعدل أخرى ولو عرف ما جاء به الرسول على وجهه لكان
فيه تمام المصلحة المغنية عن التفريط والعدوان

« وقد ذكر الله سبحانه نصاب الشهادة في القرآن في خمسة مواضع
فذكر نصاب شهادة الزنا أربعة في سورة النساء وسورة النور . واما في
غير الزنا فذكر شهادة الرجلين والرجل والمرأتين في الاموال فقال في آية
الدين « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل
وامرأتان » فهذا في الحمل والوثيقة التي يحفظ بها صاحب المال حقه لا في
طريق الحكم وما يحكم به الحاكم فان هذا شيء وهذا شيء . وأمر في
الرجعة بشاهدين عدلين وأمر في الشهادة على الوصية في السفر باستشهاد
عدلين من المسلمين أو آخرين من غيرهم وغير المؤمنين هم الكفار والآية
صريحة في قبول شهادة الكافرين على وصية (المسلم) في السفر عند عدم

الشاهدين المسلمين وقد حكم به النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة بعده ولم يجيء بعدها ما ينسخها فان المائدة من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ وليس لهذه الآية معارض البتة ولا يصح أن يكون المراد بقوله «من غيركم» من غير قبيلتكم فان الله سبحانه خاطب بها المؤمنين كافة بقوله « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضرَ أحدَكم الموتُ حينَ الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم » ولم يخاطب بذلك قبيلة معينة حتى يكون قوله « من غيركم » أيتها القبيلة . والنبي صلى الله عليه وسلم لم يفهم هذا من الآية بل إنما فهم منها ما هي صريحة فيه وكذلك أصحابه من بعده

« وهو سبحانه ذكر مايحفظ به الحقوق من الشهود ولم يذكر ان الحكام لايحكمون الا بذلك . فليس في القرآن نفي الحكم بشاهد ويمين ولا بالنكول ولا باليمين المردودة ولا بأيمان القسامة ولا بأيمان اللعان وغير ذلك مما يبين الحق ويظهره ويدل عليه » . اه المراد منه وذكر بعده ما اتفقوا عليه من الشهادات وما اختلفوا فيه

آثار السلف . عبرة للخلف

قضاء الخليفتين (١) روى الدارمي والبيهقي عن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر اذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله فان وجد فيه مايقضي به قضى به بينهم وان لم يجد في كتاب الله نظر هل كانت من النبي صلى الله عليه وسلم فيه سنة فان علمها قضى بها فان لم يعلم خرج فسأل المسلمين فقال أتاني كذا وكذا فنظرت في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجد في ذلك شيئاً فهل تعلمون ان النبي (ص) قضى في ذلك بقضاء

فربما قام اليه الرهط فقالوا نعم قضى فيه بكذا وكذا فيأخذ بقضاء رسول الله (ص) ويقول عند ذلك : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا وان أعياه ذلك دعا رؤس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به . وان عمر بن الخطاب كان يفعل ذلك فان أعياه ان يجد في القرآن أو السنة شيئاً دعا رؤس المسلمين وعلماءهم واستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى بينهم » . وإنما كان يرجع الى أقضية أبي بكر لانها مبنية على ماذكر فربما ذكرته بدليل كان عنه ذاهلا . ولينظر في سؤال مثل أبي بكر رضي الله عنه عن قضاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكون الصحابة كانوا يخبرونه بما لايعرفه منها فانه حجة على الجاهلين الذين كانوا يزعمون أن مقلَّديهم كانوا محيطين بالسنة لايغيب عنهم منها شيء . وقد ورد بمعنى هذا الأثر آثاراً أخرى . وفي الحاكم لأن ضرب عن المشاورة

(٢) روي البيهقي عن ابن سيرين انه قال : إنْ كان عمر بن الخطاب ليستشير في الأمر حتى إن كان ليستشير المرأة فربما أبصر في قولها الشيء يستحسنه فيأخذ به » وفي هذا الأثر من الفقه تكريم النساء ومشاركتهن للرجال في الرأي حتى في الأمور العامة وهذا مما يرفع نفوسهن التي كانت قبل الاسلام مهضومة . وما روى عنه من انه قال : خالفوا النساء فان في خلافهن البركة فمعناه لاتتبعوا أهواءهن على ان سنده ضعيف

كتاب عمر في القضاء (٣) روي الدارقطني والبيهقي وابن عساكر عن أبي العوام البصري قال كتب عمر الى أبي موسى الاشعري : « أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذ أدلي اليك [1] فانه لاينفع تكلم

(١) أدلي اليك أي تخوصم اليك وقال ابن القيم أي ماتوصل به اليك من الكلام

بحق لانفاذ له. آس[٢] بين الناس فى وجهك ومجلسك وقضائك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك. البينة على المدعي واليمين على من أنكر. والصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً أحل حراماً أوحرم حلالا. ومن ادعى حقاً غائباً أو بينة فاضرب له أمداً ينتهي اليه فان بيّنه(٣) أعطيته بحقه وان أعجزه ذلك استحللت عليه القضية فان ذلك أبلغ فى العذر وأجلى للعمى[٤] ولا يمنعك قضاء قضيت فيه[٥] اليوم فراجعت فيه رأيك[٦] وهديت فيه لرشدك ان تراجع فيه الحق[٧] فان الحق قديم لا يبطله[٨] شيء ومراجعة الحق خير من التمادي فى الباطل[٩] والمسلمون عدول بعضهم على بعض[١٠] الا مجرباً عليه شهادة زوراو مجلودا في حد أوظنينا في ولاء أو قرابة[١١] فإن الله تعالى تولىَّ من العباد السرائر وستر عليهم الحدود الا بالبينات والأيمان. ثم الفهمَ الفهمَ فيما أدلي اليك مما ورد عليك[١٢] مما ليس في قرآن ولا سنة. ثم قايس الأمور عند ذلك وأعرف الامثال[١٣] ثم أعمد فيما ترى الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق. وإياك والغضب والقلق

الذي تحكم به بين الخصوم. وفي نسخة كنز العمال (اذا أدّي اليك)ولعلها تحريف

(٢) في نسخة كنز العمال (و آس) والمعنى ساو بينهم (٣) في نسخة كنز العمال « فان جاء ببينة » (٤) في الكنز (وأحلى) وذكرت نسخة في هامش اعلام الموقعين وهي تحريف كما حرف فيه لفظ للعمى فكتب (للعلماء) (٥) في الكنز (قضيته) (٦) في الكنز (لرأيك) (٧) في الكنز (ان تراجع الحق) (٨) في الكنز (لايبطل الحق) (٩) الجملة في الكنز بدون عطف (١٠) في الكنز زيادة (في الشهادة) (١١) المستثنيات في نسخة الكنز مرفوعة. والظنين المتهم في شهادته للقرابة أو الولاء (١٢) فى الكنز(أدي اليك) (١٣) في الكنز زيادة لفظ (والاشباه) وليس المراد انه يقيس على كلام غيره وانما ميزان القياس ماذكره بعد

والضجر والتأذي بالناس والتنكّر عند الخصومة أو الخصوم (شك أبو عبيد) فان القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر[١٤] فمن خلصت نيته[١٥] في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس. ومن تزين لهم بما ليس في نفسه شانه الله[١٦] فان الله تعالى لا يقبل من العباد الا من كان خالصاً. فما ظنك بثواب عند الله[١٧] في عاجل رزقه وخزائن رحمته. والسلام عليك ورحمة الله »[١٨]

قال ابن القيم بعدما أورد هذا الكتاب فى اعلام الموقعين :« وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة والحاكم والمفتى أحوج شيء اليه والى تأمله والتفقه فيه » ثم شرحه شرحاً مطولا. وقد اعتمدنا في نصه هنا على نسخة إعلام الموقعين لاننا رأيناها أصح وذكرنا ماوجدناه من الاختلاف بينها وبين نسخة « كنز العمال » في الهامش وليس فيه شيء جوهري.

القسم العمومي

﴿ آثار محمد علي فى مصر ﴾

لغط الناس هذه الايام فى محمد علي وماله من الآثار فى مصر وأهلها وأكثرت الجرائد من الخوض فى ذلك والله أعلم ماذا بعث المادح على الاطراء، وماذا حمل القادح على الهجاء، غير انه لم يبحث باحث فى حالة مصر التي وجدها عليها محمد علي وما كانت تصير بالبلاد اليه لو بقيت

(١٤) في الكنز(ويحسن له الذخر) (١٥) في الكنز(نفسه) (١٦) سقط لفظ الجلالة من نسخة الكنز (١٧) في الكنز(وما ظنك بثواب الله) (١٨) آخر الرواية في الكنز(والسلام)

وما نشأ عن محوها واستبدال غيرها بها على يد محمد علي . اذكر الآن شيئاً في ذلك ينتفع به من عساه ينتفع ، ويندفع به من الوهم ما ربما يندفع ،

كانت حكومة البلاد المصرية قبل دخول الجيش الفرنساوي فيها من أنواع الحكومات التي كانت تسمى في اصطلاح الغربيين حكومات الاشراف وتسمى في عرف المصريين حكومات الالتزام وتعرف عند الخاصة بحكومات الأقطاع . وأساس هذا النوع من الحكومة تقسيم البلاد بين جماعة من الامراء يملك كل أمير منهم قسما يتصرف في أرضه وقوى ساكنيها وأبدانهم وأموالهم كما يريد فهو حاكمهم السياسي والاداري والقضائي وسيدهم المالك لرقابهم . ومن طبيعة هذا النوع من الحكومة أن تنمو فيه الأثرة وتغلظ فيه أصول الاستبداد وفروعه وتنزع نفس كل أمير الى توسيع دائرة ملكه بالاستيلاء على مافي يد جاره من الامراء . فكان من مقتضى الطبيعة ان كل أمير لا ينفك عن التدبير والتفكر فيما تعظم فيه شوكته ، وما يدفع به عن حوزته ، وان يكون الجميع دائماً في استعداد إما للوثوب وإما للدفاع . ولكن الامراء في مجموعهم كانوا يقاومون سلطة الملوك فيضطر الملك لاستمالتهم ومحاباة بعضهم للاستعانة به على البعض الآخر فضعف بذلك استبداد الملوك فيهم

حاجة الامراء الى المال كانت تسوقهم الى ظلم رعاياهم وكانت شدة الظلم تميل برعاياهم الى خذلانهم عند هجوم العدو عليهم . ظهر ذلك في خصوماتهم المرة بعد المرة فاضطر الامراء أن يخففوا من ظلمهم وان يتخذوا لهم من الاهالين أنصاراً يضبطونهم عند قيام الحرب بينهم وبين خصومهم . أحسّ الاهلون بحاجة الامراء اليهم فزادوا في الدالة على

الامراء واضطروهم الى قبول مطالبهم فعظمت قوة الارادة عند أولئك الذين كانوا عبيداً بمقتضى الحكومة وانتهى بهم الأمر ان قيدوا الامراء والملوك معاً ولم يكن ذلك في يوم أو عام ولكنه كان في عدة قرون كما هو معروف عند أهل المعرفة

نعم كانت الحكومة في مصر على نوع تخالف به جميع الحكومات المشرقية وكانت البلاد متوزعة بين عدة أمراء كل منهم يستغل قسما منها ويتصرف فيه كما يهوى وكان كل يطلب من القوة ما يسمح له بمدّ يده الى ما في يد الآخر أو يدفع به صولته فالخصام كان دأبهم والحرب كانت أهم عملهم . لذلك كان كل منهم يستكثر من المماليك ما استطاع ليُمدّ منهم جنده ولكن كانت تُعوِزُه مؤنتهم اذا كثروا فاضطروا الى اتخاذ اعوان من أهالي البلاد فوجدوا من العرب أحزاباً كما وجدوا منهم خصوماً . ثم رجعوا الى سكان القرى فوجدوا فيهم ما يحتاجون اليه فاتخذوا بيوتاً منها أنصاراً لهم عند الحاجة وعرف هؤلاء حاجة الامراء اليهم فارتفعوا في أعينهم وصار لهم من الامر مثل مالهم أو ما يقرب من ذلك . لهذا كنت ترى في البلاد المصرية بيوتاً كبيرة لها رؤساء يعظم نفوذهم ويعلو جاههم

ذلك كان يقضي على كل أمير من أولئك الامراء أن يصرف زمنه في التدبير : واستجلاب النصير ، وإعداد ما يستطيع من قوة لحفظ ما في يده والتمكن من إخضاع غيره . أنصاره من الأهالي كانوا يجاورونه في ذلك خوفاً من تعدي أعوان خصمه عليهم فوقعت القسمة بين الأهالي ولا تزال أسماء الأقسام معروفة الى اليوم — سعد وحرام . هذا يحدث بطبعه في النفوس شمماً وفي العزائم قوة ويكسب القوى البدنية والمعنوية

حياة حقيقية مهما احتقرت نوعها . فكانت العناصر جميعها فى استعداد لأن يتكوّن منها جسم حيّ واحد يحفظ كونه ويعرّف العالم بمكانته

جاء الجيش الفرنساوي والبلاد في هذه الحالة . دخل البلاد بسهولة لم يكن ينتظرها . احتل عاصمتها واستقر له السلطان فيها . لم تكن الا أيام قلائل ، حتى ظهر فيه القلق وعظمت حوله القلاقل ، أخذت القوى الحيوية الكامنة في البلاد تظهر فكثرت الفتن ولم تنقطع الحروب والمناوشات ولم يهدأ لرؤساء العساكر بال . يدلك على ذلك شكوى نابليون نفسه في تقاريره التي كان يرسلها الى حكومة الجمهورية من اصطياد العربان لعساكره من كل طريق ، وسلبهم أرواحهم بكل سبيل ، واضطر نابليون أن يسير في حكومة البلاد بمشورة أهلها وانتخب من أعيانها من يشركه في الرأي لتدبيرها طوعاً لحكم الطبيعة التي وجدها

قتل بعض رؤساء الجيش واضطربت عليه البلاد وجاء الجيش العثماني وعاونه الجيش الانكليزي وخرجت عساكر الفرنساويين من مصر ولا أطيل الكلام فقد ظهر محمد علي بالوسائل التي هيأها له القدر

ما الذي كانت تنتظره البلاد من نوع حكومتها ؟ كانت تنتظر ان يشرق نور مدنية يضيء لرؤساء الاحزاب طرقهم في سيرهم لبلوغ آمالهم وقد كان ذلك يكون لو أمهلهم الزمان حتى يعرف كل منهم مابلغ به غيره الغاية التي كان يقصدها في بلاد غير بلاده . وما كان بينهم وبين ذلك الا أن يختلطوا بأهل البلاد الغربية ويرتفع الحجاب الذي أسدله الجهل دونهم . أو كانت تنتظر ان يأتي أمير عالم بصير فيضم تلك العناصر الحية بعضها الى بعض ويؤلف منها أمة تحكمها حكومة منها ويأخذ في تقوية مصباح

العلم بينها حتى ترتقى بحكم التدريج الطبيعي وتبلغ ما أعدته لها تلك الحياة الأولى

ما الذي صنع محمد علي ؟ لم يستطع ان يحيي ولكن استطاع أن يميت .

كان معظم قوة الجيش معه وكان صاحب حيلة بمقتضى الفطرة فأخذ يستعين بالجيش وبمن يستميله من الاحزاب على إعدام كل رأس من خصومه ثم يعود بقوة الجيش وبحزب آخر على من كان معه أولا وأعانه على الخصم الزائل فيمحقه وهكذا حتى اذا سحقت الأحزاب القوية وجّه عنايته الى رؤساء البيوت الرفيعة فلم يدع منها رأساً يستتر فيه ضمير (أنا) واتخذ من المحافظة على الأمن سبيلا لجمع السلاح من الأهلين وتكرر ذلك منه مراراً حتى فسد بأس الاهالى وزالت ملكة الشجاعة منهم وأجهز على ما بقي في البلاد من حياة في أنفس بعض أفرادها فلم يبق في البلاد رأساً يعرف نفسه حتى خلعه من بدنه أو نفاه مع بقية بلده الى السودان فهلك فيه

أخذ يرفع الاسافل ويعليهم في البلاد والقرى كأنه كان يحنّ لشبه فيه ورثه عن أصله الكريم حتى انحط الكرام وساد اللئام ولم يبق في البلاد الا آلات له يستعملها في جباية الاموال وجمع العساكر بأية طريقة وعلى أي وجه فمحق بذلك جميع عناصر الحياة الطيبة من رأي وعزيمة واستقلال نفس ليصير البلاد المصرية جميعها أقطاعاً واحداً له ولأولاده على أثر اقطاعات كثيرة كانت لامراء عدة

ماذا صنع بعد ذلك ؟ اشرأبت نفسه لأن يكون ملكا غير تابع للسلطان العثمانى فجعل من العدة لذلك أن يستعين بالأجانب من الأوربيين فأوسع لهم فى المجاملة وزاد لهم فى الامتياز خارجاً عن حدود المعاهدات المنعقدة بينهم وبين الدولة العثمانية حتى صار كل صعلوك منهم لا يملك

قوت يومه ملكا من الملوك في بلادنا يفعل مايشاء ولا يُسأل عما يفعل. وصغرت نفوس الأهالي بين أيدي الاجانب بقوة الحاكم وتمتع الأجنبي بحقوق الوطني التي حرم منها وانقلب الوطنيّ غريباً في داره، غير مطمئن في قراره، فاجتمع على سكان البلاد المصرية ذلاّن — ذلٌّ ضربته الحكومة الاستبدادية المطلقة وذلٌّ سامهم الأجنبي إياه ليصل الى مايريده منهم غير واقف عند حد أو مردود الى شريعة

قالوا: انه اطلع نجم العلم فى سماء البلاد. نعم عني بالطب لاجل الجيش والكشف على المجني عليهم فى بعض الاحيان عند ما يراد ايقاع الظلم بمتهم. وبالهندسة لأجل الريّ حتى يدبر مياه النيل بعض التدبير، ليستغلّ أقطاعه الكبير،

هل تفكر يوماً فى إصلاح اللغة عربية أو تركية أو أرنؤدية؟ هل تفكر في بناء التربية على قاعدة من الدين أو الأدب؟ هل خطر فى باله أن يجعل للاهالي رأيا فى الحكومة فى عاصمة البلاد أو أمهات الاقاليم؟ هل توجهت نفسه لوضع حكومة قانونية منظمة يقام بها الشرع ويستقر العدل؟ لم يكن شيء من ذلك بل كان رجال الحكومة إما من الارنؤد أو الجراكسة أو الأرمن المورلية أو ما أشبه هذه الاوشاب وهم الذين يسميهم بعض الأحداث من أنصاره اليوم دخلاء، وكانوا يحكمون بما يهوون لا يرجعون الى شريعة ولا قانون وإنما يبتغون مرضاة الامير، صاحب الاقطاع الكبير

أين البيوت المصرية التي أقيمت فى عهده على قواعد التربية الحسنة؟ أين البيوت المصرية التي كانت لها القدم السابقة في ادارة حكومة، أو سياستها أو

سياسة جندها مع كثرة ما كان في مصر من البيوت الرفيعة العماد، الثابتة الاوتاد،

أرسل جماعة من طلاب العلم الى اوربا ليتعلموا فيها. فهل أطلق لهم الحرية أن يبثوا في البلاد ما استفادوا؟ كلا ولكنه استعملهم آلات تصنع له ما يريد وليس لها ارادة فيما تصنع. وجد بعض الأطباء الممتازين وهم قليل، ووجد بعض المهندسين الماهرين وليسوا بكثير، والسبب في ذلك ان محمد علي ومن معه لم يكن فيهم طبيب ولا مهندس فاحتاجوا الى بعض المصريين ولم يكن أحد من الأعوان مسلطاً على المهندس عند رسم ما يلزم له من الأعمال ولا على الطبيب عند تركيب أجزاء العلاج فظهر أثر استقلال الارادة في الصناعة عند أولئك النفر القليل من النابغين، وكان ذلك مما لا تخشى عاقبته على المستبدين

هل كان له مدرسة لتعليم الفنون الحربية؟ أين هي وأين الذين نبغوا من طلابها؟ فان وجد أحد نابغ فهل هو من المصريين؟ عدوا ان شئتم أحياء أو أمواتا

وجد كثير من الكتب المترجمة في فنون شتى من التاريخ والفلسفة والأدب ولكن هذه الكتب أودعت في المخازن من يوم طبعت وغلّقت عليها الأبواب الى أواخر عهد اسماعيل باشا فأرادت الحكومة تفريغ المخازن منها، وتخفيف ثقلها عنها، فنثرتها بين الناس فتناول منها من تناول. وهذا يدلنا على انها ترجمت برغبة بعض الرؤساء من الاوربيين الذين أرادوا نشر آدابهم في البلاد لكنهم لم ينجحوا لأن حكومة محمد علي لم تُوجِد في البلاد قراء ولا منتفعين بتلك الكتب والفنون

كانوا يختطفون تلامذة المدارس من الطرق وافناء القرى (الأفناء الناس المجهولون) كما يختطفون عساكر الجيش فهل هذا مما يحبب القوم في العلم ويرغبهم في ارسال أولادهم الى المدارس؟ لا بل كان يخوفهم من المدرسة كما كان يخيفهم من الجيش

حمل الأهالي على الزراعة ولكن ليأخذ الغلات ولذلك كانوا يهربون من ملك الأطيان كما يهرب غيرهم من الهواء الاصفر، والموت الأحمر، وقوانين الحكومة لذلك العهد تشهد بذلك

يقولون انه أنشأ المعامل والمصانع؟ ولكن هل حبّب الى المصريين العمل

والصنعة حتى يستبقوا تلك المعامل من أنفسهم ؟ وهل أوجد أساتذة يحفظون علوم الصنعة وينشرونها في البلاد ؟ أين هم ؟ ومن كانوا ؟ وأين آثارهم ؟ لا بل بغَّضَ الى المصريين العمل والصنعة بتسخيرهم في العمل والاستبداد بثمرته فكانو يتربصون يوما لا يعاقبون فيه على هجر المعمل والمصنع لينصرفوا عنه ساخطين عليه ، لاعنين الساعة التي جاءت بهم اليه ،

يقولون انه أنشأ جيشاً كبيراً فتح به الممالك ودوخ به الملوك، وأنشأ الأسطولاً ضخما تثقل به ظهور البحار ، وتفتخر به مصر على سائر الامصار . فهل علم المصريين حبّ التجنّد وأنشأ فيهم الرغبة في الفتح والغلب وحبَّبَ اليهم الخدمة في الجندية وعلمهم الافتخار بها؟ لا بل علّمهم الهروب منها وعلم آباء الشبان وأمهاتهم أن ينوحوا عليهم معتقدين انهم يساقون الى الموت بعد ان كانوا ينتظمون في أحزاب الأمراء ويحاربون ولا يبالون بالموت أيام حكم المماليك وكان من ينتظم في الجندية على عهد محرّر مصر لا يخرج منها الا بالموت . هل شعر مصري بعظمة أسطوله أو بقوة جيشه ، وهل خطر ببال أحد منهم أن يضيف ذلك اليه بأن يقول هذا جيشي وأسطولي أو جيش بلدي أو أسطوله ؟ كلا لم يكن شيء من ذلك فقد كان المصري يعد ذلك الجيش وتلك القوة عوناً لظالمه فهي قوة خصمه . كذلك كان يعدها كل عثمانيّ في مصر أو في غير مصر. ليقل لنا أنصار الاستبداد كم كان في الجيش من المصريين الذين بلغوا في رتب الجندية الى رتبة البكباشي على الاقل ؟ فما أثر ذلك في حياة مصر والمصريين الا أسوأ الأثر — أثر كله شر في شر لذلك لم تلبث تلك القوة أن تهدمت واندثرت

ظهر الأثر العظيم عند ما جاء الانكليز لاخماد ثورة عرابي . دخل الانكليز مصر بأسهل ما يدخل به دامِرٌ على قوم ثم استقروا ولم توجد في البلاد نخوة في رأس تثبت لهم أن في البلاد من يحامي عن استقلالها وهو ضدّ ما رأيناه عند دخول الفرنساويين الى مصر وبهذ رأينا الفرق بين الحياة الاولى والموت الاخير وجهله الاحداث فهم يسألون أنفسهم عنه ولا يهتدون اليه

لا يستحي بعض الأحداث من ان يقول ان محمد علي جعل من جدران سلطانه بنية من الدين . أي دين كان دعامة لسلطان محمد علي؟ دين التحصيل . دين الكرباج .

دين من لا دين له الا ما يهواه ويريده . والا فليقل لنا أحد من الناس أي عمل من أعماله ظهرت فيه رائحة للدين الاسلامي الجليل ؟ لا يذكرون الا مسألة الوهابية وأهل الدين يعلمون أن الاغارة فيها كانت على الدين لا للدين . نعم ان الوهابية غلوا في بعض المسائل غلوا أنكره عليهم سائر المسلمين وما كان محمد علي يفهم هذا ولا سفك دماءهم لارجاعهم الى الاعتدال وانما كانت مسألة سياسية محضة تبعها جراءة محمد علي على سلطانه العثماني وكان معه ما كان مما هو معروف

نعم أخذ ما كان للمساجد من الرزق وأبدلها بشيء من النقد يسمى فائض رزنامة لا يساوي جزأ من الالف من ايرادها . وأخذ من أوقاف الجامع الازهر مالو بقي له اليوم لكانت غلته لا تقل عن نصف مليون جنيه في السنة وقرر له بدل ذلك ما يساوي نحو أربعة آلاف جنيه في السنة

وقصارى أمره في الدين انه كان يستميل بعض العلماء بالخلع أو اجلاسهم على الموائد لينفي من يريد منهم اذا اقتضت الحال ذلك وأفاضل العلماء كانوا عليه في سخط ماتوا عليه

ولا أظن أن أحداً يرتاب بعد عرض تاريخ محمد علي على بصيرته ان هذا الرجل كان تاجراً زارعاً وجنديا باسلاً ومستبدا ماهراً لكنه كان لمصر قاهراً ، ولحياتها الحقيقية معدما، وكل ما نراه الآن فيها مما يسمى حياة فهو من أثر غيره متعنا الله بخيره وحمانا من شره والسلام (مؤرخ)

(بقية الاجتماع الثالث لجمعية أم القرى)

(المنعقد فى مكة المكرمة فى ١٨ ذي القعدة سنة ١٣١٦)

أجاب (السعيد الانكليزي) ان المسلمين من حيث مجموعهم أغنياء لا يعوزهم المال اللازم للتدرج في العلوم حتي للسياحات البحرية والقطبية . لان فريضة الزكاة على مالكي النصاب والكفارات المالية جاعلة لفقراء الامة وبعض الشؤن العمومية نصيباً غير قليل في مال الاغنياء بحيث اذا عاش المسلمون مسلمين حقيقة أمنو الفقر

وعاشوا عيشة الاشتراك العمومي المنتظم التي يتمنى ما هو من نوعها اغلب العالم المتمدن الافرنجي الذين لم يهتدوا بعد لطريقة نيلها مع انه تسعى وراء ذلك منهم جمعيات وعصبيات مكونة من ملايين باسم (كومون وفنيان ونهلست وسوسيالست) كلها تطلب التساوي أو التقارب في الحقوق والحالة المعاشية ذلك التساوي والتقارب المقررين في الاسلامية ديناً بوسيلة انواع الزكاة والكفارات ولكن تعطيل ايتاء الزكاة وايفاء الكفارات سبب بعض الفتور المبحوث فيه كما سبب اهمال الزكاة فقد الثمرات العظيمة من معرفة المسلم ميزانية ثروته سنويا فيوفق نفقاته على نسبة ثروته ودخله . ولا شك ان الواحد من الاربعين يفي ان يبذل لاجل هذه الثمرة وحدها . والشريعة الاسلامية هي أول شريعة ساقت الناس والحكومات لاصول الميزانية المؤسس عليه فنّ الاقتصاد المالي الافرادي والسياسي

ويخيل الي أن سبب هذا الفتور الذي أخل حتى بالدين هو فقد الاجتماعات والمفاوضات وذلك ان المسلمين في القرون الاخيرة قد نسوا بالكلية حكمة تشريع الجماعة والجمعة وجمعية الحج وترك خطباؤهم ووعاظهم خوفاً من الامراء التعرض للشئون العامة كما ان علماءهم صاروا يسترون جبنهم بجعلهم التحدث في الأمور العامة والخوض فيها من الفضول والاشتغال بما لا يعني وعدهم أتيان ذلك في الجوامع من اللغو الذي لا يجوز وربما اعتبروه من الغيبة او التجسس أو السعي بالفساد فسرى ذلك الى افراد الامة وصار كل شخص لا يهمه الا خويصة نفسه وحفظ حياته في يومه كانه خلق امة وحده وسيموت غداً وهكذا صار المسلم جاهلاً ان له حقوقاً على الجامعة الاسلامية والجامعة البشرية وان لهما عليه مثلها ذاهلا عن انه مدني بالطبع لا يعيش الا بالاشتراك ناسياً او هاجراً أوامر الكتاب والسنة له بذلك (مرحى)

ثم بتوالي القرون والبطون على هذه الحال تأصل في الامة فقد الاحساس الى درجة انه لو خربت هذه الكعبة والعياذ بالله تعالى لما تقطبت الجباه اكثر من لحظة ولا اقول لمازاد تلاطم الناس على سبعة أيام كما ورد في الاثر لان المراد باولئك الناس اهل ذلك الزمان

واذا دققنا النظر في حالة الامم الحية المعاصرة وهي ليس عندها ماعندنا من الوسائل الشريفة للاجتماع والمفاوضات نجدهم قد احتالوا للاجتماعات ولاسترعاء السمع وتوجيه النظر بوسائل شتى .

(١) منها تخصيصهم يوماً في الاسبوع للبطالة والتفرغ من الاشغال الخاصة لتحصل بين الناس الاجتماعات وتنعقد الندوات فيتباثّون ويتناجون

(٢) ومنها تخصيصهم أياماً يتفرغون فيها للمذاكرة في مهمات الاعمال لاعاظم رجالهم الماضين تشويقاً للتمثل بهم

(٣) ومنها إعدادهم في مدنهم ساحات ومنتديات تسهيلاً للاجتماع والمذاكرات والقاء الخطب وابداء التظاهرات

(٤) ومنها ايجادهم المتنزهات الزاهية العمومية واجراء الاحتفالات الرسمية والمهرجانات بقصد السوق للاجتماعات .

(٥) ومنها ايجادهم محلات التشخيص المعروف (بالكوميديا) و (التياترو) بقصد اراءة العبر واسترعاء السمع للحكم والوقائع ولو ضمن أنواع من الخلاعة اتخذت شباكاً لمقاصد الجمع والاسماع ويعتبرون ان نفعها اكبر من ضرر الخلاعة

(٦) ومنها اعتناؤهم غاية الاعتناء بتعميم معرفة تواريخهم الملية المفصلة المدمجة بالعلل والاسباب تمكيناً لحب الجنسية .

(٧) ومنها حرصهم على حفظ العاديّات المنبهة وادخار الآثار القديمة المنوهة واقتناء النفائس المشعرة بالمفاخر .

(٨) ومنها اقامتهم النصب المفكرة بما نصبت له من مهمات الوقائع القديمة .

(٩) ومنها نشرهم في الجرائد اليومية كل الوقائع والمطالعات الفكرية .

(١٠) ومنها تهيم في الاغاني والنشائد الحكم والحماسات الى غير ذلك من الوسائل التي تنشئ في القوم نشأة حياة اجتماعية وتولد في الرؤس حمية وحماسة وفي النفوس سمواً ونشاطاً .

أما المسلمون فانهم كما سبق بيانه أهملوا استعمال تلك الوسائل الشريفة المؤسسة عندهم للشورى والمفاوضات والتناصح والتداعي اعني بذلك الجماعة والجمعة وجمعية الحج حتى كأن الشارع لم يقصد منها غير اداء الفريضة فقط بصورة تعبدية بسيطة والحال أن حكمة الشارع ابلغ من ذلك وعندي ان هذا أعظم اسباب الفتور . (مرحى)

فاجابه (الامام الصيني) ان هذا أشبه بالعوارض منه بالاسباب فهو أليق بان يكون دواء للداء ونحن مهتمون ابتداء بمعرفة سبب الفتور ٠

ثم قال اني ارى ان السبب الاكبر للفتور هو تكبر الامراء وميلهم للعلماء المتملقين المنافقين الذين يتصاغرون لديهم ويتذللون لهم ويحرفون أحكام الدين ليوفقوا بينها وبين أهوائهم فماذا يرجى من علماء يشترون بدينهم دنياهم ويقبلون يد الامير لتقبل العامة أيديهم ويحقرون أنفسهم للعظماء ليتعاظموا على ألوف من الضعفاء أكبر همهم التحاسد والتباغض والتخاذل والتفاضل لايحسنون أمراً من الامور حتى الخصومة فتراهم لايراغمون الاّ بتكفير بعضهم بعضاً عند الامراء والعامة ٠

وهذا داء عياء صعب المداواة جداً لان كبر الامراء يمنعهم من الميل الى العلماء العاملين الذين فيهم نوع غلاظة لا بدّ منها ونعما هي مزية لولاها لفقد الدين بالكلية. (مرحى)

فلا شك ان أفضل الجهاد في الله في هذا الزمان الحطّ من قدر العلماء المنافقين عند العامة وتحويل وجهتهم لاحترام العلماء العاملين حتى اذا رأى الامراء انقياد الناس لهؤلاء اقبلوا هم أيضاً عليهم رغم أنوفهم واذعنوا لهم طوعاً أو كرهاً على انه يجب على حكماء الامة المجاهدين في الله ان يعتنوا بالوسائل اللينة لتثقيف عقول العلماء العاملين لان العلم رافع للجهل فقط ولايفيد عقلاً ولا كياسة فيلزم تعليمهم وتعريفهم كيف تكون سياسة الدين وهكذا يفعل الحكماء عندنا معاشر اسلام الصين ولا تفقد أية بلدة كانت رجالا حكماء نبلاء يمتازون طبعاً على العامة لهم نوع من الولاء حتى على العلماء ٠

وهؤلاء الذين نسميهم عندنا بالحكماء هم الذين يطلق عليهم في الاسلامية اسم أهل الحل والعقد الذين لا تنعقد (الامامة) شرعاً الا ببيعتهم وهم خواص الطبقة العليا في الامة الذين أمر الله عز شأنه نبيه بمشاورتهم في الامر الذين لهم شرعاً حق الاحتساب والسيطرة على الامام والعمال لانهم رؤساء الامة ووكلاء العامة والقائمون في الحكومة الاسلامية مقام مجالس النواب والاشراف في الحكومات المقيدة ومقام الأسرة الملوكية التي لها حق السيطرة على الملوك في الحكومات المطلقة كالصين وروسية ومقام شيوخ الانخاذ في أزاء امراء العشائر العربية اولئك الامراء الذين ليس لهم من الامر غير تنفيذ مايبرمه الشيوخ ٠

واذا دققنا النظر في أدوار الحكومات الاسلامية من عهد الرسالة الى الآن نجد

ترقيها وانحطاطها تابعين لقوة أو ضعف احتساب أهل الحل والعقد واشتراكهم في تدبير شؤن الامة ٠

واذا رجعنا البصر الى التاريخ الاسلامي نجد ان النبي عليه السلام كان أطوع المخلوقات للشورى امتثالا لامر ربه في قوله تعالى (وشاورهم في الامر) حتى انه ترك الخلافة لمجرد رأى الامة ٠

ثم كان أول الخلفاء رضي الله عنه أشبه الناس به حتى انه أخذ رأي سراة الصحابه فيمن استخلف. ثم إن الخليفة الثاني اتبع أثر الاول وان استأثر في ترتيب الشورى فيمن يخلفه ثم لما اجتهد الخليفة الثالث في مخالفة رؤساء الصحابة في بعض المهمات لم يستقم له الامر وظهرت الفتن كما هو معلوم ثم إن معاوية رحمه الله كان قليل الاستقلال بالرأي فحسنت أيامه عما كان قبلها ٠ وهكذا كانت دولة الامويين تحت سيطرة أهل الحل والعقد لاسيما من سراة بني أمية فانتظمت على عهدهم الاحوال كما كان ذلك كذلك على عهد صدر العباسيين حيث كانوا مذعنين لسيطرة رؤساء بني هاشم ثم لما استبدوا في الرأي والتدبير خالفوا أمر الله واتباع طريقة رسول الله ساءت الحال حتى فقدوا الملك ٠

وهكذا عند التدقيق في كل فرع من الدول الاسلامية الماضية والحاضرة بل في ترجمة كل فرد من الملوك والامراء بل في حال كل ذي عائلة أو كل انسان فرد نجد الصلاح والفساد دائرين مع سنة الاستشارة أو الاستقلال في الرأي ٠

فاذا تقرر هذا علمنا ان سبب الفتور العام المبحوث فيه هو استحكام الاستبداد في الامراء عُتوًّا وتكبراً وترك أهل الحل والعقد الاحتساب جهلا وجبانة وهذا عند بعض الاقوام المسلمين وأما الاكثر فقد امسوا لا علماء هداة ولا سراة اباة بل هم فوضى فى الدين والدنيا ولا بدع فيمن يكونون على مثل هذه الحال ان لا يرجى لهم دواء الا بعناية بعض الحكماء الذين يجبون من أية طبقة كانت من الامة وقد قضت سنة الله في خلقه ان لا تخلو أمة من الحكماء ٠

فأجاب (العالم النجدى) ان شؤن السياسة في الصين تختلف كثيراً عنها في غيرها وليس في الصين ملوك كثيرة وأمراء جبابرة كما عند غيرهم فالحكماء في الصين آمنون ومن جهة أخرى لم يزل الاسلام في الصين حنيفاً خفيفاً لم يفسده التفنن والتشديد ومع ذلك نرى الفتور شاملهم أيضاً ونحن الآن نبحث عن السبب العام لهذا الداء وليس كل السبب أحوال الامراء والعلماء ٠

ثم قال اني أجزم ولا أقول أظن أو إخال ان سبب الفتور الطارئ الملازم لجامعة هذا الدين هو هذا الدين الحاضر ذاته ولا برهان أعظم من الملازمة وماجاء الخفاء الاّ من شدة الوضوح فهل بقي من شك بعد هذه الابحاث التي سبقت في جمعيتنا ولا سيما مابينه المحقق المدني في ان الدين الموجود الآن بالنظر الى ماندين به لابالنظر الى مانقرره وباعتبار مانفعله لا باعتبار مانقوله ليس هو الدين الذي تميز به أسلافنا مئين من السنين على العالمين كلا بل طرأت على الدين طوارئ تغيير غيرت نظامه •

وذلك ان الخلف تركوا أشياء من أحكامه كاعداد القوة بالعلم والمال والجهاد في الدين والامر بالمعروف وازالة المنكر واقامة الحدود وايتاء الزكاة وغير ذلك مما أوضحه الاخوان الكرام • وزاد فيه المتأخرون بدعاً وتقاليدات وخرافات ليست منه كشيوع عبادة القبور والتسليم لمدعى علم الغيب والتصرف في المقدور •

وهذه الطوارئ من تغييرات أو متروكات أو مزيدات أكثرها يتعلق باصول الدين وبعضها باصل الاصول أعني التوحيد وكفى بان يكون ذلك سبباً للفتور وقد قال الله تعالى (ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) — مرحى

ولقائل ان يقول اذا سلمنا ان الدين تغير عما كان عليه فما تأثير ذلك في الفتور العام الذي هو من شأن الحياة الدنيا وها نحن أولاء نجد اكثر الامم الحية التي نغبطها قدطرأ على دينها التغيير والتبديل في الاصول والفروع ولم يؤثر ذلك فيها الفتور بل زعم كثير من حكماء تلك الامم انهم ما اخذوا في الترقي الا بعد عزلهم شؤن الدين عن شؤن الحياة وجعلهم الدين امراً يتعلق بالنفس ولا علاقة له بشؤون الحياة الجاريه على نواميس الطبيعة

فالجواب على ذلك أنه كما يطالب كل انسان بان يكون صاحب ناموس اى متبعاً على وجه الاطراد في اخلاقه واعماله قانوناً ما موافقاً ولوفى الاصول فقط لقانون الهيئة الاجتماعية التي هو منها والافيكون لاناموس له منفوراً منه مضطهداً فكذلك كل قوم مكلفون بان يكون لهم ناموس عام بينهم ملائم في الجملة لقوانين الامم التي لها معهم علاقات جوارية او تجاريه او مناسبات سياسية والا فيكونون قوماً متوحشين لاخلاق لهم ولا نظام منفوراً منهم مضطهدين •

وذلك ان الناموس الطبيعي فى البشر هو ناموس وحشيّ لاخير فيه لان مبانيه هى تنازع البقاء وحفظ النوع والتزاحم على الاسهل والاعتماد على القوة وطلب الغايات

وحب الرئاسة وحرص الادخار ومجاراة الظروف وعدم الثبات على حال الى غير ذلك وكلها قواعد شر ومجالب ضرّ لايلطفها غير ناموس شريف واحد مودوع فى فطرة الانسان وهو اذعانه الفكري للقوة الغالبة اى معرفته الله بالالهام الفطري الذى هو الهام النفس رشدها «فألهمها فجورها وتقواها» (مرحى) ،

ولا ريب في ان لهذه الفطرة الدينية فى الانسان علاقة عظمى في شؤن حياته لانها أقوى وأفضل وازع يعدل سائر نواميسه المضرة ويخفف مرارة الحياة التي لا يسلم منها ابن انثى وذلك بما يؤمله المؤمن من المجازاة والمكافأة والانتقام منه وله (مرحى)

وعند تدقيق النظر في حالة جميع الاديان والنحل تدقيقاً تاريخياً توجد كلها ناشئة عن اصل صحيح بسيط سماوي لاترى فيه عوجاً ولا أمتاً ويوجد ان كل دين كان فى اوله باثا في أهله النظام والنشاط وراقيابهم الى أوج السعادة في الحياة الى ان يطرأ عليه التأويل والتحريف والتفنن والزيادات رجوعاً الى اصلين اثنين (الاشراك بالله• والتشديد في الدين) فيأخذ في الانحطاط بالامة ولا يزال نازلا بها الى أن تبلغ حالة اقبح من الحالة الاصلية الهمجية فتنتهي بالانقراض أو الاندماج في أمة أخرى • أو يتدارك الله تلك الامة بعناية بالغة فيبعث لهم رسولا يجدد دينهم أو يخلق فيهم أنبياء او حكماء يصلحون لهم ما فسد من دينهم كما حصل ذلك في الامم الماضية كعاد وثمود وكالسريان واسرائيل وكنعان واسماعيل وكما قال الله تعالى (وما كان الله ليضل قوماً بعد اذ هداهم حتي يبين لهم ما يتقون)

وعند التأمل يوجد الشرك والتشديد كانهما أمران طبيعيان في الانسان يسعى وراءهما جهده بسائق النفس وقائد الشيطان لان النفس تميل الى عبادة المشهود الحاضر اكثر من ميلها الى عبادة المعقول الغائب ومفطورة على التشديد رغبة في التميز والشيطان يسعف النفس بالتسويل والتأويل والتحويل والتضليل الى ان يفسد الدين (مرحى)

ثم اذا دققنا النظر في حالة الاسلامية فى القرون الاخيرة نجدها عندا كثر أهل القبلة قد أصابها بعض ما أصاب غيرها من الاديان قبلها كما أخبرنا الله تعالى بقصصها في كتابه المبين ووعدنا بوقوعنا فيه سيد المرسلين وارشدنا الى طرائق التخلص منه ان كنا راشدين

أعني بذلك ما طرأ على الاسلامية من التأويل والتحريف في بعض اصولها وكثير من فروعها حتي استولى عليها التشديد والتشويش وتطرق اليها الشرك الخفيّ والجلي عن يمينها وشمالها فامست محتاجة الى التجديد بتبيين الرشد من الغيّ وعندي

ان هذه الحال اعم واعظم سبب للفتور المبحوث فيه قال الله تعالى (ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا) (مرحي)

وأنتم ايها السادة الافاضل في غناء عن ايضاح ذلك لكم بوجه التفصيل

قال (الاستاذ الرئيس) اني أرى ان البحث في اعراض الداء واسبابه وجراثيمه وما هو الدواء وكيف يستعمل قد نضج اوكاد وقد قررنا في اجتماعنا الاول اننا سنبحث في ما هي الاسلامية وما يتبع ذلك مما أدرجناه في برنامج المباحث واني اري ان تقرير أخينا العالم النجدي نعم المدخل لنقل البحث ولا سيما اذا تكرم بتفصيل ما اجمله لان مسائل منشأ الديانات وسنن الله في مسراها واسباب طوارئ التغيير والتحريف عليها كلها مسائل مهمة تقتضي تدقيق النظر واستقصاء التحقيق وتحسن فيها الاطالة والاستيعاب بناء عليه نرجو من العالم النجدي ان يتكرم باعادة ماقرره صورة مفصلة في اجتماعنا الآتي اذ قد أذن لنا الوقت بالانصراف اليوم اه

باب التربية والتعليم

الشذرة الثالثة من جريدة اراسم

تربية الذكور مع الاناث وتعليمهما معاً

اني لا أخشى مغبة أفراطي وافراط هيلانه في ميلنا الى تلك الصبية التي القتها العاصفة بين ايدينا لجواز ان يطالبها بعض ذويها يوماً ما وكيفما كانت نتيجة هذا الميل فلا بد له هنا من اثبات امر يتعلق بعلم تركيب الانسان ووظائف اعضائه فأقول : كانت دولوريس لما التقطناها وآويناها الى بيتنا محلا لجميع العيوب التي توجد في نظائرها اللاتي من قبيلها وبلادها فانها كانت مع ظرافتها مكسالاً واناةً قليلة العناية بشأنها وان كان لا بد من التصريح قلت انها كانت كثيرة الوساخة وكان هذا الاغفال منها لنفسها مع مقدار عظيم من التغنج والتدلل من موجبات در هيلانه وحزنها ولم ينجع في الكسر من زهوها والمطامنة من صلفها ما اتخذته لذلك من العظات

(١) معرب من باب تربيه اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر

وضروب التوبيخ وانوع الايلام الخفيفه ولماكان فيها من حدة المزاج والتهيج عند مخالفها فيما تريد كانت لا تبدي ادني اشتهاء للتعلم . أفرغت هيلانه جهدها في ايقاظ عقل هذه الحسناء ناعسة الغابة (١) من سباته فاخفق مسعاها وبطل أثر ما استعملته من التعاويذ والطلاسم لرد هذا السحر الذى لايدري اى جنية خبيثة من جنيات البيرو رمها به على ما يظهر وان اردت ان تعلم من الذى أبطل هذا السحر فاعلم انه « أميل »

ذلك لان ميل (لولا) الى ان تعجبه وأن تتحامى ضروب سخريته بها وانواع زرايته عليها كان أشد تأثيراً فى ارادتها من جميع عظاتنا ونصائحنا

كان هذا أول سلطان (لا ميل) على قلبها وهى لا خطر فيه فى سنهما

من ذلك الحين وقع التنافس بينهما أما من جهته فاشدة زهوه وفخره بما له من التقدم عليها فى علومه القليلة وأما من جهتها فلغيرتها ورغبتها فى منازعة ذلك التقدم والمرجو من هذا التنافس أن يعود دائماً بالفائدة على كليهما فان درسهما مجتمعين أحسن واتقن منه منفردين لانه اذا اعتبر (أميل) نفسه أعلم من (لولا) اجتهدت فى التبريز عليه فى ميدان المطالعة

أرى ان هذه الصحبة تفيدهما فى اخلاقهما أيضاً فائدة كبرى فان الاطفال على

(١) يلمح المؤلف بقوله « هذه الحسناء ناعسة الغابة » الى اسطورة من اساطير الكاتب الفرنساوى شارل بيرولت المسماة حكايات الجن ما خصها ان احد الملوك وزوجته ابتليا بالعقم مدة طويلة ثم رزقا فتاة حسناء فجعلاها فى كفالة سبع جنيات وأولما لهنَّ وليمة أعدافيها لكل واحدة منهنَّ صحفة فاخرة لها كيس من الذهب الخالص فيه ملعقه وشوكة وسكين من الذهب أيضا وفي أثناء جلوسهن على المائدة جاءت جنية عجوز ثامنة لم يكن حضورها في الحساب فقدمت لها صحفة بلا كيس فظنت ذلك احتقاراً لها فخافت احدى الجنيات ان تسيء هذه العجوز الى المولودة فخرجت ثم ان كلاًّ من الاخريات منح المولودة صفة جميلة ما عدا العجوز فانها قالت ان الفتاة ستخرق يدها بمغزل وتموت فجاءت الجنية التي كانت خرجت وقالت انها لن تموت ولكن يغشاها النعاس مائة سنة ولا يوقظها الا ابن ملك من الملوك ثم اتفق ان الفتاة رأت مغزلا في يد عجوز فتناولته فخرق يدها فسقطت نائمة ثم نقلت الى قصر لوالدها في غابة وبعد مائة سنة ايقظها ابن ملك وتزوجها

علم تام بما يشتركون فيه من العيوب ولا يبقى بعضهم على بعض في تشهيرها وتعييره اياها لذلك نرى «أميل» قلما يوقر «لولا» فيما يراه فيها من النقائص وهى ايضاً لا تقصر في ان تكيل له الصاع بمثله بدون ان يكون في هذه المشاغبات الخفيفة ما يكدر صفو مودتهما الشريفة في شيء وكأني بقائل يقول ان هذه المزايا بعينها توجد في معاشرة الأخ لاخته ووجودها معاً فاجيبه باني في شك من ذلك لعدم تمام الشبه في الجهتين .

زرت فيما مضى مدرسة للصم البكم كانت تنقسم في أول نشأتها الى قسمين أحدهما للذكور والآخر للاناث فلم تلبث التجربة ان كشفت عيوب هذا التقسيم فان الصبايا اللاتي كن مقصورات في قسمهن كان يبدو عليهن التأخر عن الغلمان سنة أو سنتين ولم يكن الغلمان أنفسهم بارعين في التقدم والنجاح فخطر في بال القائمين على المدرسة ان يجمعوا الفريقين في غرف واحدة فكانت نتيجة هذا التغيير محمودة فانه لم يمض الا يسير من الزمن حتى زال تأخر أحد الفريقين وانحطاطه عن الآخر وتقدم الآخر تقدماً لا نزاع فيه ذلك لان العُجْب الذي هو خُلُق فطري في الذكر والانثى والطمع الذى هاج في نفوس الغلمان وجود منافِساتٍ زاهيات بانفسهن بينهم واهتمامهم بأن يظهروا في أعينهن ممتازين عنهن كل ذلك ساعد من الجهتين على ازدياد درجة معارفهم في دروسهم مع انهم كانوا هم التلامذة الاولين لم يتغيروا وانما ظهر ان قواهم تضاعفت

لماذا لا يصح في حق الناطقين والناطقات ما صح في حق الصم البكم .

انما يعارض القائمون على تربية الناشئين في الجمع بين الذكور والاناث بحجة المحافظة على الاخلاق والآداب ولو كانت هذه المعارضة مبنية على سبب صحيح لكانت وجيهة سديدة ولكن لا بد ان نجيب هؤلاء المعارضين بانه لم يفكر أحد مطلقاً في جمع هذين الصنفين فى قاعات النوم العامة ولا شك ان تقسيم محال المدرسة وافنيتها والرياضات المدرسية بالحكمة والتدبير يجنب كثيراً من المضار التي يخشى منها على الآداب والاخلاق

على ان العمل العقليّ انما جعل لتذليل الغرائز والشهوات الخبيثة وقمعها لا لتنبيهها وتقويتها واني خلافاً لاولئك المعارضين ارى ان في التفريق الكلي بين الصنفين خطراً على الفضيلة فان فرط الاحتراس والاحتياط الصادر عن الرياء والنفاق لا يكون منه الا دعوة الفساد الى الاحتيال لتطرق الى الاخلاق من سبيل الشر فلا يلبث ان يظهر فيها، وان كثرة بث روح الحذر في أطهر المعاملات واعفها توقظ في اليافعين

ما هو نائم من شهواتهم وتظهر ما يكون كامنا من أشواقهم فينبغي أن تزال هذه الحدود المادية ويعتاض منها بحدود الله التي فطرهم عليها وجعلها في نفوسهم سياجاً لما فرضه عليهم

لا أريد مما تقدم ان الذكر والانثى في التربية سيان يصلح لاحدهما كل ما يصلح للآخر كلا بل ان كلا منهما يقتضي تربية خاصة لاختلافهما في المواهب والفروض والغرض المخلوقين من أجله . على اننا نرى النابغين والنابغات من الصنفين يتكافؤن ويتناسبون في بعض ذرى العلوم والفنون الجميلة والشعر فالاجدر بنا ان نفكر باعداد الازدواج بين ما أوتيته الانثى من رقة الوجدان وما اوتيه الذكر من حصافة الجنان فان في ذلك لذة حياة الصنفين . وان تربيةٍ شطري النوع الانساني منعزلين كانهما لا يشتركان في شيء مما خلقا لاجله تعجيلا بقطع الصلة الاجتماعية وأما تقديم الصبية الى الصبي وتفهيمه أنها ستكون له في مستقبله رفيقة في العمل والكدح في سبيل الخير والعدل والحق فهو اكثر انطباقاً على مقتضى الفطرة وعلم الاخلاق

وعلى كل حال ستتعلم «لولا» و«أميل» معاً الى ان يقضي الحال التفريق بينهما واني لارجو لكل منهما خيراً كثيراً من وراء هذا الاقتران العقلى . اه

﴿ قوانين التعليم الرسمي ﴾

النبذة الثالثة في تعليم البنات

ان المغامز العشرة التي ذكرناها في النبذة الثانية من انتقاد قوانين التعليم الرسمي كانت فى موضوع تعليم الدين وقد فاتنا التنبيه على مغمز آخر عظيم وهو

(١١) لم يرد في قانون التعليم ما يدل على أن البنات يعلمن ما يختصّ بالنساء من الأحكام والآداب الدينية ورجعنا الى كتب التعليم فلم نجد فيها شيئاً من ذلك . ونحن نعلم كما تعلم نظارة المعارف ان النساء ليس لهن مورد من موارد العلم الا هذه المدارس فاذا جاز أن يكتسب التلميذ بعض ما يفوته من الاحكام الدينية في المدرسة بمعاشرة أهل العلم الديني وحضور مجالسهم وسماع الخطب الدينية في يوم الجمعة وحضور دروس الوعظ في بعض المساجد فمثل هذا لا يتأتى للبنات ولا للنساء لانه ليس فيهن عالمات بأمور الدين فيقتبس بعضهن من بعض ولم تجر العادة بحضورهن الجمعة ومجالس العلم في المساجد

ثم ان البنات احوج من الصبيان الى الدين عقائده واعماله وآدابه لسبب آخر وهو ان صنفهن في الشرق لايزال في تأخر عظيم والنسبة بين الرجال والنساء في مصر كالنسبة بين المصريين والزنوج فاذا قرأت جريدة أو كتاباً على رجل وامرأة من الأميين فان الرجل يفهم منك مالاتفهم المرأة وأكثر النساء لا يفهمن من المقروء شيئاً ما لذلك نشكر للحكومة ما نراه من الرغبة في تعليم البنات ولكن التعليم بغير تربية قليل الجدوى ولا يزال أكثر الناس عندنا يعتقد ضرر تعليم البنات وليس لنا من هؤلاء المتعلمات في المدارس حجة عليهم فان آداب هؤلاء البنات غير مرضية والسبب في ذلك عدم العناية بالتربية التي ملاكها الدين • فاذا كانت الحكومة توافقنا على ان الحاجة الى تعليمهن أشد لأنهن أضعف عقلا فعليها أن توافقنا على ان الحاجة الى تربيتهن أشد أيضاً لانهن أضعف نفساً

وهناك وجه ثالث لوجوب العناية بتربيتهن أكثر من تعليمهن وهو ان وظيفتهن الطبيعية هي التربية لا التعليم فيجب أن تكون التربية هى المقصودة لهن بالذات من المدارس وان يكون التعليم ممدًّا لها ومساعداً عليها • ونظارة المعارف لاتخالفنا في ان ملاك التربية الدين لا سيما عند المسلمين ولا تقدر أن تنكر تقصيرها في تعليم الدين وإهمالها لتربيته

وان تعجب فعجبٌ أن موظفى النظارة من غير المسلمين كانوا ولا يزالون أشد محافظة على آداب البنات الاسلامية من كبار الموظفين المسلمين • فمن ذلك ان بعض الضباط من الانكليز كان يعلم البنات في المدرسة السنية الالعاب الرياضية البدنية وهى ضروب شتى منها الانحناء والانثناء وتحريك بعض الاعضاء دون بعض وكان المعلم لا يستغني في تعليمه عن اللمس والجسّ وربما تبع ذلك الجث فراع الامر بعض المعلمين الذين لم يفقدوا نعرة الدين فاحتالوا فى تبليغ ذلك بعض كبار الموظفين في المعارف من المسلمين وما كانوا جاهلين فلم يفد ذلك حتى اتفق ان زار المدرسة يعقوب باشا وكيل النظارة ورأى بعينه مارأى فعاد الى الديوان وأصدر أمراً بمنع ذلك

واذكرْ خبر (مسزجِريفِثس) الناظرة الاولى للمدرسة السنية التي كانت قبل (فُورْبِزْ) التي عزلت فى السنة الماضية فلقد كانت من خير من انبتت أرض الانكليز تربية وحرية وفضيلة وانصافاً ولا أغلو في الاطراء ، اذا صعدت بها أفق الفلاسفة والحكماء ، ومن مآثرها ان اقترحت على نظارة المعارف أن تلزم جميع البنات فى

مدارسها بتعلم الديانة الاسلامية والتربية عليها عملا • قالت : ان تعليما بلا تربية لا يفيد وان التربية لاتكون بغير دين وان توحيد طرق التربية والتعليم ضروري فلا يصح أن يكون في مدرسة واحده دينان وان أولى الاديان بالترجيح في مدارس حكومة اسلامية وبلاد اسلامية هو دين الحكومة وأكثر أهالي البلاد فالنتيجة أنه يجب على نظارة المعارف تعميم الديانة الاسلامية في مدرسة البنات وجعلها الزامية • ومن آثارها تقنيع البنات ، وكنّ قبلها في المدرسة حاسرات ، فأخبرها بعض المعلمين لما عرف فضلها بأن كشف رؤس البنات أمام المعلمين محرم في الديانة الاسلامية وان الصلاة لا تصح من مكشوفة الرأس فكتبت الى النظارة تطلب ان تجعل لكل بنت في المدرسة قناعين فى السنة فاجيب طلبها • فطلب هذه الناظرة الحكيمة الفاضلة تعميم التربية الدينية حجة على النظارة وقد كانت احدى « ضمانات » ناظر المعارف ولكنها لم تغن شيئاً بل لم يطل عليها الامد في المدرسة حتى استبدلت بها الناظرة فوربز

اعتقد المصريون العارفون بخبرها ان المستر دنلوب نقم عليها أنها غير متعصبة للديانة المسيحية فأخرجها وهو العامل المستقل فى النظارة بدون « ضمانات » الناظر وزاد هذا الاعتقاد رسوخاً سوء سيرة الناظرة التى خلفتها ولكن القوم لم يلبثوا ان عزلوا الناظرة الاخرى لما كثر الارجاف بها وانكروا عليها مخادنة المستر هوتن المفتش الانكليزي في المدارس واستبدادها فى المدرسة . ويقال ان اللورد كرومر هو الذى أوعز الى الناظرة والمفتش أن يستقيلا معاً وايعازه حكم لا يرد . نعم كان من سوء سيرة هذه الناظرة استقالة الاستاذين الفاضلين الشيخ حسن منصور والشيخ محمد عز العرب من المدرسة ومن خدمة معارف الحكومة وهما من خير الاساتذة تعليما وتربية بل لا يوجد فى مصر افضل منهما لتعليم البنات . فكانت استقالتهما من أسباب سوء الاعتقاد بالنظارة وان شئت فقل بالمحتلين وكانت الجرائد كالاهالي مجمعة على عدم الرضي بحالة المدرسة ولا يوجد فيما أعلم موظف فى الحكومة اتفقت على الارتياح لعزله الجرائد الاسلامية والقبطية والسوريه الا المستر هوتن وناظرة المدرسة السنية

عدّ هذا العقلاء محمدة للمحتلين ولم يشذ عن هذا الاحَدَثُ السياسة المشهور بالخَطَل فى كل مايكتب فقد اتخذ عزل الناظرة والمفتش دليلا على سوء قصد المحتلين ولاك عرضهما لوكاً خرج به عن محيط الادب وكتب كتابة لا يصح ان تكتب فى الجرائد التي تعرض على جميع الانظار ولكن كلامه لا اثر له فى الامة وقد مضى الزمن الذى

كان الناس يرون فيه كل عمل يعمله المحتلون قبيحاً فقد زالت غشاوة السياسة الخرقاء عن عيون الاكثرين فهم يرون الحسن حسناً والقبيح قبيحاً وقد قلنا فى النبذة الماضية انه لم تبق نظارة ولا مصلحة للحكومة الا واعترف الاهالي بالاصلاح الذي حصل فيها الا نظارة المعارف فانها لاتزال مثار سوء الظن لأن الاصلاح الحقيقي انما يكون في التربية والتعليم والناس يقولون ان التعليم تدلّى في عهد الاحتلال وصار سيره دون ما كان عليه من قبل وان تحسن نظامه. واني أرى الواقفين على عناية المعارف الجديدة باعانة الكتاتيب الاهلية وتنظيمها مع ابقائها على استقلالها يحمدون ذلك ويعدونه من الاصلاح ولاينكرون منه الا كون حفظ القرآن غير مُكافأ عليه وانها لغلطة من واضع القانون لم تغن عنها « الضمانات الخمس » شيئاً بل لارأي في هذا القانون « للضمانات » فعسى ان يصلحه المستر دنلوب في سنة اخرى فيكون له ولقومه الثناء الجميل

هذا — وقد كدنا نخرج عن موضوع هذه النبذة وهو تعليم البنات وتربيتهن فالامة تطلب والعدالة تشفع ان تكون عناية المعارف بتربية البنات الدينية أشد ولكن قانون التعليم والعمل الذي في المدارس يدلان على ماقلناه من اهمال التربية والتقصير في التعليم فالى ذلك نوجه انظار أهل الحل والعقد العاملين

باب الأخبار والآراء

﴿ مستقبل الحجاز . وأمير مكة المكرمة ﴾

نشر المؤيد الأغر من أيام رسالة مطولة « لعثماني صادق » عنوانها (مستقبل الحجاز) تكلم فيها صاحبها عن حالة البلاد فى هذه الأيام كلاماً تاريخياً ينبغي أن يُعلم وحمل على أميرها الشريف (عون الرفيق باشا) حملة منكرة عدّ له فيها سيئات اذا صحت الرواية فهي اقبح السيئات ولكن الكاتب عدّ عليه أيضاً ما يعدّ له فكان بذلك متّهماً بالغرض أو الجهل وقلّما تجد كاتباً يقف عند حدود الاعتدال . اما السيئات الحقيقية فهي الظلم في أرض الحرم والاستبداد في الحكم وعدم العناية بحفظ الامن بل اتهمه باغراء الأعراب بالحجاج لسلب المال منهم وهذا شيء عظيم لانلوم الكاتب على التطويل بذمه ونقده وان كان أكثر كلامه من قبيل الشعر لا من قبيل سرد الحقائق وبيان الاوصاف .

ويظهر أن الغرض من الكتابة حمل السلطان على عزل الشريف من امارة مكة المكرمة .

ومن غلو الكاتب المنكر شرعاً مخاطبة السلطان والاستغاثة به بكلام لايقال الا في الله تبارك وتعالى كقوله « فاليك يتوسل المسلمون ، وبك يستغيث المؤمنون ، ياغياث المستغيثين ، وأمان الخائفين » . وانه لكلام تقشعر من توجيهه لغير الله تعالى قلوب المؤمنين . واذا كانت مبالغته في الذم على نسبة مبالغته في المدح فلا شك انه كاذب فيما كتب فالذي يجعل السلطان أ لهاً اتباعاً لهواه لايبعد ان يجعل الشريف شيطاناً اتباعاً لهواه . وعجيب من المؤيد كيف نشر هذا الاطراء وأقره

ولولا ان الطاعنين في هذا الأمير كثيرون لما حفلنا بهذه الرسالة وقد كنا نوهنا في المنار (١٤ : ٢) الصادر فى ٩ صفر سنة ١٣١٧ برسالة مطبوعة وردت علينا فى بريد سنغافور اسمها « ضجيج الكون . من فظائع عون » وهي مملوءة بالشكوى من الشريف وقد كتب الينا يومئذ انها ترجمت ووزعت فى الأقطار فكان لها تأثير عظيم « حتى ان بعض المساجد قطع الخطبة لمولانا الخليفة أيده الله تحاشياً من الكذب بأنه خادم الحرمين الشريفين » وقد ارسلت هذه الرسالة يومئذ الى الحضرة السلطانية ويظهر ان ذلك كان من عمل جمعية ولكن لم يظهر لها أثر لأن الشريف متفق مع السلطان والسلطان راضٍ عنه

وصاحب رسالة « مستقبل الحجاز » يؤكد القول بأن الشريف يجتهد في إقناع الناس بأنه لايفعل فعلة الا باذن السلطان ومرضاته لينفرهم منه فاذا ثبت هذا للسلطان فربما يعزل الشريف أو يرسل اليه والياً حازماً يغلّ يده ويحفظ الأمن ويكون هذا حجة على الذين يقولون ان السلطان يجب أن يكون الشريف ظالماً غاشماً ليعلم المسلمون في جميع أقطار الارض بأن حكم الترك أفضل من حكم أشراف العرب .

ومما عدّه صاحب الرسالة (مستقبل الحجاز) من سيئات الشريف هدم بعض القبور والقبب والمساجد التي بنيت على بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم وتقصد لزيارتهم وقال إنه أزعجهم فى قبورهم وكذلك القبر المنسوب الى أمنا حواء عليها السلام .

ومن أين لمثل هذا الكاتب الذي عدّ هذه الاعمال ذنباً لا يغفر أن يعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر بطمس القبور المشرّفه ونهى عن بناء المساجد على القبور ولعن فاعليها ونهى عن شد الرحال الى مثلها

أخرج الامام أحمد ومسلم فى صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم

عن أبي الهياج الاسدي عن علي رضي الله عنه انه قال « أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدع تمثالاً الا طمسته ولا قبراً مشرفاً الا سوّيته » قال الامام الشوكاني في شرح هذا الحديث بعد ما رجّح أن رفع القبور زيادة عن القدر المأذون فيه حرام ما نصه :

« ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولا أوليًّا القبب والمشاهد المعمورة على القبور وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد وقد لعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاعل ذلك كما سيأتي وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الاسلام . منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام . وعظم ذلك فظنوا انها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح الطالب وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم وشدّوا اليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا . وبالجملة انهم لم يدعوا شيئاً مما كانت تفعله بالاصنام الا فعلوه فانا لله وانا اليه راجعون . ومع هذا المنكر الشنيع ، والكفر الفظيع ، لا نجد من يغضب الله ويغتار حمية للدين الحنيف لا عالماً ولا متعلماً ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً . وقد توارد الينا من الاخبار مالا يشك معه ان كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم اذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً فاذا قيل له بعد ذلك احلف بشيخك ومعتقدك الوليّ الفلاني تلعثم وتلكّأ وأبى واعترف بالحق . وهذا من أبين الأدلة الدالة على ان شركهم قد بلغ فوق شرك من قال انه تعالى ثاني اثنين او ثالث ثلاثة . فيا علماء الدين ، ويا ملوك المسلمين ، أي رزء للاسلام أشد من هذا الكفر ؟ وأي بلاء لهذا الدين اضرّ عليه من عبادة غير الله ؟ وأيّ مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ؟ وأيّ منكر يجب انكاره ان لم يكن انكار هذا الشرك البين واجباً ؟ » اه ثم تمثل الشوكاني بعد ما تقدم بقول الشاعر :

لقد اسمعت لو ناديت حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادى
ولو نارا نفخت بها اضاءت ولكن أنت تنفخ في رماد

والسبب في موت العلماء والامراء الذى عناه بالتمثيل هو اختيار مرضاة العوام الذين فشا فيهم هذا المنكر على مرضاة الله تعالى فالعوام بمقتضى طبيعة الكون تبع لهم ولكنهم لضعف ارادتهم وانحلال عزائمهم جعلوا أنفسهم تبعاً للعوام وسيتبرّأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا

واخرج احمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث جابر انه قال : « نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يجصص القبر وان يكتب عليه وأن يبنى عليه » ولفظ الكتابة لم يذكره مسلم ولكنه على شرطه كما قال الحاكم والتجصيص الطلاء بالجصّ وهو الكلس والجير والنهي حقيقة في التحريم

واخرج احمد والبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال « قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » زاد مسلم والنصارى

وأخرج أحمد وأصحاب السنن الا ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وقد عدّ العلماء اللعن من علامة كون المعصية من الكبائر وما كان كذلك تجب ازالته . فاذا تصدى مثل شريف مكة لازالة هذا المنكر عملا بسنة جده عليه أفضل الصلاة والسلام لقدرته على ذلك نعده عاصياً ومبتدعاً لقول كاتب جاهل ومجهول ونخاطب السلطان بما لا يخاطب به الا الله عز وجل لاجل التنكيل به ؟؟ لقد انقلب المعروف منكراً والمنكر معروفاً فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

اما مستقبل الحجاز فهو مما لا يصح لمثل هذا الكاتب ان يخوض فيه الا اذا عرف ماورد من الاخبار النبوية فيه وأخذ حظًّا من علم طبائع الأمم وسنلمّ بشيء من ذلك ان شاء الله تعالى في مقالة نكتبها في مستقبل الاسلام . ولا يفهم من انتصارنا للحق في مسألة القبب ومساجد القبور اننا ننتصر للشريف على كل حال فاننا كنا اول من وجه أنظار مولانا السلطان أيّد الله دولته الى تحقيق ماينسب اليه في أمر الامن وعدمه والظلم في الحرم وفعل مايجب من ازالة ذلك وذلك من مدة سنتين كما أشرنا اليه في أوائل الكلام ونكرر ذلك الآن والله الموفق واليه ترجع الامور

(وفاة الشيخ أحمد الجيتبكير) نعى الينا بريد الهند فى الشهر الماضي وفاة هذا العالم الفاضل والأديب الكامل الذي يعرف قراء المنار بعض فضله وغيرته الملية من قصائده التي نشرت فى المنار مما كان ينشد فى جمعية ندوة العلماء . وقد كانت وفاته في بومبيء فى ١٩ محرم رحمه الله تعالى رحمة واسعة وعزّى آله واصدقاءه أحسن العزاء

(وفاة عقيلتين) في ١٧ صفر توفيت العقيلة عائشة عصمت كريمة المرحوم اسماعيل باشا تيمور وأخت الفاضل أحمد بك تيمور وكانت أديبة شاعرة في العربية والتركية والفارسية وقد لقبها المؤيد بشاعرة مصر في هذا العصر . فنسأل الله أن يحسن عزاء أخيها وأنجالها الكرام

وفي ١٩ منه توفيت والدة الفاضل النبيل احمد بك تيمور فاجتمع على هذا الفاضل مصابان عظيمان في شهر واحد مصاب الأخت ومصاب الأم وله أكبر عزاء بما وفق له من اتباع السنة في تشييع الجنازة والمأتم إذ كان قدوة صالحة للناس الذين اعتادوا أن يراو في جنائز الكبراء والامراء ألوان البدع كحملة مجامر الفضة وصحافها الملأى بالرياحين وكطغمة الخدم المؤتزرة بأزر الحرير وكزعنفة الصائحين بالاشمار والادعية والصلوات وغير ذلك . ولكن أحمدبك تيمور انفرد دون أولاد الباشوات في مصر بمزيد الاستقامة واتباع السنة والاشتغال بالعلم والأدب بل لا نكاد نرى في هذه البلاد شاباً مثله في استقامته وأدبه وان كثيراً من أهل الفضل ليودون ابطال هذه العادات القبيحة ولكن إرادتهم ضعيفة لاتقوى على ما يتوهمون من الانتقاد ورميهم بالبخل على الموتى ومثل أحمد بك تيمور يصح أن يكون قدوة لهؤلاء اذا وفقهم الله تعالى

ولقد سمعت نفراً من العامة يتحدثون في الطريق ونحن مشاة في تشييع الجنازة يسأل بعضهم بعضاً عن السبب في خلو هذه الجنازة من الصياح والضجيج ونحوه مما أشرنا اليه آنفاً فاجابه آخر بأن هذا هو السنة فحمدت الله تعالى أن جعل في العامة من يفرق بين السنة والبدعة ويعرف اهلهما فكما نعزي صديقنا الكامل احمد بك تيمور في مصابيه نهنئه بما وفق له من اقامة السنة وخذل البدعة ونسأل الله ان يجعله قدوة حسنة لامثاله من الوجهاء الذين هم قدوة لسائر الطبقات . في جميع التقاليد والعادات

(نصير محمدعلي) استحسن الفضلاء ما كتبناه عن محمد علي وأعجبوا به وهنؤنا بخدمة الدين والأمة به الا الحَدَث السياسة فانه شتمنا في جريدته وعيّرنا بلقب (الدخيل) يعني أننا لسنا من سلالة الفراعنة وقد أمرنا الله بالاعراض عن مثله . ونحمد الله اننا من ذرية أفضل أنبيائه فوالدنا حسيني وأمنا حسنية ، وذلك أفضل عند كل مسلم من السلالة الفرعونية . وأما إرجاف الحدث بذكر الاستعداد لثورة كالثورة العرابية فهو مما لا يفهم لأن الثورة لا تكون الا لمقاومة قوة ولا قوة في مصر الا للمحتلين فان كنا نحن ومن « ينصرنا ويحمينا » نريد أن نثور عليهم فاننا نستحق من سعادة الحدث الثناء لا الذم وان كان يعني أننا نثور على جانب آخر فذلك الجانب هو الذي يشكو الحدث دائماً من سلب حقوقه ونشكو نحن والعقلاء من الثورات المعنوية التي هاجها عليه هذا الحدث وأمثاله وكان من أثرها ما كان وما هو كائن مادام هؤلاء الأحداث متصلين به

(تصحيح) في السطر ٨ من الصفحة ١٧٠ كلمة رجال وصوابها (رجالاً) فلتصحح

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاحد ١٦ ربيع الاول سنة ١٣٢٠ — ٢٢ يونيه (حزيران) سنة ١٩٠٢)

القسم الديني

(باب تفسير القرآن الحكيم)

(مقتبس مما يلقيه في الازهر مولانا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصريه)

وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ *

مجمل الآيات السابقة ان هذا العالم لما استعد لوجود هذا النوع الانساني واقتضت الحكمة الإلهية ايجاده واستخلافه في الأرض آذن الله تعالى الأرواح المنبثة في الأشياء لتدبيرها ونظامها بذلك وأن تلك الارواح فهمت من معنى كون الانسان خليفة انه يفسد النظام ويسفك الدماء

حتى أعلمها الله تعالى بان علمها لم يحط بمواقع حكمته ولا يصل الى حيث يصل علمه تعالى ثم اوجد آدم وفضله بتعليمه الاسماء كلها. على ان كل صنف من تلك الارواح لايعلم الا طائفة منها ولذلك أخضع له تلك الأروح الا روحاً واحداً هو مبعث الشر ومصدر الإغواء فقد أبى الخضوع واستكبر عن السجود لما كان في طبيعته من الاستعداد لذلك والاستعداد في الشيء إنما يظهر بظهور متعلقه فلا يقال : اذا كان لكل روح من هذه الأرواح والقوى الغيبية علماً محدوداً فكيف ظهر من الروح الإبليسي مالم يسبق له وهو مخالفة الأمر بالسجود لآدم والتصدي لإغوائه ؟ لأنه كان مستعداً لهذا العصيان والإباء فلما أمر عصى ولما وجد خلقا مستعداً للوسوسة اتصل به ووسوس اليه كما ان ألوان الورق أو الزهر موجودة كامنة في البزرة ولكنها لاتظهر الا عند الاستعداد ببلوغ الطور المحدود من النمو

ومجمل الآيات اللاحقة ان الله تعالى أمر آدم وزوجه بسكنى الجنة والتمتع بها ونهاهما عن الاكل من شجرة مخصوصة واخبرهما ان قربها ظلم وان الشيطان ازلهما عنها فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم الى ضده ثم ان آدم تاب الى الله من معصيته فقبله ثم جعل سعادة هذا النوع باتباع هدى الله وشقاءه بتركه . وقد تقدم ان الآيات كلها قد سيقت للاعتبار ببيان الفطرة الالهية التي فطر عليها الملائكة والبشر وتسلية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ما يلاقي من الانكار . وقد تقدم وجه ذلك فى الايات السابقة وأما وجهه في هذه الآيات فظاهر وهو ان المعصية من شأن البشر كانه يقول فلا تأس يامحمد على القوم الكافرين ولا تبخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا

بهذا الحديث أسفا . وان المعصية أيضاً مجلبة الشقاء وان أمر البشر استقر على ان سعادتهم فى اتباع الهداية الالهية وضدها بالاخذ بضدها

أما تفسير هذه الآيات بالتفصيل فقد اختلف علماء المسلمين من أهل السنة وغيرهم في (الجنة) هل هى البستان أو المكان المحتفة به الاشجار بحيث يستتر الداخل فيه كما يفهمه أهل اللغة ام هي الدار الموعود بها في الآخرة . والمحققون من أهل السنة على الاول . قال الامام أبو منصور الماتريدي في تفسيره المسمى بالتأويلات نعتقد ان هذه الجنة بستان من البساتين او غيضة من الغياض كان آدم وزوجه منعمين فيها وليس علينا تعيينها ولا البحث عن مكانها. وهذا هو مذهب السلف ولا دليل لمن خاض فى تعيين مكانها من اهل السنة وغيرهم

وبهذا التفسير تحل اشكالات كثيرة وهى (١) ان الله خلق آدم في الارض ليكون هو ونسله خليفة فيها فالخلافة مقصودة منهم بالذات فلايصح ان تكون عقوبة عارضة . و (٢) انه لم يذكر انه بعد خلقه في الأرض عرج به الى السماء ولو حصل لذكر لأنه أمر عظيم . و (٣) ان الجنة الموعود بها لايدخلها الا المؤمنون المتقون فكيف دخلها الشيطان الكافر الملعون . و (٤) إنها ليست محلا للتكليف . و (٥) انه لايمنع من فيها من التمتع بما يريد منها . و (٦) انه لايقع فيها العصيان . وبالجملة انه لاتنطبق الاوصاف التي وصفت بها الجنة الموعود بها على ما كان في جنة آدم . ومنه كون عطائها غير مجذوذ ولا مقطوع وغير ذلك . يقول كاتب هذه السطور : وقد ظهر لي الآن وجه آخر لم يذكره الاستاذ الامام ولم أره في كتب التفسير وهو ان القول بأن آدم أسكن جنة الآخرة يقتضي أن

تكون الآخرة هي الدار الأولى والدنيا فتكون التسمية للدارين غير صحيحة وينافي أيضاً كون الجنة دار ثواب يدخلها المتقون جزاء بما كانوا يعملون كما ورد فى الآيات الكثيرة وقد قال تعالى « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » ولم يقل (ادخل) ولو انتقل من الارض التي خلق فيها الى الجنة لقال هذا أو ما بمعناه مما يشير الى الانتقال فقوله « اسكن » يشير الى ان الخلقة كانت في تلك الجنة . وقوله « وكلا منها رغداً حيث شئتما » إباحة للتمتع بتلك الجنة والتنعم بما فيها الا شيئاً واحداً نهاهما عنه بقوله « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » لانفسكما بالوقوع فيما يترتب على الأكل منها . ولم يعين الله تعالى لنا هذه الشجرة فلا نقول في تعيينها شيئاً وانما نعلم ان ذلك لحكمة اقتضت ذلك (ولعل فى خاصية تلك الشجرة ما هو سبب خروجهما من حال الى حال) وربما كان فى الأكل منها ضرر لهما او كان النهي ابتلاء وامتحاناً منه تعالى ليظهر به ما فى استعداد الانسان من الميل الى الإشراف على كل شيء واختباره وان كان فى ذلك معصية يترتب عليها ضرر

قال تعالى « فازلّهما الشيطان عنها » والشيطان ابليس الذي لم يسجد ولم يخضع وقد وسوس لهما حتى أوقعهما فى الزلل وحملهما على الأكل من الشجرة فأكلا « فأخرجهما مما كان فيه » من ذلك المكان أو النعيم الذي فيه فكان الذنب متصلا بالعقوبة اتصال السبب بالمسبب . ثم بين الله تعالى كيفية الاخراج بقوله « وقلنا اهبطوا منها جميعا » يعنى آدم وزوجه وابليس فلا حاجة لتقدير ارادة ذرية آدم بالجمع كما فعل مفسرنا (الجلال) فان العداوة فى قوله عز وجل « بعضكم لبعض عدو » تنافي هذا التقدير فان العداوة بين الانسان

والشيطان لا بينه وبين ذريته . والأصل فى الهبوط ان يكون من مكان عال الى أسفل منه ولذلك احتج به من قال ان آدم كان فى السماء وقد يستعمل فى مطلق الانتقال أو مع اعتبار العلو والسفل فى المعنى ولا يبعد ان تكون تلك الجنة فى ربوة فسمى الخروج منها هبوطاً أو سمي بذلك لان ما انتقلوا اليه دون ما كانوا فيه أو هو كما يقال هبط من بلد الى بلد وقوله تعالى « اهبطوا مصرا »

ثم قال تعالى « ولكم فى الارض مستقرٌّ ومتاع الى حين » أى ان استقراركم فى الارض وتمتعكم فيها ينتهيان الى زمن محدود وليسا بدائمين . ففى الكلام فائدتان احداهما ان الارض ممهدة ومهيأة للمعيشة فيها والتمتع بها والثانية ان طبيعة الحياة فيها تنافي الخلود والدوام فليس الهبوط لأجل الإبادة ومحو الآثار وليس للخلود كما زعم ابليس بوسوسته إذ سمى الشجرة المنهي عنها « شجرة الخلد وملك لا يَبْلَى » يعنى أن الله أخرجهم من جنة الراحة الى أرض العمل لا ليفنيهم وعبر عن ذلك بالاستقرار في الارض ولا ليعاقبهم بالحرمان من التمتع بخيرات الارض وعبر عن ذلك بالمتاع ولا ليمتعهم بالخلود وعبر عن ذلك بكون الاستقرار والمتاع الى حين .

ثم قال « فتلقى آدم من ربه كلماتٍ » أي ألهمه الله اياها فأناب اليه بها وهي كما فى سورة الاعراف « ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » تاب آدم بذلك « فتاب » الله « عليه انه هو التواب الرحيم » .

وبقى مما يتعلق بهذا التفسير مسألتان قد أكثر الناس الكلام فيهما وهما مسألة خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم ومسألة عصمة آدم . فاما الاولى فليس فى القرآن نصٌّ فيها ولا يلزمنا حمل قوله تعالى « وخلق منها زوجها » على ذلك لأجل مطابقة سفر التكوين فان القصة لم ترد في القرآن

كما وردت فى التوراة التي فى أيدي أهل الكتاب حكاية تاريخية وإنما جاء القرآن بموضع العبرة فى خلق آدم واستعداد الكون لان يتكمل به وكونه قد أعطى استعدادا فى العلم والعمل لانهاية لهما ليظهر حكم الله ويقيم سننه فى الارض فيكون خليفة له وكونه لايسلم من داعية الشر والتأثر بالوسوسة التي تحمل على المعصية . ولكون التاريخ غير مقصود له لأن مسائله من حيث هي تاريخ ليست من مهمات الدين من حيث هو دين وانما ينظر الدين من التاريخ الى وجه العبرة لاغير لذلك لم يبين الزمان والمكان كما جاء فى سفر التكوين وكان سببا لرفض الباحثين فى الكون وتاريخ الخليقة دين النصرانية لأن العلم المبنيّ على الاختبار والمشاهدة أظهر خطأ ماجاء من التاريخ فى التوراة ووجدت للانسان آثار في الارض تدل على انه أقدم مما حددته التوراة فى تاريخ تكوينه . فقام فريق من أهل الكتاب يركب التعاسيف فى التأويل ، وفريق يكفر بالكتاب والتنزيل ،

وأما مسئلة عصمة آدم فالجري على طريقة السلف يذهب بنا الى ان العصيان والتوبة من المتشابه كسائر ماورد فى القصة مما لا يركن العقل الى ظاهره ولنا ان نقول ان تلك مخالفة صدرت منه قبل ان يدركه عزم النبوة كما قال جل شأنه (فنسي ولم نجد له عزما) والاتفاق انما هو على العصمة عن مخالفة الاوامر بعد النبوة وقد يكون الذي وقع من آدم نسيانا فسمي تفخيما لامره عصيانا والنسيان والسهو مما لاينافي العصمة فان جعلنا الكلام كله تمثيلا فحديث الاخلال بالعصمة مما لايمر بذهن العاقل

وأما تفسير الآيات على طريقة الخلف في التمثيل فيقال فيه : ان القرآن كثيرا مايصوّر المعاني بالتعبير عنها بصيغة السؤال والجواب أو

بأسلوب الحكاية لما فى ذلك من البيان والتأثير فهو يدعو بها الاذهان ، الى ماوراءها من المعان ، كقوله تعالى « يوْمَ نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد » فليس المراد ان الله تعالى يستفهم منها وهي تجاوبه وانما هو تمثيل لسعتها وكونها لاتضيق بالمجرمين مهما كثروا . ونحوه قوله عز وجل بعد ذكر الاستواء الى خلق السماء « فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين » والمعنى فى التمثيل ظاهر

وتقرير التمثيل فى القصة على هذا المذهب هكذا : ان إخبار الله الملائكةَ بجعل الانسان خليفة في الارض هو عبارة عن تهيئة الارض وقوى هذا العالم وأرواحه التي بها قوامه ونظامه لوجود نوع من المخلوقات يتصرف فيها فيكون به كمال الوجود فى هذه الارض . وسؤال الملائكة عن جعل خليفة يفسد في الارض لانه يعمل باختياره ويعطى استعدادا فى العلم والعلم لاحد لهما هو تصوير لما فى استعداد الانسان لذلك وتمهيد لبيان انه لاينافي خلافته فى الارض . وتعليم آدم الاسماء كلها بيان لاستعداد الانسان لعلم كل شئ فى هذه الارض وانتفاعه به فى استعمارها . وعرض الاسماء على الملائكة وسؤالهم عنها وتنصلهم فى الجواب تصوير لكون الشعور الذي يصاحب كل روح من الارواح المدبرة للعوالم محدوداً لايتعدى وظيفته . وسجود الملائكة لآدم عبارة عن تسخير هذه الارواح والقوى له ينتفع بها فى ترقية الكون بمعرفة سنن الله تعالى في ذلك . وإباء ابليس واستكباره عن السجود تمثيل لعجز الانسان عن إخضاع روح الشر وإبطال داعية خواطر السوء التي هي مثار التنازع والتخاصم والتعدي والافساد في الارض ولولا ذلك لجاء على الانسان زمن يكون فيه افراده كالملائكة أو

يخرجون عن كونهم من هذا النوع البشري

هذا ملخص ماتقدم في سابق آيات القصة . وأما التمثيل فيما نحن فيه فيصح عليه ان يراد بالجنة الراحة والنعيم فان من شأن الانسان ان يجد فى الجنة التي هي الحديقة ذات الشجر الملتف مايلذ له من مرأى ومأكول ومشروب ومشموم ومسموع كحفيف الريح بالاغصان وأصوات الطيور التى تأوي الى الاشجار . ويصح ان يعبّر عن السعادة بالكون في الجنة . ويصح ان يراد بآدم نوع الانسان كما يطلق اسم أبي القبيلة الاكبر على القبيلة فيقال : كلب فعل كذا ويراد قبيلة كلب . وكان من قريش كذا يعنى القبيلة التى أبوها قريش وفي كلام العرب كثير من هذا

ويصح ان يراد بالشجرة معنى الشر والمخالفة كما عبّر الله تعالى فى مقام التمثيل عن الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة وعن الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة وفي الحديث تشبيه المؤمن بشجرة النخل . ويصح ان يكون المراد بالامر بسكنى الجنة وبالهبوط منها أمر التكوين فقد تقدم ان الامر الالهي قسمان أمر تكوين وأمر تكليف والتكوين هو المراد بقوله تعالى « انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون »

والمعنى على هذا ان الله تعالى كوّن النوع البشري على مانشاهد فى الاطوار التدريجية التى قال فيها سبحانه « وخلقنا كم أطوارا » فاولها طور الطفولية وهى لاهم فيها ولا كدر وإنما هي لعب ولهو كأن الطفل دائما فى جنة ملتفة الاشجار ، يانعة الثمار ، جارية الانهار ، متناغية الاطيار ، وهذا معنى « أسكن أنت وزوجك الجنة » وذكر الزوجة مع ان المراد بآدم النوع الآدمي للتنبيه على الشمول وعلى ان استعداد المرأة كاستعداد

الرجل فى جميع الشؤن البشرية . فأمرُ آدم وحواء بالسكنى أمر تكوين أي انه تعالى كوّن البشر ذكورا وإناثا هكذا . وأمرُهما بالاكل حيث شاءا عبارة عن اباحة الطيبات وإلهام معرفة الخير . والنهيُ عن الشجرة عبارة عن إلهام معرفة الشر وان الفطرة تهدي الى قبحه ووجوب اجتنابه . وهذان الالهامان اللذان يكونان للانسان في الطور الثاني وهو طور التمييز هما المراد بقوله تعالى « وهديناه النجدين » . ووسوسة الشيطان وإزلاله لهما عبارة عن وظيفة تلك الروح الخبيثة التي تلابس النفوس البشرية فتقوي فيها داعية الشرّ أي ان الهام التقوى والخير أقوى في فطرة الانسان أو هو الاصل ولذلك لا يفعل الشر الا بملابسة الشيطان له ووسوسته اليه . والخروج من الجنة مثال لما يلاقيه الانسان من البلاء والعناء بالخروج عن الاعتدال الفطري . وأما تلقي آدم الكلمات وتوبته فهو بيان لما عرف في الفطرة السليمة من الاعتبار بالعقوبات التى تعقب الافعال السيئة ورجوعه الى الله تعالى عند الضيق والتجائه اليه في الشدة . وتوبةُ الله تعالى عليه عبارة عن هدايته إياه الى المخرج من الضيق والتفلت من شرك البلاء ، بعد ذلك الاعتبار والالتجاء ، وذكرُ توبة الله على الانسان ترد ماعليه النصارى من اعتقاد ان الله تعالى قد سجّل معصية آدم عليه وعلى بنيه الى ان يأتي عيسى ويخلصهم منها وهو اعتقاد تنبذه الفطرة ويرده الوحي المحكم المتواتر

فحاصل القول ان الاطوار الفطرية للبشر ثلاثة — طور الطفولية وهو طور نعيم وراحة وطور التمييز الناقص وفيه يكون الانسان عرضة لاتباع الهوى بوسوسة الشيطان وطور الرشد والاستواء وهو الذي يعتبر فيه بنتائج الحوادث ويلتجأ فيه عند الشدة الى القوة الغيبية العليا التى

منها كل شئ واليها يرجع الأمر كله . فالانسان في افراده مثل للانسان في مجموعه . قال الاستاذ: فهكذا كان تدرج الانسان في حياته الاجتماعية ابتدأ ساذجا سليم الفطرة قويم الوجهة مقتصرا فى طلب حاجاته على القصد والعدل متعاونا على دفع ماعساه يصيبه من مزعجات الكون وهذا هو العصر الذى يذكره جميع طوائف البشر ويسمونه بالذهبي

ثم لم يكفه هذا النعيم المرفه فمد بعض افراده أيديهم الى تناول ماليس لهم طاعة للشهوة وميلا مع خيال اللذة وتنبه من ذلك ماكان نائما في نفوس سائرهم فثار النزاع وعظم الخلاف واستنزل الشقاء وهذا هو الطور الثاني وهو معروف في تاريخ الامم

ثم جاء الطور الثالث طور العقل والتدبر ووزن الخير والشر بميزان النظر والفكر وتحديد حدود للاعمال تنتهى اليها نزعات الشهوات ويقف عندها سير الرغبات وهو طور التوبة والهداية ان شاء الله .

وبقي طور آخر أعلى من هذه الاطوار ، وهو منتهى الكمال . وأعنى به طور الدين الالهي والوحي السماوي الذي به كمال الهداية الانسانية وبيانه في الآية الآتية

(شروط الواقفين . وعدم التعبد بكلام غير المعصومين)

جرى على الالسنة واشتهر بين الناس قول بعض الفقهاء « ان شرط الواقف كنص الشارع » وهو ما عليه عمل المحاكم من عهد بعيد الى اليوم فيتمسكون بكلمات كتبت فى « الوقفيات » وربما لم يكن يفهمها الواقف وانما كتبها الكاتب فيما يكتب من عباراته التقليدية ويتركون احيانا المقصود

من الوقف للشارع وللواقف وقوفا عند هذه الالفاظ . وقد رأيت بحثا نفيسا فى هذا الموضوع للامام الحافظ الفقيه ابن القيم فى كتابه (اعلام الموقعين) أحببت ان أنشره فى المنار ليعلم الناس ان ديننا دين مقاصد عالية ومصالح تقوم بها المنفعة لا دين الفاظ تبتدع ثم تتبع قال رحمه الله تعالى مناقشا فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية فى مسائل خالفوا فيها النص أو خرجوا عن القياس الصحيح مانصه بمقدمته :

« فصل : وقالت الحنفية والمالكية والشافعية اذا شرطت الزوجة ان لايخرج الزوج من بلدها أو دارها وان لايتزوج عليها ولا يتسرى فهو شرط باطل فتركوا محض القياس بل قياس الأولى فانهم قالوا لو شرطت فى المهر تأجيلا أو غير نقد البلد أو زيادة على مهر المثل لزم الوفاء بالشرط . فأين المقصود الذى لها فى الشروط الاولى الى المقصود الذى لها فى هذا الشرط ؟ وأين فواته الى فواته ؟ وكذلك من قال منهم لو شرط ان تكون جميلة شابة سوية فبانت عجوزا شمطاء قبيحة المنظر انه لافسخ لاحدهما بفوات شرطه حتى اذا فات درهم واحد من الصداق فلها الفسخ بفواته قبل الدخول فان استوفى المعقود عليه ودخل بها وقضى وطره منها ثم فات الصداق جميعه ولم تظفر منه بحبة واحدة فلا فسخ لها . وقستم الشرط الذي دخلت عليه على شرط ان لايودها ولا ينفق عليها ولا يطأها ولا ينفق على أولاده منها ونحو ذلك مما هو من أفسد القياس الذى فرقت الشريعة بين ماهو أحق بالوفاء منه وبين مالا يجوز الوفاء به وجمعتم بين مافرق القياس والشرع بينهما وألحقتم أحدهما بالآخر . وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الوفاء بشروط النكاح التى يستحل بها الزوج

امرأته أولى من الوفاء بسائر الشروط على الاطلاق فجعلتموها أتم دون سائر الشروط وأحقها بعدم الوفاء

« وجعلتم الوفاء بشرط الواقف المخالف لمقصود الشارع كترك النكاح (أي بأن وقف على أهل هذه التكيَّة مالم يتزوجوا) وكشرط الصلاة في المكان الذى شرط الصلاة فيه وان كان (المصلى) وحده والى جانبه المسجد الاعظم وجماعة المسلمين . وقد ألغى الشارع هذا الشرط في النذر الذى هو قربة محضة وطاعة فلا تتعين عنده بقعة عينها الناذر للصلاة الا بالمساجد الثلاثة (المسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس) وقد شرط الناذر فى نذره تعيينه فألغاه الشارع بفضيلة غيره عليه أو مساواته له فكيف يكون شرط الواقف الذى غيره أفضل منه وأحب الى الله ورسوله لازماً يجب الوفاء به ؟ وتعيين الصلاة فى مكان معين لم يرغب الشارع فيه ليس بقربة وماليس بقربة لايجب الوفاء به فى النذر ولا يصح اشتراطه فى الوقف

« فان قلتم : الواقف لم يخرج ماله الا على وجه معين فلزم اتباع ماعينه فى الوقف من ذلك الوجه والناذر قصد القربة والقرب متساوية في المساجد غير الثلاثة فتعيين بعضها لغو . قيل فهذا الفرق بعينه يوجب عليكم الغاء مالا قربة فيه من شروط الواقفين واعتبار مافيه قربة فان الواقف إنما مقصوده بالوقف التقرب الى الله فتقربه بوقفه كتقربه بنذره فان العاقل لايبذل ماله الا لما فيه مصلحة عاجلة أو آجلة والمرء فى حياته قد يبذل ماله فى أغراضه مباحة كانت أو غيرها وقد يبذله فيما يقربه الى الله . وأما بعد مماته فانما يبذله فيما يظن انه تقرب الى الله . ولو قيل

له ان هذا المصرف لايقرب الى الله عز وجل أو ان غيره أفضل منه وأحب الى الله منه وأعظم أجراً لبادر اليه . ولا ريب ان العاقل اذا قيل له اذا بذلت مالك فى مقابلة هذا الشرط حصل لك أجر واحد وان تركته حصل لك أجران فانه يختار مافيه الاجر الزائد فكيف اذا قيل له ان هذا لاأجر فيه البتة ؟ فكيف اذا قيل له انه مخالف لمقصود الشارع مضادٌّ له يكرهه الله ورسوله . وهذا كشرط العزوبيّة مثلا وترك النكاح فانه شرط لترك واجب أوسنة أفضل من صلاة النافلة وصومها أو سنة دون الصلاة والصوم . فكيف يلزم الوفاء بشرط ترك الواجب والسنن اتباعا لشرط الواقف وترك شرط الله ورسوله الذى قضاؤه أحق ، وشرطه أوثق ،

« يوضحه انه لو شرط فى وقفه ان يكون على الاغنياء دون الفقراء ، كان شرطاً باطلاً عند جمهور الفقهاء ، قال أبو المعالي الجويني - هو امام الحرمين رضي الله عنه - : ومعظم أصحابنا قطعوا بالبطلان . هذا مع ان وصف الغنى وصف مباح ونعمة من الله وصاحبه اذا كان شاكراً فهو أفضل من الفقير مع صبره عند طائفة كثيرة من الفقهاء والصوفية فكيف يلغى هذا الشرط ويصح الترهب فى الاسلام الذي أبطله النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله « لا رهبانية فى الاسلام » . يوضحه ان من شرط التعزب فانما قصد ان تركه [1] افضل واحب الى الله فقصد ان يتعبد الموقوف عليه بتركه وهذا هو الذي تبرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه بعينه فقال « من رغب عن سنتي فليس مني » وكان قصد اولئك الصحابة [2]

---

(1) كذا في الاصل والمراد ترك النكاح ولم يذكر فى الجملة ولعله سقط من النساخ

(2) يريد الذين أرادو ترك التزوج كعثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنه

هو قصد هؤلاء الواقفين بعينه سواء فانهم قصدوا ترفية [٣] انفسهم على العبادة وترك النكاح الذي يشغلهم تقرباً الى الله بتركه فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيهم ما قال واخبر ان من رغب عن سنته فليس منه . وهذا فى غاية الظهور فكيف يحل الالزام بترك شيء قد أخبر النبي صلي الله عليه وسلم ان من رغب عنه فليس منه ؟ هذا مما لا تحتمله الشريعة بوجه [٤]

« فالصواب الذي لاتسوغ الشريعة غيره عرض شروط الواقفين على كتاب الله سبحانه وعلى شرطه فما وافق كتابه وشرطه فهو صحيح وما خالفه كان شرطا باطلا مردوداً ولو كان مائة شرط وليس ذلك بأعظم من رد حكم الحاكم اذا خالف حكم الله ورسوله ومن رد فتوى المفتي . وقد نص الله سبحانه على ردّ وصية الجانف (وفى نسخة الحائف وكلاهما بمعنى الجائر) فى وصيته والآثم فيها مع ان الوصية تصح في غير قربة وهي أوسع من الوقف وقد صرّح صاحب الشرع برد كل عمل ليس عليه أمره فهذا الشرط مردود بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يحل لأحد ان يقبله ويعتبره ويصححه

« ثم كيف يوجبون الوفاء بالشروط التي انما أخرج الواقف ماله لمن قام بها وان لم تكن قربة ولا للواقفين فيها غرض صحيح مما يقربهم الى الله

(٣) فسره الترفية في هامش الاصل بالتسكين والاقامة على الشيء (٤) أبعد من هذا عن قصد الشارع الوقف علي تشريف القبور وبناء القبب المساجد عليها وعلى ايقاد السرج والشموع عليها وذلك من المحرمات التى لعن النبي صلى الله عليه وسلم فاعلها فيجب على القاضي ان ينصح من أراد الوقف على محرم او مكروه وان لا يقبل منه وان يدله على أفضل ما يتقرب به الى الله تعالي بوقفه كمساعدة الجميعات الخيرية وبناء المدارس لتعليم الامة

ولا يوجبون الوفاء بالشروط التى انما بذلت المرأة بضعها للزوج بشرط وفائه لها بها ولها فيها أصح غرض ومقصود وهي أحق من كل شرط يجب الوفاء به بنص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهل هذا الا خروج عن محض القياس والسنة ؛

ثم من العجب العجاب قول من يقول : ان شروط الواقف كنصوص الشارع . ونحن نبرأ الى الله من هذا القول ونعتذر اليه سبحانه مما جاء به قائله ولا نعدل بنصوص الشارع غيرها أبدا . وإن أحسن الظن بقائل هذا القول حمل كلامه على انها كنصوص الشارع فى الدلالة وتخصيص عامها بخاصها وحمل مطلقها على مقيدها واعتبار مفهومها كما يعتبر منطوقها وأما ان تكون كنصوصه فى وجوب الاتباع وتأثيم من أخل بشيء منها فلا يظن ذلك بمن له نسبة ما الى العلم . فاذا كان حكم الحاكم ليس كنص الشارع بل يرد ماخالف حكم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك . فشرط الواقف اذا كان كذلك كان أولى بالرد والإبطال . فقد ظهر تناقضهم في شروط الواقفين وشروط الزوجات وخروجهم عن موجب القياس الصحيح والسنة وبالله التوفيق

« يوضح ذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا قسم يعطي الاهل حظين والعرب حظًّا وقال « ثلاثة حقٌّ على الله عونهم » وذكر منهم الناكح يريد العفاف . ومصححوا هذا الشرط عكسوا مقصوده فقالوا نعطيه مادام عزبا فاذا تزوج لم يستحق شيئا ولا يحل لنا ان نعينه لأنه ترك القيام بشرط الواقف وان كان قد فعل ماهو أحب الى الله ورسوله فالوفاء بشرط الواقف المتضمن لترك الواجب أو السنة المقدمة على

فضل الصوم والصلاة لاتحل مخالفته ومن خالفه كان عاصيا آثما حتى اذا خالف الأحب الى الله ورسوله والارضى له كان باراً مثابا قائما بالواجب عليه؟

« يوضح بطلان هذا الشرط وأمثاله من الشروط المخالفة لشرع الله ورسوله انكم قلتم كل شرط يخالف مقصود العقد فهو باطل حتى أبطلتم بذلك شرط دار الزوجة أو بلدها وأبطلتم اشتراط البائع الانتفاع بالمبيع مدة معلومة وأبطلتم اشتراط الخيار فوق ثلاثة وأبطلتم اشتراط نفع البائع فى المبيع ونحو ذلك من الشروط التى صححها النصّ والآثار من الصحابة والقياس كما صحح عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص ومعاويه بن أبى سفيان اشتراط المرأة دارها أوبلدها وان لا يتزوج عليها ودات السنة على ان الوفاء به أحق من الوفاء بكل شرط وكما صححت السنة اشتراط انتفاع البائع بالمبيع مدة معلومة فأبطلتم ذلك وقلتم يخالف مقتضى العقد وصححتم الشروط المخالفة بمقتضى عقد الوقف لعقد الوقف إذ هو عقد قربة مقتضاه التقرب الى الله تعالى ولا ريب ان شرط مايخالف القربة يناقضه مناقضة صريحة فاذا شرط عليه الصلاة فى مكان لا يصلي فيه الا هو وحده أو واحد بعد واحد أو اثنان فعدوله عن الصلاة في المسجد الاعظم الذي يجتمع فيه جماعة المسلمين مع قدمه وكثرة جماعته فيتعداه الى مكان أقلّ جماعة وانقص فضيلة وأقلّ أجرا اتباعاً لشرط الواقف المخالف لمقتضى عقد الوقف خروج من محض القياس وبالله التوفيق

« يوضحه ان المسلمين مجمعون على ان عبادة الله فى المسجد من الذكر والصلاة وقراءة القرآن أفضل منها عند المقابر فاذا منعتم فعلها فى بيوت الله سبحانه وأوجبتم على الموقوف عليه فعلها بين المقابر إن أراد ان

يتناول الوقف والا كان تناوله حراما كنتم قد ألزمتموه بترك الاحب الى الله الانفع للعبد والعدول الى بعض المفضول والمنهيّ عنه (أي كالصلاة الى القبور أو بقربها) مع مخالفته لقصد الشارع تفصيلا وقصد الواقف إجمالا فانه إنما يقصد الارضى لله والأحب اليه ولما كان فى ظنه أن هذا إرضاء لله اشترطه فنحن نظرنا الى مقصوده ومقصود الشارع وأنتم نظرتم الى مجرد لفظه سواء وافق رضى الله ورسوله ومقصوده فى نفسه أولا

« ثم لايمكنكم طرد ذلك أبدا فانه لو شرط ان يصلي وحده حتى لا يخالط الناس بل يتوفر على الخلوة والذكر أو شرط ان لايشتغل بالعلم والفقه ليتوفر على قراءة القرآن وصلاة الليل وصيام النهار أو شرط على الفقهاء ان لا يجاهدوا فى سبيل الله ولا يصوموا تطوّعا ولا يصلوا النوافل وأمثال ذلك فهل يمكنكم تصحيح هذه الشروط . فان أبطلتموها ففعل النكاح افضل من بعضها أو مساوٍ له في أصل القربة وفعل الصلاة فى المسجد الاعظم العتيق الاكثر جماعة أفضل وذكر الله وقراءة القرآن فى المسجد أفضل منها بين القبور فكيف تلزمون بهذه الشروط المفضولة وتبطلون ذلك؟ فما هو الفارق بين مايصح من الشروط ومالا يصح؟ ثم لو شرط المبيت في المكان الموقوف ولم يشترط التعزّب فأبحتم له التزوج فطالبته الزوجة بحقها من المبيت وطالبتموه بشرط الواقف منه فكيف تقسمونها بينهما أم ماذا تقدمون، أما أوجبه الله ورسوله من المبيت والقسم للزوجة مع مافيه من مصلحة الزوجين وصيانة المرأة وحفظها وحصول الايواء المطلوب من النكاح؟ ام ماشرطه الواقف وتجعلون شرطه أحق والوفاء به ألزم؟ أم تمنعونه من النكاح والشارع والواقف لم يمنعاه منه؟

فالحق ان مبيته عند أهله ان كان أحب الى الله ورسوله جاز له بل استحب فلا نص ولا قياس ولا مصلحة للواقف ولا لاموقوف عليه ولا لامرضاة لله ورسوله والمقصود بيان ما فى الرأي والقياس من التناقض والاختلاف الذي يبين انه من عند غير الله لان ما كان من عنده فانه يصدق بعضه بعضا ولا يخالف بعضه بعضاً وبالله التوفيق »

(المنار) ان مسئلة الاوقاف هى من المسائل الحيوية في شؤن المسلمين فلو احسن المسلمون إدارة الاوقاف الخيرية وصرفوها فى الوجوه الفضلى فانها تكون اكبر الوسائل لتقدمهم وارتقائهم ولكنهم يعتذرون بشروط الواقفين التي تعبدنا بها بعض الفقهاء وانما يعتذرون عن صرف الاوقاف في الوجوه الفضلى والمنافع العامة ولكنهم اذا لاح لهم شئ منها وثبوا عليه والتهموه التهاماً من غير نظر الى شرط الواقف ولا الى نص الشارع وكذلك شأن أهل الطبقة العليا فى علوم المسلمين فى أعظم معهد للعلم الاسلامي . يأكل الاغنياء حقوق الفقراء ويهضم الكبار، ماوقف على الصغار، فهم حجة على أنفسهم وكلام هذا الامام المجتهد وبرهينه حجة على كتبهم ولابد ان يجئ يوم تزول فيه سلطة الطامعين، فتصرف أموال الاوقاف في مصلحة المسلمين، أو تقع فى سلطة المتغلبين، اذا دمنا على هذا الجمود المبين، والعاقبة للمتقين

باب الأسئلة والأجوبة

قراءة المولد بالتركية (س ١) من الشيخ م . م فى مصر : ماحكم الله في قراءة قصة مولد النبي العربي صلى الله عليه وسلم باللغة التركية في بيت الله تعالى على قوم من العرب وبحضر العلماء الذين لايعرفون الا لغة نبيهم

كما يجرى ذلك كل عام في مسجد الحسين (رض) وان تفضل السيد فذكر أصل ذلك في دين الله أو في السياسة الوضعية شكره الله والناس

(ج) يشبه ان يكون هذا من اللغو الذي لايعني ولا يفيد لانه لايفهم وقد وصف الله المؤمنين بالإعراض عن اللغو في آيات من كتابه كقوله «واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه» وقوله عز وجل «والذين هم عن اللغو معرضون» وقوله جل ذكره في وصف عباده «واذا مرّوا باللغو مرّوا كراما» . واخرج احمد وابو داود عن عثمان بن طلحة (رض) أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم دعاه بعد دخوله الكعبة فقال : «إني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت فنسيت ان آمرك ان تخمرهما فخمّرهما فانه لاينبغي ان يكون في قبلة البيت شيء يلهي المصلي» ونهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن الحلق (جمع حلقه) يوم الجمعة قبل الصلاة كما في حديث أحمد وأصحاب السنن الاربعة. وقراء قصة المولد يحلقون في قبلة المسجد ويرطن خطيبهم بالقصة التركية ولاشك ان ذلك يلهي المصلي ولا فائدة فيه فهو داخل من منع الحديث من هذا الوجه أيضاً. وقد نهى الفقهاء عن رفع الصوت في المسجد بالقرآن الشريف والعلم النافع اذا كان يشغل المصلي . فما بالك بمن يرطن بالتركية على قوم لايفهمون منها شيئاً ؟

أما أصل ذلك فى السياسة فهو ان أمراء السوء لما صعب عليهم إقامة الدين على وجهه جعلوا هذه المواسم المبتدعة من شعائر الاسلام ليوهموا عامة المسلمين بأنهم قائمون باقامة الدين واحياء شعائره وأن رياستهم الدينية هي بحق . ولم حكم الترك هذه البلاد جعل بعضهم قراءة قصة المولد بالتركية لأن الأمير هو المقصود بالاحتفال وقراءة القصة لا الأمة وانما على هذه

ان تعتقدد دينه وإحياءه للشعائر الاسلامية . وأعجب من هذا ان نحو اللغة العربية وصرفها يعلمان فى مدارس الدولة العثمانية (وفقها الله وأيدها) باللغة التركية لأبناء العرب فى سوريا وغيرها وكذلك علم الدين . وقد عين أحد الأرمن معلما للدين فى بعض مدارس سوريا الاميرية كأنهم لم يجدوا مسلما يحسن تعليم الديانة الاسلامية بالتركية . فالأصل فى هذه السياسة إحياء لغة الأمة الحاكمة وإماتة ما عداها وانتهى الخلل الى هذا الحد . ومن هذا القبيل ان سلطاننا المعظم (وفقه الله) كان أرسل بعض الوعاظ الأتراك ليعلموا العرب فى معان والكرك دينهم وليس فى المعلمين من يعرف العربية ولا من المراد تعليمهم من يعرف كلمة تركية لانهم من صميم العرب الذين لا يزالون على بداوتهم

مس المحدث القرآن (س ٢) ومنه : ان كثيراً من المسلمين شعروا بحاجتهم الى حفظ القرآن الكريم وتدبره فلما هموا بذلك صدمهم تحريم الفقهاء مس المصحف لغير المتوضئ وما رضوا حيالهم فى ذلك من تقليب اوراقه بنحو عود او مسه بنحو خرقة أو حمله مع متاع الخ لانهم يعتبرونها الاعيب فهم الآن فى حيرة والرجاء كشف الغمة في هذه المسألة ولكم من الله المثوبة ومن المؤمنين الدعاء والشكر اه

(ج) مسئلة مس المحدث المصحف خلافية بين المسلمين وكذلك قراءة الجنب القرآن وينبغي للانسان ان يحكم الاحتياط في المسائل الخلافية المتعارضة الدلائل . والاحتياط ممن يريد قراءة القرآن بالمصحف للتدبر والتعبد ان يختار قول من قال بوجوب الطهارة من الحدث الاكبر للقراءة ومن الحدثين لمس المصحف . وليس من الاحتياط ان يترك المسلم حفظ القرآن لانه يتعسر او يتعذر عليه الحفظ مالم يحمل القرآن ويمسه على غير

وضوء لحفظه حينئذ هو الأحوط والافضل . ونشير الى الخلاف فى المسئلة وادلته بالايجاز فنقول

أما قوله تعالى « انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون » فقد فسروا الكتاب المكنون باللوح المحفوظ والمطهرين بالملائكة . ومنهم من قال المطهرين من الاحداث وجعل الكتاب المكنون صفة للقرآن . قال البيضاوي في تفسير الآية « لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة . اولا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهي اولا يطلبه الا المطهرون من الكفر » اه وتفسير المطهرين بالملائكة مروي عن ابن عباس وقتادة . وأما حديث « لا يمس القرآن الا طاهر » فهو ضعيف لا يحتج به وكذلك حديث « لا يمس المصحف الا على طهارة » كما جزم بذلك فيهما النووي وابن كثير . على ان بعضهم قال ان المراد بالطاهر المؤمن او الطاهر من النجاسة والمروي عن ابن عباس والشعبي والضحاك وداود جواز مس المصحف للمحدث حدثا اصغر . والخلاف كبير في الحدث الاكبر حتي قيل انه لم يخالف فيه من الائمة الا داود الظاهري ولكن لا يعرف للجماهير دليل

وبقيت القراءة ولا نزاع في جوازها مع الحدث الاصغر وقد ضعفوا ما ورد في الحديث في منع القراءة مع الجنابه ولكن الجماهير على التحريم . وأخرج البخاري عن ابن عباس انه لم ير في القراءة للجنب بأساً . قال في نيل الاوطار : ويؤيده التمسك بعموم حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يذكر الله على كل أحيانه وبالبراءة الأصلية حتى يصح مايصلح لتخصيص هذا العموم وللنقل عن هذه البراءة . اه ومع هذا لا أحب لحفظة القرآن القراءة مع الجنابة ولكن لا بأس بحملهم المصحف مع الحدث الاصغر والقراءة كذلك وانصح لهم أن يتحروا الطهارة والوضوء ما أمكن ذلك والله الموفق

الظلم بالاكل من الشجرة

(س ٤) الشيخ محمد محمد عياد الحنفي بالازهر : أرجو حضرتكم أن توضحوا معنى قوله تعالى « ولا تقربا هـذه الشجرة فتكونا من الظالمين » وأن تبينوا معنى ظلمه مع ملاحظة قوله تعالى « والـكافرون هم الظالمون » وأن تبينوا معنى قوله تعالى « وعصى آدم ربه فغوى » مع ملاحظة عصمة الانبياء

(ج) ترون معنى الآية الأولى في نبذة التفسير من هذا الجزء وتقدم الـكلام في معصية آدم وعصمة الأنبياء في الدرس ٣٤ من العقائد في (ج ٣ : ٥)

والظلم أعم من الـكفر فكل كفر ظلم وليس كل ظلم كفراً فمن قصّر في فضيلة أو عمل نافع فقد ظلم نفسه بمقدار ما فاته من ثمرة الفضيلة وفائدة العمل فقوله تعالى « والـكافرون هم الظالمون » لاينافي هذا لأن كون الظلم وصفاً راسخاً فيهم بافظع أنواعه وهو الاعتماد في النجاة يوم القيمة على الشفاعة ونحوها لايمنع أن يلمّ غير الكافرين بنوع آخر من أنواعـه الخفيفة . وقد فسر بعضهم الظلم في قوله تعالى « والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا فاستغفروا لذنوبهم ومَنْ يغفر الذنوبَ الا اللهُ ولم يصرّوا على مافعلوا وهم يعلمون » بالصغيرة وأنت ترى ان هذا ذنب تنتظره المغفرة . والشرك ظلم عظيم و « ان الله لايغفر ان يشرك به »

إمهار الذمية قرآناً

(س ٥) عبد الفتاح أفندي البدن بالاسكندريه : اذا أراد المسلم أن يتزوج ذمية واتفقا على أن يجعل صداقها شيئاً من القرآن الـكريم فهل يصح ذلك ؟

(ج) يصح جعل المنفعة مهراً وتعليم القرآن أعظم المنافع لانه نور وهدى للناس وقد أخرج أحمد والبخاريّ ومسلم من حديث سهل بن سعد (رض) ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم زَوَّجَ رجلا فقيراً امرأة فوضت أمرها اليه بمـا معه من القرآن ولفظ العقد « زوجتكها بما معك من القرآن » وكان سأله عنه فعين له السور التي يحفظها .

وفي روايات وأحاديث أخرى ذكر التعليم وتعيين السور وفي بعضها ذكر عشرين آية والراجح ان ذلك في وقائع متعدده فثبت بالسنة ان تعليم القرآن يصح أن يكون مهراً وعليه الجماهير الا الحنفية • ولم أر من استثنى الذمية في هذا المقام ولا من ذكرها فيه وأنت تعلـم ان القرآن أفضل ما يدعى به الى الدين وأكبر المنافع ولا شك ان رضاء هذه الذمية بتعلم شئ من القرآن انما هو لاعتقادها ان فيه منفعة لهـا • ولـكن الذي منعوه هو تمليك القرآن لغير المؤمنين حذراً من إهانته • ومن أراد الاحتياط وموافقة الجميع فليضف الى التعليم قليلا من المال • هذا ماظهر لنا من الجواب والله أعلم بالصواب

(الاجتماع الرابع لجمعية أم القرى — الدين والاسلام والشرك والتصوف)

في مكة المكرمة يوم السبت العشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦

انتظم عقد الجمعية في هذا اليوم صباحا وقرئ الضبط السابق حسب العادة وأذن الاستاذ الرئيس بالشروع في البحث

فقال (العالم النجدي) : اني أطلب السماح من السادة الاخوان عن إملاءهم بمقدمات وتعريفات هم أعلم مني بها بل هي عندهم في رتبة البديهيات ولكن لابد منها للباحث رعاية لقاعدة التسلسل الفكري والترتيب القياسي فأقول :

ان النوع الانساني مفطور على الشعور بوجود قوة غالبة عاقلة لاتتكيف تتصرف في الكائنات بنواميس منتظمة فالعامة يعبرون عن هذه القوة بلفظ الطبيعة والراشدون من الناس مهتدون الى ان لهذه القوة من هو قائم بها يعبرون عنه بلفظ (الله) ثم ان هذا الشعور يختلف قوة وضعفاً حسب ضعف النفس وقوتها ويختلف الناس في تصور ووصف ماهية هذه القوة حسب مراتب الادراك فيهم أو حسبما يصادفهم من التلقي عن غيرهم وذلك هو الضلال والهداية . على ان الضلال غالب لأن موازين العقول البشرية مهما كانت واسعة قوية لاتسع وتحمل وزن جبال الأزلية والأبدية واللّامثال واللّازمان واللّامكان ونحو ذلك مما يسمى العلم به لصعوبته علم ماوراء العقل ولهـذا لايقال في الضالين انهـم منحطون عقلا عن المهتدين بل كثير منهم في الماضين والحاضرين اسمى عقـلا بمراتب كبيرة من المهتدين ولكن صعوبة التصور والحكم أوقعتهم في بحار من الأوهام وظلمات من الضلال . على ان البارئ تعالى قدر اللطف ببعض عباده واراد اقامة الحجة على الآخرين فأوجد بعض أفراد من البشر تميزوا في تصور ووصف ماهية هذه القوة تميزاً كبيراً فصاروا هداة للناس وهم (الأنبياء) عليهم الصلاة والسلام . وقد قام بعض هؤلاء الانبياء الكرام فيمن حولهم من الناس مقام المشرّعين وأثبتوا ببراهين خرق العادات على يدهم عند التحدي أي عندطلب ذلك منهم (١) أن مخاطبيهم مكلفون باتباعهم وهم (المرسلون) فآمن بهم من آمن أي شهدوا لهم بالرسالة واتبعوهم في هديهم مستسلمين فأخرجوهم من بحار الأوهام الى ساحل الحكمة ومن ظلمات الضلال الى نور الهـداية وهؤلاء هم (المؤمنون)

(١) المنار — هكذا فسر التحدي هنا والمعروف في علم الكلام ان التحدي طلب المعارضة للمعجزة بأن يقول الرسول هذه آية صدقى فأتوا بمثلها أو فآمنوا

فهذه مقدمة اولى (مرحى)

ومن المؤمنين نحن معاشر (المسلمين) علمنا بما علمنا ان محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي العربيّ اجلّ البشر حكمة وفضيلة وصدقناه بانه رسول الله الى العالمين كافة مصححاً ملة ابراهيم داعياً لعبادة الله وحده هادياً الى مايكلف الله به عباده من أمر ونهي كافلين لكل خير من الحياة وبعد الممات

ومن أمهات قواعد الدين عندنا ان نعتقد ان محمداً بلّغ رسالة ربه لم يترك ولم يكتم منها شيئاً وانه أتم وظيفته بما جاء به من كتاب الله وبما قاله أو فعله أو أقره على سبيل التشريع اكمالا لدين الله

ومن أهم قواعد ديننا أيضاً انه محظور علينا ان نزيد على مابلغنا اياه رسول الله أو ننقص منه او نتصرف فيه بعقولنا بل يتحتم علينا أن نتبع ماجاء به الصريح المحكم من القرآن والواضح الثابت مما قاله الرسول اوفعله أو أقرّه وما اجمع عليه الصحابة ان أدركنا حكمة ذلك التشريع اولم نقدر على ادراكها وان نترك مايتشابه علينا من القرآن (يريد نفوض فيه) فنقول « آمنّا به كلّ من عند ربّنا: وما يعلم تأويله الا الله »

ومن قواعد ديننا كذلك ان نكون مختارين في باقي شؤوننا الحيوية نتصرف فيها كما نشاء مع رعاية القواعد العمومية التي شرعها أو ندب اليها الرسول وتقتضيها الحكمة أو الفضيلة كعدم الاضرار بالنفس أو الغير والرأفة بالضعيف والسعي وراء العلم النافع والكسب بتبادل الأعمال والاعتدال في الأمور والانصاف في المعاملات والعدل في الحكم والوفاء بالعهد الى غير ذلك من القواعد الشريفة العامة . وهذه مقدمة ثانية

ويتفرع عن هاتين المقدمتين مسائل مهمة ينبغي افرادها بالبحث تباعاً واشباعاً .

منها ان أصل الايمان بوجود الصانع أمر فطري في البشر كما تقدم فلا يحتاجون فيه الى الرسل وانما حاجتهم اليهم في الاهتداء الى كيفية الايمان بالله كما يجب من التوحيد والتنزيه. هؤلاء قوم نوح وقوم ابراهيم وجاهلية العرب واليهود والنصارى ومجوس فارس ووثنيو الهند والصين ومتوحشو أفريقيا وأمريكا وسائر البشر كلهم كانوا ولايزالون أهل فطرة دينية يعرفون الله وليس فيهم من ينكره كلياً كما قال عز من قائل « وان من شئ الا يسبّح بحمده » بل يغلب على البشر الاشراك بالله فيخصصونه تعالى شأنه بتدبير الأمور الكلية والشؤن العظام كالخالقية وتقسيم الارزاق والآجال كأنهم يجلّونه عن تدبير الأمور الجزئية ويتوهمون ان تحت أمره مقربين وأعواناً ووسطاء من ملائكة وجن وأرواح وبشر وحيوانات وشجر وحجر وانه جعل لهم وللنواميس الكونية

من افلاك وطبائع وللحالات النفسية من سحر وتوجه فكر دخلاً وتأثيراً في تدبير الامور الجزئية ايقاعاً أو منعاً واعطاهم شيئاً من القوة القدسية وعلم الغيب

وتوهمهم هـذا ناشئ عن قياسهم ملكوت ذي الجبروت على ادارة الملوك في اختصاصهم بتدبير مهمات الأمور وتفويضهم مادون ذلك الى العمال والأعوان واستعانتهم بالبطانة والحاشية وربطهم مجرى الاعمال بالقوانين والنظامات (مرحى)

ومن تتبع تواريخ الأمم الغابرة وأفكار الأمم الحاضرة لا يرتاب فيما قررناه من ان آفة البشر الشرك الذي أوضحناه فقط وكفى بالقرآن برهاناً فقد قال الله تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله » وقال تعالى « بل اياه تدعون » وقال تعالى « فلا تدعُوا مع الله أحداً » وقال تعالى « منذا الذي يشفع عنده الا باذنه » الى غير ذلك من الآيات البينات المثبتة ان زيغ البشر هو الاشراك من بعض الوجوه فقط لا الانكار ولا الاشراك المطلق لأن العقل البشري مهما تسفل لاينزل الى درجة الشرك المطلق

بناء عليه جرت عادة الله تعالى جلّت حكمته أن يبعث الرسل ينقذون الناس من ضلالة الشرك وينتاشونهم من وهدة شرّه في الحياة الدنيا والآخرة ويهدونهم الى رأس الحكمة أي (معرفة الله) حق معرفته لكي يعبدوه وحده وبذلك تتم حجته عليهم ويملكون حريتهم التي تحميهم من أن يكونوا أرقاء أذلاء لألف شئ من أرواح وأجسام وأوهام . فثمرة الايمان بأن (لا اله الا الله) عتق العقول من الأسر وثمرة الاذعان بأن « محمداً رسول الله » اتباعه حقاً في شريعته التي تحول بين المسلم وبين نزوعه الى الشرك وتنيله سعادة الدارين

« قتل الانسان ما أكفره » أو قبح ما أجهله ، لا يهتدى الى التوحيد الا بجهد عظيم ويندفع أو ينقاد بشعرة الى الشرك فيتلبس به على مراتب ودرجات في اعتقاد وجود قوة قدسية ترجى وتتقى في غير الله أو تبعاً لله ذاهلا عن انه لو كان في الارض والسماء آلهة غير الله — أي أصحاب تصرف في شئ ولو في تحريك ذرّة رمل — لفسدتا

فالناس سريعوا الاعراض عن ذكر الله الى ذكر من يتوهمون فيهم أنهم شركاء وأنداد لله فيعبدونهم أي يعظمونهم ويخضعون لهم ويدعونهم ويستمدون منهم ويرفعون حاجاتهم اليهم ويرجون عند ذكر أسمائهم الخير ويتوقّعون من سخطهم الشر وقد قال الله تعالى « ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا » والله صادق الوعد نافذ الحكم . وفي الواقع وبالضرورة والطبع لا معيشة أشد ضنكاً من معيشة المشركين

الذين وصفهم الله عز وجل بأنهم لأنفسهم ظالمون فقال « ان الشرك لظُلْمٌ عظيم » وقال « ولا يظلم ربك أحدا » وهذا زيد بن عمرو بن نفيل الحكيم الجاهلي ضجر من الشرك فقال من أبيات له :

أربّاً واحداً أم ألف ربٍّ أدين اذا تقسّمت الامور

تركت اللاتَ والعُزَّى جميعاً كذلك يفعل الرجل الخبير

ومثل الحياة الأدبية في الموحدين والمشركين كبلد سلطانه حكيم قاهر بابه مفتوح لكل مراجع وينفذ قانوناً واحداً ولا يصغى لساع ولا شفيع ولا يشاركه في حكمه أحد. وبلد آخر سلطانه جبان مغلوب على أمره نال منه مقربوه المتعاكسون وأعوانه المتشاكسون مراتب من الكرامة ونفوذ الكلمة عنده وأحرزوا سلطة استقضائه مايشاؤن من حوائج خير لذويهم أو دفع شر عن أتباعهم فهل يستوي أهل البلدين ؟ كلا لاتستوي السعادة والشقاء ولله المثل الاعلى فانه جلّت عظمته لايرضى أن يشاركه في ملكه أحد كما قال تعالى « انّ الله لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ به وَيغفر ما دونَ ذلك لِمَن يشآءُ ومن يُشْرِك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا » ولا شك ان الشرك من أكبر الفجور وعمل السوء وقد قال تعالى « ان الفجار لفي جحيم » وقال تعالى « مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ به » وما الجحيم والمجازاة خاصين بالآخرة بل يشملان الحياة الدنيا والآخرة

ثم أقول : اذا اراد المسلم ان يعلم ماهو الشرك المشؤم عند الله بمقتضى ماعرفه اياه في كتابه المبين يلزم ان يعرف ماهو مدلول الفاظ (ايمان واسلام وعبادة وتوحيد وشرك) في اللغة العربية التي هي لغة القرآن اذ قال « انا جعلناه قُرْآناً عربياً » وقال تعالى « وما أرْسَلْنَا مِن رسولٍ الا بِلسان قومه ليبيّنَ لهم فيضلّ اللهُ من يشاءَ ويهدي من يشاء » فاذا علم المسلم معنى هـذه الالفاظ وأراد أن يمتثل أمر ربه بأن لايتعدى حدود الله يتعين حينئذ عنده ماهو مراد الله بالشرك الذي لايرضاه والذي أشفق وخاف علينا نبينا عليه الصلاة والسلام من الوقوع فيـه فقال : « ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك » (١)

ومن يبحث عما ذكر من الالفاظ يجد ان أهل اللغة مجمعون على أن المدلول للفظ (الايمـان) الطاعة والتسليم بدون اعتراض (٢) وللفظ (العبادة) التذلل والخضوع

---

(١) المنار = الحديث رواه ابن ماجه عن شداد بن اوس ولفظه « ان أخوف ما أخاف على أمتي الاشراك بالله أما اني لست أقول تعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ولكن أعمالا لغير الله وشهوة خفية » رواه أحمد والبيهقي بلفظ آخر. (٢) ما فسر

(١) وللفظ (التوحيد) العلم بان الشيء واحد واذا أضيف الى الله فيراد به نفي الأنداد والاشباه عنه . ومن هذه المادة الواحد والأحد صفتان لله تعالى معناهما المنفرد الذي لانظير له أوليس معه غيره . وأصل معنى مادة الشرك لغة الخلط واستعمالا الاشراك بالله وفي اصطلاح المؤمنين الاشراك بالله في ذاته أو ملكه أو صفاته

ثم اذا وزعنا اعتقادات من وصفهم الله بالشرك في كتابه العزيز على هذه الانواع الثلاثة نجد مظنة (الاشراك في الذات) قائمة في اعتقاد الحلول وهو أنه تعالى شأنه عما يصفون أفنى أو يفني بعض الاشخاص في ذاته كقول النصارى في عيسى ومريم عليهما السلام وقول غلاتنا في وحدة الوجود . وهذا النوع من الشرك عسر التصور والتعريف حتى عنـد اساطين أهله ولذلك يسميه النصارى حقيقة سرية ويسميه غلاتنا حقيقة ذوقية (مرحي)

أما مظنات (الاشراك في الملك) فيدخل تحتها اعتقاد اختصاص بعض المخلوقين بتـدبير بعض الشؤن الكونية كاعتقاد اليهود في ملك الموت وكاعتقاد بعض الناس تصرف غير الله في شيء من شؤن الكون كقول من يقول : فلان عليه دَرَك البر أو البحر ، أو الشام أو مصر ،

وأما مظنات (الاشراك في الصفات) فهي الاعتقاد فى مخلوق انه متصف بشيء من صفات الكمال من المرتبة العليا التي لا تنبغي الا لواجب الوجود جلّت شؤنه ، وهذا النوع أكثر شيوعاً من النوعين الأولين لثلاثة أسباب :

(الاول) كون غير الاحدية والخالقية ونحوهما من الصفات الخاصة بالله تعـالى صفات مشتركه يعسر على غـير العلماء الراشدين تميز الحد الفـارق بين مراتبها في المخلوقين وبين مراتبها المختصة به تعالى

(الثاني) مانطقت به الشرائع من تفويض الله تعالى بعض الأمور الى الملائكة واستجابة

به الايمان هو معنى (الاسلام) وعدم ذكر هذا اللفظ يدل على انه سقط من الأصل تفسير الايمان وهو التصديق القطعي بلا تردد وسقط بعده لفظ الاسلام فصار تفسيره تفسيراً للأيمان . (١) فسر العبادة بالمشهور في كتب اللغة وغـيرها ولكن استعمال العرب يدل على انهم لايسمون كل تذلل وخضوع عبادة وانما يخصون العبادة بالخضوع الناشئ عن الاعتقاد بسلطة غيبية وراء الاسباب العادية

دعاء المقربين وإكرامه تعالى بعض عباده الصالحين ووعـده بقبول شفاعة من يأذن لهم بها يوم القيامة فالتبس على الجهلاء التفريق بين هذه وبين التصرف

(الثالث) هو كون التعظيم مدرجة طبيعية للإغراق والتغالي ومطية سريعة السير لا يلتوي عنانها عن تجاوز الحدود الا برغم الطبع وتوفيق الله . ولذلك قاسى الرسل اولو العزم الشدائد في كبح جماح الناس عن اشراك مُعَظَّميهم مع الله تعالى في مرتبة بعض صفاته العليا وركبوا متون المصاعب والعزائم في إرجاع الناس الي حد الاعتدال وشدَّدوا النكير على إطراء النـاس إياهم وحذَّروا وأنذروا من مقاربة مظانّ الشرك حتى الخفىّ الذي يدب دبيب النمل

ومن المعلوم عندنا ان نبينا عليه الصلاة والسلام لبث عشرة أعوام يقاسي الاهوال في دعوته الناس الى التوحيد فقط وسمّى أمته الموحّدِين وأنزل الله القرآن ربعـه في التوحيد وتأسس دين الله على كلمة (لااله الا الله) وجعلت أفضل الذكر لحـكمة ان المسلم مهما رسخ في الإيمان يبقى محتاجاً الى نفي الشرك عن فكره احتياجاً مستمراً وذلك من شدة ميل الانسان الى الشرك ولشدة التباسه عليه واشدة قربه منه طبعاً فنسأل الله تعالى الحماية (مرحى) وما هذا خاصٌّ بالمسلمين بل مضت الأمم كلها لم يكد يفارقها رسلها الـكرام الا وقعت في الشرك كقوم موسى عليه السلام فارقهم أربعين ليلة فاتخذوا العجل (مرحى) (للاجتماع بقية)

باب التربية والتعليم

(*) الشذرة الرابعة من جريدة اراسم

(الجزيرتان ـ والتعليم بضرب الامثال)

يحسن أحياناً في حوار الاطفال أن يكون تفهيمهم الحقائق على طريقة ضرب الامثال سألني «أميـل» منذ أيام لماذا وجد في الناس فقراء وبدا لي من «لولا» كثرة اهتمامها بمعرفة العلة في ان فيهم أغنياء

جرى على الالسنة جواب مشهور لهذين السؤالين وهو «ذلك ما أراده الله»

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر

وما كنت لاجيبهما بمثل هذا التعليل لانه فيما أرى ليس من شأنه أن يؤدي الى اذهان الاطفال معنى كبيراً لعدل الذات العلية وما كنت أيضاً لادخل معها في أعوص مسائل علم الاقتصاد السياسي وأصعبها . من أجل ذلك رأيت أن أحسن جواب أخرج به من هذه الحيرة أن أقص عليهما قصة فقلت :

روي انه كان يوجد في مكان سحيق من بحر لست على يقين من معرفته جزيرة بنى فيها الاغنياء قصوراً من المرمر وزرعوا في أرضهـا بساتين وحدائق ذات بهجة ربوا فيها من الازهار ما يندر وجوده في غيرها واحتفروا بركاً توفيراً لاسباب اللذة ولم يكن فى الدنيا ما يعـادل زخرف موائدهم فقد كان يطاف عليهم بصحاف من الذهب فيهـا أقشار ضخمة طبخت بمرقة سرطان البحر (وهو ألذ ألوان الطعام في ذوق «أميل») وكانوا فى لباسهم بالغين حد الافراط فى التأنق خصوصاً نساءهم وكان أولادهم يلعبون(١) الـكجّة فى الميادين العامة بكرات من الماس

وأما فقراء تلك الجزيرة فكانوا يمشون حفـاة وكانت صباياهم تغدو كل يوم في اسمالٍ من الثياب فتطوف بأبواب الأغنياء التماساً لما ألقاه خدمهم من قمامات موائد العشيةً . ولم يقتصر الاغنياء في سوء معاملتهم على استعمالهم فى الاعمال الشاقة الممقوتة بل انهم كانوا يحتقرونهم وبلغوا من ذلك الى حد انهم كانوا يحظرون على ذوي الثياب الرثة منهم أن يوجدوا فى المتنزهات العامة ولم يكن لهذا الحظر من سبب سوى خوفهم على بُسُط هـذه المتنزهات السندسية أن تدنسها أقدامهم أو خشيتهم أن يكون منظر بؤسهم قذى فى عيونهم وهذا هو الاقرب الى الحقيقة

من أجل ذلك كله غادر الفقراء المدينة ذات ليلة و آووا الى جبل ليأتمروا بالاغنياء فكان رأي الشبان منهم أن يأخذوا أسلحتهم ويسطوا عليهم وهم نيام فى مضاجعهم ويقتسموا أموالهم فقام من بينهم شيخ حكيم وتربص بهم حتى قَرَّتْ شقشقتهم ثم قال اياكم أن تفعلوا من ذلك شـيئاً لأسباب ثلاثة أبديها لـكم : أولها ان الاغنياء يقوم على حراستهم فى صروحهم خدم هم شر منهم وكلاب أضرى من الحراس أنفسهم • ثانيها اني لا أعتقد ان سطوكم هذا عليهم وسلبكم لأموالهم يكون من العدل لأنهم قد كسبوا هذه الأموال

---

(١) الـكجة بالضم والتشديد لعبة : يأخذ الصبي خزقة فيدورها ويجعلها كأنها كرة ثم يتقامرون بها وتسمى هذه اللعبة في الحضر باسمين فاما الخزفة فيقال لها التون وأما الأجرة فيقال لها البكسة •

التي تحسدونهم عليها أو كسبها أسلافهم من وجوه شريفة أو خسيسة ثم ملكوها من بعدهم بمقتضى قوانين أرى مع كوني لا أدرك كنهها كمال الادراك انه لا بد لوجودها من سبب لان جميع الناس محافظون عليها راضخون لاحكامها حتى الآن. ثالثها ان ما يجوز أن تنزعوه اليوم من أعدائكم بغلبتكم عليهم يجوز ان يسلبه غداً منكم غيركم بقوته وضعفكم فعلينا اذن أن نفكر جميعاً في اتخاذ وسيلة اخرى . لابد انكم سمعتم بوجود جزر اخرى في البحر غير هذه الجزيرة التي قضى علينا نحس طالعنا بالولادة فيها فقد حكى لنا فقراء الملاحين اخواننا الذين يحضرون الى هنا بسفينتهم مشحونة بالأرزاق ومواد الزخرف التي يستعملها الاغنياء انهم رأوا غير مرة في أسفارهم ارضين تنهد من الماء مكللة بالنباتات والاشجار الكبيرة المثمرة ويستفاد من حكاياتهم ان احدى هذه الجزر خالية من السكان ولا ينقصها الا ارادتكم حتى تصبح جنة جمة الثمار دانية الجنى فان لنا سواعد قوية تساعدنا على العمل وها أنا ذا مع شيخوختي سأكون لكم قدوة فيه وامدكم بنصائحي عند الحاجة هذا هو رأيي قد أفضيت به اليكم فانظروا ماذا تفعلون •

فتلقى جميعهم نصيحته بالقبول وما عتّموا ان هاجروا الى تلك الجزيرة متعاقبين على سفن واهنة صنعوها بانفسهم من ألواح خصاصهم فشمل الاغنياء فرحاً لسفر هؤلاء الغوغاء ولم يستطيعوا كتمان فرحهم بل كانوا يصفقون ويجهرون بقولهم حبذا حبذا هذا الخلاص

قلما كانت تلك السفن تقل الاشخاص المهاجرين لانهـم كانوا لا يملكون شيئاً استغفر الله بل انهم حملوا معهم فيها أدوات عملهم

مضى على سفرهم بضع سنين انقطعت فيها أخبارهم واختلفت أقوال أهل الجزيرة في شأنهم فمن قائل بان البحر ابتلعهم ومن واهم بانهم أكل بعضهم بعضاً . وبينما هم في هذا الاختلاف اذ رأوا ذات يوم سفينة مشحونة بالغلال وعروض التجارة رست على ميناء جزيرتهم فلم يلبثوا ان عرفوا من لهجة ملاحيها وبعض ملامح وجوههم انهم من سكانها السالفين وقد أخبرهم هؤلاء الملاحون أنهم آتون من جزيرة أخرى استقامت فيها أمورهم ونجحت نجاحاً عظيما لانهم ما حرثوا الارض وأحيوا مواتها حتى جللتهـا الحصائد وملأتها المزارع والمواشي فاعتبر الاغنياء هذه الأخبار من الأساطير وقهقهوا لسماعها قهقهة المجانين •

على ان الملاحين لم يكونوا مبالغين في شيء مما قالوا فانه كان يخرج من أرض تلك الجزيرة القفرة على نحو من السحر حقول مكسوة بالزروع وقرى ومـدن وطرق

وترع فكان سكانها في معيشتهم على وفاق تام لانهم كانوا منها في غبطة وهناء وقد ضربت عليهم السكينة رواقها فكانوا يعتبرون أبناءهم بذوراً لخلف أرقى وأكثر منهم ولذلك كانوا يبكرون بتعليمهم العمل وانشائهم على حبه

أصبح الامر على خلاف ذلك في جزيرة الاغنياء فكانت الثروة فيها تنقص من يوم الى يوم لان سكانها لما كانوا من فرط الكبر والكسل بحيث انهـم يستنكفون ان يتولوا بأنفسهم حرث الارض لم تلبث ان امتلأت عاقولا وتعطلت جميع الحرف والصنائع لفقد عمالها وتبع ذلك زوال مواد الزخرف وتداعت الصروح والقصور فلم يوجد من الرجال من يقيم مُنآدها •

فزع الاغنياء في بدايا هـذا الانحطاط الى صناع الجزائر المجاورة لهم فلم يجيبوا دعوتهم لانهم كانوا على بينة مما كانوا يعاملون به اخوانهم فلم يرضوا لانفسهم ماقاساه هؤلاء من ضروب الاهانة •

نعم ان من بقي في الجزيرة من سكانها كانوا يملكون كثيراً من الذهب والفضة وانهم اشتروا من التجار الاجانب كل ما كانوا في حاجة اليه مدة من الزمن ولكن كل كنز لا بد من نفاده بالغاً من الكثرة ما بلغ خصوصاً اذا كان أصله لا يتجدد ومن أجل ذلك لم يمض الا بضع سنين حتى غاضت أموالهم وأنشأوا يندمون ولات حين منـدم على مافرط منهم من القسوة والظلم في معاملة الفقراء •

صاروا الى حالة محزنة جداً فقد تخلى عنهم من كانوا يحوطونهم من الخدم والحشم لعجزهم عن دفع اجورهم وعجزت خيلهم عن جر مجلاتهم لفقدها من كانوا يقومون على تغذيتها واصلاح شأنها وكانت نساؤهم ترى في الشوارع منتعلات نعالا من الديباج مشوهة الاعقاب ولابسات جلابيب من الحرير المذهب كلها ممزق ومخرق لانه يخجل اولئك السيدات الجليلات ان يرفعن ثيابهن بايديهن فاذا نظر اليهن ناظر وهن في هذه الاهدام بهـذا الصلف والعجرفة بعثته حالهن الى الضحك والاستهزاء بهن لو لم يكن من القسوة واللؤم الاستهزاء بالتعساء البائسين ولو كانوا من الأشرار •

وجملة القول ان جزيرة الاغنياء المترفين قد أصبحت جزيرة الفقراء المعدمين •

كان القحط يزداد فيها من سنة الى أخرى فقد ضعفت الارض عن التحصيل لعـدم ماكان يخدمها من الايدي وكاد الاغنياء يموتون جوعاً في صروحهم ولو لم يتداركهم اولئك الفقراء الذين اخرجوهم من ديارهم بالافراط في سوء معاملتهم ويساعدوهم بما فضل عن حاجتهم لهلكوا عن بكرة أبيهم •

كان « اميل » كثير الاصغاء اليّ في حكايتي لهـذه القصة ومافرغت منها حتى ابتدرني بقوله : « يستفاد من القصة اذن أن العـمل هو سبب الغناء والثروة » فأجبته ان هـذا ليس مطرداً ولكن أقل فائدة له انه يغني الأمم التي تعرف مناهج العدل وتسلكها . اه

باب الأخبار والآراء

﴿ أأحياها محمد علي وأماتها خلفه ﴾

نشرنا مانشرناه في المنار من الخلاصة التاريخية لمحمد علي الكبير وحده وليس فيه تعرض لذكر بيت الإمارة (العائلة الخـديوية) في مصر بمدح ولا قدح ولكننا لم نسلم من عقارب السعاية فقد قال المحّالون إننا أهنّا هذا البيت الرفيع وهم كاذبون فاننا برآء من اهانة البيت أو اهانة أي فرد من أمرائه . ولكن خواص الناس الذين اتفق لهم الاطلاع على خطبة مصطفى بك كامل التي ألفها وطبعها وقرأها في الاسكندرية قد عجبوا لما فيها من المبالغة والغلو في مدح محمد علي وذم خلفه في الامارة لاسيما اسماعيل باشا ومن بعده . وانما عجبوا — ولا عجب في خطل الأحداث — لعلمهم بانه لايراد بالخطبة خدمة لتاريخ ولا تأييداً لمعتقد ولا تنبيه الأمة الى عمل معين يمكن ان تعمله وانما المراد بها ارضاء الأمير الحاضر والتزلف اليه والشهرة بين النـاس . ولهم ان يعجبوا ممن يحاول ارضاء انسان بقوله أن جدك الأعلى بنى وأنت وأبوك وجـدك الأدنى هدمتم وجدكم الأعلى أحيا وأنتم أمتم وجـدكم الأعلى حفظ وأنتم أضعتم . فهذا هو ملخص الخطبة ونحن نزيده تفصيلا تبرئة للمنار من قول السعاة المحالين انه أهان البيت الخديوي الآن وتوجيهاً للأفكار الى هذه المسئلة الحيوية التي هي أم المسائل الاجتماعية والسياسية في مصر

كلام الخطبة المؤيّد بكلام صاحبهـا في جريدته وسائر قوله صريح في أن الأمة المصرية أمة حية قوية عزيزة الجانب مستعدة لأن تَبُذَّ جميع الأمم وتعلوها في كل علم وكل عمل وانما يظهر أثر هذا الاستعداد وهذه الحياة اذا كان أميرها ومدير شؤنها

كفؤاً للإمارة .قادراً على الادارة ، ولذلك جاءها محمد علي الـكفؤ القادر وهي على شر حال ، فعمل بأيديها أعظم الأعمال ، وصرح ايضاً في أن مصر الآن في ذل وصغار وضعف ومهانة ،حقوق منصوبة ،ووظائف مسلوبة ، وعزائم مقبورة ، ومزايا مستورة ، ولكنه سكت عن التصريح بالسبب للعلم به مما قبله مع عدم إمكان التصريح به لأن كل إنسان يفهم ان السيف الذي يقط الرقاب ويفلق الهام وهو صدي مُفَلَّل لا يعجز عن ذلك بعد السنّ والشحذ . وان العمل الذي يقدر عليه الانسان وهو ضعيف ومريض يكون أقدر عليه بعد عود الصحة وثوب العافية . فكيف دوخت الأمة المصرية الأمم القوية وظفرت بالدول الحربية المستعدة مع محمد علي واستسلمت وخنعت للانكليز على عهد توفيق وعباس الثاني ؛ ان هذا العجاب بلسان مقال مصطفى بك كامل. ولسانُ حاله بل مفهوم كلامه يقول

وعادة السيف أن يزهو بجوهره وليس يعمل الا في يدي بطل

جاء في الصفحة الرابعة من الخطبة ان الأمة المصرية التي فتحت البلاد والامصار وكان عددها يومئذ لا يزيد عن ثلث عددها اليوم قادرة على بلوغ غاية العز ... وجاء فيها ان محمد علي ماضرب وغاب وساد ، وأخضع لسلطان مصر البحار والبـلاد ، الا بعقل المصريّ وبأسه . وجاء في الصفحة الخامسة أنه أخذ مصر « وهى عليلة ضئيلة لا حراك بها » ... « فرأها بعد عهد الشقآء وزمن البلآء وأيام المحن والفتن قادرة على القيام بأعظم الأعمال . فيها من روح الحيـاة وقوة النهوض مايزحزح الجبـال الراسيات ، وتخرّ أمامه الشمّ الثابتات . » ثم ذكر الجند الذي جنده وهو جند الغزاة الفاتحين وانه « أخرج من أولئك الفلاحين الذين طالما تصرفت فيهم الـكوارث كما شاءت أبطالاً وشجعاناً اهـتزت الأرض تحت أقدامهم إجلالاً وإعظاماً وعجزت جيوش العالم عن مجاراتهـم ومناظرتهم ، » . وفي الصفحة الخامسة كشف السرّ عن ظهور المصريين بعد ذلك الذل المهين بمظهر الفاتحين القادرين وهو ان (محمد علي) الذي أدرك بواسع عقله كنوز هذا الاستعداد في المصريين « لم يترك لليأس سلطاناً على نفسه » . كانه يقول ان الامير الموجود لم يدرك هذا الاستعداد بعد ظهوره في أكمل مظهر بعمل جده وكان جده رآه وهو كنز مخفيّ وان هذا يئس من نفسه ومن أمته ولذلك لم يتصد للانتفاع بكنوز استعدادها الظاهرة . نعم انه لم يصرح بهذا ولـكنه قال في أول الصفحة السابعة ان من يعرف جيش مصر وأسطولها في زمن

محمد علي يظن « ان حادثاً استثنائياً محا أمة اليها تنتهي القوة وأحلّ محلها أمة عاداها الزمان فلم يترك لها ارادة ولم يلبسها غير لباس الوهن والاستسلام » . فهل يمكن أن نفسر هذا الحادث الاستثنائي على رأيه بغير ما تقدم من عدم معرفة الامير الحاضر بقوة الأمة المصرية ويئسه من نفسه ومنها ؟؟ كيف والامة في أعلى الدرجات..؟؟ وكأنه ذكر الاسطول تعريضاً ببيع البواخر الخديوية على عهد هذا الامير

بعدهذا نوّهت الخطبة (ص٧) بالمعامل والمصانع التي أنشأها محمدعلي فى المدائن والقرى وبالعمال الذين ازدحمت بهم البلاد ولم يذكر لنا من هدم تلك المعامل ومن غلّ أيدي هذه الأمة الحية عن الأعمال بعد ارتقائها فيها . ثم عادت الى التنويه بالقوة الحربية والسياسية ففي الصفحة التاسعة ان (محمد علي) أحاط مصر بسور من القوّة والرهبة وجمع شملها بعد ان كانت مفرقة فصارت وطناً واحداً لأمة واحدة . وانه « وهب مصر عقلاً مدبراً وقلباً شاعراً وساعداً شديداً ومجداً تليداً (كذا) وانه وهب المصريين وطناً وأمة وحكومة ولساناً وطبع على قلوبهم وأفئدتهم محبة الوطن والشهامة والإقدام وحبّب اليهم الفتح والنصر ورفع الراية المصرية على كل صقع ومكان » . فأين ذهبت هذه المزايا كلها وكيف حل محلها « الوهن والاستسلام » كيف هبطت من أعلى مكانة تعرج اليها الأمم الى أسفل تيهور ؟ لا يفهم من الكلام الا أن أحفاد ذلك الواهب هم الذين استردوا الموهوب وفرقوا الشمل المجتمع وحولوا بسياستهم الشهامة والإقدام ، الى ذل ووهن واستسلام . يدل على هذا ما بعده فى الخطبة

جاء فى الصفحة التاسعة عقيب ما تقدم ان حكومة محمد علي كانت « قائمة على مبادئ ثلاثة لا تدوم دولة بغيرها ولا تحيا مملكة بدون إحيائها وهي أولاً حماية الوطن من اعتداء الاجنبي وسلطته ثانياً ترقية المصري الى أسمى الوظائف وترشيحه الى استلام مقاليد الامور.. ثالثاً الامتناع عن الدّين واجتنابه كل الاجتناب » وظاهر ان أحفاد محمد علي لم يتمسكوا بهذه المبادئ التي لا تدوم دولة بغيرها فاسماعيل باشا أخذ الدين بالملايين وهو أساس الاستعباد كما فى (ص ١١) من الخطبة . وتوفيق باشا لم يسمع شكوى المصريين حتى ضباط العساكر من ترقيته الجراكسة والاتراك (الدخلاء) فى الوظائف السامية وحرمان أبناء الوطن العزيز منها ثم استعان عليهم بالانكليز عندما اجتمعت كلمتهم وثاروا يطالبون أحد المبادئ « الثلاثة » التي زعم حدث السياسة ان (محمد علي) أقام عليها حكومته وأن اسماعيل باشا وتوفيق باشا هما اللذان أضاعا البلاد المصرية وأماتاها وهدما

دولة جدهما . وفى هذا بيان لحقيّة مطالب العرابيين فلا ندري هل فهم الخطيب من خطبته ما فهمه كل قارئ أم لا ؟ ان كان قاله عن فهم فلمَ يلعن العرابيين في جريدته ؟ وان كان قاله من غير فهم فكيف يكون هو مؤلف الخطبة ومنشئها ولا يفهمها !!!

وفي الصفحة العاشرة فصل الخطاب في مقابلة الخطبة بين الماضي والحاضر قال « مصر اليوم تمثل الاستسلام للانكليز والرضوخ لسلطته والامتثال لارادته ، وهي هى التى ردته عن الديار تحت امارة محمد على وفي ظل رايته » ثم أثنى على الامة المصرية بغلب الانكليز ما أثنى وذكر ان انكلترا « أرادت أن تقضي على هذا الملك الجديد وهذه الدولة الناشئة » فأراها يومئذ بنو مصر أى أمة هم وأراها محمد علي أى أمير هو ! . فتركت الثغور والبلاد أسفة على فشلها معجبة بهذا المجد الباهر والعزم القاهر والوطنية الحقة والهمة الحديدية » منطوق الكلام صريح فى أن الذي أرى الانكليز ذلك العزم القاهر فى نفسه وفى الامة المصرية هو محمد على وانه هو الذي كان امام الامة فى الاستقلال ومفهومه ان أميرها فى عصر الاحتلال الحاضر لم يقدر أن يري الانكليز أي أمير هو وأية أمة أمته فالنتيجة انه هو القائد والامام فى هذا الاستسلام .

ولكن أكثر المصريين ان لم نقل كلهم قالوا ان الامير الحاضر (وفقه الله تعالى) قد جاء مصر بهمة محمد على وعزمه ، وزاد عليه بدينه وعلمه ، ولكنه لم يجد فى البلاد رجالا أصحاب عزائم يعمل بهم كما وجد محمد علي . والسبب فى هذا هو ماتقدم فى المنار الماضي من كون محمد علي وجد الشجاعة والعزيمة والنجدة فى البلاد فحارب بها وحاربها حتى فنيت بعد ولايته فى زمن قريب . فمقالة (آثار محمد علي فى مصر) التى نشرناها فى الجزء الماضى يمكن ان يحتج بها من يعتذر لأميرنا الحاضر (أيده الله) واذا سلمت هذه المدائح والمناقب التى ذكرت فى الخطبة لمحمد علي فهي حجة علي كل أولاده وأحفاده ويجب ان تبعث فى نفوس المصريين حب محمد علي وبغض جميع ذريته الحاكمين ومقتهم لأنهم هم الذين أضاعوا استقلال النفوس فضاع في أثره استقلال البلاد لاسيما بعد الدين واعطاء الوظائف « للدخلاء »

وان تعجب فعجب سعي بعض الذين يزعمون حب سمو الخديو الحاضر أو سعايتهم اليه باسم النصيحة بأن يجتهد في مقاومة كل صاحب ارادة وعزيمة في مصر حتى قال أحدهم لسموه « اذا لم تقطع هذه الرؤس النائتة كما فعل جدك فلا يصفو لك الملك في مصر » فليتق الله هؤلاء الذين يقدحون من حيث يمدحون ، ويغشون في عين مابه

ينصحون ، ويضرون الراعي والرعية اذا رأوا انهم ينتفعون ،

ومما يصح ان يعد حجة صريحة في الخطبة على ماتقدم فيها بالمفهوم من ان خالف محمد علي هدموا مابناه ، وأماتوا ماأحياه . مافي الصفحة ١٣ من المقابلة بين الامة المصرية ، والامة اليابانية ، وتفضيل نشأة الاولى على الثانية والحكم بانها لو سلكت السبيل الذي وجهها اليه محمد علي لبلغت من الشأن والشأو مالايكتنه كنهه . فاذا وجه الحاكم المطلق الامة الى شيء هو في طبيعتها واستعدادها فمن الذي يحولها عنه بعد ذلك الاالحاكم المطلق الذي هو مثله ؟ ؟ الكلام صريح . ليس بتعريض ولاتلويح ،

هذه هي الخطبة من حيث المقابلة بين الماضي والحاضر ومدح محمد علي وهجو خلفه ولانتعرض لما فيها من الغلو والكذب على التاريخ كزعم ان محمد علي وفق بين المدنية العصرية والدين والاسلامي وغير ذلك فمحمد علي لم يكن عالماً ولا فيلسوفا وانما كان أميًّا لا يعرف من علوم الدين ولامن علوم الدنيا شيئا . وفي الخطبة انه تعلم القراءة بعد الاربعين . ولكنه لم يتعلم من العلم شيئا وحسبنا ماتقدم في المنار من حقيقة أمره . نعم اننا لم ننكر انه كان جنديا باسلا وشجاعا حازما وبذلك تيسر له ان يكون قائداً لأولائك الشجعان الذين أباد بهم ثم أبادهم

وبقي في الخطبة كلمتان لابد من التنبيه عليهما . احداهما ماجاء في الصفحة ١٥ من انه بقي في مصر من الاستقلال الذى أزاله الانكليز قوة كبرى اليها انتهت وتنتهي كل قوة في مصر وهي السلطة العالية التي استمدت وتستمد البلاد منها كل نجاح وفلاح وهي عرش الخديوية الذى يمثل قوة مصر في ماضيها وآتيها . فهذا الذى يستطيع ان يفهم هذا الكلام . بعد كل ماتقدم من الايهام ، وهل يصح ان يسأل قائله عن رأيه في استعمال صاحب هذا العرش المتولي على هذه الامة الحيّة لهذه القوة الكامنة أولاً ؟ وثانيهما نصيحته في آخر الخطبة للمصريين ان يتركوا اليأس ويبنوا مجدهم المقبل على « التربية الوطنية » ليخرج منهم رجال عظام يبدلون ليل الاوطان بالنهار . فهل يريد انه ليس فيهم الآن رجال وهل يريدان يعتمدوا على أنفسهم « لاعلى عرش الخديوية » وقوته الكامنة ؟ وهل يمكن ان يعود اليهم مجدهم بدون أمير كمحمد علي الكبير ؟؟؟

كلا انه ذكر التربية الوطنية التي يزعم انه المنفرد بالحث عليها وانها المحيية للبلاد ليفهم الناس انه هو محيي الوطن بعد محمد علي ولذلك ختم خطبته بكلمة لم تطبع وهي : انني خطبت هنا سنة ١٨٩٦ خطبة كانت من أثرها هذا الانقلاب الكبير في التربية والتعليم وسيكون أثر هذه الخطبة أكبر وأعم في تقدم الوطن العزيز فخرج القوم يضحكون من هذا الغرور

﴿ مصاب عظيم . بوفاة عالم حكيم ﴾

في يوم الجمعة ٦ ربيع الاول أصيب الشرق بفقد رجل عظيم من رجال الاصلاح الاسلامي وعالم عامل من علماء العمران وحكيم من حكماء الاجتماع البشري ألا وهو السائح الشهير ، والرحالة الخبير ، السيد الشيخ عبد الرحمن الكواكبي الحلبي مؤلف كتاب طبائع الاستبداد وصاحب « سجل جمعية أم القرى » الملقب فيه بالسيد الفراتي . اختطفت المنية مباغتة هذا الصديق الكريم ، والولي الحميم ، بل هدمت منا الركن الركين ، وقوضت أقوى الدعائم والاساطين ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

لو كان الرثاء والتأبين من موضوع المنار لرثيته بما يليق بخطبه العظيم . وما كنت لاستعير المدامع . لاستعبر القارئ والسامع ، ولا لاستمدّ الرثاء من خيال الشعراء ، ولا الحزن من فؤاد الخنساء ، وانما استملي القلب ، بعض مايجد من الكرب ، فانه ما أحزني خطب كخطبه ، ولا أمضّني كرب ككربه ،

حزني عليه دوره مسلسل   مهما انتهى الى النفاد انقلبا

ولكنني أدع الرثاء والتأبين ، لأفاضل الشعراء المجيدين ، وأذكر في المنار ما يليق بموضوعه من خلاصة سيرة هذا الرجل ليعلم القراء منها كيف ينبت الشرق الرجال العظام . وكيف تضيعهم الامم والحكام ، ولتكون ذكرى لمن يذّكر ، وعظة لمن يعتبر ، وأبدأ بترجمة الفقيد الرسمية وهي مطبوعة في ورقتين رسميتين احداهما مصدق عليها من والي حلب المشير عثمان نوري باشا ورؤساء حكومة حلب يومئذ والثانية مصدق عليها من الوزير رائف باشا والي حلب وهي الاخيرة . وانما أبدأ بالسيرة الرسمية لأنها من مواد استنباط سيرته الاجتماعية والسياسية والادبية وهذا تعريبها ملخصاً :

(السيرة الرسمية) هو عبد الرحمن أفندي ووالده الشيخ أحمد أفندي من آل الكواكبي ومن المدرسين في الجامع الاموي الكبير والمدرسة الكواكبية وآخر وظيفة كان فيها عضوية مجلس ادارة ولاية حلب وبيتهم من بيوتات المجد والشرف (خاندان) المشهورة في الاستانة العلية وحلب . ولد السيد عبد الرحمن افندي الكواكبي في ٢٣ شوال سنة ١٢٦٥ وتعلم القراءة والكتابة في المدارس الاهلية الابتدائية ثم استحضر له أستاذ مخصوص علمه أصول اللسانين التركي والفارسي . وتلقى العلوم العربية والشرعية بمدرسة الكواكبية المنسوبة لأسرته وأخذ الإجازات من علمائها ودرّس فيها . وهو يقرأ ويكتب بالعربية والتركية . وقد وقف على العلوم الرياضية والطبيعية

وبعض الفنون الجديدة بالمطالعة والمراجعة . ومن تأليفه تحرير الجريدة الرسمية (فرات) بقسميها التركي والعربي من سنة ١٢٩٢ الى سنة ١٢٩٧ . ومنه جريدة الشهباء التي أنشأها في حلب سنة ١٢٩٣ وكان هو المحرر لها

(خدمته ووظائفه) دخل في وظائف الدولة رسميا فى الثامنة والعشرين من عمره وفي سنة ١٢٩٣ عين محررا رسميا للجريدة الرسمية بقسميها (كانه كان في سنة ١٢٩٢ يحررها بصفة غير رسمية للاختبار) براتب قدره ثمانمائة قرش • وفي ٥ ربيع الاول سنة ١٢٩٥ عين كاتباً فخرياً للجنة المعارف التى تأسست فى ولاية حلب (يعنون بالفخري ماكان بدون راتب) • وبعد ثلاث سنين اتسعت دائرة اللجنة وزيد فيها قسم للنافعة (الاشغال العمومية) وعين عضوا فخريا فيها • وفى ٢ جمادى الاولى تعين محررا للمقاولات (مسجل المحكمة) وفي ١٦ ربيع الثانى سنة ١٢٩٨ صار مأمور الاجراء (رئيس قلم المحضرين) في ولاية حلب • وفي ٧ رمضان سنة ١٢٩٨ عين عضواً فخرياً فى لجنة امتحان المحامين . وفي ٢١ ربيع الاول سنة ١٢٩٩ عين مديراً فخرياً لمطبعة الولاية الرسميه • وفى ٧ رجب سنة ١٢٩٩ عين رئيساً فخريا للجنة (قومسيون) النافعة وفى ٢٢ ذى القعدة سنة ١٢٩٩ عين بامر نظارة العدلية (الحقانية) في الاستانة عضواً في محكمة التجارة بولاية حلب مع البقاء فى وظيفته الاولى (محرر المقاولات) وفى سنة ١٣٠٣ انفصل من هذه الاخيرة وفى ٤ رجب سنة ٣٠٤ عاد الى وظيفة مأمور الاجراء وفي ٢٣ رجب سنة ١٣١٠ عين رئيساً للبلدية

الى هنا انتهت وظائف الترجمة الرسمية الأولى وجاء في الثانية بعد ذكر ماتقدم انه في ٢٩ من ربيع الاول سنة ١٣١٢ عين رئيس كتاب المحكمة الشرعية في حلب (باشكاتب) بقرار من مجلس النواب في دار السعادة . وفي ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣١٢ عين ناظراً ومفتشاً لمصلحة انحصار الدخان (الريجي) المشتركة مع نظارة المالية في ولاية حلب ومتصرفية الزور وفي أثناء ذلك اتفق مع ادارة المصلحة وتعاقدا على أن يستلم من المصلحة جميع ماتقدمه من الدخان (التبغ) الى الولاية والمتصرفية بزيادة كثيرة عن القدر المعتاد وجميع ما يزرع فيهما منه ويتولى بيعه وتعهد في ازاء ذلك بمبلغ من المال يزيد عما كانت تبيع به المصلحة دخانها زيادة كبيرة • وفي غضون ذلك استقال من رياسة كتاب المحكمة الشرعية ثم في ٩ ذي الحجة سنة ١٣١٤ أعيد اليها وعين رئيساً للجنة البيع والفراغ (أي استبدال الاراضي الاميرية من أصحاب اليد بالمال) • وفي ٧ ربيع الاول عين رئيساً أولا لغرفة التجارة في حلب ورئيساً لمجلس ادارة المصرف

(البنك) الزراعي • وفي ٢٢ رجب عين قاضياً شرعيا لراشيا التابعة لولاية سوريا

(رتبه ووساماته) في ١٩ رجب سنة ١٢٩٧ وجهت اليه باية رؤس ادرنه العامية • وفي ٢٥ ربيع الثاني وجه اليه تدريس هذه الرتبة • وفي ٢٢ ذي الحجة سنة ١٣١٢ وجهت اليه مولوية أزمير المجردة وفي ٢٨ من جمادي الثانية أعطي الوسام المجيدي من الدرجة الثالثة اهـ

ان من ينظر في هذه الترجمه الرسمية ولم يكن عارفا بالمترجم ولا بسيره في هذه الوظائف العلمية الادبية الإدارية القلمية الحقوقية التجارية الزراعية المالية يقول ان صاحبها من أوساط الناس لا من افراد الرجال الذين يعدون من علماء الاجتماع وأركان العمران ومهذبى الأمم كما وصف في فاتحة القول ولكن من يعلم انه في كل عمل منها آية بينة في إتقان العمل وحكمة التصرف يحار كيف يحسن رجل هذه الاعمال المتباينة • واذا وقف بعد ذلك على بعض سيرته في العزيمة وقوة الإرادة وعلم ماكانت تسمو اليه نفسه ويرمي اليه فكره وقرأ بعض ماجادت به قريحته الوقادة ، وفكرته النقاده ، علم أنه من أفراد الزمان ، وادراك ماذا كان يرجى منه لو ساعد الزمان والمكان ، واننا نلم بشئ مما وقفنا عليه من سيرته في مدة صحبتنا له في هاتين السنتين اللتين أقامهما في مصر

(أدبه وأخلاقه) توفيت والدة الفقيد وهو في أول سن التمييز فعهد والده بتربيته الى خالة له (من بيوتات انطاكية) من نوابغ النساء اللواتى قلما يعرف مثلهن الشرق لاسيما في هذا الزمان كانت تعرف بالعقل والكياسة والدهاء والأدب البارع فنشأته على أدب اللسان والنفس فكان من أخلاقه الراسخة الحلم والأناة والرفق والنزاهة والعزة والشجاعة والتواضع والشفقة وحب الضعفاء • وقد كنت ككل من عرفه معجبا بأناته حتى كنت أقول انى أراه يتروّى في رد السلام ويتمكث فى جواب من يحييّه عدة ثوانٍ ولا اكاد أعرف أخلاقا أعصى على الانتقاد من أخلاقه ولقد كان لسان الحال يصفه بقول بن دريد

يعتصم الحلم بجنبي حَبْوتي ... اذا رياح الطَّيْش طارت بالحبى
* لا يطبينى طمع مدنّس ... اذا استمال طمع أو الطبى *
والحلم خير مااتخذت جُنَّة ... وأنفس الابراد من بعد التقى

(علمه ومعارفه) نزيد على ماجاء فى السيرة الرسميه ان الفقيد درس قوانين الدولة درسا دقيقا وكان محيطا بها يكاد يكون حافظا لها وله انتقادات عليها يدل على دقة نظره فى علم

الحقوق والشرائع ولهذا عينته الحكومة فى لجنة امتحان المحامين . ولا أعلم انه برّز فى فن أو علم مخصوص فاق فيه الاقران ولكنه تلقى ماتلقاه من كل فن بفهم وعقل بحيث اذا أراد الاشتغال به عملا أو تأليفا أو تعليما يتسنى له ان ينفع نفعا لاينتظر من الذين صرفوا فيه أعمارهم . الا تراه كيف الف كتاباً في طبائع الاستبداد لم يكتب مثله فيلسوف في الشرق ولا في الغرب فيما نعلم وكما سمعنا من كثيرين لهم اطلاع واسع في مؤلفات فلاسفة الغرب وكتابه . . على ان الفقيد لم يتعلم شيئاً من علوم النفس والاخلاق والسياسة وطبائع الملل والفلسفة فى مدرسة وانما عمدته فى هذه العلوم ما طالعه فيها من المؤلفات والجرائد التركية والعربية . أرأيت عقلاً يتصرف هذا التصرف الذي يفوق فيه الحكماء والفلاسفة فى علم لم يأخذه بالتلقي وهو أصعب العلوم البشرية وأعلاها كيف يكون أثره لو تربّى وتعلم فى مدارس منتظمة كمدارس اوروبا الجامعة وكان عنده من مواد العلم ومعرفة الامة والحكومة بقيمة صاحبه مثلما في أوروبا . وبالجملة انك لم تكن تذاكره في شيء ولا علم الا ويشاركك فيه على بصيرة

(عمله ووجهته) كانت وجهة الفقيد في كل عمل عمله أو حاوله هى المنفعة العامة فأول شيء ولاّه وجهه هو انشاء جريدة في بلاد لم تكن تعرف الجرائد الاهلية ولم تكن بضاعة الكتاب رائجة فيها ولو كان في بلاده حرية للجرائد لكان له في (الشهباء) الأثر المحمود ولكن البلاد التي تحكم بالاستبداد كالأرض الموبوءة لاتحيا فيها الجرائد ولذلك لم تنجح جريدة من الجريدتين اللتين انشأهما لأن نفسه الابية لم تستطع ارضاء الحكام فيما يكتب . وهكذا كان شأنه في وظائفه — ولي رياسة البلدية فكان أول عمل عمله للبلد ان وضع على طرق المدينة من خارجها سلاسل من الحديد تمنع الجمال التي كانت تسدّ الطرقات وتمنع المارين من التردد في حوائجهم وجعل لهذه الجمال التي تحمل الى البلد ومنه مكاناً أو أمكنة مخصوصة . وكانت ماصحة (القبان) قد حصرت في واحد من الاغنياء يأخذها من البلدية بالالتزام ولا يتجاسر على الزيادة عليه أحد لتقربه من الرؤساء فلما علم ان الرئيس الجديد لايصدّه التقرب اليه عن خدمة المصلحة عرض عليه أربعين ألف قرش أو أكثر يعطيه اياها (رشوة) كل عام في مقابلة سكوته عنه فلم يقبل الفقيد أن يأخذ لنفسه شيئاً ولكنه قبل أن يكون المبلغ اعانة لصندوق البلدية فعلم الوالي بهذه الزيادة في الصندوق وسعى في أن يكون له سهم منها فأبى عليه الفقيد ذلك فعزله . وهكذا كانت سيرته مع الحكام في كل وظائفه أو جلها — يتصدى للإصلاح فيصدونه عنه لأجل منفعة مالية أو لتقليل نفوذه فلا يتم له عمل (لها بقية)

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿مصر في يوم الاثنين غرة ربيع الثاني سنة ١٣٢٠ — ٧ يوليو (حزيران) سنة ١٩٠٢﴾

القسم الديني

﴿باب تفسير القرآن الحكيم﴾

﴿ مقتبس مما يلقيه في الازهر مولانا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصريه ﴾

«قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»

أمرهم الله تعالى بالهبوط مرتين فالاولى بيان لحالهم في انفسهم بعد الهبوط من تلك الجنة او الخروج من ذلك الطور وهو أن حالهم تقتضي العداوة والاستقرار في الأرض والتمتع بها وعدم الخلود فيها . والثانية بيان لحالهم من حيث الطاعة والمعصية وآثارهما وهي ان حالة الانسان في هذا الطور لا تكون عصياناً مستمراً شاملاً ولا تكون هدًى واجتباء عاماً كما كان يفهم لو اقتصر على ذكر توبة الله على آدم وهدايته واجتبائه

وانما الأمر موكول الى اجتهاد الانسان وسعيه . ومن رحمة الله تعالى به ان يجعل في بعض افراده الوحي ويعلمهم طرق الهداية فمن سلكها فاز وسعد ومن تنكبها خسر وشقي ـ هذا هو السرّ في إعادة ذكر الهبوط لا انه أعيد للتأكيد كما زعموا

قال تعالى : « قلنا اهبطوا منها جميعاً » اي فقد انتهى طور النعيم الخالص والراحة العامة وادخلوا في طور لكم فيه طريقان ـ هدى وضلال ، إيمان وكفران ، فلاح وخسران ، «فإما يأتينكم مني هدى » من رسول مرشد وكتاب مبين « فمن تبع هداى » الذي اشرعه وسلك صراطي المستقيم الذي أحدده «فلا خوف عليهم» من وسوسة الشيطان ، ولا مما يعقبها من الشقاء والخسران ، « ولا هم يحزنون » على فوت مطلوب ، أو فقد محبوب ، لانهم يعلمون بهذه الهداية ان الصبر والتسليم مما يرضي الله تعالى ويوجب مثوبته، ويفتح للانسان باب الاعتبار بالحوادث ، ويقويه على مصارعة الكوارث ، فيكون له من ذلك خير عوض عما فاته ، وأفضل تعزية عمّا فقده

قال الاستاذ الامام ما مثاله : الخوف عبارة عن تألم الانسان من توقع مكروه يصيبه او حرمان مطلوب يتوقعه . والحزن ألم يلمُّ بالانسان إذا فقد ما يحب وقد أعطانا الله جل ثناؤه الطمأنينة التامة في مقابلة ما تحدثه كلمة (اهبطوا) من الخوف في القلب ، وما تثيره من كوامن الرعب ، فالمهتدون بهداية الله تعالى لا يخافون مما هو آت ، ولا يحزنون على ما فات ، لأن اتباع الهدى يسهل عليهم طريق اكتساب الخيرات ويعدهم لسعادة الدنيا والآخرة . ومن كانت هذه وجهته يسهل عليه كل ما يستقبله ويهون عليه

كل ما اصابه اوفقده لانه موقن بان الله يخلفه فيكون كالتعب في الكسب لا يلبث ان يزول بلذة الربح الذي يقع او يتوقع

وإذا قال قائل ان الدين يقيد حرية الانسان ويمنعه بعض اللذات التي يقدر على التمتع بها ويحزنه الحرمان منها فكيف يكون هو المأمن من الاحزان ، ويكون باتباعه الفوز وبتركه الخسران ؟ فجوابه ان الدين لا يمنع من لذة الا اذا كان في إصابتها ضرر على مصيبها أو على أحد إخوانه من ابناء جنسه الذين يفوته من منافع تعاونهم اذا آذاهم اكثر مما يناله بالتلذذ بايذائهم ولو تمثلت لمستحل اللذة المحرمة مضارها التي تعقبها في نفسه وفي الناس وتصور مالها من التأثير في فساد العمران لو كانت عامة وكان صحيح العقل معتدل الفطرة لرجع عنها متمثلاً بقول الشاعر « لا خير في لذة من بعدها كدر » فكيف اذا كان مع ذلك يؤمن باليوم الآخر ويعلم ان هذه المحرمات تدنس الروح فلا تكون اهلا لدار الكرامة في يوم القيامة

قال الاستاذ: وليست سعادة الانسان في حرية البهائم بل في الحرية التي تكون في دائرة الشرع ومحيطه فمن اتبع هداية الله لا شك انه يتمتع تمتعاً حسناً ويتلقى بالصبر كل ما أصابه وبالطمأنينة ما يتوقع ان يصيبه فلا يخاف ولا يحزن . يريد ان رجاء الانسان فيما وراء الطبيعة هو الذي يقيه من تحكم عوادي الطبيعة فيه أشد مما تحكم في البهائم التي هي أقوى منه طبيعة « وخلق الانسان ضعيفاً » فالتماس السعادة بحرية البهائم ، هو الشقاء اللازم ، وقد صرح بلفظ (التمتع الحسن) أخذاً من قوله تعالى « وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعاً حسناً الى أجلٍ مُسمًّى ويُؤتِ كل ذي فضل فضله » الآية . فالآيات الدالة على ان سعادة الدنيا معلولة للاهتداء بالدين

كثيرة جداً وقد حجبها عن كثير من المسلمين قولهم في الكافرين «لهم الدنيا ولنا الآخرة» يغالطون أنفسهم بحجة القرآن عليهم. وآيات سورة طه في قصة آدم أوضح في المراد من آيات البقرة وهي قوله عز وجل «قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدوٌّ فإما يأتينَّكم مني هدًى فمن اتّبع هُداي فلا يَضِلُّ ولا يشقَى. ومَنْ أعرض عن ذكري فان له معيشة ضَنْكاً ونحشره يوم القيامة أعمى» الآيات

قال تعالى «والذين كفروا وكذَّبوا بآياتنا» التي نجعلها دلائل الهداية وحجج الارشاد بأن جحدوا بها أو أنكروها ولم يذعنوا لصدقها اتباعا لخطوات الشيطان وعملا بوسوسته وذهابا مع اغوائه «أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» تقدم تفسيره. أي وهما في خوف قاهر، وحزن مساور، وقد فسر الجلال الآيات بالكتب المنزلة وهو يصح في القرآن فانه آية على نفسه وعلى صدق من جاء به وسائر الكتب تحتاج الى آية تدل على انها من عند الله تعالى. قال الاستاذ بعد تفسير الكفر بالجحود والتكذيب بالانكار: وكل منهما يأتي في فرق من الناس فمنهم من لا تقوى له ولا إيمان وهم الذين لا يؤمنون بالغيب لانه ليس عندهم أصل للنظر فيما جاءهم. والتكذيب عدم الاعتقاد بصدق الدعوى التي جاء بها الرسول. والجحود قد يأتي من المعتقد قال تعالى «وجَحَدُوا بها واستيقنتها أنفسهم ظُلماً وعُلوًّا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين»

فهذا هو الطور الاخير للانسان بعد ما وكل الى كسبه وجعل فلاحه وخسرانه بعمله فمن لطف الله به ان أيّده بهداية الدين بعد هداية الحس والوجدان والعقل فبهذه الهدايات يرتقي بالتدريج الى ماشاء الله تعالى

﴿ باب العقائد من الأمالي الدينية ﴾

الدرس ٣٥ — عدد الانبياء ومواطنهم وتعددهم

(المسئلة ٩٦) عدد الانبياء والمرسلين رووا في عددهم أحاديث لا يحتج بشيء منها ومنها الضعيف والموضوع وأمثلها ما رواه احمد والطبراني وابن حبان والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الاسماء عن أبي أمامة قال: قلت يارسول الله كم عدة الانبياء؟ قال «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا» وفي رواية للحاكم والبيهقي عن أبي ذر «والمرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر وآدم نبي مكلّم». ومن حديث أنس عند الحاكم وابن سعد ان الانبياء ثمانية آلاف ويفهم منه ان المراد بهم المرسلون. وفي حديث جابر عند ابن سعد وأبي سعيد عن الحاكم «اني خاتم ألف نبي أو أكثر» ولعدم الثقة بهذه الروايات قال العلماء بالوقف في مسئلة عدد الانبياء لان القائل بعدد يكون نافيا لما زاد عنه فهو كالمكذب بالزائد وما يدريه لعل هناك زيادة. هكذا قالوا وأقوى منه انه قول على الله بغير علم فهو من الكذب عليه جلّ ثناؤه ومن اتباع الظنّ في الامور الاعتقادية «وان الظن لا يغني من الحق شيأ». وقد قال تعالى لنبيه «منهم مَنْ قصصنا عليك ومنهم مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عليك» فحسبنا من العدد ماقصه الله تعالى في القرآن. ان الرسل الذين ذكروا في القرآن يجب الايمان بهم تفصيلا قال تعالى «وتلك حُجّتنا آتيناها ابراهيمَ على قومه نَرْفعُ دَرجاتٍ مَنْ نَشاءُ ان ربكَ حكيم عليم ووهبنا له اسحق ويعقوب كُلًّا هَدَيْنا ونوحاً هَدَيْنا مِنْ قبلُ ومِن ذُرّيته داودَ وسليمانَ وأيوبَ ويوسف

وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس كلٌّ من الصالحين . وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين » فهذا هو تفضيل النبوة والرسالة يفضلون به سائر الناس . وقد وردت هذه الاسماء متصلة على هذا الوجه . وقال تعالى : « واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صدّيقاً نبيًّا » وقال جل جلاله في ذكر قصص المرسلين « والى عادٍ أخاهم هودًا » وقال « والى ثمود أخاهم صالحاً » وقال « والى مدين أخاهم شعيبا » أي وأرسلنا الى عاد أخاهم هودًا ومثلهما بعده . وقال تعالى « واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار » فذكر ذا الكفل بين الانبياء . ولم يبق الا ذكر الفاتح وهو آدم والخاتم وهو محمد عليهم الصلاة والسلام وذكرهما في القرآن مستفيض

(م ٩٧) معاهد الانبياء ومواطنهم : ان المعروف من تاريخ هؤلاء الانبياء الكرام يدل على انهم كانوا كلهم أو جلّهم من بلاد العرب وما يتصل بها من الشام وفلسطين والعراق كأن هذه القطعة الصغيرة من الارض التي يكوّن منها القاموس الهنديُّ والبحر الاحمر والبحر المتوسط شبه جزيرة هي منبت الانبياء والمرسلين من بعد آدم أي من عهد نوح الى عهد محمد عليهما الصلاة السلام . وكأن الله تعالى اختص أهلها بالهداية دون سائر خلقه . وان القول بحصر النبوة والرسالة في هذه البقعة لمن أقوى شبه الملاحدة على الدين وهو ينافي ما تقدم في بيان وجه الحاجة الى ارسال الرسل فيمكن ان يبطلوا ذلك بهذا ان صح وقد حملهم ما رأوا في كتب اليهود والنصارى من حصر الانبياء في بلاد فلسطين والشام وما

جاورها على البحث في أخلاق أهل هذه البلاد وطبائعهم وعاداتهم فزعموا ان عند خواصهم استعداد خاصا للقيام بالدعوات الدينية والمذاهب والرياسة الروحية وان عند عوامهم استعدادا لاجابة كل داع واتباع كل ناعق قالوا ولاجل هذا حدثت الاديان والمذاهب والفرق في هذه البلاد دون غيرها

هذه الوساوس لا منفذ لها الى قلب من يفهم القرآن فقد قال جلت حكمته « إنّا أرسلناك بالحقّ بشيرًا ونذيرًا وإن من أمةٍ الا خلا فيها نذير » فهذا نصٌّ قاطع صريح في ان هذه الرحمة الالهية والهداية السماوية كانت منحة عامة لجميع الامم في كل بقعة من بقاع الأرض . وانه لَقولٌ فصل ، تصافح فيه العقل مع النقل ، فان قيل لِمَ لَمْ يذكر في بيان هذا الاجمال بذكر الانبياء والمرسلين نبيًّا أرسل في الهند أو الصين أو أوربا أو اميركا ؟ نقول ان ذكر الانبياء لم يأت بيانًا لاجمال في هذه الآية وانما أتى لبيان سنن الله تعالى في الامم مع أنبيائهم لأجل العبرة للمنذَرين . وتثبيت المرسلين ، قال تعالى « لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب » وقال « وكلاًّ نقصُّ عليكَ من أنباء الرّسل ما نثبّتُ به فؤادكَ » وكل من العبرة والتثبيت انما يكون بما هو معروف ولو بوجهٍ ما ولذلك تكرر ذكر الانبياء الذين تعرف أقوامهم أو بلادهم بالتفصيل أكثر مما لا يعرف الا بالاجمال . ويكفي ذكر آية واحدة لبيان ان رحمته تعالى لعباده بارسال الرسل لهدايتهم عامة لأن جميع الخلق عيال الله تعالى وهو بهم رؤف رحيم . أرأيت لو جاء هذا النبي العربي قومه بذكر نبي كان أرسل في أميركا منذ مائة ألف سنة مثلا وذكر لهم بعض شأنه معهم أكان يحصل لهم من العبرة بعض ما حصل من أخبار أمة اليهود ، وخبر صالح في ثمود ،

كلا ان ذكر المجهول المطلق يحمل على التخيل والاختراع ، ويقول الناس فى أمثالهم : اذا أردت ان تكذب فأبعد الشهود . ولذلك كان يأمرهم أحيانا بسؤال اليهود ، ونزل فى قصة ثمود ، « وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون »

وما يدرينا ان كونفشيوس كان نبيا مرسلا الى أهل الصين فان آثار هدايته وحكمته لم تمح بالمرة وكذلك يقال فى بوذه فان قيل يوجد فى عقائد القوم مايحكم الاسلام بأنه لايمكن ان يكون من دين الله لاسيما مافى الديانة البوذية من الشرك بالله تعالى . نقول أليس يوجد فى عقائد من صرح القرآن الحكيم بان كتبهم سماوية ، ودياناتهم الهية ، أمثال هذه العقائد التي يعدها الاسلام وثنية ؟ فمايدرينا ان هذا دخل على القوم بالتأويل والتحريف كما دخل على من بعدهم الى يومنا هذا « ألَمْ يأنِ للذين آمنوا أنْ تخشعَ قلوبُهم لِذكرِ اللهِ وما نَزَلَ من الحق ولا يكونوا كالذين أُوتوا الكتاب من قبلُ فطال عليهم الأمَدُ فقست قلوبهم وكثيرٌ منهم فاسقون » إذن ان طول الامد على البعثة مظنة الفسوق عن أمر الله تعالى والعبر بين أيدينا وعن أيماننا وشمائلنا فألهمنا اللهم رشدنا

فان قيل: اذا جوزتم ان تكونوا لامم التى سبقت لها آداب سامية و ومدنية زاهية ، قد استمدت ذلك من الديانة السماوية ، كما قلت فى الامة الصينية ، فما هو الحكم فى الامم الهمجية التى لا يكاد يفصلها عن الحيوان الاعجم الابدوُّ البَشَرة والضحك بالطبع كبعض زنوج افريقيا وسكان بعض جزائر القاموس المحيط الاعظم ؟ إن قلتم أنه بعث فيهم أنبياء فاين آثار هدايتهم فى الامة ؟ وإن قلتم لمّا يُرسَلْ اليهم رسول فأين العموم فى قوله

تعالى « وان من أمة الا خلافيها نذير » فالجواب ان الله جلت حكمته خلق هذا الانسان وجعل كماله الوجودي بالارتقاء التدريجي فى عمله بالكون وعمل الكون به فكلما استعد لمرتبة من مراتب ذلك الكمال أعطاه اياها فهو يأخذ دائمًا بقدر استعداده . واطلاق القول فى العموم والخصوص يراعى فيه قيد ماعرف فى نظام الوجود انه شرط له فاذا قلنا ان الأنثى تلد او كل انثى تلد فالمراد انها تلد فى سن الولادة وبشرطها الوجودي فلا ينقضه كون الصغيرة لا تلد . فاذا فرضنا ان المسؤل عنهم لم يظهر فيهم مرشد ينذر قومه بما يعطيه الالهام الالهي من المعرفة سوء ماهم فيه من افساد ويدلهم على الحق وطرق الاصلاح فلا شك ان ذلك لعدم استعدادهم لفهم الحق ومعرفة الخير من الشر

على ان عدم ارتقائهم فى المدنية لا يدل على انه لم يظهر فيهم نذير ولا مرشد لان الناس فى كل عصر لا يستفيدون من هداية الأنبياء الا بقدر استعدادهم فكم من نبي لم يؤمن به الا النفر القليل كما ورد فى نوح عليه السلام . وكم من نبي لم يؤمن به أحد كما قال تعالى بعد ذكر قصة نوح « ثم بعثنا من بعده رسلاً الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل » واكثر الانبياء قد درَسَتْ آثارهم فى الشرق حتى ان صحف ابراهيم لم يحفظ منها شئ وهو أبو الانبياء وخليل الرحمن والذي حفظت له الذكر الحسن جميع الأمم المؤمنة لانها كانت قد ارتقت وصار فيها من يعرف قدر العظماء ويحفظه ولأن النبوة تسلسلت في ذريته باتصال فهل ينكر مع هذا ان لايحفظ للانبياء الذين يظهرون فى الامم الجاهلة الهمجية أثر؟

(م ٩٩) ارتقاء الدين جرى الدين فى سنة الارتقاء وكان كماله فى الشرق

وذلك من عهد ابراهيم الى عهد محمد خاتم النبين فالانبياء ليسوا سواء فى اصلاح الامم فى عقائدها وأعمالها وآدابها وروابطها الاجتماعية لأن الحاجة الى الاصلاح تختلف باختلاف الامم والاقوام فالبدو أقل من الحضر ضلالا فى الفكر وأقل علما لأنهم أهل فطرة لم تتحكم فيها المذاهب الوضعية والآراء النظرية وأقل فساداً فى الاخلاق والآداب لسذاجتهم وبعدهم عن الترف وليس فى البداوة من الشؤن الاجتماعية مثل ما فى الحضارة فتحتاج الى مايحتاج اليه من الشرائع المدنية والقضائية والسياسية .

كان الناس على بساطتهم وسلامة فطرتهم فلما دبّ فيهم الفساد لم يفش الا بالتدريج فكان يظهر فيهم الشرك فى العبادة وهو التوجه الى شئ من المخلوقات يكون صلة بينهم وبين الخالق الذي تشعر به فطرتهم ، ولا يحيط به علمهم ولا تحدّده مخيلاتهم ، ويفشو فيهم بعض الشرور فيظهر الله فيهم واحداً منهم كبير العقل زكيّ النفس يلهم قلبه ويُوحي اليه ان ينذرهم العقوبة على ظلمهم وينهاهم عن الشرك والرذيلة ويأمرهم بضدهما وبذلك تستقيم حال من أطاعه لأن هذا الذي طرأ عليهم هو الذي يطفئ نور الفطرة بالتمادي فيكون الانسان به شيطاناً مريداً . الا ترى ان من الانبياء من لم يذكر له القرآن الا الدعوة الى التوحيد فقط . ومنهم من ذكر له النهي عن معصية كانت فاشية فكان يدعو الى التوحيد وينهى عنها دائما كما جاء فى قصة لوط من النهي عن الفاحشة دائما . وكقوله تعالى فى رسالة شعيب عليه السلام « والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا اللهَ مالكم من إلهٍ غيرهُ ولا تنقصوا المكيالَ والميزانَ » ثم حكى عنه « وياقوم أوفوا المكيال والميزان » . فيفهم من تكرار ذلك ان المقصود الاعظم من رسالة شعيب عبادة الله تعالى وحده

وايفاء المكيال والميزان لان قومه كانوا مُطَفِّفين (كأكثر الباعة فى مصر لهذا العهد) اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم اووزنوهم يخسرون . ولم تكن رسالة موسى بهذا الاختصار فقد كانت لها شريعة واسعة وفيها هجرة وحرب لان معيشة الحضارة وحكم الاستبداد أثرا فى بنى اسرائيل تأثيراً أفسد طباعهم من جهة وجعلهم مستعدين لحياة مدنية فاضلة من جهة أخرى فكانت هدايتهم أصعب .

(م ١٠٠) تعدد الرسل ومراتبهم : كان الناس أمة واحدة على فطرة الله التى فطر الناس عليها وذلك عند ما كانوا على البداوة التى هي أقرب الى الحياة الفردية منها الى الحياة الاجتماعية فقضت سنة الارتقاء ان يزيدوا اجتماعا بالتدريج فكانت بعد البيوت والاسر العشائر والفصائل والقبائل والشعوب والأمم . وكانوا كلما ارتقوا درجة فى الاجتماع تقوى فيهم الاطماع التى يقتضيها التنازع فى الحظوظ ويكونون فى حاجة الى علم واسع بالمصالح والمنافع المشتركة . وكان يظهر فيهم عند الدخول فى كل طور من هذه الاطوار هداة يرشدونهم الى ترك الضار بأنفسهم منفردة ومجتمعة ويدلونهم على مابه تسلم أرواحهم من الفساد فى الاعتقاد والاخلاق وفى ذلك سعادة الدنيا والآخرة . وبهذا وماقبله يعلم ان المقصود من بعثة الانبياء والمرسلين واحد فى الجملة وانه يختلف فى تفصيله باختلاف أحوال الاقوام وان اولئك الهداة المصلحين لم يكتسبوا علم اصلاح الامم اكتسابا بالتعليم وانما كانوا ممتازين بفطرتهم السليمة عن قومهم امتيازا كانوا به على علم بالاصلاح ضروري عندهم سمي لخفاء منشأه وسرعة حدوثه فى النفس وحيا (راجع الكلام على الوحي فى المسئلة ٦١ من الدرس العشرين - ٢٥٢ : ٤)

وكان علمهم مؤثرا فى النفس باعثالها على العمل به لانه وجداني الهي لامن استنباط التصور والفكر الذى يصحبه الشك والتردد أي انه كان يقع فى قلب صاحبه ومعه علم آخر وجداني وهو أنه من الله تعالى سواء نزل على القلب فى اليقظة أم فى المنام .

ونتيجة هذا وذلك ان علوم الرسل وأعمالهم متفاوتة بحسب أحوال أممهم وبذلك فضَّل الله بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات وسمى بعضهم أولى العزم . ومنه ومن اختلاف اللغات فى الاقوام يعلم انه الرسل قد يتعددون فى زمان واحد بين أقوام ولو متجاررين وقد يتعددون في أمة واحدة للتعاون كموسى وهرون فى بنى اسرائيل . واذا كان فضل بعض الرسل على بعض يكون بحسب حال الامم التى بعثوا اليها ومايستلزمه اصلاحها من العلم والعمل فموسى جدير بأن يكون أفضل من صالح وشعيب والمرسل الى الخلق كافة أفضل من المرسل الى أمة معدودة . وبهذه المناسبة ومناسبة كون ارسال الرسل كان على حسب حاجة البشر الى الاصلاح الروحي والاجتماعي نتكلم فى الدرس الآتى عن ختم النبوة وخاتم النبيين عليه أفضل الصلاة والتسليم

(ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر)

بقلم الشيخ أمين أفندي عز الدين من أهل العلم والادب في طرابلس الشام ونزيل مصر الآن

صدق الله العظيم وكذب هوس الناس : نقوم امام المحراب تماثيل بشرية يحرك حكم العادة أيدينا بالتكبير والسنتنا بالتلاوة والتسبيح ويحني ظهورنا للركوع ويثني عظامنا للسجود من غير ان يلم بنا شعور بهذه

الاوضاع أو يفعل في أنفسنا تأثير من تلك الاعمال فضلاً عن نظر في مقاصدها وتوجه الى غاياتها ونحسبها من الصلاة التي قال فيها رب محمد صلى الله عليه وسلم «ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» ونحن مشمرون للفواحش عن ذراع سبحان الله نحن ما نحن مصلون

الصلاة ماجعلها الله افعالاً ميتةً واوضاعاً جامدةً تقصد لذاتها ولكن جعلها مظاهر سكينة ومواقف خضوع تؤذن الناس انها شعار مناجاة بين العبد وبين ربه كل يوم ليكون هذا الانسان على نوع من ذكر الله تعالى في معارك معاشه ومعامع حياته وفي الآخرة اعدالله له أجراً عظيماً

تعالى الله أن يكلف قلوباً غلفاً ونفوساً جلفاً باختلاجات عضوية فارغة الاناء ثم يعد لفاعلها حسن الجزاء

الصلاة أفعال مخصوصة ذات أركان معلومة جعلها دين الله الاسلامي مرقاةً لمراقبة المعبود انزلت من السماء مائدة تحمل للارواح غذاءها من العالم النوراني كيلا تضل في الغربة ويتغلب عليها سلطان الشهوة الذى يأتيه رزقه من مطاهي هذه الطبيعة كل يوم . خلق هذا الانسان عالمين متباينين لكل منهما مطالب تناسب طبيعته وتلائم درجته في الوجود احدهما مادي كثيف حكم الله عليه ان يتكفف هذه الطبيعة في وجوده وبقائه والثاني أثيرى لطيف يستمد وجوده من النور القدسي ويستفيض بقاءه من النفحات الالهية فالاول جسم والثاني روح

تناول الجسد وجوده من هذه البسائط الارضية فجرت عليه قوانين الطبيعة واعتورته احكام المادة من قوة وضعف وزيادة ونقص وتحلل وتركب وأصبح من أجل ذلك في حاجة شديدة لتعويض ما تستلبه

منه نواميس التحليل مثلاً بمثل وجنساً بجنس وذلك غذاؤه واما الروح فهو وان كان آمنا على وجوده من غارة الفناء وانحلال الاجزاء الا انه هبط من السماء وله مع العالم المادي شؤن يريد كل من المتجاورين ان يكون هو المتغلب ليتمكن من امتلاك هذا الهيكل الانساني فيستسعيه في أمياله ويتصرف فيه كيف يشاء ومن ثمة كان الروح مضطراً ان يستمد من عالمه العلوي ما يقوى به على التغلب او يحفظ به مركز استقلاله وهذا هو غذاؤه . متى تمت الغلبة للروح رفرفت بهذا الانسان الى معاهدها الاولى في مظاهر الملكوت ومصاف الملكية واذنت له ان يتصرف بما في آفاقة من الكونيات المادية الى حيث يجعلها من خدم شؤنه الحيوية على عكس من الجسد اذا تسنم صهوة القلب واقتعد سرير السلطة فانه يهبط بالانسان الى عالمه فى الدركات السفلية وبرزخ العجم من الحيوانات الى حيث تترفع الطبيعة ان يمسها بكفه تصرف او تمكنه من وطر فاى الفريقين خير ؟

أراد الاسلام بهذا الانسان خيراً فحتم عليه في سائر أحواله ان يجيب مطالب عالمه الروحي ويتقاعس عن مشتهيات عالمه المادي ما استطاع ودعاه ان يقف بين يدي ربه سبحانه وتعالى خمس وقفات في اليوم يناجيه بهيئة الذل وشعار الخضوع بحيث ينبذ ما سواه في العراء ليتأهل لقبول الفيض الآلهي الذي هو لروحه غذاء تتقوت به وتعتمد عليه في مناوراتها مع الجسم والمادة وتلك هى الصلاة التي تنهى عما تنهى وتقرب الى الله زلفى

تلك التي كفكفت جبروت أولئك القوم الجاهلية في ردح من الزمن وهي التي كان مؤمن القلب في القرون الغابرة يتغيب فيها عن

مشاعره بحيث لم يكن يشعر بالفواجع الخطرة والمؤلمات الجسدية ولو كان في هذه نشر عظمه أو عرق لحمه وها هو تاريخ حياة القوم كانوا يعلمون ان الصلاة ماهية دعامتها الخشوع . كانوا يعلمون ان ما فيها من الاعمال انما هو ركن ثانوي يقصد به تمثيل الخضوع القلبي على الجوارح ليشترك السر والعلانية في التذلل والسكينة فطفقوا يصلون متجردين عن المشاغل الفكرية وهو السبب فيما يبلغنا عنهم من الغيبة عن مشاهد الكون في خلال الصلاة أما نحن فاننا ذهبنا الى ان الصلاة انما هي تلك الاعمال الظاهرية لادخل فيها لخشوع ولا يغنى فيها خضوع واقبلنا نجتزئ بتلك الوقفات الجمادية والاختلاجات اللسانية وهي لا تصدفنا عن فحش نأتيه ولا تنهانا عن منكر نفعله فهل تخلف قول القرآن أم نحن لم نكن مصلين ؟

نزعم اننا لم نخاطب خطاب التكليف بتلك الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر حيث فهمنا انها هى الكاملة ويكأن القوم لا يعقلون !! هل أمر الله إذ أمر باقامة الصلاة ان تكون ناقصةً أم ذات الاقامة في قوله تعالى اقيموا الصلاة على ذلك المعنى الناقص ؟

استغفر الله قال صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . اللهم ما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً

﴿الملائكة والنواميس الطبيعية﴾

سأل سائل : اذا كانت الملائكة هي عبارة عن القوى المعنوية، والنواميس التي بها نظام العوالم الحية . فما معنى « يومَ يقومُ الروح والملائكة صفًّا » وأمثاله ؟ والجواب : ان الذي تقدمَ في التفسير هو ان الملائكة عالم مستقل مستتر عنا وانما كان ذكر القوى والنواميس الطبيعية جذباً لمنكري الملائكة الى التصديق لأن بعض ما ورد يوافق ما يعتقدون فكيف يكفرون لاختلاف الالفاظ لا أن الكلام كان ارجاعاً لنصوص الدين الى أقوالهم

﴿ القسم العمومي ﴾

نموذج من كتاب دلائل الإعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني وهو يطبع الآن

فصل

(في الكلام على من زهد في رواية الشعر وحفظه ، وذم الاشتغال بعلمه وتتبعه)

لا يخلو من كان هذا رأيه من أمور (أحدها) ان يكون رفضه له وذمه إياه من أجل ما يجده فيه من هزل أو سُخْفٍ وهجاء وسب وكذب وباطل على الجملة (والثاني) ان يذمه لانه موزون مقفًّى ويرى هذا بمجرده عيبا يقتضي الزهد فيه والتنزه عنه (والثالث) ان يتعلق باحوال الشعراء وانها غير جميلة في الاكثر ويقولَ قد ذُمُّوا في التنزيل ، وأيٌّ كان من هذه رأيا له فهو في ذلك على خطأ ظاهر ، وغلط فاحش ، وعلى خلاف مايوجبه القياس والنظر ، وبالضد مما جاء به الأثر ، وصح به الخبر ،

أمّا من زعم ان ذمه له من أجل مايجد فيه من هزل وسُخف وكذب وباطل فينبغي ان يذم الكلام كله ، وان يفضل الخَرَسَ على النطق والعيَّ على البيان ، فمنثور كلام الناس على كل حال أكثر من منظومه والذي زعم انه ذم الشعر بسببه وعاداه بنسبته اليه أكثر لأن الشعراء في كل عصر وزمان معدودون ، والعامة ومن لايقول الشعر من الخاصة عديد الرمل ، ونحن نعلم ان لو كان منثور الكلام يُجمَع كما يُجمَع المنظوم ، ثم عَمَدَ عامدٌ فجمع ماقيل من جنس الهزل والسخف نثرا في عصر واحد لأربى على جميع ماقاله الشعراء نظما في الازمان الكثيرة ولغمره حتى لا يظهر فيه ، ثم انك لولم ترو من هذا الضرب شيأ قط ولم تحفظ الا الجِدَّ المحض والا مالا معاب عليك في روايته وفي المحاضرة به وفي

نسخه وتدوينه لكان في ذلك غنًى ومندوحة ولو وجدت طِلبتك ونلت مرادك وحصل لك مانحن ندعوك اليه من علم الفصاحة فاختر لنفسك ودع ماتكره الى ماتحب (هذا) وراوي الشعر حاك وليس على الحاكي عيب ، ولا عليه تبعة ، اذا هو لم يقصد بحكايته ان ينصر باطلاً ، أويسوء مسلما ، وقد حكى الله تعالى كلام الكفار فانظر الى الغرض الذي لهُ رويَ الشعر ومن أجله أريدَ وله دوّن تعلم انك قد زغت عن المنهج وانك مسيء في هذه العداوة وهي العصبية منك على الشعر ، وقد استشهد العلماء لغريب القرآن واعرابه بالابيات فيها الفحش وفيها ذكر الفعل القبيح ثم لم يعبهم ذلك اذ كانوا لم يقصدوا الى ذلك الفحش ولم يريدوه ولم يرووا الشعر من أجله ، قالوا وكان الحسن البصريّ رحمه الله يتمثل في مواعظه وكان من أوجعها عنده:

﴿ اليوم عندك دَلُّها وحديثها وغداً لغيرك كفها والمعصم ﴾

وفي الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكره المَرْزُباني في كتابه باسناد عن عبد الملك بن عمير انه قال أُتيَ عمر رضوان الله عليه بحلل من اليمن فأتاه محمد بن جعفر ابن أبي طالب ومحمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ومحمد بن حاطب فدخل عليه زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال ياأمير المؤمنين هؤلاء المحمدون بالباب يطلبون الكسوة فقال ائذن لهم ياغلام فدعا بحلل فأخذ زيد أجودها وقال هذه لمحمد بن حاطب وكانت أمه عنده وهو من بني لؤيٍّ فقال عمر رضي الله عنه أَيْهاتَ أَيهاتَ وتمثل بشعر عُماة بن الوليد :

اسرّك لما صرّع القوم نشوة — خروجي منها سالما غير غارم (١)

بريئاً كأني قبل لم أك منهم — وليس الخداع مرتضى فى التنادم

رُدّها. ثم قال ائتني بثوب فألقه على هـذه الحلل وقال أَدْخِل يدك فخذ حلة وأنت لاتراها فأعطهم. قال عبد الملك فلم أر قسمة أعدل منها. وعُمارة هذا هو عُمارة بن الوليـد بن المغيرة خطب امرأة من قومـه فقالت لاأتزوجك أو تتركَ الشرابَ فأبى ثم اشتد وجده بها فحلف لها ان لايشرب ثم مر بخمّارٍ عنده شَرْب يشربون (٢) فدعوه فدخل عليهم وقد أنفدوا ماعندهم فنحر لهم ناقته وسـقاهم ببرديه ومكثوا أياما ثم خرج فأتى أهله فلما رأته امرأته قالت ألم تحلف ان لاتشرب فقال:

ولسنا بشَرب أم عمرو اذا انتشوا — ثِيَابُ الندامى عنـدهم كالغنائم

ولـكننا ياأم عمـرو نديمنا — بمنزلة الريّان ليس بعائم (٣)

أسرك — البيتين * فإذن رب هزل صار أداة فى جـد، وكلام جرى في باطل ثم أستعين به على حق؛ كما انه رب شيء خسيس، توصل به الى شريف، بان ضرب مثلا فيه؛ وجعل مثالا له؛ كما قال أبو تمّام:

والله قد ضرب الاقلّ لنوره — مثلا من المشكوة والنبراس

وعلى العكس فرب كلمة حق أريد بها باطـل فاستحق عليها الذم كما عرفت من خبر الخارجي مع عليّ رضوان الله عليه؛ ورب قول حسن

(١) صرع بالتشديد كصرع بالتخفيف. والضمير في منها لنشوة السكر. ومن شأن المنتشي ان يتلف ماله فيخرج غارماً. وان للامارة نشوة أدعى الى الغرم، وسكرة أبعث على الظلم؛ ومثل عمر من يخرج منها وهو سالم، لاظالم ولا غارم. (٢) الشرب بالفتح جماعة الشاربين (٣) العائم ذو العيمة «نحيـمة» وهى شـهوة اللبن مع فقده

لم يحسن من قائله حين تسبب به الى قبيح كالذي حكى الجاحظ قال: رجع طاوس يوماً عن مجلس محمد بن يوسف وهو يومئذ والي اليمن فقال: ماظننت أنّ قولَ سبحان الله يكون معصـية لله حتى كان اليوم سمعت رجلا أبلغ ابن يوسف عن رجل كلاما فقال رجـل من أهـل المجلس سبحان الله كالمستعظم لذلك الـكلام ليُغضب ابن يوسف» فهذا ونحوه فاعتبر واجعله حكما بينك وبين الشعر.

(وبعد) فكيف وضع من الشعر عندك وكَسَبَهُ المقت منك انك وجدت فيـه الباطل والـكذب وبعض مالايحسن ولم يرفعه فى نفسك ولم يوجب له المحبة من قلبك أن كان فيـه الحق والصدق والحـكمة وفصـل الخطاب. وأن كان مَجْنَى ثمر العـقول والالباب، ومجتمع فرق الآداب، والذي قيّد على الناس المعاني الشريفـة، وأفادهم الفوائد الجليلة، وترسّل بين المـاضي والغابر، ينقل مكارم الاخـلاق الى الولد عن الوالد، ويؤدي ودائع الشرف عن الغائب الى الشاهـد، حتى ترى به آثار المـاضين، مخلدة فى الباقين، وعقول الاولين، مردودة فى الآخرين، وترى لـكل من رام الأدب، وابتغى الشرف، وطالب محاسن القول والفعل، منارا مرفوعا، وعلما منصوبا، وهاديا مرشـداً، ومعلما مسدداً، وتجد فيه للنائي عن طلب المـآثر، والزاهد في اكتساب المحامد، داعياً ومحرضاً، وباعثاً ومحضضا، ومذكراً ومعرفا. وواعظاً ومثقفا، فلو كنت ممن ينصف كان فى بعض ذلك مايغير هـذا الرأي منك، وما يحدوك على رواية الشعر وطلبه، ويمنعك ان تعيبه أو تعيب به، ولـكنك أبيت الا ظنا سبق اليك، والا بادئ رأي عنّ لك، فأقفلت عليه قلبك،

وسددت عما سواه سمعك ، فعيّ الناصحُ بك ،(١) وعسر على الصديق الخليط تنبيهك ، نعم وكيف رَويت « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا فيريَه(٢) خير له من ان يمتلئ شعراً » ولَهجْتَ به وتركت قوله صلى الله عليه وسلم: « ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا » (٣) وكيف نسيت أمره صلى الله عليه وسلم بقول الشعر ووعده عليه الجنة . وقوله لحسان « قل وروح القدس معك » وسماعه له ، واستنشادَه اياه ، وعلمَه صلى الله عليه وسلم به ، واستحسانه له ، وارتياحَه عند سماعه ، ؟

(أمّا) أمره به فمن المعلوم ضرورة . وكذلك سماعه إياه . فقد كان حسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير يمدحونه ويسمع منهم ويصغي اليهم ويأمرهم بالرد على المشركين(٤) فيقولون في ذلك ويعرضون عليه . وكان عليه السلام يذكر لهم بعض ذلك كالذي روى من انه صلى الله عليه وسلم قال لكعب

---

(١) عيَّ عجز أصله عَييَ فادغم (٢) حديث رواه احمد والشيخان وأصحاب السنن وغيرهم عن أبي هريرة وعن غيره والرواية المشهورة فيه « حتى يَرِيَهُ » أي يفسده وفي رواية بحذف حتى يريه وفي أخرى حذف حتى وقرأها بعضهم حينئذ يريه بالفتح وبعضهم بالضم ولم ار من رواه بالفاء « فيريه » كما في نسخة المصنف . وفى رواية ابن عديّ عن جابر « لأن يمتلئ جوف الرجل قيحاً أو دماً خير له من ان يمتلئ شعراً مما هجيت به » (٣) الحديث مشهور رواه أصحاب الصحاح وغيرهم ورواية المصنف ملفقة من روايتين فقد وردت كل جملة من طريق . وأما الجملتان معاً فقد جاءتا فى حديث ابن عباس عند أحمد وابن ماجه هكذا (ان من البيان سحراً وان من الشعر حكماً) وعند أبن عساكر من حديث علي باللام وله تتمة وهي « وان من العلم لجهلا وان من القول عيالا) (٤) روى الخطيب وابن عساكر عن حسان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له: اهج المشركين وجبرائيل معك اذا حارب أصحابي بالسلاح فحارب أنت باللسان . وفى حديث جابر عند ابن جرير انه قال يوم الاحزاب (من يحمي أعراض المؤمنين) قال

« مانسي ربك وما كان ربك نسيا شعراً قلته » .(١) قال وما هو يارسول الله قال : « أنشده يا أبا بكر » فأنشد أبو بكر رضوان الله عليه :

زعمت سخينةُ ان ستغلب ربها ... وليُغلبَنّ مُغالبُ الغلّابِ (٢)

(وأمّا) استنشاده اياه فكثير . من ذلك الخبر المعروف في استنشاده حين استسقى فسقيَ قول أبو طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمالَ اليتامى عصمةً للارامل

يُطيف به الهلّاك من آل هاشم ... فهم عنده فى نعمة وفواضل

الابيات . وعن الشعبي رضي الله عنه عن مسروق عن عبد الله قال

كعب أنا يارسول الله فقال (انك محسن الشعر) فقال حسان بن ثابت أنا يارسول الله قال (نَعم اهجهم أنت فسيعينك روح القدس) وكتب الاستاذ الامام فى هامش النسخة الاصلية بازاء اسم كعب: (لعله كعب بن مالك لأن ابن زهير وان مدح لكنه لم يؤمر بالشعر للمناضلة عن الاسلام فقد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع) ويؤيد قول الاستاذ ما رواه ابن جرير عن ابن سيرين وملخصه ان المهاجرين رغبوا الى النبي عليه الصلاة والسلام أن يأمر عليا بهجاء الرهط الذين هجوه (وهم عمرو ابن العاص وعبد الله بن الزِّبَعْرى وأبو سفيان بن الحارث) فقال ليس عليٌّ هنالك وعرّض بالانصار فانتدب لذلك حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة . وفيه انه استنشد كعباً وهو راكب ناقته فأنشد الابيات التى أولها

قضينا من تهامة كل ريث ... وخيبر ثم أجمحنا السيوفا

لخيّرها ولو نطقت لقالت ... قواطعهن دوساً أو ثقيفا

قال : فانشد الكلمة كلها فقال النبى صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده لهي اشد عليهم من رشق النبل) قال ابن سيرين : فنبئت ان دوساً انما اسلمت بكلمة كعب هذه . (١) قال الاستاذ الامام (هذا هو كعب بن مالك) (٢) كتب فى هامش الاصل : سخينة لقب تنبز به قريش لأنها كانت تأكل السخينة وهى طعام من دقيق الشعير واللحم وتسخن وذلك فى ايام المجاعات . والحديث رواه ابن منده وابن عساكر عن جابر

لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القتلى يوم بدر مصرّعين فقال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه «لوان أبا طالب حيّ لعلم ان أسيافنا قد أخذت بالانامل» قال وذلك لقول أبي طالب (١)

كذبتم وبيت الله ان جد ماأرى ... لتلتبسن أسيافنا بالانامـــل
وينهض قوم في الدروع اليهم ... نهوض الرّوايا فى طريق حلاحل

(١) البيت الذى فيه لفظ الأنامل في قصيدة أبي طالب هو قوله

وقد حالفوا قوماً علينا أظنّةً ... يعضّون غيظاً خلفنا بالأنامل

والبيت الذى فيه كذبتم هو قوله

كذبتم وبيت الله نترك مكة ... ونظعن الا امركم في بلابل

وقوله: كذبتم وبيت الله نُبزَى محمدا ... ولمّا نطاعن دونه ونناضل

والبيت الذى فيه لتلتبسن الخ هو قوله

وانا لعمر الله ان جد ماأدوى ... لَتَلْتَبِسَنْ اسيافنا بالاماثل

والذى فيه ينهض الخ هو قوله

وينهض قوم في الحديد اليكم ... نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل

وبهذا تعلم مافي بيتي الشيخ . اه من هامش الاستاذ الامام

(تفسيره) قوله أظنة جمع ظنين وهو المتهم . والظنة بالكسر التهمة وجمعها ظنن . وجمع فعيل على أفعلة غير قياسي ولكنه ورد ومنه قوله تعالى «أشحةً عليكم» . وقوله نترك مكة أي لانتركها . ومثله قوله نبزى محمدا أي لانبزاه ولفظ (محمدا) منصوب بنزع الخافض . يقال أبزى فلان بفلان اذا غلبه وقهره أي لا نُغلَب بمحمد ولانقهر عليه والحال اننا لم نطاعن دونه بالرماح ونناضل عنه بالسهام فالجملة المنفية بلمّا حال من نائب الفاعل . وقوله (لتلتبسن أسيافنا بالاماثل) أى لتختلطن بالاشراف بماتفتك بهم في الحرب . والروايا جمع راوية وهو ما يستقى عليه من بعير وغيره . والصلاصل القرب فيها بقايا الماء واحدها صلصلة بضم الصادين وهي بقية الماء في الادواة والقربة — يريد أن قومه ينهضون مثقلين بالحديد تسمع له قعقعة كصلصلة الماء في المزادات

ومن المحفوظ في ذلك حديث بن مسلمة الانصارى (٢) جمعه وابنَ أبي حدرد الاسلمي الطريق قال فتذاكرنا الشكر والمعروف قال فقال محمد كنا يوما عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لحسان ابن ثابت: «انشدني قصيدة من شعر الجاهليـة فان الله تعالى قد وضع عنا آثامها في شعرها وروايته» : فأنشده قصيدة للاعشى هجابها عَلْقمة بن عُلاثة

علقمَ ماأنت الي عامرٍ ... الناقض الاوتار والواتر

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « ياحسان لاتعد تنشدنى هذه القصيدة بعد مجلسك هذا » فقال يارسول الله تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « ياحسان أشكر الناس للناس اشكرهم لله تعالى ، وان قيصر سأل أبا سفيان بن حرب عني فتناول مني . وفي خبر آخر فشعَّث مني وانه سأل هذا عني فأحسن القول » فشكره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك . وروي من وجه آخر ان حسان قال يارسول الله من نالتك يده وجب علينا شكره . ومن المعروف في ذلك خبر عائشة رضوان الله عليها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقول : « أبياتك » فأقول

ارفع ضعيفك لايَحرُبْك ضعفه ... يوما فتدركه العواقب قدنَمَى
يَجزِيك أو يثني عليك وانَّ من ... أثنى عليك بمافعلت فقد جزى

(٢) الحديث رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج وابن عساكر عن محمد بن مسلمة بلفظ (ياحسان انشدني من شعر الجاهلية فان الله قد وضع عنك آثامها في شعرها وروايتها) وفيه أنه قال له بعد انشاد القصيدة (ياحسان لاتعد تنشدني هذه القصيدة اني ذكرت عند قيصر وعنده أبو سفيان وعلقمة بن علاثة فاما أبو سفيان فتناول مني وأما علقمة فحسن القول وانه لايشكر الله من لايشكر الناس)

﴿ تتمة الاجتماع الرابع لجمعية ام القرى ﴾

ثم إذا انقلبنا في البحث الى ماهو الشرك في نظر القرآن وأهله لنتقيه نجد ان الله تعالى قال في اليهود والنصارى « اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ » مع انه لم يوجد من قبل ولا من بعد من الاحبار والرهبان من أدعى المماثلة ونازع الله الخالقية أو الإحياء أو الإماتة كما يقتضيه انحصار معنى الربوبية عند العامة من الاسلام ، حسبما تلقوه من مروجي الشرك بالتأويل والايهام ، بل الاحبار والرهبان انما شاركوا الله تعالى في التشريع المقدّس فقط فقالوا هذا حلال وهذا حرام فقبل منهم اتباعهم ذلك فوصفهم الله بأنهم اتخذوهم أرباباً من دون الله

ونجد أيضاً ان الله تعالى سمى قريشاً مشركين مع انه وصفهم بقوله « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله » أي يخصصون الخالقية بالله • ووصف توسلهم بالاصنام الى الله بالعبادة فحكى عنهم قولهم « مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » والمعظّمة من المسلمين يظنون ان هذه الدرجة التي هي التوسل ليست من العبادة ولا الشرك ويسمون المتوسَّل بهم وسائط ويقولون انه لابد من الواسطة بين العبد والرب « وان الواسطة لاتنكر »

ويعلم من ذلك ان مشركي قريش ماعبدوا أصنامهم لذاتها ولا لاعتقادهم فيها الخالقية والتدبير بل اتخذوها قبلة يعظمونها بندائها والسجود أمامها أو ذبح القرابين عندها أو النذر لها على أنها تماثيل رجال صالحين كان لهم قرب من الله تعالى وشفاعة عنده فيحبون هذه الاعمال الاحترامية منهم فينفعونهم بشفاء مريض أو اغناء فقير وغير ذلك واذا حلفوا بأسمائهم كذباً أو اخلّوا في احترام تماثيلهم يغضبون فيضرونهم في أنفسهم وأولادهم وأموالهم

ونجد ان الله تعالى قال « فلا تدعوا مع الله أحداً » وأصل معنى الدعاء النداء ودعا الله ابتهل اليه بالسؤال واستعان به والدليل الكاشف لهذا المعنى هو قوله تعالى « بل اياه تدعون فيكشف ماتدعون » وكذلك أنزل الاستعانة به مقرونة بعبادته في قوله جلّت كلمته « اياك نعبد واياك نستعين »

وبما ذكر وغيره من الآيات البينات جعل الله هذه الاعمال لقريش شركاً به حتى صرح النبي صلى الله عليه وسلم في الحلف بغير الله انه شرك فقال « من حلف بغير

الله فقد كفر وأشرك » (١) وجعل الله القربان لغيره والاهلال والذبح على الانصاب شركاً وحرم تسييب السوائب والبحائر لما فيها من ذلك المعنى وكان المشركون يحجون لغير بيت الله بقصد زيارة محلات لأصنامهم يتوهمون ان الحلول فيها يكون تقرباً من الأصنام فنهى النبي عليه الصلاه والسلام أمته عن مثل ذلك فقال « لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى » (٢) فلا ريب اذن ان هذه الاعمال وأمثالها شرك أو مدرجة للشرك (مرحى)

فلينظر الآن هل فشا في الاسلام شيء من هذه الاعمال وأشباهها في الصورة أو الحكم ؟ ومن لاتأخذه في الله لومة لائم لايرى بدًّا من التصريح بان حالة السواد الأعظم من أهل القبلة في غير جزيرة العرب تشبه حالة المشركين من كل الوجوه وان الدين عندهم عاد غريباً كما بدا كشأن غيرهم من الأمم • فمنهم الذين استبدلوا بالاصنام القبور فبنوا عليها المساجد والمشاهد وأسرجوا لها السرج وأرخوا عليها الستور يطوفون حولها مقبلين مستلمين أركانها ويهتفون بأسماء سكانها في الشدائد ويذبحون عندها القرابين يُهلّ بها عمداً لغير الله وينذرون لها النذور ويشدون للحج اليها الرحال ويعلقون بسكانها الآمال يستنزلون الرحمة بذكرهم وعند قبورهم ويرجونهم بالحاح وخضوع ومراقبة وخشوع ان يتوسطوا لهم في قضاء الحاجات وقبول الدعوات وكل ذلك من الحب والتعظيم لغير الله (٣) والخوف والرجاء من سواه

ومنهم من استعاضوا عن ألواح التماثيل عند النصارى والمشركين بألواح فيها أسماء معظميهم مصدرة بالنداء تبركاً وذكراً ودعاء يعلقونها على الجدران في بيوتهم بل في مساجدهم أيضاً (٤) ويتوّجون بها الاعلام من نحو « ياعلي ، ياشاذلي ، يادسوقي ، يارفاعي ، يابهاء الدين النقشي ، ياجلال الدين الرومي ، يابكتاش ولي »

ومنهم ناس يجتمعون لأجل العبادة بذكر الله ذكراً مشوباً بانشاد المدائح لغلاة شعراء المتأخرين التي أهون مافيها الاطراء الذي نهانا عنه النبي عليه الصلاة والسلام

(١) المنار — الحديث رواه الترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما (٢) رواه أحمد والشيخان عن أبي هريرة ورووياه عن أبي سعيد ورواه أصحاب السنن وغيرهم (٣) أي من عبادة غيره (٤) كجوامع القسطنطينية وبلاد الترك • كذا في هامش الاصل ومثل بلاد الترك كثير من بلاد المسلمين

حتى لنفسه الشريفةفقال « لاتطروني كما أطرت اليهود والنصارى أنبياءهم » (١) وبانشادهم مقامات شيوخية تغالوا فيها في الاستغاثة بشيوخهم والاستمداد منهم بصيغ لو سمعها مشركو قريش لكفّروهم لأن أبلغ صيغة تلبية كانت لمشركي قريش قولهم « لبيك اللهم لبيك . لبيك لاشريك لك غيرشريك واحد تملكه وما ملك »(٢) وهذه أخف شركاً من المقامات الشيوخية التي يهدرون بها انشاداً بأصوات عالية مجتمعة وقلوب محترقة خاشعة كقولهم

عبد القادر ياجيلاني   ياذا الفضل والاحسان
صرت في خطب شديد   من احسانك لاتنساني

وقولهم

الآهم يارفاعي لي   أنا المحسوب أنا المنسوب
رفاعي لاتضيعني   أنا المحسوب أنا المنسوب

الى غير ذلك مما لايشك فيه شاك انه من صريح الاشراك الذي يأباه الدين الحنيف

ومنهم جماعة لم يرضو بالشرع المبين فابتدعوا أحكاماً في الدين سموها علم الباطن أو علم الحقيقة أو علم التصوف ، علماً لم يعرف شيئاً منه الصحابة والتابعون وأهل القرون الاولى المشهود لهم بالفضل في الدين ، علماً انتزعوا مسائله من تأويلات المتشابه من القرآن مع ان الله تعالى أمرنا ان نقول في المتشابه منه (آمنا به كلٌّ من عند ربنا) وقال تعالى (وما يعلم تأويله الا الله) وقال عز شأنه في حقهم (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره)وقال تعالى (فاستقم كما أمرت) وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة) وانتزع هؤلاء المداجون أيضاً بعض تلك المزيدات من مشكلات الأحاديث والآثار . ومما جاء عن النبي عليه السلام من قول على سبيل الحكاية أو عمل على سبيل العادة أي لم يكن ذلك منه عليه السلام على سبيل التشريع . أو من الاحاديث التي وضعها أساطينهم اغراباً في الدين لاجل جذب القلوب كهذا الحديث الذي ننقله بالمعنى وهو (يفتح بالقرآن على الناس حتى يقرأه المرأة والصبي والرجل فيقول الرجل

(١) لفظ الحديث « لاتطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم انما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله » رواه البخاري والترمذي فى الشمايل ولا أذكر غيرها الآن (٢) ينقل عنهم « الا شريكا هو لك تملكه وما ملك »

قد قرأت القرآن فلم أتبع لاقومن بهم فيه لعلي اتّبع فيقوم به فيهم فلا يتبع فيقول قد قرأت القرآن وقمت به فلم اتبع لأحتظرن من بيتي مسجداً لعلي اتبع فيحتظر من بيته مسجداً فلا يتبع فيقول قد قرأت القرآن وقمت به واحتظرت من بيتي مسجداً فلم أتبع والله لآتينهم بحديث لايجدونه في كتاب الله ولم يسمعوه عن رسول الله لعلي أتبع »

ومنهم فئة اخترعوا عبادات وقربات لم يأت بها الاسلام ولا عهدله بها الى أواخر القرن الرابع فكان الله تعالى ترك لنا ديننا ناقصاً فهم أكملوه ، أو كأن الله جل شأنه لم ينزل يوم حجة الوداع «اليومَ أكملتُ لكُمْ دينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عليكم نِعْمَتِي ورَضِيتُ لكم الإِسْلامَ دِيناً» أو كأن النبي عليه السلام لم يتم كما يزعمون تبليغ رسالته فهم أتموها لنا أو كتم شيئاً من الدين وأسَرَّ به الى بعض أصحابه وهم أبو بكر وعلي وبلال رضي الله عنهم وهؤلاء أسرّوا به الى غيرهم وهكذا تسلسل حتى وصل اليهم فأفشوه لمن أرادوا من المؤمنين تعالى الله ورسوله عمّا يأفكون . أليس من الكفر باجماع الامة اعتقاد أن النبي عليه السلام نقص التبليغ أو كتم أوأسرّ شيئاً من الدين «مرحي»

ومنهم جماعة اتخذوا دين الله لهواً ولعباً فجعلوا منه التغَنّي والرقص ونقر الدفوف ودق الطبول ولبس الأخضر والأحمر واللعب بالنار والسلاح والعقارب والحيات يخدعون بذلك البسطاء ويسترهبون الحمقى

ومنهم قوم يعتبرون البلادة صلاحاً والخبل خشوعاً والصرع وصولاً والهذيان عرفانا والجنون منتهى المراتب السبع للكمال

ومنهم خلفاء كهنة العرب يدعون علم الغيب بالاستخراج من الجفر والرمل أو أحكام النجوم أو الروحاني أو الزايرجه أو الابجديات أو بالنظر في المآء أوالسماء أو الودع أو باستخدام الجن والمَرَدَة الى غير ذلك من صنائع التدليس والإيهام والخزعبلات وليس العجب انتشار ذلك بين العامة الذين هم كالأنعام في كل الأمم والأقوام بل العجب دخول بعضه على كثير من الخواص وقليل من العلماء كأنه من عزيز الكمالات في دين الاسلام «مرحى»

فهذه حالات السواد الاعظم من الأمة وكلها إماشرك صراح أو مظنات إشراك حكمها في الحكمة الدينية حكم الشرك بلا إشكال وماجر الأمة الى هذه الحالات

الجاهلية وبالتعبير الاصح رجع بها الى الشرك الأول الا الميل الطبيعي للشرك كما سبق بيانه مع قلة علماء الدين وتهاون الموجودين فى الهدي والارشاد

نعم إن ردّ العامة عن ميلها أمر غير هين وقد شبه النبي عليه السلام معاناته الناس فيه بقوله « مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع فى النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فانا آخذ في حُجَزِكم عن النار وأنتم تَقَحَّمُون فيها » (١) وقد قال الله تعالى في العلماء المتهاونين عن الارشاد كيلا يقابلوا الناس بما لا يَهْوَوْن « إن الذين يَكْتُمون ما أَنْزَلَ اللهُ مِن الكتابِ ويَشْتَرُونَ به ثمناً قليلاً أولئكَ ما يأكلونَ في بُطونهم الا النارَ » وقال الرسول عليه الصلاة والسلام « لمّا وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » (٢) فالتبعة كل التبعة على العلماء الراشدين ولم يزل والحمد لله في القوس منزع ولم يستغرقنا بعد انتزاع العلماء بالكلية كما أنذرنا به النبي عليه السلام في قوله « ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً من الناس ولكن يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهلاء فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » (٣) ولا حول ولا قوة الا بالله

ثم قال : ولننتقل من بحث الشرك والإعراض عن ذكر الله الى بيان أسباب التشديد في الدين وحالة التشويش الواقع فيه المسلمون فأقول

(١) الحديث رواه أحمد ومسلم عن جابر بلفظ « مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها وهو يذبهن عنها . وأنا آخذ بحجزكم من النار وأنتم تفلّتون من يدي » . (٢) رواه الترمذي وقال حسن غريب (٣) رواه الشيخان وأصحاب السنن ما عدا ابا داود عن عبدالله بن عمرو ولفظ مسلم « ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » وفي البخاري « من العباد » بدل « من الناس » وقال « حتى اذا يبق عالم » كما هنا

باب التربية والتعليم

(*) الشذرة الخامسة من جريدة اراسم

الخط الديواني

انشأ « أميل » يخط بالقلم خطاً مناسباً لحاله ولكني في شك من جريه على قواعد الخط في شيء مما يكتب

كان الخط فيما مضى كأنه من صفات الكاتب الذاتية وكان يدل على حالة من أحواله سواء فيه الحسن والقبيح ولذلك وجد متوسمون يعتقدون انهم يقرأون في خط من لا يعرفونه من الناس ضروب استعداده النفسيّ ولا بدع في هذا فان كل أعمال الانسان منبعثة عن أخلاقه وسجاياه فلا شيء من الاستحالة ولا من البعد عن الحقيقة على ما أرى في أن يكون الخط وهو الأثر الدقيق المثبت لصنوف الوجدان وأنواع المعاني على الورق سمة من سمات النفس وأمارة من أمارات الطبع . يشهد لذلك ان كثيراً من الذين خطوطهم بين أيدينا قد غيروا في حياتهم طريقتهم في صوغ حروفهم عدة مرات فلا يمكن أن يكون هذا التغيير الذي يحق لنا المراهنة على حصوله بغير شعور منهم أجنبياً عن بعض استحالات حصلت في عقولهم . ومن الامور التي اعتقد الباحثون في هذه المسألة انهم تنبهوا اليها ولاحظوها ان أقرب أطوار الكاتب الى الفطرة هو ذلك الطور الذي يكون فيه خطه موسوماً باقرب السمات اليها أيضاً

اخترع الناس في هذه الايام للخط طرقاً لا شك ان لها مزية في تهذيبه وتقويم يد الكاتب ولكنها متى انتشرت وعم استعمالها اتحدت الخطوط وتشابهت فلم يبق بينها فروق تميز بعضها من بعض فنحن في هذا القرن قرن السكك الحديدية والاقلام الحديدية نسارع كلنا الى تحقيق الوحدة في كل شئ

لو ان هذا الميل الى الصناعة اقتصر على أمارات الفكر وقوالب المعاني لكان الخطب هيناً ولكنه لم يقف عندها بل تعداها الى الفكر نفسه

أنا على يقين من وفرة علومنا ومعارفنا فليست هي التي تعوزنا اذ قد وجدت

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر

طرق سهلة صيرت مبادئ العلم وآداب اللغة والفنون الجميلة قريبة المتناول لجميع الناس وكل يوم يتحدث الناس بانتشار أنوار العرفان بيننا وهو أمرٌ انا بعيد عن المنازعة في جلالة خطره وعظم شأنه ولكني لا أرى عليّ حرجاً ان سألت نفسى هذه الاسئلة وهي : هل ارتفع عقل الانسان في هذا القرن الى مدارك اسمى مما بلغه فى القرن الثامن عشر ؟ هل حصل له من قوة النفس والانبعاث الذاتي الى العمل والاخلاق الممتازة التي تجلى في صورة مجتمعه المظلمة والاعمال البديعة أكثر مما كان له في ذلك القرن ؟ هل ارتفعت قوة الادراك مع انتشار تساوي الناس فيها كل يوم ؟

وأسفي اني التفت حولي فيعروني الذهول ويملكني الدهش لما أراه من غلبة الاوساط فى العقل وكثرتهم وأسمع الناس يرددون القول بأن العقل والاستعداد قد شاعا في هذه الايام حتى عمّا السابلة والغوغاء ولو انهم قالوا ان كل واحد أصبح فيه عقل غيره واستعداده لكان هذا القول أصح وأقرب الى الصواب . نعم ان قرننا قد وصل الى طريقة بديعة في الاكثار من الدواليب والآلات المحاكية للفكر وقامت المهارة في الفنون مقام الاستعداد الفطري والعزيمة وأزهق التكلف في آداب اللغة روح الإلهام والسليقة واستنزلت الدسيسة والخداع فى مجرى الحياة وشؤنها الفضلَ والجدارة عن عرشهما وحلا محلهما فترانا الآن منحدرين على طريق مستقيم عام الى محو ضروب الفضل والرجحان فى العقل والخلق محواً تاماً فعليك أيها الانسان من الآن أن تقنع بان تكون كجميع الناس .

ولا شك ان هذه الحالة التي عليها العقول الآن ترجع الى أسباب كثيرة ليس من غرضى استقصاؤها هنا منها نظام معيشتنا وفقدان الحرية السياسية عندنا واهتمامنا المتزايد بالمصالح المادية ومنها امر لا يسعني اغفاله والا استحققت اللوم وهو ان التربية بالحالة التي هى عليها اليوم اقرب الى ستر عيوب الاطفال واخفاء مواضع الضعف فيهم ببعض طرق التعليم السريعة التي تكاد تكون آلة محضة . اقول انها أقرب الى ذلك منها الى قصد اكتشاف ملكاتهم وقواهم النفسية وتنميتها فترى القائمين على التعليم عوضاً عن تفهيمهم ان الغرض من مجاهداتهم وكدحهم فى التعلم انما هو نيل الفخر بان يكونوا عمالا نافعين – يجعلون غايتهم الارتقاء الى المناصب ونيل الغنى ويقتضون منهم أن يبلغوا اليها وهم بذلك يبكرون بحمل الاحداث على أن يتبينوا ان المواضعة والصنعة هما أقرب طرق النجاح وأحسن وسائل الفلاح . اهـ

الشذرة السادسة

(مذهب تشغيل المتعلمين بالاعمال المادية الشاقة)

توجد فى بعض المدارس بانكلترا عادة قديمة يدهش منها الاجانب كثيراً ذلك ان التلامذة – فيما يوجد منها بمدينتي راتون وهارو وهي التى يدخلها أبناء السراة غالباً – يخدم بعضهم بعضاً وليس أمر الخادمية والمخدومية فيها متعلقاً بمكانة التلميذ في قومه ولا بغنى أهله أو فقرهم بل بالاقدمية وبعض الدرجات المدرسية فيجوز أن يلزم الطفل الغنيّ السريّ بتنفيض ثياب الطفل الفقير الوضيع وتأدية مطالبه وتنظيف غرفته وايقاد ناره وتسوية طعامه وحمل كتبه اليه فى قاعة الدرس فيقع الإلزام بالخدمة على من تجعلهم المدرسة فى الدرجات الدنيا من أقسامها .

والذي استهجنه من هذه العادة هو مايكون بين التلميذين الخادم والمخدوم من رابطة التابعية الذاتية فان الاقدمين من التلامذة يسيرون أحياناً مع من يعتبرونهم خدماً لهم من اخوانهم سيرة في غاية القسوة حتى انه ليقع منهم في حقهم مانقرأه في قصص موليير (١) المضحكة من الشتائم وضربات الأكف وجميع ضروب سوء المعاملة التي كانت تقع من صغار الموالي على خدمهم بارجلهم وأيديهم الخفيفة الحركة ، اولئك الخدم الصغار الذين كانوا بالامس أرقاء صُبُراً على الذل مستسلمين للجور يصيرون في الغد سادة قساة متجبرين وهكذا شأن الدنيا وبمثل هذا تنتقل جميع أنواع العتو والطغيان من سلف الى خلف .

لا أرى فيما عدا هذا العيب شيئاً فى هذه الطريقة فانه لا ضرر مطلقاً في أن يقوم بخدمة المدرسة التلامذة أنفسهم . ولقد عرفت فيما مضى مدرسة كان يديرها رجل وافر العقل عالي الفكر اختار هذا المذهب وتيسر له أن يجني منه فوائد كبرى في تربية الناشئين ذلك انه عهد بمعظم اعمال مدرسته الى جماعات من الغلمان واليافعين منقسمين الى طوائف على حسب مقتضيات أذواقهم وضروب ميلهم الفطري لانهم كانوا في هذه الاعمال مختارين متطوعين فكان الواحد منهم اما لباداً او كناساً أو وقاداً للمصابيح أو موقظاً لاخوانه في الصباح أو منظماً لقاعة الدرس وكانو يتناوبون خدمة

(١) موليير هو أكبر واحد شاعر قصصي فرنساوي ولد في باريس سنة ١٦٢٢ ومات في سنة ١٦٧٣ مسيحية

المائدة وكانت الاعمال المسخرة التى تقتضي أكثر من غيرها اخلاصاً أجل من غيرها أيضاً في نظر التلامذة لان رئيس المدرسة كان يتظاهر بتمييزها عن غيرها بما كان يوزعه من شارات الشرف على من كان يدعوهم إقدامهم الى مباشرتها • وليتك زرت هذا المكان حتي كنت تشاهد مقدار التحمس المفرح الذي يبديه كل تلميذ في القيام بعمله الذي كأنه فرض اختياري أوجبه على نفسه • كان من مزايا هذه الخدمة البيتية للتلامذة انها كانت تسلية لهم من عناء الدروس لانه كان من رأي رئيسهم أن في المراوحة بين الاعمال استراحة من مشقتها وكان من غرضه فوق ذلك ان يلقي في نفوسهم معنى احترام جميع الوظائف وكل فروع العمل اليدوي فان الانسان لايحتقر من غيره مايباشره هو بنفسه •

اني لتعرض لى في بعض الاحيان أحوال تحماني على اعتقاد أن ماندعيه من حب المساواة ليس الا رياء ونفاقاً لأني أرى من لا تفتر السنتهم عن اللهج بهذه الدعوى لايجرون على مقتضاها في أعمالهم فالطفل الذى يرى في المدارس أو البيوت اناساً استؤجروا لخدمته يستنتج من ذلك طبعاً ان الاعمال الشاقة أو الكريهة هي من حظ الطبقة السفلى من قومه ولا يفيده في محو هذا الاعتقاد من نفسه أن تحدثه في المستقبل عن ضرورة تقسيم العمل بين الناس او عن غير ذلك من المسائل النظرية الكثيرة فانه يعلم كال العلم ان ليس للخدم أن يأكلوا على موائد سادتهم ولما كان يتوسم في والديه انهما يعدانه لان يكون من العلماء ويكفيانه بذلك مؤنة الاشتغال ببعض الاعمال التي من شأنها أن توسخ يديه أو تقذر وجهه • كان رأيه في هذه الاعمال لابد أن ينتقل الى من يقارفونها من الناس فيحكم عليهم بحكمه عليها وبذلك لايكون الا كثير الانسياق الى احتقار جميع الصناع والزراية عليهم •

صممت أنا وهيلانة على تكليف « أميل » بعمل كل مايلزم لفراشه وهجرته وثيابه ولا أكره مطلقاً أن أراه يمسح نعليه ويسوي عند الحاجه طعامه فان الفائدة التي تعود عليه من ذلك ليست قاصرة على كونه يتعلم عدم امتهان من يكسبون قوتهم بمثل هذه الاعمال بل ان فيه أيضاً تنمية لحريته الشخصية بتعويده على الاستغناء عن مساعدة غيره فالاسير المسكين من يعجز عن خدمة نفسه • اه

الاحتفال السنوى بمدرسة الجمعية الخيرية وخطبة المفتي

في أصيل يوم الجمعة ٢١ ربيع الاول احتفل في قبة الغوري الاحتفال السنوي المعتاد بمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية في القاهرة وقد أجاب دعوة رئيس الجمعية الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصريه الجم الغفير من الفضلاء والوجهاء فحضروا الاحتفال : ابتدأ أحد التلامذة بترتيل آيات من سورة الفتح ثم ارتقى أحد التلامذة الدكة التي يختبر عليها التلامذة فاعطيَ كتاباً ففتحه وقرأ فيه جملة صالحة قراءة صحيحة فسأله الرئيس بيان معناها فبينه : ثم اختبر آخرون بالاعراب وبالحساب وبرسم خريطة أفريقيا وبالتاريخ الطبيعي ككيفية الدورة الدموية وقرأ بعضهم مقالات محفوظة في فوائد الصوم وفوائد التربية وغير ذلك فأحسنوا جميعاً وصفق لهم النادي مرات متعددة . وأنكر الاستاذ الشنقيطي التصفيق على القوم أنه بدعة فتركه بعضهم وأصر عليه الاكثرون لان بعضهم يراه من العادات المباحة التي اقترن بها تنشيط التلامذة وادخال السرور على قلوبهم وبعضهم لم يصل اليه الانكار . وكان لرئيس كعادته يناقش كل تلميذ فيما يقول ويطالب منه التعبير عما قاله حفظاً بعبارة اعرفية . ثم وزع الجوائز وهي على ماذكرنا في السنة الماضية قسمان أحدهما ريع المال الذي جمع لاقامة تذكار لعلي باشا مبارك لخدمته المعارف في مصر والثانية تبرع الاستاذ الشيخ عبد الرحيم الدمرداش فهذا وزع على نفر من الناجحين في المدرسة . وأما الاول فاستقر الرأي على أن يشترى به كل عام كتب نافعة تعطي للتلميذين اللذين يفوقان سائر التلامذة ممن أتموا المدة بشرط أن يشتغلا بعد المدرسة بتعلم صنعة من الصنائع وكذلك كان . وبعد ختم الاحتفال بترتيل أحد التلامذة آيات من الكتاب العزيز وقف رئيس الجمعية فشكر للحاضرين سعيهم في الخير لمشاهدة اولاد الفقراء المتعلمين ثم قال مامعناه ملخصاً :

لابد أن يكون بعض الحاضرين ممن يشتغلون بعلم التربية ينتقد علينا شيئاً انا أوافقهم على انتقاده قبل أن أذكره وأجيب عنه وهو أن يحفظ التلامذة مقالات في الدين والآداب كالذي سمع منهم الآن فيها من الحكم والمعاني العالية مالاترتقي عقولهم الى الاحاطة به وماتعجز ألسنتهم عن بيانه بغير العبارة المحفوظة • أعيد القول بأن هذا الانتقاد صحيح وأن حشو الاذهان بحفظ مالا يفهم يفسدها ويذهب باستعداد العلم منها. ومدارس الجمعية تهتم

بهذا الامر فنحن نؤكد دائماً على المعلمين أن لا يعلموا التلامذة كلاماً لا يفهمونه والعمل على هذا والتفتيش من ورائه لتحقيقه

وأما ما سمعتم فقد جاء من باب الاستثناء لغرض صحيح يوافقنا عليه المنتقدون بادي الرأي . ذلك ان التلميذ يخرج من مدارسنا الى العمل غالباً ولا ثقة لنا بأنه يسمع في خطب المساجد ولا في دروسها شيئاً من حكم الدين وأسراره التي تبعث النفوس على العمل بأحكامه كالذي سمعتم من حكم الصوم . وكذلك لا نرجو أن يجد معهداً من معاهد العلم يسمع فيه شيئاً من مباحث التربية وعلم الاجتماع والآداب العالية بالأولى فرأينا أن يحفظ كل تلميذ بعض مقالات في هذه المقاصد يجتهد في إفهامه معانيها بالجملة كما يقتضيه سنه ويوكل الفهم التفصيلي الى حوادث الزمان وارتقاء الفكر فيها فهذه المحفوظات القليلة المفيدة ذخر للتلميذ في مستقبله وهي كبذرة وضعت في أرض صالحة يتعاهدها الزمان بالسقي والتغذية حتى تثمر الثمرة الصالحة ان شاء الله تعالى

اذا أجلتم النظر في أحوال المسلمين ترون ان ترك تعليم الدين على هذا الوجه من بيان فوائده وحكمه وغرسها في النفوس (وهو الفقه الحقيقي في الدين) قد أدى الى تركه من بعض المسلمين والاتيان به على غير وجهه من بعض آخر . ولنضرب المثل بفريضة الزكاة التي حفظ تلامذتنا مقالة في فوائدها في العام الماضي كما يذكر من حضر احتفاله وفريضة الصوم التي سمعتم فوائدها وهي التي تلي الزكاة في الترتيب

الزكاة ركن من أركان الاسلام وبذل المال في اقامة هذا الركن يفضل غيره من أنواع البذل ولذلك قرنت الزكاة بالصلاة في القرآن في أكثر المواضع وقد جعل الله انفاق المال في سبيله آية الايمان ، وجعل تركه علامة النفاق والكفران ، وقاتل الخليفة الأول بموافقة الصحابة كلهم رضي الله عنهم مانعي الزكاة . ومع هذا كله نرى المسلمين قد هدموا هذا الركن ونسوه حتى كأنه ليس من الدين بالمرة . وأطال الاستاذ الكلام في الزكاة وفي مضرة تركها ثم انتقل الى الصوم وبين أن بعض المسلمين تركوه وان الذين يصومون لا يؤدون هذه الفريضة على الوجه الذي أراده تعالى بقوله « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » وأوضح هذا بذكر ما عليه الناس . ثم انتقل الى الكلام في تعليم مدارس الجمعية فقال

ان مدارس الجمعية وضعت لتعليم أولا الفقراء ما لا بد منه لكل انسان وهو أن يحسن القراءة بلغة أمته ويعرف ما يجب عليه من أحكام دينه ويتربى عليه عملا والحساب

والتاريخ وتقويم البلدان وطرفاً من مبادئ التاريخ الطبيعي وحفظ الصحة وأدب المعاشرة . ولا بد عندنا من تعليم هذه الاشياء على وجه مفهوم في مدة أربع سنين وسن التلميذ لا يتجاوز الخمس عشرة سنة . وليس عندنا لغة أجنبية لاننا لا نعد التلامذة للوظائف والشهادات وإنما نعدهم للعمل بالحرف والصنائع وما ذكرنا من التعليم لا يستغنى عنه صانع ولا زارع

قال : كنت أحب أن يكون هذا التعليم عامًّا في البلاد ومنبثًّا في جميع الطبقات ثم يتسنى بعده لكل طبقة أن تتناول من العلوم والفنون واللغات في المدارس الثانوية والعالية ما هي مستعدة له . ولكن المانع للمشتغلين بالتعليم والتعلم من التوجه الى سلوك هذه الطريقة أمران — أحدهما ان رغبة الناس منصرفة الى جعل التعليم ذريعة لاخذ الشهادة لأنها شرط للاستخدام في الحكومة والسبب في رغبة الناس في خدمة الحكومة هو ان الناس لعدم ثقتهم بأنفسهم ولجهلهم بطرق الكسب الواسعة وضعف هممهم عن سلوكها يود كل واحد منهم أن يكون له مورد من الرزق مضمون يعتمد عليه وان كان وشلاً آسناً فاذا استخدم بمائة وخمسين قرشاً ولو في أعلى الصعيد أو السودان ينام آمناً مطمئناً ويلقي هم الدنيا وراء ظهره الا اذا تيسر له السعي في شفاعة تزيد في راتبه أو ينتقل بها الى مكان غير مكانه . ولو استعمل مواهبه التي منحه الله اياها وكدح في طلب الرزق من طرقه الواسعة لاسيما التجارة لجاز أن يكون من أهل الثراء الواسع وشنع الخطيب ما شاء على أصحاب هذه النفوس الخاملة الصغيرة ثم انتقل الى بيان السبب الآخر في عدم التوجه الى التعليم النافع فقال :

أما ثاني السببين فداؤه اقتل ، وعلاجه أعسر ، أتدرون ماهو ؟ هو قلة المعلمين والمربين فاننا نحتاج في التعليم الابتدائي الى من يبدئ التلميذ في السنة الاولى بألف با فلا تنتهي السنة الرابعة ألا وهو يقرأ ويكتب ويعرف ما ذكرناه آنفاً وعُرض عليكم نموذجه . والذين يحسنون هذا النوع من التعليم قليلون . وقد عزمنا على تجديد مدرسة للجمعية ولكننا عند المذاكرة فيها كنا نشكو من قلة المعلمين . إننا نحتاج معلماً لاحدى مدارسنا فنعلن ذلك في الجرائد فيجيئنا الراغبون بالعشرات فنمتحنهم ونختار من نراه الأمثل وان لم يكن على حسب الرغبة تماماً ثم يمرن على طريقتنا في المدرسة مع طول التنبيه والتفتيش ومثل هؤلاء يجدر بنا أن نسميهم معلمي الضرورة

قال : ذكرت هذا لأوجه نفوس العلماء والوجهاء الى تلافي هذا الخطب ومداواة هذه العلة التي هي أم العلل وذلك بإنشاء مدرسة لتخريج المعلمين ولا بد في هذا من سعي العلماء ومساعدة الأغنياء • ثم شكر للحاضرين سعيهم فانصرفوا شاكرين • أقول كتبت بعد أيام من الاحتفال في إثر انحراف في الصحة فان نقصت من فوائد الخطاب ففي غير الفوائد الأصلية وان زدت فربما كان كلمة في معنى الكلام تزيد في ايضاحه

باب الاخبار والآراء

تتمة سيرة الكواكبي

وكان أول عمل عمله في ادارة مجلس البلدية هو قطع عرق الرشوة من العمال الذين يباشرون الأعمال والمصالح ويسمون (الجاويشية) ولكنه زاد في راتبهم لعلمه بأن الذي يضطر أكثر العمال الى الرشوة هو قلة الراتب . وكان من ظلم الوالي بعد عزل الفقيد من رياسة البلدية ان أرجع راتب الجاويشية كما كان وألزم صاحب الترجمة بدفع ما كان زاده لهم في مدته الى صندوق البلدية كما ألزمه بدفع ما أنفق على سلاسل الحديد التي منع بها الجمال من طرق المدينة لأن الوالي أمر بازالتها عقيب عزله ثم عاد فأمر باعادتها بعد زمن قريب ولكنه لم يعد الى الفقيد الغرامة التي ظلمه بها

ولما عين رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية كانت المحكمة في أسوإ الاحوال في الصورة والمعنى فكان ينفق على اصلاحها من جيبه حتى انه استحضر لها السجوف والاستار من بيته ومنع اختلاط النساء بالرجال اذ جعل لكل مكانا ينتظر فيه دوره للتقاضي ورتب الاوقات ونظم الدفاتر ...

وكان صاحب عزيمة قوية لايهاب حاكما ولا يخاف ظالماً وعزيمته هي التي جنت عليه فقد كان نجح في عمله عند ماعين مديراً ومفتشاً لمصلحة حصر الدخان كما تقدم في السيرة الرسمية حتى وقع النزاع بينه وبين عارف باشا والي حلب يومئذ فبطل العمل. عمل الفقيد في ضبط هذه المصلحة ماعجزت عنه ادارتها العمومية والحكومة جميعاً حتى كانت تخسر في ولاية حلب دون سائر بلاد الدولة . وكان المشتغلون بتهريب الدخان البلدي وبيعه في حلب سبعمائة رجل فعين لهم رواتب شهرية ومنعهم من التهريب بحكمة عجيبة • وسيأتي مجمل خبره في عداء الوالي عند الكلام على بعض الصعوبات التي لقيها في طريقه

كانت مدة الاتفاق الاول مع مصلحة حصر الدخان ثلاث سنين فانفصل من ادارة العمل والتفتيش بعد سنتين بالسبب الذي ألمعنا اليه ولثقة الفقيد بنفسه واقتداره على العمل ذهب الى الاستانة بعد عزل عارف باشا من ولاية حلب فعقد اتفاقاً آخر مع المصلحة والحكومة مدته عشر سنين وكان أراد أن يضم الى ولاية حلب ومتصرفية الزور ولايتي بيروت وسورية فلم يرض له ذلك من استشاره من الاقربين فرجع عنه • وقد نجح أيضاً في المرة الثانية ولكن حدثت بعد أربع سنين الفتنة الارمنية فنهب الارمن الدخان من عدة بلاد وقتلوا موظفي المصلحة فكان الفقيد يخسر في الشهر بضعة عشر الفاً من الليرات فتوسل بذلك الى الاستانة بحل العقد وابطال الإتفاق فتم له ذلك بعد عناء وخسارة عظيمة ولإخلاصه بحب المصلحة العامة كانت أكثر وظائفه فخرية أي بغير راتب كما عرف من الترجمة الرسمية ونزيد على هذا انه كان يبذل شيئاً من ماله فوق ما يأخذه من راتب بعض الوظائف لأجل ترقية العمل وإتقانه وهذا خلق لم يعرفه الشرق في هذا العصر

مشروعاته طلب من الحكومة عدة امتيازات بأعمال عظيمة لم تكن تخطر لأهل بلاده على بال • (منها) إنشاء مرفأ في السويدية وطريق حديدي منها الى حلب • و (منها) جلب نهر الساجور الى حلب لأن ماء المدينة قليل ولو تم هذا العمل لأحييت به أرض واسعة فكانت جنات وحدائق • (ومنها) ان عينا خوارة في سفح جبل بين أرمناز وأدلب قد أغرقت أمواهها تلك الأرض فجعلتها مستنقعات تضر الناس ولا يأوي الى غاباتها الا الخنزير البري فذهب الفقيد اليها واختبر حال الأرض والعين اختباراً هندسياً زراعياً فعلم انه يمكن جر مائها الى ادلب القليلة الماء وتجفيف تلك المستنقعات فتصير نافعة وتحيا أرض ادلب ويحيا أهلها فطلب بذلك امتيازاً • و (منها) إنارة حلب وبيره جك ومرعش واورفه بالكهربائية بواسطة شلال يحدثه من نهر العاصي في محل اسمه المضيق بالقرب من دركوش تابع لجسر الشغر وكان اختبر المكان اختباراً هندسياً فعلم أن احداث الشلال فيه ممكن • (ومنها) استخراج معدن نحاس من ارغنه التابعة لولاية حلب • وقد حال دون اعطاء بعض هذه الامتيازات مايحول دون كل مصلحة عامة يطلبها الوطنيون كالرشوة ونحوها • وقد كان أعطي امتياز استخراج النحاس واشتغل به ثلاث سنين ونيف وبعد ذلك ارادت حكومة الولاية ابطاله لأمر ما فادخلت مع الفقيد في العمل بعض الأجانب وتوسلت بذلك الى ابطاله

خدمته للناس وللحكومة : كان اتخذ له مكاناً بين داره ودار الحكومة سماه المركز

يأوي اليه فيه وكلاء الدعاوى البارعون فكان يؤمه أصحاب الحاجات والقضايا يستشيرون صاحب الترجمة في حل عقد المشكلات ؛ ويستضيئون برأيه في دياجير المهمات ، وكان في الغالب يفصل بينهم بالتراضي، ويغنيهم عن المحاكمة والتقاضي ، فان احتيج في قضية الى الحكومة ينتدب لها من يراه أهلا لها من الوكلاء المحامين وان كانت عظيمة الشأن ينتدب نفسه ويحاكم المبطل حتى يحق الحق لصاحبه • وقد كان قصاد ذلك المركز يكادون يزيدون على قصاد دار الحكومة . وكانت الحكومة نفسها تستشيره في الشؤن الغامضة وتعتمد على رأيه

مقاومة الحكام له : ورث الفقيد عن سلفه السادة الامراء علوّ الهمة وقوة العزيمة وعدم المبالاة بالأخطار فهو من سلالة السيد ابراهيم الصفوي الأردبيلي المهاجر الى حلب وما حديث الصفوية في الامارة بمجهول . بهذا كان رحمه الله تعالى لا يهاب الحكام ولا يداريهم مع أن حكومتهم في الحقيقة استبدادية • وهـذا هو الذي أحبط أعماله في بلده وذهب بثروته • غاضب عارف باشا أحد ولاة حلب فاغرى بعض الناس بأن يكتب الى الاستانة شاكياً من سيئات الوالي شارحاً لها فعلم الوالي بذلك فعمل مكيدة لحبس الفقيد وضبط أوراقه وزور عليه ورقة سمّاها (لائحة تسليم ولاية حلب الى دولة أجنبية) وطلب محاكمته عليها وحكم القانون في هذه الجريمة الاعدام ولكنهم غلطوا في معاملته بالحبس وطلب الاستنطاق غلطاً قانونياً ماكان ليخفى على الفقيد فكتب الى الاستانة كتابة مطولة يظهر فيها أن خروج حكومة الولاية عن حدود القانون هو من دلائل تحاملها عليه وتحريها ظلامه وطلب أن يحاكم في ولاية أخرى فاجيب طلبه وحوكم في بيروت فحكم ببراءته ومازال يتبع الوالي حتى عزل بعد عودته الى حلب وكان هو أول من بشره بالعزل بواسـطة قاضي الولاية ثم انه أخرجه من حلب باهانة عظيمة لأنه أوعز الى اصناف الفقراء الذين كانوا يسمون الفقيد أباهم لنصرته اياهم فاجتمعوا عند داره بهيئات غريبة فترك أهله وخرج كالهارب وسافر الى الاستانة وتبعه الفقيد ليحاكمه ولكنه لم يكد يصل اليها حتى مات قهراً

وكان الشيخ أبو الهدى أفندي الشهير من اعدائه ويقـال ان السبب الأول في ذلك إباء الفقيد ان يصدق على نسب الشيخ أبي الهدى هذا وان الشيخ أبا الهدى صار نقيب أشراف حلب وكانت هـذه النقابة من قبل في آل الكواكبي . ومن آداب الفقيد العالية انه كان هنا يثني على صفات الشيخ أبي الهدى الحسنة كالمروءة والكرم والذكاء والثبات وقلما كان يخوض بانتقاده الا مع الخواص الذين يعرفون الحقائق فكانت عداوتهما عداوة العقلاء

خسر الفقيد بتلك المحاكمة ألوفاً من الجنيهات وخسر أضعافها بادارة شركة انحصار الدخان للمرة الثانية أيضاً لان الحكومة مكلفة بحفظ أماكن الشركة فلما حدثت فتنة الأرمن امتنع الوالي عن ارسال العساكر لمنع نهب الأرمن مال الشركة . وخسر بعدم مداراة الحكام غير ذلك من المزارع والارض (منها) مزرعة (جفتلك) جميل باشا الوالي التي اشتراها منه الفقيد فاعتدى عليها زعماء التركمان باغراء خفي حتى أخذوها • و (منها) مزرعة (جفتلك) كانت مستنقعات تابعة للاراضي الأميرية فالف لها شركة وأخذها من الحكومة وجففها فاغرى المغرون بعض عشائر الاكراد بالتعدي على حصته خاصة فحاكمهم فحكم لهم عليه بالمساعدة الخفية • وفي أثر ذلك سافر مهاجراً الى مصر

سياسته ورأيه في الاصلاح لم يكن الفقيد في اشتغاله بخدمة بيته وبلده وحكومته غافلا عن شؤن المسلمين العامة فقد كان يقرأ الجرائد التركية والمصرية حتى الممنوعة التي كانت تدخل الى حلب كغيرها بوسائط خفية . ولما هاجر الى مصر كان أول أثر له فيها طبع سجل جمعية أم القرى وكان يقول ان لهذه الجمعية أصلا وانه هو توسع في السجل ونقحه ست مرات آخرها عند طبعه منذ سنتين ونيف أي عقيب قدومه الى مصر . وقد قال لنا مرة ان الانسان يتجرأ أن يقول ويكتب في بلاد الحرية مالا يتجرأ عليه في بلاد الاستبداد بل ان بلاد الحرية تولّد في الذهن من الأفكار والآراء مالا يتولد في غيرها • ومن يقرأ الكتاب يظن ان صاحبه صرف معظم عمره في البحث عن أحوال المسلمين وتاريخهم في عقائدهم وعلومهم وآدابهم وتقاليدهم وعاداتهم ومنه يعلم رأي الفقيد في الاصلاح وقد كنا معه على وفاق في أكثر مسائل الاصلاح حتى ان صاحب الدولة مختار باشا الغازي اتهمنا بتأليف الكتاب عندما اطلع عليه وربما نشير الى المسائل التي خالفنا الفقيد فيها في هامش الكتاب عند طبعه وأهمها الفصل بين السلطتين الدينية والسياسية •

أما آراؤه ومعارفه السياسية فحسبنا منها كتاب طبائع الاستبداد الذي يكاد يكون معجزة للكتاب السياسيين • وقد زعم زاعمون ان معظم مافي هذا الكتاب مقتبس من كتاب لفيلسوف ايطالي في الظلم • ومن كان له عقل يميز بين أحوال الافرنج الاجتماعية وأحوالنا وذوقهم في العلم وذوقنا يعلم ان هذا الوضع وضع حكيم شرقي يقتبس علم الاجتماع والسياسة من حالة بلاده حتى كأنه يصورها تصويراً • واذا لاحظ مع ذلك ان هذا الكتاب كان مقالات مختصرة نشرت في المؤيد ثم مدها صاحبها مدّ الأديم العكاظي وزاد فيها فكانت كتاباً حافلا يتجلى له علمه الاول بصورة أوضح وأجلى

واذا علم بعد هذا كله انه نقحه بعد الطبع فحذف منه قليلا وزاد فيه كثيراً يعلم علم اليقين ان ينبوع علم هذا الرجل صدره وأنه كان يزداد فى كل يوم فيضاناً وتفجيرا • نعم انه قال فى مقدمته ان بعضه مما درسه ، وبعضه مما اقتبسه ، واننا نعلم انه لم يولد إنسان عالما ولكن فرقا عظيما بين من يحكي كلام كغيره كآلة (الفونغراف) وبين من يحكم عقله في علوم الناس فيأخذ ماصح عنده وينبذ مالايصح • من كان له مثل هذا العقل الحاكم في كليات العلوم فهو الفيلسوف ان كان اجتهاده هذا في العلوم العقلية والكونية وهو الامام ان كان اجتهاده في العلوم الدينية

وجهته الاخيرة : وجه همته أخيراً الى التوسع في معرفة حال المسلمين ليسعى فى الإصلاح على بصيرة فبعد اختباره التام لبلاد الدولة العلية تركها وعربها وأكرادها وأرمنها ثم اختباره لمصر ومعرفة حال السودان منها ساح منذ سنتين في سواحل افريقية الشرقية وسواحل أسيا الغربية ثم أتم سياحته في العام الماضي فاختبر بلاد العرب التي كانت موضع أمله أتم الاختبار فانه دخلها من سواحل المحيط الهندي وما زال يوغل فيها حتى دخل في بلاد سوريا واجتمع بالامراء وشيوخ القبائل وعرف استعدادهم الحربي والأدبي وعرف حاله البلاد الزاعية وعرف كثيراً من معادنها حتى انه استحضر نموذجا منها • وقد انتهى في رحلته الاخيرة الى كراجي « من مواني الهند » وسخر الله له في عودته سفينة حربية ايطالية حملته بتوصية من وكيل ايطاليا السياسي في مسقط فطافت به سواحل بلاد العرب وسواحل افريقيا الشرقية فتيسر له بذلك اختبار هذه البلاد اختباراً سبق به الافرنج • وكان في نفسه رحلة أخرى يتم بها اختباره للمسلمين وهي الرحلة الى بلاد الغرب ولكن حالت دونه المنية التي تحول دون كل الاماني والعزائم

أرأيت رجلا كريم الاصل ، كبير العقل ، تربّى أحسن تربية وتعلم أحسن تعليم ودخل في الأعمال المختلفة وتصدى للمشروعات المتعددة وكتب في أدق المسائل أحسن الكتابة وساح في البلاد ، واختبر أحوال الامم ، حتى بلغ أشده واستوى كيف يكون حاله وماهي درجة استعداده ؟؟ هذا هو صديقنا الذي فقدناه بالامس ، فكأنما فقدنا به الشمس ، ومثل تلك الآمال الكبيرة ، لاتبلغ الا بمساعدة الحكومة أو سعة المال أو الجمعيات وقد كان له أمل في مصر وأميرها أراه الاختبار خلافه • ولقد كان لموته تأثير كبير في الفضلاء والعقلاء وقد نعي الى الجناب الخديوى في صبيحة الليلة التي مات فيها فأمر بأن يجهز على نفقة سموه وان يعجل بدفنه فكان ذلك • فرحم الله فقيدنا وأحسن عزاء الاسلام والشرق فيه

الجزء الثامن المجلد الخامس

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر في يوم الثلاثاء ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢٠ — ٢٢ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٢ ﴾

القسم الديني

﴿ باب تفسير القرآن الحكيم ﴾

(مقتبس مما يلقيه في الازهر مولانا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصريه)

يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ • وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ • وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ • وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ

لا يزال الكلام في الكتاب وكونه لا ريب فيه وبيان أحوال الناس وأصنافهم في أمره وقد قلنا ان التفنن في مسائل مختلفة منتظمة في سلك موضوع واحد هو من أنواع بلاغة القرآن وخصائصه المدهشة التي لم تسبق لبليغ ولن يبلغ شأوه فيها بليغ — ذكر الكتاب وانه لا ريب

فيه . ثم ذكر اختلاف الناس فيه فابتدأ بالمؤمنين وثنى بالكافرين وثلث بالمنافقين . ثم ضرب الأمثال لفرق الصنف الثالث . ثم طالب الناس كلهم بعبادته . ثم أقام البرهان على كون الكتاب منزّلا من الله على عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وتحدى المرتابين بما اعجزهم ثم حذّر وانذر وبشر ووعد . ثم ذكر المثل والقدوة وهو الرسول وذكر اختلاف الناس فيه كما ذكر اختلافهم في الكتاب . ثم حاجّ الكافرين ، وجاءهم بانصع البراهين ، وهو احياؤهم مرتين وإماتتهم مرتين وخلق السموات والارض لمنافعهم . ثم ذكر خلق الانسان وبين أطواره — ثم طفق يخاطب الامم والشعوب الموجودة في البلاد التي ظهرت فيها النبوة تفصيلاً فبدأ في هذه الآيات بذكر اليهود للمعنى الذي نذكره . والكلام لم يخرج بهذا التنويع عن انتظامه في سلكه ، وأحسن اتساقه في سبكه ، فهو دائر على محور واحد وهو الكتاب والمرسل به وحاله مع المرسل اليهم

قال تعالى : « يابني اسرائيلَ اذكرُوا نعمتيَ التي انعمتُ عليكم » اختص بني اسرائيل بالخطاب اهتماما بهم لأنهم أقدم الشعوب الحاملة للكتب السماوية والمؤمنة بالانبياء المعروفين ولأنهم كانوا اشد الناس على المؤمنين ولأن في دخولهم في الاسلام من الحجة على النصارى وغيرهم أقوى مما في دخول النصارى من الحجة عليهم . وهذه النعمة التى اطلقها في التذكير لعظم شأنها هي نعمة جعل النبوة فيهم زمناً طويلاً (اوأعم) ولذلك كانوا يسمون شعب الله كما في كتبهم وفي القرآن ان الله اصطفاهم وفضلهم . ولا شك ان هذه المزية نعمة من الله تعالى كبرى منحهم اياها بفضله ورحمته فكانوا بها مفضلين على العالمين من الامم والشعوب وكان الواجب عليهم ان

يكونوا اكثر الناس لله شكرا، وأشدهم لنعمته ذكرا، وذلك بأن يؤمنوا بكل نبي يرسله لهدايتهم ولكنهم جعلوا النعمة حجة الاعراض عن الايمان وسبب ايذاء النبي عليه السلام لأنهم زعموا ان فضل الله تعالى محصور فيهم وأنه لا يبعث نبياً الا منهم . ولذلك عقب الله تعالى التذكير بالنعمة بالأمر بالوفاء بعهده فقال

« وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم » وعهد الله تعالى اليهم يعرف من الكتاب الذي نزله اليهم . عهداليهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وأن يؤمنوا برسله متى قامت الادلة على صدقهم وان يخضعوا لأحكامه وشرائعه . وعهد اليهم بأن سيرسل اليهم نبياً من بني اخوتهم بني اسماعيل يقيم شعباً جديداً — هذا هو العهد الخاص المنصوص . ويدخل في عموم العهد عهد الله الأكبر الذي أخذه على جميع البشر بمقتضى الفطرة وهو التدبّر والتروي ووزن كل شيء بميزان العقل والنظر الصحيح لا بميزان الهوى والغرور ولو التفت بنوا اسرائيل الى هذا العهد الالهي العام او الى تلك العهود الخاصة المنصوصة فى كتابهم لآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم واتبعوا النور الذي انزل معه وكانوا من المفلحين . ولا حاجة الى تخصيص العهد بالايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم كما فعل مفسرنا (الجلال) فان الايمان داخل في العهد العام وهو من افراد العهد الخاص فلا دليل على قصر عموم العهد المضاف عليه

هذا هو عهد الله وأما عهدهم فهو التمكين في الارض المقدسة والنصر على الامم الكافرة والرفعة في الدنيا وخفض العيش فيها — هذا هو الشائع في التوراة التي بين أيديهم ولا شك ان الله تعالى قد وعدهم أيضاً بسعادة

الآخرة ولكن لا دليل على هذا في التوراة الا الاشارات ولذلك ظن بعض الباحثين ان اليهود لا يؤمنون بالبعث . ومع هذا يقول (الجلال) كغيره ان هذا العهد هو دخول الجنة ويقتصر عليه

ولما كان من موانع الوفاء بالعهد الذي فشا تركه في شعب اسرائيل خوف بعضهم من بعض لما بين الرؤساء والمرؤسين من المنافع المشتركة عقب الأمر بالوفاء بقوله « وإيايَ فارهبون » اي ان كنتم تخافون فوت بعض المنافع ونزول بعض المضارّ بكم اذا خالفتم الجماهير واتبعتم الحق فالأولى ان لا تخافوا ولا ترهبوا الا من بيده ازمة المنافع كلها وهو الله الذي انعم عليكم بتلك النعمة الكبرى او النعم كلها وهو وحده القادر على سلبها وعلى العقوبة على ترك الشكر عليها فارهبوه وحده لا ترهبوا سواه

ثم انتقل من الامر بالوفاء بعموم العهد الى العهد الخاصّ المقصود من السياق فقال تعالى شأنه « وآمنوا بما أنزلتُ مصدِّقاً لما معكم » من تعليم التوراة وكتب الانبياء كالتوحيد والنهى عن الفواحش والمنكرات والامر بالمعروف وما يتصل بهذا من الارشاد الموصل الى السعادة فاذا نظرتم فى القرآن ووجدتموه مصدقاً لما معكم من مقاصد الدين الالهي وأصوله ووعود الانبياء وعهودهم تعلمون ان الروح الذي نزل به هو عين الروح الذي نزل بما سبقه وتعلمون انه لا غرض لهذا النبي الذي يدعوكم الى مثل ما دعاكم اليه موسى والانبياء الا تقرير الحق وهداية الخلق بعد ما طرأ من ضلالة التأويل ، وجهالة التقليد ، فبادروا الى الايمان بهذا الكتاب الذي قامت به الحجة عليكم من وجهين احدهما اعجازه وثانيهما كونه مصدقاً لما معكم « ولا تكونوا اول كافر به » أي ولا تبادروا الى

الكفر به والجحود له مع جدراتكم بالسبق اليه . وهذا الاستعمال معروف في الكلام البليغ لهذا المعنى والخطاب عام لليهود في كل عصر وزمان

ثم قال « ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً » الآيات هي الدلائل التي أيد بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأعظمها القرآن فهو كقوله تعالى (اشتروا الضلالة بالهدى) أي لا تعرضوا عن الايمان بهذا النبي وما جاء به وتستبدلوا بهدايته هذا الثمن القليل وهو ما يستفيده رؤساؤكم من المرؤسين من مال وجاه اوقعاهم في الكبر والغرور وما يتوقعه المرؤسون من الزلفى والحظوة بتقليد الرؤساء واتباعهم وما يخشونه اذا خالفوهم من المهانة والذلة . وإنما سمى هذا الجزاء ثمناً قليلاً لأن كل ما عدا الحق قليل وحقير بالنسبة اليه وكيف لا يكون قليلاً وصاحبه يخسر عقله وروحه قبل كل شيء لإعراضه عن الآيات البينات ، والبراهين الواضحات ، ثم انه يخسر عزّ الحق وما يكون له من الشأن العظيم وحسن العاقبة ثم انه يخسر مرضاة الله تعالى وتحل به نقمه في الدنيا وعقوبته في الآخرة . وختم هذه الآية بشبه ماختم به ما قبلها وذلك قوله « وإياي فاتقون » وليس في هذا مع سابقه تكرار ولا شبه تكرار كما يتوهم فقد حل كل من القولين محله ولا مندوحة عن واحد منها لأن استبدال الباطل بالحق إنما كان منهم لاتقاء الرئيس فوت المنفعة من المرؤس واتقاء المرؤس غضب الرئيس فدحض هذه الشبهة بالامر بتقوى الله الذي بيده قلوب العباد وبيده الخير وهو على كل شيء قدير

ثم قال « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » بينت هذه الآية مسلكهم في الغواية والإغواء في سياق النهي عنه .

فقد جاء في كتبهم التحذير من أنبياء كذبة يبعثون فيهم ويعملون العجائب وجاء فيها أيضاً انه تعالى يبعث فيهم نبيا من ولد اسماعيل يقيم به أمة وانه يكون من ولد الجارية (هاجر) وبين علاماته بما لا لبس فيه ولا اشتباه ولكن الاحبار والرؤساء كانوا يلبسون على العامة الحق بالباطل فيوهمونهم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الانبياء الذين نعتتهم الكتب بالكذبة (حاشاه) ويكتمون مايعرفون من نعوته التي لاتنطبق على سواه وما يعلمون من صفات الانبياء الصادقين وما يدعون اليه وكله ظاهر فيه عليه السلام بأكمل المظاهر. ومن اللبس أيضا مايفتريه الرؤساء والأحبار فيكون صادًّا لهم عن سبيل الله وعن الايمان بنبيه عن ضلال وجهل وهو وهو لبس أصول الدين بالمحدثات والتقاليد التي زادوها على الكتب المنزلة بضروب من التأويل والاستنباط من كلام بعض المتقدمين وأفعالهم فكانوا يحكمون هذه الزيادات فى الدين حتى فى كتب الانبياء ويعتذرون بأن الاقدمين أعلم بكلام الانبياء وأشد اتباعاً لهم فهم الواسطة بينهم وبين الانبياء وعلى من بعدهم الأخذ بما يقولون دون مايقول الانبياء الذين يصعب عليهم فهم كلامهم بزعمهم. ولكن الله لم يقبل هذا العذر منهم فنسب اليهم في ذلك اللبس وكتمان الحق الموجود فى التوراة الى اليوم (وكذلك لايقبل الله ممن بعدهم ترك كتابه لكلام الرؤساء بحجة انهم أكثر علما وفهما فكل مايعلم من كتاب الله تعالى يجب العمل به وانما يسأل الانسان عما لايعلم منه ليعلم فيعمل)

ثم قال جل ثناؤه: «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين» فبعد الدعوة الى الايمان اليقيني دعاهم الى العمل الصالح على

الوجه النافع المرضي لله تعالى وكانوا ضلوا عنه بالتمسك بالظواهر والوقوف عند الرسوم فقد كانوا يصلُّون ولكنهم ما كانوا يقيمون الصلاة لإن الإقامة هى الاتيان بالشئ مقوّماً كاملا وهى في الصلاة التوجه الى الله تعالى بالقلب والخشوع بين يديه والاخلاص له في الذكر والدعاء والثناء فهذا هو روح الصلاة الذي شرعت لاجله ولم تشرع لهذه الصورة فان الصور تتغير في حكم الله تعالى على ألسنة انبيائه لانها رابطة مذكرة فلم تكن للانبياء صورة واحدة للصلاة ولكن هذا الروح لايتغير فهو واحد لم يختلف فيه نبي ولم ينسخ في دين.

ثم امر بعد الصلاة التى تطهر الروح وتقربها من الله تعالى بالزكاة التى هى عنوان الايمان ومظهر شكر الله على نعمه والصلة العظيمة بين الناس. وقد عهد في القرآن قرن الامر بايتاء الزكاة بالامر باقامة الصلاة ومن أقام الصلاة لاينسى الله تعالى ولا يغفل عن فضله ومن كان كذلك فهو جدير ببذل المال فى سبيله مواساة لعياله ومساعدة على مصالحهم التي هي ملاك مصلحته فان الانسان انما يكتسب المال من الناس بحذقه وعمله معهم فهو لم يكن غنيا الا بهم ومنهم فاذا عجز بعضهم عن الكسب لآفة فى فكره ونفسه أو علة فى بدنه فيجب على الآخرين الاخذ بيده وان يكونوا عونا له حفظا للمجموع الذي ترتبط مصالح بعضه بمصالح البعض الاخر وشكراً لله على ماميزهم به من النعمة وظاهر ان الغنيّ في حاجة دائمة الى الفقير كما ان الفقير فى حاجة اليه. ولكن النفوس تمرض فتغفل عن المصلحة فى بذل المال ومساعدة الفقير والضعيف مبالغة وغلوا في حب المال الذي هو شقيق الروح كما يقولون لهذا جعل الله بذل المال

والانفاق في سبيل الخير علامة من علامات الايمان وجمل البخل من آيات النفاق والكفر كما سيأتي في آيات كثيرة

قال الاستاذ الامام : ان البخل الحقيقي وهو القسوة على عباد الله تعالى والحرص على المال استرسالا في الشهوات وميلا مع الاهواء لا يجتمع مع الايمان الحقيقي في قلب قط . وليس لامر الله تعالى عوض الا امتثاله والقيام به على مايحب الله ويرضى

ثم امر بعد اقامة الصلاة وايتاء الزكاة بالركوع مع الراكعين . والركوع صورة الصلاة او جزء من اجزائها وقد أخره ولم يصله بالصلاة لحكمة جليلة لا رعاية للفاصلة كما زعم بعض المفسرين فليس من الجائز ان يكون في القرآن تفسير يعرض فيه إخلال بالمعنى لاجل رعاية الفاصلة بل هذا لا يرتضيه البلغاء من الناس فكيف يقع في كلام الله تعالى ؟ وانما وردت هذه الاوامر الثلاثة مرتبة كما يحب الله تعالى فاقامة الصلاة في المرتبة الاولى من عبادة الله تعالى لانها روح العبادة والاخلاص له ويليها ايتاء الزكاة لانها تدل ايضاً على زكاء الروح وقوة الايمان واما الركوع وهو صورة الصلاة البدنية أو بعض صورتها أشير به اليها فهو في المرتبة الثالثة فرض للتذكير بسابقيه وماهو بعبادة لذاته وانما كان عبادة لانه يؤدى امتثالا لامر الله تعالى واظهاراً لخشيته والخشوع لعظمته ولكنه قد يصير عادة لا يلاحظ فيها امتثال ولا اخلاص بخلاف اقامة الصلاة بالمعنى الذي ذكرناه وإيتاء الزكاة . ولا يخفى ان الفصل بين معنى الصلاة وصورتها بالزكاة فيه تعظيم لشأن الزكاة وسنتكلم على الزكاة والانفاق في سبيل الله بالتفصيل في تفسير آية أخرى ان شاء الله تعالى

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

الدهر والزمن (س ١) احمد افندى عبد الكريم بالزقازيق : نقرأ ونسمع كل يوم من مذام الدهر نظما ونثرا من جميع الملل مالا يخفى عليكم ولا نعلم ما يقصدون بالدهر الذي ينسبون اليه افعالا كالرفع والخفض والعسر واليسر وما مسمى هذا الاسم أهي المدة الزمانية ولا دخل لها في الأفعال أم ماذا ؟ والحامل لي على هذا السؤال اني سمعت من أحد العلماء حديثاً أدهشني وهو : « لاتسبوا الدهر فان الدهر هو الله » وقد نرى أكثر سابي الدهر من العلماء الذين لا يغيب عنهم هذا الحديث فما رأيكم في هذا السؤال وفي صحة الحديث أجيبوني ولكم مزيد الشكر ومن الله الأجر

(ج) اختلف العلماء في تفسير الدهر والزمان والنسبة بينهما فقال الراغب الدهر اسم لمدة العالم من مبدإه الى منتهاه ثم صاروا يطلقونه على المدة الطويلة وأما الزمان فيطلق على المدة الطويلة والقصيرة اطلاقاً حقيقياً وزعم السعد ان الدهر طول الزمان . وقد فشا بين الأدباء والشعراء ذم الدهر والزمان ونسبة الحوادث السيئة اليهما وترى شعراء العرب بعد الاسلام قلما يذمون الدهر وإنما يذمون الزمن . ولا يقصد هؤلاء ولا أولئك بالزمن أو الدهر حركة الفلك أو الليل والنهار أو ما يقول المتكلمون في تعريف الزمن « مقارنة متجدد معلوم لمتجدد موهوم » وإنما يقصدون ان تعاستهم أو شقاءهم وكل ما يشكون منه لم يكن من تقصيرهم وإنما علته عدم مواتاة الشؤن الكونية المتعلقة بغيرهم من الخلق ولما كانت هذه الشؤن التي يتوقف عليها النجاح مع سعي الانسان غير معينة صاروا ينسبونها الى أعم

شئ يمكن أن تسند اليه وهو الزمن أو الدهر

وقد حكى الله تعالى عن بعض الملاحدة نسبة الإحياء والاماتة الى الدهر فقال « وقالوا إن هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » والظاهر انهم يعنون ان هذا هو المعروف طول الدهر فلا يوجد شئ آخر يحيي ويميت وهذا النفي المطلق جهالة لا دليل عليها . وأما الحديث فقد جاء في صحيح مسلم بلفظ « لا يسبّ أحدكم الدهر فان الدهر هو الله تعالى » وورد بلفظ آخر عند أبي داود والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وهو : « قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يقول ياخيبة الدهر فاني أنا الدهر أقلّب ليله ونهاره » ورواه غيرهم وله ألفاظ أخرى لا حاجة الى استقصائها . ولم يرد اسم الدهر في أسماء الله تعالى لانه أطلق عليه سبحانه على سبيل التجوز والمعنى فيه ان الشئ الذي يسند اليه الناس الافعال ولا يعرفون حقيقته وانما يسمونه الدهر لأنه غير متعين في علمهم الناقص هو الله جل شأنه لانه هو الفاعل المختار الذي يرجع اليه الامر كله

الدعاء والقضاء وطول العمر (س ٢) أحمد أفندي متولي بمصر : اطلعت على حديث في تفسير الخازن هذا نصه : عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يردّ القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر » وهذا مضاد لما نعتقده من انه لا رادّ لقضاء الله وان العمر لا يزيد ولا ينقص لقوله تعالى « لكل أجل كتاب » وقوله جل ذكره « فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » فالرجاء افادتنا عن ذلك

(ج) اتفق النقل مع العقل على ان كل مايقع في الوجود فانما يقع

بحسب مافي علم الله تعالى لأن وقوع شئ على خلاف ذلك يستلزم الجهل وهو محال على الله تعالى فما خالف هذه العقيدة خلافا حقيقيا فهو مردود ونقطع بأنه مكذوب على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم اذا لم يمكن تأويله وإرجاعه اليها . وقد أول العلماء حديث « لا يرد القضاء الا الدعاء » فقالوا قد يكون في علم الله تعالي ان فلانا يصاب بكذا أو يكون بصدد أن يصاب به فيدعو الله فينكشف عنه البلاء الذي كان معلقاً نزوله او دوامه على عدم الدعاء وانكشافُه علي الدعاء ويسمون هذا القضاء المعلق . أما القضاء المبرم وهو ماسبق في علم الله تعالى أن يكون لامحالة فهو الذي لايمكن أن يرد . واذا كان هذا التقسيم لاجل الجواب عن هذا الحديث فهناك أحاديث لايمكن ان يجاب عنها منها ما أخرجه أبو الشيخ عن أنس مرفوعا « أكثر من الدعاء فان الدعاء يرد القضاء المبرم » وما أخرجه ابن عساكر عن نمير ابن أوس مرسلا « الدعاء جند من أجناد الله مجندة يرد القضاء بعد أن يبرم » . والحديثان ضعيفا السند جدا . والحديث الوارد في السؤال رواه الترمذي والحاكم . وقد ذكر المحدثون ان من علامة الحديث الموضوع مخالفته للعقائد القطعية والاصول الثابتة ومنها مخالفته للعقل وللوجود

وأما كون البر يزيد في العمر فقد ورد بمعناه أحاديث في الصحيح وهو كلام في الاسباب لافي علم الله تعالى وقضائه في العباد . قال بعض العلماء في تفسيره ان أهل البر يكونون أهنأ الناس عيشاً لما بينهم وبين والديهم وأهليهم وسائر الناس من الحب وحسن المعاملة وهذه هي الزيادة في العمر فان من يعيش بالمناكدة والفجور كأنه لم يعش لأن حياته تذهب سدى . وفيه وجه آخر وهو ان البر وحسن الاخلاق والاعتدال في الامور من

اسباب الصحة واعتدال المزاج والصحة هي مادة طول الحياة فى الغالب وهذا انما يأتي بالنسبة لحالة البنية واستعداد الشخص لا بالنسبة لما فى علم الله تعالى لانه لايتغير وأكثر الكلام بين الناس يكون فى الاسباب لا فى أصول العقائد وقد أوضحنا هذه المسئلة فى الدرس ١٦ من الامالى الدينية (راجع ٣:٥٥٨)

رضاع الزوج من الزوجة (س ٣) م ٠ ص ٠ فى الجيزة : اذا رضع الزوج ثدي زوجته هل تحرم عليه ؟

(ج) لا فان حكم الرضاع انما يثبت فى الصغير عند جماهير العلماء من السلف والخلف والمروي عن الائمة الاربعة وغيرهم انه لا تأثير له بعد الحولين وفيه حديث رواه الدارقطني عن ابن عباس « لا رضاع الا ما كان فى الحولين » وفى حديث صححه الترمذي عن ام سلمة « لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعاء وكان قبل الفطام » والمراد بفتق الامعاء كونه عمدة فى التغذية ولكن وردت أحاديث اصح من هذه في التحريم برضاع الكبير وقد أجابوا عنها بما يحتمل البحث ومن أراد الاحتياط فليجتنب كل ما فيه خلاف . وأما سؤالكم الاول فاننا لم نفهمه وسنجيب عن اقتراحكم فى الطلاق عند سنوح الفرصة .

القسم العمومي

﴿ فرنسا والاسلام ﴾

لا تزال دولة فرنسا في حيرة وعمه لا تهتدي معهما الى طريقة تطمئن اليها في سياسة مستعمراتها الاسلامية فكتابها من الفلاسفة والسياسيين يواصلون البحث في الاسلام على مر الايام والاعوام لأجل اشراع هذه

الطريقة وماهم بمشرعيها ولما تطمئن نفوسهم الى شئ كاطمئنان نفس انكلترا في سياسة مستعمراتها الاسلامية وغير الاسلامية . لقد ظهرت نتيجة حسن سياسة انكلترا في ارتباكها بحرب الترانسفال فلقد كانت عاجزة عن تأديب مملكة واحدة من ممالكها الاستعمارية الواسعة اذا هي تألبت عليها وثارت تريد الخروج من دائرة سلطتها . والله يعلم ما يكون من أمر مستعمرات فرنسا معها اذا وقعت في مثل ذلك الارتباك وأنتهت الى مثل ذلك الخطر الذى كانت فيه انكلترا أيام كانت الحرب في شبابها.

سلكت فرنسا مع المسلمين مسلك العنف والضغط حتى حالت بين المسلمين الذين تحت سيادتها أو حمايتها وبين العلم والتعليم وزعمت ان فرقاً بينها وبين انكلترا فانها تحكم شعوباً لا تزال الشهامة الاسلامية والشجاعة العربية متمكنة في نفوسها وان انكلترا تسوس قوماً فسد بأسهم وهجرتهم الشجاعة والشهامة بما توالى عليهم من ظلم حكامهم كالهنديين والمصريين الذين لا تخشى بادرتهم . ولا تحذر غائلتهم . وجهلت أقرب حوادث التاريخ في مصر وهو خروج المصريين على حكامهم الذين يدينون بدينهم وينطقون بلغتهم عندما أمكنتهم الغرة من الخروج عليهم حتى كان العلماء وهم أبعد الناس عن السياسة من خطباء الثورة العرابية ودعاتها بعدما كانوا يقولون بوجوب طاعة هؤلاء الحاكمين والخضوع لهم . ولا أنسى كلمة سمعتها من كبير العلماء في بلد من سوريا قالها في محفل كبير ذكرت فيه الثورة العرابية فقال ذلك الشيخ رحمه الله « كلنا عرابيون » ودعا لعرابى وحزبه بالنصر . واذا وجد فى العلماء رجل واحد بصير بالسياسة كان يحذر العرابيين وينذرهم سوء عاقبة الثورة كالشيخ محمد عبده فذلك لا ينافي أن الجماهير

كانوا راضين عنها وداعين اليها

أتجهل فرنسا ان سياسة الظلم والقسوة التي نفخت روح الثورة في المصريين الجبناء في نظرها على حكامهم المسلمين تخشى عاقبتها من الجزائريين والتونسيين وهم من أهل النجدة والبأس والشجاعة والشهامة ؟ أتجهل السر في سكون هؤلاء الذين عهدهم بالثورة غير بعيد عند ظهور انكسار انكلترا في الحرب المرة بعد المرة ؟ السر ظاهر غير مكتوم وهو انهم في رخاء من العيش يرفلون في ظلال الحرية التامة ونعيمها . نعم انهم يتمنون الاستقلال التام لأنه هو كمال الحياة الاجتماعية ومن نجا من الاستعباد والاستذلال ، يشتهي كمال الاستقلال ، ولكن الناس لا ينبعثون الى الثورة الا بالظلم والتضييق فان الانفجار نتيجة الضغط

اذا كانت انكلترا لا تساعد استعداد الشعوب على الترقي كما هو شأنها في زنجبار فانها قلما تعارضه لانها لا تحارب الطبيعة فقد كان مسلمو الهند في جهل وخمول فتركتهم وشأنهم فظهر فيهم مرشدون اشتغلوا بتربيتهم وتعليمهم فصادفوا من الحكومة الانكليزية ارتياحاً بل تنشيطاً ومساعدة وأعطتهم الحرية التامة في انشاء المدارس والجرائد وعقد الجمعيات . والبريد عندهم حر فلم نسمع ان جريدة منعت عن الهند وان مكتوبا ضاع او رسالة اختزلت او كتابا ارسل فلم يصل فهل تعامل فرنسا اهل الجزائر بمثل هذه المعاملة او بما يقرب منها ؟؟

لقد كان لفرنسا في سيرة الانكليز في الاستعمار ما يغنيها عن كثرة البحث والتأليف والتصنيف في حال المسلمين وكيف ينبغي ان يعاملوا ويغنيها عن تأليف اللجنة التى الفتها من عهد قريب لتمحيص البحث في

هذه المسئلة

يحكم كتاب فرنسا وساستهم على المسلمين من غير ان يستشيروهم او يعرفوا مايكتبه الاحرار العارفون بالدين وأهله عنهم ولكن بعض حكامهم يستكتبون بعض المصانعين لهم ما ارادوا ويغشون انفسهم وقومهم بما يوهمونهم ان هذا هو رأي علماء المسلمين واهل الرأي فيهم . اكثر ما يكتبه الفرنسويون عن الإسلام والمسلمين يُحفظ القلوب ويثير الاحقاد ويخرج الاضغان وكل هذا يُحتمل ما دامت القوة فاذا عرض عليها ما يضعفها فهناك يحصدون شر ما يزرعون . وليس من العقل الاغترار بدوام القوة

الفرنسيون ابعد الناس عن الدين وعن التعصب له ولكنهم اذا كتبوا عن الاسلام فانما ينفثون السموم ويُظلون المسلمين بظل من يَحْمُوم؛ الا ماكان من فيلسوف حكيم يكتب للعلم لا للسياسة . حكومة الجمهورية ليست مسيحية فتتعصب على الاسلام لاجل النصرانية وانما لتقاوم النصرانية فى بلادها كما تقاوم الاسلام فى مستعمراتها ولكنها تعتقد ان المسلمين قوم حرب وان دينهم يطالبهم بان يكونوا سائدين غير مسودين وأنهم يتربصون بمن يسودهم الدوائر حتى اذا ماسنحت لهم الفرصة وثبوا ، فسلبوا ونهبوا ؛ وان السياسة الواقية ان يوضعوا فى الاوهاق ؛ وتغل الأيدي الى الاعناق ؛ وان تحجب شمس العلم عن الانظار ؛ وتحول بين الاسماع وما فى العالم الاسلامي من الاخبار ؛ وان تراقب الحكومة السائحين ، اذا كانوا مسلمين أو عثمانيين ؛ — ومن الاعتقاد ماهو ظن وان بعض الظن إثم . ولا شئ يحرج الصدور ؛ ويُمِضُّ النفوس مثل هذه

المعاملة السوءى لأنها برهان علي ان هذه الحكومة تبغض المسلمين والجاهل لايعرف سببا للعداوة والبغضاء الا الأمر العام وهو الدين لذلك يعتقد الاكثرون في المستعمرات الفرنسية ان فرنسا تبغض المسلمين لأنهم مسلمون يعبدون الله من دون المسيح ويؤمنون بمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

نحن والعقلاء نقول ان الأمر ليس كذلك ومثلنا من يقدر على إقناع المسلمين لأننا من خدمة الدين والعلم فيهم ولكن هذا الاقناع يتوقف على وصول صوتنا الى تلك المسامع وفرنسا لا ترضى بذلك بل ولا ترضى بأن يتعلم المسلمون الا اللغة الفرنسية التي تزيد المسلمين بغضا في فرنسا كما صرح بذلك بعض كتابها وذلك انهم يرون فى الكتب والجرائد الفرنسية الطعن الموجع مصوبا دائما الى صدور المسلمين . وفرنسا أقدر منا على اقناع المسلمين بحسن نيتها وسلامة عاقبتها اذا برهنت عليه بالعمل ولكن يتعذر عليها إقناع مسلم واحد بالقول وان أوتيت من سحر البيان ؛ وخلابة اللسان ، مالم يؤته إنسان ؛

فرنسا فى شك مريب من أمر مسلمي مستعمراتها لاتدري أيمكن أن تعيش معهم فى وئام ، وهدون وسلام ، ام ذلك من الأماني والاوهام ، التي لاتدرك ولا ترام ، ولاشك عندنا نحن فى الامكان ، والمرتاب لايقنعه البرهان ، ولكن ربما تقنعه حوادث الزمان ، والمريب يكون دئماً فى حذر ، والظالم لايمكن ان يأمن الْغِيَرَ ، ولو أخلصت فرنسا النية ، لعرفت القضية ، وبلغت الأمنية ،

لو اطلقت فرنسا لأهل الجزائر حرية العلم والدين وحافظت فيهم على أحكام شريعتهم وآدابها وساعدتهم على ترقي بلادهم وعمرانها وأقامت

فيهم العدل وأباحت لكل أحد أن يمازجهم ويرى ماهم فيه حينئذ من غبطة ونعيم لكانت هذه المعاملة الحسنى اقوى جاذب يجذب جيرانهم المراكشيين الى الدخول في حكم الولاية الجزائرية قبيلا بعد قبيل لاسيما اذا جعلت للولاية حاكما مسلما يصدر الاحكام الشرعية وينفذها .

قد نعلم ان من الفرنسيين من يسخر من هذا الكلام اذا سمعه متوهما اننا نقوله خداعاً لهم لا عن اعتقاد منا بصحته . ولا يعلم الساخر المفروض اننا أقرب الى الشك في كون إحسانهم معاملة المسلمين خيراً للمسلمين منا الى الشك فيما قلناه فان الظلم والقسوة فى المعاملة هي التي تربي الأمم وترجع اليها استعدادها المفقود ، او تبث فيها استعداداً لم يكن بالموجود ، ولقد كانت الحرب الروسية العثمانية اكبر منبه للمسلمين الى الحياة الاجتماعية فى مشارق الارض ومغاربها وإن كانت اكبر خسارة على المسلمين فى الظاهر . وان من ساسة المسلمين وعقلائهم من يعتقد ان نجاح الاسلام الاكبر يتوقف على سقوط كل هذه الحكومات الاسلامية التي بقيت لها رسوم ماثلة فان أعظم ادواء المسلمين الاجتماعية اعتمادهم على حكوماتهم واستبداد حكامهم بهم فلن تعود اليهم قوتهم الحقيقية واستقلالهم الذاتي الا بسقوط هذه الرسوم ليرجعوا الى قوتهم الذاتية الاستقلالية

بِمَ يفسر مسلمو الجزائر وتونس وغيرهم عداوة فرنسا للسيد المهدي السنوسي وهو من رجال الدين وشيوخ الطريق ولماذا يكتب الفرنسيون فى جرائدهم وكتبهم انه لابد من استئصال قوته ، واصطلام دعوته ؛ واخماد جذوته ؛ كما بينا ذلك فى العدد ٢٣ من منار السنة الاولى ولماذا لايحفل الانكليز بذلك ولا يبحثون عن زواياه واتباعه فى السودان ومصر ولماذا لم

يكتب أحد من الانكليز ناصحاً قومه ومبيناً لهم الحيل والدسائس التي تتفتّت بها القوة السنوسية ؟؟ ان سياسة فرنسا فى أفريقيا خرقاء وربما تكشف هذه المناوشات الاخيرة بينها وبين المهدي السنوسي خرقها الا اذا أراد الله لها زيادة الاستدراج والاملاء الى أجل مسمى والى الله المصير

(يطلب خبر محاربة فرنسا والسيد المهدي السنوسي فى باب الاخبار)

نموذج من كتاب دلائل الإعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني

(تمة الكلام على من زهد في رواية الشعر وحفظه . وذم الاشتغال بعلمه وتتبعه)

كان آخر القول في النبذة الماضية ان النبي كان يستنشد عائشة فتنشده ما تقدم

قالت فيقول عليه السلام « يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده صنع اليك عبدي معروفاً فهل شكرته عليه فيقول يارب علمت انه منك فشكرتك عليه قال فيقول الله عز وجل لم تشكرني اذلم تشكر من أجريته على يده » :

(وأما) علمه عليه السلام بالشعر فكما روي ان سودة انشدت « عَديٌّ وتيم تبتغي من تحالف » فظنت عائشة وحفصة رضي الله عنهما انها عرّضت بهما وجرى بينهن كلام في هذا المعنى فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليهن وقال « ياويلكن ليس فى عَديِّكنّ ولا تيمكنّ قيل هذا وإنما قيل هذا فى عدي تميم وتيم تميم » . وتمام هذا الشعر:

فحالف ولا والله تهبط تَلْعة من الارض الاأنت للذل عارف[1]

ألا مَن رأي العبدين أوذُكرا له عدي وتيم تبتغي من تحالف

---

(١) التلعه تطلق على ماعلا وعلى ماسفل من الارض وقيل هي ما اتسع من فوهة الوادي

وروى الزبير بن بكار . قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر رضي الله عنه برجل يقول فى بعض أزقة مكة :

يا أيها الرجل المُحوّل رحله هلا نزلت بآل عبد الدار

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر هكذا قال الشاعر » قال لا يارسول الله ولكنه قال :

يا أيها الرجل المحول رحله هلا سألت عن آل عبد مناف

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا كنا نسمعها .

(وأما) ارتياحه صلى الله عليه وسلم للشعر واستحسانه له فقد جاء فيه الخبر من وجوه من ذلك حديث النابغة الجعدي قال أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قولي:

بلغنا السماء مَجْدُنا وجدودُنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أين المظهر يا أبا ليلى ؟» فقلت الجنة يارسول الله قال « أَجَلْ ان شاء الله » ثم قال « أنشدني » فانشدته من قولي :

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له بَوادِرُ تحمي صفوَه أن يكدّرا[1]

ولا خير فى جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال صلى الله عليه وسلم « أجدت لا يفضض الله فاك » قال الراوي

---

(١) البوادر جمع بادرة وهى الحدة او ما يبدر من الانسان عند الحدة من الخفة الى الانتقام بالقول او الفعل . والحديث رواه ابن عساكر وابن النجار بلفظ [بجدنا] بدل [مجدُنا] وفيه انه انشد البيتين بعد ذلك من نفسه فقال له عليه السلام « لا يُفضَض فوك » مرتين قال الراوي وهو يعلى بن الاشدق فلقد رأيته بعد عشرين سنة ومائة وان لأسنانه أُشُرًا كأنه البرد . والاشر الحدة والرقة فى اطراف الاسنان والتحزيز الذي يكون فيها

فنظرت اليه فكأنَّ فاه البَرَدُ المنهلّ ماسقطت له سن ولا انفلّتْ ترِف غُرُوبه[1]

(ومن ذلك) حديث كعب بن زهير روي أن كعباً وأخاه بجيرا خرجا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغا أبرق العزّاف فقال كعب لبجير: الق هذا الرجل وأنا مقيم ههنا فانظر مايقول وقدم بجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الاسلام فاسلم وبلغ ذلك كعباً فقال فى ذلك شعراً فاهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه فكتب اليه بجير يأمره ان يسلم ويقبل الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول وأن من شهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله قبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسقط ما كان قبل ذلك فقدم كعب وأنشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته المعروفة:

بانت سعادة فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مغلول[2]
وماسعاد غداة البين اذ رحلت ... الا أغنُّ غضيضُ الطَّرف مكحول
تجلو عوارض ذي ظَلْم اذا ابتسمت ... كانه منْهَل بالراح معلول
سحّ السقاة عليه ماء محنيةٍ ... من ماء أبطح أضحى وهو مشمول[3]

«١» الغروبُ الاسنان ورفيفها بريقها كذا في الهامش بخط الاستاذ وقبل هذه الجملة «ولا انفلت» ويظهر لي أن اصلها «ولا انفكت» وهي مع ترف غروبه جملة واحدة. والانفلال التثلم والاشر «٢» المتبول من تبله الحب اذا أضناه وأفسده أو ذهب بلبه وعقله. والمتيّم المذلّل المعبَّد. والمغلول من وضع الغل فى عنقه وفى رواية «مكبول» وهو المقيد بالكبل أى القيد «٣» وفى نسخة «سحّ السقاة عليها» أما الرواية المشهورة في البيت فهي

شُجَّت بذى شَبَم من ماء محنية ... صافٍ بأبطح أضحى وهو مشمول

أكرم بها خُلّةً لو انها صدقت ... موعودَها أولوَ أنّ النصح مقبول[4]

حتى أتى على آخرها فلما بلغ مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن الرسول لسيف يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول[5]
فى فتية من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال انكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عند اللقاء ولا ميل معازيل
لا يقع الطعن الا فى نحورهم ... وما بهم عن حياض الموت تهليل
شُمّ العرانين أبطال لَبُوسُهم ... من نسج داود فى الهيجا سرابيل

اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحلَقِ أن اسمعوا قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من اصحابه مكان المائدة من القوم يتحلقون حلقه دون حلقه فيلتفت الى هؤلاء والى هؤلاء والاخبار فيما يشبه هذا كثيرة والأثر به مستفيض

وان زعم انه ذم الشعر من حيث هو موزون مقفّى حتى كان الوزن عيباً، وحتى كان الكلام اذا نظم الشعر اتضع فى نفسه وتغيرت حاله، فقد ابعد وقال قولا لا يعرف له معنى وخالف العلماء فى قولهم: انما الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح[6]. وقد روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعاً:

فان زعم انه انما كره الوزن لانه سبب لان يغنّى في الشعر ويلتهى به. فانا اذا

«٤» وفي رواية «وَيْلُمّها خلة (٥) وفي راواية لنور بدل لسيف. ولا نفسر الابيات فالقصيدة شهيرة. وشروحها في الايدى على انى لم ار أحداً من المحدثين رواها

(٦) روى الدارقطني فى الافراد عن عائشة والبخاري فى الأدب والطبراني في الاوسط وابن الجوزي فى الواهيات عن عبد الله بن عمر. والشافعي والبيهقي عن عروة مرسلا: (الشعر كلام بمنزلة الكلام فحسنه حسن الكلام وقبيحه قبيح الكلام)

كنا لم ندعه الى الشعر من أجل ذلك وانما دعوناه الى اللفظ الجزل، والقول الفصل، والمنطق الحسن، والكلام البين، والى حسن التمثيل والاستعارة، والى التلويح والاشارة، والى صنعة تعمد الى المعنى الخسيس فتشرفه، والى الضئيل فتفخمه، والى النازل فترفعه، والى الخامل فتنوّه به، والى العاطل فتحلّيه، والى المشكل فتجليه، فلا متعلق له علينا بما ذكر، ولا ضرر علينا فيما أنكر، فليقل فى الوزن بما شاء، وليضعه حيث أراد، فليس يعنينا أمره، ولا هو مرادنا من هذا الذي راجعنا القول فيه، وهذا هو الجواب لمتعلق ان تعلق بقوله تعالى « وما علّمناه الشّعرَ وما ينْبغي له » وأراد أن يجعله حجة فى المنع من الشعر، ومن حفظه وروايته، وذاك انا نعلم انه صلى الله عليه وسلم لم يمنع الشعر من أجل ان كان قولا فصلا، وكلاماً جزلا، ومنطقاً حسنا، وبياناً بيناً، كيف وذلك يقتضي ان يكون الله تعالى قد منعه البيان والبلاغة، وحماه الفصاحة والبراعة، وجعله لا يبلغ مبلغ الشعراء في حسن العبارة، وشرف اللفظ وهذا جهل عظيم. وخلاف لما عرفه العلماء وأجمعوا عليه من انه صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب. واذا بطل ان يكون المنع من أجل هذه المعاني وكنا قد أعلمناه انا ندعو الى الشعر من أجلها ونحدو بطالبه على طلبها كان الاعتراض بالآية محالا، والتعلق بها خطلا من الرأي وانحلالا:

فان قال اذا قال الله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » فقد كره للنبي صلى الله عليه وسلم الشعر ونزهه عنه بلا شبهة وهذه الكراهة وان كانت لا تتوجه اليه من حيث هو كلام ومن حيث انه بليغ بين وفصيح حسن ونحو ذلك فانها تتوجه الى أمر لابد لك من التلبس به في طلب ما ذكرت انه مرادك من الشعر وذاك انه لا سبيل لك الى أن تميز كونه كلاما عن كونه شعراً حتى اذا رويته التبست به من حيث هو كلام ولم تلتبس به من حيث هو شعر هذا محال. واذا كان لابد لك من ملابسة موضع الكراهة فقد لزم العيب برواية الشعر واعمال اللسان فيه. قيل له (١) هذا منك كلام لا يتحصل وذلك انه لو كان الكلام اذا وزن حط ذلك من قدره وأزرى به وجلب على المفرغ له في ذلك القالب اثما، وكسبه ذماً، لكان من حق العيب فيه أن يكون على واضع الشعر أو من يريده لمكان الوزن خصوصاً دون من يريده لأمر خارج عنه ويطالبه لشئ سواه. فاما قولك انك لا تستطيع ان تطلب من الشعر ما لا يكره

(١) هذا هو جواب قوله « فان قال اذا قال الله » الخ قاله الاستاذ الامام

حتى تلتبس بما يكره فاني اذاً لم أقصده من أجل ذلك المكروه ولم أرده له وأردته لاعرف به مكان بلاغة، وأجعله مثالا في براعة، أو أحتج به في تفسير كتاب وسنة وأنظر الى نظمه ونظم القرآن، فارى موضع الاعجاز وأقف على الجهة التي منها كان، وأتبين الفصل والفرقان، فحق هذا التلبس ان لا يعتد علي ذنباً وان لا أواخذ به اذ لا تكون مؤاخذة حتى يكون عَمْدٌ الى أن تواقع المكروه وقصد اليه (١) وقد تتبع العلماء الشعوذة والسحر وعنوا بالتوقف على حيل المموهين ليعرفوا فرق ما بين المعجزة والحيلة فكان ذلك منهم من أعظم البر اذ كان الغرض كريماً والقصد شريفاً

هذا واذا نحن رجعنا الى ما قدمنا من الاخبار، وما صح من الآثار، وجدنا الامر على خلاف ما ظن هذا السائل ورأينا السبيل في منع النبي صلى الله عليه وسلم الوزن وأن ينطلق لسانه بالكلام الموزون غير ما ذهبوا اليه، وذاك انه لو كان منع تنزيه وكراهة لكان ينبغي أن يكره له سماع الكلام موزوناً وأن ينزه سمعه عنه كما ينزه لسانه ولكان صلى الله عليه وسلم لا يأمر به ولا يحث عليه، وكان الشاعر لا يعان على وزن الكلام وصياغته شعراً ولا يؤيّد فيه بروح القدس، واذا كان هذا كذلك فينبغي أن يعلم أن ليس المنع في ذلك منع تنزيه وكراهة بل سبيل الوزن في منعه عليه السلام اياه سبيل الخطّ حين جعل عليه السلام لا يقرأ ولا يكتب في أن لم يكن المنع من أجل كراهة كانت في الخط بل لأن تكون الحجة أبهر وأقهر، والدلالة أقوى وأظهر، ولتكون أكم للجاحد (٢) وأقمع للمعاند، وأردّ لطالب الشبهة، وأمنع في ارتفاع الريبة،

وأما التعلق بأحوال الشعراء بأنهم قد ذموا في كتاب الله تعالى فما أرى عاقلا يرضى به أن يجعله حجة في ذم الشعر وتهجينه، والمنع من حفظه وروايته، والعلم بما فيه من بلاغة، وما يختص به من أدب وحكمة، ذاك لانه يلزم على قود هذا القول أن يعيب العلماء في استشهادهم بشعر امرئ القيس وأشعار أهل الجاهلية في تفسير القرآن وغريبه وغريب الحديث، وكذلك يلزمه أن يدفع سائر ما تقدم ذكره من أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالشعر واصغائه اليه واستحسانه له، هذا ولو كان يسوغ ذم القول من أجل قائله، وأن يحمل ذم الشاعر على الشعر لكان ينبغي أن يخص

(١) وقال ان كلمة (قصدٌ) معطوفة على (عمد) (٢) أكم من كم البعير اذا شد فاه بالكعام عند هياجه لئلا يعض أو لاجل منعه الأكل

ولا يُعمّ وأن يستثنى فقد قال الله عز وجل (إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا) ولولا أن القول يجر بعضه بعضاً وأن الشيء يذكر بدخوله في القسمة لكان حق هذا ونحوه أن لايتشاغل به وأن لايعاد ويبدأ في ذكره اه

﴿ تتمة الاجتماع الرابع لجمعية أم القرى ﴾

قد وجد فينا علماء كان أحدهم يطلع في الكتاب أو السنة على أمر أو نهي فيتلقاه على حسب فهمه ثم يعدي الحكم الى أجزاء المأمور به أو المنهيّ عنه أو الى دواعيه أو الى ما يشاكله ولو من بعض الوجوه وذلك رغبة منه في أن يلتمس لكل أمر حكماً شرعيا فتختلط الأمور في فكره وتشتبه عليه الأحكام ولاسيما من تعارض الروايات فيلتزم الاشد ويأخذ بالأحوط ويجعله شرعاً . ومنهم من توسع فصار يحمل كل ما فعله أو قاله الرسول عليه السلام على التشريع والحق كما سبق لنا ذكره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وفعل أشياء كثيرة على سبيل الاختصاص أو الحكاية أو العادة . ومنهم من تورع فصار لايرى لزوماً لتحقيق معنى الآية أو للتثبت في الحديث اذا كان الامر من فضائل الاعمال فيأخذ بالأحوط فيعمل به فيقع في التشديد ويظن الناس منه ذلك ورعاً وتقوى ومزيد علم واعتناء بالدين فيميلون الى تقليده ويرجحون فتواه على غيره

وهكذا عظم التشديد في الدين بالتمادي حتى صار اصراً واغلالا فكأننا لم نقبل مامن الله به علينا من التخفيف ، وأن وضع عنا ماكان على غيرنا من ثقل التكليف ، قال تعالى شأنه وجات حكمته : « وَمَا جَعَلَ عليكم في الدِّينِ مِن حَرَجٍ » وقال جات منته مبشراً « ويضع عنهم إصْرَهم والأَغْلالَ التي كانت عليهم » أي يخفف عنهم التكاليف الثقيلة ، وعلمنا كيف ندعوه بعد أن بين لنا أنه « لايكلفُ اللهُ نفساً إلا وُسْعَهَا » وهو ان نقول : « ربَّنا لاتؤاخِذْنا إنْ نَسِينا أوْ أَخْطَأْنا * ربَّنا ولاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْراً كما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا » وقال تعالى « لاتَغْلُوا في دِينِكم » وقد ورد في الحديث « لن يشاد الدين أحد الا غلبه » (١) وفي

(١) رواه البخاري عن ابي هريرة بلفظ « لن يشادّ هذا الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا » ورواه غيره أيضاً

حديث آخر « هلك المتنطعون » (٢) أي المتشددون في الدين وظن بعض الصحابة ان ترك السحور افضل بالنظر الى حكمة تشريع الصيام فنهاهم النبي عليه السلام عن ظن الفضيلة في تركه : وقال عمر رضى الله عنه في حضور رسول الله لمن اراد ان يصل النافلة بالفرض « بهذا هلك من قبلكم » (٣) فقال النبي عليه السلام « أصاب الله بك يا ابن الخطاب » وانكر النبي عليه السلام على عبد الله بن عمرو بن العاص التزامه قيام الليل وصيام النهار واجتناب النساء وقال له « أرَغِبْتَ عن سُنَّتي » فقال بل سُنَّتَكَ أبغي قال « فإني أصوم وأفطر وأُصَلِّي وانامُ وانكِحُ النساءَ فمن رغب عن سنتي فليس مني » (٤) وقد كان عثمان بن مظعون واصحابه عزموا على سرد الصوم وقيام الليل والاختصاء وكانوا حرموا الفطر على أنفسهم ظناً انه قربة الى ربهم فنهاهم الله عن ذلك لأنه غلوٌّ في الدين واعتداء فيما شرع فانزل « يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين » أي أنه لايحب من تعدى حدوده ومارسمه من الاقتصاد في أمور الدين : وقد ورد في الحديث الصحيح قوله عليه السلام « والذي نفسي بيده ماتركت شيئاً يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا أمرتكم به وما تركت شيئاً يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا نهيتكم عنه » (٥) فاذا كان الشارع يأمرنا بالتزام ما وضع لنا من الحدود فما معنى نظرنا الفضيلة في المزيد وورد في حديث البخاري « ان أعظم المسلمين جرما من سَأَلَ عن شيءٍ لم يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ من أجل مسألته » (١) وبمقتضى هذا الحديث نقول ما أحق بعض المحققين المتشددين بوصف المجرمين . وهذه مسألة السواك مثلا فانه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها انه قال « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك » (٢) فهذا الحديث مع صراحته في ذاته ان السواك لايتجاوز حد الندب جعله الأكثرون سنة وخصصه بعضهم بعود الأراك وعمم بعضهم الاصبع وغيرها بشرط عدم الإدماء وفصل بعضهم انه اذا قصر عن شبر وقيل عن فتر كان مخالفاً للسنة وتفنن آخرون بان من السنة ان تكون فتحته مقدار نصف الابهام ولا يزيد عن غلظ اصبع وبين بعضهم كيفية استعماله فقال يسند بباطن رأس الخنصر ويمسك بالاصابع الوسطى ويدعم بالابهام قائماً . وفصل بعضهم ان يبدأ بادخاله مبلولا في الشدق الأيمن ثم يراوحه ثلاثاً ثم يتفل وقيل يتمضمض ثم يراوحه ويتمضمض ثانية وهكذا يفعل مرة ثالثة وبحث بعضهم في أن هذه المضمضة هل تكفي عن سنة المضمضة في الوضوء ام لا ومن قال لا تكفي احتج بنقصان الغرغرة : واختلفو في أوقات استعماله هل هو في اليوم مرة أوعند

كل وضوء أو عند تلاوة القرآن ايضاً حتى صاروا يتبركون بعود الأراك يخللون به الفم يابساً والبعض يعدون له كثير من الخواص منها انه اذا وضع قائماً ركبه الشيطان والبعض خالف فقال بل إذا التي يورث مستعمله الجذام : ويتوهم كثير من العامة ان السواك بالاراك من شعائر دين الاسلام الى غير هذا من مباحث التشديد والتشويش المؤديين الى الترك على عكس مراد الشارع عليه السلام من النـدب الى تعهد الفم بالتنظيف كيفما كان

ثم قال « العالم النجدي » هذا ما ألهمني ربي بيانه في هذا الموضوع وربما كان لي فيه سقطات ولا سيما في نظر السادات الشافعية من الاخوان كالعـلامة المصري والرياضي الكردي لأن غالب العلماء الشافعية يحسنون الظن بغلاة الصوفية ويلتمسون لهم الاعذار وهم لاشك أبصر بهـم منا معاشر أهل الجزيرة لفقدانهم بين أظهرنا كلياً ولندرتهم في سواحلنا ولولا سياحتي في بلاد مصر والغرب والروم والشام لما عرفت اكثر ماذكرت وانكرت الا عن سماع ولكنت اقرب الى حسن الظن ولكن مابعد العيان لتحسين الظن مجال وما بعد الهدى الا الضلال فنسأل الله تعـالى ان يهدينا سواء السبيل

فاجابه « العلامة المصري » : ان أكثر الصوفية من رجال مذهبنا ونحن معاشر الشافعية نتأول لهم كثيراً ما ينكره ظاهر الشرع ونلتمس له وجوها ولوضعيفة لاننا نرى مؤسسي التصوف الأولين كالجنيد وابن سبعين من أحسن المسلمين حالا وقالا. وفيما يلوح لي ان منشأ ذلك فينا جملة أمور منها كون علماء الشافعية بعيـدين عن الامامة والسياسة العامة الاعهداً قصـيراً . ومنها كون المذهب الشافعي مؤسساً على الأحوط والأكمل في العبادات والمعاملات أي على العزائم دون الرخص : ومنهـا كون المذهب مبنياً على مزيد العناية في النيات ، فالشافعي في شغل شاغل بخويصة نفسه وهم مستمر من جهة دينه ومحمول على تصحيح النيات وتحسين الظنون ومن كان كذلك مال بالطبع الى الزهد والاعجاب بالزاهدين وحمل أعمال المتظاهرين بالصلاح على الصحة والاخلاص بخلاف العلماء الحنفية فانهم من عهد أبي يوسف لم ينقطع تقلبهم في النظر في الشؤن العامة في عموم آسيا وكذا المالكية في الغرب وأمارات أفريقيا والحنابلة والزيدية في الجزيرة ومن لوازم السياسة الحزم وتغليب سوء الظن واتقان النقد والأخذ بالجرح ومحاكمة الشؤن لاجل العمل بالاسهل الأنسب

وقد امتاز أهل الجزيرة في هذا الخصوص بانهم كانوا ولايزالون بعيدين عن التوسع

في العلوم والفنون وهم لم يزالوا أهل عصبية وصلابة رأي وعزيمـة ، وقد ورد قول النبي عليه السلام فيهم « ان الشيطان قد أيس أن يعبده المسلمون في جزيرة العرب ولكن في التحريش » (١) أي اغراء بعضهم ببعض وكذلك أهل الجزيرة لم يزل عندهم بقية صالحة كافية من السليقة العربية فاذا قرأوا القرآن أو الحديث أو الأثر أو السيرة يفهمون المعنى المتبادر باطمئنان فينفرون من التوسع في البحث ولا يعيرون سمعاً للاشكالات فلا يحتاجون للتدقيقات والابحاث التي تسبب التشديد والتسويش ، وأما غيرهم من الأمم الاسلامية فيتلقون العربية صنعة ويقاسون العناء في استخراج المعاني والمفهومات ومن طبيعة كل كلام في كل لغة أنه اذا مخضته الأذهان تشعبت وتشتت فيه الافهام

وربما جاز أن يقال في السادة الشافعية ولا سيما في علماء مصر منهم أن انطباعهم على سهولة الانقياد سهل أيضاً دخول الفنون الدينية المستحدثة عليهم ودماثة أخلاقهم تأبى عليهم اساءة الظن ما أمكن تحسينه فلذلك حازت هذه الفنون التصوفية المستحدثة قبولا عند علماء الشافعية الأولين

هذا وحيث قلنا ان من خلق المصريين سهولة الانقياد ولا سيما للحق وكذلك علماء الشافعية الأكراد كلهم أهل نظر وتحقيق فلا يصعب حمل الشافعية على النظر في البدع الدينية خصوصاً مايتعلق منها بمظنات الشرك الجـالب للمقت والضنك ولا شك أنهم يمتثلون أوامر الله في قوله تعالى (فإنْ تَنازَعْتُمْ في شيءٍ فَرُدُّوهُ الى اللهِ والرَّسولِ إنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنونَ باللهِ واليومِ الآخرِ) وقوله تعـالى (يا أيُّها الذينَ آمَنُوا اسْتَجيبُوا للهِ وللرَّسولِ اذا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) وقوله تعالى (اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ اليكم من ربكم ولا تَتَّـبِعُوا مِنْ دُونِهِ أوْلياءَ) هذا وكثير من علماء الشافعية الأقدمين والمتأخرين المنتصرون للمذهب السلفي السديد ، المقاومون للبدع والتشديد ، والحق ان التصوف المتغالى فيـه لاتصح نسبته لمذهب مخصوص فهذا الشـيخ الجيلي رضي الله عنه حنبلي وصوفي

قال (الاستاذ الرئيس) ان أخانا العالم النجدي يعلم أن ما أفاض به علينـا لاغبار عليه بالنظر الى قواعد الدين وواقع الحال وكفى بمـا استشهد به من الآيات البينات براهين دامغة ، ولله على عباده الحجة البالغة ، وعبارة التردد التي ختم بها خطابه يترك بها الحكم لرأي الجمعية ماهي الا نزعة من قدحرية الرأي والخطابة فأرجوه وأرجو سائر الاخوان الكرام أن لايهابوا في الله لومة لائم ورأي كل منا هو اجتهاده وما على المجتهد سبيل وليعلموا أن رائد جمعيتنا هذه الإخلاص فالله كافل بنجاحها وغاية

كل منا إعزاز كلمة الله والله ضامن إعزازه قال تعالى «ان تنصروا الله ينصركم»

نعم هـذا النوع من الارشاد أعني الانتقاد على الاعتقاد هو شديد الوقع والصدع على التائهين فى الوهلة الاولى لأن الآراء الاعتقادية مؤسسة غالباً على الوراثة والتقليد دون الاستدلال والتحقيق وجارية على التعاون دون التقانع . على أن أعضاء جمعيتنا هذه وكافة علماء الهداية في الأمة يشربون والحمد لله من عين واحدة هي عين الحق الظاهر الباهر الذي لا يخفى على أحد فكل منهم يختلج في فكره مايخالج فكر الآخرين عينه أو شبهه لكنه يتهيّب التصريح به لغلبة الجهل على الناس واستفحال أمر المدلّسين ويخاف من الانفراد فى الانتقاد ، فى زمان فشا فيـه الفساد ، وعم البلاد والعباد ، وقل أنصار الحق ، وكثر التخاذل بين الخلق ،

ويسرني والله ظهور الثمرة الاولى من جمعيتنا هذه أعني اطمئنان كل منا على اصابة رأيه واطلاعـه على أن له فى الآفاق رفاقاً يرون ما يراه ، ويسيرون مسراه ، فيقوى بذلك جنانه ، وينطلق لسانه ، فيحصل على نشاط وعزم فى إعلاء كلمة الله ويصبح غير هيّـاب لوم اللائمـين ، ولا تحامل الجاهلين ، ومن الحكمة استعمال اللين والتـدريج والحزم والثبات فى سياسة الارشاد كما جرى عليه الانبياء العظام عليهم الصلاة والسلام وقد بسطت ذلك فى اجتماعنا الأول وسنلاحظه فى قانون الجمعية الدائمـة الذي نقرره ان شاء الله بعد استيفاء البحث في طريقة الاستهداء من الكتاب والسنة في اجتماعاتنا الآتية أما اليوم فقد انتهى الوقت وانتصف النهار

باب التربية والتعليم

﴿ قوانين التعليم الرسمي — انتقاد ﴾

(النبذة الرابعة تعليم اللغة والتاريخ والعلوم)

انتقدنا في النبذ السابقة قانون التعليم الرسمي من حيث تعليم الدين ووددنا لو نعلم لنظارة المعارف عذراً نعذرها على تلك العيوب وضروب التقصير ونتكلم في هذه النبذة على تقصير القانون فيما يتعلق بتعليم اللغة العربية لغة الأمة والبلاد وتعليم التاريخ والعلوم

العيب العام الاكبر هو ماجاء في عرض كلامنا على اقتراح الجمعية العمومية أعني مزاحمـة اللغة الأجنبية للغة البلاد في التعليم الابتدائي وقد خرجت نظارة معارف

مصر في هذا عن سنة اتمها الاوربيين كلهم فهي لاتجد لها دولة أوربية تقتدي بها . ولم تكتف بتعليم قواعـد اللغة الاجنبية ومباديها بل زادت على ذلك تعليم مبادئ العلوم بها فالتاريخ الطبيعي يبتدأ به في السنة الثانية وله درس واحد في الاسبوع يقرأ بالعربيـة ثم يقرأ في السنتين الثالثة والرابعـة باللغة الأجنبية وله فيها درسان في كل أسبوع فكأن دروس السنة الثانية تمهيد لما بعدها فتكون لغة البلاد وسيلة لامقصدا . وكذلك الحال في علم تقويم البلدان الا ان دروسه في الثالثة والرابعة ثلاثة في كل أسبوع .

ومن نظر في جـدول توزيع حصص الدروس في التعليم الثانوي لايري بازاء خصوط اللغة العربية من الجدول الا النقط والاصفار فالعلوم كلها تقرأ باللغة الاجنبية وهي الحساب والهندسة والجبر وتقويم البلدان والتاريخ والطبيعة والكيمياء والرسم . وكأن «الضمانات الخمس» التي قدمها ناظر المعارف لنواب الامة في الجمعية العمومية هي التي جملت دروس الترجمة من حصص اللغة العربية في الجدول الابتدائي والثانوي لتزيد العدد فتقتنع الامة بان لغتها قد اعتني بها وادخلت فيها العـلوم والفنون ولكن هذا غش وخداع فان الترجمة كما تكون من اللغة الاجنبية الى العربية تكون بالعكس والعناية الكبرى فيها باللغة الاجنبية ومعلموها هم معلمو اللغة الاجنبية وأكثرهم غير بارع بالعربية فكان الاقرب الى الصواب ان تعد الترجمة من دروس اللغة الاجنبة . فدروس الاسبوع في التعليم الثانوي ٣٣ درساً ثمانيـة منها للغة العربية نفسها (النحو والصرف والبلاغة) والباقي للغة الانكليزية تسعة لنفس اللغة وواحد للترجمة والباقى للعلوم . ومما يدل على ان حصص الترجمة تعد من دروس اللغة الاجنبية إهمال الكلام عليها في الفصل الذى يشرح كيفية تعليم العربية من القانون وذكرها في الفصول التى يشرح فيها كيفية تعليم اللغة الاجنبية

الأمور التي تهمّ الامة في التعليم وتود الضمان عليها ثلاثة — الدين وهو في المرتبـة الأولى واللغة وهي في المرتبة الثانية والتاريخ وهو في المرتبة الثالثة . فأما الدين فقـد بينا وجوه تقصير المعارف فيه وجعله كالرسم الدارس

وأما اللغة العربية فتقصيرها فيها من وجهين أحـدهما نسبي وهو جعلها دون اللغة الأجنبية والواجب أن تكون فوقها وثانيهما عدم تعليم العلوم والفنون بها والواجب أن تجعلها لغة العلم لأن الأمة لاتحيا حياة حقيقية الا بجعـل لغتها لغة العلم ليتسنى بذلك تعميم العلم فيها فتكون حياتها العلمية ممدة لحياتها المعاشية والقومية . واذا نحن جعلنا للعلم لغة ولسائر الشؤن لغة أخرى نكون قد جعلنا في مقوّمات حياة الامة تنـازعا

بفصل العلم عن العمل ولا يمكن أن يكون العلم مرشداً الى العمل والعمل منبعثاً عن العلم الا اذا كان العامل عالماً ونتيجة هـذا من غير تطويل بشرح المقدمات أن أحد الامرين واجب لكمال الحياة إما نقل العـلم الى لغة الامة وهو المعقول المقبول واما نقل الأمة الى لغة العلم الطارئ وهذا إعدام للأمة وجعلها غذاء وممدة للأمة التي تنتقل الى لغتها وما اخال أن ناظر المعارف ورجال «ضماناته الخمس» من أمته يرضون بذلك سرًّا وجهراً فان كان لهم من الأمر شيء فليعلموا أبناء الأمة العلوم بلغتها وان كانوا مغلوبين على أمرهم للمستر دنلوب ومن ينصره فلا يعارضْ ناظر المعارف الجمعيــة العمومية فى طلبها عرض قوانين المعارف على مجلس الشورى ولا يكابرْ نفسه وقومه بزعمه ان قوانين نظارته موافقة لمصلحة الأمة ومؤيدة منها «بخمس ضمانات» !!

وأما التاريخ فهو عند جميع الامم الحية قوام التربية الاجتماعية به تنفخ روح محبة الجنس والامة والوطن فى الناشئين فبتعليم التاريخ كانت المانيــا المانيا وانكلترا انكلترا وفرنسا فرنسا فالغرض الأول من علم التاريخ معرفة الانسان أمته أو معرفته نفسه من حيث هو أمة ثم معرفته سائر الأمم ليعرف مكانه منها ومكانها منه وبذلك يحصل الانسان العلم النافع الذي هو غاية كل تربية وتعليم وهو الذي عرّفه حكيمنا الامام بقوله « العـلم ما يعرّفك من أنت ممن معك »

اذا كان هذا هو الغرض من التاريخ فقد أصابت الامم الاوربية بتلقين الناشـئين في أول الأمر تاريخ أمتهم مفصلا تفصيلا وجعلهم تاريخ بقية الامم في الدرجـة الثانية فالتلميذ عندهم لا يعرف شيئاً من عظمة غير قومه وأمته الا بعد أن يشرب قلبه عظمة سلفه وحبهم وحب بلادهم • ويقال ان أكثر الالمانيـين لا يكادون يعلمون شيئاً عن غير بلادهم وأمتهم الا إجمالا لأن الواجب في رأيهم على كل انسان ان يعرف نفسه وقومه الذين سعادته بسعادتهم وشقاؤه بشقائهم • وأما معرفة أحوال بقية الامم فانما تجب على طائفة من الناس كالذين يتصدون للسياسة وللتعليم ونحو ذلك مما يحتاج فيه الى معرفة تاريخ الآخرين وأحوالهم

على هذا كان الواجب على نظارة معارفنا أن تجعل تاريخ الاسلام والسيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين في مقدمته هو أول ما يغرس في نفوس تلامذتنا وأن تتوسع في تاريخ جميع الدول الاسلامية وبيان أسباب تقـدمها وتأخرها حتى تنتهي بالدولة العثمانية والبلادُ المصرية جزء منها وبعد هـذا كله تلقن التلامذة بالإجمال تاريخ سائر الامم لاسيما المجاورة للممالك الاسلامية ليعرفوا نسبتهم الى قومهم ونسبة قومهم اليهم •

ما أدت نظارة المعارف هذا الواجب ولا رعته حق رعايته فانها لم تعتبر جنسية قومها في الدين ولا في اللغة ولا في الحكومة (وهي العثمانيــة) ولكنها اعتبرت أن جنسيتها نسبتها الى مصر وان سلف هذه الامة الغريبة هم الفراعنة والرعاة واليونان والرومان والعرب وخلفها الترك فهى والأوشاب تعلم التلامذة في الطور الابتدائي تاريخ هذه الأمم الكثيرة بهذا الترتيب •

وأما تعليم التاريخ في القسم الثانوي ففي السنة الاولى منه يعلمون تاريخ الرجال وذكرهم في القانون وليس فيهم مسلم ولا عربي الا محمد علي باشا واسماعيل باشا أميري مصر • وفي السنة الثانية اقسام (١) الدولة الرومانية (٢) الدولة الانكليزية «٣» الحروب الصليبية «٤» الدولة العثمانية «٥» عظم دولة اسبانيا وفيها الاصلاح المسيحي «٦» عظم فرنسا (٧) ارتقاء الروسيا وفيه تاريخ المسئلة الشرقيــة وما فقدته الدولة العثمانيــة من أملاكها وتغلب روسيا عليها واضعافها... (٨) ارتقاء بروسيا (٩) نابليون (١٠) المستعمرات الاوربية . وفي السنة الثالثة أقسام أيضاً (١) قيام أمم أوربا (٢) نمو الحرية السياسية في أوربا (٣) المدنية عند جميع الامم ما عدا المسلمين (٤) تقدم مصر (٥) أسـباب ارتقاء واضمحلال الأمم باختصار • وكل هذا يعلمه الاوربيون بلغتهم فاعتبري أيتها الأمة المصرية « بضمانات ناظر المعارف الخمس » واطمئني له ولها...

ما أجدر هؤلاء التلامذة بأن يشبوا لا يعرفون لهم أمة ولا جنساً ينتمون اليـه ويفتخرون به ويعملون على احياء مجده وتجديد فخره . بل ما أجدرهم بفساد الفطرة التي نراها في بعض احداثهم الذين ينادون بالوطنية المصرية بغير عقل . فان قيل لهم هل الوطني المصري هو من يسكن مصر ويتخذها وطناً قالوا : لا لا ان ممن يسكنها النزلاء الافرنج وهؤلاء يحترمون في الظاهر ويبغضون في البـاطن ومنهـم الدخلاء العثمانيون من سوريا وغيرها وهؤلاء يمقتون في الظاهر والباطن . وان قيل لهم هل الوطني المصري ما كان من سلائل القبط والفراعنة فيجب أن نبغض من يسكن مصر من سلائل العرب والترك والأرنؤد والجراكسة وان كان حكامنا منهم ؟ قالوا : لا لا ان الجنس القبطي هو شر الاجناس فنسميه وطنيا ظاهراً ولكننا في الباطن نفضل عليه المسلمين المصريين . فان قيل لهم : اذن ان جنسيتكم هي الاسـلام فيجب أن تعتصموا مع كل مسلم من أيّ مملكة كان . قالوا : لا لا ان هذا ينافي (الوطنية الحقة) واننا لا نعتد الا بالمسلمين المصريين الاصليين لا الذين سكنوا مصر من عهد قريب • فهذه الذبذبة والحيرة عند هؤلاء الاحـداث من المسلمين ليس لها سبب أقوى من

هذا التعليم المذبذب . وظاهر ان نتيجة هذا التعليم الجناية على الرابطة الدينية وعلى الرابطة اللغوية وعلى الرابطة الوطنية لأن هؤلاء الاحداث لايحبون كل أبناء وطنهم بحيث يفضلونهم على سواهم . نعم ان مضرته وفساده في القبط أقل منها في المسلمين فان القبطي المتعصب يقول ان المصري هو القبطي فقط وكل من عداه دخيل . وغير المتعصب يقول ان المصري هو من يقيم في مصر ويتخذها وطناً ينفعها وينتفع منها سواء كان شرقيا أم غربيا مسلما أم مسيحيا . ولا يقول بهذا القول الا أفراد قليلون على انى أحكم بوجودهم بالرأي والتخيل لا بالمعرفة والاختبار

رب قائل يقول ان غرض الحكومة أن تربي الناشئة على هذا الراي، ونحن نقول ان هذه غاية لاتدرك الا بمحو الدين وذلك متعذر على الحكومة اذا فقدت الدين وأرادت محوه ولكن حكومة البلاد اسلامية والشعب الكبير اسلامي واذا وجدت آداب الاسلام الحقيقية فهي تقتضي الوطنية الحقيقية وهي اتفاق جميع سكان البلاد على مافيه خيرهم وخير بلادهم ومعاملة الجميع بالعدل والمساواة بينهم بالحقوق وقد أوضحنا هذا في مقالة (الجنسية والديانة الاسلامية) فلتراجع فى المجلد الثاني والله أعلم

آثار علمية أدبية

الهدايا والتقاريظ

(كتاب حاضر المصريين أو سر تأخرهم) كتاب صنفه أحد شبان المصريين النجباء المولعين بالبحث وهو أحمد افندي عمر أحد مستخدمي مصلحة البريد تكلم فيه على حالة المصريين الاجتماعية في معيشتهم وكسبهم وعاداتهم وآدابهم وعلمهم وقد جعله ثلاثة أقسام قسم للاغنياء وقسم للمتوسطين وقسم للفقراء . ولا شك أن المؤلف قد تعب في الوقوف على عادات الطبقات الثلاث فى المحبة والزواج والعشرة بين الزوجين وتربية الاولاد وتعليمهم وعاداتهم فى النفقة والبذل والاوهام . وفي معرفة أحوالهم فى التجارة والزراعة والصناعة والطباعة والكتب والجرائد التي تنشر فيهم . وبحثه في جميع هذه المسائل بحث انتقاد صحيح ينبه الافكار المستعدة الى السعي في اصلاح الخلل واتقاء الزلل . ولا ينفع الناس شيء مثل علم ماهم فيه من نافع وضار

لذلك نقول ان هذا الكتاب من أنفع ما كتب فى العربية فى هذا العصر

الكاتب تحرى الصواب وبيان الحقائق بقدر الاستطاعة مع الوقوف عند حدود الادب فإن قصر فى بعض المسائل فعذره انه لم يستمد من كتب مؤلفة ينقل عنها بسهولة وانما استمد من المشاهدة والاختبار وان ما تسنى من ذلك له كثير على من كان مشغولا بوظيفة صغيرة كوظيفته تستغرق معظم أوقاته في خدمتها وقد طالعنا جملة صالحة من الكتاب فوافقناه فى أبحاثه وقد انتقدنا عليه التقصير فى تصحيح عبارة الكتاب وعدم بدئه بالبسملة الشريفة عملا بالحديث الشريف واتباعاً لسنة المسلمين سلفهم وخلفهم . وقد قرظ الكتاب القاضي الفاضل أحمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة مصر وأجازه وأثنى عليه وبدأ تقريظه بسنة البسملة على أن العادة لم تجر بذلك وكأنه أراد مع اتباع السنة تنبيه المؤلف على تركها بالعمل دون القول

أقول انني لا أوفي هذا الكتاب حقه في التقريظ الا بنقل بعض فوائده في أجزاء أخرى على أنه هضم حق المنار عند كلامه على الجرائد الدينية فانه لم يكتب عنه الا جملة وجيزة فى الهامش اعترف فيها بعناية المجلة بالإصلاح الديني والتنفير عن البدع ولكنه عرّض فيها بنا بأن للأمور الشخصية سبيلا علينا وقد ظهر لنا منه انه رجع عن هذا الرأي والله أعلم بالسرائر وهو الموفق للصواب

(كنز الجوهر في تاريخ الأزهر) كتاب مختصر ألفه الفاضل الشيخ سليمان رصد الحنفي أحد المشتغلين بالعلم في الجامع الازهر الشريف واهل الازهر أجدر الناس بمعرفة تاريخه والتأليف فيه . الكتاب يشتمل على مقدمة ذكر فيها بعثة النبي صلى الله عليه وسلم واستطرد منها الى الفتح الاسلامي الذي كان منه فتح مصر وفيها الكلام على جامع عمرو بن العاص وجامع ابن طولون . ويلي المقدمة خمسة مقاصد أحدها في ابتداء تأسيس الجامع وماعرض عليه بعد ذلك وتجدد فيه وثانيها فى أروقة الازهر والمؤسسين لها وثالثها في شيوخ الأزهر وأشهر علمائه لهذا العهد ورابعها فى الحوادث الشهيرة كحادثة رواق الشوام فى أثناء الوباء وخامسها في عادات أهل الازهر ويتلو ذلك خاتمة في الاحصاء وفيه عدد المشتغلين بالعلم في القطر المصري وبيان مواضعهم

ومما ذكره من عادات أهل الازهر انه لايمكن لاحدهم أن يعمل عملا يكتسب به لافي أثناء الاشتغال ولابعده قال (بل اذا انتحل شيئاً ينتفع به يعد فى أعين اترابه كأنه اقترف ذنباً عظيما) وذكر أن هذه هي علة فقرهم . وذكر أن غير المصريين

من المجاورين في الازهر أحسن حالا من المصريين فى المعيشة والنظافة . وذكر من أسباب وساخة المصريين في ابدانهم وثيابهم وآنيتهم الانهماك في الطلب ومايقع بين المشتركين منهم في المعيشة من العناد والتواكل وفاته ان يبين ان الاشتراك هو الذى يساعد على النظافة لتوزيع الاعمال وان الوساخة واختلال نظام المعيشة يشوش الذهن ويضعف العقل فلايفيد معه الانهماك في الطلب كثيراً. قال: «وأما عادتهم في الاكل وهو غالب اكل المجاورين فهو فول مدمس ونابت وطعمية ومخللا وكراثاً وغير ذلك من الاشياء التافهة لفقرهم بلا فرق بين مصري وغيره وكذلك غالبهم يقوم بعمله بنفسه كغسل ثياب وطبخ وغير ذلك» هذه عبارته بحروفها ويسوءنا جداما نراه في الكتاب مثلها من كثرة الغلط والخطأ

ثم ذكر كيفية القاء الدروس والمطالعة قال (واعتنائهم فيها بفهم العبارات وحل التراكيب والمناقشات بالاعتراضات والاجوبة عنها والاطلاق والتقييد والمفهوم والمنطوق وغير ذلك من غير اعتناء بالحفظ فتجد كثيراً منهم بحرا العلوم في الفهم في الكراس واذا سئل من خارج فقل ان يجيب لعدم استحضاره) اه بالحرف أيضاً والكلام صحيح وصريح في انه لاعناية عندهم بتحصيل ملكة العلم وتكيف النفس بها بحيث تكون قادرة على الكلام فى المسائل عند السؤال والمناسبة وانما العلم الذي يكونون فيه بحاراً زاخرة هو المناقشة في عبارات الكتب التى يقرؤنها واعادة ما كتبه الشراح وأصحاب الحواشي على المتون قراءة

وبالجملة ان فى الكتاب فوائد لاتوجد في غيره من المصنفات في تاريخ الازهر التي هي أوسع منه وأحسن تحريراً وصفحات الكتاب تزيد على ٢٠٠ وثمنه خمسة قروش ويطلب من جميع المكاتب المشهورة بمصر والاسكندرية وطنطا فنحث على قراءته

(شذا العرف . في فن الصرف) كتاب صنفه الاستاذ الفاضل الشيخ أحمد الحملاوي مدرس العربية في مدرسة دار العلوم سابقاً. وقد تصفحت بعض أوراقه ورأيت تقسيمه وتبويبه فظهر لي انه أحسن كتاب لتعليم هذا الفن . وكان طبع في سنة ١٣١٢ باذن نظارة الداخلية بناء على شهادة الشيخ الانبابي شيخ الجامع الازهر لذلك العهد بصحته وخلوه من الخطأ . وقد طبع فى هذه السنة طبعة ثانية بالمطبعة الاميرية بعد تنقيح واضافة كثير من الامثلة والشواهد وهذا من مزايا الكتاب فنحث كل طالب لفن الصرف على قراءته

(كتاب الحساب) كتاب يؤلفه الفاضل عوض أفندي خليل مؤسس وناظر مدرسة الاجتهاد الوطنية ببولاق وصاحب مجلة السمير الصغير المدرسية . وقد أصدر الجزء الاول منه وأودعه ماهو مقرر للتعليم فى السنة الاولى الابتدائية بحسب قانون التعليم فى المعارف (البروغرام) فنحث التلامذة على الاستفادة منه

(المستظرفات) كتاب وضعه الاديب ابراهيم أفندي زيدان جمع فيه من كتب الأدب والتاريخ كثيراً من النوادر الأدبية والفكاهية والغرامية وطبع فى مطبعة الهلال على نفقة مديرها الهمام متري أفندى زيدان وثمن النسخة منه خمسة قروش ويطلب من مكتبة الهلال وهو مما يرغب فيه الناس فلا حاجة الى الترغيب فيه

(كتاب رسائل ارشاد الأفكار . الى طريق الابرار) للشريف منصور أفندى رئيس جمعية التعاون الاسلامي . وقد كتب هذه الرسائل فى مسائل سئلها فاجاب عنها بفهمه واجتهاده على طريقة المتصوفة وقد تصفحنا بعض صفحاتها فعلمنا منها اننا نخالفه في بعض مسائلها ولا سعة معنا في الوقت الآن لقراءتها وبيان مانراه صوابا وما نراه منتقداً وربما يسمح لنا الوقت بذلك بعد

باب الأخبار والآراء

﴿ حرب فرنسا والسنوسي ﴾

كتب بعض كبار التجار في طرابلس الغرب الى صديق له في بعض البلاد وكان سأله عن أخبار بلادهم مانصه بحروفه :

«وردنا جواب من بُومَه تاريخ ١٩ ماى افرنجي ووصل لطرفنا تاريخ ١٤ ربيع اول سنة ١٣٢٠ قال فيه بعد السلام : . وبعد أخي فقد تم البحث الذى وقع عليّ كما اخبرتك في شأن سيدى المهدي (يعني الشيخ السنوسي) ولما ان كانت نيتي طبق الاحسان والصدق مع الله تعالى وخلقه سَلِمْتُ والحمد لله على كل حال . والآن انا سافرت الى فرانسه ثم ارجع الى قسطنطينه الجزائر ثم اسافر من هناك ثانياً فالمطلوب

من فضلك الكريم ان تجعل لنا جوابا على كل مسئلة داخل جوابنا هذا وتسأل خليفة سيدي المهدي ولا تذكر لي الا الخبر الصحيح

اولا : ماهي الاخبار الواردة لكم من ناحية · داركانم . و . البركو . وزاوية الشيخ سيدى المهدى بعـد ماوقع من الحرب بين الفرنسيس وعرب أولاد سليمان والتوارق واستيلاء فرانسه على . بير هَلالى .

ثانياً : هل يرضى الشيخ سيدى المهدى بالصلح مع دولة فرانسه بواسطتي فان كان يقبل وان كان غرضه العافية اصلاح الجميع نخبرني بذلك فاكلم الدولة الفرنساوية ويكون الخير ان شاء الله وان كان نيته الحرب مع فرانسه والجهاد نخبرني وانصحني وقل للخليفة يعرفك بالحقيقة ولا يستخوش مني أبداً . لابد تعرفني بحقيقـة الامر . وان وجب السفر الى طرابلس فعرفني أقدم الى طرفكم ؟

ثالثاً : ما بلغ اليكم من أخبار واداي ؟

رابعاً : ماهي أحوال اخوان طريقة سـيدي المهدي مع دولة الأتراك هل اعتقاد الاخوان مثل الزمان الاول أم لا ؟

خامساً : من مات من الأعيان في المحاربة التي وقعت فى بيرهَلالى ؟ علمي بذلك الشيخ سعد البراني والشيخ غيط والشيخ شرف الدين وغيرهم اه

قال التاجر: «حاصله : وقعت محاربة كبيرة بين دولة فرنسه والشيخ سيدي المهدي وأكَلَتْها دولة فرنسه وأن الجواب الوارد لنا هو من نفس مهندس طائفة فرنسه نحن نرسله الى جغبوب ونحكي لهم بالكيفية وهم يعرفون شغلهم ربنا ينصر الإخوان على القوم الكافرين . وبر السوادين واقع فيه حرب واليوم صار لدولة فرنسه مع المهدي مثل ماصار للانكليز مع الترانسفال ندعو الله أن يهلك دولة فرنسه · وأرسلنا جواب الى رحب خوجه المذكور وعرفناه هذه المسئلة لاتهمنا والسلام اه مكتوب التاجر

والقارئ لهذا المكتوب يظهر له انه كتب عن معرفة وانه صدق لاشبهة فيـه ولكن فيه شيئاً من الإبهام . قال الذي أرسل صورته الينا : حبذا لو علمنا من هو صاحب التحرير المرسل الى التاجر وأين هي بلدة بُومَة ؟ وما معنى قوله : تمّ البحث الذي وقع عليّ ؟ وقد ذكر التاجر صاحب المكتوب انه مهندس طائفة فرنسا وسماه رحب أو رجب خوجه . فما هذا السر ؟ هل الرجل مسلم كما يظهر من كلامه أو مسلم جغرافي (كما تقولون فى المنار) يريد أن ينتفع من فرصة الخلاف بين السنوسي وفرنسا ؟

اوهو مسلم من مسلمي الجزائر وتونس موظف عند فرنسا ويريد أن يخدمها ويخدم سيده المهدي ؟ وربمـا كان قوله « تم البحث » الخ اشارة الى أنهم فتشوا عليه لكونه جاسوساً من قبل المهدي أو متهماً بالتجسس . والذي حملني على هذا الظن قوله في آخر الجملة (سَلِمتُ) . ويفيد قوله : (وتسأل خليفة سيدي المهدي) أن للمهدي خليفة مقيما في طرابلس الغرب . والذى يجعـل فى النفس ريبـة من قول صاحب المكتوب هو قوله : « ولا يستخوش مني أبداً » وقوله : « ماهي أحوال الإخوان مع دولة الاتراك » الخ

أما نحن فنعلم أن للسيد المهدى السنوسي خلفاء في طرابلس وكل بلاد افريقية الشمالية والوسطى وصحاريها ونرجح أن المهندس صاحب المكتوب جاسوس فرنسي كما انه مهندس ولذلك لم يجاوبه التاجر عن أسئلته

﴿ مسيح الهند والمنار ﴾

سبق لنا رد على القائم في الهنـد المدعي انه المسيح الموعود به وعلى كتابه الذي سماه اعجاز المسيح ، وان كان قوله كالريح ، وسجعه دون سجع شق وسطيح ، وقد ترجمت رد المنار عليه الجرائد الهندية ، واذاعته في تلك الممالك القصية . فاستشاط الرجل غضباً ، وملأ النواحي سبابا وصخباً ، والمؤمن ليس بسباب ، ولابذئ ولاصخاب ، فهل يكون المرسلون والمسحاء ، من أهل السفه والبـذاء ، وهل ينزل الوحي على أهل الالهام ، وتقام الحجة على الأنام ، بالسخرية والاستهزاء ، والقول الهراء ، والانتصار للنفس ، ومكابرة الحس ، والتفنج والتبجح ، والتجرم والتذقح ، كافعل هذا المدعى في الكتاب الذى لفقه في الرد على «المنار» ، فكان مجلبة الخزي والعار ، وقد سماه « الهدى والتبصرة لمن يرى » ، وماعهدت الهداية بشتم الورى ،

بعد أن أهـدى الينا كتابه ، وارسل شتمه وسبابه ، كتب الينا أحد كبار علماء الهند من لاهور كتاباً يشكو فيه من انتشار البدع في الهند وقال فيـه « الآفة التى لاتذكر ، والعاهة التي لاتسطر ، هي فتنة المسيح الدجال الهندي الشـهير بميرزا غلام أحمد القادياني ، فهي لاتنقطع كسير السواني ، وهو في زعمه الباطل مجدد مهدي ملهم محدَّث مسيح مرسل امام عنـد شرذمة قليلين ، مالهم من دنيا ولادين ، والحق انه رجل ختال ختار ، بطّال شطار ، يدعى الوحي والنبوة ، ويثبت للمسيح البنوّة ، ويحرف

آيات القرآن بتأويلات فاسدة ، ويتنطع في أحاديث النبي بخزعبلات كاسدة ، » ثم ذكر هذا العالم مجادلته لعلماء الهند وافحامهم اياه وانصرافه لدعوة العلماء في غير الهند ومنهم الفقير صاحب المنار وانتقل من هنا الى ذكر ردّنا على كتابه (اعجاز المسيح) وذكر ان الجرائد الهندية نقلته عن المنار ، وكان له شأن في تلك الديار ، أثار من ذلك المدعي اشجانه ، وأطلق بالسب لسانه ، ثم رغب الينا في الرد عليه وقال : « فان لتحريركم وقعاً فى النفوس ، أشد من حرب البسوس ، » .

نعم ان من وظيفة المنار الرد على أمثال هذا المدعي ، ولو لم يرغب الينا فيه ذلك العالم الالمعي ، ولكن الرد انما يكون على الشبهات ، التي تساق مساق البينات ، وليس لهذا المدعي شبهة يستند اليها ، ولا تكأة يتوكأ عليها ، الا ذلك المؤلف الذى هو حجة عليه ، بل سهام منه تصوب اليه ، فقد ادعى انه معجز للبشر ، لا تأتي بمثله القوى والقدر ، فما هو وجه الإعجاز فيه ، الذى جعله عمدة تحدّيه ؟ ، ان قال ان العمدة ، هي قصر المدة ، فاني ألفته في سبعين ، ولا يقدر على مثل ذلك أحد من العالمين ، نقول : أولا اننا لا نصدقك في هذا التحديد على انه طويل ، فهل لك عليه من بينة ودليل ، وثانياً ان كثيراً من العلماء ألفوا كتباً طويلة ، فى مدة قليلة ، ولم يدعوا أن ذلك من المعجزات ، لأنه ليس من خوارق العادات ، فالفناري الف شرحه على الايساغوجي فى يوم من أقصر الأيام ، ولم يتحد به أحداً من الأنام ، وثالثاً اننا نطلب منه محكمين من أهل الانصاف ، يرضى بهم كل منا ومنه للحكم في مواضع الخلاف ، وعند ذلك نظهر له أغاليط كتابه في اللفظ والفحوى ، والعاقبة كما قال الله تعالى للتقوى ، ليعلم الناس أن تحدي النبوة والرسالة ، لا يكون بالخطأ والجهالة ، وان ادعاء اقامة الدين وتأييد الشريعة ، لا يكون بتقويض أركانهما الرفيعة ، وتشويه محاسنهما السنية السنيعه ، وان إصلاح نفوس المسلمين ، لا يكون بشتم العلماء والمرشدين ، وسنعجل قبل تعيين المحكمين بإظهار بعض ما خالف فيه شريعة خاتم النبيين ، وموعدنا الجزء الآتي

أما الآن فاننا نذكر بعض عباراته فى الرد علينا ، وما وجه من الطعن الينا ، ليعلم القراء مبلغ آدابه ، وعساطته فى خطابه ، قال بعد مازعم أنه آثرنا بكتابه (اعجاز المسيح) على علماء الحرمين والشام والروم مانصه :

« ثم لما بلغ كتابي صاحب المنار ، وبلغه معه بعض المكاتيب للاستفسار ، ما اجتنى ثمرة من ثمار ذلك الكلام ، وما انتفع بمعرفة من معارفه العظام ، ومال الى الكلم والايذاء بالاقلام ، كما هو عادة الحاسدين والمستكبرين من الانام ، وطفق يؤذي ويرزى

غير وان في الازراء والالتطام ، ولا لا والى الكرم والاكرام ، كما هو سيرة الكرام ، وعمدان يؤلمني ويفضحني في أعين العوام كالانعام ، فسقط من المنار الرفيع والتقى وجوده في الآلام ، ووطئني كالحصى ، واستوقد نار الفتن وحضى ، وقال ما قال وما أمعن كأولى النهى ، وأخلد الى الارض وما استشرف كأولى التقى ، وخرّ بعد ما علا ، وان الخرور شيء عظيم فما بال الذى من المنار هوى ، واشترى الضلالة وما اهتدى ، أم له في البراعة يد طولى ، سيهزم فلا يرى . نبأ من الله الذى يعلم السر وأخفى

ثم قال : « وكنت رجوت ان أجد عندك نصرتي ، فقمت لتندد بهواني وذلتي ، وتوقعت ان يصلني منك تكبير التصديق والتقديس ، فأسمعتني أصوات النواقيس ، وظننت ان أرضك أحسن المراكز ، فجرحتني كالاكز والواكز ، وذكرتني بالنوش والنهش والسبعية ، نبذاً من أيام الخصائل الفرعونية ، ولست في هذا القول كالمتندم ، فان الفضل للمتقدم ، وكنت أتوقع ان يتسرى بمواخاتك همي ، ويرفض بجندك كتيبة غمي ، فالأسف كل الأسف ان الفراسة اخطأت ، (أى فلم يصدق عليه حديث « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » لانه ينظر بظلمة غروره) والروية ما تحققت ، ووجدت بالمعنى المنعكس ريّاك ، (وهنا اشارة قبيحة تليق بقائلها ولا تليق بنزاهة من يصطفيهم الله تعالى لهداية خلقه) فهذه نموذج بعض مزاياك ، (أنث النموذج وكم أنت مذكرا) وعلمت ان تلك الارض أرض لا يفارقها اللظى ؛ وتفور منها الى هذا الوقت نار الكبر والعلى ، فعفى (كذا) الله عن موسى ، لم تركها وما عفّى ، (وههنا أساء الأدب مع سيدنا موسى الكليم ونسب اليه الخطأ والذنب والتقصير . على ان تعفية مصر واهلاكها بيد الله لا بيده عليه السلام)

ثم قال بعد مكابرة في ردنا على كتابه ونسبته للغلط والتكلف مانصه : « وحسبتك حبيباً يريحني كنسيم الصباح ، فرأيت كعدو شاكي (كذا) السلاح ، وخلت انك تهدر بصوت مبشر كالحمام ، فأريت وجهك المنكر كالحمام ، وأعجبني حدتك وشدتك من غير التحقيق (كذا) . فأخذني ما يأخذ الوحيد الحائر عند فقد الطريق ، لكنني اسررت الامر وقلت في نفسي لعله تصحيف في التحرير ، وما عمد الى التوهين والتحقير ، وكيف قصد شراً لا يزول سواده بالمعاذير ، وكيف يمكن الجهر بالسوء من مثل هذا التحرير ، (يذم ويمدح) ولما تحققت انه منك تقلدت اسلحتي للجهاد ، وقلت مكانك يا ابن العناد ، وعلمت أنك ما تكلمت بهذه الكلمات ، الا

حسداً من عنـد نفسك لا لاظهار الواقعات ، (اني لا أدعي المسيحية فاحسده على دعواها ولاشئ آخر يحسد عليه) فابتدرت قصدك ، لئلا يصدق الناس حسـدك ، فان علماء ديارنا هـذه يستقرون حيلة الازراء . فيستفزهم ويجرءهم علي كلما قلت للازدراء ، ولولا خوف فسادهم لسكت ، وماتفوهت وماتجلدت ، ولكن الآن أخاف على الناس ، وأخشى وسوسة الخناس ، وان بعض الشهادات ، أبلغ من الضرب بالمرهفات ، فاخاف أن يجدد الاشتعال من كلمات المنار ، ويسقط ميمه ويبقى على صورة النار ، »

ثم ادعى انه كان غلب علماء الهنـد وسرق سجعات من كلام الحريري وقال « فالآن أحيي اللئام بعـد الممات ، وشد المنار عضدهم بالخزعبيلات ، (كذا) فأرى انهم يتصلفون ويستأنفون القتال ، ويبغون النضال ويخدعون الجهال ، ورجعوا الى شرهم وزادوا ضدا ، بمـا جاء المنار شيئاً ادّا ، وجاز عن القصد جدا ، (كذا بالزاي والحريري استعملها بالراء من الجوْر) فأكبر كله حزب من العمين ، الخ

ثم ذكر انه كثيراً ما كان يغضي عن المعترضين والمزدرين وقال : « ولكن رأيت أن صاحب المنار ، عظّم في عين هذه الاشرار ، (كذا) وأكبر شهادته بعض زاملة النار ، وكانوا يذكرونها بالعشي والاسحار ، فبلغني مايتخافتون ، وعثرت على مايسرون ويأتمرون ، وأخبرت أنهم يضحكون علي وفي كل يوم يزيدون ، » — الى أن قال في صاحب المنار : « بل أصرّ على الإزراء في الجريدة . فأكل الحاسدون حصيدة لسانه كالعصيدة ، وتلقفوا قوله وجددوا الخصومة بعدما قطعوها كما هو من شيم القرائح البليدة ، وحسبوا كلمه كالاسلحة الحديدة . وأشاعوها في الأخبار (الجرائد) والجوائب الهندية . وكتبوا كلما يشق سماعها على الهمم البريئة المبرءة . وآذوا قلبي كما هي عادة الرذل والسفهاء ، وسيرة الأراذل من الأعداء ، » ثم قال : « وما أظنني أن يكتب المنار من معارف كمعارف كتابي ، ويرى بريقاً كبريق ما في قرابي ، ثم مع ذلك تناجيني نفسي في بعض الاوقات ، ان من الممكن أن يكون مدير المنار بريئاً من هذه الإلزامات ، ويمكن أنه ماعمد الى الاحتقار والنطح كالعجماوات ، بل أراد أن يعصم كلام الله من صغار المضاهات ، وانما الاعمال بالنيات ، (وههنا حاشية في الاصل ذكر فيها انه يظن ان سبب غيظي منه حكمه بمنع الجهاد) فان كان هذا هو الحق فلا شك انه ادخر لنفسه بهذه المقالات ، كثيراً من الدرجات ، وأي ذنب على من سبني لحماية الفرقان ، لا للاحتقار وكسر الشان ، » — الى ان قال — : « ولكنني معتذر كمثل اعتذاره ، فان الفتن قد انتشرت من أقواله وأخباره » الخ الخ

المنار
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الثلاثاء غرة جمادى الاولى سنة ١٣٢٠ — ٥ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٢)

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس مما يلقيه في الازهر مولانا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصريه)

« أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ، وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ، الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ »

الكلام موجه الى بني اسرائيل وقد تقدم في الآيات السابقة أن الله ذكرهم بنعمته وأمرهم بالوفاء بعهده وأن يرهبوه ويخشوه وحده وأن يؤمنوا بالقرآن ونهاهم أن يكونوا أول كافر به وأن يشتروا بآياته ثمناً قليلا وأن يلبسوا الحق بالباطل ويكتموه عمـدا ثم أمرهم باقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطفق في هذه الآيات يوبخهم على سيرتهم المنحرفة في الدين ويهديهم الى طريق الخروج منها

اليهود كسائر الملل يدعون الايمان بكتابهم والعمل به والمحافظة على أحكامه والقيام بما يوجبه ولكن الله تعالى علمنا أن من الايمان مالا يعبأ به فيكون وجوده كعدمه وهو الايمان الذي لا سلطان له على القلب ولا تأثير له في اصلاح العمل كما قال « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين » وكان اليهود في عهد بعثته عليه الصلاة والسلام قد وصلوا في البعد عن جوهر الدين الى هذا الحد . كانوا — ولا يزالون — يتلون الكتاب تلاوة يفهمون بها معاني الالفاظ ويجلون اوراقه وجلده ولكنهم ما كانوا يتلونه حق تلاوته لان الذين يتلونه حق تلاوته « اولئك يؤمنون به » كما قال تعالى وعلى الوجه الذي يرضاه تعالى . يتلون الفاظه وفيها البشارة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويامرون بالعمل بأحكامه وآدابه من البر والتقوى ولكن الاحبار القارئين الآمرين الناهين ما كانوا يبينون من الحق الا ما يوافق اهواءهم وتقاليدهم ولا يعملون بما فيه من الاحكام الا إذا لم يعارض حظوظهم وشهواتهم فقد عهد الله اليهم في الكتاب انه يقيم من اخوتهم نبيا يقيم الحق[1] وفرض عليهم الزكاة ولكنهم كانوا يحرفون البشارة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويأوّلونها ويحتالون لمنع الزكاة فيمنعونها . وجعلت لهم مواسم واحتفالات دينية

[1] يشير الى مافي الفصل الثامن عشر من سفر تثنية الاشتراع : « قال لي الرب احسنوا فيما تكلموا ١٨ اقيم « وفي ترجمة أخرى سوف اقيم » لهم نبياً من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ١٩ ويكون ان الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي انا اطالبه » وفي ترجمة اخرى « فانا اكون المنتقم من ذلك » ولم يبعث بعد موسى نبي مثل موسى في نبوته اي انه صاحب شريعة مستقلة غير محمد عليه الصلاة والسلام

تذكرهم بما أعطي انبياؤهم من الآيات وما منحهم الله من النعم لينشطوا الى إقامة الدين والعمل بالكتاب ولكن القلوب فسقت بطول الامد عن أمر ربها . وهذه التوراة التي بين أيديهم لا تزال حجة عليهم فلو سألتهم عما فيها من الامر بالبر والحث على الخير لاعترفوا وما انكروا ولكن اين العمل الذي يبعث اليه الايمان فيكون عليه اقوى حجة وبرهان

كذلك كان شأن احبار اليهود وعلمائهم فى معرفة ظواهر الدين بالتفصيل وكان عامتهم يعرفون من الدين العبادات العامة والاحتفالات الدينية وبعض الامور الاخرى بالاجمال ويرجع المستمسك منهم بدينه فى سائر اموره الى الاحبار فيقلدهم فيما يأمرونه به وكانوا يأمرون بما يرونه صواباً فيما ليس لهم به هوى والا لجأوا الى التأويل والتحريف والحيلة ليأخذوا من الالفاظ مايوافق الهوى ويصيب الغرض . فاذا وجه الخطاب فى قوله تعالى « اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم » الى حملة الكتاب فذاك لأن الامر والنهي وظيفتهم واذا كان عاما فذاك لأن شأن العامة فيما يعرفون من الدين بالاجمال كشأن الرؤساء فيما يعرفون بالتفصيل ولا يكاد يوجد احد لا يأمر بخير ولا يحث على برّ فاذا كان الآمر لا يأتمر بما يأمر به فالحجة قائمة عليه بلسانه

وبخّ الله هؤلاء القوم أنهم كانوا يأمرون الناس بالبر كالأخذ بالحق ومعرفته لأهله وعمل الخير والوعد عليه بالسعادة مع الغفلة عن انفسهم وعدم تذكيرها بذلك . وما اجمل التعبير عن هذه الحالة بنسيان الانفس فان من شأن الانسان ان لا ينسى نفسه من الخير ولا يحب ان يسبقه أحد الى السعادة كأنه يقول : اذا كنتم موقنين بوعد الكتاب على البر ووعيده على

تركه فكيف نسيتم انفسكم « وانتم تتلون الكتاب » وتأمرون الناس باتباعه وتعرفون منه مالا يعرفه المأمورون . افيعملون مع نقص العلم بفائدة العمل ولا تعملون على كمال العلم وسعته ؟ولما كان هذا غير معقول عقب استفهام التوبيخ بقوله « أفلا تعقلون » يعنى ألا يوجد فيكم عقل يحبسكم عن هذا السفه فان من له مسكة من العقل لايدعي كمال العلم بالكتاب والايمان اليقيني به والقيام بالارشاد اليه: هذا كتاب الله: هذه وصايا الله: هذا امر الله: قد وعد العامل به بالسعادة فى الدنيا او الاخرة او كليهما: فخذوا به واستمسكوا بعراه وحافظوا عليه . ثم هو لا يعمل ولا يستمسك

مثل من كانت هذه حاله كمثل رجل امامه طريق مضيء نصبت فيه الاعلام والصوى بحيث لا يضل سالكه ثم هو يسلك طريقاً آخر مظلماً طامس الاعلام وكلما لقي في طريقه شخصاً نصحه ان لا يمشي معه وان يرجع الى طريق الهدى الذي تركه. او مثل ساغب يدعو الناس الى المائدة الشهية ويبيت على الجوع والطوى او صاد يدل العطاش على مورد الماء ولا يرد معهم

اذا كان هذا لا يقع من صحيح العقل فكذلك امر المؤمن بخصال الايمان وعدم الأئتمار بها مع تذكرها وتلاوة كلام الله فيها فلا بد لتعقل هذا من القول بأن الايمان بالوعد على البر والوعيد على الفجور غير يقيني عند الآمر المخالف ويؤيده ان القوم كانوا عقلاء في كسب المال وحفظ الجاه الدنيوي وانما ضلوا من جهة الدين بأخذه على غير وجهه

الخطاب عام لليهود الذى كان هذا حالهم وعبرة لغيرهم لانه منبيء عن حال طبيعية للأمم فى مثل ذلك الطور الذي كانوا فيه ولذلك كان هداية للعالمين الى يوم الدين ، لا حكاية تاريخ يقصد بها هجاء الاسرائيليين ،

فلتحاسب أمة نفسها فى افرادها ومجموعها لئلا يكون حالها كحال من ورد النص فيهم فيكون حكمها عند الله كحكمهم لان الجزاء على اعمال القلوب والجوارح لا على محاباة الاشخاص والاقوام او معاداتهم

فان قيل: ان من يأمر غيره بالبر وينسى نفسه قد يكون متكلا في ترك العمل على الشفاعات والمكفرات كالاذكار والصدقات لا انه يترك لعدم اليقين في الايمان . واذا امر غيره بالبر مع هذا فذاك لانه يلاحظ المكفرات فى شأن نفسه ولا يلاحظها في شأن غيره . نقول ان العالم بالدين لا يخفى عليه ان حكم الله تعالى واحد عام فكيف يحتم البر على غيره ويوهمه انه لا يقربه من رضوان الله ويبعده من سخطه الا هو وينسى نفسه فلا يحتم عليها ذلك؟ ثم كيف يجهل ان الشفاعات والاعمال الصالحة التي يرد انها تكفر السيئات لا يصح ان تكون مثبطة عن عمل البر وسبباً لتركه لانه خلاف المقصود من الدين فهل يكون فرع من فروع الدين هادما لاصوله وسائر فروعه ؟! كل ذلك كان ينبغي ان يكون بعيدا عن العالم بالدين الذي يتلو كتاب الله تعالى ولكنه يعرض لارباب الاديان عند فساد حال الامم فنبه الله تعالى عليه بهذا التعبير اللطيف وهو نسيان النفس مع تلاوة الكتاب فكأن الزاعم انه مؤمن ولا يعمل عمل الايمان نسي انه هو الذي يزعم الايمان وصاحب هذا النسيان يمضي في العمل القبيح من غير فكر ولا روية بل انبعاثا مع الحظوظ والشهوات التي حكّمها بنفسه وملكها زمام حسه ولكنه لا يلاحظها في غيره عند ما يعرض عليه عمله السيء او يراه معرضا عن عمل البر ولذلك يعظه ويذمه

بعد مابين سوء حالهم وان عقلهم لم ينفعهم والكتاب لم يذكرهم ارشدهم

الى الطريقة المثلى للانتفاع بالكتاب والعقل والعمل بالعلم النافع فان العمل السيء الذي سببه نسيان النفس ليس طبيعياً كالنَّفَس لا يمكن دفعه ومقاومته بل هو اختياري وسببه عارض تمكن ازالته بما ارشد الله اليه في قوله : «واستعينوا بالصبر والصلاة» قال الاستاذ الامام : امر بالصبر وهو كما قال المفسر حبس النفس على ما تكره ونقول بعبارة اوضح هو احتمال المكروه بنوع من الرضى والاختيار والتسليم لانه لو لم يكن كذلك لكان كما يقول العامة في امثالهم وذكر مثلا بمعنى قول الشاعر

صبرت ولا والله مالي طاقة على الصبر لكني صبرت على الرغم

والصبر الحقيقي المبني على التسليم يحصل بتذكر وعد الله تعالى بالجزاء الحسن للصابرين على اعمال البر التي تشق على النفس وعن الشهوات المحرمة التي تصبو اليها ويتذكران المصائب من فعل الله وتصرفه في خلقه فيجب الخضوع له والتسليم لامره . ومن عجيب أمر هذا الصبر انه يقي الانسان من الخسران متى حسن في كل شيء كما تفيده سورة العصر ويؤيده الاختبار وقد اشتهر أن من صبر ظفر . وربما اتينا على شيء من معنى الصبر وانه قوة من قوى النفس تدخل النظام في كل عمل من اعمالها في موضع اخر .

الاستعانة بالصبر تكون بالالتفات ان الاسباب التي انحرفت بهم عن صراط الشريعة كاتباع الشهوات، والولوع باللذات، والبعد عن المؤلمات، ثم بالقياس بينها وبين ما رغب الله فيه اواوعد بالعقاب على فعله ثم بملاحظه ان ما اوعد الله تعالى به اولى بأن يتقى وما وعد به اولى بأن يرجى ويطلب وضرب الاستاذ لمن يفقدون الصبر فيقعون في الخسران مثلا صاحب الحاجة يهزه الطيش والتسرع الى قضاء حاجته ويفقد الصبر على مرارتها فيكذب لاعتقاد

ان حاجته تقضى فيدفع المضرة أو يجلب المنفعة بالكذب وانه بالصدق يفوته هذا فيقترف جريمة الكذب لهذا الاعتقاد وهو ظان بل واهم . ومتى اقترفه مرة هان عليه فيعود اليه فيكون كذابا . ويؤيد ماقاله الامام بحديث « لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » رواه الشيخان عن ابن مسعود واذا ذُكّر هذا الرجل أو تذكر الوعيد على الكذب وما يجلبه لصاحبه من مقت الله وغضبه تسبق الى ذهنه المكفرات (ومثلها الشفاعات والعفو والمغفرة) كالاستغفار قبل النوم مائة مرة وقول كذا بعد صلاة الصبح فلا يبقى للوعيد معها أثر إذ يذعن بأن ذنبه يغفر لا محالة وينسى سبب المغفرة الحقيقي وهو التوبة النصوح والرجوع الى الله تعالى وأن العفو عن غير التائب الأواب الى الله تعالى مجهول بالنسبة الى علمنا وان كان جائزاً عقلا فاننا لم نطلع على ما في علم الله تعالى فنعلم اننا ممن يعفو عنهم . أقول مثل من يقترف السيئات معتمداً على العفو والشفاعة كمثل من يرتكب الجرائم في ملأ من الناس وعلى رؤس الأشهاد اعتماداً على ان الامير أو السلطان قد يعفو عنه بعد الحكم عليه بالعقوبة ومثل هذا لا يختلف اثنان في حمقه

قال الاستاذ الامام : ومن الناس من يكتفي بالاعتذار عن ذنوبه وجرائمه بأنه غير معصوم وذكر بعض الشواهد عمن يظن ان لهم في الدين قدم صدق وقال ان من هذا رأيه يتصور ان الصدق واتباع الحق انما هو شأن طائفة معدودة من البشر وهم الانبياء عليهم السلام وكل من عداهم فليس من شأنه أن يثبت على عمل صالح ويكتفي بهذه التكأة في تسلية نفسه وتجريئها علي الجرائم . وكفى بهذا حمقا فليس يلزم من كون غير النبي ليس معصوماً أن يكون إلف مآثم : وحلف جرائم : وخدن عظائم : ولو لزم

أن يكون الناس هكذا لكانت الشرائع عبثاً والتهذيب لغواً ولفسدت الارض وخرب العمران

واما الاستعانة بالصلاة فهي اقرب الى حصول المأمول وإرجاع النفس الى الله تعالى لما لها من التأثير في الروح ولكنها اشق على النفس الامارة بالسوء ولذلك قال تعالى « وانها لكبيرة الاعلى الخاشعين » . اما الخاشع فانه يستفيد بالصلاة الصبر وكل الخلائق الحسنة لما تعطيه الصلاة من مراقبة الله تعالى كما قال عز وجل (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين) فمن خواص الصلاة الصبر ونفي الجزع ومن خواصها النهي عن الفحشاء والمنكر فالمصلي الحقيقي هو البار الحقيقي الذى لايترك الحق لاجل شهوة ولا خوفاً ولا خشية

هذا أثر صلاة الخاشعين بالاجمال ولذلك قال تعالى (قد افلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون) وقد وصف الخاشعين وصفا يناسب المقام ويظهر وجه الاستعانة به فقال « الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون » فالاعتقاد بلقاء الله تعالى هو الذى يوقف المعتقد عند حدوده ولو لم يكن الاعتقاد يقينيا فان الذى يغلب على ظنه ان هذا الشيء ضار يجتنبه او انه نافع يطلبه ولذلك اكتفى هنا بذكر الظن . وقد فسر الظن مفسرنا (الجلال) باليقين لانه الاعتقاد المنجي فى الاخرة وفاته ان الاكتفاء بالظن ابلغ فى التقريع والتوبيخ كأن هؤلاء الذين يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم على انهم يقرؤن الكتاب لايصل إيمانهم بالله وبكتابه الى درجة الظن الذى يأخذ صاحبه بالاحتياط

﴿باب العقائد من الامالى الدينية﴾

(الدرس ٣٦) محمد رسول الله وخاتم النبيين

الكلام في نبوة خاتم النبيين لايتجلى للعقول كمال التجلي الا بعد بيان مسئلتين تجعلان مقدمة له — احداهما بيان حاجة البشر الى رسالته العامة والثانية بيان استعداد الناس لها

(المسئلة ١٠١) حاجة البشر الى هداية عامة الحاجة الى بعثة النبي عليه الصلاة والسلام في الجملة تعرف من البحث في حاجة البشر الى ارسال الرسل كما تقدم في الدرسين ١٨ و١٩ (راجع المنار ٩ و١٤٠ — ٤) ولا يوجد في اعداء الاسلام المؤمنين بالوحي والنبوة عاقل ينكر أن العرب كانوا في اشد الحاجة الى بعثة رسول منهم ينتاشهم من تلك الوثنية، ويخرجهم من هاتيك الجهالة والهمجية، وأن تأثير هداية محمد فيهم كان مثل تأثير هداية موسى في بني اسرائيل او اعظم واظهر ولكن الذين ينكرون حاجة الناس كافة الى هذه الهداية الالهية على لسان محمد عليه السلام كثيرون . وانما حال بينهم وبين معرفة هذا الحق المبين التقليد الاعمى . فالتقليد أعدى اعداء الحق في الدين والعلم وفي كل شئ . لأن المقلد ليس له عينان فينظر فى الدليل والبرهان، بل ينكر الحس والعيان، ويكابر الوجود والوجدان، وإنما نكتب مانكتب ليزداد الذين آمنوا ايمانا وليعتبر اصحاب العقول المطلقة والافكار الحرة من غير المؤمنين

بيان حاجة جميع الامم الى الإصلاح المحمدي يتوقف على معرفة تاريخ الامم قبل الاسلام لاسيما تاريخ اهل الكتاب الذين يدعون ان فى

كتبهم مايغني عن هداية الاسلام واصلاحه . ولا يمكن سرد تاريخ الامم تفصيلاً في التمهيد لمسئلة من مسائل العقائد ولكن فى الاجمال مع الاحالة على كتب التاريخ غناء . وقد كتب استاذنا الامام نبذة فى ذلك وافية بالمرام في « رسالة التوحيد » التي هي حجة الاسلام في هذا الزمان وما بعده الى ما شاء الله وانا نقتبسها هنا فانظر هذه البلاغة في الإيجاز ، التي تكاد تبلغ به حد الاعجاز ، قال حفظه الله :

« ليس من غرضنا فى هذه الورقات أن نلم بتاريخ الامم عامة وتاريخ العرب خاصة فى زمن البعثة المحمدية لنبين كيف كانت حاجة سكان الأرض ماسة الى قارعة تهز عروش الملوك وتزلزل قواعد سلطانهم الغاشم وتخفض من أبصارهم المعقودة بعنان السماء ، الى من دونهم من رعاياهم الضعفاء ، وإلى نار تنقضّ من سماء الحق على أُدُم الأنفس البشرية لتأكل ما أعشو شبت به من الأباطيل القاتلة للعقول . وصيحةٍ فصحى تزعج الغافلين ، وترجع بالباب الذاهلين ، وتنبه المرؤسين ، الى أنهم ليسوا بأبعد عن البشرية من الرؤساء الظالمين ، والهداة الضالّين ، والقادة الغارّين ، وبالجملة تؤب بهم الى رشد يقيم الانسان على الطريق التي سنها الله له [1] « إنا هديناه السبيل » ليبلغ بسلوكه كما له ، ويصل على نهجها الى ما أُعدّ فى الدارين له ، ولكنا نستعير من التاريخ كلمة يفهمها من نظر فيما اتفق عليه مؤرخو ذلك العهد نظر إمعان وإنصاف

« كانت دولتا العالم [2] — دولة الفرس في الشرق ودولة الرومان

«١» المراد بالطريق فطرة الله التي فطر الناس عليها «٢» شروع في بيان الكلمة المستعارة قال في الدرس : وفاتني وقت الكتابة ذكر دولة الصين فإنها كانت أيضاً ممزقة

في الغرب — في تنازع وتجالد مستمر . دماء بين العالمين مسفوكة ، وقوًى منهوكة ، وأموال هالكة ، وظُلَمٌ من الإحن حالكة ، ومع ذلك فقد كان الزهو والترف والإسراف والفخفخة والتفنن في الملاذ بالغة حد مالا يوصف في قصور السلاطين والامراء والقواد ورؤساء الأديان من كل أمة وكان شر هذه الطبقة من الأمم لا يقف عند حد فزادوا في الضرائب وبالغوا في فرض الأتاوات حتى أثقلوا ظهور الرعية بمطالبهم وأتوا على ما في أيديها من ثمرات أعمالها وانحصر سلطان القوي فى اختطاف ما بيد الضعيف . وفكر العاقل ، فى الاحتيال لسلب الغافل ، وتبع ذلك أن استولى على تلك الشعوب ضروب من الفقر والذل والاستكانة والخوف والاضطراب لفقد الأمن على الارواح والأموال .

غمرت مشيئة الرؤساء ارادة من دونهم فعاد هؤلاء كأشباح اللاعب يديرها من وراء حجاب ، ويظنها الناظر اليها من ذوي الالباب ، ففقد بذلك الاستقلال الشخصي وظن افراد الرعايا أنهم لم يخلقوا الا لخدمة ساداتهم وتوفير لذاتهم كما هو الشأن فى العجماوات مع من يقتنيها . ضلت السادات فى عقائدها وأهوائها وغلبتها على الحق والعدل شهواتها ولكن بقي لها من قوة الفكر أردأبقاياها فلم يفارقها الحذر من أن بصيص النور الالهي الذي يخالط الفطر الانسانية قد يفتق الغُلُف التي أحاطت بالقلوب ، ويخرق الحجب التي أسدلت على العقول ، فتهتدي العامة الى السبيل ، ويثور الجم الغفير على العدد القليل ، ولذلك لم يغفل الملوك والرؤساء أن ينشئوا سُحُبا من الاوهام ، ويهيّؤا كِسَفاً من الاباطيل والخرافات ،

بالحروب الاهلية والحرب مع التركمان وسنذكرها في طبعة ثانية ان شاء الله تعالى

ليقذفوا بها في عقول العامة فينلط الحجاب ويعظم الرَّين ويختنق بذلك نور الفطرة ويتم لهم ما يريدون من المغلوبين لهم . وصرح الدين بلسان رؤسائه انه عدوّ العقل وعدوّ كل ما يثمره النظر الا ما كان تفسيراً لكتاب مقدس . وكان لهم في المشارب الوثنية ينابيع لا تنضب ، ومَدَدٌ لا ينفد ، هذه حالة الاقوام كانت في معارفهم ، وذلك كان شأنهم في معايشهم ، عبيد أذلاء ؛ حيارى في جهالة عمياء ، اللهم الا بعض شوارد من بقايا الحكمة الماضية ، والشرائع السابقة ؛ أوت الى بعض الأذهان ومعها مَقْتُ الحاضر ، ونَقْصُ العلم بالغابر ، ثارت الشبهات على أصول العقائد وفروعها بما انقلب من الوضع ، وانعكس من الطبع ، فكان يُرى الدنس في مظنة الطهارة ، والشره حيث تنتظر القناعة ، والدَّعارة حيث ترجى السلامة والسلام ؛ مع قصور النظر عن معرفة السبب وانصرافه لأَوَّلِ وَهله الى أن مصدر كل ذلك هو الدين . فاستولى الاضطراب على المدارك وذهب بالناس مذهب الفوضى في العقل والشريعة معا . وظهرت مذاهب الإباحيين والدهريين فى شعوب متعددة وكان ذلك ويلا عليها فوق ما رزئت به من سائر الخطوب .

« وكانت الأمة العربية قبائل متخالفة فى النزعات ، خاضعة للشهوات ، نخز كل قبيلة فى قتال أختها وسفك دماء أبطالها ، وسبي نسائها وسلب أموالها ، تسوقها المطامع ، الى المعامع ، ويزين لها السيئات ، فساد الاعتقادات ، وقد بلغ العرب من سخافة العقل حدًّا صنعوا اصنامهم من الحلوى ثم عبدوها ، فلما جاعوا أكلوها ، وبلغوا من تضعضع الأَخلاق وهنا قتلوا فيه بناتهم تخلصا من عار حياتهن ، أو تنصلا من نفقات معيشتهن ، وبلغ الفحش منهم مبلغا لم يعد معه للعفاف قيمته . وبالجملة فكانت رُبُط النظام الاجتماعي

قد تراخت عقدها فى كل أمة ، وانفصمت عراها عند كل طائفة

« أفلم يكن من رحمة الله بأولئك الأقوام أن يؤدبهم برجل منهم يوحي اليه رسالته ، ويمنحه عنايته ويمده من القوة بما يتمكن معه من كشف تلك الغمم ، التي أظلت رؤس جميع الأمم ، نعم كان ذلك وله الأمر من قبل ومن بعد » اه

فعلم مما أورده الاستاذ الامام ان فساد الامم كان من فساد رؤساء الدين ورؤساء الدنيا وهم الملوك والأمراء وان قصارى سير الفريقين كان محصوراً فى اطفاء نور الفطرة الألهية وهدم ركني السعادة البشرية وهما استقلال الفكر واستقلال الارادة . فاذا قيل انه كان فى الدنيا دينان سماويان أي دين اليهود ودين النصارى وكتابان الهيان وهما التوراة والانجيل فكان يغني عن بعثة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم إلهام الله تعالى رؤساء الدينين وحملة الكتابين أن يقيما أصولهما ويسيرا على صراطهما ويدعوا الناس الى ذلك . نقول في الجواب ان دين اليهود كان خاصاً بشعب اسرائيل وهم المخاطبون بالتوراة دون سواهم لعلم الله تعالى ان هذا كتاب يصلح لهدايتهم وحدهم فى الزمن الذي أنزل فيه وبعده الى أجل مسمى . وبعد ذلك أفسد بنو اسرائيل فى الارض فسلط الله عليهم الوثنيين فسبوهم وخربوا ديارهم وأحرقوا كتابهم . ثم ان كاتباً منهم اسمه (عزرا) كتب لهم بعد زمن طويل ما يحفظه من كتابهم وشريعتهم باذن الملك الوثني ومنها الاسفار الخمسة التي يسمونها التوراة وهى تحكي عن موسى بضمير الغائب وفيها ذكر وفاته وليس ذلك مما أوحي اليه . ولولا ان الله أخبرنا في كتابه بأن اليهود نسوا حظاً مما ذكروا به لا جميع ما ذكروا به ولولا انه احتج عليهم بعدم العمل بالتوراة والحجة تقوم ببعض كلام الله كما تقوم به كله — لما صدقنا

كلمة واحدة من كتبهم ولا وثقنا بحكم واحد من أحكام شريعتهم . وحاصل القول ان الله تعالى لم يجعل التوراة منذ شرعها هداية عامة مرشدة لجميع البشر الى كمال الفطرة فكيف تصلح لذلك بعد ماطرأ عليها وعلى الناس ماطرأ

وأما السيد المسيح عليه السلام فانه لم يأت بدين جديد وانما ديانته اليهودية وشريعته التوراة ولكنه كان مصلحاً لان اليهود جمدوا على ظواهر الشريعة حتى صاروا كالماديين فأرسله الله « الى خراف اسرائيل الضالة » ليهديهم الى الروحانية ويبالغ فيها بمقدار مابالغوا فى الظواهر والماديات ليكون ذلك تمهيداً لدين الفطرة الذي يجمع بين مصالح الروح والجسد .

وأما الديانة البولسية التى انتشرت في أوربا بتعليم بولس ثم مساعدة قسطنطين ومن بعده من الملوك والزامهم الناس بها فهي لا تنطبق على ما قلناه سابقاً فى وجه حاجة البشر الى ارسال الرسل لهدايتهم الى سعادة الدنيا والآخرة بتربية الروح والجسد وليس فيها قاعدة واحدة من قواعد الفطرة وانما هي عبارة عن شئ واحد وهو الايمان بالمسيح على الوجه الذين يقولونه وانه لاحاجة مع هذا الايمان الى العمل بالشريعة . والظاهر من نصوص كتب العهد الجديد ان المسيح خلّص العالم كله من العذاب من آمن به ومن لم يؤمن وانما يفضل المؤمن به غيره بأنه يحل فيه روح القدس . قال يعقوب فى رسالته « وليس من أجل خطايانا فقط بل من أجل خطايا العالم كله » . وقد ظل أهل أوروبا على هذا الدين عدّة قرون يخبطون في دياجير الاوهام والجهالات حتى دخل عليهم الاصلاح الاسلامي من بلاد الاندلس والشرق كما سنبينه

(م ١٠٢) الاستعداد لعموم البعثه : حاجة الناس الى الشئ تولد فيهم

الاستعداد له فاذا استدللنا بالعلة على المعلول فلنا أن نستنبط استعداد الأمم لمصلح عام يرسله الله تعالى لهداية الامم من شدة حاجة الامم الى ذلك الاصلاح واذا إستدللنا بالمعلول على العلة فالدليل أوضح لانه ههنا وجودي مشهود لانظري مستنبط وهو قبول الأمم على اختلافها فى الاديان واللغات والمواقع هذا الاصلاح الروحي الاجتماعي الذى جاء به محمد عليه الصلاة والسلام بالوحي الالهي والالهام فقد انتشر الاسلام في المشرق والمغرب بسرعة لم يعرف التاريخ مثلها حتى كان ملك الاسلام بعد ثمانين سنة من ظهوره أوسع من ملك الرومان بعد ثمانمائة سنة والرومان أعظم أمم التاريخ الماضي فى الحروب والفتوحات .

هذا هو الاصلاح الذى غير هيئة الارض وبدّل نظام الاجتماع الانساني في السياسة والحرب والمدنية والعلوم والآداب على أيدى أمة كانت قبل الاسلام أبعد الامم عن السياسة والمدنية والنظام والعلم وهي الأمة العربية . ألم تر أن نور الهداية الفطرية ماخبا بعد الاسلام من مكان الا وأومض أو تألق فى مكان آخر وان دعائم العمران ماتداعت في مملكة الا وشيدت فى غيرها وان غرس العلم والفلسفة ماذبل أو تصوّح فى أرض الا ونما وترعرع في سواها — كل ذلك كان ينتقل مع الاسلام فكلما ظهرت قوّة الاسلام في مكان ظهرت بها ومعها هذه الاشياء حتى اذا ضعف الاسلام والمسلمون فى الشرق والغرب ضعف العلم والعمران والمدنية في العالم كله ولكنه لم يذهب من العالم فيحتاج العالم الى مصلح آخر يبني له قواعد الاجتماع على أصول العلم الصحيح وسنن الكون اذ لو حصل ذلك لما كان محمد خاتم النبيين . ولكن تلك القواعد انتقلت

من مسلمي الاندلس ومسلمي الشرق الى اوروبا مع تلامذة ابن رشد وفي الـكتب التي أخذها الصليبيون من المسلمين .

من عجيب أمر استعداد العالم لهذا الاصلاح العام سرعة انتقال العلم من قطر الى قطر ومن خافق الى خافق أيام مدنية العرب لأول عهدها مع صعوبة المواصلة بين الخافقين فقد كان المؤلفون من الاندلس وبلاد البربر ينقلون من كتب المؤلفين المعاصرين فى العراقين من المشرق كما كان هؤلاء ينقلون عن أولئك في كل عصر فكانت تلك الهمم الـكبار، تغنيهم عن الـكهرباء والبخار، وآية أخرى من آيات هذا الاستعداد حفظ العلم والتاريخ فقد كان الـكتاب يوجد قبل الاسلام فى الامم ثم يذوب ويضمحل كأن لم يكن شيئاً مذكوراً

أرأيت الاسرائيليين على غلوّهم فى دينهم كيف مرت عليهم السنون والاحقاب وليس عندهم من كتاب شريعتهم الا نسخة واحدة حتي اذا فقدت ذهبت الثقة بمجوع ديانتهم الا ما كانوا يحفظون ويعملون . وقس بهم العرب الأميين وانظر كيف حفظوا كتابهم فى الصدور والسطور . وكيف رأوا فى الصدر الاول أن يرسلوا بالمصاحف الى الاقطار لتكون أصولاً يكتب عنها بصفة رسمية لأن مصحفاً يرسله خليفة رسول الله بمشاورة أصحاب رسول الله واتفاقهم له حكم النقل المتواتر المجمع عليه ولولا ذلك لكان نقل المصاحف مقصوراً على الافراد الذين كانوا يحملونها. واذا اشتُبه في هذه الحال بكلمة اختلف فيها ناقل مع ناقل أو حافظ تقع الحيرة فى الترجيح لعدم وجود أصل مجمع عليه أو عدد كثير من المصاحف مأخوذ عن ذلك الاصل أو عدد مثله من الحفاظ . ولـكن ذلك لم يقع فلا خلاف بين المسلمين فى كلمة ولا في حرف من حروف القرآن العزيز

من آية استعداد الامم للاصلاح الاسلامي على الطريقة الأولى (الاستدلال بالعلة على المعلول) النظر فى أصول هذا الاصلاح فمنها حاجة البشر الطبيعية الي رابطة عامة بين الامم المختلفة فى الجنس واللغة والدين فقد كانت هذه الروابط خاصة تجمع طائفة محصورة ليعيش أفرادها معيشة اجتماعية ولكنها تجعلهم أعداء للطوائف التى ترتبط برابطة أخرى والاسلام جاء لجمع كل الامم كما سنبينه بعد . ومنها إقامة قواعد العمران والاجتماع على سنن الـكون التي تعرف بالاختبار . ومنها تقييد سلطة رؤساء الدين والدنيا وجعل مصالح الامم شورى بين أهل الرأي منهم وأصحاب الحل والعقد المرضيين عندهم ومنها جعل أحكام الشريعة دائرة على دره المفاسد وحفظ المصالح وتحكيم العرف . وكل الامم الراقية انما ارتقت بمثل هذه الاصول التي وضعها الاسلام سواء لقبت بلقب الاسلام أم لم تلقب به

ومن آية ذلك على تلك الطريقة أيضاً ما أثبته علم الاجتماع من ارتقاء الانسان بالتدريج فبعد ان كان فى ظلمات من بحر الوثنية اللجيّ من فوقه موج من فوقه سحاب لا يكاد يرى شيئاً من نور الفطرة أرتقى فى الوثنية من الاعتقاد بتأثير مظاهر الطبيعة التي لا يفهم معناها من جماد ونبات وحيوان وإنسان الى الاعتقاد بأن تلك المعبودات لاتؤثر بنفسها وإنما تقرب من يخضع لها من واجب الوجود وتشفع له عنده فى قضاء الحوائج. بهذا الاستعداد اصطلم الاسلام بالتوحيد جراثيم الوثنية من جزيرة العرب ثم انتشر التوحيد الخالص فى العالم مؤيداً بالعلم فلم يخبُ مصباحه فى مكان الا وأشرق في غيره . فأكثر أهل أوربا اليوم موحدون لا يعتقدون بسلطة ولا تأثير في الـكون الا لمدبر الـكون الذى وضع سننه ونواميسه

«وخلق كل شئ فقدّره تقديرا» ولقد كان النبي قبل الاسلام يبعث بالتوحيد فيؤمن به النفر أو القوم فلا يمضي عليهم زمن الا ويعودون الى الوثنية ويلتمسون لها الدلائل من الدين فيمحى التوحيد بالمرة . ولكنه لم يمح بعد ظهور الاسلام وان دبت الوثنية الى بعض المسلمين وصبغت عندهم بصبغة الدين بضروب من التأويل والتحريف . وسنوضح مسئلة الاستعداد بما قاله الاستاذ الامام فى ارتقاء الامم بالدين وبسبب ظهور الاسلام فى العرب الأميين فانظر ذلك فى الدرس الآتي

القسم العمومى

(الزواج وشبان مصر وشوابّها)

أكثرت الجرائد اليومية الخوض فى هذه الايام في مسئلة اجتماعية ذات بال وهي ميل كثير من الشبان المصريين الى التزوج بالأوربيات وإحجام كثير منهم عن التزوج بالمرة وزعم بعض الباحثين ان السبب فى الامرين هو عدم وجود بنات مصريات « متربيات » يصلحن لشبان مصر « المتربين » .... وههنا شرح بعض الكتاب سوء حال تربية البنات ووصف من جهلهن وأطنب فى التنفير عنهن . وكنت أحب أن يكثر الكتاب البحث فى تربية البنات فى معرض غير معرض تفضيل الزواج بالأوربيات والترغيب عن الزواج بالوطنيات

المسئلة كبيرة وفروعها متشعبة ولطريق البحث فيها نواشط كثيرة وكأني بهذه النواشط قد تمثلت أمامي فلا أدري أي ناشط اختار في ابتداء السير لأصل منه الى الطريق الاعظم . ولكنني أقول قبل كل قول : إن

الذين تزوجوا بالأوربيات أو يفضلون التزوج بهن هم أبعد المصريين عن التربية الصحيحة النافعة . وان أكثر الذين يتريثون بالزواج يتربصون الظفر بزوج غنية لا بزوج مهذبة متربية .

ثم أقول انه لا تربية عندنا للفتيان ولا للفتيات وان الاناث يقربن من الذكور في الاخلاق والآداب والعادات والرغبات ولكن الفرق بين الفريقين في التعليم فالمتعلمون أكثر من المتعلمات ولكن أكثر هذا العلم مما لا يصح التفاضل فيه لانه قليل التأثير في الحياة المنزلية والحياة القومية والحياة الملية . ولو ارتقى المتعلمون في شؤن الحياة لاصلحوا بيوتهم ورأس إصلاح البيوت تربية البنات فكما يريد الرجال يكون النساء لأنهم القوامون عليهن والقوة بايديهم فهم يسيّرون العمران كيف شاؤا .

ورب متفرنج غبي يُنغض رأسه اذا سمع قولنا : كما يريد الرجال يكون النساء . ويقول ان هذا قول من لا يعرف الحقائق فان الاوربيين يقولون : كما يريد النساء يكون الرجال . رويدك أيها الغر المتفرنج ان في كلمة سادتك شيئاً من المبالغة وان كان نساؤهم وصلن الى درجة من الاستقلال والعناية بالتربية بسعي الرجال صار لهن بها شأن في تربية الاطفال يصح معها ان تقال هذه الكلمة فيهن ولكن شأن بلادنا ونسائنا مباين لشؤنهن

التربية شيء والتعليم شيء آخر — التربية هي تعاهد القوى الجسدية والنفسية ومساعدتها على الوصول الى الكمال المستعدة له في أصل الفطرة حتى يكون المربَّى إنساناً كاملا سوياً في خلقه مهذباً فى خلقه نافعاً لنفسه ولقومه والتعليم إيداع صور المعلومات في ذهن المتعلم . وقد وجد في مدارس مصر شيء من التعليم الناقص ولكن التربية لم توجد في المدارس ولا في البيوت فما

بقي في الامة من الاخلاق الفاضلة والآداب الصحيحة فهو على قلته من سؤر ما تركه السلف الصالح من التراث وأشد الناس جناية عليه واتلافاً له هؤلاء المتعلمون

الذين انتفعوا بالتعلم الجديد فصاروا ينفعون أنفسهم وأمتهم قليلون جداً وإنما ساعدهم على الانتفاع استعداد قوي في الفطرة وبعض الاخلاق والآداب الموروثة ولذلك يعد نجاحهم شذوذاً لا نتيجة طبيعية لهذا التعليم الناقص في المدارس . وهؤلاء لا ينصحون لشبان أمتهم ان يتزوجوا بالاوربيات ، وإنما ينصحون لهم أن يربوا ويعلموا البنات ، واذا اشتكوا فانما يشتكون من جهل الاغنياء وبخلهم إذ لا يسمحون بشيء من فضل مالهم لانشاء معاهد أهلية للتربية والتعليم

اما تلك الحثالة من سائر المتعلمين وهم الاكثرون - على انهم قليل في مجموع الامة — فانها لم تستفد من التعلم الا رطانة لغة اوربية بها يتمكنون من معاشرة بغايا الافرنج مسافحات أو متخذات أخذان . وان عقائل نساء الافرنج ليترفعن ويستنكفن ان يعاشرن هؤلاء الغلمان السفهاء الاحلام بَلهَ الاقتران بهم وقبولهم بعولة لهن فهذا التبجح الذي يتبجحه شباننا في الجرائد بعلمهم أنما هو التبجح بتفضيل البغايا الاجنبيات على المحصنات الوطنيات

لولا هؤلاء المتعلمون لما راج سوق الفحش في مصر . لولا هؤلاء المتعلمون لما نشأ داء الزهري في البلاد . لولا هؤلاء المتعلمون لما فشا السكر في القطر . لولا هؤلاء المتعلمون لما عرف الميسر والقمار في وادي النيل . لولا هؤلاء المتعلمون لما فتن الناس بزخرف الاثاث والرياش والماعون التي تجلب من أوربا فتذهب بثروة البلاد . لولا هؤلاء المتعلمون لما خربت تلك البيوت العامرة التي ورثت الثروة والمجد عن أب وجد .

لولا هؤلاء المتعلمون لما انتهكت حرمات الدين وتركت فضائله وسننه . فبماذا يفتخر هؤلاء المتعلمون المغرورون على البنات الاغرار الجاهلات ولماذا يترفعون عليهن مع ان جهلهن لم يجن على الامة والبلاد بعض ماجناه علم اولئك المتبجحين المترفعين

البنت الجاهلة تتربى في بيت زوجها تربية جديدة لأن العذراء لا تستقر أخلاقها وعاداتها على شيء الا بعد الزواج كأنها قبل ذلك ترى كل شيء موقتاً غير ثابت لانها في طور غير ثابت تنتظر في كل يوم الانتقال الى الطور الذي بعده الذي حكمت الفطرة بان تقضي حياتها فيه وهو كونها زوجاً لرجل ثم أماً لولد . فليت شعري كم عدد المتعلمين الذين تزوجوا من هؤليّا العذارى واشتغلوا بتربيتهن ليعيشوا معهن عيشة راضية ؟ كم عدد الذين أحصنوا بالزواج فرضوا بازواجهن حتى لا يَغشَونَ المواخير ولا بيوت السر ؟ ويا ليت شعري كم عدد البيوت التي كان فيها هؤلاء المتعلمون صالحين مصلحين وأزواجهم فاسدات مفسدات ؟؟ أظن بل أوقن أن الرجال هم الذين يفسدون النساء بسوء المعاملة وقبح السيرة الا ما جاء على سبيل الشذوذ . فما بال تلك « الفتاة التعيسة » التي أرادت الدفاع عن اخواتها التعيسات طفقت تذمهن وتهجوهن في مقالتها التي نشرتها في المؤيد توسلا الى كلمة تسترضي بها الشبان في آخرها بانهم مقصرون وبان في البنات الآن من المتعلمات من يليق بهم

النميزة الكبرى في تربية بنات مصر هي أنهن يكلمن هؤلاء الشبان المغرورين ويعاشرنهم وهذه الفتنة فاشية في المتعلمين والمتعلمات أكثر من فشوّها في الجاهلين والجاهلات والذنب في هذه النميزة على الشبان فهم

بدت الفتنة واليهم تعود لانهم هم الذين يتعرضون لإغواء البنات . وقد حدثني غير واحد منهم بأنه لايكاد يوجد تلميذ الا وله خليلة من البنات . ولكن لاتكاد توجد بنت بدأت شاباً بالمغازلة والمناغاة . فاذا كان هذا حظ شباننا المتعلمين من البنات فماذا ينقمون عليهن من فساد التربية ! أينقم بعضهم على من يحبها انها لاتحسن الرطانة بلغة أوربية ! كيف وهو أوسع مادة فى المسائل التى يكلمها بها بلغته العرفية منه باللغة الاجنبية لانهما لايتكلمان الا باللغو والهذيان الذي يناسب العشاق الذين لاتربية لهم ولا تهذيب . يوهمنا بعض الكتاب ان هؤلاء المتعلمين يودّ أحدهم أن تكون له زوجة تعلمت مثلما تعلم لتكون حياته معها إنسانية بالمذاكرات العلمية والادبية لاحيوانية محضة مقصورة على التمتع البهيمي . وياليت هذا كان صحيحاً ولكن يحزننا ويمضّنا أنه غير صحيح فان موضوعات حوارهم، فى أنديتهم وسمّارهم ، دون مايقتضيه علمهم الناقص كأن فساد التربية حال بينهم وبين الانتفاع بالعلم . ومنذا الذى يطلب العلم ليعمل به أوليكمل؟؟ كلنا نعرف علة طلبهم للعلم . هي أخذ الشهادة التى تعدّهم لوظائف الحكومة والغرض من وظائف الحكومة الاكل مع الراحة لما جبلوا عليه من الكسل . نرى أحدهم يجد ويكد قريحته بالحفظ مدة الدراسة حتى اذا مانال ورقة الشهادة التي سماها بعض الأوربيين (جلدة الحمار) قال : ذهب دور التعب والعناء وجاء دور التمتع -- على انه لم يكن فى طور الدراسة مصروفا عن التمتع فيترك البحث والمذاكرة فى كل ماتعلمه الا اذا كان رزقه منه كالمهندسين والاطباء وقليل ماهم

ان من يدرس العلم لحاجة كرشه وفرشه كالثور الذى يدرس ليأكل

بل ربما كان الثور أنفع منه لأنه يأكل ويأكل غيره من عمله بدرس الحنطة ولكن أكثر الذين يدرسون العلم عندنا لايأكلون ولا يأكل أحد من ثمرة دراستهم وهم الذين قال فيهم الشاعر :

ودرس ثورين قد شدّا الى قرن   أقنى وأنفع من تدريس حبرين

أين أثر علم هؤلاء المتفنّجين فى التأليف أو العمل ؟ أين الأندية والسّمار الأدبية؟ أين الجمعيات العلمية ؟ أين الشركات الصناعية؟ أين الاعمال التجارية ؟ أين التآليف النافعة فى العلوم اللغوية أو العلمية أو الادبية أو الدينية . أخرت ذكر الدين لان أكثر هؤلاء المتعلمين ، أجهل به من العامة الأميين ، ولا يخفى ان الكلام كله فى المجموع لا فى عموم الافراد فان من التلامذة من يرغب في العلم لفضله ونفعه ومنهم من أحسن أهله أدبه وتربيته

فيامعشر المتفنّجين بالعلم - وان كان الجهل خيراً منه - اذا فتنتم بالاوربيات أو استغنيتم بالسفاح عن الزواج الشرعي أو كنتم ترجؤن الاقتران ليظفر أحدكم بامرأة غنية يتنعم بمالها لان المدرسة ربته على الترف والكسل معاً فأقسم عليكم بالشرف الذى تذكرونه ؛ والوطن الذى تتوهمونه ؛ بل أقسم عليكم بالله الذي تعبدونه ، أن لا تعتذروا عن ذلك بغميزة اخواتكم ؛ والإزراء بامهاتكم ؛ ومن كان منكم يغار على قومه وبلاده فليجتهد بتربية نفسه ثم تربية الاقرب فالاقرب . واعلموا انه لو وجد عندنا تربية وتعليم لوجد عندنا رجال واذا وجد الرجال توجد النساء كما يريد الرجال ويوجد المال ويوجد الاستقلال فالرجال هم الذين عملوا كل شئ فى الماضى وهم الذين يعملون كل شئ فى المستقبل وخير لهم ان يكون نساؤهم عونالهم من أن يكونوا كلاً عليهم والسلام على من علم وعمل

الاجتماع الخامس لجمعية أم القرى

(في مكة المكرمة يوم الاحد الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦)

في الوقت المعين من هذا اليوم تكامل الاجتماع واستعدت الهيئة للمذاكرة والسماع وقرأ كاتب الجمعية ضبط الجلسة السابقة حسب القاعدة المرعية

قال (الاستاذ الرئيس) سنبحث بعد يومين في وضع قانون للجمعية الدائمة واني أرى أن نفوض للجنة منا من الذين سبق لهم دخول في جمعيات علمية أو الذين لهم وقوف على مباني الجمعيات القانونية ولا سيما الغربية المعروفة باسم (أكاديميات) لتنظم لنا هذه اللجنة سانحة قانون نضعها تحت البحث في الجمعية

واني أكلف بهذه اللجنة اخانا السيد الفراتي ليقوم بكتابتها وأخانا السعيد الانكليزي ليفيد اللجنة عما يعلمه عن الاكاديميات وعن مجربات جمعيات ليفربول ورأس الرجا واخواننا العلامة المصري والصاحب الهندي والمدقق التركي وهذا يرئسهم لانه أسنهم [1] وهؤلاء خمسة أعضاء فهل تستصوب الجمعية ذلك وترى فيه الكفاية والكفاءة أم تستدرك شيئاً

ثم ابتدر (السعيد الانكليزي) للمقال مخاطباً الاستاذ الرئيس فقال اننا مسلمي (ليفربول) حديثو عهد بالاسلام ولنا اشكالات مهمة تتعلق ببحث اليوم أعني بطريقة الاستهداء من الكتاب والسنة لان أكثرنا قد اهتدينا والحمد لله الى الاسلامية منتقلين اليها من (البروتستانية) أي الطائفة الانجيلية لا من الكاثوليك أي الطائفة التقليدية فنميل طبعاً لاتباع الكتاب والسنة فقط ولا نثق بقول غير معصوم فيما ندين. وقد تركنا دين آبائنا وقومنا لنتبع دين محمد نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام لا لنتبع الحنفي أو الشافعي أو الحنبلي أو المالكي وان كانوا ثقاة ناقلين

ولنا جمعية منتظمة لها شعبتان في امريكا وجنوب افريقيا ونحن راغبون أن نسعى سعياً حثيثاً في الدعوة للدين السامي الاسلامي المبين والاقوام الذين ندعوهم غالبهم متمدنون أي افكارهم متنورة بالعلوم والمعارف وأكبر أملنا معقود بهداية فئتين اثنتين الاولى البروتستان والثانية الزنادقة.

أما أملنا في البروتستان فلانهم منقلبون حديثاً من الكاثوليكية انقلاباً ناشئاً عن

(١) هو من ترك كاشغر لا من اتراك الروم اه من الاصل

ترجيحهم الاقتصار على الانجيل ومجموعة الكتب المقدسة متوناً فقط أي باهمال الشروح والتفسيرات والمزيدات التي لا يوجد لها أصل صريح في الانجيل. والبروتستان في أوروبا وامريكا يزيدون على مائة مليون من النفوس كلهم مفطورون على التدين قليلو العناد في الاعتقاد مستعدون لقبول البحث والانقياد للحق بشرط ظهوره ظهوراً عقلياً ولاسيما اذا كان الحق ملائماً لاسباب هجرهم الكاثوليكية من نحو انكارهم الرياسة الدينية والرهبانية والتوسل بالقديسين وطلب الشفاعة منهم واحترام الصور والتماثيل والدعاء لأجل الأموات وبيع الغفران والقول بان للبطارقة قوة قدسية وقوة تشريعية وان للبابا صفة العصمة عن الخطأ في الدين وأن للاساقفة ومن دونهم من القسيسين مراتب مقدسة الى غير ذلك مما ينتج في النصرانية سلطة دينية وتشديدات تعبدية لا يوجد لها أصل في الانجيل.

وقد يشبه هؤلاء البروتستان في رأيهم فئة قليلة من اليهود تعرف باسم القرائين وهم الآخذون باصل التوراة والمزامير النابذون للتلمود أي لتفسيرات ومزيدات الاحبار والحاخامين الأقدمين.

أما الفئة الثانية فهم الزنادقة المارقون من النصرانية كلياً لعدم ملاءمتها للعقل وهؤلاء في أوروبا وأمريكا كذلك يزيدون على مائة مليون من النفوس غالبهم مستعدون لقبول ديانة تكون معقولة حرة سمحة تريحهم من نصب الكفر في الحياة الحاضرة فضلا عن العذاب في الآخرة.

ومن غريب نتائج التدقيق ان افراد هذه الفئة كلما بعدوا عن النصرانية نفوراً من شركها وخرافاتها وتشديداتها يقربون طبعاً من التوحيد والاسلامية وحكمتها وسماحتها.

فبناء على هذا الحال وهذه الآمال ترى جمعية (ليفربول) أهمية عظيمة لتحرير مسألة الاستهداء من الكتاب والسنة وتصوير حكمة وسماحة الدين الاسلامي للعالم المتمدن فأرجو حضرة الاستاذ الرئيس أن يسمح لي بتفهم مسألة الاستهداء على اسلوب المحاورة والمساجلة مع بعض الاخوان الافاضل في هذا المحفل العلمي العظيم.

فاجابه (الاستاذ الرئيس) بقوله له ساجل من شئت وخاطب من أردت فالاخوان كلهم علماء أفاضل حكماء

فقال (السعيد الانكليزي) مخاطباً العالم النجدي انك يامولاي قد صورت في مقدمة خطابك في التوحيد من هو المسلم والزمته العمل بالكتاب والسنة فارجوك

أن تعرفني أولا ماهو الكتاب وما هي السنة .

فقال « العالم النجدي » اما « الكتاب » فهو هذا القرآن الذي وصل الينا بطريق لاشبهة فيه لاجماع الكلمة واتفاق الامة عليه وتناقلها اياه جيلا عن جيل حفظاً في الصدور وضبطاً فى السطور مع الحرص العظيم على كيفية ادائه لفظاً وعلى هيئة املائه كتابة ومع الاعتناء الكامل فى تحقيق أسباب النزول ومكانه ووقته ومع حفظ اللغة العربية المضرية القرشية التى نزل بها باتقان لامزيد عليه . وبقاء القرآن محفوظاً من التحريف والتغيير وموجبات الريب الى الآن هو أحد وجوه اعجازه حيث جاء مصدقاً لقوله تعالى فيه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »

أما « السنة » فهي ماقاله الرسول عليه الصلاة والسلام أو فعله أو اقره ولم يكن صدر منه ذلك على سبيل الاختصاص أو الحكاية أو العادة وقد اعتنى الصحابة ولاسيا التابعون وتابعوهم رضي الله عنهم بحفظ السنة حديثها وآثارها وسيرها غاية الاعتناء وتناقلوها بالرواية والسند المتسلسل متحرين الوثوق منتهى مراتب التحري والتثبت وقد حازت بعض مدونات السنة وثوقاً تاما وقبولا عاما في الامة فوصلت الينا بكمال الضبط خصوصاً منها الكتب الستة .

قال (السعيد الانكليزي) لايشك أحد حتي العدو المعاند في انه لم تبلغ ولن تبلغ أمة من الأمم شأو المسلمين في اعتنائهم بحفظ القرآن الكريم وضبطهم التاريخ النبوي أي السنة وكذلك يقال في اعتنائهم باللغة العربية التي هى آلة فهم الخطاب .

وبالنظر الى ذلك كان يجب أن تحرر الشريعة الاسلامية أحسن تحرير فلايوجد فيها ماوجد في غيرها بسبب عدم ضبط أصولها من اختلافات ومباينات مهمة بين العلماء الائمة فارجوك أن تبين لي ماهو منشأ هذا التشتت الذى نراه في الاحكام .

أجابه (العالم النجدي) ان الاختلافات الموجودة في الشريعة ليس كما يظن شاملة للاصول بل أصول الدين كلها والبعض من الفروع متفق عليها لأن لها في القرآن أو السنة أحكاماً صريحة قطعية الثبوت قطعية الدلالة أو ثابتة باجماع الامة الذي لايجوز العقل فيه ان يكون عن غير أصل في الشرع (١)

«١» المنار — هذا القول غير مسلّم اذ يجوز العقل ان يقول المجتهدون في زمن من الازمان قولا مبنيّاً على خطأ في الاجتهاد لاسيا اذا كانوا قليلي العدد كما هو الواقع بعد الصدر الاول . وقد حصل مثل هذا في جميع الملل والذي لايجوزه هو الذي لايمكن أن يقع

أما الخلافات فانما هي في فروع تلك الاصول وفي بعض الاحكام التي ليس لها في القرآن أو السنة نصوص صريحة بل بعض علماء الصحابة رضي الله عنهم وفقهاء التابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة المجتهدين أخذوا تلك الاحكام التي اختلفوا فيها إما تلقيا من بعض الصحابة فكلّ قلد من صادف «١» واما استنبطوها اجتهاداً من نصوص الكتاب أو السنة بالمدلول المحتمل أو بالمفهوم أو بالاقتضاء أو من قرائن الحال أو قرائن القال أو بالتوفيق أو بالتخريج أو التفريع أو بالقياس أو باتحاد العلة أو باتحاد النتيجة أو بالتأويل أو الاستحسان وهذه الاحكام الخلافية كلها ترجع الى دلائل اما قطعية الثبوت ظنية الدلالة أو ظنية الثبوت ظنية الدلالة . ولكل واحد من المجتهدين أصول في التطبيق وقوانين في الاستنباط يخالف فيها الآخر ومنشأ معظمها الخلافات النحوية والبيانية .

ثم ان أكثر الخلافات هي في مسائل المعاملات وعلى كل حال جاحدها لايكفر باتفاق الأئمة بل المتخالفون لايفسق بعضهم بعضاً اذا كان التخالف عن اجتهاد لاعن هوى نفس أو تقصير في التتبع الممكن للمقيم في دار الاسلام (مرحى)

قال (السعيد الانكليزي) اني أشكرك على ما أجملت وأوضحت غير انك لم تذكر في جملة أسباب الاختلاف الاختلاف في اعتبار الناسخ والمنسوخ بين آيتين أو حديثين أو آية وحديث واني أظن ان ذلك من أعظم أسباب الاختلاف في الأحكام .

أجابه (العالم النجدي) ان نواسخ الأحكام قليلة ومعلومة والخلاف فيها أقل لأن النسخ في زمن التشريع لم يحصل الاّ عن حكمة ظاهرة كالتدريج في منع السكر كالنهي عنه حالة الصلاة ثم تعميم منعه . وكتغير المقتضي للتوارث بالإخاء وهو القطيعة التي حصلت بين المهاجرين وذوي أرحامهم في بدء الأمر ثم لما تلاحقوا بعد فتح مكة نسخ ذلك وجعل التوارث بالنسب . وكالدعوة في أول الاسلام الى التوحيد والدين بمجرد الموعظة بدون جدال ثم به بدون صدع ثم به بدون قتال ثم به في أهل جزيرة العرب فقط ثم بتعميمه مع قبول الجزية والخراج من غيرهم (٢) «مرحى»

«١» وهذا أيضاً غير صحيح فان هؤلاء الأئمة ماكانوا مقلدين للصحابة

«٢» شرع الاسلام أو السيف خاصاً بأهل جزيرة العرب بقصد إحكام الوحدة السياسية فى الوحدة الجنسية لا كما يتوهم الطاعنون فى الاسلامية انها لم تقم الابالسيف اه من الأصل وماذكره فى الدعوة وفى تحريم الخمر ليس النسخ فى شيء

قال «السعيد الانكليزي» ان ما وصفت من أصول الاجتهاد وقوانين استنباط الأحكام قد أنتج خلاف ما يأمر الله به في قوله تعالى «اقيموا الدِّينَ ولا تتفرَّقوا فيه» وخلاف ماتقتضيه الحكمة فهل من وسيلة سهلة لرفع هذا التفرق .

أجابه «العالم النجدي» اني لا أهتدي لذلك سبيلا «١» ولعل في الاخوان من يتصور وسيلة لهذا الأمر المهم

فابتدر «العلامة المصري» مخاطباً السعيد الانكليزي وقال : ان رفع الخلاف غير ممكن مطلقاً ولكن يمكن تخفيف تأثيراته . وذلك انه لما كان معظم الاختلاف كما قرره اخونا العالم النجدي في الفروع دون الأصول وفي السنن والمندوبات والصغائر والمكروهات دون الشعائر والواجبات والكبائر والمنكرات وكان أكثر الامة هم العامة الذين لايقدرون أن يميزوا بين الواجب والسنة والمندوب وبين النفل والمباح أو يفرقوا بين الكفر والحرام وبين الكبيرة والصغيرة والمكروه تنزيهاً والتقوى بل تنقسم الأحكام كلها في نظرهم الى نوعين أصليين فقط مطلوب ومحظور وبتعبير آخر الى حلال وحرام وكانت أحكام الشريعة كثيرة جداً فالعامة يجدون أنفسهم مكلفين بما لايطيقون الإحاطة بمعرفته فضلا عن القيام به ويرون ان لامناص لهم من التهاون في أكثره أو بعضه فيقوم أحدهم بالبعض دون البعض فيأتي بالنفل ويتهاون بالواجب ويتقي المكروه ويقدم على الحرام وذلك كما قلنا لاستكثاره الأحكام وجهله بمراتبها في التقديم والتأخير «٢».

بناء على ذلك أرى لو أن فقهاء الأمة كما فرقوا مراتب الاحكام على المسائل يفرقون المسائل أيضاً على المراتب في متون مخصوصة. فيعقدون لكل مذهب من المذاهب كتاباً في العبادات ينقسم الى ابواب وفصول تذكر في كل منها الفرائض والواجبات فقط وتنطوي ضمنها الشرائط والأركان بحيث يقال ان هذه الأحكام في هذه المذاهب هي اقل مايجوز به العبادة .

«١» الاديان والمذاهب كلها مصابة بالانشقاق فهذه البرتستانتية تفرقت في مدة مائتي سنة الى مايزيد على مائتي فرقة وهذه أحكام الأحوال الشخصية من نكاح ونحوه في النصرانية تختلف فيها بين الكنائس أو بين رؤساء كل كنيسة اختلافا لايهتدى معه الى نتيجة. اه من الأصل «٢» كالاتراك يهتمون بالسنن والمكروهات أكثر من الواجبات والمنهيات اه من الأصل

ويعقدون كتاباً آخر ينقسم الى عين تلك الأبواب والفصول تذكر فيها السنن بحيث يقال ان هذه الأحكام ينبغي رعايتها في اكثر الأوقات .ثم كتاباً ثالثاً مثل الأولين تذكر فيه سنن الزوائد بحيث يقال ان هذه الأحكام رعايتها اولى من تركها .

وعلى هذا النسق يوضع كتاب للمنهيات يقسم الى ابواب وفصول تعدّ فيها المكفرات والكبائر وكذا الصغائر والمكروهات ومثل ذلك تقسم كتب المعاملات على طبقات من الأحكام الإجماعية او الاجتهادية او الاستحسانية .

فبمثل هذا الترتيب يسهل على كل من العامة ان يعرف ماهو مكلف به في دينه فيعمل به على حسب مراتبه وامكانه وبهذه الصورة تظهر سماحة الدين الحنيف ويصير المسلم مطمئن القلب مَثَله كمثل تاجر له دفاتر وقيود وحسابات وموازنات منتظمة فيعيش مطمئن الفكر وكم بين هذا التاجر وبين تاجر آخر حساباته في اوراق منتثرة ومعاملاته مشتتة متزاحمة في فكره لايعرف ماله وما عليه فيعيش عمره مرتبك البال مضطرب الحال «مرحى»

باب التربية والتعليم

الشذرة السابعة من جريدة أراسم (*)

رؤيا منام «أرجو ان تحققها لنا الايام»

رأيتني ممتطياً جواداً أسيح في بلاد مجهولة لاأدري ان كانت من الدنيا القديمة أو الجديدة ولكني بحسب مابدالي من ظواهرها أرى انها لابد أن تكون واقعة على تخوم بلاد الألدورادو (١) او الاوتوبيا (٢)

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر

[١] الالدورادو كلمة اسبانية معناها بلاد الذهب وتطلق على بلاد يزعم الناس ان ضابطاً من مدينة بيزارا اكتشفها في أمريكا الجنوبية وانه كان يوجد بها من الذهب وخيرات الارض شيء كثير ثم أطلقت هذه الكلمة على بلاد الرخاء والنعيم [٢] الاوتوبيا كلمة يونانية تطلق على بلاد وهمية جرت أمورها على أحسن مايتخيل من النظام وصفها كاتب اسمه توماس موريس في كتاب له

بصرت فى طريقي بحظائر مسيجة باسيجة خضراء فيها قطعان من البقر والغنم وغيرها من الحيوانات المجترة التى لاتوجد قط في مراعينا تسوم آمنة لاكلب يحرسها ولا راعي يراقبها ولاحظت في انتظام طرق الري فى هذه البلاد وحسن توزيع الماء بين جهاتها على نحو يثير الاستحسان ويدعو الى الاعجاب انه كان من مزاياه امتلاء جوّ ريفها بالنسيم البارد المنعش على مافيه من حرارة النهار وشاهدت سلاسل من الهضات مكللة بالاشجار كأنها فى تتابعها واتصال بعضها ببعض تخط للرياح والسحاب طريقهما. ضرب الغنى سرادقه حول قرى هذا الريف وظهرت على أهله آثار النعمة والاغتباط نساؤه حسان وولدانه أسوياء أصحاء الابدان يبشرون حكومتهم بانهم سيكونون نسلا قويا باسلا

ثم رأيت حواضر هذا القطر فلم أكن لرؤيتها اقل مني دهشا لرؤية قراه ومما أرشدت اليه فى احداها بناآن كانا أقيما فى عصر يسميه أهلها الآن عصر الهمجية احدهما سجن والثاني مأوى للمساكين وقد أصبحا من أهلهما خلاء لعدم اللصوص والبؤساء ومع انهما لم تبق لوجودهما فائدة حفظهما القائمون على شؤن المدينة ليكون للاجانب فيهما ذكرى لتاريخهم .

حدد فى هذه البلاد ماللناس وما عليهم من الحقوق والفروض وما للحكومة وما عليها من ذلك وامتاز بعضه عن بعض امتيازاً بيناً ولهذا تجد الرعايا لايولون حكامهم من شؤنهم الا ماليس من مصالحهم ان يتولوه بأنفسهم وحقيقة الامر أن القوانين فيها على قلتها جداً وصدورها عن رأي من اختارتهم الأمة نواباً عنها لاسبيل لها الاعلى ماكان من الاعمال متعلقاً بالحكومة ولما كان الناس جميعاً هم الذين قدسنوا لأنفسهم هذه القوانين لحماية كل منهم كانت مخالفتها وعدم الرضوخ لاحكامها حمقا وسخفا على انهم يؤملون تعديلها والتقليل من سلطانها بترقية العلوم وبث اضواء العرفان

رأيهم هو حاكمهم المطاع أمره النافذ قوله ولم يعهد أن ملكا من الملوك المتمنعين فى صياصيهم المعتزين بحصونهم كان له من المعاقل والمتاريس مايعادل ماحيط به ذلك الحاكم من ضروب الكفالة وأنواع الضمان المؤيدة له القائمة على إعزازه فالقوم أحرار يتفكرون فى كل مايكتبون ويكتبون كل مايتفكرون وانه ليدهشهم كثيراً على ماأرى أن يعلموا أن فوق الأرض اممأ في قدرتها ان تستسلم لحاكم وتلقى بنفسها في قبضة ظالم.

لاقيت فى هذه المدينة شيخاً لاأذكراين ولا كيف لاقيته وقع التعارف بيني وبينه

فاخذ على نفسه أن يشرح لي نظام حكومتهم ويطوف بي على المعاهد المعدة للمنافع العامة لأني لم أر فى المدينة قصوراً بنيت لبعض الافراد توفية لاسباب لذاته ولا مسالح ولادور للجيش ولا مواخير للفحش .

لما راقني ما شاهدته قلت للشيخ هل لك ان تخبرني باسم ذلك الواضع الكبير الذي سن لكم هذه القوانين .

فتبسم ضاحكا من قولي وقال أراك آتياً من عالم آخر فاعلم أن قوانيننا ليست من وضع البشر واني أراني الآن مضطرا الى أن أقص عليك تاريخنا فى كلمات قلائل فاستمع لما أقول : اننا قبل اليوم بنحو قرنين لم نكن أحسن حالا من غيرنا من الأمم وآخر ملك تولى علينا ولانذكر منه شيئاً حتى اسمه (لان النسيان أحسن عقاب للمسيئين الاشرار) خلع من عرشه بعد حكم أسخط عليه جميع رعاياه وألّبهم على نبذ طاعته والخروج عليه ثم عرض الثائرون بعد خلعه صوراً مختلفة وأشكالامتنوعة للحكومة وكادوا يقتتلون على اختيار حاكم لولا ان آباءنا بما كان لهم من الحكمة والدراية قد تراجعوا وقال بعضهم لبعض ان الاولى لنا ان نرجئ الفصل فيما شجر بيننا وأن نترك لاعقابنا النظر لانفسهم فيما هو خير لهم فانه لاخير فى أحسن الاوضاع ولا فى أعدل القوانين ان لم نجد في اخلاق الناشئين وسيلة لاستبقائها وحينئذ اتفق القوم على أن يبقوا من قوانينهم القديمة أكثرها مطابقة لحكم العقل حيناً من الدهر وأن ينشؤا الجيل الجديد فى هذه الفترة على حب الحرية والاخذ بها. ثم لعلك لم تر مدرستنا. انها أصل نظامنا السياسي فهيّا بنا اليها .

أخذني الى مكان على مقربة من المدينة فما هو الا أن تجلى لنظري في اشعة الشمس المشرقة قصر أو هيكل فوق ربوة شجراء قد عادل اتساعه وانفساح ارجائه ماله من الفخامة والجلال لو أردت أن اصف لك جملته لعييت بذلك . بني كل قسم من أقسامه الداخلية على طريقة حديثة في فن العمارة وبلغ من الازديان بما وضع فيه من التماثيل والصور وآثار الفنون الى حيث ان جدرانه كانت تكاد تكفي أن تكون وحدها طريقة من طرق التعليم بكون ماحوته يُنقش على اذهان التلامذة ومشاعرهم وينقسم هؤلاء الى عدة أمم يمثل كل منها جيلا من أجيال الانسان وقد وقع ذلك البناء في وسط مشاهد تأسر القلب وتأخذ باللب بما فيها من ضروب التباين ووجوه التخالف فتجد حوله الآجام والصخور ومساقط الماء وتحته البحر .

وقفت على احدى حلقات الدروس فاذا بغلمان يمارسون أنواعاً مختلفة من الرياضات البدنية كالمصارعة والعدو والرماية بالقوس واكثر مادهشت له في هذه الحلقة أن معلميها كانوا من هنود امريكا الحمر الاصليين كما تبينت ذلك من لونهم ونحافة أعضائهم وما كان على شعورهم من مواد الزينة الوهمية

قال لي الدليل ان هذه القبيلة المتوحشة لم تأت الي بلادنا الا من عهد قريب وانما جذبها الى حدودها حسن اخلاق قومنا ورقة طباعهم فاننا لم نعتبرهم اعداء لنا كما يفعل غيرنا بل دعوناهم الى مشاركتنا فى نعم الحضارة وأرشدناهم الى ما تحصله لنا من الفوائد والمزايا مبينين لهم مقدار رجحانها على البداوة. ولما كنا لانجهل مالهم من المواهب الفطرية التي نحن محرومون منها قد عرضنا عليهم معاوضة المنافع ومبادلة المرافق فقبل فريق منهم ذلك منا وهاهم أولاء الآن يروضون أبناءنا على احتمال الآلام الجسدية غير مغضنين من جباههم وعلى استعمال ابصارهم وأسماعهم في اجتناب ماينصب لهم من الحبائل وابطال أثر مايكاد لختلهم من المكائد ويعودونهم على البسالة في ثني اعضائهم وليّها موافقة لسلطان الارادة وعلى تعرف اخلاق الحيوانات وعوائدها في حالتها الوحشية

وفيما نحن نجول داخل هذا المكان الذي هو منقسم كما قلت الى دارات مختلفة للتربية والتعليم شهدت أحد الاعياد التى تقام فى هذه الدارات التاريخية أو العلمية من حين الى حين تخيل لي أننا في آتينا (عاصمة بلاد اليونان) ان لم اكن واهما وأبصرت قلعتها المسماة بالاقروپول شاخصة امامي على صخرة يعلوها معبد وتماثيل وآلهة صنعت من النحاس الاحمر والمرمر ورأيت في الجانب الغربي لهذه القلعة دهاليزها التى اقامها بريكليس (١) وكنت أشاهد طوائف من الفتيان في ازياء يونانية يشخصون اليونان في اطوارهم واحوالهم تشخيصاً يقرب من الفطرة ويتكلمون بلغتهم ويمثلونهم في تنزههم فى المدينة او غدوهم الى مرافئ بيريه (٢) ومونيخى (٣) وفالير (٤) فاستغربت مارأيت مع قلة استغراب الحالم واقسمت بآتينيه بروماخوس لاكتنهن هذا السر.

فلما رأى صاحبي شدة ولعي بمعرفة حقيقة مارأيته قال لي ان الامر فى غاية السهولة ذلك اننا لما تبين لنا بالاختبار ان التاريخ في تعليمه للاحداث يمر باذهانهم

(١) بريكليس احد رجال حكومة آتينا الاقدمين (٢ و ٣ و ٤) بيريه ومونيخي وفالير كلها مدن يونانيه فيها مرافئ

مرور الظل غير تارك له فيها آثاراً بينة اجتهدنا في ان نجعل له جسما تخلد فيها صورته فترى تلامذتنا لايقتصرون في تعلمه على مطالعة ما كان في العصور الخالية بل انهم يعيشون في تلك العصور.

فقلت له لابد أن تكون جمهوريتكم قد بلغت من الثروة غايتها حتي تقوم بنفقات هذه المعاهد فكان جوابه انها غنية لمهارتها في طرق الكسب ولانها هي التى تدبر نفقاتها بنفسها على انى ارجو ان لا تخدع بما تراه فان ما تظنه بذلا للمال واسرافاً فيه هو في الحقيقة تدبير له وتوفير ولوصح مانسمعه عن أوربا القديمة لكان ما تنفقه اممها على حكوماتها في جانب التبذير وما تنفقه على التعليم العام فى طرف التقتير وأما نحن فأمورنا تجري على خلاف ذلك فحكومتنا لا تكلفنا اولا تكاد تكلفنا شيئاً وتنفق كل ارزاقنا على مدارسنا فكان لنا بالسير على هذه السنن مايسمى في عرف التجارة صفقة رابحة ولله طريقتنا في التربية فاننا ببركتها استغنينا عن اتخاذ جيش دائم وكهنوت وغيرهما من الاثقال التى توقع الحكومات في مهواة الفاقة وتؤديها الى الخراب

هذه الامة التي ضل عنى الآن اسمها لاتقصد في تربية عقول ابنائها وتقويم طباعهم اعدادهم لان يتبعوا فى مستقبلهم نظاماً مقرراً كائناً ما كان بل انها عقدت النية على أن تقبل ما ينتج من التربية الحرة المؤسسة على نواميس الكون واصول العلم من الثمرات فبعثها اقدامها على ان تعهد بمستقبل بلادها الى معارف الاجيال الجديدة وعلومهم فهي تعتبر المدرسة امة في سبيل نشأتها لها قوانينها كما أن للحكومة قوانينها وترى تلك القوانين كانها مقدمة لهذه وتبكر بتعليم التلامذة ممارسة مايتحلى به الرجال من الفضائل القومية.

ليس لمعلمي المدرسة على التلامذة أدنى سبيل الى التأديب ولكنهم لا يسلمون عليها بما يقترفونه من مخالفة قوانينها وعوائدها بل انهم يعاقب بعضهم بعضاً على مايقع منهم من المخالفات فالمخالفون يحاكمون الى محكمة ينتخب اعضاؤها من اخوانهم لمدة معلومة ومن مصلحة هؤلاء الاعضاء ان يعدلوا فى احكامهم وان لايطيعوا فيها دواعي الهوى والغرض لعلمهم ان الاعتداء على حقوق الناس قد يعود عليهم ضرره فى الحال او في المآل ويقوم امام هذه المحكمة محاميان احدهما من جانب المدعي والثانى من جانب المدعى عليه فيبينان لها وقائع الدعوى بالرزانة والوقار ثم يصدر المحلفون المتطوعون احكامهم وهي واجبة الاحترام على الدوام وما يحكم به من الجزاء يصير على كونه غاية

فى الحفة شديد الارهاب والزجر لانه يؤدي الى لوم المحكوم عليه وتأنيبه من المدرسه جميعها لا من معلميه فقط ٠

يقيم الصبايا التلميذات بهذه المدرسة في قسم آخر منها غير قسم الصبيان ولكنهن يحضرن معهم فى غرف التعليم بعض الدروس العامة التي تلقى نهارا

قال لي الشيخ اننا نعول كثيراً في طريقة تربيتنا للناشئين على ما للنساء من التأثير المعنوي في النفوس فهن اللاتي نعهد اليهن بتوزيع الجوائز والمكافآت على التلامذة فترى المهرة من هؤلاء في الرياضات البدنية يختبرون أنفسهم امامهن في ساحتها ببعض الحركات التي هي مظاهر البأس والقوة والمستعدين منهم لان يكونوا خطباء المستقبل يَمْثُلون بين أيديهن على منبر المدرسة ويثير بعضهم على بعض في ميدان الفصاحة والبلاغة حربا عوانا كل ذلك في سبيل ارضائهن وهيج اعجابهن ولما كان المعروف فيهن انهن صائبات الرأي سديدات الحكم فى مواد الفنون كان معلمو المدرسة تطيب أنفسهم بالركون الى رأيهن في امتحان الشعر والموسيقى والتصوير فاذا صرن محكمات في الذوق أعلنّ حسان الاعمال ونوهن بقدرها وتوجنها تاج الشرف والفخار . كذلك يعتاد احداثنا على ان يستشيروا النساء ويسترشدوا بآرائهن ويلتمسوا تصديق وجدانهم لحسن أعمالهم فيما يبديه لهم من يرقهم منهن من دلائل استحسان هذه الاعمال بتلقيها بالابتسام والبشاشة وينشأون على أن يعتبروا عيون ربات الجمال مرايا تمثل لهم فيها الفروض التي كتب عليهم اداؤها

لايزال صدى الكلمات الاخيرة التي سمعتها من ذلك الشيخ يرن في أذني اذ قال لي في نهاية حديثه لوطال زمن مكثك بيننا لشاهدت من مستحدثاتنا مالا أشك في أنه كان يبعث في نفسك دواعي الدهش والعجب فحسبك أن تعلم كيف انا قطعنا ما كان يربطنا بماضينا من قيود الذل والبؤس والاستعباد التي كانت كالثلج جموداً وبرودة ونفياً لحرارة الحياة وأن تعرف أن الامم الحرة انما تنشأ برجالها الاحرار وأن آبانا لم يخطئوا في أن يلتمسوا في وجدان كل انسان أقوى ناصر على الاستبداد لاعتقادهم أن أحسن الحكومات أقلها وجوداً فتراهم قد فضلوا أن ينقشوا في نفوس الاحداث وجدان العدل والحق الذى لاتغيره الحوادث ولا تمحوه الكوارث على أن يدونوا لهم قانوناً نظاميا في كتاب ربما أن رياح الفتن وعواصف الثورات الداخلية كانت مزقته من زمن بعيد وجملة القول أن الحكومة عندنا ليست هي التي تدير المدرسة بل أن المدرسة هي التي توجدها وتنشئها . اه

آثار علمية ادبية

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(تأسيس النظر) كتاب وجيز صنفه الفقيه الاصولي أبو زيد عبيد الله بن عمر ابن عيسى الدبوسي الحنفي فى علم الخلاف وهو أوّل من صنف فى خلاف الائمة فى الفقه ٠ وعلم الخلاف نافع لمن يريد معرفة مدارك الائمة ودلائلهم ووجوه الترجيح فيما شجر بينهم من الاختلاف فى الاحكام فهو فرع من علم أصول الفقه . وقد سعى فى طبع هذا الكتاب الشيخ مصطفى القباني الدمشقي كما هو شأنه فى السعي باظهار كتب الأولين النافعة ونشرها . طبعه على نفقته ونفقة محمد افندى أمين الخانجى على أجود الورق الناعم الموجود في مصر . وكنت أود أن يقف على تصحيحه أحد المشتغلين بالفقه والاصول ٠ ولا أعرف كتاباً طبع في علم الخلاف غيره فعسى أن يقبل أهل العلم على مطالعته

وقد طبع في آخر الكتاب رسالة (الاصول التي عليها مدار كتب الحنفية) وهي نحو أربعين أصلا وضعها الامام أبو الحسن الكرخي من فقهاء القرن الثالث ووضع لها الامثلة والشواهد الفقيه عمر النسفى المتوفى سنة ٥٣٧ ونحو نورد بعض أمثلتها عبرة للمتفكرين قال ! « الأصل أن كل آية تخالف قول أصحابنا فإنها تحمل على النسخ أو على الترجيح والأولى أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق » ويا ليته ذكر وجهاً آخر وهو الرجوع عن قول أصحابهم الى الآية الكريمة ولو عند عدم ظهور وجه وجيه في التأويل . ومنها قوله : « الاصل ان كل خبر (أي حديث نبوي) يجيء بخلاف قول أصحابنا فانه يحمل على النسخ أو على انه معارض بمثله ثم صار الى دليل آخر أو ترجيح فيه بما يحتج به أصحابنا من وجوه الترجيح أو يحمل على التوفيق . وإنما يفعل ذلك على حسب قيام الدليل فان قامت دلالة النسخ يحمل عليه وان قامت الدلالة على غيره صرنا اليه » أي انه لابد من تصحيح قول فقهائهم والعمل به على كل حال . ونحن نقول كما يحتمل نسخ الآية أو الحديث يحتمل رجوع ذلك الفقيه عن قوله فالمنسوخ قليل جداً ولكن الاقوال المرجوحة التي يرجع عنها العلماء أكثر من أن تحصى . يقابل هذا بذاك وتبقى وجوه أخرى للعمل بالآية أو الحديث منها انهما أصل الدين فان قبل قول الفقيه فانما يقبل لاستناده اليهما او احدهما ولو ظنا فاذا تعارض الاصل والفرع يعمل بالاصل . ومنها ان الثقة بنقل الكتاب والسنه أعظم . ومنها ان خطأهما محال وكل امام وفقيه عرضة للخطأ . ومنها

انهما أصح وأفصح الكلام ففهمهما أسهل وبيانهما أعظم والله الهادي وهو أعلم وأحكم

(نهضة الأسد) قصة تاريخية تشرح حوادث الثورة الفرنسية الشهيرة ومقدماتها ونتائجها وهى من تأليف القصصي الشهير اسكندر ديماس الكبير. وقد عربها صديقنا الفاضل فرح أفندي انطون صاحب مجلة الجامعة النافعة ونشرها تباعا فى ذيل مجلته ثم جمعها في أربعة أجزاء واسم الثالث منها (وثبة الأسد) والرابع (فريسة الأسد) وهي أنفع القصص المعرّبة فيما أظن لأن مطالعة حوادث الانقلاب فى الأمم هى أكبر العبر وأولى الناس بالاقبال على قراءة هذه الاخبار من دبت فيهم نسمة الحياة الاستقلالية، واستعدوا لأن يكونوا أمة حية؟ فعسى أن يرغب شباننا وشوابنا عن مطالعة القصص الغرامية السخفية الى مطالعة مثل هذه القصة التى تفوق تلك لذة وتزيد عليها المنفعة،

(مجلة المجلات العربية) نهني صديقنا الفاضل محمود بك حسيب صاحب هذه المجلة بما وفق له من زيادة اتقانها وتكثير فوائدها فقد صدر آخر جزء منها يزيد على ما تقدمه فى الفوائد العلمية والأدبية وكثرة الرسوم الجميلة التى لم تسبقه اليها مجلة عربية. فنسأل الله أن يزيد مجلته بكماله كمالا؟ ويوفق الناس لأن يزيدوا عليها اقبالاً.

«الحجاج بن يوسف» قصة تاريخية غرامية تتلو قصصاً نشرت قبلها في التاريخ الاسلامي وسيتلوها غيرها فيه فهى الحلقة السادسة من السلسلة وفيها خبر حصار مكة على عهد عبد الله بن الزبير وفتحها ومقتل ابن الزبير والكلام في أخلاق أهل الحرمين وعاداتهم. مؤلف هذه القصص صديقنا المؤرخ المنصف جرجى أفندي زيدان صاحب مجلة الهلال الغراء. وقد اشتهرت هذه القصص بنشرها في الهلال بل زاد اشتهار الهلال وانتشاره بها لما فيها من اللذة والفائدة. ومازلت أمنّي نفسي بمطالعة هذه القصص من أولها مطالعة تأمل وانتقاد ولما يتح لي ذلك

وقد رأيت من المسلمين من ينتقد هذا الوضع من وجهين أحدهما ان من شأن القصص ان تكون فيها أخبار كاذبة فيشتبه على القارئ الحق بالباطل وثانيهما استثقال نسبة العشق والغرام الى رجال سلفنا الكرام. وقد كان بعض هؤلاء المنتقدين كتب رأيه في جريدة المؤيد ورد عليه المؤلف بما عرف واشتهر. وقد تصفحت ورقات من هذه القصة فالفيت أن الحوادث الغرامية لم تسند الى احد من رجال السلف العظام، والائمة الذين يجلون عن الاشتغال بالغرام، وأما مسئلة الاشتباه فقد رأينا فى مقدمة هذه القصة مايكشف عن الحقيقة فيها وهو قول المؤلف: «فالعمدة فى رواياتنا على التاريخ وانما نأتي بحوادث الرواية تشويقاً للمطالعين. فتبقى الحوادث التاريخية على

حالها وندمج فى خلالها قصة غرامية تشوق المطالع الى استتمام قراءتها. فيصح الاعتماد على ما يجئ في هذه الروايات من حوادث التاريخ مثل الاعتماد على أي كتاب من كتب التاريخ من حيث الزمان والمكان والاشخاص الا ماتقتضيه القصة من التوسع فى الوصف مما لا تأثير له على الحقيقة» اهولنا الثقة بالمؤلف الفاضل بأنه لا يكتب عن الاسلام والمسلمين الا مايعتقده وان لم يكن مسلماً لأنه من أبعد خلق الله عن التعصب الديني وأحسنهم انصافاً فان فرط منه ما أوجب الانتقاد أو يوجبه فهو عن غير سوء قصد. ولا شك أن قراءة هذه القصص مفيدة فمن يرى من المنتقدين أن فيها تقصيراً فليصنف ماهو خير منها. واننا لا نتحزب لصديقنا بما لا نعتقد واذا اتيح لنا مطالعة هذه القصص أو بعضها وظهر لنا فيها خطأ فانها ننبه عليه ان شاء الله تعالى. وثمن النسخة من هذه القصة عشرة قروش وأجرتها فى البريد قرشان وتطلب من مكتبة الهلال بمصر.

(مسامرات الشعب) قصص مختصرة يؤلفها أو يعربها بعض المشتغلين بالكتابة والادب لمكتبة الشعب ومطبعتها فتطبع وتنشر على نفقة صاحب المكتبة والمطبعة الهمام ويصدر في كل شهر قصتين وجعل ثمن القصة قرشا اميريا وقيمة الاشتراك الى سنة عشرين قرشاً. وقد ذكر في مقدمتها انه يقصد بنشر هذه القصص التهذيب وخدمة الوطن. وانما يتحقق هذا اذا جعلت هذه القصص حكايات عن أخلاق الشعب وعاداته مع استحسان الحسن واستهجان المستهجن ولم أر أعلق بهذا القصد من القصة الرابعة واسمها (الحال والمآل) فقد أودعها كاتبها أحمد حافظ أفندى عوض بيانا في كيفية عشق الناشئين والناشئات، وما يتبع ذلك من المفاسد والمنكرات. وسنتكلم عنها في جزء آخر

باب الأخبار والآراء

(الوباء والعدوى والوقاية)

ظهرت الهيضة الوبائية في بلدة موشة التابعة لمديرية أسيوط وانتقلت الى القاهرة ثم ظهرت في عدة بلاد وقد اعتنت الحكومة بالوقاية منها واهتم رجال الصحة بمنع انتشارها بقدر الامكان ولا أظن ان العناية فى غير القاهرة مثلها فيها وان كان متيسراً. على ان حفظ الماء من القذارة فى الارياف عسر جداً والزام الناس بالنظافة هناك

أعسر • ومما يزيد الوباء فتكا عدم مساعدة الاهالي للحكومة فيما تعمله لوقايتهم لانهم لجهلهم يتوهمون ان الحكومة تسعى في اهلاكهم وتريد اهانتهم وضررهم حتى أن الاكثرين يعتقدون ان أطباء الحكومة يسقون المصابين الأدوية السامة ليميتوهم ولا شك ان هذا الوهم فاسد وأن الحكومة خير لهم فى هذه الحال من أهليهم ومن أنفسهم لأنها تجتهد فى وقايتهم قبل أن يصابوا وفى معالجتهم بعد ذلك بعلم ومعرفة وانما تخدمهم برجالهم وتنفق عليهم أموالهم المحفوظة عندها

ونحن لا ننتقد على الحكومة الا بعدم الاعتناء بالتنظيف حيث يسكن الوطنيون كاعتنائها به حيث يسكن الاجانب • فقد استغاثت الجرائد بمصلحة الصحة طالبة تنظيف بعض الجهات القذرة التى اتخذها الناس مناصع (والمناصع هي المواضع يتخلى فيها للبول والغائط) كشارع الخليج من جهة باب الخلق • فكان الواجب على الحكومة أن تأمر بمنع التخلي هناك وفى أي شارع لئلا يتخلى فيه مصاب فيحمل الذباب جراثيم الداء من برازه الي البيوت المجاورة . وشيء آخر لا يزال منتقداً من رجال الصحة وهو معاملة الناس بالغلظة والخشونة عند اداء وظائفهم وهم يعلمون أن الناس معذورون بالجهل ولعل هذه المعاملة لطفت بعد أمر جناب مستشار الداخلية بالتلطف فى المعاملة

ومن أسباب انتشار الوباء جهل الأهلين بصحة العدوى وهي ثابتة شرعاً وعلماً واختباراً بالمشاهدة . وأما العدوى المنفية بالحديث فهي ما كان يعتقد في الجاهلية من حصول ذلك بطبعه من غير قدرة الله تعالى وفي روايات الحديث ما يدل على ذلك .

أخرج أحمد والبخاري من حديث أبي هريرة : «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفرّ من المجذوم كما تفرّ من الأسد » فبعد ان نفى ما كانت تعتقده الجاهلية أمر بالفرار من المجذوم . وصرح الحافظ ابن حجر وغيره من شرّاح البخاري في حديث المجذوم بأن العلماء المحققين لاسيما الشافعية قالوا باثبات العدوى على أنها سبب من الاسباب العادية التي قام بها نظام الكون . وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة : « لا عدوى ولا هامة ولا صفر . ولا يحلّ الممرض على المصحّ وليحل المصح حيث شاء » قيل ولم ذاك يا رسول الله قال « لأنه أذى » وهذا أصرح من الأول في اثبات سببية العدوى . وأخرج أحمد والبخاري ومسلم عن أسامة بن زيد وعبد الرحمن بن عوف والنسائي عن الأول وأبو داود عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه واذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها » فهذا الحديث الصحيح أصل في الحجر على المصابين ان يخرجوا

فيخالطوا الناس الأصحاء فتنتقل اليهم بذلك العدوى . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة

ومن أسباب انتشار الوباء الجهل بمداراة الصحة والوقاية من الأمراض . ولو كان الناس يعملون بالآداب الشرعية لكان لهم فيها غناء فان أهم أركان الصحة النظافة والاحتياط فى الأكل والشرب . فأما النظافة فهي عند المسلمين من خصال الإيمان . وقد اشترط فى تطهير الاشياء وتنظيفها عند الشافعية وأكثر أهل هذا القطر منهم أن يكون الماء الطاهر وارداً على الشيء الذي يراد تطهيره لا موروداً وهذا الشرط موافق للصحة . فان الثوب أو العضو المتنجس اذا ورد على الماء ينتشر فى الماء ميكروب المرض واذا ورد الماء عليه يزيل النجاسة وما فيها من الميكروبات . ولا يجوز وضع النجاسة فى الماء ولا اليد المتنجسة فيه على تفصيل فى ذلك . ومما لا خلاف فيه بين المسلمين أن كل ما علم ضرره بالاختبار أو بقول الطبيب الموثوق به فالواجب اجتنابه

وأما الاحتياط فى الأكل والشرب فأحسن ما يذكر فيه الآن ما روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى بيان سبب عدم قبول الطبيب الذي أهداه اليه المقوقس ملك القبط وهو « لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع » ولا أذكر من خرجه من المحدّثين وهو مذكور فى كتب السير • وهذا أصل عظيم في الوقاية من الهيضة الوبائية فان جراثيم الهيضة لا تضر الا اذا انتقلت من المعدة الى الامعاء فى طعام غير مهضوم • فمن يأكل عن جوع حقيقي ولا يكثر من الاكل فانه يهضم ما أكله بسهولة فاذا وجد فى طعامه أو شرابه شيء من جراثيم الهيضة الوبائية (الكوليرا) فانه حينئذ يُهضم ولا يضر • واذا كان مع هذا يراعي النظافة فى الطعام والماء مراعيا فيه وصايا الاطباء فذلك اكمل الاحتياط

ولا يتوهم ان الحديث المذكور آنفاً يدل على ان التطبب غير مطلوب شرعا فقد وردت الاحاديث الصحيحة والحسنة أن لكل داء دواء الا الموت وفى رواية الا الهرم وكثير من الاحكام الشرعية يبنى على قول الاطباء حتى فى العبادات • فالاعتماد على قول الطبيب العدل فى ذلك واجب شرعا وكذلك غير العدل ان صدقه فاننا كثيراً ما نجزم بصدق من لم توجد فيه صفات العدالة الشرعية كلها لاننا عرفنا صدقه ومهارته بالتجربة

﴿ ابطال المولد الحسيني وغيره ﴾

أمرت الحكومة بابطال المولد الحسيني وغيره لأن الاحتياط الصحي يقضي بتقليل الاجتماع والازدحام في أيام الوباء لاسيما مثل اجتماع الموالد المشتملة على الفحش والفجور

والاسراف في كل الامور حتى يكون بها بيت الله تعالى كالمزبلة لايمكن لمن يدخله أن يصلي فيه الا اذا كان معه سجادة يصلي عليها . ولعل الله تعالى يوفق الحكومة الى إبطال هذه الموالد بالمرة اذا كان رجال الدين لايسعون بازالة المنكرات الدينية منها . فان زعم الزاعمون ان فيها منفعة تجارية فلتكن اسواقا تجارية لاصبغة للدين فيها . وقد أرادت احدى الجرائد تسلية الناس عن ابطال المولد الحسيني فقالت ان هذه الموالد ليست من أصول الدين ولكن النظافة من أصول الدين كأنها تعني أن الموالد من فروع الدين وان مراعاة الأصل مقدمة على مراعاة الفرع . ذلك جهل على جهل فأصول الدين عقائده والنظافة ليست منها وانما هي من الفروع العملية . وأما الموالد فليست من الاصول ولا من الفروع بل هي من البدع القبيحة والضلالات المشتملة على كثير من الفواحش والمحرمات

﴿ الخمارة الاسلامية والاستهانة بالدين اعتماداً على الاولياء ﴾

فشا شرب الخمر في مسلمي مصر وجاهروا به حتى كأنه مباح أو مستحب ويقال انهم اكثر شرباً من القبط والافرنج لكنهم ظلوا مقصرين في هذا النوع من الفسق اذ لم يشتغلوا ببيع الخمر حتى أزال عنهم عار التقصير واحد منهم اتخذ له حانة يفتخر بأنها الحانة الاسلامية الوحيدة . وكأن السكارى في الحانة الاسلامية هم المتحمسون فيما يسمّيه الجهلاء في هذه الايام لباب الاسلام وأظهر مميزات المسلمين . مثال من ذلك اني مررت من أمامها ليلا فرأيت على بابها رجلا يناهز الستين والكاس في يده وهو يصيح (ياسيد ياباب النبي) كأنه علم ان الذين يقلدهم هو وامثاله في شرب الخمر يشربون على أسماء الكبراء والامراء والملوك وهو ماتسميه الجرائد الآن النخب فأراد أن يشرب نخب السيد البدوي . والا فهو يشيد باسمه لأجل أن يشفع له . فخطر لي ان أرمي كلمة أنهاه بها فقلت « هل أمرك النبي بهذا » فصاح بأعلى صوته : هو يغفر لي : هو يحب السيد : الله يحب النبي والسيد : النبي عربي ما هو تركي . وقد علمت انه يعرّض بذمي بكلمة تركي لأنه رأى زيّي كزيّ علماء الترك ، وكأني بمن معه قد اعتقدوا انه من الاولياء لأنه ذكر اسم الله والنبي والسيد على الخمر وان كان الفقهاء يعدون هذا استهانة بالدين وبحثوا في كفر صاحبه

سيجمع ما كتبته الجرائد وما نظمه الشعراء في فقيد العلم والاصلاح السيد عبد الرحمن الكواكبي في مجموعة تطبع فنرجو من الادباء الذين رثوه ولم يرسلوا الينا مراثيهم ان يرسلوها عن قريب الى ادارة مجلة المنار بمصر ولهم الثناء والشكر

(ارجأنا الكلام في مسيح الهند الى الجزء الآتي)

المنار
١٣١٥
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الألباب.
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
﴿ قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾
﴿ مصر في يوم الاربعاء ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٠ — ٢٠ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٢ ﴾

﴿ الفيلسوف أبو الوليد محمد بن رشد قاضي القضاة في الاندلس ﴾

هذا الفيلسوف أشهر فلاسفة المسلمين وأكبر أساتذة أوربا في العلم والفلسفة لأن فلسفته انتقلت من الأندلس (اسبانيا) الى سائر بلاد أوربا فكانت مبدأ نهضة الأوربيين الحاضرة . ولد سنة ٥٢٠ في قرطبة . وتوفي سنة ٥٩٥ في بلاد المغرب

وقد نشرت مجلة الجامعة الغراء تاريخه وتكلمت عن فلسفته واستطردت الى مسائل أخرى كمذهب المتكلمين في الوجود والمقابلة بين الاسلام والنصرانية في اضطهاد العلم والفلسفة وعدمه . وقد وقع في تلك الترجمة غلط في هذه المسائل . والانسان دائماً عرضة للخطأ والغلط فيما تعلمه وأتقنه فكيف يكون حاله فيما لم يتعلمه بالتلقي عن أهله اذا تكلم أو كتب فيه. وان صاحب الجامعة الفاضل لم يتعلم علم الكلام الذى هو فلسفة العقائد الاسلامية لانه ليس مسلماً ولا فلسفة اليونانيين لأنها قد نسخت بالفلسفة العصرية فلا شك عندنا انه لم يتعمد تكفير القاضي ابن رشد ولا نسبة أئمة المسلمين في العقائد الي انكار ارتباط الاسباب بالمسببات . ولكن بعض الذين قرأوا تلك الترجمة في مجلته أساؤا الظن به واحتموا عليه ورغبوا الينا في الرد عليه لأن من وظيفة المنار الدفاع عن العقائد الاسلامية وعن أئمة المسلمين

وطلب بعضهم مثل ذلك من بعض اساتذتنا الاعلام ، الذين يرجع اليهم اذا اعتكر من ليل الشبهات الظلام ، ولما رأينا ذلك الاستاذ وعد الطالبين بأن يكتب

في بيان حقيقة تلك المسائل التى وقع فيها الخطأ امسكنا نحن عن الكتابة لأنه هو الأجدر بالفصل بين الحق والباطل ، والذى اذا قال لم يترك مجالا لقائل ، وقد تفضل علينا وعلى الجامعة بما كتب فننشر في هذا الجزء مقالته في فلسفة ابن رشد ومذهب المتكلمين . وسننشر في الاجزاء التالية مقالاته في « الاضطهاد فى النصرانية والاسلام »

تمهيد لمقالة الاستاذ الحكيم : لابد لفهم قراء المنار هذه المقالة من ذكر ماقالته الجامعة في فلسفة ابن رشد لأن كاتب المقالة لم يذكر فيها الا مواضع النقد قالت الجامعة :

﴿ المادة وخلق العالم ﴾

« ان اعظم المسائل التى شغلت حكيم قرطبة مسألة اصل الكائنات ، وهو يرى في ذلك رأي اريسطو . فيقول ان كل فعل يفضي الى خالق شيء انما هو عبارة عن حركة . والحركة تقتضي شيئاً لتحركه ويتم فيه بواسطتها فعل الخالق وهذا الشيء هو في رأيه المادة الاصلية التي صنعت الكائنات منها . ولكن ماهي هذه المادة ؟ هي شيء قابل للانفعال ولا حد له ولا اسم ولا وصف . بل هي ضرب من الافتراض لابد منه ولا غنى عنه . وبناء عليه يكون كل جسم أبدياً بسبب مادته اي انه لايتلاشى أبداً لان مادته لاتتلاشى ابداً . وكل امر يمكن انتقاله من حيز القوة الى حيز الفعل لابد له من هذا الانتقال والا حدث فراغ ووقوف في الكون وعلى ذلك تكون الحركة مستمرة فى العالم ولولا هذه الحركة المستمرة لما حدثت التحولات المتتالية الواجبة لخلق العالم بل لما حدث شيء قط وبناء عليه فالعامل الاول الذى هو مصدر القوة والفعل (اى الخالق سبحانه وتعالى) يكون غير مختار فى فعله لان الحرية والاختيار يقتضيان كونه محدثا والخالق تنزه عن ان يكون حديثاً

﴿ اتصال الكون بالخالق ﴾

« هذا فيما يختص بخالق العالم ، وهو مذهب قريب جداً من مذاهب الماديين كما ترى . ولكن كيف يستولي العامل الاول على الكون ويدبره

« لابن رشد في ذلك تمثيل يدل على حقيقة مذهبه فى هذه المسألة الخطيرة . فانه يشبه حكومة الكون اي تدبيره بحكومة المدينة . فانه كما ان كل شؤون المدينة تتفرق وتتجه الى نقطة واحدة وهي نقطة الحاكم العام فيها فيكون هذا الحاكم مصدرا لكل شؤون الحكم ولولم تكن له يد في كل شأن من هذه الشؤون كذلك الخالق في الاكوان فانه نقطة دائرتها ومصدر القوات التى تدبرها وان لم يكن له دخل مباشرة

في كل جزء من هذه القوات . فبناء على ذلك لايكون للكون « اتصال » بالخالق مباشرة . وانما هذا الاتصال يكون للعقل الاول وحده وهذا العقل الاول هو عبارة عن المصدر الذي تصدر عنه القوة للكواكب . وعلى ذلك فالسماء في رأي فيلسوف قرطبة كون حي بل أشرف الاحياء والكائنات ، وهى مؤلفة في رأيه من عدة دوائر يعتبرها أعضاء اصلية للحياة والنجوم والكواكب تدور في هذه الدوائر . اما العقل الاول الذى منه قوتها وحياتها فهو في قلب هذه الدوائر ولكل دائرة منها عقل اى قوة تعرف بها طريقها كما ان للانسان عقلا يعرف به طريقه وهذه العقول الكثيرة المرتبطة بعضها ببعض والتي تلي بعضها بعضاً محكومة بعضها ببعض انما هي عبارة عن سلسلة من مصادر القوة التي تحدث الحركة من الطبقة الأولى فى السماء الى ارضنا هذه . وهى عاملة بنفسها وبما يجري في الدوائر السفلى البعيدة عنها . وبناء على ذلك يكون للعقل الاول الذى هو مصدر كل هذه الحركات علم بكل مايحدث في العالم .

﴿ طريق الاتصال ﴾

« وان قيل ماهي علاقة الانسان بالخالق . فالجواب عن ذلك يأخذه ابن رشد أيضاً عن ارسطو من الفصل الثالث من كتابه « النفس » وخلاصة ذلك ان في الكون عقلا فاعلا وعقلا منفعلا فالعقل الفاعل هو عقل عام مستقل عن جسم الانسان وغير قابل للامتزاج بالمادة وأما العقل المنفعل فهو عقل خاص قابل للفناء والتلاشي مثل باقي قوى النفس وانما يقع العلم والمعرفة باتحاد هذين العقلين . ذلك ان العقل المنفعل يميل دائما للاتحاد بالعقل الفاعل كما ان القوة تقتضي مادة تنفذ فيها والمادة تقتضي شكلا توضع به . وأول نتيجة تحصل من هذا الاتحاد تدعى العقل المكتسب ولكن قد تتحد النفس البشرية بالعقل العام اتحاداً أشد من هذا فيكون هذا الاتحاد عبارة عن امتزاجها جد الامتزاج بالعقل القديم الأزلي . ولا يتم هذا الاتحاد بالعقل الاكتسابي الذى تقدم ذكره فانما وظيفة العقل الاكتسابي ايصاله الى حرم الخالق الأزلي دون أن يدغمه به . وأما ادغامه واتصاله به فذلك أمر لا يتم الا بطريق « العلم » فالعلم إذاً هو سبب « الاتصال » بين الخالق والمخلوق . ولا طريق غير هذا الطريق . ومتى اتصل الانسان بالله صار مثله عارفاً بكل شيء في الكون ولم يعد يفته شيء . ولكن كيف يتصل الانسان بالله ؟ يتصل به بان ينقطع الى الدرس والبحث والتنقيب ويخرق بنظره حجب الاسرار التى تكتنف الكون فانه متي خرق هذا الحجاب ووقف على كنه الامور وجد نفسه

وجها لوجه امام الحقيقة الابدية

«اما المتصوفة فانهم يقولون ان هذا «الاتصال» يتم بواسطة الصلاة والتأمل والتجرد وليس العلم ضروريا له

«وبناء على ذلك تكون فلسفة صاحب الترجمة عبارة عن مذهب مادّي قاعدته العلم. والكون في رأيه كما مر بك انما صنع بقوة مبادئ قديمة مستقلة محكومة بعضها ببعض وكلها مرتبطة ارتباطاً مبهماً بقوة عليا ومن هذه المبادئ شئ يستولى على العالم ويضع فيه العقل فهو عقل الانسانية. وهذا الشئ الذى يسميه عقلا أيضاً هو عقل ثابت لايتغير أى انه لايتقدم ولا يتأخر لايزيد ولا ينقص. والناس يشتركون فيه ويستمدون منه بكميات متباينة. على أن من كان منهم أكثر استمداداً منه كان أقرب الى الكمال والسعادة»

﴿الخلود﴾

ثم تكلمت الجامعة بعد ماتقدم عن رأى ابن رشد عن خلود النفس فقالت بعد كلام مانصه: «قال: ان العقل الفاعل العام الذى تقدم ذكره من صفاته انه مستقل ومنفصل عن المادة وغير قابل للفناء والملاشاة، والعقل الخاص المنفعل من صفاته الفناء مع جسم الانسان، وبناء عليه يكون العقل العام الفاعل خالداً والعقل المنفعل فانياً، ولكن ماهو العقل الفاعل العام الذى هو خالد في رأي ابن رشد؟ ان هذا العقل الخالد هو العقل المشترك بين الانسانية فالانسانية اذاً هي خالدة وحدها دون سواها، وبناء على ذلك لا يكون بعد الموت حياة فردية ولا شئ مماتقوله العامة عن الحياة الثانية، » اهـ

﴿دفع وهم عن فلسفة ابن رشد والمتكلمين﴾

(لاستاذ حكيم • وفيلسوف عليم)

قرأت ما نشرت الجامعة من ترجمة ابن رشد. مررتُ على ما نقلتْ من آراء المتكلمين وآرائه بغير تدقيق لأنني أعرف آراء الفريقين من قبلُ ولم يكن لي قصد الى النقد وانما أريد أن أستفيد جديدا. لهذا لم يقف نظري لأول وهلة الا على ما حوته تلك الجملة (الاضطهاد في النصرانية والإسلام) قرأتها بتروٍ وانتهيت منها الى حكم من الجامعة يخالف مااعتقد

ولا يلتئم مع ما أعرف ويعرف العارفون من الشواهد التاريخية. عند ذلك تحركت نفسي الى كتابة سطور، أُشيرُ فيها الى كشف مستور، أو إعادة ذكر مشهور على اسماع الجمهور

لاقاني بعض قراء تلك الترجمة فرأيت الأثر في نفسه أشد، ولسانه في العتب أحدّ. وذكر أشياء في غير هذا الفصل من الترجمة ولفتني الى إعادة النظر فيها. رجعت الى الترجمة فوجدت فيها موضعين آخرين يطلبان مني الكلام عليهما، وبأن أحادث الجامعة فيهما، لو كانت منزلة الجامعة من نفسي منزلة غيرها من المجلات التي لا يُعنَى كاتبوها الا بنقل ما يقع تحت أنظارهم، أو تحبير ما يعبر عن أهوائهم وأفكارهم، من دون عناية بتقرير الحقيقة، ولا رعاية لمعتقدات القراء — لوجدت من شواغل عملي مايصرفني عن ذكر ما عرض فيها. لكنها من المجلات التي لو أُهملتُ مباحثها من إنعام النظر وجعلتُها في جانب عما تستحقه من النقد لبخستها حقها، ونَبَوْتُ بها عن موضعها،

لهذا رأيت أن أذكر لها ما رأيت في ذينك الموضعين وأبيّن حقيقة الأمر في الثالث. أما الموضعان فهما (فلسفة المتكلمين وآراؤهم في الوجود) و (فلسفة ابن رشد وآراؤه في خلق العالم واتصال الكون بالخالق وطريق اتصال الانسان به والخلود) وهما موضوع كلامي اليوم

﴿فلسفة المتكلمين وآراؤهم في الوجود﴾

قالت الجامعة: «فلسفة المتكلمين هذه (أي في وجود العالم) مبنية على أمرين. الأول حدوث المادة في الكون أي وجودها بخلق خالق. والثاني وجود خالق مطلق التصرف في الكون ومنفصل عنه ومدبر له.

وبما أن الخالق مطلق التصرف في كونه فلا تسأل اذاً عن السبب اذا حدث في الكون شيء لان الخالق نفسه هو السبب وليس من سبب سواه . اذاً فلا يلزم عن ذلك قطعيا ان يكون بين حوادث الكون روابط وعلائق كأن ينتج بعضها عن بعض لان هذه الحوادث تحدث بأمر الخالق وحده . وفي الإمكان ان يكون العالم بصورة غير الصورة المصوَّر بها الآن وذلك بقدرة هذا الخالق » ثم ذكرت في الجملة التي تلي ما تقدم أن هذه فوضى وأن روحاً جديداً أخذ يدخل شيئاً من النظام فيها (١)

حدوث المادة عند المتكلمين ليس معناه أن تكون بخلق خالق فان الخلق في اصطلاحهم هو الإيجاد وكون المادة صادرة عن موجد لم يختلف فيه المتكلم والفيلسوف الالهي . فأرسطو يقول ان المادة قد استفادت وجودها من موجدها وهو الواجب . وواسطة فيض الوجود عليها هو العقل الفعّال على ما سيأتي بيانه وان كان لا أول لوجودها . وإنما حدوث المادة عند المتكلمين هو وجود الأجسام وعوارضها بعد أن لم تكن موجودة بحيث يفرض لوجودها بداية زمانية تنتهي اليها سلسلتها من جانب الماضي . ولا يجوز أن يوصف بالأزلية الا الله وحده وصفاته عند القائلين بأنها وجودية . وقبل هذه البداية التي لا يمكن تحديدها لم يكن وجود سوى وجود خالق الكون ثم انه أراد إيجاد الكون فاوجده من العدم البحت . هذا هو بناء مذهب المتكلمين وهو مذهب أهل النظر من

(١) ذكرت الجامعة الغراء أن منبع هذا الروح النظامي في مجلة المنار واستشهدت لذلك بالتفسير الذى نقتبسه من دروس الأستاذ الامام كبير رجال النهضة الاسلامية الحاضرة

المسيحيين واليهود أيضاً فلم يخالف فيه مليّ من أهل الملل الثلاث

أما كون هذا المذهب وحده هو الذى يصح أخذه من القرآن أو انه يجوز أن يتفق مع معاني القرآن رأي آخر بل هو الذى يظهر منه فذلك بحث آخر لسنا بصدده الآن فان كلامنا في تصوير مذهب المتكلمين .

الأصل الثاني — وهو وجود خالق مطلق التصرف — لازمٌ للأصل الأول لأن هذا العالم اذا كان موجوداً بفعل موجد فموجده هو خالقه وهو مطلق التصرف بمعنى انه يختار مايخلق على الوجه الذي يخلق. والمتكلمون وان اتفقوا على ان خالق العالم مختار انقسموا الى فريقين عظيمين فالقدرية منهم ويسمَّوْن بالمعتزلة أيضاً قالوا ان الخالق وضع للكون نظاماً تنطبق أصوله على مصالح المخلوقين وأودع في المخلوقين قوًى اوقُدَرًا تصدر عنها آثارها بطريق التوليد والسببية او بطريق الارادة والاختيار . فهذا فريق من المتكلمين لايخالف الفلاسفة فى قولهم بلزوم الآثار لمصادرها أو تأثير قدر المخلوقين فى أفعالهم . وقد بقي من أهل هذا المذهب الى اليوم طائفة الشيعة الامامية والزيدية فانهم لا يخالفون المعتزلة فى هذه الأصول. فاذا حدث فى الكون حادث سأل صاحب هذا المذهب عن سببه المباشر له وان كانت جميع الاسباب تنتهي الى مصدرها الأول وهو الخالق كما يسأل الفيلسوف بلا فرق .

والفريق الآخر الذي عنتة الجامعة وهو الذي يري اسناد الآثار الى الخالق مباشرة لم يقطع العلاقة بين الأسباب الظاهرة ومسبباتها بل قال ان الله يُصدر وجود المسبَّب عند وجود السبب . فلا يقال ان الأكل (مثلا) هو الذي يحدث الشبع بل الشبع شيء يحدثه الله عند الأكل ولكنه

لا يحدثه عنـد الخوى الا اذا اراد أن يخرق النظام الذي جرت به سنته لأمر عظيم يريد توجيه النفوس اليه . وحمَلَ هذا الفريق على هذا القول انكاره نسبة الإيجاد ومنح الوجود الى شيء سوى واجب الوجود . وقالوا فى الأفعال الاختيارية ان الله يوجدها عند تعلق كسب العبد بها ولهم فى تصوير معنى الـكسب كلام طويل لايليق بهذا المقال استيفاؤه . وقالوا ان الأسباب والآلات لابد منها في صـدور الأثر الا ان الذي يعطيه الوجودَ عند استكمالها هو الخالق . ولهذا اتفق جميع المتكلمين على ان التكليف بالأحكام الشرعيـة يعتمد التمـكن من الاتيان بالمـكلف به من حيث حال المـكلف وصرّحوا بأنه لم يقـع تكليف بشيء الا اذا تيسرت أسبابه وارتفعت الموانع منه . غير انهم يلقبون هذه الاسباب بالعاديّة لانه ليس من الواجب على الخالق ان يلتزمها مع اعتقادهم بأنه قررها وجرت سنته بهـا . ولقبوا مايحدث في العالم مخالفاً لهـا بخارق العادة . وليس كل غريب عندهم خارقا للعادة بل الخارق هو مالا يدخل فى مكنة قوة حادثة ولا يقدر على احداثه الا القادر على مخالفة النظام الذى سنه وهو الله

هذا الفريق من المتكلمين يستند فى إثبات صفة العلم لله تعالى الى مافي هذا العالم من النظام والى ماحواه ذلك النظام من الاسرار والحكم . وهل يتأتى هذا الاستناد منهم ان لم يقولوا بوجود العلاقة بين الاسباب ومسبباتها؟ كان من هذا الفريق ائمة تناول بحثهم كثيراً من الفنون كالطب وعلوم المواليد الثلاث الحيوان والنبات والمعدن منهم الائمة الرازيون كفخر الدين الرازي وأبي بكر الرازي ومحمود الرازي وأمثالهم . ومنهم مثل الامام أبي بكر الباقلاني . وكيف يتيسر لقـائل انه لاعلاقة بين الاسباب والمسببات ان

يبرع فى فنون بناؤها على الارتباط بين الآثار ومايقارنها فى العادة مماهو مصدر لها في باديء النظر .

فاذا حدث فى الـكون حادث سأل صاحب هذا المذهب عن سببه الذي جرت سـنة الله بأن يكون معه . وان شئت قلت سأل عن السبب الذى أصدر الله وجوده عنده . وهل يمكن ان يقول المتكلم انه لاعلاقة بين وجود الولد ووجود والديه أو بين جَوْدَة العمل وعلم العامل أو بين غزارة الثمر وخدمة الشجر ؟ هذا شيء لم يقل به قائل منهم قط وإلا لما قرأ واحد منهم كتابا ولاخط فى صحيفة سطراً لأنه لاعلاقة بين المطالعة والفهم ولا بين التحرير والأفهام

فان شئت ان تقول انه مذهب مع ذلك غامض يكدّ الذهن فى فهمه فلك أن تقول وان تنعم النظر حتى تفهم مبانيه وأصوله وان تناقش بالدليل الدليل . وعلى الله قصد السبيل .

القول بنفي الرابطة بين الاسباب ومسبباتهـا جدير بأهل دين ورد فى كتابه ان الايمان وحـده كاف فى أن يكون للمؤمن أن يقول للجبل تحوّلْ عن مكانك فيتحول الجبل (١) يليق بأهل دين يعدّ الصلاة وحدها إذا أخلص المصلي فيها كافية في اقداره على تغيير سير الـكواكب وقلب نظام العالم العنصري . وليس هذا الدين هو دين الاسلام . دين الاسلام هو

---

(١) المنار — يشير الى ماجاء في انجيل لوقا من الباب ١١ « ٢٣ لاني الحق اقول لكم ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن ان مايقوله يكون فمهما قال يكون له ٢٤ لذلك أقول لكم كلما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا ان تنالوه فيكون لكم »

الذي جاء فى كتابه « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم » الآية « وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » الخ « سنة الله فى الذين خَلَوْا من قبل ولن تجدَ لسنة الله تبديلا » وأمثالها « ان فى خاق السموات والارض واختلاف الايل والنهار » الآيات . فلا يمكن لاهل هذا الدين وهو هو أن يقطعوا كل علاقة بين الاسباب فى هذا العالم و المسببات . ولهم أن ينبهوا على أرباب ذلك الدين الآخر بأن دينهم لم يوضع أساسه على دعث من الخوارق لا يلبث أن يخسف بالسالك فيه اذا سال عليه سيل الدليل ، وانما وضع على مستقرّ من الحقائق لا يتزلزل بالقائم عليه مهما عظم القال والقيل ، وليس من الممكن لمسلم أن يذهب الى ارتفاع مابين حوادث الكون من الترتيب فى السببية والمسببية الا اذا كفر بدينه قبل ان يكفر بعقله

نعم طرأ فساد على عقائد بعض المنتسبين الى ائمة ذلك المذهب وأساؤا الظن بالقدر وتظاهروا بترك الاسباب فى أقوالهم ، وان كانوا أشد الناس تمسكا بها في رذائل أعمالهم ، وتعلقوا من الخوارق بحبل واهن ميلا الى أهواء من جاورهم من الملل فظن الناظرون فى قذائف أفواههم ، ان هذه الأوهام مما بني عليه اعتقاد اسلافهم ، فلا يغترنّ بعد ذلك مغترٌّ بما يظنّ أولئك الناظرون ، ولا بما يتوهمه هؤلاء الواهمون ، « سبحان ربك رب العزة عما يصفون » .

هذا ما يتعلق برأي الجامعة فى مذهب المتكلمين أو فلسفتهم وننتقل الآن الى روايتها مذهب الفيلسوف ورأيها فيه

﴿ فلسفة ابن رشد ورأيه فى المادة وخلق العالم ﴾

المادة وخلق العالم قالت الجامعة : ان المادة « ضرب من الافتراض لا بد منه » . الافتراض يراد به عند الإطلاق الفرض وهو في اصطلاح

الفلاسفة مالا وجود له والمادة عندهم موجودة كما قالت الجامعة فيما قبل ذلك التعريف وفيما بعده

ثم قالت : « وبناء عليه فالعامل الأول الذي هو مصدر القوة والفعل (أي الخالق سبحانه وتعالى) يكون غير مختار في فعله لأن الحرية والاختيار يقتضيان كونه محدثا والخالق ينزه عن أن يكون حديثا » . وقالت بعد هذا بسطرين : « وهو (أي مذهب ابن رشد) مذهب قريب جدا من مذاهب الماديين كما ترى » ثم ذكرت ان الفيلسوف يشبّه حكومة الكون بحكومة المدينة وأن المباشر للتصرف في الكون هو العقل الأول وحده وأن السماء كون حيّ مركب من عدة دوائر والعقل الأول في قلب هذه الدوائر ولكل دائرة عقل أي قوة تعرف بها طريقها » الخ

أما مسألة نفي الاختيار فقد ذكرت على إبهامها وأدّى ذكرها كذلك الى استنتاج ان مذهب ابن رشد قريب من مذهب الماديين وليس الامر في حقيقته كذلك

يعلم كل ناظر في مذاهب فلاسفة اليونان أنهم كانوا فريقين آلهيين وماديين والأولون فريقان مشاؤن وإشراقيون وأشتهر أتباع ارسطو باسم المشائين واتباع أفلاطون باسم الإشراقيين

وأول مميّز للألهيين عن الماديين ان الأولين يقولون بوجود واجب بريء من المادة والماديّات وبوجود عقول مجرّدة عن المادة وغواشيها وبان للواجب علما بذاته وبجميع ما يصدر عنه وعن آثاره وان للعقول المجرّدة عقلا وعلما بذواتها وبمبدئها وبما يصدر عنها . والماديون لا يقولون بشيء من ذلك ألبتة فالتقريب بينهما تقريب بين النقيضين . وابن رشد من

مقرري مذهب ارسطو فهو من الآلهيين

وتشبيه الفيلسوف لتدبير الكون بتدبير المدينة اكبر دليل على مفارقة الماديين كما يفارق المجرّد المادّة . وقد شرطوا في هذا التشبيه ان المدبّر خارج عن المدبَّر مفارق له منزه عن مخالطته

اما العقل الاول فليس كما تقول الجامعة . فان العقل الأول جوهر مجرد عن المادة وهو أوّل صادر عن الواجب وقد صدر عنه الفلك التاسع المسمىَّ عندهم بالفلك الأطلس ونفسٌ لذلك الفلك تدبّر حركاته الجزئية وعقل آخر هو العقل الثاني وعن هذا الثاني صدر الفلك الثامن المسمىَّ عندهم فلك الثوابت ونفسهُ والعقل الثالث وهكذا الى أن صدر عن العقل التاسع فلك القمر ونفسه والعقل العاشر وهو المسمىَّ عندهم بالعقل الفعّال او العقل الفياض وعن هذا العقل صدرت المادة العنصرية واليه يرجع ما يحدث في عالمها . ولا يكون العقل الأول ولا غيره من العقول في قلب تلك الدوائر عند أحد من هؤلاء الفلاسفة الآلهيين بل هو مفارق لها كما ان نفوسها جواهر مفارقة أيضاً ولها تعلق باجسادها كتعلق أنفسنا بأبداننا على ما سيأتي بيانه

والذي حمل الآلهيين على ذلك مبالغتهم في تنزيه الواجب وقولهم انه واحد من جميع الوجوه وزعمهم ان الواحد من كل وجه لا يصدر عنه الا الواحد فيلزم ان لا يصدر عن الواجب الا واحد وهو العقل الأول . ولما تعددت وجوه العقل في ذاته والنسبة بينه وبين مصدره وعقله لذاته وعقله لموجده صح أن يصدر عنه متعدّد . ولهم في الاستدلال على حياة الأفلاك مقدمات لاحاجة الى ذكرها لأن الكلام في تصوير مذهبهم

لا في تقريره أو إبطاله

فالعقول عند الفيلسوف ليست مخالطة للمادة ولا يغشاها شيءٌ من ظلماتها وليس العقل الاول بمدبر الكون وإنما هو مصدر الفلك الاطلس ومفيض نفسه عليه وخزانة معقولاته . وهكذا الأمر في كل عقل مع الفلك الذى صدر عنه . وتدبير العالم العنصري وهو مادون فلك القمر راجع الى العقل العاشر وهو العقل الفعّال .

قال الفلاسفة الآلهيون: ولا يجوز أن تكون لأفعال الله غايات واغراض تبعثه على اصدارها وان ما يصدر عنه إنما يفيض بمحض الجود المطلق عن غنى مطلق وقد صرح ابن رشد في تهذيبه لآلهيات ارسطو بذلك . وهذا مبالغة منهم في نسبة الكمال الى الله على ان مايصدر عنه انما يصدر عن علم فالذي ينفى عنه انما هو الاختيار بمعنى التردّد بين الغايات ثم ترجيح إحداها اما الاختيار بمعنى ان الفعل صدر عن علم العالم بدون اكراه عليه فذلك لاينفيه أحد منهم . والمليّون من متكلمين ولاهوتيين وان لم يصرحوا بذلك قالوا بما يؤول اليه والتزموه . فقد ذهب جمهورهم والمعوّل على رأيه عند قومه منهم أن علم الله محيط بالكليات والجزئيات أزلاً وأبداً وقد تعلقت إرادته بتخصيص كل كائن بما هو عليه على حسب علمه . وعلمه لازم لذاته أزليٌّ بأزلية ذاته وكل مايكون في الكون لابد أن يقع على وفاق مع علمه الأزلي جل شأنه فلا تردّد عنده بين الغايات بل ما يصدر عنه اليوم كان لابد ان يصدر عنه . والأسباب والمسببات وارتباط بعضها ببعض مما انتظم في علمه فهي تصدر عنه على حسب ترتيبها في العلم . وسواء كان القول غامضاً أو غير غامض وسواء توجه عليه من النقد ما يصعب الجواب عنه

اذا روعيت بقية الأصول أولم يتوجه كل ذلك لايدفع عنهم انهم قالوا بنفي الاختيار بالمعنى المعروف عند الناس وان ثبت الاختيار بالمعنى الذى يليق بكمال الله تعالى. فالفلاسفة وجمهور المتكلمين واللاهوتيين على وفاق في حقيقة المسألة وان اختلفت العبارات. فابن رشد رحمه الله لم يخرج في آرائه عن المليين فلا يصح أن يكون مذهبه مذهب الماديين ولا قريباً منه

﴿ طريق الاتصال ﴾

يتوهم الناظر فى هذا العنوان في الجامعة مع مراعاة الفصل الذى تقدمه فيها انه عنوان لرأي ابن رشد في طريق اتصال الكون بالخالق فاذا استمر فى قراءة ما بعد العنوان الى آخر الفصل علم ان المراد طريق اتصال الانسان وحده بخالقه وعثر فى آخر البحث على هذه العبارة: « وبناء على ذلك تكون فلسفة صاحب الترجمة عبارة عن مذهب ماديّ قاعدته العلم » : اما ما بين العنوان وهذه العبارة فهو مما لا يمكن ان يتحصل له معنى مفهوم فى مذهب الفيلسوف. واني ذاكر لك رأيه فى اتصال الانسان بالله أى قربه منه وسعادته به وفى طريقة تكميله لنفسه حتى يستعد لذلك القرب وبذلك تعرف ان ما جاء فى الجامعة ليس بالذى تصح نسبته اليه خصوصاً بعد قولها انه اخذ مذهبه فى ذلك عن ارسطو من الفصل الثالث من كتابه (النفس) وماقاله ارسطو فى ذلك الكتاب معروف مشهور

أثبت ارسطو وتبعه ابن رشد وجل فلاسفة الاسلام ان نفس الإنسان التى هو بها انسان — وهي ما يلقبونها بالنفس الناطقة — جوهر مجرد عن المادة لاهو جسم ولا حالّ في جسم وانما له علاقة بالجسم يدبره ويصرفه وشبهوا هذه العلاقة بعلاقة الملك بالمدينة وهو خارج عنها ولهذه

النفس آلة في الجسم بها يكون التدبير

وقالوا ان انطباع المحسوسات والمعاني الجزئية في الحواس الظاهرة والباطنة على ما فصّلوه يُعدّ النفس لقبول الكليات ويهيؤها لتلقي المعقولات عن مفيضها عليها وهو العقل الفعّال الذى سبق لنا ذكره

وجعلوا مراتب النفس في استحصالها كمالها العلمي وبلوغها ذروته اربعاً (الأولى) العقل الهيولاني وهو قوة استعداد النفس نحو المعقولات وتسميته عقلا تسمية مجازية و (الثانية) العقل بالملكة وهى القوة التى تحصل للنفس عند حصول المعقولات الأولى مثل الجزء والكل ومثل الحكم بأن الأول أصغر من الثاني ومثل النفي والاثبات والحكم بانهما لايجتمعان في محمول واحد لموضوع واحد. وكذلك كل ما خلص من محسوس وهو لايحتاج فى تخليصه الى فكر. والنفس تتهيأ بهذه القوة لاكتساب المعقولات الثانية إما بالفكر وإما بالحدس وليس الحدس هو الظن كما هو فى المشهور بل هو سرعة انتقال النفس من المبادئ الى المطالب او انتقال النفس من المعلومين الى الوسط الذي يصل بينهما ومن ذلك الى معلوم ثالث بلا تجشم نظر ولذلك جعل مقابلا للفكر الذى هو النظر بعينه ؟ و (الثالثة) قوة تسمى العقل المستفاد وهى ان تحصل المعقولات الثانية بالعقل متمثلة كالأولى مشاهدة فى الذهن. والرابعة قوة تسمى (العقل بالفعل) وهي ما به تتمكن النفس من استحضار المعقول المكتسب المفروغ منه متى شاءت من غير افتقار الى اكتساب

قالوا والذى يرقى بالنفس في هذه المراقي هو العقل الفعال وهو ذلك العقل العاشر المصرّف للمادة العنصرية لاعقل الانسانية العام كما تقول الجامعة

فان أرسطو وابن رشد لايقولان بعقل يسمى عقل الانسانية العام بل كان ذلك من مزاعم افلاطون التى عُنيَ ارسطو بابطالها وتبعه ابن رشد وغيره في نفيها . فالعقل الفعال هو الذي يخرج النفس من العقل الهيولاني الى العقل بالملكة ومن العقل بالملكة الى العقل المستفاد ومنه الى العقل بالفعل .

ولما كان العقل الفعال جوهراً عقلياً بالفعل كانت المعقولات بأسرها حاصلة له بالفعل اما نفوسنا فهي عقول بالقوة ولكنها اذا استعدت استعدادا خاصا للاتصال بذلك العقل أى بالاقبال عليه وتوجيه وجهتها نحوه ارتسم منه فيها الصور العقلية الخاصة بذلك الاستعداد الخاص لأحكام خاصة . وإدراك المعانى الجزئية بواسطة الحواس وحركة النفس فى المعقولات الأولى والبحث والتجربة والدرس وما نحو هذا النحو كل ذلك من محصلات الاستعداد لقبول المعقولات فى الموضوعات التى كان الاستعداد فيها . فاذا اعرضت النفس عن العقل الفعال والتفتت الى جانب الحس أو الى صورة أخرى غير التى حصلت لها بذلك الاستعداد انمحى المتمثل الذى كان أولا كأن المرآة التى كان يحاذى بها جانب القدس ،قد أعرض بها عنه الى جانب الحس ،أو الى شيء آخر من الامور القدسية

قالوا وهذا الاتصال الذى يفيض به العقل الفعال على النفس ما استعدت له من المعقولات له علة وعلته قوة بعيدة هي العقل الهيولاني وقوة كاسبة هي العقل بالملكة وقوة تامة الاستعداد لها أن تقبل بالنفس جهة الاشراق متى شاءت بملكة متمكنة وهى المسماة بالعقل بالفعل

ثم ان الفيلسوف واتباع مذهب ارسطو ذكروا آراء بعض الفلاسفة ممن لا يعتد بقولهم وفيها ما يشبه ما نسبته الجامعة لابن رشد . منها ان الجوهر

العاقل اذا عقل صورة عقلية صار هو اياها . واستدلوا على استحالة هذا القول بأنه يلزم عليه أن تصير النفس جميع المعقولات التى تحصل لها وتصير المعقولات كلها معقولا واحداً بل يلزم عليه انعدام النفس ووجود ماعقلته أو استحالة النفس اليه وهو محال وخلاف الفرض . ونقلوا عن فرفوريوس انه قال : ان النفس الناطقة اذا عقلت شيئاً فانما تعقل ذلك الشيء باتصالها بالعقل الفعال وهو حق فى رأيهم ولكنه قال ان معنى اتصالها بالعقل الفعال ان تصير هي نفس العقل الفعال لأنها تصير العقل المستفاد . والعقل الفعال يتصل نفسه بالنفس فيكون العقل المستفاد . وقد أبطلوا هذا القول بأنه يستلزم أن يكون العقل الفعال متجزئاً قد يتصل منه شيء دون شيء وهو مجرد لا يتجزأ أو تتصل به النفس اتصالا واحداً تكون به النفس كاملة واصلة الى كل معقول وهو ليس بحاصل فى جميع الاحوال . وقالوا ان دعوى اتحاد شيء بشيء آخر على معنى استحالة الاول الى الثاني قضية شعرية غير معقولة فلا يصح النظر فيها . أما استحالة النفس الى العقل الفعال فلم يقل به أحد

فقد عرفت من هذا ان اتصال النفس بالعقل الفعال ليس معناه الفناء فيه أو الاندغام كما عرفته الجامعة بل معناه ان ترتفع النفس بقواها عن ظلمة الطبيعة بما يكون لها من الاستعداد وتنجذب نحو العالم الأعلى ، فتشرق فيها المعلومات بمحاذاتها لمطلع ذلك النور الأجلى ، فهل مع هذا يصح أن ينسب الى الفيلسوف ماعده غير معقول ؟؟

قال الفيلسوف وشيعته ان النفس الناطقة التي هي موضوع ما للصورة المعقولة غير منطبعة فى جسم تقوم به بل هي جوهر عاقل ذو آلة بالجسم

فاذا استحال الجسم عن أن يكون آلة لها وحافظاً للعلاقة معها بالموت لم يضر ذلك جوهرها بل تكون باقية بما هى مستفيدة الوجود من الجواهر العقلية . فالنفس بعد مفارقتها للبدن باقية على استقلالها لاتعدم شخصيتها بالفناء فى شيء سواها لاعقل فعّال ولا وجود واجب وهي تسعد بكمالها العلمي والادبي الذى حصلتهُ مدة تعلقها بالبدن . وجوز الفيلسوف أن تتعلق بعد فراقها للبدن بجسم آخر من عالم آخر تتخيل فيه ماهو لذة لها . وتشقى بجهلها ورداءة ملكاتها . فالنفس عندالفيلسوف باقية خالدة. خلودها خلود لشخصها المتميز من كل شيء سواها سواء كان عقلا فعالا أوغيره

فهل بعد هذا يعدّ الفيلسوف ماديًّا ومذهبه مذهبا ماديًّا قاعدته العلم؟ لا بل هو إلهي ومذهبه مذهب آلهي قاعدته العلم قائل بخلود النفس وسعادتها وشقائها وعذابها ونعيمها كما رأيت

بقي علينا أن نشير الى مانقله فلاسفة أوربا عن الفيلسوف الجليل ابن رشد فى مبدإ العالم ومصدر وجوده . قالوا : لم يكن يُعْرَفُ العلم والفلسفة عند الأوربيين الا فى مدارس المسلمين فى اسبانيا فكان يقصد تلك المدارس طلاب العلم من كل ناحية .كان يجلس فى درس الفيلسوف عدد عظيم . لم تأت نهاية القرن الثاني عشر (الميلادي) الا وقد انتشر بين المشتغلين بشيء من العلم رأي زعزع طمأنينة الكنيسة وأفزع القابضين على مفاتيح القلوب بذلك الوقت الواقفين على أبوابها يأذنون لما شاؤا من العقائد والأفكار أن يدخل فيها ويطردون عنها ماشاؤا . ذلك الرأي الذى أخذ يتسرّب الى القلوب رغم حجابها هو أن الكون أجمع يرجع فى وجوده الى واحد هو حياة الكل وهو روح يقوم به كل جزء منه . وقالوا : ان

الذى نشر هذا المذهب بين الناس هم تلامذة ابن رشد فقهم بعض علمائهم من ذلك ان ابن رشد كان يقول ان مبدأ العالم هو أصل عرضت له صور العالم أو روح ظهر فى مظاهر الكائنات كما يقول الصوفية أونحو ذلك . واستتبع هذا رأيا آخر وهو ان كل صورة من صور الموجودات اذا بطلت فانما تعود الى أصلها وهو الوجود المطلق . وظن الواهم ان الأرواح تعود بعد مفارقة الاجسام ؛ الى مشرقها العام، وتفقد امتيازها فيه وذلك كله وان ذهب اليه بعض النظار من الأوربيين غير ما يقول ابن رشد . أماما يقول ابن رشد فهو ماترى :

قال ابن رشد وكل من تابعه على رأيه ولم يخالفوا فى ذلك أرسطو : ان الممكن لا وجود له فى ذاته وانما يستفيد الوجود من غيره وقد كانوا قالوا ان جميع مافى الكون ماعدا واجب الوجود المبرأ من المادة وغواشيها فهو ممكن فكل مافي العالم فهو مستفيد الوجود من غيره فذلك الغير ان كان ممكنا فكيف يعطي الوجود وهو لا وجود له الا من غيره فاذا استمد منه مستمد فانما يستمد من فضل ذلك الوجود الذى جاءه من موجده الى أن ينتهي الى الوجود الأول . فكل وجود سطع على الممكنات فهو فائض من وجود الواجب فلا وجود الا من وجوده أوكل وجود فهو شعاع لضياء وجوده فاذا حرر المعنى من هذا على وجه أمكن عند العقل وجدته يرجع الى ماقاله السيد الشريف من أئمة أهل السنة وغيره وهو

ان الممكن ليس بشيء فى ذاته ثم يكون شيئاً بالإيجاد . والإيجاد لو حققته أمر اعتباري انتزاعي له منشأ في الواقع وذلك المنشأ هو ذات الموجد وماهية الموجود الممكن التي صارت شيئاً بتلك العلاقة الاعتبارية

بينها وبين موجدها وهي ما يسمونه تعلق القدرة بالمقدور . وماهية الممكن ليست بوجود ولا الوجود أمر موجود قائم بها . فاذاً ليس من وجود في نفس الامر الاوجود الواجب فكان الوجود الحقيقيّ واحدا وسائر مايسمّى وجوداً او موجوداً فانما ينال ذلك بالاضافة الى الوجود الحقيقي. وأولى بالتسمية أن تكون مجازية من أن تكون حقيقية

مع ذلك لايزال صاحب هذا القول يعتقد بتجرد الواجب عن المادة والمدة الا أن من تلقفه منه توسع فيه حتى كان من ذيوله رأي القائلين بأن الموجد الأول روح سار في العالم واليه يرجع كل أشخاصه لفناء شخصيتهم فيه وما هو برأي ابن رشد ولا يعرفه

على ان الصوفية وهم المصرحون بوحدة الوجود المعبرون بالشهود أولا والفناء آخراً الناطقون فى ذلك بما لم ينطق به أحد سواهم لم يقولوا بزوال هُوِيَّات النفوس زوالا حقيقيا بل قالوا انها خالدة بعد مفارقة الابدان ولكنها تسعد في خلودها باستغراقها فى شهودها ، وذهولها عن كل مايشغلها عن مصدر وجودها، فهي غنيَّة بعرفانه عن معرفتها بنفسها وهو مايعبر عنه بالفناء ولذته ، والمحو وبهجته ، وهو معنى تقصر دون إيضاحه العبارات، وان كفى فى تعريفه لأهله أخفى الإشارات ؛

ولعل الجامعة لاتعتب على الكاتب فيما كتب ؛ وفيما أجاب به من طلب ، فقد وفّى حقالها لو اغفله مع علمها بالقدرة عليه، لحق لها أن توجه العتب اليه ،

هذا ما أردنا ايجاز القول فيه متعلقاً بفلسفة المتكلمين ورأي الفيلسوف وسنتبعه بمقال آخر فيما حكمت به الجامعة من الكلام ، على الاضطهاد فى النصرانية والاسلام ، ان شاء الله تعالى

﴿ تتمة الاجتماع الخامس لجمعية أم القرى ﴾

قال (المحدث اليمني) اننا معاشر أهل اليمن ومن يلينا من أهل الجزيرة كما اننا لم نزل بعيدين عن الصنائع والفنون فكذلك لم نزل على مذهب السلف في الدين بعيدين عن التفنن فيه ومسلكنا مسلك أهل الحديث وأكثرنا يخرج الاحكام على أصول اجتهاد الامام زيد بن علي بن زين العابدين أو أصول الامام أحمد بن حنبل واني أذكر للاخوان حالتنا الاستهدائية عسى ان الذكرى تنفع المؤمنين . وعسى أن يعلم المسلمون ولا سيما الاتراك ومن يحكمون اننا من أهل السنة لا كما يوهمون أو يتوهمون فأقول ان المسلمين عندنا على ثلاث مراتب العلماء والقراء والعامة .

فالطبقة الاولى (العلماء) وهم كل من كان متصفاً بخمس صفات

(١) أن يكون عارفاً باللغة العربية المضرية القرشية بالتعلم والمزاولة معرفة كفاية لفهم الخطاب لامعرفة احاطة بالمفردات ومجازاتها وبقواعد الصرف وشواذه والنحو وتفصيلاته والبيان وخلافاته والبديع وتكلفاته مما لايتيسر اتقانه الا لمن يفنى ثلثي عمره فيه مع انه لاطائل تحته ولا لزوم لاكثره الا لمن أراد الادب .

(٢) أن يكون قارئاً كتاب الله تعالى قراءة فهم للمتبادر من معاني مفرداته وتراكيبه مع الاطلاع على أسباب النزول ومواقع الكلام من كتبها المدونة المأخوذة من السنة والآثار وتفاسير الرسول عليه السلام او تفاسير اصحابه عليهم الرضوان ومن المعلوم أن آيات الأحكام لاتجاوز المائة والخمسين آية عدّاً(١)

(٣) أن يكون متضلعاً في السنة النبوية المدونة على عهد التابعين وتابعيهم أو تابعي تابعيهم فقط بدون قيد بمائة الف أو مائتي ألف حديث بل يكفيه ما كفى مالكا في موطئه وأحمد في مسنده ومن المعلوم ان أحاديث الاحكام لاتجوز الألف وخمسمائة حديث ابداً (٢)

(٤) أن يكون واسع الاطلاع على سيرة النبي وأصحابه وأحوالهم من كتب السيرة القديمة والتواريخ المعتبرة لاهل الحديث كالحافظ الذهبي وابن كثير ومن قبلهم كابن جرير وابن قتيبة ومن قبلهم كمالك والزهري واضرابهم .

(٥) أن يكون صاحب عقل سليم فطري لم يفسد ذهنه بالمنطق والجدل التعليميين (٣)

---

(١) قد أحاط بها التفسير الاحمدى الهندي (٢) وقد احاط بها الامام الشوكاني اليمني (٣) قد حقق الغربيون ان لا ثمرة من المنطق كليا فاهملوه مع انهم يعتنون بالبحث عن وسائط تفاهم العجماوات اه من الاصل ولعله يريد بما احاط به الشوكاني

والفلسفة اليونانية والآلهيات الفيثاغورسية وبابحاث الكلام وعقائد الحكماء ونزعات المعتزلة وإغرابات الصوفية وتشديدات الخوارج وتخريجات الفقهاء المتأخرين وحشويات الموسوسين وتزويقات المرائين وتحريفات المدلسين (مرحى)

فاهل هذه الطبقة يستهدون بأنفسهم ولا يقلدون الا بعد الوقوف على دليل من يقلدون فاذا وجدوا في المسألة قرآناً ناطقاً لايتحولون عنه لغيره مطلقاً واذا كان القرآن محتملا لوجوه فالسنة قاضية فيه مفسرة له . ثم مالم يجدوه في كتاب الله أخذوه من صحيح سنة رسول الله سواء كان الحديث مستفيضاً أم غير مستفيض عمل به أكثر من واحد من الصحابة المجتهدين ام لم يعمل به الا واحد فقط ومتى كان في المسألة حديث صحيح لا يعدلون عنه الى اجتهاد . ثم اذا لم يجدوا في المسألة حديثاً يأخذون باجماع علماء الصحابة ثم بقول جماعة من الصحابة والتابعين ولايتقيدون بقوم دون قوم فان وجدوا مسألة يستوي فيها قولان رجحوا أحدهما بمرجح يقوم في الفكر لايتبعون فيه أصولا موضوعة غير مشروعة أوطرقا مقررة غير مرفوعة . وأهل هذه الطبقة عندنا ينورون اذهانهم بأصول استدلالات الامام زيد رضى الله عنه أو غيره من الائمة في تخريجهم الاحكام واستنباطها من النصوص بدون تقيد بتقليد أحدهم خاصة دون غيره . لانهم لايجوزون اتباع امام اذا رأوا ماذهب اليه في المسألة بعيداً عن الصواب فلا يقلدون أحداً تقليداً مطلقاً كأنه نبي مرسل

والطبقة الثانية هم (القراء) وهم الذين يقرأن كتاب الله تعالى قراءة فهم بالاجمال مع اطلاع على جملة صالحة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهؤلاء يستهدون في أصول الدين بأنفسهم لانها مبنية غالباً على قرآن ناطق أوسنة صريحة او اجماع عام مفسر لغير الناطق والصريح

وأما في الفروع فيتبعون أحد العلماء الموثوق بهم عند المستهدي من الاقدمين أو المعاصرين بدون ارتباط بمجتهد مخصوص أو عالم دون آخر مع سماع الدليل والميل الى قبوله كما كان عليه جمهور المسلمين قبل وجود التعصب للمذاهب

والطبقة الثالثة هم (العامة) وهؤلاء يهديهم العلماء مع بيان الدليل بقصد الاقناع فالعلماء عندنا لا يجسرون على أن يفتوا في مسألة مطلقاً مالم يذكروا معها دليلها من

كتاب منتقى الاخبار الذى شرحه وهو ليس له . والغربيون لم يهملوا المنطق وانما خرجوا به عن النظريات المحضة

الكتاب أوالسنة او الاجماع ولو كان المستفتي أعجميا أميا لايفهم ما الدليل وطريقهم هذه هى طريقة الصحابة كافة والتابعين عامة والائمة المجتهدين والفقهاء الاولين من أهل القرون الاربعة أجمعين (مرحى)

والتزام علمائنا هذه الطريقة مبني على مقاصد مهمة أعظمها تضييق دائرة الجراءة على الافتاء بدون علم وفي هذا التضييق على العلماء توسعة على المسلمين وسد لباب التشديد في الدين والتشويش على القاصرين ولهذه الحكمة البالغة بالغ الله ورسوله في النكير على المتجاسرين على التحليل والتحريم والمستسلمين لمحض التقليد

فالعالم عندنا لايستطيع ان يجيب الا عن بعض مايسأل ولا يأنف أن يقف عند «لاأدرى» بل يحذر ويخاف من غش السائل وتغريره اذا أجابه بأن فلاناً المجتهد يقول ان الله أحل كذا أو حرم كذا لان السائل لايعلم مايعلم هو من ان هذا المجتهد الذى ليس بمعصوم كثيراً مايخالف في قوله من هو أفضل منه من الصحابة والتابعين ومن انه يتردد في رأيه وحكمه كم اجتهد وكم رجع ومن أن اكثر دلائله اما ظنية الثبوت او ظنية الدلالة او ظنيتهما ومن انه لم يدوّن ما قاله ولكن نقله عنه الناقلون وكم اختلفوا في الرواية عنه بين سلب وايجاب ونفي واثبات وكم زيف أصحابه اجتهاده ورأوا غير ماراه ومن انه أي المجتهد انما اجتهد لنفسه وبلغ عذره عند ربه وصرح بعدم جواز ان يتبعه أحد فيما اجتهد وتبرأ من تبعة الخطاء

فهذا (الامام مالك) رضي الله عنه يقول مامن أحد الا وهو مأخوذ من كلامه ومردود عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل المؤرخون أن المنصور لما حج واجتمع بمالك اراده على الذهاب معه ليحمل الناس على الموطاء كما حمل عثمان الناس على المصحف فقال مالك لا سبيل الى ذلك لان الصحابة افترقوا بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام في الامصار يريد ان السنة ليست بمجموعة في موطئه الذى جمع فيه مرويات أهل المدينة .

وحكى في اليواقيت والجواهر أن (ابا حنيفة) رضي الله عنه كان يقول لاينبغي لمن لا يعرف دليلي أن يأخذ بكلامي وكان اذا أفتى يقول هذا رأي النعمان بن ثابت يعني نفسه وهو أحسن ماقدرنا عليه فمن جاء باحسن منه فهو اولى بالصواب

وروى الحاكم والبيهقي ان (الشافعي) رضي الله عنه كان يقول : اذا صح الحديث فهو مذهبي . وفي رواية اذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملو بالحديث واضربوا بكلامي الحائط وانه قال يوماً للمزني يا ابراهيم لاتقلدني فيما أقول وانظر في ذلك

لنفسك فانه دين وكان يقول لا حاجة في قول احد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويروى عن (احمد ابن حنبل) رضي الله عنـه انه رأى بعضهم يكتب كلامه فانكر عليه وقال تكتب رأياً لعلي أرجع عنه وكان يقول ليس لاحد مع الله ورسوله كلام وقال لرجل لا تقلدني ولا تقلدن مالكا ولا الاوزاعي ولا الحنفي ولا غيرهم وخذ الاحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة وأسس مذهبه على ترك التأويل والترقيع بالرأي واتباع الغير فيما فيه طريق العقل واحد

ونقل الثقاة أن (سفيان الثوري) رضى الله عنـه لما مرض مرض الموت دعا بكتبه فغرقها جميعاً

وروي عن (أبي يوسف وزفر) رحمهما الله تعالى انهما كانا يقولان لايحل لاحد أن يفتي بقولنا مالم يعلم من أين قلنا وقيل لبعض أصحاب أبي حنيفة انك تكثر الخلاف لابي حنيفة فقال لانه أوتي من الفهم مالم نؤت فأدرك مالم ندرك ولا يسعنا أن نفتي بقوله مالم نفهم دليله ونقنع (مرحى)

ثم قال أيها الاخوان الكرام قد أطلت المقال فاعذروني فاني من قوم الفوا ذكر الدليل وان كان معروفاً مشهوراً وقد ذكرت طريقة علماء العرب فى الجزيرة منوها بفضلها لا بفضلهم على غيرهم كلا بل غالب علماء سائر الجهات أحد ذهناً وأدق نظراً وأغزر مادة وأوسع علماً ولذلك لم نزل نحن فى تعجب وحيرة من نظر أولئك العلماء المتبحرين فى انفسهم العجز عن الاستهداء وقولهم بسد باب الاجتهاد

نعم لم يبق في الامكان ان يأتي الزمان بامثال ابن عمر وابن العباس أو النخعي وداود أو سفيان ومالك أو زيد وجعفر أو النعمان والشافعي أو أحمد والبخاري رضي الله عنهم أجمعين ولكن متى كلف الله تعالى عباده بدين لايفقهه الا أمثال هؤلاء النوابغ العظام أليس أساس ديننا القرآن وقد قال تعالى عنه فيـه (انا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) وقال تعالى (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً) وقال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مُدَّكر) وقال تعـالى (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن) فـما معنى دعوى العجز والتمثل بمن قالوا (قلوبنا غلف) حمانا الله تعالى (مرحى)

أما السنة النبوية أفلم تصل الينا مجموعة مدونة بهمة أئمة الحديث جزاهم الله خيراً الذين جابوا الاقطار والبلاد التي تفرق اليها الصحابة رضي الله عنهم بسبب الفتوحات والفتن فجمعوا متفرقاتها ودونوها وسهلوا الاحاطة بها بما لم يتسهل الوقوف عليه لغير

أفراد من علماء الصحابة الذين كانوا ملازمين النبي عليه السلام .

وكذا يقال في حق أسباب النزول ومواقع الخطاب ومعاني الغريب في القرآن والسنة فان علماء التابعين وتابعيهم والناسجين على منوالهم رحمهم الله لم يألوا جهداً في ضبطها وبيانها.

وكذلك الأئمة المجتهدون والفقهاء الأولون علمونا طرائق الاستهداء والاجتهاد والاستنباط والتخريج والتفريع وقياس النظير على النظير فهم ارشدونا الى الاستهداء وما أحد منهم دعانا الى الاقتداء به مطلقاً (مرحى)

ثم اننا اذا أردنا ان ندقق النظر في مرتبة علم اولئك المجتهدين العظام لانجد فيهم علما وهبياً أو كسبياً خارقا للعادة فهذا الامام الشافعي رحمه الله وهو أغزرهم مادة وأول وأعظم من وضع أصولا لفقهه نجده قد أسس مذهبه على اللغة فقط من حيث المشترك والمتباين والمترادف والحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والشرط والجزاء والاستثناء المتصل والمنفصل والمنقطع والعطف المرتب وغير المرتب والفور والتراخي والحروف ومعانيها الى قواعد أخرى لاتخرج عن علم اللغة واتبع أبا حنيفة في ادخاله في أصول مذهبه بعض قواعد منطقية مثل دلالة المطابقة والتضمن والالتزام ومعرفة الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض والمقدمتين والنتيجة والقياس المنتج . واتبعه أيضاً في قياس مالم يرد فيه قرآن أو حديث على ماورد فيه وهكذا فتح كل من اولئك الأئمة العظام لمن بعده ميداناً واسعاً فجاء اتباعهم ومدوا الاطناب واكثروا من الابواب وتفننوا في الاشكال وتنويع الاحكام وأحدثوا علمي الاصول والكلام . وهذا التوسيع كله ليس من ضروريات الدين بل ضرره أكثر من نفعه وما أشبه الامور الدينية بالامور المعاشية كلما زاد التأنق فيها بقصد استكمال أسباب الراحة انسلبت الراحة

والقول الذي فيه فصل الخطاب ان الله سبحانه وله الحكم لم يرض منا ان نتبع الا علم الافضل بل كلفنا بان نستهدي من كتابه وسنة رسوله على حسب امكاننا وطاقتنا وهو يرضى منا بجهدنا حيث قال تعالى (لايكلف الله نفساً الا وسعها) فنسأل الله التوفيق لسواء السبيل .

قال (الاستاذ الرئيس) اني أحمد الله تعالى على توفيقه ايانا الى هـذا الاجتماع المبارك الذى استفدنا منه مالم نكن نعلمه من قبل عن حالة اخواننا وأهل ديننا في البلاد المتباعدة ولم يكن يسمع بعضنا عن بعض شيئاً الا من السيّاح المتكدين الجهلاء الذين لايعرفون مايصفون أو من أهل السياسة والعلماء المتشيعين لهم الذين ربمـا يموّهون الحق بالباطل بقصد تفريق الكلمة ومنع الائتلاف (مرحى)

ثم قال هذا واليوم قد انسحب ذيل الظل وقرب الزوال وأذن لنا الوقت بالانصراف.

باب التربية والتعليم

﴿ الازهر والازهريون — وفاضل هندي ﴾

الى السيد الحكيم الفاضل محرر مجلة المنار الغراء

لست في حاجة أيها السيد الحكيم لان أسهب لكم القول في فضل الانتقاد والمنتقدين وما لهم من الايادي في ترقية الامم فان العَوان لاتعلَّم الخِمرة . وهـذا ناركم الاغر لايكاد يقف على رأس كل سنة حتي يكون قد ذكر فصولا ضافية فى الانتقاد . وانه المقوم لما اعوج من اعمال الامم والرافع لما خمل من شأنها والآخذ بيدها على مدارج الرقي والكمال. وعلم الله انه لاحامل لي على ان اوجه بسطوري هذه اليكم آملا في نشرها على صفحات ناركم الا عظيم الثقة ووطيد الامل بانكم لاتخشون في الله لومة لائم وانه لايوقفكم عن السير فى سبيل الاصلاح غرض لهيان أو هنات مما يكتب في صدر فلان .

خرجت ذات يوم الي منتزه الجيزة لأبدد ما تراكم بصدري الحرج من الهموم والاكدار فى تلك الرياض الفسيحة وذاك الفضاء الممتد حتى اذا كنت على قيد اذرع من رأس المنتزه الجديد حيث تقف هناك مركبات الكهرباء القادمة من الاهرام فالجيزة اذا انا باحد صبية الفلاحين وقد أخذ ناحية عن اعين الناس وهو قابض على كثير من الاوراق المكتوبة يتصفحها واحدة واحدة وبعضها يتناثر من بين يديه الى حيث تتلاقفها ايدي الرياح فتعبث بها اضعاف عبثه من قبل فاهويت الى واحدة منها وقد جرى بها الريح الى ما تحت قدمي فاذا بها كلام عربي فتقدمت نحو الغلام وتلطفت فى طلبها منه وامرته ان يذهب فيجمع لي مافرقته يد الهواء في مقابلة فلس اعطيته اياه ففعل شاكراً وذهب طيب الخاطر راضي النفس بعد ان علمت منه انه عثر عليها وقد لفت في غلاف على طريق الكهرباء فيما بين الجيزة والجزيرة واخذت انا طريقي الأول الى حيث أشجار اللبخ القائمة على ضفة النيل الغربية فجلست هناك في ظلها الوارف وكان الوقت اصيلا وصرت اقلبها واجيل فيها النظر واطيل الفكر حتى تكشف لي امرها بعد طويل إمعان واعمال روية انها صحائف سودها بعض افاضل الهند المولعين بالبحث عن داء الاسلام الدفين من بلدة يقال لها (الله أباد) وعلمت من مجموعها ان الرجل اخو اسفار وجاشم اخطار وجواب

اقطار من حيث لاصاحب له الا همة يحاول أن يطأ بها قمة العيوق ونفس تنزع به الى ذرى شرف لاتتطاول اليه الاعناق وقد تجلّى لي من رسائل كانت ترد اليه ان الرجل سيد بلدته ، وأشرف بني جلدته ، قدم هذه الديار سائحاً متجولاً كما جال فى كثير غيرها من بلدان المسلمين ولا هم له التنقيب عن ادواء الامة الاسلامية وأسباب انحطاطها وقد عاهد صديقاً له فى (حيدراباد) على ان يوافيه برسائل متتالية يصف له بها كل مايراه من ادواء الاسلام وعوامل ضعفه وأسباب تأخره ولقد قلبت في الاوراق كثيراً وقد كتب بعضها بالاوردية والبعض بالعربية عاني اجد فيها مايشير الى الرغبة في كتمانها وصونها عن أنظار غيره فلم يظهر لي الا عكس ذلك فقد وجدت في اولى رسائله عبارة صريحة يأذن لصاحبه فيها بنشر ما كتب ويكتب لكل من أحب . وأهم مارأيت في تلك الرسائل ثلاثاً بعث بها الى صاحبه في حيدر اباد يصف له فيها الازهر والأزهريين بعبارة لاتسلم من العجمة ولكن لم يركب بها مخارم الاغراب ولم يتدل الى حضيض العامية المبتذلة وقد تحامى في انتقاداته خشن القول وغليظ الكلام حتى جاء كلامه اكرم انتقاد واعفه واكفه واحلمه . لذلك احببت ان ابعث بها الى أعظم مجلة إسلامية وارسخها قدماً في الاسلام واحبها لنشر فضائل رجاله وأحرصها على رأب صدعهم ومداواة دائهم وقد تصرفت بالعبارة تصرفاً لايمس شيئاً من المعنى راجياً أن لاتضيعوا الي املا ، والله لايضيع اجر من احسن عملا ، وهذه صورة الرسالة الاولي

﴿ من القاهرة الي حيدر اباد ﴾

سلام عليك ايها الأخ الفاضل امد الله في حياتك ولا حرمني اخاءك واسبغ علي رداء اخلاصك . وبعد فقد ورد الي كتابك الكريم احوج ما كنت اليه فاستعذبته وحسن موقعه من قلبي وما ذكرت ايها الاخ من استبطاء المراسلة واشفاقك من ان يصرم البعد حبل الود ويطفي غلة الشوق والوجد ويضرب على ماسبق به الوعد فأنا استغفر لك الله في ذلك وهو العليم بمالك في فؤاد أخيك مهما شطت به دار الغربة وبعدت به النجعة . وماكان لي وانت موضع ثقتي ومكان اخلاصي وبك اعتضد وعليك اعتمد ان اظهر قولك زورة طيف او انسى وعدك لمحة طرف وانما هى الاسفار اورثتني من الضعف والشحوب والانضاء ، مالو رايته لاصبحت عذيري فيما ارتكبت من الابطاء ، ويعلم الله اني اكتب لك ما اكتب وانا نضو سفر قد الحفني من وعثائه جلباباً ، وفلّ اطرقة ضربت عليّ من رواقها قبابا ، ولقد كان الاجدر بي ان لا اكتب لك

كلة حتى أتزيّد من الراحة أياماً واسترد بعض مافقدت من القوة لولا ما أخشاه من جرح صدرك وتغير فؤآدك — فأما ما ذكرتي به وآخذتني على تأخيره وسألتني إنجازه من زيارة مدرسة الازهر الاسلامية الهائلة واستعجالي بزيارتها ان لم أكن فعلت ثم بالكتابة اليك بما استبان لي من أمرها وطريقة التعليم بها وان أسهب لك القول فيما أجده بها من مواضع النقد والملاحظة . فقد صادف جميع ماذكرت سابق رأي مني فيه . وان مدرسة يزيد عدد طالبيها على تسعة آلاف من المسلمين مابين مصريين وسوريين وروسيين وعرب واتراك وبربر وهنود لجديرة بأن لا أنساها في سياحتي بل جديرة بأن تكون زيارتها ودرس أحوالها جل ماأنا قاصده من تجوالي في ربوع الاسلام غير ان كتابك قد ورد عليّ وأنا لم يمض لي غير يومين في القاهرة وقدمضى يومان آخران من تاريخ وروده وأنا لم أزر تلك المدرسة الا زورة واحدة لماذكرت لك من الضعف واللغوب وسأكتب نموذجا بما وقع لي منها في تلك الزورة مرجئاً التفصيل والاسهاب لغيرها من الرسائل ولا غرو أيها الفاضل ان أتتك رسالتي هذه مختصرة في الوصف مقتصرة على ماذكرته لك على وجه الجملة شأن من كان غريب الدار غريب اللغة فأقول :

كثيراً ما كنت أسمع من اخواني في الهند اذا حادثتهم في شأن الازهر كلمة مقولة وهي (الازهر أكبر مدرسة دينية اسلامية على سطح الكرة الارضية) فكنت اهتز لذلك من الارتياح والطرب « كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب » ولطالما كان يقع في أذني اذ ذاك انه على كثرة طالبيه وتعدد معلميه قليل النظام مختل طريقة التعليم عقيم النتيجة ولكن ما كان ذلك لينتزع من قلبي تلك الهزة وذاك الاعجاب به وبكثرة طلابه وماكان ليؤسني من أن أجد فيه اذا دخلته قليلا من النظام وبعض الترتيب ولقد بت ليلة قدومي الى القاهرة من الوجد لزيارته بليلة الملسوع . حتى اذا كنت من صباح الغد وبلغت الساعة ٠٠ أسرعت بركوب عربة اليه ودخلت فاذا ساحة مترامية الانحاء لافرش فيها الا الغبراء ولا غطاء عليها الا السماء غير انها لاتخلو من جمال هندام في جدرانها وكمال هندسة في شكلها واتقان صنعة فيما يحيط بها من الابواب والنوافذ ورأيت بها والفصل كما تعلمون شتاء أناساً كثيرين يتشمسون وقد اشتغل البعض بتلاوة القرآن والبعض بالمذاكرة في كراسة بيده وآخرين مابين

مستلق على ظهره ومنكب على وجهه ومن بينهم من التفوا حول أدون المآكل يأكلون فيها بشهوة المنهوم فألقي في روعي لأول الامر انها ساحة يستريح بها الطلبة في أوقات معلومة بعد طول المطالعة والدرس ، واجهاد القوة ونصب النفس ، فعذرتهم اذ ذاك على استلقائهم وانكبابهم وتزاحمهم على المآكل لتعويض ما اندثر من ادمغتهم عقب الجد والتحصيل ، والاشتغال الطويل ، غير اني لم ألبث هنيهة حتى اخبرني صاحب الى جانبي من الطلبة السوريين — وكنت قد اصطحبته لمثل هذه الحال — بأن تلك الساحة قطعة من المدرسة نفسها وان ما أراه انما هو نظامهم في الطلب والتحصيل فكدت ان انصعق اذ ذاك وتلبد فكري بغيوم الكدر والحزن حتى أوشكت أهلك أسًى وغماً — ولقد كنت أرى في تلك الساحة الرجل وقد كبرت سنه حتى خارت قوته ورق عظمه فانحنى ظهره ، وضعف عضده ، حتى رعشت يده ، وكلّ بصره حتى لايبصر الا شفا وانه على ذلك كله ليجلس والى جانبه فتى حديث السن غضّ الشباب ماطر له شارب ولا خط له عذار وكلاهما يدرس ويتفاهم مع الآخر على انه من اضرابه في الطلب ومنافسيه في التحصيل ويجلس كل منهما فى حلقة درس واحد . ثم اخترقت تلك الساحة وأنا مدهوش العقل ذاهل اللب لما أراه من اجتماع الاضداد والمتناقضات وولجت من باب هناك الى المقصورة المعدة للتدريس وقد كنا قبيل الظهر فاذا محل فسيح الارجاء ذو سقف يقوم على نحو أربعمائة عمود يخال لي منه شكلها انها نقلت اليه من المعابد والهيا كل القديمة تميد بها تلك الألوف ميداناً وهم على مثال من رأيت في صحن المدرسة من اختلاط الحابل بالنابل وتلاشي النظام والترتيب الى حد ظننت معه انهم مأمورون بذلك وان من قوانين التعليم هناك استئصال حب النظام من الصدور كما يستأصل الخلق السيئ . وأعجب ما رأيته بين الطلبة من سلطان العادة على النفوس ان الطالب هناك لا تحلو له المذاكرة ولا يروق له التحصيل الا اذا رفع صوته باقصى مافي امكانه فيتألف من مجموعهم دوي يصم أذن القادم عليهم فاخترق بي صاحبي السوري الجموع حتى انتهى بي الى محل هناك يقال له (رواق الشوام) فصعد بي على مدارجه الى غرفة هناك استرحت بها قليلا وكان قد أذن الظهر فقال لي الصاحب هلم نمر بالدروس وهي منتظمة أما الدوي فلا يلبث ان يسكن لاشتغال الطلبة بالسماع من معلميهم فلم أتمالك نفسي علم الله من البكاء على أثر قوله انتظام الدروس وقلت ومهجتي تذوب من الاسى فتنحدر من عيني

دموعاً : ياحبذا ذاك الدويّ لو كان زمجرة رعد تبشر بسقوط غيث العلم من سماء المعلمين على صدور الطالبين ، فتنبت مايقوم بشفاء داء الاسلام والمسلمين ،

ثم قمت وقام الصاحب حتى اذا كنا في واسطة الدرج أخـذت أرسم له كيف يغشى بي الدروس وذلك أن يبدأ بدرس اول كتاب يدرسونه في النحو ثم يتنقل بالتدريج حتى درس آخر كتاب اصطلحوا على ان يكون خاتمة الطلب في الفن ففـعل وكان أول درس وقفت عليه درس الكتاب الاول وأول كلمة سمعتها فيه قول المعلم «واختلف فى الجار والمجرور هل هو متعلق بظرف او بفعل» فالتفت الي صاحبي وقلت اوتهزأ بي ياهذا . الم اقل لك ان تذهب الى اول كتاب فقال : لم اهزء بك والشـيخ انما يقرأ اول كتاب في النحو ويقـرر ثاني درس فى الكتاب . فقلت ان يثبت ما تقول في نفسي حتى تريني آية ذلك • فأشار الى غلام يليه من الدرس فسأله ماذا يقرأ الشيخ ياصاحبي؟ قال الكفراوي • قلت انا والكفراوي ماذا • قال اول كتاب يقرأ في النحو • فاخذت بيـد صاحبي اذ ذاك وانا خجل من اتهامي اياه وقلت اذهب بي توا الى الدروس الثانوية حتي أرى ماذا يقرأون ••• ولا اريد ايها الاخ ان أطيل لك القول في هـذه الرسالة بتفصيل مارأيته بعد ذلك بل اجمل لك فيه القول اجمالاً • وجدت معلم الكتاب الثاني يشتغل بتعريف المركب عند المناطقة طويلا ثم لوى زمام الكلام الى تعريفه عند اللغويين فالبيانيـين فالتوحيـديين الى فنون أخر ذهب عني اسماؤها وحفظ تعاريف واضعيها • أما الدرس الثالث فكان الشيخ فيه منهمكا في تعريف الرئة واختلاف الاطباء الاقدمين فيها وما قالوا في تكييف الصوت الى كلام طويل • وكان ذلك كله اسـتطراداً من قول النحاة اللفظ صوت مشـتمل على بعض الحروف • وعلى ما ذكرت لك كان الحـال في بقية الدروس حتى اذا انتهيت الى درس آخر الكتب كان يخيل لي ان الشـيخ انما يلفظ رطانة لا أفهمها واني لاقسم لك وانت تعلم قدر اشتغالي بالعربية وشدة شغفي بها انه لم يعلق بذهني من كل ماسمعته الا كلمتين احـداهما قوله بين أجزاء كل جمـلة وعلى رأس كل كلمة «قال الشـيخ رحمه الله تعالى» والثانيـة ذكر سبب تسمية سيبويه من ان سيب اسم للرائحة بالفارسـية وويه اسم للتفاح • هذا مارأيته وأقوله لك على الجملة في مدرسـة بعيدة الصيت طائرة الشهرة في كل قطر من بلاد المسلمين حتى كاد بعضهم ان يعلق بها الامل ، في نجاح كل عمل ،

ومما هو جـدير بي ان أجمل لك فيـه القول في الرسالة ان سـنيّ الطلب يغلب أن تكون من خمس عشرة سـنة الى مايحتمـل ان يعمّر انسان والطالب يشـتغل

هناك بالكتاب الاول في السـنة الاولى ثم بالكتاب الثاني في الثانية ثم بالثالث والرابع والخامس والسادس في خمس سـنين ثم ينتقل من النحو ويكون قد حضر مايقابله من كتب الفقه الى علوم البلاغة ثلاث سنين ثم يصرف مابقي في تلقى كتاب كبير في الاصول وفي خلال هـذه المدة يكون قد حضر في أوقات غير مضبوطة ولا منتظمة عـلوم التوحيد والمنطق والحديث والتفسير وبعد ان يأتي على ذلك كله درسا يكون على خيار من ان يتقدم لشهادة الدراسة أو يرجع ادراجه الى تلك الكتب والفنون فيتلقاهـا درساً درساً ويسمون ذلك فيما بينهم — اعادة المذهب • وقد ضمني مجلس مع أحـد المترشحين لشهادة الدراسة وكان ممن أعادوا المذهب فرأيت منه رجلا وقوراً صالحاً على رأس الخامسـة والاربعين من عمره غير ان بلسانه حبسة وعيًّا فعمدت الى ان أعرف مبلغ علمه بالكتابة فقدمت اليه بلطف طلب ورقة سؤال راجياً ان يكتب لي ماتيسر من انشائه ولما لم أفلح اكثرت عليه من الالحاح والالحاف في الطلب فاكتفى بأن أخرج لي كتاباً كان قد حرره لأخ له من أبيه أصغر منه سنا يرتزق من الفلاحة والزرع يرجو منه ارسال شيء من النقود والزاد ويبشره بقرب نيل الشهاة أحببت ان ابعث به اليك بعد ان اقسم لك بالله قسماً حقاً لا آثما فيه ولا حانثا انه على اصله ما تخونت منه حرفاً واحداً وهو كما ترى قد قبضت من أسطره روح البلاغة وانطفأ منها نور البيان وجفت منها غضاضة الذوق في التعبير . ولقد كانت النفس تجدهـا بعض السلوى وتلتمس لكاتبها شيئاً من العذر لولم تكن الرسالة محشوة بالاغاليط الصرفيـة واللحنات النحوية كما يظهر ذلك لاول نظرة فيها — ولله حكمة خافية في ثماني سنوات مضت في درس النحو والصرف — هذا ما أذكره لك في رسالتي هذه اجمالا وسترى فيما يتلوها ان شاء الله تفصيلا وافياً واسهابا شافيا والسلام عليك ورحمة الله (الامضا)

وسأوافي حضرات قراء المنار الاغر بالرسالتين الباقيتين اللتين أرسلهما لصاحبه بعد هذه وهما كما قلت غاية في آداب الانتقاد والاعتدال ممـا يستميل قلوب العقلاء اليـه ويستدر السنة القراء بالثناء عليه

عبد العزيز عثمان العريشي
بالازهر

(المنار) نشرنا هذه الرسالة تنشيطاً لكاتبها الأديب وبياناً لكيفية التعليم في الازهر ليعرف ذلك بالتفصيل من لا يعرفه من اهل الاقطار الاسـلامية وننتظر ان تكون الفائدة في رسالتي الهندى الاخريين اتم مما فيه هذه الرسالة

آثارٌ علميةٌ ادبيّة

(افكوهة أدبية للشاعر المجيد مصطفى افندي صادق الرافعي)

يا طير ما للنوم قد طارا ... وما قضينا منه اوطارا
كأن هذا السهد لا يأتي ... يطلب من أجفاننا ثارا
ان كنت ظمآن فذي ادمعي ... تفجرت في الارض أنهارا
أو كنت ذا مسغبة فالتقط ... حبة قلبي كيفما صارا
او كنت مشتاقاً فكن مثلنا ... على النوى ياطير صبارا
وجارني ان كنت لي صاحباً ... فان خير الصحب من جارى
ياطير كم في الحب من ساعة ... يزيد فيها العمر أعمارا
ان قلت تلهيني بها فكرة ... جرت على الافكار أفكارا
او قلت انساها اقام الهوى ... من حرها في القلب تذكارا
والصب ما ينفك في حيرة ... تزيده حزناً وأكدارا
مالي أرى الاطيار نواحة ... كأنما فارقن اطيارا
وما لاغصان الربى تلتقي ... كأنما استودعن أسرارا
فاسأل نسيم الصبح ان مرّ بي ... هل حملته الغيد اخبارا
واسأل عن الدار ويا ليتني ... ازور يوماً هذه الدارا
كأنها الجنة لكنني ... ابطنت من وجدي بها النارا
سماؤها مطلعة أنجما ... وارضها تطلع اقمارا
وكم بها من أكحل ان رنا ... سلت لك الاجفان دبتارا
وان مشى يخطر في تيهه ... هزت لك الاعطاف خطّارا
لا انكر السحر وذا طرفه ... اصبح بين الناس سحّارا
يا فاتن الصب على رغمه ... والمرأ لا يعشق مختارا
طوراً بنا هجر وطورا نوى ... أهكذا تخلق اطوارا
لو شبهوا بدر السما درها ... لشبهوا وجهك ينارا
وكم درار فيك نظمتها ... تجل ان تحسب اشعارا
لو أن بشارا حكى مثلها ... أعطت لواء الشعر بشّارا

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(خير الكلام ، في القراءة خلف الامام . وقرة العينين ، برفع اليدين)

كتابان مختصران للامام الحافظ ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري صاحب الجامع الصحيح جمع في الاول مارواه من الاحاديث النبوية الدالة على وجوب القراءة خلف الامام في الصلاة وفي الثاني ماروواه في اثبات رفع اليدين عند الركوع وعند القيام منه ومن التشهد الاول . والأحاديث في المسئلتين كثيرة . وقد تذكرت الآن انني سمعت أستاذنا الفقيه المحدث الشيخ محمود نشابه الطرابلسي الازهري (رحمه الله تعالى) قال وهو يقرأ لنا شرح البخاري في أوائل طلبنا للعلم ان البخاري روى رفع اليدين عن خمسين صحابيا وله فيه كتاب ومن ذلك اليوم تمنيت أن ارى هذا الكتاب الذي أثبت البخاري المسئلة فيه بالتواتر حتى رأيته مطبوعاً في هذه الايام . وكنت أعجب لترك الناس هذه السنة حتى الذين اثبتها أئمتهم كالشافعية

الحنفية يتركونها لان شيوخهم قالوا إنها مكروهة لانها لم تثبت عند امامهم وان كان كل من شم رائحة علم السنة منهم موقن بأنها ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبوتاً لو وقع مثله لامامهم لما تركها مرة واحدة وأما الشافعية فانهم قد يتركونها مسايرة للحنفية . صلى كاتب هذه السطور اماما باستاذه الشيخ حسين افندي الجسر فرفعت يدي عند الركوع والقيام منه ومن التشهد الاول كما هو دأبي فلما فرغنا من الصلاة قال لي أحد الشيوخ من الشافعية وكان حاضراً الصلاة : هلا تركت رفع اليدين أدباً مع أستاذك ؟ فقلت ماعلمني أستاذي أن أترك السنة أدباً معه ولا أرى أن الادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ينافي الادب معه . فقال ذلك الشيخ : ان امامك الشافعي ترك القنوت في الصبح أدباً مع الامام أبي حنيفة عند مازار قبره . فقلت معاذ الله أن يترك الامام السنة لأجل أحد من الناس وقد أول العلماء هذه الحكاية على تقدير ثبوتها (وماهي بثابتة) بأن الامام ترك القنوت لشبهة عرضت له في دليله غيرت اجتهاده وقتئذ . فصدقني الاستاذ الجسر وقال نعم هكذا اولوها

فليعتبر المسلمون بهؤلاء الشيوخ الذين يأمروننا بترك السنة مداهنة لاهل الجاه من الأحياء ، وتقليداً لاهل الشهرة من الاموات . ومثل هؤلاء الشيوخ الذين يرجعون الدين الى أذواقهم الفاسدة يجرؤن على انتقاد ائمة العلماء والمصلحين من المعاصرين وينالون منهم في غيبتهم ويتملقون لهم أشد التملق في حضرتهم والعامة تغتر بهم اذا

درّسوا وخطبوا فيزيدونها غروراً

الكتابان اللذان نحن بصدد تقريظهما طبعاً معاً في المطبعة الخيرية على نفقة صاحبها الهمام السيد عمر الخشاب ويباعان في مكتبته فنحث محيي السنة السنية على مطالعتهما والعمل بهما «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب»

(الروضة الأنيقة · في بيان الشريعة والحقيقة) كتاب يدل اسمه على مسماه من تصنيف العالم الصوفي الشيخ عبد العزيز الديريني المتوفي سنه ٦٩٧ رحمه الله تعالى · وفي الكتاب مسائل نافعة يصح ان تجعل حجة على الذين يدعون التصوف وينتهكون حرمات الدين · ويدعون انهم اولياء الله وأحباؤه · من ذلك انه عقد باباً للانكار على مشايخ الطريق الذين يجتمعون بالنساء ويزعمون انهم يرشدونهن · واستشهد لذلك بعدم مصافحة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم للنساء عند مبايعتهن على الايمان وغير ذلك وقال انه لا يصلح لتعليم النساء الا الراسخون في العلم والدين بشرط عدم الخلوة وعدم اظهار الزينة · على ان المرأة انما تتعلم من الاجنبي مايجب عليها اذا لم يكن لها محرم يعلمها · وقد ختم المؤلف هذا الباب بفصل قال فيه :

« وقد زاد قوم فزعموا ان اجتماعهم بالنساء والشبان وتعاطي هذه الامور مما تحصل به البركة فان قرب المرأة او الشاب من الرجل الصالح سبب لحياة القلب فان النور يسرى من القلب الى القلب وأشباه هذه الزخارف الباطلة · فهؤلاء قوم تشبهوا بالشياطين فان الشيطان يسوّل للجاهل أموراً محرمة ويزينها بصور باطلة · فهذه حيلة فسق وحيلة مكر وخديعة كذب · فليت هؤلاء حيث وقعوا في هذه القبائح لم يضيفوا اليها ما هو أقبح منها · فان العاصي المعترف بمعصيته أخف اثماً وأقل جرماً ويجب على من له أمر أن يردع هؤلاء بالتعزير الشافي والزجر الكافي ومن لم يقدر على ذلك فلينههم نهياً كافياً فان لم يقبلوا وجب الانكار عليهم بالقلب كما قال الله تعالى « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا » الآية اه

وقد وضع ناشر الكتاب في آخره قواعد جميلة منها هذه القاعدة الثابتة · قال : (اذا حقق أصل العلم وعرفت موادّه وجرت فروعه ولاحت اصوله كان الفهم فيه مبذولا بين اهله · فليس المتقدم فيه بأولى من المتأخر وان كان له فضيلة السبق · فالعلم حاكم ونظر المتأخر أتم لانه زائد على المتقدم · والفتح من الله مأمول لكل احد · ولله در ابن مالك رحمه الله حيث يقول : اذا كانت هذه العلوم منحاً الهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد ان يدّخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من

المتقدمين ، نعوذ بالله من حسد يسدّ باب الانصاف ، ويصد عن جميل الاوصاف · انتهى وهو عجيب) والكتاب مطبوع طبعاً حسناً على ورق جيد ومكتوب عليه (ايليا سنة ١٣٢٠) فليته ينتشر بين أهل الطريق فينتفعوا باعتداله

(الحال والمآل) قصة وضعها احمد حافظ افندى عوض كما ذكرنا في تقريظ (قصص مسامرات الشعب) شرح فيها كيفية عشق الفتيان والفتيات أو التلامذة والتلميذات في مصر وكيف يغوي بعض البنات المتعلمات بعضاً وقد علمنا انه لم يذكر الا بعض الواقع بالاختصار · القصة أنفع القصص التي ألفت لمكتبة الشعب أو انفع ما ألف الشبان المصريون من هذه القصص وان كانت في عبارتها دون ما كتب حافظ من قبل لأنه كان في وجل من طروق هذا الباب الذي يظهر من وراءه سوء التربية في قومه وفي حذر واشفاق من عذل العاذلين ، ولوم اللائمين، فلم ينطلق قلمه بحرية تامة وله الفضل ان طرق هذا الباب من ابواب الجد

موضوع القصة بنت اسمها (اسماء) نشأت (ولا اقول تربّت) في حجر الدلال ثم وضعت في المدرسة فصاحبت فيها بنت احد الاغنياء من المصريين المتفرنجين حتى صارت تركب معها احياناً الى بيت ابيها فترى فيه الاثاث والرياش وكيفية المعيشة على الطريقة الافرنجية فتمقت عادات بيت ابيها الشرقية وفي هذا المقام الملم بكيفية الانتقال من العادات الشرقية الى العادات الغربية في شؤن المعيشة ·

امتدت المعاشرة بين البنتين حتى ركبتا يوما للنزهة فلقيهما في الطريق احد الشبان المتعلمين الذين قال حافظ في صفهم « كان مبلغ ماتعلموه من المدارس وماتلقنوه من دروس الحياة مقصوراً على العناية بملابسهم وتنسيق هندامهم ووضع طرابيشهم المائلة الى جهة الأذن على شعر لامع مدهون بكذا وكذا ··· وياقة مرتفعة ورباط رقبة فيه دبوس من الماس ولباس (اى سراويل) ضيق وخواتم من الذهب ومنظار بسلسلة ذهبية وحذاء اصفر رفيع برّاق » وكان هذا الشاب عشيق الفتاة المصرية فكاشفت اسماء بعشقهما وسألتها عن العشق ولما عرفت انها لا تعرفه نبذتها بلقب المسكنة · ثم اقبل الشاب وصافحهما مسلماً ولما صافح اسماء اضطربت من الخجل لانها لم تتعود ذلك فقالت لها رفيقتها : « مالي اراك قد خجلت وهل في الحديث والتسليم على الشبان عيب ؟ إنما العيب ان لاينظر الينا احد ولا ينظر الى محاسننا إنسان » ثم رغّبتها في قراءة القصص الغرامية واعطتها واحدة منها ففتنت أسماء بأخبار العشق والغرام ، وشغلت عن الدرس والمنام ، فتغير حالها حتى تنبهت والدتها لذلك

التغير وسألتها عن سببه فكذبت في الجواب . قال المؤلف « وليس الصدق صفة محترمة عندنا معاشر المصريين بل يكاد الانسان أن لا يعرف له مزية • بل ان شئت فقل إننا نتعلم الكذب في بيوتنا من آبائنا وأمهاتنا » ثم ان اسماء تعلمت العشق فعشقت شاباً مهذباً

ثم ان المصنف ذكر ان البنتين اسماء ونجيَّة حضرتا احتفال عرس صديقة للثانية ووصف فيه ماهو جار فى مصر الآن من مغازلة النساء المتزينات للرجال من النوافذ والكوى ومن شرب النساء الخمر جهراً ، وذكر ان اسماء تعلمت في تلك الليلة من البنات الشرب على أنه من « التمدن والمودة » فلما ثملت مع صديقتها قامتا الى النوافذ كغيرهما فابصرت كل منهما من تحب وكانتا على موعد منهما فأشارتا اليهما بالانتظار فلما التقى الاربعة حصل التعارف بين الجميع (كذلك العادة بين الأحداث من العاشقين والعاشقين في مصر كما أخبرنا المجرّبون) ثم ركبت اسماء مع عشيقها في مركبته كما ركب عشيق نجية معها في مركبتها وانطلقوا الى الجزيرة . ولكن ساء صاحب اسماء سكرها وتهتكها الذي تعلمته من نجيـة وعنفها على ذلك فوعدته بأن تكون كما يحب وهيهات ذلك فان السائر في طريق الرذيلة كمن يتدهور من حالق لا يقف حتى يبلغ القرار كما أشار اليه المصنف • ثم ان عاشق اسماء يئس من صلاح حالها فتركها ثم قضى أهلها عليها بالتزوج بأحد أولاد العمد الاغنياء فرضيت كارهة وعاملت زوجها أقبح المعاملة لاحتقارها إياه أنه لا يعرف الفرنسوية وفنون التخنث والتهتك وكان أولا يحبها ويحمل إهانتها حتى عيل صبره فأبغضها وعلق بالراقصات وعرف البغايا وشرب الخمر واعتزلها بالمرة • فشكت يوما الى صديقتها القديمة فأشارت عليها بأن تعامله بالمثل فتنتقم منه بالبغاء ففعلت فأصيبت بداء الزهري وانتقل المرض منها الى ولدها بالعدوى . عاث فيها المرض فتقرح بدنها وانقلبت سحنتها وتحول ذلك الجمال الى قبح تقشعرّ منه الجلود وانتهي بالجنون ثم بالموت

هذا هو الوباء الساري في حياة مصر الادبية وما وصف كاتب القصة الا بعض ما علم فهل يوجد في مصر قوم يغارون على الملة والامة فيسعون في تربية الناشئين والناشئات تربية دينية تصادم هذه الشرور، وتقلل من هذا الفجور ، ؟ الآباء مهملون والامهات جاهلات فماذا يفعل البنون والبنات

اذا كان ربّ البيت بالطبل ضارباً ... فلا تلم الاولاد فيه على الرقص

الرجال هم الذين يغيرون أحوال الامم الاجتماعية وليس عندنا رجال • نعم ان خير

رجال مصر هم الذين أسسوا الجمعية الخيرية الاسلامية ولكن عملهم للامة لا يزال ناقصاً فاذا استطاعوا ان يوجدوا مدرسة كلية في مكان بعيد من المدن بل عن الناس يربون فيها طائفة من الناشئين حتى يكونوا رجالا عاملين فذاك باب النجاح دون سواه وان لم يستطيعوا فمستقبل مصر مظلم جداً والله أعلم بمصير الأمور

﴿ قصص (روايات) مجلة الهلال ﴾

جاءنا من بعض فضلاء القراء ما يأتى بحروفه

« رأيت في مجلة المنار الصادرة في غرة جمادى الاولى سنة ١٣٢٠ تقريظاً للرواية الاخيرة من روايات حضرة محرر مجلة الهلال التى عنوانها (الحجاج بن يوسف) وقد ألمعتم فيه الى ما انتقد به على المؤلف حينما ظهرت رواية (عذراء قريش) وقد ظهر لبعض القراء أن حضرتكم لا تنقمون على هذه الروايات لما قدمتموه من الاعذار عما يشوبها من الاكاذيب التى هى من لوازم وضعها مع ان منها نسبة العشق الى مثل محمد بن ابي بكر رضي الله عنهما مع شهرته في التاريخ بضد ذلك وتشبه عذراء قريش بالرجال ووقوفها في مجمع الصحابة ترشدهم الى حقائق الدين وتوبخهم على ما حصل منهم فى بدء الفتنة المشهورة ولا يخفى حضرتكم ان مثل مقدمته التى نقلتموها لا يبرئ الكاتب مما يأتي به مخالفا لحقائق التاريخ كما هو مبدأ الاسلام في كراهة الكذب على أية حال • واني متيقن انكم لو كنتم اطلعتم على هذه الرواية لما قلتم كلمة واحدة في تقريظها • وما كنا نهتم لو جاء هذا المدح في غير مجلة المنار التى هي المجلة الدينية الموثوق بها فيما تبديه من الآراء في احكام الدين فمعظم القراء يطلبون من حضرتكم الافصاح عما ترون فيها لأن المسألة عظيمة اذ اساسها تاريخ الاسلام والصحابة الذين هم الاسوة الحسنة في اعمالهم وهم نقلة الحديث وهم الثقات فيما يروون وانا واثق أن كلة منكم ليست ككلمة من غيركم فنسأل الله لنا ولكم التوفيق الى الحق والسلام »

(المنار) قد صرحنا في تقريظ القصة الاخيرة بأننا لم نقرأ القصص التى ينشئها صاحب الهلال في التاريخ الاسلامي فنحكم لها أو عليها • وانما تذكرنا اننا قرأنا في المؤيد نقدا عليها وعلمنا أن بعض الفضلاء ناقمين من مؤلفها لأنه وصف بعض رجال السلف الكرام بالعشق الذي لا يليق بمقامه • وقلنا في القصة الاخيرة اننا رأيناها خالية من هذا العيب وهذا دليل على انصاف المؤلف وعمله بما يقتضيه

نقد الناقد برجوعه عن نسبة العشق الى الصحابة وائمة السلف رضي الله عنهم ٠

والحاصل ان ماتنتقد به هذه القصص أمران أحدهما عدم حفظ كرامة السلف بان ينسب اليهم مالا يليق بهم ٠ وقد كان المؤلف وقع في هذا تقليداً للافرنج الذين لايتحامون مثله ويظهر انه رجع عنه ارضاء لقراء مايكتب من المسلمين ٠ وثانيهما اشتباه الحق بالباطل في سرد وقائع التاريخ ممزوجاً باخبار الغرام الكاذبة ونحن نرى ان المقدمة التى نقلناها عنه تبرئه من هذا النقد الا أن تكون غير صادقة ٠ فاذا كان يقول ان كل ماعدا الحكاية الغرامية من القصة هو من التاريخ المنقول فلا سبيل الى تخطئته الا ببيان ان بعض مافي تلك القصص وراء الحكاية الغرامية التي تخللها غير صحيح أو ان هناك اشتباهاً بين الحكاية والتاريخ ٠ فعلى المنتقد الشواهد والبينات اذا ادعى هذا وعلينا ان ننشره ونبين رأينا فيه والله يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضيه

البدع والخرافات
والتقاليد والعادات

﴿ مسيح الهند ﴾

ملأ هذا الرجل المدعي المهدية والمسيحية الدنيا صراخاً ونشر الكتب والرسائل الناطقة بدعواه في الهند ثم في سائر الاقطار الاسلامية ٠ ولكن لم يفهم أحد حقيقة مراده والاصول التي يدعو اليها ٠ كتبه ورسائله كلها سجع كسجع الكهان بل هو أقل وأضعف فان صبر الانسان على قراءته ليفهم مراده يرجع الى ذهنه بعد القراءة فلا يجد فيه الا إطراء هذا المدعي أو الدعي نفسه والاغراق في الثناء عليها وذم الذين لايؤمنون به ولا يجيبون دعوته ٠ وربما يجد في الكتاب الطويل كلمات في دينه الجديد لايعقل أحد لها فائدة الا تزلفه للانكليز ليتركوه وشأنه يتمتع بلقبه الذي زعم ان الله منحه اياه (المسيح) كنسخه حكم الجهاد وتحريمه على المسلمين وكمدحه الانكليز والدعاء لهم لانهم يحمونه

ليخبرنا هذا المسيح الدجال أين المسلمون المشتغلون بالجهاد فيجعل ركن دعوته واس اصلاحه ارجاعهم عنه ٠ ألم ير أن معظم بلادهم ذهبت من أيديهم لاهمالهم

أمر المدافعة عنها ؟ ألم ير أن الاجانب الذين يعيبونهم بانهم أمة حربية قد سبقوهم في الفنون الحربية حتى سادوا عليهم ؟ فهل نزل عليه الوحي من اوربا بان الحرب عار على المسلمين ، وفضيلة للمسيحيين ، فصدق الوحي الاوربي وقام يدعو اليه قومه ليهديهم ويلم شعثهم ويرأب صدعهم

يزعم ان الاخبار الواردة في نزول المسيح كلها تصدق عليه ٠ الاخبار ناطقة بنزول عيسى بن مريم فأين عيسى عليه السلام ، من غلام احمد القادياني عليه الملام ، الاخبار ناطقة بان المسيح ينزل من السماء بين ملكين فاين الهند من السماء ؟ وأين الملائكة من أتباعه البلداء ؟ الاخبار تصف المسيح بمالا ينطبق عليه مهما تنطع في التأويل ، وزخرف الاباطيل ٠ يقول ان ظاهر القرآن يدل على ان المسيح قد توفي وإنهم اكتشفوا قبره ٠ نقول اذا سلمنا لك انه مات لانه هو ظاهر القرآن فهل يدل موته على انك أنت المراد بالاخبار الواردة في نزوله ؟ كلا ٠ فاما ان تأول الاحاديث تأويلا مقبولا واما أن تقول انها غير صحيحة متنا وان صحت سنداً لان القرآن متواتر قطعي وهو كلام الله تعالى فكل قول خالفه فهو باطل اذا كان لايتفق معه بالتأويل

يدعي هذا الدجال انه جاء بخوارق العادات لانه ألف كتاباً عظيماً في عينه وحقيراً في أعين الناس ، لما فيه من الهذيان والوسواس ، فاذا كان التأليف السخيف دليل المهدية والمسيحيه ، فهل يكون التأليف الذى يستحسنه جميع العقلاء دليلا على الالوهية ، ؟ أيظن هذ الغافل ان القرآن كان معجزة للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لانه كتاب مؤلف ؟ كلا انه معجزة لانه اشتمل على أعلى العلوم الإلهية والاجتماعية التي اهتدى بها الناس وصلحت عقائدهم وأخلاقهم وقد ظهر مع ذلك بلسان أميٍّ لم يتعلم شيئاً ٠ فهذا هو الوجه الأعلى في اعجازه ٠ ومن وجوهها انه وصل من البلاغة الى حد عجزت عن بلوغه البلغاء مع ان الجائي به لم يكن معروفاً بالبلاغة ٠ ومن بلغ الاربعين ولم يعرف له امتياز بالشيء فلا يعقل ان ينتقل مرة واحدة الي درجة يفوق بها جميع الناس بذلك الشيء الا بامداد من بيده خرق العادات ، والمؤيد من شاء بالآيات البينات ، وأما زعمه ان الفاتحة تدل على مسيحيته وان لفظ الرحمن الرحيم يدل على محمد خاتم الانبياء وعلى مسيحه أحمد القادياني فهذا أقبح تلاعب بالقرآن ويمكن ان يستدل صاحبه بكل كلام على كل شيء لانه لايتقيد بلغة ولا عقل ولا فهم ٠ فعسي ان يرجع هذا القادياني الى رشده ، ونرى الجزر قال من طغيانه ومده ،

مثال من امثلة طفولية الامة — إبطال مدرسة قرچللي

تحمس حسين بك قرچللى واحتمى على نظارة المعارف المصرية منذ أربع سنين لانها لم تقبل بعض أولاده في مدارسها وسوّل له تحمسه أن ينشئ مدرسة ينسبها الى نفسه تكون حجة على «وطنيته» وزلفى يتزلف بها الى اميره وسلطانه لانها ضد المحتلين فأوحى الى الجرائد أن تنوّه به فنوهت وساعدناها نحن على تنويهها لأن انشاء المدارس الاهلية هو افضل عمل يعمله الاهلون لأمتهم وبلادهم والرياء قنطرة الاخلاص كما يقول الصوفية. ومما تبجح به وافتخر ان مدرسته تزيد على مدارس الحكومة بتعليم التركية اثباتاً لجنسيته ، وبتعليم الدين خدمة للملة ، وقد كان أول دليل على انفراج زاوية الخلف بين القول والعمل أن اللجنة التى عقدها في داره لانتخاب المعلمين للمدرسة عرض عليها فيمن عرض من المعلمين رجل اعترفت اللجنة بأنه أقدر المعروضين على تعليم الدين والعربية . ولكن قرچللى بك ومستشارية من الاحداث الذين يسمون انفسهم « الشبيبة المصرية الحقة » ويمتازون بكثرة اللغط بالوطنية المبهمة لم يقبلوا هذا المعلم لأنه ليس مصريا . فلم تشفع لذلك الرجل عند هؤلاء الوطنيين ديانته الاسلامية، ولا جنسيته العثمانية

مع هذا كنا ندعو أن يثبت هذا الرجل في عمله حبا في المحمدة ولكن بلغنا في هذه الأيام انه لم يتم على اجازة المدرسة الصيفية الشهر حتى أرسل الى معلميها يخبرهم بعزلهم وابطال المدرسة واختار هذا الوقت ليحرم الاساتذة من أجورهم مدة الاجازة . الامة فى طفولية وسقوط الطفل ليس بعجيب وانما العجيب ثباته فاذا سقطت مدرسة قرچللى فان من ذوي المدارس الاهلية من هم أقوى عزيمة منه ولذلك ثبتت مدارسهم كالمدرسة العثمانية وكمدرسة الماجدي وغيرها . فلا نيأس اذا سقط قوم ونهض قوم مادمنا نرى الأمة متحركة لطالب العلم والعمل . على اننا نرجو ان يثوب لقرچللى بك رشده ويثني عن عزمه الاخير والله الموفق وهو نعم النصير

(الوباء والعدوى) ثبت بالمشاهدة ان في قيء المصاب بالهيضة الوبائية وبرازه مادة سامّة حية تنمو وتزيد في الجوف الذى تدخله . فالعدوى التي يقولها الاطباء هي انتقال هذه المادة السامة من شخص الى آخر كما ينتقل السوس والبق والثعابين . الا ان الفرق بين جِنّة الوباء وغيرها ان الأولى لاترى الا بالنظارة فالاحتياط الصحي هو مايمنع انتقال جِنة الوباء من مريض الى صحيح والدواء الذين يطهرون به أمتعة المصاب كالدواء الذى يقتل البق والسوس . فما معنى انكار هذه العدوى باسم الدين ممن لايعرفون دينا ولادنيا ؟

الجزء الحادى عشر — المجلد الخامس

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الخميس غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ — ٤ ستمبر (ايلول) سنة ١٩٠٢)

الاضطهاد في النصرانية والإسلام

(المقالة الثانية لذلك الاستاذ الحكيم والفيلسوف العليم)

ذكرت الجامعة في الجزء الثامن من السنة الثالثة في سياق الكلام على ما جرى لابن رشد ان للناس آراء في : هل الدين المسيحي أوسع صدرا في احتماله مجاورة العلم والفلسفة او ان الدين الاسلاميّ هو الارحم خلقا والاوسع حلما من الدين المسيحي في قبول أهل النظر في الكون اذا نزلوا بداره ، ولاذوا بجواره ، وذكرت أن للقائلين بتَسَامُحِ الدين المسيحي مع العلم وأهله دون الدين الاسلامي أن فولتير وديدرُو وروسّو ورنان قالوا فيما يضادّ الدين ما قالوا ولم يصابوا بضرر وابن رشد لم يقل شيئاً سوى انه قرّر ما قال أرسطو واوضحه مع تصريحه بسلامة اعتقاده ومع ذلك اهين وبصق على وجهه . وللقائلين بسعة حلم الاسلام ان الاسلام لم يحكم بإحراق احد لمجرّد الزيغ في عقيدته وكم حكمت المسيحية بذلك

ثم جعلت أهل الرأي الأول آخر من يتكلم وقالت : « فيردُّ عليهم الأولون بقولهم : هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط أم مع القريب والغريب معاً ؟ ثم الا تذكرون الحروب والفتن التي قامت بين شعوب المسلمين وحكامهم بسبب الاعتقادات الدينية فأضعفت اممهم ، وفرقت كلمتهم، فهل يجوز ان تسموا محاربة شخص واحد وإعدامه (محاربة للإنسانية) ولا تسموا كذلك محاربة شعب لشعب وأمة لأمة » اه

ثم قالت الجامعة إنها لا تفصل بين القولين، ولكنها فصلت فيهما فصلين، الأول في قولها : « إنا نرى ان السلطة المدنية في الاسلام مقرونة بالسلطة الدينية بحكم الشرع لأن الحاكم العامّ هو حاكم وخليفة معاً وبناءً على ذلك فان التسامح يكون فى هذه الطريقة أصعب منه في الطريقة المسيحية فان الديانة المسيحية قد فصلت بين السلطتين فصلاً بديعاً مهد للعالم سبيل الحضارة الحقيقية والتمدن الحقيقي وذلك بكلمة واحدة «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» وبناء على ذلك فان السلطة المدنية في هذه الطريقة اذا تركت للسلطة الدينية مجالا للضغط على حرية الأفراد من أجل اعتقاداتهم الخصوصية فضلا عن قتلهم وسقي الارض بدمائهم البريئة فانها تجني جناية هائلة على الانسانية وعلى ذلك لا يكون في هذه الطريقة من التسامح أكثر مما في تلك اذا بدا منها نقص ولو كان هذا النقص أخذ من نقص شقيقتها الا انه لا نقص أعظم من نقص القادر على التمام » والفصل الثاني في قولها : « ان العلم والفلسفة قد تمكنا الى الآن من التغلب على الاضطهاد المسيحي ولذلك نما غرسهما في تربة اوربا وأينع وأثمر التمدن الحديث ولكنهما لم تتمكنا من التغلب على الاضطهاد الاسلامي وفي ذلك دليل واقعي على ان النصرانية كانت أكثر تسامحاً » اه

الجواب الاجمالي

وإني أعجل في الجواب بما يلاقي هذين الحكمين اجمالا . أما الأول فان كان الانجيل فصل بين السلطتين بكلمة واحدة فالقرآن قد أطلق القيد من كل رأي بكلمتين كبيرتين لا بكلمة واحدة . قال في سورة البقرة « لا إكراهَ في الدينِ قد تبيَّنَ الرشدُ من الغيِّ فمَنْ يكفرْ بالطَّاغوتِ ويؤمن بالله فقد استمسكَ بالعُروةِ الوُثقى لا انفصامَ لها والله سميعٌ عليم » وقال في سورة الكهف « وقل الحقُّ مِن ربكم فمن شاء فَليُؤْمِنْ ومَنْ شاء فَليَكفرْ »

وأما الثاني فأسأل الجامعة في جوابه : اين الاضطهاد الواقع على العلماء اليوم عند المسلمين ؟ وأين اولئك العلماء المضطهدون ؟ وأريد بالعلماء اولئك الذين يساوون من ذكرتهم من فولتير وديدرو وروسو وامثالهم . وكيف ساغ لها ان تقول ما تقول وهي في ارض مصر ومصر بلاد اسلامية وحالها كما ترى ؟ فاذا أرادت شاهداً على حال المسيحية والعلم فلتمرّ بنظرها اليوم على أسبانيا ولتقف برهة من الزمان ثم لتحكم . يمكنها ان تعد من طلبة العلوم المسلمين مئين في مدارس المسيحيين من جزويت وفرير وأميركان وهي مدارس دينية خصوصاً مدارس الجزويت . فهل يمكنني ان أجد طالبا واحداً مسيحيا في مدرسة دينية اسلامية يباح الدخول فيها لكل طالب علم من أي ملة ؟ لا نجد الا قليلا منهم في مدارس الحكومة لعلمهم انها مدارس رسمية لم يقم بناء تعليمها على الدين . فهل سمع ان والداً اضطهد لانه بعث بولده الى مدرسة مسيحية يديرها قسوس مسيحيون ؟ الا يعد هذا من تسامح الاسلام مع العلم اليوم ؟

لولا ان موضوع كلامي محدود باعتبار التسامح بالنسبة الى العلم والفلسفة وحدهما لذكرت لصاحب الجامعة أن يوجد فى بلاده طائفتان تعد آحادهما بالألوف وتزعم كل منهما ان لها نسبة الى الاسلام وهى تعتقد بما لا ينطبق على أصل من أصوله حتى أصل التوحيد والتنزيه عن الحلول ولا تقول بفرض من فروضه المعلومة منه بالضرورة . وأجمع فقهاء الأمة على انهما من قبيل المرتدين والزنادقة لا تؤكل ذبائح افرادهما ولا يباح لهم أن يتزوجوا من المسلمات وإنما اختلفوا فى قبول توبة من تاب منهم ومن العلماء من قال لا تقبل توبته . وهم مع ذلك عائشون بجوار المسلمين ومضى عليهم ما يزيد على تسعمائة سنة وقد كانوا تحت سلطان المسلمين والاسلامُ فى أوج القوة . دخلوا فى حكم الأتراك وهم هم أيام كان ملك فرنسا يستنجد بملكهم وكانت عساكرهم على أسوار فينا . كان أولئك الذين يراهم المسلمون قد خرجوا من دينهم وأسَرّوا عقيدة تناقض عقيدتهم قد ظهروا باعمال تضاد أعمالهم وهم جيرانهم وتحت أيديهم وفى مكنتهم محوهم ومع ذلك عاشوا الى اليوم ولهم أحبة وأصدقاء بين المسلمين . وللمسلمين بينهم مصافون وأوداء فهل عهد مثل ذلك عن المسيحيين ؟

غير ان موضوع قولي محدود كما قلت فلا أخرج عنه وأراني نطقت فيه بكلمتي المجملة . ولكن لا يكفي لبيان ما عرضت به الجامعة فى قولها « هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط او مع القريب والغريب الخ » ولا لتحقيق الحق فيما حكمت به فى حكميها الا تفصيلٌ تعرض فيه حالة الدينين مع العلم تحت نظر القارئ على وجه يمكن معه الحكم عن فهم ، ولا تلتبس فيه الحقيقة بالوهم

الجواب التفصيلي

أرى الجامعة جاءت فى كلامها باربعة أمور آتي بها على حسب ترتيب النسق فى تعبيرها . (الأول) ان المسلمين قد تسامحوا لأهل النظر منهم ولم يتسامحوا لمثلهم من أرباب الاديان الأخر (الثاني) ان من الطوائف الاسلامية طوائف قد اقتتلت بسبب الاعتقادات الدينية (الثالث) ان طبيعة الدين الاسلامي تأبى التسامح مع العلم وطبيعة الدين المسيحي تيسر لاهله التسامح مع العلم (الرابع) ان إيناع ثمر المدنية الحديثة إنما تمتع به الأوربيون ببركة التسامح الديني المسيحي . فلا بد لي من الكلام على كل واحد من هذه الأمور الاربعة وابتدئ منها بالثاني لقلة الكلام عليه

نفي القتال بين المسلمين لأجل الاعتقاد

لم يسمع فى تاريخ المسلمين بقتال وقع بين السلفيين (الآخذين بعقيدة السلف) والأشاعرة مع الاختلاف العظيم بينهما ولا بين هذين الفريقين من أهل السنة والمعتزلة مع شدة التباين بين عقائد أهل الاعتزال . وعقائد أهل السنة سلفيين وأشاعرة -- كما لم يسمع بان الفلاسفة الاسلاميين تألفت لهم طائفة وقع الحرب بينها وبين غيرها . نعم سمع بحروب تعرف بحروب الخوارج كما وقع من القرامطة وغيرهم وهذه الحروب لم يكن مثيرها الخلاف في العقائد وإنما اشعلتها الآراء السياسية في طريقة حكم الأمة . ولم يقتتل هؤلاء مع الخلفاء لأجل أن ينصروا عقيدة ولكن لأجل أن يغيروا شكل حكومة . وما كان من حرب بين الأمويين والهاشميين فهو حرب على الخلافة وهي بالسياسة أشبه بل هي أصل السياسة

نعم وقعت حروب في الازمنة الأخيرة تشبه أن تكون لأجل العقيدة

وهي ما وقع بين دولة إيران والحكومة العثمانية وبين الحكومة العثمانية والوهابيين ولكن يتسنى لباحث بأدنى نظر ان يعرف انها كانت حروبا سياسية ويبرهن على ذلك بالولاء المتمكن بين الحكومتين اليوم مع بقاء الاختلاف في العقيدة وبين الحكومة العثمانية وابن الرشيد أمير الوهابيين

اما الحروب الداخلية التي حدثت بعد استقرار الخلافة في بني العباس وأضعفت الأمة وفرقت الكلمة فهي حروب منشأها طمع الحكام وفساد اهوائهم وحبهم الاستئثار بالسلطان دون سواهم . ومصدر ذلك كله جهلهم بدينهم وارتخاء حبل التمسك به في أيديهم . واكبر داء دخل على المسلمين فى هممهم وعقولهم انما دخل عليهم بسبب استيلاء الجهلة على حكومتهم . أقول « الجهلة » وأريد أهل الخشونة والغطرسة الذين لم يهذبهم الاسلام ولم يكن لعقائده تمكن من قلوبهم . ولو رزق الله المسلمين حاكما يعرف دينه ويأخذهم باحكامه لرأيتهم قد نهضوا والقرآن الكريم فى إحدى اليدين وما قرر الاولون وما اكتشف الآخرون فى اليد الاخرى ذاك لآخرتهم وهذا لدنياهم وساروا يزاحمون الاوربيين فيزحمونهم

مالنا وللحكام نعرض لهم ؟ الذي عليّ ان أقول ولا أخشى منازعا : إنه لم تقع حرب معروفة بين المسلمين للحمل على عقيدة من العقائد أو على تركها . على ان هذا الأمر الذي جاءت به الجامعة والجأتنا الى الكلام فيه خارج عن الموضوع بالمرة لأن الكلام في التسامح الديني مع العلم لا في تسامح عقيدة مع عقيدة أو دين مع دين وإلا لأوردنا لها من حروب الطوائف المسيحية بعضها مع بعض وحروبها مع غيرها ما يستغرق أجزاء الجامعة بقية هذه السنة اذا أوجزنا ما استطعنا . هل أذكرها بما كان يقع

في القسطنطينية من سفك الدماء بين الارثوذكس والكاثوليك على عهد القياصرة الرومانيين ؟ هل أذكرها بحادثة برتلمي سنتهلير التي سفك فيها الكاثوليك دماء إخوانهم البروتستانت وأخذوهم في بيوتهم على غرة وقتلوهم نساء ورجالا وأطفالا ؟ بماذا أذكر الجامعة من أمثال هذه الوقائع التي اسود لها لباس الانسانية ، وتسلبت لحدوثها البشرية ؟ هل يمكن لأحد أن يروي حادثة مثلها وقعت بين شعوب المسلمين بعضهم مع بعض لخلاف في العقيدة مهما عظم الاختلاف

تساهل المسلمين مع أهل العلم والنظر من كل ملة

ثم أرجع الى الامر الاول من الامور الاربعة لأن الكلام عليه أقل منه على الأمر الثالث . وانني لا أستدل على رعاية الاسلام للحكماء من الملل غير المسلمة بقول كاتب مسلم وإنما أرجع في جميع ما أذكر الى كتب المؤرخين والفلاسفة من المسيحيين وأذكر أسماء جماعة من المسيحيين وغيرهم بلغوا من الحظوة عند الخلفاء وعامة المسلمين وخاصتهم مالم يبلغه غيرهم

قال المستر دراپر أحد المؤرخين وكبار الفلاسفة من الاميركان :

« ان المسلمين الأولين فى زمن الخلفاء لم يقتصروا فى معاملة أهل العلم من النصارى النسطوريين ومن اليهود على مجرد الاحترام ، بل فوّضوا اليهم كثيراً من الاعمال الجسام ، ورقوهم الى المناصب فى الدولة حتى ان هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة حنا مسنيه » (هو يوحنا ابن ماسويه الشهير) وقال فى موضع آخر : « كانت ادارة المدارس مفوضة مع نبل الرأي وسعة الفكر من الخلفاء الى النسطوريين تارة والى اليهود تارة أخرى . لم يكن ينظر الى البلد الذي عاش فيه العالم ولا الى الدين

الذي ولد فيه بل لم يكن ينظر الا الى مكانته من العلم والمعرفة. قال الخليفة العباسي الاكبر المأمون: « ان الحكماء هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده لأنهم صرفوا عنايتهم الى نيل فضائل النفس الناطقة وارتفعوا بقواهم عن دنس الطبيعة هم ضياء العالم وهم واضعو قوانينه ولولاهم لسقط العالم فى الجهل والبربرية » . وقال في موضع آخر: «ان العرب قد زحفوا بجيش من أطبائهم اليهود ومؤدبي أولادهم من النسطوريين ففتحوا من مملكة العلم والفلسفة ما أتوا على حدوده بأسرع مما أتوا على حدود مملكة الرومانيين » . ولست فى حاجة الى ذكر ما أسس الخلفاء والملوك من المدارس وأقاموا من المراصد وما حشدوا من الكتب الى المكاتب لأن هذا خارج عن بحثنا الآن وسيرد عليك شيء منه فيما بعد

﴿ طائفة من الحكماء والعلماء الذين حظوا عند الخلفاء ﴾

أذكر ممن اشتهر من الحكماء بالحظوة عند الخلفاء جيورجيس ابن بختيشوع الجنديسابوري طبيب المنصور كان فيلسوفا كبيراً علت منزلته عند المنصور لأنه كانت له زوجة عجوز لاتشتهى فأشفق عليه المنصور وأنفذ اليه بثلاث جوار حسان فردّهن وقال: إن ديني لايسمح لي بأن أتزوج غير زوجتي مادامت حية . فأعلى مكانته حتى على وزرائه . ولما مرض أمر المنصور بحمله الى دار العامة وخرج اليه ماشياً يسأل عن حاله فاستأذنه الحكيم فى رجوعه الى بلده ليدفن مع آبائه فعرض عليه الاسلام ليدخل الجنة فقال: رضيت ان أكون مع آبائي فى جنة أو نار . فضحك المنصور وأمر بتجهيزه ووصله بعشرة آلاف دينار (وهو المنصور الدوانيقي المشهور بالامساك وكزازة اليد) وأوصى من معه بحمله اذا مات فى الطريق الى

مدافن آبائه كما طلب . ثم سأله عمن يخلفه عنده فأشار الى عيسى بن شهلا أحد تلامذته فأخذه المنصور مكان جيورجيس فطفق يؤذي القسوس والبطارقة ويهددهم بمكانه عند الخليفة لينال منهم رغائبه فشعر الخليفة بذلك فطرده

وممن حظي عند المنصور نوبخت المنجم وولده أبو سهل وكانا فارسيين على مذهب الفرس ثم كانت ذرية مسلمة لأبي سهل وكانوا جميعاً منجمين لهم شهرة فى علوم الكواكب فائقة

وممن حظي بالمكانة العليا عند الخليفة المهدي تيوفيل بن توما النصراني المنجم وكان على مذهب الموارنة من سكان لبنان . وله كتب فى التاريخ جليلة ونقل كتاب أميروس الى السريانية بأفصح عبارة

وممن ارتفع شأنه عند الرشيد من الفلاسفة بختيشوع الطبيب وجبريل ولده ويوحنا بن ماسويه النصراني السرياني . ولاه الرشيد ترجمة الكتب القديمة طبية وغيرها وخدم الرشيد ومن بعده الى المتوكل . وكان يعقد فى داره مجلساً للدرس والمناظرة ولم يكن يجتمع فى بيت للمذاكرة فى العلوم من كل نوع والآداب من كل فن مثل مايجتمع فى بيت يوحنا بن ماسويه

وممن علا قدره فى زمن المأمون يوحنا البطريق مولى المأمون أقامه كذلك أميناً على ترجمة الكتب من كل علم من علوم الطب والفلسفة . وكذلك ارتفع شأن سهل بن سابور وسابور ابنه وكانا نصرانيين . وولي سابور بن سهل بيمارستان جند يسابور

وكان سلمويه بن بنان النصراني طبيباً عند المعتصم ولما مات جزع عليه جزعا شديداً وأمر بأن يدفن بالبخور والشموع على طريقة النصارى

وكان بختيشوع بن جبريل عند المتوكل يوماً فأجلسه بجانبه وكان

عليه درّاعة حرير رومية بها فتق فأخذ المتوكل يحادثه ويعبث بالفتق حتى وصل الى النيفق (هو ما اتسع من الثوب) ودار الكلام بينهما حتى سأله المتوكل : بماذا تعلمون أن الموسوس (المصاب بخبل فى عقله) يحتاج الى الشد ؟ فقال بختيشوع : اذا عبث بفتق دراعة طبيبه حتى بلغ النيفق شددناه . فضحك المتوكل حتى استلقى

وفى أيام المتوكل اشتهر حنين بن اسحق النصراني العبادي وهو من أشهر المترجمين لكتب ارسطو وغيره وامتحن المتوكل صدقه فظهرت له عزيمة لا تفل فأقطعه اقطاعات واسعة . وكان قدعرف بفصاحة العبارة وحسن الترجمة فى زمن المأمون وهو فتى فكلفه بترجمة الكتب وكان يعطيه وزن مايترجم ذهباً . وكانت بينه وبين الطيفوري النصراني محاسدة أفضت الى طلب الحكم على حنين في مجلس الاساقفة بالحرم من الكنيسة فمات غماً لاضطهاد أهل طائفته له مع عزته وعلو قدره عندالخليفة وهذا الطيفوري أيضاً كان من المقربين عند الخلفاء

وممن ارتفع شأنه عند الخلفاء والخاصة والعامة في زمنه أيام خلافة الراضي متى بن يونس المنطقي النصراني النسطوري كان متفنناً فى جميع العلوم العقلية أخذ عنه أبونصر الفارابي وانتهت اليه الرياسة فى بغداد وكان من أهل دير قنى ونشأ فى مدرسة مارماري وقرأ على روفايل وبنيامين الراهبين اليعقوبيين .

ومن المقربين عند الخلفاء قسطا البعلبكي من فلاسفة دولة الاسلام وهو نصراني طلبه الخلفاء الى بغداد لأجل الترجمة ثم يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي انتهت اليه الرياسة ومعرفة العلوم الحكمية في وقته

وقرأ على متى بن يونس وعلى أبي نصر الفارابي

ومنهم أبو الفرج بن الطيب فيلسوف عالم . قالوا كان كاتب الجاثليق ومتميزا فى النصارى ببغداد وكان يقرئ صناعة الطب فى البيمارستان العضدي وكان معاصراً للشيخ الرئيس ابن سينا والرئيس يمدح طبه ولا يحمد فلسفته وله كلام فيه

وممن كانت له المكانة الرفيعة عند الخلفاء والخاصة والعامة ثابت بن قرة الحرّاني الصابئ من طائفة الصابئين المعروفة وتربى في بيت محمد بن موسى بن شاكر الفلكي المشهور وبلغ فى علوم الفلسفة مبلغاً لم يدانه فيه غيره وله تآليف كثيرة في المنطق والطب والرياضيات وبلغ عند المعتضد مقاماً تقدم فيه عنده على وزرائه . وولد ثابت هذا سنة احدى عشرة ومئتين بحرّان . ثم كان ابناه ابراهيم وسنان على قدم أبيهما . ومن حفدته أبو الحسن ثابت بن قرة . وكان ثابت وابراهيم وسنان صابئين ولهم من المنزلة ماعلمت ومدحهم كثير من شعراء المسلمين وهم صابئة

ماذا أعد للجامعة من الفلاسفة والحكماء من الملل المختلفة الذين وسعهم صدر الاسلام . ولم يضن عليهم بالرعاية والاحترام . هل تريد أن أتمم لها الكلام بذكر كثير من فلاسفة الاسلام المسلمين الذين نالوا اسمى الدرجات وأعلى المقامات عند الخلفاء والملوك . هل أنا في حاجة الى ذكر فيلسوف الاسلام أبي يوسف يعقوب الكندي وهو بصري الاصل . ابن الامير اسحق الذي كان أميرا للمهدي والرشيد على الكوفة وهو من ذرية الاشعث بن قيس أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عالماً بالطب والفلسفة والهيأة والحساب والموسيقى واشتغل بالترجمة كما اشتغل

غيره بها فترجم كثيراً من كتب الفلسفة وأوضح الغامض منها وكانت له المكانة العليا عند المأمون والمعتصم وولده احمد . هل أنا في حاجة الى ذكر بني موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن الذين اشتغلوا في مساحة الكرة الأرضية ومعرفة محيطها وقطرها وماكان لهم من المنزلة عند الامراء والخلفاء ؟ أأذكر ابن سينا ومنزلته فى قومه ووصوله الى مسند الوزارة عند شمس الدولة ؟ أم أذكر الفارابي وما كان له من المكانة عند سيف الدولة بن حمدان .

لاريب ان أبا العلاء المعري يصلح ان يكون رجلا ممن تعنى الجامعة بنشر تراجمهم وقد قال مالم يقل بمثله فولتير وروسو وقد مات مع ذلك على فراشه وقبره اليوم مزار يرحل اليه فى بلده

أظن انه يسهل بعد سرد ما عددناه أن يعرف قراء الجامعة ان الاسلام كان يوسع صدره للغريب كما يوسعه للقريب بميزان واحد وهو ميزان احترام العلماء للعلم . ويسهل عليّ ان التمس العذر للجامعة بأنها عندما كتبت ما كتبت تمثلت لها بعض حوادث قيل انها حدثت للدين وما حدثت له . بل كان سبب حدوثها اما سياسة خرقاء . أو جهالة عمياء . أو تأريث بعض السفهاء . لا أطيل خوف الاملال . وانتقل الآن الى الامر الثالث وهو المقابلة بين طبيعة الدينين وهو أهم مما سبق ومما سيلحق

طبيعة الدين المسيحي وأصوله

(تمهيد) ظنت الجامعة ان الدين المسيحي فصل بين السلطة الدينية والسلطة المدنية ولذلك كان فى طبيعته التسامح . أما الدين الاسلامي فمن أصوله ان السلطان ملك وخليفة ديني وذلك مما يصعب معه التسامح في رأيها

ليس هذا بكاف فى بيان طبيعة كل من الدينين واستعدادها للتسامح مع العلم أو مع أية عقيدة تخالفها بل لابد من بيان أركان الدين وأهم أصوله التى ترجع اليها جميع الفروع وعنها تصدر الآثار الحقيقية

عند النظر فى أيّ دين للحكم له أو عليه فى قضية من القضايا يجب أن يؤخذ ممحصاً مما عرض عليه من بعض عادات أهله أو محدثاتهم التي ربما تكون جاءتهم من دين آخر . فاذا أريد أن يحتج بقول أو عمل لاتباع ذلك الدين فى بيان بعض أصوله فليؤخذ فى ذلك بقول أو عمل أقرب الناس الى منشأ الدين ومن تلقوه على سذاجته التي ورد بها من صاحب الدين نفسه

وانني أوجز القول فى ايراد الأصول الأولى التى وردت فى الاناجيل المعروفة الآن فى أيدي المسيحيين . وجاءت فى كلام أئمتهم الاولين . ثم ايراد ماجر اليه الأخذ بتلك الأصول بحكم طبيعة الدين

الاصل الاول للنصرانية الخوارق

أوّل أصل قام عليه الدين المسيحي وأقوى عماد له هو خوارق العادات . تقرأ الاناجيل فلا تجد للمسيح عليه السلام دليلا على صدقه الا ما كان يصنع من الخوارق وعددها فى الأناجيل يطول شرحه . ثم انه جعل ذلك دليلا على صحة الدين لمن يأتي بعده فجعل لاصحابه ذلك كما تراه فى الاصحاح العاشر من انجيل متى وغيره . واذا تتبعت جميع ماقال الأولون من أهل هذا الدين تجد خوارق العادات ، من أظهر الآيات على صحة الاعتقادات . ولا يخفى أن خارق العادة هو الامر الذى يصدر مخالفاً لشرائع الكون ونواميسه . فاذا ساغ أن يكون ذلك لكل من علا كعبه فى الدين لم يبق عند صاحب الدين ناموس يعرف له حكم مخصوص

زاد الانجيل على هذا ان الايمان ولو كان مثل حبة خردل كاف فى خرق نواميس الكون كما قال فى الاصحاح السابع عشر من متي : « فالحق أقول لكم لوكان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ولا يكون شيءٌ غير ممكن لديكم » وفى الحادى عشر من مرقس « ٢٣ لأني الحق أقول لكم ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر ولا يشك فى قلبه بل يؤمن ان مايقوله يكون فمهما قال يكون له ٢٤ لذلك أقول لكم كل ماتطلبونه حينما تصلون فآمنوا ان تنالوه فيكون لكم »

فكل بحث يؤدي الى أن للكون شرائع ثابتة وان للعلل والشرائط أو الاسباب أو الموانع أحكاما فى معلولاتها أو ماشرطت فيه أوما تسبب عنها أو ما استحال وجوده لوجودها كان مضاداً لهذا الاصل فى أي زمن وقد كان كل علم من علوم الاكوان لابد فيه من هذا البحث فكل علم مضاد لهذا الاصل . ثم ان صاحب الاعتقاد بهذا الاصل لايحتاج الى البحث فى الاسباب والمسببات لأن اعتقاده فى الشيء ان يكون وارادته لأن يكون كافيان فى حصوله فهو فى غنى عن العلم والعلم عدو لما يعتقد فما أصعب احتماله اذا جاء يزاحمه فى سلطانه

الاصل الثانى للنصرانية سلطة الرؤساء

وبعدهذا الأصل أصل آخر وهو السلطة الدينية التي منحت للرؤساء على المرؤسين فى عقائدهم وما تكنه ضمائرهم . وقد أحكم هذه السلطة ما ورد فى ١٦-١٩ من انجيل متى : « أعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ماتربطه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات وكل ماتحله على

الارض يكون محلولا فى السموات » وفى ١٨ - ١٨ منه « الحق أقول لكم كل ماتربطونه على الارض يكون مربوطاً فى السماء . وكل ماتحلونه على الارض يكون محلولا فى السماء »

فاذا قال الرئيس الكهنوتي لشخص انه ليس بمسيحي صار كذلك واذا قال انه مسيحي فاز بها فليس المعتقد حراً فى اعتقاده يتصرف فى معارفه كما يرشده عقله بل عينا قلبه مشدودتان بشفتي رئيسه فاذا اهتزت نفسه الى بحث أوقفها قابض على تلك السلطة . وهذا الأصل ان نازع فيه بعض النصارى اليوم فقد جرت عليه النصرانية خمسة عشر قرنا طوالا

الاصل الثالث للنصرانية ترك الدنيا

وبعد هذين الاصلين أصل ثالث وهو التجرد من الدنيا والانقطاع الى الآخرة . تجد هذا الاصل فى الاناجيل وفي أعمال الرسل وكلما قرأت فى الكتب الأولى عثرت به . وتجد الأوامر الصادرة بالانقطاع الى الملكوت والهروب من عالم الملك صريحة فى الاصحاح السادس والعاشر والتاسع عشر من انجيل متى . فمما جاء في السادس : « لاتقدرون ان تخدموا الله والمال ٢٥ لذلك أقول لكم لاتهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس (الى أن قال) ٣٣ ولكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم ٣٤ فلا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه يكفي اليوم شره »

وقال في التاسع عشر : « ٢٣ الحق أقول لكم انه يعسر ان يدخل غني ملكوت السموات ٢٤ وأقول لكم أيضاً ان مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني الى ملكوت الله » وفى العاشر : « ٩ لاتقتنوا

ذهباً ولا فضة ولا نحاساً فى مناطقكم ١٠ ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا الخ »

وحث على الرهبانية وترك الزواج وفي ذلك قطع النسل البشري قال فى (١٩ من متى:) « ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لاجل ملكوت السموات من استطاع أن يقبل فليقبل » . ثم ان ملكوت السموات قد نيط أمره بالايمان المجرد عن النظر فى الاكوان فماذا يكون حظ صاحب الاعتقاد بهذا الاصل من النظر في أي علم والعلم لادخل له في شؤن الآخرة والدنيا قد حرمت عليه . لاريب ان همه يكون في الصلاة وصرف القلب بكليته الى العبادة دون سواها وليس الفكر في الخليقة من العبادة عنده فان عبادة الانجيل ليست شيئاً سوى الايمان والصلاة

الاصل الرابع للنصرانية الايمان بغير المعقول

وبعد هذه الأصول أصل رابع وهو عند عامة المسيحيين أصل الأصول لايختلف فيه كاثوليك ولا ارثوذكس ولا بروتستانت وهو ان الايمان منحة لادخل للعقل فيها وان من الدين ماهو فوق العقل بمعنى مايناقض أحكام العقل وهو مع ذلك مما يجب الايمان به . قال القديس أنسيلم: « يجب ان تعتقد أولا بما يعرض على قلبك بدون نظر ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت » فليس الايمان وهو الوسيلة الفردة الى النجاة في حاجة الى نظر العقل والكون وما فيه لايهم المؤمن ان يجيل فيه نظرة . وقول القديس « ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت » نوع من التفضل على النزعة البشرية الى الفهم وعلى الميل الفطري الى تصور مايتعلق به الاعتقاد والا فمجرد الايمان كاف في الخلاص . ثم الويل كل الويل لطالب الفهم اذا

أدى اجتهاده الى شئ يخالف ماتعلق به ايمانه فكأن معنى الفهم ان يخلق المؤمن لنفسه مايسلي به نفسه على ايمانه بغير المفهوم

(الاصل الخامس للنصرانية ان الكتب المقدسة حاوية كل مايحتاج اليه البشر في المعاش والمعاد)

ثم ينضم الى الأصول الاربعة خامس وهو ان الكتب المعروفة بالعهد القديم والعهد الجديد تحتوي على كل مايحتاج البشر الى علمه سواء كان متعلقاً بالاعتقادات الدينية والآداب النفسية والاعمال البدنية مما يؤدي الى نيل السعادة في الملكوت الأعلى أوكان من المعارف البشرية التى يتأتى للعقل الانساني ان يتمتع بها . قال تيرتوليان (وهو أفضل من وصف الاعتقاد المسيحي في نهاية القرن الثالث قبل ان تعرض عليه البدع الكثيرة) : « ان عقائد المسيحية أسست على الكتب السماوية ودليل صحة هذه الكتب قدمها وكونها أقدم من كتاب أميروس وأقدم من أقدم أثر معروف عند الرومانيين وأقدم من تأسيس الحكومة الرومانية نفسها والزمن ناصر الحقيقة ثم تحقق النبوّات التى وردت فيها » ثم قال: « ان أساس كل علم عندهم هو الكتاب المقدس وتقاليد الكنيسة وان الله لم يقصر تعليمنا بالوحي على الهداية الى الدين فقط بل علمنا بالوحي كل ما أراد أن نعلمه من الكون فالكتاب المقدس يحتوي من العرفان على المقدار الذى قدّر للبشر أن ينالوه . فجميع ماجاء فى الكتب السماوية من وصف السماء والارض ومافيها وتاريخ الامم مما يجب تسليمه مهما ضارب العقل أو خالف شاهد الحس فعلى الناس أن يؤمنوا به أولا ثم يجتهدوا ثانيا فى حمل أنفسهم على فهمه أي على تسليمه أيضاً كما ترى وقال بعض فضلائهم: انه يمكن أن يؤخذ فن المعادن بأ كمله من الكتاب المقدس

الاصل السادس للنصرانية التفريق بين المسيحيين وغيرهم حتى الاقربين

ينظم تلك الأصول كلها أصل سادس وهو آخرها فيما أرى . ذلك الاصل هو الذى ورد فى الاصحاح العاشر من انجيل متى وهو: «٣٤ لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الارض ما جئت لألقي سلاما بل سيفا ٣٥ فاني جئت لأفرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها ٣٦ وأعداء الانسان أهل بيته » . وقد صرح فى عدة مواضع من الانجيل ان الإخلال بشيء من محبة المسيح أو بالانقياد الى جميع ما أوصى به موجب للهلاك وان كان قد جاء في مواضع كثيرة ان الايمان وحده كاف فى الخلاص غير ان روح الشدة التى جاءت فى قوله «لا تظنوا انى جئت لألقي سلاما الخ» هي التى بقي أثرها فى نفوس الاولين من المعتقدين بالدين المسيحي وعفت على آثار ما كان يصح ان تستشعره النفوس من بعض الوصايا الأخر

نتائج هذه الأصول وآثارها

من هنا أعرض المسيحيون الأولون عن شواغل الكون وصدوا عن سبيل النظر فيه اظهارا للغنى بالايمان والعبادة عن كل شيء سواها وحجروا على همم النفوس ان تنهض الا الى الدعوة الى ذلك الايمان وتلك العبادة ووسائل الدعوة هي الايمان والعبادة كذلك فاذا نزعت العقول الى علم شيء من العالم وضعوا امام نظرها كتب العهد القديم وحصروا العلم بين دفاتها استغناء بالوحي عن كل عمل للعقل سوى فهمه من عباراته وليس يسوغ لكل ذى عقل فهمه بل انما يتلقى فهمه من رؤساء الكنيسة خوفا من الزيغ عن الايمان السليم (البروتستانت رأوا أنه يجوز تفسير الكتاب لغير الكنيسة)

ثم ان القاء السيف ووضع التفريق بين الاقارب والاحبة انما جاء حافظا لذلك كله فاذا خطر على قلب أحد خاطر سوء يرمي الى معارضة شيء من أمور الايمان المقررة وجب قطع الطريق على ذلك الخاطر ولم يجز فى شأن صاحبه هوادة ولا مرحمة كما أفهمه المسيح بعمله على حسب ما ورد فى الانجيل فقد قيل له : «٤٧ أمك وأخوتك واقفون خارجا طالبين أن يكلموك ٤٨ فأجاب وقال للقائل له من هي أمي ومن هم اخوتي ٤٩ ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها أمي واخوتي » . ونحو ذلك مما يدل على وجوب المقاطعة بين من يعتقد بالدين المسيحي ومن يحيد عن شيء من معتقده ولا يخفى ان الشيء يكون بزرة ثم نبتا ثم شجراً فانظر الى ماصار أمر هذه البدايات بحكم الطبيعة

وقر في نفوس المسيحيين ان السلامة في ترك الفكر والأخذ بالتسليم وتقرر عند القوم قاعدة «ان الجهالة أم التقوى» (وكثير من أهل الأديان مسيحيين ومسلمين لا يزالون يجرون على هذه القاعدة ببركة ما ورثوا عن أبناء الزمن الغابر) فحصروا التعليم في الاديار ومنعت الكنيسة ان ينشر التعليم بين العامة الا ما كان دعوة الى الصلاح وتقرير الايمان على وجه ظاهر . وبقي غير القسيسين في جهالة حتى بأمور الدين وحقائقه وأسراره. ظهرت ذات الذنب التي تنسب الى هالي في سنة ١٦٨٢ فاضطربت لظهورها اوربا ولجأوا الى البابا واستجاروا به فاجارهم وطردها من الجو فولت في الفضاء مذعورة من لعنته ولم تعد الا بعد خمس وسبعين سنة !!

لم يكن يسمح لأحد أن يبدي رأيا يخالف صريح ما في الكتاب وعندما أظهر بلاج رأيه في أن الموت كان يوجد قبل آدم أي ان الحيوانات كان يدركها الموت قبل ان يخطئ آدم بالأكل من الشجرة قام لذلك

ضوضاء وارتفعت جلبة وانتهى الجدال والجلاد الى صدور أمر امبراطوري بقتل كل شخص يعتقد بذلك . يقول المؤرخ : وهكذا عد الاعتقاد بأن الموت كان يزور الاحياء قبل آدم جريمة على الملك

أحرقت كتب البطالسة والمصريين بالاسكندرية على عهد جول قيصر ثم ان تيوفيل بطريرك الاسكندرية انتحل أدنى الاسباب لاثارة ثورة في المدينة لاتلاف مابقي في مكتبة البطالسة بعضه بالاحراق وبعضه بالتبديد . قال أوروسيوس المؤرخ إنه رأى أدراج المكتبة خالية من الكتب بعد ان نال تيوفيل الأمر الامبراطوري باتلافها بنحو عشرين سنة

ثم جاء بعد تيوفيل ابن أخته سيريل وكان خطيباً مفوها له على الشعب سلطان بفصاحته وكان في الاسكندرية بنت تسمى هيباتي الرياضية تشتغل بالعلوم والفلسفة وكان يجتمع اليها كثير من أهل النظر في العلوم الرياضية وكان لايخلو مجلسها من البحث في أمور أخر خصوصاً في هذه المسائل الثلاث : من أنا والى أين أذهب وماذا يمكنني ان أعلم . فلم يحتمل ذلك القديس سيريل مع ان البنت لم تكن مسيحية بل كانت على دين آبائها المصريين فأخذ يثير الشعب عليها حتى قعدوا لها وقبضوا عليها فى الطريق وهي سائرة الى دار ندوتها وجردوها من ثيابها وأخذوها الى الكنيسة مكشوفة العورة وقتلوها هناك ثم قطع جسمها وجرد اللحم عن العظم وما بقي منها ألقي فى النار . يقول المؤرخ راوي هذه القصة : ولم يسأل سيريل عما صنع بهيباتي ولم تنظر الحكومة الرومانية فيما وقع عليها ولعل ذلك كان أول ماتقررت تلك القاعدة : « الغاية تشفع للوسيلة »

مامن عقيدة ظهرت فى المسيحية وأريد تقريرها من فريق ونازع فيها

فريق الا وقد سالت لها الدماء فليراجع التاريخ لتتمثل أرض مصر مصبوغة بدماء المسيحيين من فريقين مختلفين عندما أريد تقرير عبادة العذراء واتخاذها لله أماً . كان ذلك فى طبيعة الدين : ان من لم يتبع المسيح فهو هالك والهالك لايستحق الحياة . ألم تر فى الاصحاح الخامس من الأعمال الى قصة الرجل الذي باع جميع ماعنده وعندما جاء الى بطرس أعطاه الثمن وادخر لنفسه شيئاً أخفاه عنه فاطلع بطرس على حقيقة الأمر ووبخ الرجل وتصرف فيه بسلب حياته من طريق المعجزة ثم جاءت امرأته وكان لها اطلاع على ما أخفى زوجها ولم تنهه فوبخها بطرس وأخبرها بموت زوجها فماتت هي أيضاً . فاذا كان الله يسلب الحياة جزاء على اختلاس الرجل شيئاً من مال نفسه لم يقدمه هدية للرسل فكيف تكون الحياة من حقه اذا خالف خلفاء الله فى الارض ونابذهم فيما يعتقدون

قال البابا أنوسان الثالث عند الكلام فى مصادرة الذين يخالفون العقيدة الكاثوليكية : « لايجوز أن يترك لأولاد الجاحدين سوى الحياة وترك الحياة لهم منّ وإحسان » فلم يقصر الجزاء على الجاحدين ولكن عدّاه الى أولادهم وعدّ ترك الحياة لأولادهم يتمتعون بها ضربا من الاحسان عليهم لأنه لاحق لهم فى أن يعيشوا وقد جحد آباؤهم

مقاومة النصرانية للعلم

لا أجد فى التاريخ ذكراً للعلم والفلسفة بعد ظهور المسيحية فى مظهر القوة لعهد قسطنطين ومابعده الا فى أثناء المنازعات الدينية التي كان يفصل فيها تارة بسلطان الملوك وأخرى بجمع المجامع وثالثة بسفك الدماء فتخمد شعلة العلم وينتصر الدين المحض . وإنما الذكر كل الذكر لما كان بين

المسيحية وماجاورها من الملل الأخرى من الحروب الدينية للحمل على العقيدة بما كان يعتقد المسيحيون وما كان يقع بين ملوك أوربا من التسافك فى الدماء باغراء رؤساء الكنيسة وأمر ذلك معروف عند من له إلمام بالتاريخ وليس من موضوعنا الكلام فيه

ولكن أرى شبه نزاع بين العلم والدين ظهر فى أوربا بعد ظهور الاسلام واستقرار سلطانه فى بلاد الأندلس واحتكاك الاوربيين بالمسلمين فى الحروب الصليبية

رجع الآلاف من الغزاة الصليبيين الى بلادهم وحملوا الى الناس أخباراً تناقض ما كان ينشره دعاة الحرب من رؤساء الكنيسة من ان المسلمين جماعة من الوثنيين غلبوا على الأرض المقدسة وأجلوا عنها دين التوحيد ونفوا منها كل فضيلة وإخلاص وهم وحوش ضارية وحيوانات مفترسة فلما قفل الغزاة الى ديارهم قصوا على قومهم ان أعداءهم كانوا أهل دين وتوحيد ومروءة وذوي ود ووفاء وفضل مجاملة

ثم كان الخليفة الحكم الثاني جعل من بلاد الأندلس فردوساً كما قال الفيلسوف الاميركاني وكان اليهود والنصارى يتلاقون فى تلك البلاد تحت ظلال الأمن والحرية . قال بطرس المحترم الشهير انه رأى كثيراً من العلماء يأتون الى تلك البلاد لتلقي العلوم الفلكية حتى من بلاد انكلترا وأولئك الذين يسعون الى طلب العلوم من أي بلاد جاؤا كانوا يجدون فيها رحباً وسعة وكان قصر الخليفة يشبه ان يكون مصنعاً للكتب — نسخ وتذهيب وتجليد الخ ماقال

ثم انتشرت صناعة الورق التي اخترعها العرب ثم اكتشفت المطبعة

وسهل على الناس ان ينشروا آراءهم بعد أن تنبهت أفكارهم بما جلب اليهم رسل العلم الذين حملوه اليهم عن أهالي اسبانيا ومن حملوه مما جاورها . ثم انساب الى العقول شيء مما سماه الاوربيون فلسفة ابن رشد . عند ذلك اهتمت المسيحية بالأمر وأخذت تحارب كل مايظهر على ألسنة الناس أو يرد على أسماعهم مما يخالف ما فى الكتب المقدسة وتقاليد الكنيسة . قال دي رومنيس : ان قوس قزح ليست قوساً حربية بيد الله ينتقم بها من عباده اذا أراد بل هي من انعكاس ضوء الشمس فى نقط الماء . فجاب الى روما وحبس حتى مات ثم حوكمت جثته وكتبه فحكم عليها وألقيت فى النار . وقيل فى علة الحكم : انه أراد الصلح بين كنيستي روما وانكلترا . وأي ذنب أعظم من هذا الصلح ؟ هو أضخم بلا ريب من ذنب القول بان قوس قزح من انعكاس ضوء الشمس فى نقط الماء

مراقبة المطبوعات ومحكمة التفتيش

انشئت المراقبة على المطبوعات وحتم على كل مؤلف وكل طابع ان يعرض مؤلفه أومايريد طبعه على القسيس أو المجلس الذي عيّن للمراقبة وصدرت أحكام المجمع المقدس بحرمان من يطبع شيئاً لم يعرض على المراقب أو ينشر شيئاً لم يأذن المراقب بنشره . وأوعز الى هذا المراقب أن يدقق النظر حتى لاينشر مافيه شيء يومئ الى مخالفة العقيدة الكاثوليكية ووضعت غرامات ثقيلة على أرباب المطابع يعاقبون بها فوق الحرمان من الكنيسة (كأن الحكومة العثمانية على ماتنشر بعض الجرائد أخذت نسخة من قرار المجمع المقدس لتجري عليه مراقبة المطبوعات ولكن للسياسة لا للدين)

انشئت محكمة التفتيش لمقاومة العلم والفلسفة عند ماخيف ظهورهما

بسعي تلامذة ابن رشد وتلامذة تلامذته خصوصاً في جنوب فرنسا وايطاليا، انشئت هذه المحكمة الغريبة بطلب الراهب توركماندا

قامت المحكمة بأعمالها حق القيام ففي مدة ثماني عشرة سنة — من سنة ١٤٨١ الى سنة ١٤٩٩ — حكمت على عشرة آلاف ومئتين وعشرين شخصاً بأن يحرقوا وهم أحياء فأحرقوا وعلى ستة آلاف وثمانمائة وستين بالشنق بعد التشهير فشهروا وشنقوا وعلى سبعة وتسعين ألفاً وثلاثة وعشرين شخصاً بعقوبات مختلفة فنفذت ثم أحرقت كل توراة بالعبرية

ماذا كانت وسائل التحقيق عند هذه المحكمة « المقدسة » ؟ وسيلة واحدة هي ان يحبس المتهم وتجري عليه أنواع العذاب المختلفة بآلات التعذيب المتنوعة الى أن يعترف بما نسب اليه وعند ذلك يصدر الحكم ويعقبه التنفيذ . قرر مجمع لاتران سنة ١٥٠٢ ان يلعن كل من ينظر في فلسفة ابن رشد . وطفق الدومينكان يتخذون من ابن رشد ولعنه ولعن من ينظر في كلامه شيئاً من الصناعة والعبادة لكن ذلك لم يمنع الامراء وطلاب العلوم من كل طبقة من تلمس الوسائل للوصول الى شيء من كتبه وتحلية العقول ببعض أفكاره

اشتدت محكمة التفتيش في طلب أولئك المجرمين طلاب العلم والسعاة الى كسبه ونيط بها كشف البدعة والحكم فيهما مهما اشتد خفاؤها — في المدن . في البيوت . في السراديب . في الأنفاق . في المخازن . في المطابخ . في المغارات في الغابات . وفي الحقول . فوفت بما كلفت به مع البهجة والسرور اللائقين بأصحاب الغيرة على الدين عملا بالقول الجليل « ما جئت لالقي سلاما بل سيفاً »

كان يؤخذ الرهبان في صوامعهم ، والقسوس في كنائسهم ،

والاشراف في قصورهم ، والتجار بين بضائعهم ، والصناع في مصانعهم ، والعامة في بيوتهم ومزارعهم ، وحيثما وجدوا ، واينما ثقفوا ، ويوقفون أمام المحكمة وتصدر الأحكام عليهم يوم اتهامهم

قرر مجمع لاتران ان يكون من وسائل الاطلاع على أفكار الناس الاعتراف الواجب أداؤه على المذهب الكاثوليكي أمام القسيس في الكنيسة (أي الاعتراف بالذنوب طلباً لغفرانها) تذهب البنت أو الزوجة أو الأخت لاجل الاعتراف بين يدي القسيس يوم الأحد فيكون مما تسأل عنه عقيدة أبيها أو زوجها أو أخيها وما يبدر من لسانه في بيته ومايظهر في أعماله بين أهله . فاذا وجد القسيس متلقي الاعتراف شيئاً من الشبهة في طلب العلم غير المقدس على من سأل عنه رفع أمره الى المحكمة فينقض شهاب التهمة عليه فاذا سأل عن الشاهد الذي عول عليه في اتهامه لايجاب وإنما يقام التعذيب مقام شخص الشاهد وهو من أهله حتى يعترف

أوقعت هذه المحكمة المقدسة من الرعب في قلوب أهل أوربا ماخيل لكل من يلمع في ذهنه شيء من نور الفكر اذا نظر حوله أو التفت وراءه ان رسول الشؤم يتبعه وان السلاسل والأغلال أسبق الى عنقه ويديه ، من ورود الفكرة العلمية اليه ، وقال باغليادس ما كان يقوله جميع الناس لذلك العهد : « يقرب من المحال ان يكون الشخص مسيحياً ويموت على فراشه »

حكمت هذه المحكمة من يوم نشأتها سنة ١٤٨١ الى سنة ١٨٠٨ على ثلاثمائة واربعين ألف نسمة منهم نحو مائتي ألف احرقوا بالنار أحياء

اضطهاد المسيحية للمسلمين واليهود والعلماء عامة

لما كان ابن رشد هو الينبوع الذي تفجر منه ماء العلم والحرية في

اوربا على زعم القسوس وكان ابن رشد استاذاً يتعلم عنده كثير من اليهود وقد اتهموا بنشر افكاره وآرائه ثم هو مع ذلك مسلم صب غضب الكنيسة على اليهود والمسلمين معاً فصدر الأمر فى ٣٠ مارس سنة ١٤٩٢ بأن كل يهودي لم يقبل المعمودية فى أيّ سن كان وعلى أي حال كان يجب ان يترك بلاد اسبانيا قبل شهر يوليو (تموز) ومن رجع منهم الى هذه البلاد عوقب بالقتل وأبيح لهم ان يبيعوا مايملكون من عقار ومنقول بشرط ان لا يأخذوا فى الثمن ذهباً ولا فضة وإنما يأخذون الأثمان عروضاً وحوالات . ومن ذا الذى يشترى اليوم بثمن ما يأخذه بعد ثلاثة أشهر بلا ثمن ؟ (يعني ان أموال اليهود تكون مباحة بعد جلائهم الذى يتم فى يوليو) . وصدر أمر توركماندو ان لا يساعدهم أحد من سكان اسبانيا فى أمر من امورهم . وهكذا خرج اليهود تاركين كل مايملكون ناجين بارواحهم على انه لا نجاة لكثير منها فقد اغتالها الجوع ومشقة السفر مع العدم والفقر

وفى فبراير (شباط) سنة ١٥٠٢ نشر الأمر بطرد أعداء الله المغاربة (المسلمين) من أشبيلية وما حولها — من لم يقبل المعمودية منهم يترك بلاد اسبانيا قبل شهر ابريل (نيسان) وأبيح لهم أن يبيعوا مايملكون على الشرط الذى وضع لليهود . ولكن وضع للمسلمين شرط آخر وهو أن لا يذهبوا فى طريق يؤدي الى بلاد إسلامية ومن خالف فجزاؤه القتل . فهؤلاء المساكين نفوا جميعاً الى القتل ان لم يكن قتل الجزاء عند الرجوع فالموت ملاقيهم بالتعب مع العرى والجوع

الا يعجب القارئ اذا رأى ان برونو يحرق بالنار حياً بعد حبس طويل سنة ١٦٠٠ لأنه قال بقول الصوفية فى وحدة الوجود وقال ان

هذا العالم يحتوي على عوالم كثيرة . الحمد لله رب العالمين

ظهر القول بكروية الأرض — ذلك الأمر الذي عرفه المسلمون وصار رأياً لهم فى أول خلافة بني العباس ولم تحرك له شعرة فى بدن — فأحدث اضطراباً شديداً فى عالم النصرانية ولا يسع هذا المقال ما وقع من الحوادث فى شأنه

هل يصدق القارئ ان ماقصده كريستوف كولمب من السفر فى المحيط الاطلانطيقى لعله يكتشف ارضاً جديدة كان من الأمور التي اهتمت لها الكنيسة وحكم مجمع سلامانك بأنه مخالف لأصول الدين ثم أعيد النظر فيه وعرض على أقوال الآباء من كريزيستوم واوغستين وجيروم وغريغوار وبازيل وانبرواز وعلى رسائل الرسل والأناجيل والنبوات والزبور والاسفار الخمسة ولم ينتج هذا العرض شيئاً . ولكن ساعده على ماقصد بعض الملوك رغم الكنيسة كما هو معلوم . قال كريستوف كولمب ان الذي أوحى اليه هذا القصد النبيل هي كتب ابن رشد . من هنا نفهم لم قامت له الكنيسة وقعدت .

ما أشد تمسك الكنيسة بهذا الأصل الجليل « السلطة للقسوس والطاعة على العامة » كل رأي لم يصدر عن ذلك المصدر الديني الذي يربط ويحل في الارض والسماء فهو باطل تجب مقاومته بكل مايستطاع . لهذا حكم على غاليلي الذي ذهب الى ان حركة الكواكب هي على النظام المعروف عند الفلكيين اليوم

مقاومة الكنيسة للحقن تحت الجلد : هل تدري ماذا حصل من المقاومة لادخال الحقن تحت الجلد بمادة المرض ؟ اكتشفت هذه الطريقة

الطبية عند المسلمين في الاستانة ثم نقلتها الى اوروبا أمرأة تسمى ماري مونتاجو سنة ١٧٢١ فقامت قيامة القسوس وعارضوا في استعمالها واحتيج في تعضيدها الى التماس المساعدة من ملك انكلترا وعادت هذه الشدة في المعارضة عندما اكتشفت طريقة تطعيم الجدري

مقاومة تسهيل الولادة : أيّ مقاومة لم يلاقها اكتشاف تخدير المرأة عند الولادة حتى لاتحس بألم الطلق . اكتشاف أميركاني رأت حضرات القسوس فيه انه يخلص المرأة من تلك اللعنة أو تلك العقوبة التي سجلت عليها في سفر التكوين (إذ جاء فى الاصحاح الثالث منه : « وقال للمرأة تكثيراً اكثر اتعاب حملك بالوجع تلدين اولاداً »)

مقاومة السلطة المدنية وحرية الاعتقاد : نشر البابا منشورا فى سنة ١٨٦٤ جاء فيه لعن كل من يقول بجواز خضوع الكنيسة لسلطة مدنية او جواز ان يفسر أحد شيئاً من الكتب المقدسة على خلاف ما ترى الكنيسة أو يعتقد بان الشخص حر فيما يعتقد ويدين به ربه . وفي منشور له سنة ١٨٦٨ ان المؤمنين يجب عليهم أن يفدوا نفوذ الكنيسة بأرواحهم وأموالهم وعليهم أن ينزلوا لها عن آرائهم وافكارهم ودعا الروم الارثوذكس والبروتستانت الى الخضوع للكنيسة الرومانية على هذا الوجه

في سنة ١٨٧١ كان النزاع بين حكومة بروسيا والبابا في عزل استاذ في إحدى الكليات رأى رأيا لا يروق للحزب الكاثوليكي فحرمه البابا وطلب من الحكومة عزله وكانت إحدى المعضلات السياسية غير ان عزيمة بسمارك نصرت مدنية القرن التاسع عشر على سلطان الكنيسة وأبقت الاستاذ وجعلت التعليم تحت السلطة المدنية

مقاومة الجمعيات العلمية والكتب : لا أذكر الجمعيات العلمية (الاكاديميات) التي الغيت والاجتماعات التي عطلت لالشيء كان فيها سوى هداية البشر الى منافعهم وتنوير بصائرهم بكشف ما احتجب عنهم من سر الخليقة بالبحث النظري ومن الطريق العقلي من غير استشارة المسيطر الالهي وهو الكنيسة . ولكن أذكر شيئاً واحدا وهو ان الكردينال اكسيمنيس أحرق في غرناطه ثمانية آلاف كتاب بخط القلم فيها كثير من ترجمة الكتب المعوّل عليها عند علماء أوربا لذلك العهد

البروتستانت او الاصلاح

ربما يقول قائل ان هذا الذي ذكرت هو عمل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ولكن قد قام في المسيحية مصلحون يرون إرجاع الدين الى أصل الكتب المقدسة ويبيحون لعامة أهل الدين ان ينظروا فيها ويفهموها وقد رفعوا تلك السيطرة عن الضمائر والعقول ومن عهد ظهور الاصلاح والرجوع الى أصول الدين الأولى بزغت شمس العلم بالمغرب وبسط للعلم بساط التسامح وذلك لا يمكن أن يكون الاجريا مع طبيعة الدين

لا أذكر في الجواب عن ذلك الا ما ذكر البروتستانت أنفسهم في تاريخ الاصلاح : استمرت عقوبة الموت قانونا يحكم به على كل من يخالف معتقد الطائفه وقد أمر كلفان [1] باحراق سيرفيت في جنيف لأنه كان يعتقد إن الدين المسيحي كان قد دخل عليه شيء من الابتداع قبل مجمع نيقه . وكان يقول: ان روح القدس ينعش الطبيعة بأسرها . فكان جزاؤه على هذا ان شوي على النار حتى مات وهكذا أحرق فاتيي في تلوز سنة ١٦٢٩

(١) كلفان هو الزعيم الثاني للبروتستانت ولوتر الأول

كان لوتير أشد الناس أنكارا على من ينظر في فلسفه ارسطو وكان ذلك المصلح يلقب هذا الفيلسوف بالخنزير الدنس الكذاب ونحو ذلك من الألقاب التي لا بأس بها اذا صدرت من أهل الغيرة على الدين في طريق الدفاع عنه !! وكان كلفان أقل شتما للفيلسوف من لوتير لكنه لم يكن أحسن ظنابه ولا أوسع صدرا لمن يطلع على شيء من كتبه. وكان علماء المسلمين يلقبون هذا الفيلسوف «المعلم الاول» فتأمل الفرق بين الفريقين !!

قالوا : البروتستانت قاموا يطالبون بالحرية في فهم الكتب المقدسة وبابطال السلطة على غفران الذنوب والتجارة ببيع الثواب والسعادة الاخروية وابطال عبادة الصور . ولكنهم لم يغيروا شيئاً من الاعتقاد بان الكتب المقدسة هى نبراس الهداية في طريق العلم البشري كما انها منبع نور الإيمان بالدين الالهي وانه لا يباح للعقل أن ينساق في نظره الى ما يخالف شيئاً مما حوته وأنه لا حاجة الى شئ من العلم وراء ما ورد فيها . وبالجملة انهم لم يبطلوا أصلا من الأصول الستة التي تقدمت إلا أنهم قالوا بمنع غلوّ الرؤساء في سلطتهم المبنية على الاصل الثاني في سابق قولنا

قالوا : ولهذا لم يكن مذهب الاصلاح اخف وطأة على العلم ولا أفضل معاملة له من الكاثوليك لان كلا المذهبين يرجع الى طبيعة واحدة (وهى القائمة على الاصول الستة) ولم يكن لاهل النظر العقلي جزاء في كلا الملتين الا القتل وسفك الدم

لو كنت ممن يحب الجدال فى الدين لعددت فيما ذكرته من عناصر الدين المسيحي ما تضمنه قول بعض الناقدين عند الكلام على الحروب المسيحية واضطهادات الكنيسة « ما أهون الدم على من يمثل فى عبادته اكل

الدم وعلى من يعتقد ان خلاص العالم الانساني من الخطيئة انما كان بسفك الدم البرىء على يد المعتدي الاثيم » لكني فى بحثي هذا لا أريد ان استعمل قوة الخيال، ولا أن أذكر ما يعد من قبيل الجدال، وانما آتي بما هو حكاية حال ، ليس للناظر فيها مقال ،

الفصل بين السلطتين في المسيحية

بقي علينا الكلام فيما جعلته الجامعة أساساً للفصل بين السلطتين الدينية والملكية وبه كانت طبيعة الدين المسيحي ادعى الى التسامح مع العلم في نظرها . لو سلمنا أن في تلك العبارة معنى الفصل كما قالت الجامعة وقال كثير غيرها ممن أرادوا مقاومة السلطة الدينية فماذا يفيد الفصل اذا كان دين الملك نفسه يقضي عليه بمعاداة العلم ؟ أفلا يغلب اعتقاد الملك وما يملك نفسَه مما فيه نجاته الروحية على مطالب الملك ؟ وكم من ملك جعل مصالح مملكته قربانا لسلطان عقيدته . هب ان مصالح الملك تكون دائماً أغلب على النفس من حكم العقيدة وقاهر الايمان والوجدان وقد أقام الدين سلطتين منفصلتين احداهما تحل وتربط في الارض وفي السماء فيما هو من خاصة الدين والأخرى تحل وتربط في الأرض فيما هو من خصائص الدنيا . أفلا يكون هذا الفصل قاضياً بتنازع السلطتين وطلب كل واحدة منهما التغلب على الأخرى فيمن تحت رعايتهما معاً ؟ وهل يسهل على السلطة الدينية أن تدع رعاياها تتصرف في أبدانهم وأموالهم بل وفي عقولهم أيدي الملوك بما تقتضيه مصالح الملك الفاني اذا كان ذلك التصرف مخالفاً لما جاء في كنز المعارف وهو الكتب السماوية وتأويل الرؤساء الروحيين وسنتهم فاذا همت هذه السلطة بالمعارضة أفتصبر الأخرى ؟ هذا هو الذي وقع

في العالم المسيحي منذ ظهرت سلطة الدين

كيف يتسنى للسلطة المدنية أن تتغلب على السلطة الدينية وتقف بها عند حدها والسلطة الدينية إنما تستمد حكمها من الله ثم تمد نفوذها بتلك القوة الى أعماق قلوب الناس وتديرها كيف تشاء . والملك لاقوة له الا بأولئك الناس المغلوبين للسلطة الدينية ؟ لايتأتى للملك أن يغالب تلك القوة الابعد ان يتناول من الوسائل مالا يعد لإضعاف سلطتها . نعم هذا الفصل يسهل التسامح لوكانت الأبدان التي يحكمها الملك يمكنها ان تأتي أعمالها على حدة مستقلة عن الأرواح التي تحيا بها والأرواح كذلك تأتي أعمالها بدون الأبدان التي تحمل قواها

ثم هل هذا هو معنى قول الانجيل ؟ القصة على ماجاء في الانجيل أن بعض المرائين أراد أن يتسقط المسيح ليأخذ عليه مانم به فسأله : أيجوز أن نعطي جزية لقيصر ؟ فأجاب لم تجربوني ائتوني بدينار لأنظر اليه . فأتوه بدينار فقال : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ قالوا له لقيصر فقال : اعطوا مالقيصر لقيصر وما لله لله . فمعناه الظاهر من سياق القصة أن صاحب السكة التي تتعاملون بها اذا ضرب عليكم ان تدفعوا منها شيئاً فادفعوه له أما قلوبكم وعقولكم وجميع ماهو من الله وعليه طابع صنعته فلا تعطوا منه لقيصر شيئاً . والعلم ليس مما عليه طابع قيصر بل عليه طابع الله فلا يمكن أن يكون العلم تحت سلطة غير السلطة الروحانية الدينية . فأي تسامح مع العلم في هذا

﴿ اعتقاد المسلمين في المسيح والمسيحية ﴾

هذا الذي عرضناه من طبيعة الدين المسيحي وأوردناه من مشاربه

فيما بعد نشأته وما وقع من حوادث أهله مع طلاب العلم ورواد المعارف في كل زمن الى مايقرب من أيامنا هذه كل ذلك مأخوذ من تاريخهم الذي كتبوه عن أنفسهم ومن نصوص كتبهم الدينيه التي يتوكؤن عليها فيما ذكرنا من سيرتهم وأعمالهم

أما رأيي ورأي أهل العقيدة الصحيحة من المسلمين فى المسيح عليه السلام ودينه فهو على غير مارآه القارئ . انا نعتقد ان المسيح روح الله وكلمته ورسوله الى بني اسرائيل بعث مصدقا لما بين يديه من التوراة وجاءهم من الدين بما فيه هدى لهم ورشاد فى شؤن معاشهم ومعادهم ولم يطالبهم بتعطيل قوة من قواهم التى وهبهم الله تعالى إياها بل طالبهم بشكر الله تعالى عليها ولا يشكر حق الشكر الا باستعمالها جميعها فيما أعدها الله له . والعقل من أجل القوى بل هو قوة القوى الانسانية وعمادها والكون جميعه هو صحيفته التي ينظر فيها وكتابه الذى يتلوه وكل مايقرأ فيه فهو هداية الى الله وسبيل للوصول اليه . وكل ماصح عندنا عن السيد المسيح لايخالف شيء منه هذا الذى نعتقد . فان صح عنه شيء يكون فى ظاهره مخالفة لهذه الأصول أمكننا تأويله حتى يرجع معناه اليها أووكلنا الامر فيه الى الله وقلنا « لاعلم لنا الا ما علمتنا » .

الدين دين الله وهو دين واحد فى الاولين والآخرين لاتختلف الا صوره ومظاهره . وأما روحه وحقيقة ماطولب به العالمون أجمعون على ألسن الانبياء والمرسلين فهو لايتغير — إيمان بالله وحده وإخلاص له في العبادة ومعاونة الناس بعضهم لبعض فى الخير وكف أذاهم بعضهم عن بعض ماقدروا . وهذا لاينافي الارتقاء فى الدين بارتقاء عقول البشر

واستعدادهم لكمال الهداية . ونعتقد ان دين الاسلام جاء ليجمع البشر كلهم على هـذه الأصول ومن أهم وظائفه ازالة الخلاف الواقع بين أهل الكتاب ودعوتهم الى الاتفاق والاخاء والمودة والائتلاف وهذا ماعمل عليه المسلمون قرنا بعد قرن بحسب قوة تمسكهم بالاسلام

فاذا سأل سائل : اذا كان ذلك الذي قدمت فيما سبق هو اعتراف فضلاء الأوربيين أنفسهم فى منافاة طبيعة الدين للعلم واشتداده فى معاداته فما هذا الانقلاب الذى حصل فى أوربا وما هذا التسامح الذى يتمتع به العلم اليوم فى أقطارها ؟ فجوابه فى الكلام على الامر الرابع مما ذكرت الجامعة وهو يكون بعد عرض طبيعة الدين الاسلامي وما يليق أن يكون له مع العلم وما انجرّ اليه الحال بمقتضى تلك الطبيعة وما عرض عليها مما سترها وحال بينها وبين أثرها في أخريات الأيام؟ وسنوجز القول فيه كما أوجزناه فيما مضى

باب الاسئلة والاجوبة

(س ١) غمغمة المتصوفة من الشيخ عبد الله عبد الرحمن بالقايات : قال بعد كلام يعرّض فيه بعلماء التقليد وعدم الثقة بهم ويثني فيه على المنار ما نصه

« ما يرى سيدي فيمن نطق بالشهادتين أو بطلاق امرأته أو بأيّ عقد يحتاج في اعتباره الى صراحة اللفظ نطق به كما تصنعه هذه الفرقة (المتصوفة) في ذكرهم وأريد غمغمتهم . اهو إسلام صحيح ، أو طلاق صريح ، أو عقد معتبر شرعا؟ فان قلتم بصحته كلية فما هذا الذي ينكره الناس على هـذه الطائفة ؟ وان رأيت غيره فأي شئ هو ؟ ألغوٌ من الكلام ، لايثبت به إسلام ، ولا يعطي ما يعطيه اللفظ الصريح من المعاني »

(ج) الغمغمة هي النطق لابيان فيه وأصلها أصوات الثيران عند الذعر وتقع من الناس اضطراراً يقال : غمغم الأبطال عند الكفاح فى الحرب . وهذا هو الذي

يناسب المعنى الحقيقي . فاذا غمغم الانسان مختاراً فإنما يكون لاعباً وهازلا فاذا جاء في هزله بكلمة الشهادة فلا يعتد بها ظاهراً ولا باطنا . أما عدم الاعتداد بها فى الباطن فلأن اللعب بأصـل الدين سخرية وهزء وهو مزيد فى الكفر فكيف يحصـل به الايمان ؟ وأما عدم الاعتـداد بها فى الظاهر فلأنها غير ظاهرة وربما لايعرف غير المغمغم انها وقعت فى غمغمته . ولأن قرينة الهزء والسخرية تصرف الكلام عن ظاهره

ومثل هذا يقال في الطلاق الا أن الفقهاء من الحنفية والشافعية يعتبرون هزل الطلاق جداً فاذا اعترف بأنه في غمغمته نطق بصيغة الطلاق المعتبرة فربما يحكم القاضي عليه بما تقتضيه تلك الصيغة في مذهبه . واذا كان المغمغم يعتقد ذلك فهو يعمل به أيضا

والسائل يعلم ان العقود التى من شأنها أن يحكم فيها الحاكم تكون العبرة فيها بظاهر القول وبالعرف وأما العبادات فالعبرة فيها بما ورد في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة مع الاخلاص في القلب وصحة التوجه الي الله تعالى . فالناس ينكرون على المتصوفة المغمغمين في الذكر انهم اخترعوا لانفسهم عبادة لم يأذن بها الله تعالى في كتابه ولا على لسان رسوله صلى الله عليه و آله وسلم فيتناولهم قوله عز وجل « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله » ويصدق عليهم قوله تعالى « اتخذوا دينهم هزوا ولعباً » ولكل مسلم الحق في انكار كل عبادة لم ترد في الكتاب والسنة في ذاتها أو صورتها فقد أخبرنا الله تعالى في كتابه بأنه أكمل لنا ديننا وأتم علينا به نعمته فكل من يزيد فيه شيئاً فهو مردود عليـه لأنه مخالف للآية الشريفة وللحديث الصحيح « كل من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد »

كل بدعة في الدين فهي ضلالة كما ورد في الحديث وأما البدع التى منها حسن ومنها سيٌ فهى الاختراعات المتعلقة بأمور المعاش ووسائله ومقاصـده وهى المراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة . ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » ولولا ذلك لكان لنا أن نزيد في ركعات الصلاة أو سجداتها والله أعلم

(س ٢) خرافة المشاهرة محمد افندى عباسي السمرة ببولاق : أرجوكم افادتي عن (المشاهرة) وهي ان تدخل امرأة تحمل عقداً من اللؤلؤ على احـدى النساء الواضعات فيكون أثر ذلك في الواضعة انها لاتحبل بعد ذلك أبداً الا أن تأتي بمقدمن اللؤلؤ فتضعه في الماء بشكل مخصوص فانها بعد ذلك تحبل وقد أثبتت كثرة التجارب كثيراً من هذا فهل ورد عنه شئ في الشرع الشريف

(ج) الشرع أباح للناس أو أرشدهم الى البحث عن منافعهم الدنيوية ليستفيدوا مما ثبتت لهم فائدته ويجتنبوا ماثبتت لهم مضرته فلو فرضنا ان التجارب التي ذكرها السائل صحيحة محققة لكان حكمها في الشرع أنه يحرم على المرأة أن تدخل على النفساء بعقد من اللؤلؤ لأنها تضرها بمنع الحبل ثانية لاسيما اذا كان العقد خفياً أو كانت النفساء لاتعرف العلاج أولاتقدر عليه ، وانه يجوز لمن منع حبلها بذلك ان تعالج نفسها بوضع عقد من اللؤلؤ في الماء اذا أرادت ازالة المانع

أما نحن فلا نعتد بتجارب العامة ولاسيما النساء ولا نرضى للسائل أن يصدقهن بهذه المزاعم وكم لهن من أمثالها كزعمهن في الزار ، العاقل يشك في مزاعم هؤلاء الجاهلات اذا كانت في ذاتها قريبة في نظر العقل فكيف يصدقهن فيما يكون بعيداً من النظر كمسألتنا فان العقل لايتصور علاقة لعقد اللؤلؤ بأمر الرحم والتناسل لاسيما في صورة الانفصال والبعد

باب الرد على شبهات المسيحيين

(ايمان المسلمين وأعمالهم)

جاء في الجزء ٨ من مجلة بشائر السلام نبذة تحت هذا العنوان ملخصها انه يجوز على مذهب أهل السنة « ان يؤمن أحد بالاسلام ايماناً حقيقيا وتبقى أعماله شريرة » واعترض الكاتب على هذا اعتراضين احدهما « ان الايمان الذى لاينشئ في صاحبه توبة وعملا صالحاً بل يتركه وسيئاته تفوق حسناته ومضاره تزيد عن منافعه ... فهو ايمان باطل عديم النفع يحط من كرامة الخالق ويزيد في شقاوة المخلوق » . ثانيهما « عجز الايمان المحمدي عن الخلاص التام » وقد أورد الكاتب بعد الاعتراض الأول كلمات من كتب المهديين تدل على أنه يطلب من الانسان أن يكون كاملا ولكنها لاتدل على أن المؤمن يكون معصوماً من الذنوب . وأورد بعد الثاني كلمات تدل على أن الايمان بالمسيح كافٍ للخلاص ولكن لم يشترط مع الايمان عملا صالحاً

لو كان هؤلاء المعترضون يعتقدون بما يقولون لكانت هدايتهم قريبة واقناعهم أقرب ولكنهم يلوكون الكلام ويلوون ألسنتهم بالكتاب ليفتنوا به عامة المسلمين الجهلاء ولايبالون ان كان الكلام حجة عليهم . عهدهم الجديد ناطق بان البر والعمل بالناموس الالهي لايغنيان عن الانسان شيئاً وانما يغني عنه الايمان بالمسيح فقط وبذلك

ينجو ويرث الملكوت وان كان شر الاشرار ، وأفجر الفجار ، والقرآن لايكاد يذكر الايمان الامقروناً بذكر العمل الصالح . وورد في السنة الصحيحة أن الايمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالاركان . وهذه السنة مؤيدة بخمس وسبعين آية من القرآن . وهذا ماعدا الآيات التي ذكر فيها العمل الصالح بدون ذكر الايمان

قال تعالى « وإني لغفَّارٌ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » وقال عزوجل « ليس بأمانيِّكُم ولا أمانيِّ أهلِ الكتاب . مَنْ يعمل سوءًا يُجزَ به ولايجِدْ له من دون اللهِ وليّاً ولا نصيراً . ومَنْ يعملْ من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمنٌ فاولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيراً » وقال جل ذكره « انما المؤمنون الذين اذا ذُكِرَ الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا » وقال تقدست أسماؤه « والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصَوْا بالحق وتواصوا بالصبر » فهذه السورة القصيرة أجمع للفضائل وأبلغ في الهداية من جميع الكتب التي في العالم سماوية كانت أو غير سماوية وهي كافية لاتكون دينا مستقلا لقوم يتدبرون

ان الشبكة التي يصيد بها الجاهلين هذا الكاتب وأمثاله الى المسيحية هي أن خلاص الانسان محصور في ان يؤمن — أي يقول وان لم يعقل — ان الاله مركب من ثلاثة أصول كل واحد منها عين الآخرين فالثلاثة واحد وان احد الثلاثة وهو الابن حل في جسم إنسان بواسطة آخر وهو روح القدس فصار هذا الانسان الاله وابن الاله وإنساناً وابن الانسان وصار هو الله ثم انه سلط أعداءه على نفسه فصلبوه واحتمل الألم واللعنة الالهية لاجل خلاص الناس من ذنب أبيهم آدم وذنوبهم لأنه لم يجد غير هذه الطريقة لخلاص عباده

لايطلب هذا الكاتب وأمثاله ممن يدعوهم الى دينه الا هذا القول الذي لايعقل ولا يحمل النفس على عمل صالح بل يجرئها على جميع المعاصي والجاهل يحب أن تباح له المعاصي ويكون ناجياً بكلمة يقولها . فاذا كان دعاة النصرانية قد بدا لهم أن يشترطوا مع هذه الكلمة التي يسمونها إيماناً ترك المعاصي والأعمال الصالحة فأية مزية لدينهم غير تلك الكلمة التي لاتعقل ولا تفهم ؟ الا يعلم انه اذا دعا مسلماً الى دينه وطالبه بترك المعاصي وبعمل الصالحات فانه لايستطيع أن يصيده مهما كان جاهلا لانه يقول ان هذا يكلفني بمثل مايكلفني به ديني ويزيد علي ثقلا آخر وهو الايمان بما لا أعقله ولا أفهمه

وهو أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحـد وان الله عجز عن انجاء الناس بدون أن يهين ذاته العلية بالحلول في أحدهم وبالتألم وبلعن نفسه

المسلمون يعتقدون أن الايمان يهذب الاخلاق ويصلح الاعمال وأنه يجوز مع ذلك ان تغلب على المؤمن شهوته أو غضبه فيعمل شراً لاسيما اذا لم يترب على أعمال الايمـان من النشأة الأولى ولكنه يرجع ويتوب عن قريب قال تعالى « ان الذين اتّقوا اذا مسّهم طائفٌ من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون » وقال سبحانه « إنما التوبة على الله للذين يعـملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم » ومن التوبة أن يعمل صالحاً يكفّر سيئته « ان الحسـنات يذهبن السيئات » فاذا قصّر فهو تحت مشيئة الله

فتبين مما ذكرنا بالاختصار أن الايمان عند المسلمين يثمر الاعمال الصالحة وان العمل لاقيمة له في ايمان النصارى . أما قول مجلة بشائر السـلام في نتيجة الاعتراض الاول : « وبناء على ماتقدم كل ايمان لايكون الكمال غايته والتقوى ثمرته فهو اما ايمان كاذب بالإله الحق كايمان النصارى بالاسم واليهود بالاسم أو ايمان صادق لكنه بإله باطل خيالي قائم على الاوهام » . فهو مسـلم ولقد أنصفت فيما كتبت عن ايمـان النصارى ولم يكن من شأنها ذلك فان ايمانهم ليس الا أسماء سموها وأقوالا لا تعدو الفم لان العقل ينكرها ، ولايستطيع أن يتصورها . وأما قولها بعد ذلك « وأظنك لم تنس ذكر القوم الذين هم على الاسلام بالاجماع وهم مع ذلك من أهل العصيان والفجور بحيث يحكم عليهم بالسجن في جهنم مدة لاتنقص عن تسعمائة سنة ولاتزيد عن سبعة آلاف » الخ . فهذا التحديد فيه لم يصح في كتاب ولاسنة فهو لايعتد به عند المسلمين وان ذكر في بعض الكتب فكم في الكتب من أحاديث موضوعة وأقوال مكذوبة ولاحجة علينا الا في القرآن الكريم والاحاديث الصحيحة . وأما كلام المؤلفين في أمور الآخرة فلا يعتد به مالم يكن منقولا على انه لايجب الايمان فيما يتعلق بعالم الغيب كأحوال الآخرة الا بالقرآن والاحاديث المتواترة وهي قليلة جـدا . وهـذا الذي قلناه هو الاصل المعول عليه عند المسلمين

وأما قوله تعالى « وان منكم الا واردها » فليس خطابا للمسلمين كما زعم الكاتب لان الآيات التي قبلها كلها في الكفار فقيل ان الخطاب لهم خاصة وقيل انه عام والمراد بورود المؤمنين حينئذ المرور عليها والجثوّ عندها قبل دخول الجنة وبذلك يعرفون مقدار نعمة الله تعالى عليهم بدخول الجنة

(كلمتان) أختم هذا الرد بكلمتين أولاهما للمسلمين الذين يرسلون الينا هـذه الجرائد لنرد عليها : لايحزنكم أيها المسلمون هذا الاعتداء الذى لم تعتادوه ولا تعدوه من سيئات حرية المطبوعات فهو من حسناتها لأن هذا الاعتـداء على الطعن بدينكم هو الذى يوقظكم من نومكم ويبعث فيكم شعور البحث والاستدلال ويحيي فيكم روح الغيرة الملية والمباراة القوميه حتى تعرفوا حقائق دينكم بالبراهـين والدلائل والبحث لايزيد الحق الا ظهوراً

والكلمة الثانية للنصارى المعـترضين ، الذين يسمون أنفسهم مبشرين ، وهي : اننا نعتقد انكم تطعنون بدين الاسلام الذى لولاه لايثبت دين في هـذا العصر المنير مأجورين لا معتقدين بمـا تقولون وما تكتبون . ولذلك يترك أحدكم التبشير اذا عزل من الجمعية ومنع عنـه الراتب الذى كان له . ولو كنتم تعتقدون بالدين لعلمتم ان دين الله واحد وهو تنزيه الباري وتوحيده والاخلاص في عبادته وترك الشرور وعمل البر ونفع العباد . وكنتم ترون ان الاسلام قد خدم العالم الانساني بهذا الاصلاح المنقح وانه هو دين الانبياء أجمعين ظهر في أكمل ارتقاء وأخرج أهل الكتاب من الخلاف والمشكلات ولكن الهوى يصدكم عن هذا فاعملوا على مكانتكم انا عاملون ، وانتظروا انا منتظرون ،

باب الاخبار والآراء

المصريون في أوربا وسوء التقليد

لما ولع أمراء المصريين وكبراؤهم بالاصطياف في أوربا دب فساد التقليد في في نفوس الطبقات المتوسطة المتصلة بهم فصار الكثيرون منهم يهاجرون الى أوربا لتبذير الاموال ، واقتباس أسوء الخلال ،

وقد علمنا أن شيخاً من هؤلاء استدان مبلغا من المال وسافر به الى باريس وقد أتحف بنتاً له في المدرسة السنية برقعة بريدية مصورة (كرت بوستال) أرسلها اليها في البريد . ولوعلم القراء ماهي الصورة التى عليها لكان لهم عبرة في هذا التقليد الضارّ ولايكون التقليد الاضارا

تلك الصورة هى صورة أشهر بَغيّ من مومسات باريس وقد صورت على الرقعة عارية لترغيب الفساق بالاقبال عليها وكتب تحت الصورة وصفها ووصف مكانها وكتب الشيخ المصري لبنته تحت تلك الكتابة الفرنسوية أنظري يابنتي ما أجمل هـذه الغادة

الباريسيه !!! فماذا نرجو من رجال يربُّون بناتهم هذه التربية وكيف نقول ان البنات ملومات على فساد أخلاقهن وأدبهن ؟ ولو أن ناظرة المدرسة السنية اطلعت على هذه الرقعة مع البنت لطردتها من المدرسة وأنّى لها بالاطلاع عليها•

ولايتوهن أحد أن هذا الشيخ الجاهل هو من شيوخ العلم أوشيوخ الطريق • كلا انه من المتعممين الذين ليس لهم لقب أفندى أوبيك

﴿ ابن الرشيد وابن سعود فى نجد ﴾

قد استولى ابن سعود على القسم الجنوبي من بلاد نجد الى حدود بلاد اليمن فصار في يده نصف البلاد أو يزيد ، والباقي فى يد ابن الرشيد ، ويود جميع الاهالي لو خلصت الامارة لابن سعود لأنه أعلم وأرحم، وابن الرشيد أجهل وأظلم، والاميران الآن فى شبه هدنة لان ابن الرشيد يتوقع اعانة الدولة العلية وامدادها اياه بالرجال والسلاح وهذا دليل على معرفته بعجزه • وعندنا ان الحكمة في عدم دخول الدولة العلية في هذا الامر بالفعل لأن عاقبة ذلك وخيمة جداً • والخطر متوقع على كلا الحالتين الآتيتين — اذا خلصت الامارة لابن سعود من غير أن تحاربه الدولة فانه يكون مواليا لها وخاضعا لامرها كابن الرشيد أوأشد ولاء وخضوعاً • واذا غاب على أمر البلاد بعد مناوأة من الدولة فيخشى أن يسقط نفوذها من قلب البلاد العربية وهذا أحد الخطرين • وأما الخطر الثاني وهو أشدهما فهو ماينتظر من احتماء ابن سعود بدولة انكلترا اذا جردت الدولة عليه جيشا لاقبل له به • ولولا أن وصل الى آذاننا شيءٌ من الهمسات الخفية التي يتناجى بها سعاة الفتن في بلاد العرب لما كان يخطر في بالنا أن يكون شيءٌ من هذا وقانا الله و بلاد العرب من عواقب هذه الفتن

لهذا قلنا ان من الحكمة أن لاتبدئ الدولة العلية أحد الخصمين بالفعل ولا شك ان العاقبة الحسنة تكون لها اذا اتقت هذين الخطرين (والعاقبة للمتقين)

(غلط فى الجزء ١٠) في السطر ٦ من الصفحة ٣٧٠ كلمة دعث والصواب (وعث) وهي الأرض التي تغيب فيها الأقدام للينها • وفي السطر ١٣ منها بجبل والصواب (بحبل) . وفي س ٢٠ من ص ٣٨٠ كلمة من وصوابها (في) وفي البيت ١٧ من ص ٣٩٢ (دبنارا) والصواب (يثارا) وفي البيت ٢٢ منها (ينارا) والصواب (دينارا) فليصحح

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر في يوم الجمعة ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ — ١٩ ستمبر (ايلول) سنة ١٩٠٢ ﴾

﴿ الاسلام والنصرانية • مع العلم والمدنية ﴾

﴿ وهو المقال الثالث لذلك الامام الحكيم • والاستاذ العليم ﴾

﴿ طبيعة الاسلام مع العلم بحكم أصوله ﴾

(تمهيد للاصل الاول) للاسلام في الحقيقة دعوتان -- دعوة الى الاعتقاد بوجود الله وتوحيده ودعوة الى التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم • فأما الدعوة الاولى فلم يعول فيها الا على تنبيه العقل البشري وتوجيهه الى النظر في الكون واستعمال القياس الصحيح والرجوع الى ماحواه الكون من النظام والترتيب وتعاقد الاسباب والمسببات ليصل بذلك الى أن للكون صانعاً واجب الوجود عالماً حكيما قادراً وان ذلك الصانع واحد لوحدة النظام في الاكوان • وأطلق للعقل البشري ان يجري في سبيله الذي سنته له الفطرة بدون تقييد فنبهه الى أن خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وتحريك الرياح على وجه يتيسر للبشر أن يستعملها

في تسخير الفلك لمنافعه وإرسال تلك الرياح لتثير السحاب فينزل من السحاب ماء فتحيىَ به الارض بعد موتها وتنبت ماشاء الله من النبات والشجر مما فيه رزق الحي وحفاظ حياته — كل من آيات الله عليه أن يتدبر فيها ليصل منها الى معرفته

ثم قد يزيده تنبيهاً بذكر أصل للكون يمكن الوصول الى شيء منه بالبحث في عوالمه فيذكر ما كان عليه الأمر في أول خلق السموات والأرض كما جاء في آية: « أَولَم يرَ الذين كفرُوا انَّ السَّموات والأرضَ كانتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُما وجعلْنَا مِنَ الماء كل شيْءٍ حيٍّ أفلَا يُؤْمِنُونَ » ونحوها من الآيات . وهو إطلاق لعنان العقل ليجري شوطه الذي قدر له في طريق الوصول الى ما كانت عليه الأكوان . وقد يزيد التنبيه تأثيراً في إيقاظ العقل ما يؤيد ذلك من السنة كما جاء في خبر من سأل النبي صلى الله عليه وآله : أين كان ربنا قبل السموات والأرض فاجابه عليه السلام : « كان في عماء تحته هواء »[1] والعماء عندهم السحاب . فترى القرآن في مثل هذه المسألة الكبرى لايقيد العقل بكتاب ، ولا يقف به عند باب ، ولا يطالبه فيه بحساب ؛ فليقرأ القارىء القرآن يغنني عن سرد الآيات الداعية الى النظر في آيات الكون — « أولم ينظرُوا فِي ملكوتِ السَّموات والأرضِ وما خلق الله من شيء » . « وآيةٌ لهم الأرضُ المَيْتَةُ أحييناها وأخرجنا منها حبًّا فمنهُ يأْكُلون » — « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلافُ أَلسنتِكُمْ وَأَلْوانكُمْ » وأمثال ذلك . فلو أردت سرد جميعها لأتيت

(١) رواه ابن جرير والطبراني وابو الشيخ في العظمة عن أبي رزين السائل (رض)

باكثر من ثلث القرآن بل من نصفه في مقالي هذا .

يذكر القرآن إجمالا من آثار الله في الاكوان تحريكا للعبرة ؛ وتذكيراً بالنعمة ؛ وحفزاً للفكرة ؛ لا تقريراً لقواعد الطبيعة ؛ ولا إلزاما باعتقاد خاص بالخليقة ؛ وهو في الاستدلال على التوحيد لم يفارق هذا السبيل ، انظر كيف يقرع بالدليل ، « لوكانَ فيهما آلهةٌ الا اللهُ لَفَسدَتَا » « ما اتَّخَذَ الله من وَلَدٍ وماكان معه منْ إلَهٍ إذاً لَذَهَبَ كل إِلَهٍ بما خَلَقَ ولَعَلَا بعضُهم على بعضٍ سبحانَ اللهِ عمَّا يَصِفُون »

فالاسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالايمان بالله ووحدانيته لايعتمد على شيء سوى الدليل العقلي ؛ والفكر الانساني الذي يجري على نظامه الفطري ، (وهو ماتسميه بالنظام الطبيعي) فلا يدهشك بخارق للعادة ، ولا يغشي بصرك بأطوار غير معتادة ، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية ، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة آلهية ، وقد اتفق المسلمون الا قليلا ممن لايعتد برأيه فيهم على ان الاعتقاد بالله مقدم على الاعتقاد بالنبوات وانه لايمكن الايمان بالرسل الا بعد الايمان بالله . فلا يصح ان يؤخذ الايمان بالله من كلام الرسل ولا من الكتب المنزلة[1] فانه لايعقل ان تؤمن بكتاب أنزله الله الا اذا صدقت قبل ذلك بوجود الله وبأنه يجوز ان ينزل كتاباً أو يرسل رسولا .

وقالوا كذلك ان أول واجب يلزم المكلف أن يأتي به هو النظر

(١) المنار — أى لا يؤخذ منها بالتسليم بناءً على انها من الله ولا ينافي هذا أن يؤخذ الايمان بالله من كلام الرسل وكتبهم بما يقيمون من البرهان على ذلك لا بمجرد التسليم ولا باعتبار أنهم رسل الله ثم بعد الايمان بالله وبهم يكمل ايمانه بالاخذ عنهم

والفكر لتحصيل الاعتقاد بالله لينتقل منه الى تحصيل الايمان بالرسل وما أنزل عليهم من الكتاب والحكمة

وأما الدعوة الثانية فهي التي يحتج بها الاسلام بخارق العادة وما أدراك ماهو الخارق للعادة الذي يعتمد عليه الاسلام ، في دعوته الى التصديق برسالة النبي عليه السلام ، هذا الخارق للعادة هو الذي تواتر خبره ، ولم ينقطع أثره ، هذا هو الدليل وحده وما عداه مما ورد في الأخبار سواء صح سندها او اشتهر أو ضعف أو وهى فليس مما يوجب القطع عند المسلمين . فاذا أورد في مقام الاستدلال فهو على سبيل تقوية العقد لمن حصل أصله ، وفضلٌ من التأكيد لمن سلمه من أهله ، ذلك الخارق المتواتر المعول عليه في الاستدلال لتحصيل اليقين هو القرآن وحده . والدليل على انه معجزة خارقة للعادة تدل على ان موحيه هو الله وحده وليس من اختراع البشر هو انه جاء على لسان أمي لم يتعلم الكتاب ولم يمارس العلوم وقد نزل على وتيرة واحدة هادياً للضال مقوما للمعوج كافلا بنظام عام لحياة من يهتدي به من الأمم منقذاً لهم من خسران كانوا فيه وهلاك كانوا أشرفوا عليه . وهو مع ذلك من بلاغة الأسلوب على مالم يرتق اليه كلام سواه حتى لقد دعي الفصحاء والبلغاء ان يعارضوه بشيء من مثله فعجزوا ولجأوا الى المجالدة بالسيوف وسفك الدماء واضطهاد المؤمنين به الى ان ألجأوهم الى الدفاع عن حقهم وكان من أمرهم ما كان من انتصار الحق على الباطل وظهور شمس الاسلام تمد عالمها بأضوائها ، وتنشر أنوارها في جوائها ،

وهذا الخارق قد دعا الناس الى النظر فيه بعقولهم وطولبوا بأن يأتوا

في نظرهم على آخر ماتنتهي اليه قوتهم فإما وجدوا طريقاً لابطال إعجازه أو كونه لايصلح دليلا على المدعى فعليهم ان يأتوا به . قال تعالى : « وإن كنتُم في رَيبٍ ممَّا نزّلنا على عبدِنا فأْتُوا بسورة من مثله » وقال : « أفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآنَ ولَوْ كان من عندِ غيرِ الله لَوَجدوا فيه اختلافاً كثيراً » وقال غير ذلك مما هو مطالبة بمقاومة الحجة بالحجة ولم يطالبهم بمجرد التسليم على رغم من العقل

معجزة القرآن جامع من القول والعلم ، وكل منهما مما يتناوله العقل بالفهم ، فهي معجزة عرضت على العقل وعرفته القاضي فيها وأطلقت له حق النظر في أحنائها ، ونشر ما انطوى في أثنائها ، وله منها حظه الذي لاينتقض . فهي معجزة أعجزت كل طوق ان يأتي بمثلها ، ولكنها دعت كل قدرة ان تتناول ماتشاء منها ، أما معجزة موت حيٍّ بلا سبب معروف للموت أو حياة ميت أو إخراج شيطان من جسم أو شفاء علة من بدن فهي مما ينقطع عنده العقل ، ويجمد لديه الفهم ، وانما يأتي بها الله على يد رسله لإسكات أقوام غلبهم الوهم ، ولم تضئ عقولهم بنور العلم ، وهكذا يقيم الله بقدرته من الآيات ، للأمم على حسب الاستعدادات ،(١)

ثم ان الاسلام لم يتخذ من خوارق العادات دليلا على الحق لغير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم ترد فيه كلمة واحدة تشير الى ان الداعين اليه يمكنهم ان يغيروا شيئاً من سنة الله في الخليقة ولا حاجة الى بيان ذلك فهو أشهر من ان يحتاج الى تعريف

(١) راجع الصفحة ٣٧١ من مجلد المنار الرابع وانظر الكلام في الآيات الكونية والآيات النفسية العلمية

الاصل الأول للاسلام النظر العقلي لتحصيل الايمان

فأول أساس وضع عليه الاسلام هو النظر العقلى . والنظر عنده هو وسيلة الايمان الصحيح فقد أقامك معه على سبيل الحجة وقاضاك الى العقل ومن قاضاك الى حاكم فقد أذعن الى سلطته فكيف يمكنه بعد ذلك ان يجور أو يثور عليه

بلغ هذا الأصل بالمسلمين أن قال قائلون من أهل السنة إن الذي يستقصي جهده في الوصول الى الحق ثم لم يصل اليه ومات طالباً غير واقف عند الظن فهو ناج . فأيُّ سعة لا ينظر اليها الحرج أكمل من هذه السعة

الاصل الثانى للاسلام تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض

أسرع اليك بذكر أصل يتبع هذا الاصل المتقدم قبل أن أنتقل الى غيره : اتفق أهل الملة الاسلامية الا قليلا ممن لا ينظر اليه على انه اذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل وبقي فى النقل طريقان طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه ، وتفويض الامر الى الله فى علمه ، والطريق الثانية تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل . وبهذا الأصل الذى قام على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مهدت بين يدي العقل كل سبيل ، وأزيلت من سبيله جميع العقبات ، واتسع له المجال الى غير حد ، فماذا عساه يبلغ نظر الفيلسوف حتى يذهب الى ما هو أبعد من هذا؟ وأي فضاء يسع أهل النظر وطلاب العلوم ان لم يسعهم هذا الفضاء ؟ ان لم يكن فى هذا متسع لهم فلا وسعتهم أرض بجبالها ووهادها ، ولا سماء بأجرامها وأبعادها ،

أصل ثالث من أصول الاحكام في الاسلام البعد عن التكفير

هلاّ ذهبتُ من هذين الأصلين الى ما اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد أحكام دينهم وهو : اذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مئة وجه ويحتمل الايمان من وجه واحد حمل على الايمان ولا يجوز حمله على الكفر . فهل رأيت تسامحاً مع أقوال الفلاسفة والحكماء أوسع من هذا ؟ وهل يليق بالحكيم أن يكون من الحمق بحيث يقول قولا لا يحتمل الايمان من وجه واحد من مئة وجه ؟ اذا بلغ به الحمق هذا المبلغ كان الاجدر به أن يذوق حكم محكمة التفتيش البابوية ويؤخذ بيديه ورجليه فيلقى فى النار .

أصل رابع في الاسلام الاعتبار بسنن الله في الخلق

يتبع ذلك الأصل الاول فى الاعتقاد – وهو أن لا يعوَّل بعد الانبياء فى الدعوة الى الحق على غير الدليل وأن لا ينظر الى العجائب والغرائب وخوارق العادات – أصل آخر وضع لتقويم ملكات الأنفس القائمة على طريق الاسلام وإصلاح أعمالها فى معاشها ومعادها . ذلك هو أصل العبرة بسنّة الله فيمن مضى ومن حضر من البشر وفى آثار سيرهم فيهم . فما جاء في الكتاب العزيز مقرراً لهذا الأصل « قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبةُ المكذبين – سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ولن تجدَ لِسُنَّتِنَا تحويلاً – فهل يَنْظُرُونَ إلاّ سُنَّةَ الأوَّلين فلن تجدَ لِسُنَّةِ اللهِ تبديلاً ولن تجدَ لِسُنَّةِ اللهِ تحويلاً – أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبةُ الذين من قبلهم » الخ

فى هذا يصرح الكتاب بأن لله في الأمم والأكوان سنناً لا تتبدل

والسنن الطرائق الثابتة التي تجري عليها الشؤون وعلى حسبها تكون الآثار وهي التي تسمى شرائع أو نواميس ويعبر عنها قوم بالقوانين. مالنا ولاختلاف العبارات. الذى ينادي به الكتاب ان نظام الجمعية البشرية وما يحدث فيها هو نظام واحد لايتغير ولا يتبدل وعلى من يطلب السعادة فى هذا الاجتماع أن ينظر فى أصول هذا النظام حتى يرد اليها أعماله ويبني عليها سيرته وما يأخذ به نفسه. فإن غفل عن ذلك غافل فلا ينتظرن الا الشقاء وان ارتفع الى الصالحين نسبه، أواتصل بالمقربين سببه، فمهما بحث الناظر وفكر، وكشف وقرر، وأتى لنا باحكام تلك السنن، فهو يجرى مع طبيعة الدين، وطبيعة الدين لاتتجافى عنه، ولا تنفر منه، فلِمَ لا يعظم تسامحها معه؟

جاء الاسلام لمحو الوثنية عربية كانت أويونانية أو رومانية أوغيرها في أي لباس وجدت، وفي أي صورة ظهرت؛ وتحت أيّ اسم عرفت؛ ولكن كتابه عربي والعربية لغة أولئك الوثنيين، أعدائه الاقربين، وفهم معناه موقوف على معرفة اوضاع اللسان ولا تعرف أوضاعه حتى تعرف مواضع استعمال كلمه وأساليبه، ولن يكون ذلك الا بحفظ مانطق به العرب من منظوم ومنثور وفيه من آدابهم وعاداتهم واعتقاداتهم مايعيد عند الناظر في كلامهم صورة كاملة من جاهليتهم وما فيها من الوثنية وأطوارها. هكذا صنع المسلمون الأولون — ركبوا الاسفار، وأنفقوا الاعمار، وبذلوا الدرهم والدينار، في جمع كلام العرب وحفظه وتدوينه وتفسيره توسلاً بذلك الى فهم كتابهم المنزل فكانوا يعدون ذلك ضرباً من ضروب العبادة، يرجون من الله فيه حسن المثوبة، فكان من طبيعة الدين أن لا يحتقر العلم للدين الذى ولد هو فيه. بل قد يكون من الدين علم ماليس منه متى حسنت النية

في تناوله. وهذا باب من التسامح لا يقدر سعته الا أهل العلم به. أما المسيحيون الاولون فقد هجروا لسان المسيح عليه السلام سريانيا كان او عبرانيا وكتبوا الاناجيل باللغة اليونانية ولم يكتب في العبرية الا انجيل متىّ فيما يقال. الاترى أن اسم الانجيل نفسه يوناني؟ كل ذلك كراهة لليهود الذين كان ينطق المسيح بلسانهم ويعظهم بلغتهم. وتحرُّجا من النظر فى دواوين آدابهم، وما توارثوا من عاداتهم

الاصل الرابع للاسلام قلب السلطة الدينية «١»

أصل من أصول الاسلام انتقل اليه وما أجله من أصل — قلب السلطة الدينية والإتيان عليها من أساسها. هدم الاسلام بناء تلك السلطة ومحا أثرها حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله اسم ولا رسم. لم يدع الاسلام لأحد بعد الله ورسوله سلطاناً على عقيدة أحد ولاسيطرة على ايمانه (على ان الرسول عليه السلام كان مبلغا ومذكراً لامهيمناً ومسيطراً. قال تعالى « فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ») ولم يجعل لاحد من أهله أن يحل ولا أن يربط لافى الارض ولا في السماء. بل الايمان يعتق المؤمن من كل رقيب عليه فيما بينه وبين الله سوى الله وحده، ويرفع عنه كل رق الا العبودية لله وحده، وليس لمسلم مهما علا كعبه فى الاسلام على آخر مهما انحطت منزلته فيه الا حق النصيحة والارشاد. قال تعالى فى وصف الناجين: « وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ » وقال: « وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ

(١) هذا الاصل هو ضد الاصل الثاني من أصول النصرانية (راجع ص٤١٤)

المُفْلِحُونَ » وقال : « فلولا نفر من كلّ فرقةٍ منهم طائفةٌ ليتفقّهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون » فالمسلمون يتناصحون ثم هم يقيمون أمّة تدعو الى الخير وهم المراقبون عليها يردونها الى السبيل السويّ اذا انحرفت عنه. وتلك الأمة ليس لها فيهم الا الدعوة والتذكير، والانذار والتحذير، ولا يجوز لها ولا لأحد من الناس أن يتتبع عورة أحد. ولا يسوغ لقويّ ولا لضعيف أن يتجسس على عقيدة أحد. وليس يجب على مسلم أن يأخذ عقيدته أو يتلقى أصول ما يعمل به عن أحد الا عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. لكل مسلم أن يفهم عن الله من كتاب الله وعن رسوله من كلام رسوله بدون توسيط أحد من سلف ولا خلف. وإنما يجب عليه قبل ذلك أن يحصل من وسائله ما يؤهله للفهم كقواعد اللغة العربية وآدابها وأساليبها وأحوال العرب خاصة فى زمان البعثة وما كان الناس عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم وما وقع من الحوادث وقت نزول الوحي وشئ من الناسخ والمنسوخ من الآثار. فان لم تسمح له حاله بالوصول الى ما يعدّه لفهم الصواب من السنة والكتاب فليس عليه إلا أن يسأل العارفين بهما. وله بل عليه أن يطالب المجيب بالدليل على ما يجيب به سواء كان السؤال فى أمر الاعتقاد أو فى حكم عمل من الاعمال. فليس فى الاسلام ما يسمّى عند قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه

السلطان في الاسلام

لكن الاسلام دين وشرع فقد وضع حدوداً ورسم حقوقاً. وليس كل معتقد فى ظاهر أمره بحكم يجري عليه في عمله. فقد يغلب الهوى. وتحكم الشهوة. فيغمط الحق. أو يتعدى المتعدي الحد. فلا تكمل الحكمة

من تشريع الاحكام الا اذا وجدت قوة لاقامة الحدود. وتنفيذ حكم القاضي بالحق. وصون نظام الجماعة. وتلك القوة لا يجوز ان تكون فوضى فى عدد كثير فلا بد أن تكون فى واحد وهو السلطان أو الخليفة

الخليفة عند المسلمين ليس بالمعصوم. ولا هو مهبط الوحي. ولا من حقه الاستئثار بتفسير الكتاب والسنة. نعم شرط فيه أن يكون مجتهداً أي أن يكون من العلم باللغة العربية وما معها مما تقدم ذكره بحيث يتيسر له ان يفهم من الكتاب والسنة ما يحتاج اليه من الاحكام حتي يتمكن بنفسه من التمييز بين الحق والباطل. والصحيح والفاسد. ويسهل عليه إقامة العدل الذى يطالبه به الدين والأمة معاً.

هو على هذا — لا يخصه الدين فى فهم الكتاب والعلم بالأحكام بمزية، ولا يرتفع به الى منزلة، بل هو وسائر طلاب الفهم سواء، إنما يتفاضلون بصفاء العقل، وكثرة الاصابة في الحكم، (1) ثم هو مطاع مادام على المحجة ونهج الكتاب والسنة، والمسلمون له بالمرصاد، فاذا انحرف عن النهج أقاموه عليه، واذا اعوجّ قوّموه بالنصيحة والإعذار اليه، (2) « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » (3) فاذا فارق الكتاب والسنة في عمله، وجب عليهم ان يستبدلوا به غيره، مالم يكن في استبداله مفسدة تفوق المصلحة

(1) المنار — من شواهد ذلك ارتفاع قدر العلماء على الخلفاء الذين قصروا عنهم فى الفهم والعلم. ألم يأتك نبأ الامام مالك مع الخليفة هرون الرشيد (رحمهما الله) وكيف أنزل الامام الخليفة عن المنصة وأقعده مع العامة عند القاء الدرس لأنه فى رتبة المستفيد (2) من شواهد ذلك قول الخليفة الأول رضى الله عنه فى خطبته (وان زغت فقوموني) راجع ٧٣٤ من مجلد المنار الرابع (3) حديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما (راجع ٧٣٢ من مجلد المنار الرابع)

فيه .[1] فالأمة أو نائب الأمة هو الذي ينصبه ، والأمة هي صاحبة الحق في السيطرة عليه ، وهي التي تخلعه متى رأت ذلك من مصلحتها ، فهو حاكم مدنيٌّ من جميع الوجوه .

ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط الخليفة عند المسلمين بما يسميه الافرنج (تيوكراتيك) أي سلطان إلهي . فان ذلك عندهم هو الذي ينفرد بتلقي الشريعة عن الله وله حق الأثرة بالتشريع ، وله في رقاب الناس حق الطاعة لا بالبيعة وما تقتضيه من العدل وحماية الحوزة بل بمقتضى الأيمان فليس للمؤمن مادام مؤمناً ان يخالفه وان اعتقدانه عدوّ لدين الله ، وشهدت عيناه من أعماله مالا ينطبق على مايعرفه من شرائعه ، لأن عمل صاحب السلطان الديني وقوله في أي مظهر ظهرا هو دينٌ وشرع . هكذا كانت سلطة الكنيسة في القرون الوسطى . ولاتزال الكنيسة تدعي الحق في هذه السلطة الى اليوم كما سبقت الاشارة اليه

كان من أعمال التمدن الحديث الفصل بين السلطة الدينية والسلطة المدنية فترك للكنيسة حق السيطرة على الاعتقاد والأعمال فيما هو من معاملة العبد لربه . تشرع وتنسخ ماتشاء ، وتراقب وتحاسب كما تشاء ، وتحرم وتعطي كما تريد ، وخوّل السلطة المدنية حق التشريع في معاملات الناس بعضهم لبعض . وحق السيطرة على مايحفظ نظام اجتماعهم ، في معاشهم لا في معادهم ، وعدّوا هذا الفصل منبعاً للخير الأعم عندهم . ثم هم يهمون فيما يرمون به الاسلام من انه يحتم قرن السلطتين في شخص واحد .

(1) مثال ذلك ان يكون له عصبية أقوى من الأمة يخشى ان يبيدها بها « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح »

ويظنون ان معنى ذلك في رأي المسلم ان السلطان هو مقرّر الدين وهو واضع أحكامه وهو منفذها والايمان آلة في يده يتصرف بها في القلوب بالإخضاع ، وفي العقول بالإقناع ، وما العقل والوجدان عنده الامتاع ، ويبنون على ذلك ان المسلم مستعبد لسلطانه بدينه . وقد عهدوا ان سلطان الدين عندهم كان يحارب العلم ، ويحمي حقيقة الجهل ، فلا يتيسر للدين الاسلامي ان يأخذ بالتسامح مع العلم مادام من أصوله أن إقامة السلطان واجبة بمقتضى الدين . وقد تبين لك ان هذا كله خطأ محض وبُعدٌ عن فهم معنى ذلك الأصل من أصول الاسلام . وعلمت أن ليس في الاسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة ، والدعوة الى الخير ، والتنفير عن الشر ؛ وهي سلطة خوّلها الله لأدنى المسلمين يقرع بها أنف أعلاهم ، كما خولها لأعلاهم يتناول بها من أدناهم ، ومن هنا تعلم « الجامعة » ان مسألة السلطان في دين الاسلام ليست مما يضيق به صدره ، ويحرج به نفسه عن احتمال العلم ، وقد تقدم مايشير الى ما صنع الخلفاء العباسيون والأمويون الأندلسيون من صنائع المعروف مع العلم والعلماء . وربما أتينا على شيء آخر منه فيما بعد

يقولون : ان لم يكن للخليفة ذلك السلطان الديني أفلا يكون للقاضي أو المفتي أو شيخ الاسلام . وأقول : ان الاسلام لم يجعل لهؤلاء أدنى سلطة على العقائد وتقرير الأحكام . وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهي سلطة مدنية قررها الشرع الاسلامي . ولا يسوغ لواحد منهم ان يدعي حق السيطرة على إيمان أحد أوعبادته لربه أو ينازعه في طريق نظره

الاصل الخامس للاسلام حماية الدعوة لمنع الفتنة عن المسلمين

قالوا : إن الدين الاسلامي دين جهادي شرع فيه القتال ولم يكن

شرع فى الدين المسيحي فى طبيعة الدين روح الشدة على من يخالفه وليس فيها ذلك الصبر والاحتمال اللذان تقضي بهما شريعة المسالمة وهي الشريعة التي وردت فى كثير من الوصايا المسيحية « من ضربك على خدك الايسر فادر له خدك الأيمن من سخرك ميلا فسر معه ميلين » ونحو ذلك . حتى لقد طلبت فيها محبة الاعداء وإن كانت محبة العدو مما لا يدخل تحت الاختيار بل ولا محبة الصديق وانما الاختياري العدل بين الاعداء والاولياء . لكن في ملكوت الله كل شيءٌ مستطاع ولا شيءٌ فيه بمستحيل . قلنا : لكن انظروا هل دفع الشر بالشر عند القدرة عليه وعند عدم التمكن من سواه خاصٌّ بالدين الاسلامي أو هو في طبيعة كل قادر يُعْذِرُ الى خصمه ؟ . ليس القتل في طبيعة الاسلام بل في طبيعته العفو والمسامحة : « خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ » ولكن القتال فيه لردّ اعتداء المعتدين على الحق وأهله الى أن يأمن شرهم ويضمن السلامة من غوائلهم . ولم يكن ذلك للإكراه على الدين ولا للانتقام من مخالفيه . ولهذا لا تسمع في تاريخ الفتوح الاسلامية ، ما تسمعه في الحروب المسيحية ، عند ما اقتدر أصحاب « شريعة المسالمة » على محاربة غيرهم من قتل الشيوخ والنساء والاطفال .

لم تقع حرب إسلامية بقصد الإبادة كما وقع كثير من الحروب بهذا القصد بأيدي المسيحيين . وإنما كان الصبر والمسالمة ديناً عند ما كانت القدرة والقوة تعوزان الدين . وغاية ما يقال إن العناية الالهية منحت الاسلام في الزمن القصير من القوة على مدافعة أعدائه مالم تمنحه لغيره في الزمن الطويل . فتيسر له في شبيبته مالم يتيسر لغيره الا في كهولته أو شيخوخته .

مقابلة بين الاسلام الحربي والمسيحية السلمية

الاسلام الحربيُّ كان يكتفي من الفتح بادخال الارض المفتوحة تحت سلطانه ثم يترك الناس وما كانوا عليه من الدين يؤدون ما يجب عليهم في اعتقادهم كما شاء ذلك الاعتقاد . وإنما يكلفهم بجزية يدفعونها لتكون عونا على صيانتهم والمحافظة على أمنهم فى ديارهم وهم في عقائدهم ومعابدهم وعاداتهم بعد ذلك أحرار لا يضايقون في عمل ولا يضامون في معاملة . خلفاء المسلمين كانوا يوصون قوّادهم باحترام العبّاد الذين انقطعوا عن العامة في الصوامع والاديار لمجرد العبادة كما كانوا يوصونهم باحترام دماء النساء والاطفال ، وكل من لم يعن على القتال . جاءت السنة المتواترة بالنهي عن إيذاء أهل الذمة وبتقرير مالهم من الحقوق على المسلمين (لهم مالنا وعليهم ماعلينا) و (من آذى ذميّاً فليس منّا) واستمر العمل على ذلك ما استمرت قوة الاسلام . ولست أبالي اذا انحرف بعض المسلمين عن هذه الاحكام ، عند ما بدأ الضعف في الاسلام ، — وضيق الصدر من طبع الضعيف — فذلك مما لا يلصق بطبيعته ، ولا يخلط بطينته ،

المسيحية السلمية كانت ترى لها حق القيام على كل دين يدخل تحت سلطانها تراقب أعمال أهله وتخصصهم دون الناس بضروب من المعاملة لا يحتملها الصبر مهما عظم . حتى اذا تمت لها القدرة على طردهم بعد العجز عن إخراجهم من دينهم وتعميدهم أجلَتْهم عن ديارهم ، وغسلت الديار من آثارهم ، كما حصل ويحصل في كل أرض استولت عليها أمة مسيحية استيلاء حقيقياً . لا يمنع غير المسيحي من تعدي المسيحي الا كثرة العدد ، أو شدة العضد ، كما شاهد التاريخ وكما يشهد كاتبوه . ذلك كله لأنه ما جاء ليلقي

سلاما بل سيفاً ولأنه جاء ليفرق بين البنت وأمها والابن وأبيه[١] والاسلام يقول كتابه في شأن الوالدين : « وإن جَاهَدَاكَ على أن تُشْرِكَ بي ما ليسَ لكَ بهِ عِلْمٌ فلا تُطِعْهُمَا وصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا معرُوفاً واتَّبِع سَبِيلَ مَن أَنَابَ اليّ » فهو في اشتداده على المهدين لأمنه لا يقضي بالفرقة بين أب وابن ولا بين أم وبنت . بل يأمر الأولاد المؤمنين ان يصحبوا آباءهم المشركين بالمعروف في الدنيا مع محافظتهم على دينهم

(١) تقدم نص إنجيل متى في هذا . ومثله قول انجيل لوقا ١٥ — ٢٥ و ٢٦ (وقال لهم (يسوع) ان كان احد يأتي اليّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته واخواته حتى نفسه أيضا فلا يقدر ان يكون لي تلميذاً) . وفي الباب ١٩ من هذا الانجيل ما نصه (٢٧ أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم تأتوا بهم الى هنا واذبحوهم قدامي) . وأما أسفار التوراة فقد جاء فيها نحو ذلك في القسوة مع الاهلين المخالفين ومع سائر المحاربين . قال في ١٣ : ٦ — ٩ من تثنية الاشتراع ("واذا اغواك سراً أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذي مثل نفسك قائلا نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من آلهة الشعوب القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض الى أقصاءها فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره بل قتلا تقتله : الخ)

وفي سفر التثنية أيضاً (٢٠ : ١٠ — ١٦) ما نصه (حين تقرب من مدينة لتحاربها الى الصلح فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وان لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها واذا دفعها الرب آلهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأ كل غنيمة أعدائك الذي أعطاك الرب آلهك . وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة جداً منك التي ليست من مدن هؤلاء الامم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب آلهك نصيباً فلا تستبق منهم نسمة ما)

فانت ترى الاسلام من جهة يكتفي من الأمم والطوائف التي يغلب على أرضها بشيء من المال أقل مما كانوا يؤدونه من قبل تغلبه عليهم وبأن يعيشوا في هدوء لا يعكرون معه صفو الدولة ولا يخلون بنظام السلطة العامة . ثم يرخي لهم بعد ذلك عنان الاختيار في شؤنهم الخاصة بهم لا رقيب عليهم فيها الا ضمائرهم . ومن جهة أخرى ينهى أفراد المؤمنين عن مقاطعة ذوي قرباهم من المشركين ويطالبهم بحسن معاملتهم . ففي طبيعته ان يكل أمر الناس في سرائرهم الى ربهم ، وفي طبيعته ان يجير من لا يعتقد عقيدته ، ويحمي من لا يتبع سنته ، وان كان في عمى من الجهالة ؛ وخبل من الضلالة ؛ أفترى انه يصعب عليه بعد ذلك ان يحتمل العلم والعلماء ؛ ويضيقُ به حلمه عن صنع الجميل بالفضل والفضلاء ؛ ممن ينفق عمره فى تقرير حقيقة ؛ أو كشف غامض أو تبيين طريقة . ؟ كلا ثم كلا . فمن بحث ونقب ، وسبر ونقر ، أو شق الأرض ، أو ارتقى الى السماء ، فهو فى أمن من ان يعرض الاسلام له فى شيء من عمله الا أن يحدث شغباً ، أو يفسد أدباً ، فعند ذلك تمتد يد الملك لردّ كيد الكائد ، وإصلاح الفاسد ، بسماح من الدين

الاصل السادس مودة المخالفين في العقيدة (١)

المصاهرة — أباح الاسلام للمسلم أن يتزوج الكتابية نصرانية كانت أو يهودية وجعل من حقوق الزوجة الكتابية على زوجها المسلم أن تتمتع بالبقاء على عقيدتها ، والقيام بفروض عبادتها ، والذهاب الى كنيستها أو بيعتها ، وهي منه بمنزلة البعض من الكل ، وألزم له من الظل ، وصاحبته في العز

(١) هذا الاصل الاسلامي هو ضد الاصل السادس للنصرانية (راجع ص ٤١٨)

والذل، والترحال والحل، بهجة قلبه، وريحانة نفسه، وأميرة بيته، وأم بناته وبنيه، تتصرف فيهم كما تتصرف فيه، لم يفرق الدين في حقوق الزوجية بين الزوجة المسلمة والزوجة الكتابية. ولم تخرج الزوجة الكتابية باختلافها في العقيدة مع زوجها من حكم قوله تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» فلها حظها من المودة، ونصيبها من الرحمة، وهي كما هي. وهو يسكن اليها كما تسكن اليه، وهو لباس لها كما أنها لباس له، أين أنت من صلة المصاهرة التي تحدث بين أقارب الزوج وأقارب الزوجة وما يكون بين الفريقين من الموالاة والمناصرة على ما عهد في طبيعة البشر. وما أجلى ما يظهر من ذلك بين الأولاد وأخوالهم؛ وذوي القربى لوالدتهم؛ أيغيب عنك ما يستحكم من ربط الألفة بين المسلم وغير المسلم بأمثال هذا التسامح الذي لم يعهد عند من سبق ولا فيمن لحق من أهل الدينين السابقين عليه[1]

ولا يخفى على صحيح النظر ان تقرير التسامح على هذا الوجه في نشأة الدين مما يعود القلوب على الشعور بأن الدين معاملة بين العبد وربه؛ والعقيدة طور من أطوار القلوب؛ يجب أن يكون أمرها بيد علام الغيوب؛ فهو

(١) المنار — يقول بعض النصارى: اذا كان الاسلام أباح للمسلم أن يتزوج بالكتابية ليعلّم البشر التآلف والتعاطف، مع التباين في العقيدة والتخالف، فلماذا لم يسمح للكتابي أن يتزوج بالمسلمة لهذا الغرض؟ والجواب أن الرجال قوامون على النساء لأنهم أقوى منهن فليس من العدل ولا من الرحمة أن يسمح لقوي يفرق دينه بينه وبين زوجته الضعيفة ويأمره ببغضها وببغض أولاده ووالديه اذا خالفوا عقيدته أن يتزوج بامرأة مخالفة. أباح الاسلام ذلك لمن يعمل بما أمر من العدل والرحمة وهو المسلم

الذي يحاسب عليها؛ أما المخلوق فلا تطول يده اليها؛ وغاية ما يكون من العارف بالحق ان ينبه الغافل؛ ويعلم الجاهل؛ وينصح للغاوي؛ ويرشد الضال؛ لا يكفر في ذلك نعمة العشير؛ ولا يسلك به مسالك التعسير؛ ولا يقطع أمل النصير، ولا يخالف سنة الوفاء؛ ولا يحيد عن شرائع الصدق في الولاء،

ماذا ترى في الزوجة الكتابية لو كانت من أهل النظر العقلي وذهبت مذهباً يخالف مذهب زوجها؟ أفينقص ذلك من مودته لها؛ أو يضعف من شعور الرحمة التي أفاضها الله بينه وبينها، فاذا كان المسلم يتعود الاحتمال بل يتعود المحبة والنصرة لمن يخالفه في عقيدته؛ ودينه وملته، ويألف مخالطته وعشرته؛ وولايته ونصرته؛ أتراه لا يحتمل أن يرى بجواره من يعمل نظره في نظام الخليقة ليصل منه الى اكتشاف سر أو تقرير أصل في علم أو قاعدة لصناعة وان كان قد يخالف ظاهراً مما يعتقد؛ أو يميل الى رأي غير الذي يجد؛ أفلا يسع هذا ما يسع الجاهر بالخلاف؛ وهو معه على ما رأيت من الائتلاف.؟؟

لو ذهبت أعدُّ ما في طبيعة الاسلام من عناصر وأركان كلها تؤلف مزاج الكرم؛ وتكوّن حقيقة المسامحة مع العلم؛ لأطلت على القارئ أكثر مما أطلت. ولهذا أرى من الواجب عليّ أن أختم القول بذكر أصل أشرت اليه ولا غنى لما نحن فيه عن ذكره

﴿الأصل السابع للاسلام الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة﴾ (١)

الصحة الحياة في الاسلام مقدمة على الدين. أوامر الحنيفية السمحة ان كانت

(١) هذا الاصل ضد الاصل ٣ للنصرانية (راجع ٤١٣ من المنار)

تختطف العبد الى ربه، وتملأ قلبه من رهبه، وتفعم أمله من رغبه، فهي مع ذلك لا تأخذه عن كسبه، ولا تحرمه من التمتع به، ولا توجب عليه تقشف الزهادة، ولا تجشمه فى ترك اللذات مافوق العادة،

صاحب هذا الدين صلى الله عليه وسلم لم يقل «بع ماتملك واتبعني» ولكن قال لمن استشاره فيما يتصدق به من ماله «الثلث والثلث كثير إنك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس»[١]

الرخص — فرض الصوم على المؤمنين لكن اذا خشي منه المرض أو زيادته أو زادت المشقة فيه جاز تركه بل قد يجب اذا غلب على الظن الضرر فيه. الوضوء والغسل من شروط الصحة للصلاة الا اذا خشي منه الضرر أو عرضت مشقة فى تحصيل الماء. القيام مما لاتصح الصلاة الا به الا اذا أصابت المصلي مشقة فيه فيسقط ويصلي قاعداً. السعي الى الجمعة واجب الا اذا كان وحل غزير أو مطر كثير أو مايوجب تعباً ومشقة فيسقط. وهكذا تجد القاعدة قد عمت: «صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان» فترى الدين قد راعى فى أحكامه سلامة البدن كما أوجب العناية بسلامة الروح

الزينة والطيبات — أباح الاسلام لأهله التجمل بأنواع الزينة والتوسع فى التمتع بالمشتهيات على شريطة القصد والاعتدال وحسن النية، والوقوف عند الحدود

(١) المنار — يشير الكاتب الى حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقد رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الاربعة. كان سعد مريضاً في حجة الوداع فعاده النبي صلى الله عليه وسلم وكان عازماً على الصدقة بثلثي ماله وفي رواية بماله كله فسأله النبي عما ترك لولده فقال هم أغنياء. وفي رواية الجماعة انه لم يكن له الا بنت. وفي رواية أحمد والنسائي انه أمره أولا بان يتصدق بالعشر. والحاصل انه ما زال يراجعه حتى رضي صلى الله عليه وسلم بالثلث وحرم الزيادة بالحديث

الشرعية، والمحافظة على صفات الرجولية، جاء فى الكتاب العزيز: «يابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ. قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ؟ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (سورة الأعراف)

ثم عد الله النعيم والجمال والزينة من نعمه علينا التي يذكرنا بهافضله، ويهيج بها نفوسنا لذكره وشكره، كما قال: «وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ. وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَالَا تَعْلَمُونَ» ثم قال: «وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (سورة النحل).

الاقتصاد — ووضع قانوناً للانفاق وحفظ المال في قوله: «إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا. وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا» (سورة الاسراء)

النهى عن الغلو فى الدين — وخشي على المؤمن ان يَغْلُوَ فى طلب الآخرة فيهلك دنياه وينسى نفسه منها فذكرنا بما قصه علينا أن الآخرة تمكن نيلها مع التمتع بنعم الله علينا فى الدنيا اذ قال : « وابتغ فيما آتاكَ اللهُ الدارَ الآخرة ولا تنسَ نصيبَكَ منَ الدُّنيا وأحسِن كما أحسَنَ اللهُ اليك ولا تبغِ الفسادَ فى الأرض انَّ اللهَ لا يُحِبُّ المفسِدينَ »

فترى ان الاسلام لم يبخس الحواس حقًّا، كما انه هيأ الروح لبلوغ كمالها، فهو الذى جمع للانسان اجزاء حقيقته واعتبره حيوانًا ناطقًا لا جسمانيا صرفا، ولا ملكوتيا بحتا، جعله من اهل الدنيا كما هو من أهل الآخرة . استبقاه من أهل هذا العالم الجسداني، كما دعاه الى أن يطلب مقامه الروحاني، اليس يكون بذلك وبما بينه في قوله : « هوَ الذى خلق لكم ما فى الارض جميعاً » قد أطلق القيد عن قواه، لتصل من رَفه الحياة (مع القصد) الى منتهاه، والنفوس مطبوعة على التنافس قد غرز فيها حب التسابق فيما تعتقده خيراً، أو تجده لذيذا او تظنه نافعاً

وليس فى الغريزة الانسانية ان يقف بها الطالب عند حدٍّ محدود، او ينتهي بها السعي الى غاية لا مُطَّلَعَ للرغبة وراءها، بل خصها الله بالمكنة من الرقي فى أطوار الكمال من جميع وجوهه الى ما شاء الله ان ترقى بدون حدٍّ معروف .

فاذا جمع سائق الانفس ومزجيها، ومرشدها وهاديها، بين شاحذين شاحذِ التمتع بمتاع الحياة الدنيا، وشاحذِ الرغبة فى النعيم الدائم فى الاخرة، فقد جمع لها كل ما يسمو بها عن الرضاء فى الدنيا بالدون، وفى الاخرة

بعذاب الهون، فترى كل نفس تمضي مع استعدادها، بشهامة فؤادها، مضاء الزِّميع (١) لا تخشى العثرة بالوعيد، ولا تقعد عن مطلبها قِعدة الرِّعديد، (٢) فتطلب منافعها، من هذا الكون الذي وُجدت فيه ووجد لها، فتسير فى مناكب الارض، ولا تكتفي عن الكل بالبعض، وتبحث فى تربتها، ولا يقف بها ظاهرها عن باطنها؛ ولا يحجبها ظهرها؛ عن مد يديها الى ما فى جوفها، ولا تجد ما يصدُّها عن النظر فى الهواء، والبحث فى الماء، والاهتداء بنجوم السماء، بعد معرفة مواقعها، وحركاتها فى مداراتها، واستقامتها وانحرافها، وظهورها وخنوسها، وبالجملة فكل مستعدٍ لوجه من وجوه النظر، او الولوج فى باب من أبواب العلم، ينطلق الى حيث يبلغ به استعداده إما للنجاة من ضرورة، وإما لاستتمام منفعة او استكمال لذة، لا يجد من نواهي الدين ما يصدّه عن مطلب، ولا ما يكف يده عن تناول رغيبة، أين هذا من ذاك الذى لا يرى الخلاص الا فى مجافاة هذا العالم ولذائذه ويجد ان الغنى والثروة من الحجب التي لا تُخْرق تحول بينه وبين ملكوت السموات

كيف يتسنّى للمسلم ان يشكر الله حق شكره، اذا لم يضع العالم بأسره تحت نظر فكره، لينفذ من ظاهره الى سرّه، ويقف على قوانينه وشرائعه، ويستخدم كل ما يصلح لخدمته فى توفير منافعه، كيف يشكر الله اذا توانى فى ذلك وقد ارشده الله فى كتابه وبسنة نبيه الى أن عالمه إنما خلق لاجله، وقد وضعه الله تحت تصرف عقله، انظر الى لطف الاشارة فى الاية

(١) هو الحازم القوي العزيمة يزمع على الأمر فيمضي فيه ولا ينثني والجيد الرأي المقدام

(٢) الرعديد الجبان الكثير الارتعاد

المتقدمة « قل من حرّم زينةَ الله » الخ حيث قال: « كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون » فأهل العلم هم الذين يعرفون مقدار نعم الله تعالى فيما يرفه به معيشتهم ، ويُجَمّل به هيأتهم ، ويجلي به زينتهم ؛

المسلمون مسوقون بنابل من دينهم الى طلب ما يكسبهم الرفعة والسؤدد ؛ والعزة والمجد ؛ ولا يرضيهم من ذلك بما دون الغاية ؛ ولا يتوفر شيء من وسائل ذلك الا بالعلم ؛ فهم محفوزون أشدَّ الحفز الى طلب العلم وتلمسه في كل مكان ، وتلقيه من أيّة شفة وأي لسان ، فاذا لاقاهم العالم في أي سبيل ، أو عثروا به في أي جيل ، أو ظهر لهم من أي قبيل ، هشوا له وبشوا ، ونصبوا اليه وكَمشوا[1] ، وشدوا به أواصرهم ، وعقدوا عليه خناصرهم ، ولا يبالون ما تكون عقيدته ، اذا نفعتهم حكمته ، « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها »[2] ألم يأتهم عن ربهم : « يُؤْتي الحكمةَ مَنْ يَشاء ومَنْ يُؤْتَ الحكمةَ فقد أوتيَ خيراً كثيراً وما يذَّكَّرُ الاّ أُولو الْألْبَابَ » ألم يسمعوا في وصفهم قوله : « الذين يستمعون القول فيتَّبِعُونَ أحْسَنَهُ » ذلك شأن المسلم مع العلم اذا كان مسلما حقاً . وذلك ما تجرُّ اليه طبيعة دينه . وحديث اطلبوا العلم ولو بالصين »[3] ان كان في سند

(١) لعل نَصَبوا من نَصْب السَّير وهو ان يسير طول يومه سيراً ليّنا . وكَمِشَ الرجل كان سريعاً ماضيا . وكَمُشَ كَماشة شجع واسرع (٢) المنار – حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة ، ورواه غيره بألفاظ أخرى والمعنى واحد . ومنه رواية موقوفة على ابن عمر رضى الله عنهما « خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت » وفي رواية عن علي كرم الله وجهه « الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق

(٣) رواه ابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الايمان والمدخل وابن عبد البر في العلم والخطيب في الرحلة والديلمي في مسند الفردوس وغيرهم وله طرق كثيرة يقوي بعضها بعضا

لفظه الى النبي صلى الله عليه وسلم مقال فسند معناه متواتر فانه سند القرآن نفسه فان الله يفضل العلم وأهل العلم بدون قيد ولا تخصيص . فالمسلم مطالب بطلب العلم ولو في الصين ولم يكن في الصين مسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم

لا شيء ينقلب عند النفس الانسانية لذة بنفسه وان كان في أول أمره مطلوبا لغيره مثل العلم . تطلب العلم أولا لحاجتك اليه في تقويم معيشة . أو ترفيه حال . أو دفاع عن نفس وملة . ثم لا تلبث اذا أوغلت فيه أن تجد اللذة في العلم نفسه فتصير اللذة بتحصيله والوصول الى دقائقه غاية تقصد بنفسها . وتضمحل فيها كل غاية سواها . وعلة ذلك ظاهرة فان العلم مسرح نظر العقل والعقل قوة من أفضل القوى الانسانية بل هي أفضلها على الحقيقة قد وضع لها العليم الحكيم لذة كما منح لكل قوة سواها نعيما ولذة . ولست في حاجة الى تعديد لذة البصر أو السمع أو الشم أو الذوق أو اللمس فالحيوان يعرفها بلهَ الانسان . وكلما عظم اختصاص القوة بالنوع عظمت لذته باستعمالها فيما وجهت له فيمكنك ان تستنتج من ذلك ان لا شيء عند الانسان ألذ من كشف المجهول . وإحراز المعقول . وقد سمح الاسلام للمسلم ان يتمتع في هذه الحياة الدنيا بما يلذ له مع القصد والاعتدال . أفلا يكون من لذائذه ومتممات نعيمه أن يسيح في مملكة العلم ليمتع عقله ، كما يسيح في بسيط الأرض ليكسب رزقه ويقيت أهله ، على ان العلم كان من ضروريات معيشة المسلم أو حاجياتها كما ذكرنا فاذا طفق يستنبط ماءه للضرورة ، ويستجلي سناءه للحاجة ، فلا يلبث أن يصير هو حاجة نفسه ، وشاغله عن حاجات حسه ، حتى يدخل معه في رمسه ، كما وقع لكثير من المسلمين . قال امام جليل من أئمتهم « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله » (له بقية)

باب التربية والتعليم

الشذرة الثامنة من جريدة اراسم (*)

﴿ تجلي العلم فى العمل ﴾

زرت بالامس أنا و«اميل» ، ولولا مسبك قصدير في بانزانس واقع على ضفاف خليج الجيـل ولست أقضي العجب من منعطف هـذا الخليج الذي كأنه في عظمه وجماله صدر تيتيس (١) أحاطت به السكة الحديدية فجعلت له من شريطها قـلادة • يوجـد المسبك تجاه الخليج ويتألف بناؤه من أماكن قديمة تقوم على أعمدة من الخشب تغطيها سُقُفٌ من البلاط الاسود لايتردد الناظر اليها في أن يحسبها سقائف لانخفاضها وانفراجها للرياح من كل ناحية

رأينا في احدى هذه السقائف أكواماً من تراب أسمر يسمى بمعدن الحجر جمعت فيها ووزعت على غير نظام وتحصر أعمال المسـبك في احالة هـذا التراب القسطني اللون (كذا) الى معدن يطلبه التجار كثيراً

كانت زيارتنا للمسبك في نحو الساعة التاسعة من المساء أي بعد غروب الشمس بزمن طويل في ليلة ظلماء كان يتخلل ظلامها بصيص نار الافران التي بنيت بالآجر وجعل لكل منها باب من حديد فى وسطه ثقب مستدير كأنه حدقة من نار

يصهر القصدير وبعـد مكابدته محناً مختلفة يتجرد مما كان ممتزجاً به من المواد المكدرة لصـفائه وهي الحصا والكبريت والنحاس فاذا تم ذلك جاء وقت صبه وهي الساعة المشهورة • يخرج هذا المعدن الثقيل الصافي من ثقب في أسفل الفرن وقد بلغ من الحرارة درجة البياض ويسقط فى خابية من الحديد المصبوب فيذكر الناظر ساعة باستدارة سطحه ولمعانه القمر فى احدى ليالي الصيف أبيض ساطعا

اذا صب القصدير فى الخابية آخر مرة (ولابد من اذابته أكثر من مرة) ألقيت عليـه أغصان من الشجر الاخضر خصوصاً أغصان التفـاح فتفوره وتهيجه

(*) معرب من (باب تربية اليافع) من كتاب أميل القرن التاسع عشر في التربية والتعليم

(١) تيتيس جنية من جنيات أساطير اليونان

وويل حينئذ للعمال أو الناظرين الذين لايبادرون بالابتعاد عنه ليتقوا عوادي هذا المعدن الغضبان. ذلك أن فقاقيع الهواء التي تنفصل منـه ترتفع معها قطيرات محرقة تسمع لها نشنشة تنبجس من كل ناحية انبجاس الشرر من باقة نار الزينة

لاجرم ان «اميل» ولولا لم يدركا السر الكيماوي فى جميع هذه الاستحالات التي تعـاورت معدن الحجر قبل صيرورته قصديراً بل انهما ربما لم يحصل فى ذهنهما من مجموع ماحصل من الاعمال الا معنى فى غاية الابهام ولكن قد شاقهما من هـذا المنظر جدته فانهما رجواني أن آخذهما الى المسبك مرة أخرى

أرى أن القائمين على تربية الناشئين قد أفرطوا فى التفريق بين العلم وبين مايربطه بالصناعة من الروابط ومع كوني لا أنكر أن ما فى المدارس من المعامل الكيماوية والمجموعات التعليمية والدروس العامة هو من المساعدات العظمى على التعليم واقصد قصداً أكيداً أن أستعين به على تعليم ولدي فى مستقبله تراني أفضل الآن أن احتلف به الي معهد آخر تمثل فيه امامه الاعمال وتتراءى له الوقائع

زرنا معاً متحفاً من متاحف الدفائن الأثرية فى بانزانس وهي ليست كـثيرة فى بلاد كرنواي والكثير فيها انما هو المعادن المفيـدة كالرصاص والقصدير والنحاس وغيرها من المعادن الحجرية الغريبة فلم يلفت دهن «اميل» ما فى خزائنه من قطع هـذه الدفائن المرتبة الا قليـلا وأما دولوريس فأخص ما استرعى نظرها مايوجد فيها من فلذ البلور وبعض الحجارة التي لو تناولتها يد الصناعة لصارت من مواد الزينة الجميلة

ثم أخذنا طريقنا بعد ذلك بأيام الى متحف كبير يمتد مكشوفاً على ضفاف المحيط بين جبال من الصوان بعجتها يد الانسان فكان مرآه فى نظر الفلاحـين أحسن من جميع متاحف الدنيا

ففرق عند الطفل بين أن يرى من وراء الزجاج معادن حجرية رتبت فى رواق ترتيباً خالياً من دواعي التأثر وبين أن تمثـل أمامه الصخور فى وضـعها الطبيعي ويشاهـد الارضين وقد شاه وجهها وانقلبت ظهراً لبطن وكتل البلاط الاسود والرخام السماقي فى جسامتها المريعـة وقد تناوبها المصدع وبارود المدفع فأوسـعاها صدعا وأشبعاها كسرا وقد هاج شوق «اميل» منظر أعمال النحت هيجاً شديداً فطفق يخاطب النحاتين ولا بدع فالانسان في سنه لا يستنكف أن يخاطب كل من

يراه لأن قلبه حينئذ لا يكون قد أفسده الكبر وقد استفاد من محاورته معهم فلم تذهب عليه عبثا

ان فتى ايقوسيًّا اسمه هوج ميلار صار من أشهر العلماء في بريطانيا العظمى ببركة تكسيره الاحجار ونحتها من منحت حجر رملي قديم واستولى استيلاء المالك على اقليم ذلك المنحت الحافل بالدفائن الاثرية وأصبح اسمه كأنه علم له

ربما احتذى « اميل » مثال هذا العالم اذا زرنا معا اقليم ديفو نشاير فاعتضد المطرقة وحمل المنحاف فاني أراه مدفوعاً على ذلك بسائق الطبع لأنه يشتهي كغيره من أترابه أن يهجم على ما يلاقيه من العقبات فيدمره ويزيله ولأن الدفائن الاثرية التي يستخلصها الانسان بنفسه من الصخرة أعلى في نظره كثيراً مما يجده منها مرتباً في المتاحف ذلك لأن آثار الاجسام العضوية تكون غالباً من الاحشاء في باطن الحجر بحيث انه لابد قبل استخلاصها من تميزها منه بل ربما صح لي أن أقول انه لابد من تخمين وجودها بما يبدو من تحت غطائها الجافي من سمة تدل عليها أو طرف من أطرافها ثم ان الصخرة تارة تكون صلبة فتقاوم منحات الناحت وتحتمله وطوراً تكون هشة فتتلاشى وتتفتت وفي كلتا الحالتين يهدم الخرق والخطأ بنقرة واحدة عملَ الدهر في قرون كاملة وما أكثر ما يتعلم الطفل في هذا الجهاد. نعم ان « اميل » سيخدع فيه غير مرة وسيتفق له أن يخسر لقطاته أو يعيبها على حين اعتقاده انه حصل عليها سالمة من كل نقص ولكن لا شيء في هذا فان مثله من اليافعين اذا غلبته العقبات المادية وجد عليها وبعثه ذلك على الانتقام لنفسه منها فلا يلبث أن يظفر بها

كأن مشاهدة المناحت واسطة ينتقل بها الذهن من علم طبقات الارض الى فن العمارة فسيذكر « اميل » اذا عرض له في طريقه ما في المدن من الابنية الفخيمة ان حجارتها نحتت من قاع البحار القديمة واذا رأى المعابد والقصور فان نوع حجارتها سيحضر في ذهنه الصخرة التي نحتت منها والمخلوقات العضوية القديمة التي صارت هذه الصخرة رمساً لها.

العلم الذي يحصله الانسان بعرق جبينه ربما يكون واسعاً ولكنه يكون متيناً راسخاً خذ لذلك مثلا الزهرة التي تجنى من غور بعد اقتحام ما كان دونها من العقبات يكون لها في ذاكرة جانيها آثار أقوى مما يكون لزهرة رآها بلا عناء مجهزة

محفوظة في احدى صحف المجموعات النباتية. وما يجمعه المرأ بنفسه من المحار والصدف على شاطئ البحر يدرب بصره على ادراك ما يميزه من صفاته الظاهرة أكثر مما يدربه على ذلك ما يوجد منه مرتباً ومعنوناً في رواق معد له فالبحث يكسب البصر واليد دربة ومرانة

أنا لا أشك في ان التجارب الكيماوية والطبيعية مفيدة لمن منحوا الميل الى التعلم ولكني أرى أن عامة الاطفال قد يبدون من الارتياح الى العلم معمولا به في الصناعة ومن الانفعال بما يرونه من آياته فيها أكثر مما يبدونه لمثل هذه التجارب وقلما يوجد معمل من المعامل الكبيرة ألا وهو أيضاً مدرسة كبرى للعقل فما أبهر ما يُرى فيه من قوى للطبيعة مقيدة ومطلقة و(كلٍّ)مؤلف من عجلات وأسنان تسحق الحجر سحقاً وتمضغ الحديد مضغاً وتقطع الخشبَ قطعاً و آلاف مؤلفة من انباض البخار الذي يحرك جسم هذا الكل وانسان استبدل باعضائه هذه الاعضاء الصلبية في كده وكدحه فحلت محله وجرت على مقتضى إرادته وقام هو عليها يلاحظ مجاهداتها العجيبة بعين قريرة ساكنة. نعم ان هذا المشهد لا يأخذ أول الأمر الابصر اليافع ولكنه متى كان فيه شيء من الشوق الى العلم لا يلبث ان يسأل عن سبب هذه الحركات الاستقلالية وعما للمواد بعضها على بعض من التأثير المتناوب وبالجملة عن سر الطرق التي تحيل المادة الفطرية الى محاصيل صناعية

ليس أحقر الاشياء بأقلها دائماً في صنعه اثارة للشوق ولا ملاحظته بأقل جدوى في التعليم فعلبة الكبريت والدبوس والشمعة (كما بينه فاراداي (١) حق البيان) لها بعلمي الطبيعة والكيميا تعلق يدركه كل واحد من الناس ويعرفه لأول نظرة

أنا أعلم أن تحصيل علم عدة من الصناعات والاختصاص به يقتضي أن يعيش الانسان اضعاف عمره ولذلك لا أرجو مطلقاً أن « اميل » اذا رأى غيره يشتغل بحرفة يحيط خبراً بأسرار العمل فيها. على أن الشبان أقل حاجة الى الوقت من غيره فلو أن القائمين على التعليم احسنوا في توجيهه الى غايته ما شككت ابداً في ان الطفل الذي بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمره يتعلم في المعامل شيأ كثيراً

وجملة القول ان لدينا في جميع المدن الكبرى بل وفي القرى كثيراً من معاهد

(١) فاراداي عالم انكليزي من أشهر علماء الطبيعة اشتهر بتأليفه في الكهربائية ولد في سنة ١٧٩٤ ومات سنة ١٨٦٧

العمل التي لو اختلف الطفل اليها لأدرك بالعيان والحس بعض قوانين المادة وتعلم حب العامل وتعظيمه ولكانت اقل فائدة له من ذلك ملاحظة طرق الصناعة او الزراعة ان لم يباشر شيأ من اعمالها بيديه وتلك مزية اخرى له فليت شعري هل يصح في نظر العقل ان تغفل هذه الينابيع المتدفقة للعرفان وتبخس حقوقها من العناية وتكون دراسة الالفاظ هي موضوع الاهتمام والرعاية اه

آثار علمية أدبية

﴿ مثال من أمثلة تسامح الاسلام وضيق صدر المسيحية ﴾

تعرض صاحب مجلة الجامعة للكلام في علم العقائد الاسلامية وهو لاشك جاهل به لانه لو عرفه لكان مسلماً اولو كان مسلما لعرفه فزعم أن علماء الكلام (وهو العلم الذى وضع لاثبات العقائد وردّ الشبه عنها) ينكرون ارتباط الاسباب بالمسببات وان كان القرآن يثبتها • وتعرض للكلام في طبيعة الدينين الاسلامي والمسيحي فزعم أن طبيعة الاسلام تنافي العلم والحكمة دون طبيعة المسيحية ولذلك ارتقت العلوم في أوربا وماتت في البلاد الاسلامية يعني ان طبيعة الاسلام حكمت على المسلمين بالجهل والغباوة والبعد عن المدنية ونتيجة هذا انهم لايرتقون الا اذا تركوا هذا الدين وصاروا نصارى «ولن تَرْضى عنك اليهودُ ولا النَّصارى حتى تَتَّبِعَ ملتهم قل إِن هدى الله هو الهدى» وتعرض للكلام في تاريخ بعض حكماء الاسلام فأورد عنه مايقتضي كفره وهو غير صحيح. كل هذا في جزء واحد من أجزاء مجلته وهو أعظم جناية جناها على قارئها من المسلمين لانه يشكك غير العالم الراسخ في دينه والشك في الدين كفر

قامت قيامة من اطلع على هذا الجزء من أذكياء المسلمين وعدوا هذه المجلة أضر عليهم من المجلات النصرانية الدينية التي تطعن في الاسلام طعناً صريحاً لأن مجلة الجامعة تكلمهم بلسان العلم المحبوب عندهم بطبيعة دينهم فيخشى أن يغتر الغافل بما فيها وتلك المجلات والجرائد تقابلهم بالعدوان الظاهر فينفرون منها • وقد علم القراء ان المستائين رجعوا الينا والى امام من أئمتنا راغبين في الردّ ورأوا ان ذلك الامام كتب في بيان الحقيقة كتابة أثنى فيها على صاحب الجامعة وعلى مجلته على ما كان منه

وان تلك الكتابة كانت مثال الأدب والكمال الذى يليق بسعة صدر الاسلام وتسامحه مع المخالفين، وان كانوا طاعنين وقادحين، والتمس له العذر على طعنه بالدين القيّم وبأعظم علمائه وحكمائه

ورأوا أيضاً ان المنار قد حسن الظن فيه واعتذر عنه وبرأه من سوء القصد. ولكن صاحب الجامعة لم يرض بذلك كله وأثبت لنا في الجزء الاخير انه متعمد لذلك الطعن ومصرّ عليه. وقد قابلنا على الاعتذار عنه بالسب والشتم

أما شتمه لنا فلاننا قلنا انه قال ما قال لأنه لايعرف علم الكلام الاسلامي فنسبنا الى الجهل بعقائد ديننا مكافأة لنا وقال ان تلك المقدمة تنتج هذه النتيجة. يعني ان «الفضيلة والحقيقة والضمير» التي يلهج بأسمائها تقضي علينا ان نقول انه لايعرف اللغة الفرنسية اذا هو قال اننا لانعرفها. وأما شتمه للامام صاحب الرد فلم ينتحل له سبباً والسبب معروف وهو تأثير النصرانية في عدم التسامح وحملها على الشدة مع المخالف بقدر الاستطاعة. وفي مصر الآن من الحرية مايسمح للصغير، ان يتسامى ويتسلّق للطعن في الكبير، وربما زين الغرور لصاحبه ان كلام الوضيع في الرفيع هي الطريقة المثلى للانتقال من الضعة الى الرفعة لذلك نرى أكثر المتطفلين على انشاء هذه الجرائد التي تبرز كل حين في مصر ثم تخفى كفقاقيع الماء يستهلون جرائدهم بالنيل من الجرائد الغنية المنتشرة توهما انها تهتم بالرد عليهم فيكونون سواء، وينالون مانال أولئك من الشهرة والثراء. ولا نرضى هذه الخطة للجامعة وصاحبها

قال بعض الناس الذين رأوا الجامعة الاخيرة للامام: أرأيت ماكان من صاحب الجامعة الذى أثنيت عليه وعلى مجلته حتي رفعتها الى أعلى منزلة للمجلات ... فقال الامام: «لاخسارة في حسن الأدب» ولم يزد على ذلك شيئاً

فهل يتوهمن الرصيف المحترم صاحب الجامعة أن صاحب هذا الأدب الباهر يتنازل تواضعاً الى تصحيح مقاله والعناية بارشاده بعد العلم بأنه لاقابلية فيه لذلك ولا استعداد، ولا يعرف قيمة هذا الارشاد، ام يتوهمن ان أحد تلامذته يحفل برد سفسطة الجامعة وتحريفها الكلم لأجل تصحيح أغلاطها. اماما تفتات به على المسلمين وتتقوله على اعتقادهم فاننا نبيّن الحق فيه لا بصفة رد أو مناظرة بل نجعله فى باب رد شبهات المسيحيين وحجج المسلمين لأن الجامعة التي كان اسمها (الجامعة العثمانية) ثم صار اسمها «الجامعة» فقط قد صارت «الجامعة النصرانية» ولا نعيب صاحبها

بخدمة الدين الذي ينتسب اليه ولكننا ننصح له بالتروي والاعتدال

« المنار » مجلة ملية كما أنها علمية ادبية وهي مع ذلك لاتتعرض لدين المخالفين الاردًّا على ما يعتدون به على الاسلام. والجامعة لا تعترف بأنها مجلة ملية مسيحية وهي مع ذلك تطعن فى الاسلام والمسلمين ابتداء ،وتقتحم الكلام فى ذلك اقتحاماً ، فهى فى ظاهرها علمية ادبية صحية كالمقتطف والهلال وفى باطنها دينية ملية كراية صهيون وبشائر الاسلام والمشرق ونحب لها ان يكون ظاهرها كباطنها ،

قلنا ان صغار التلامذة لا يحفلون برد سفسطة الجامعة التى سمتها رداً فان القيد الذى خلقته لتصحيح زعمها انكار المتكلمين للاسباب « وهو انهم ينكرونها كما يفهم الفلاسفة) لايفيدها شيئاً . فان قولها الأول بالانكار كان مطلقاً وحكم المطلق ان يجري على اطلاقه كما هو معلوم. وقولها ان ابن رشد كفّر الاشعرية وقال بضلالهم لأمور نسبها اليهم منها انكار الاسباب الضرورية. واستدلالها بذلك على ان المتكلمين ينكرون الاسباب كما يفهمها الفلاسفة هو حجة عليها لأن ابن رشد يرد على الاشعرية بذلك رداًّ دينيا — وهو من علماء الدين الراسخين — لأنه بنى عليه التكفير والتضليل والفلاسفة لا يسمون مخالفهم كافراً فكأن ابن رشد يقول ان من انكر الاسباب فهو عند المسلمين كافر اوضالّ لأن من اصول الاسلام التي يشهدها القرآن وتنطبق على سيرة السلف والخلف المهتدين « ان الأسباب مربوطة بالمسببات وان للكون سنناً ونواميس مطردّة » قال الله تعالى فيها « ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا »

وأما زعمه ان المعتزلة ليسوا من المتكلمين فكل طالب علم يعرف تقوّله فيه على المسلمين . فالمتكلمون منهم المعتزلة ومنهم الاشاعرة ومنهم الماتريدية . وكذلك الفقهاء منهم الحنفية والشافعية والمالكية . وكما اختلف هؤلاء في بعض المسائل الفقهية وكلهم فقهاء اختلف أولئك في المسائل الكلامية وكلهم متكلمون. والجميع مسلمون من اهل القبلة.

ومن أعجب المزاعم زعمه أن الاعتقاد بوجود النواميس (اي سنن الكون) والاعتقاد بتغيرها نقيضان لايجتمعان . وهو يعلم ان الفلاسفة انفسهم يقولون بإمكان تغير النواميس بل يقولون بأن التغير حدث ويحدث بالفعل وهو مايعبرون عنه بفلتات الطبيعة . فان احتاج الفلاسفة الى تأويل هذه الفلتات فالمسلمون احوج لأن اساس هذه الفلسفة كلها قوله تعالى :« ولن تجد لسنة الله تبديلا »

ومما يضحك صغار التلامذة استدلاله على معاداة الاسلام للعلم والعقل بكلمة

جارية على ألسنة العامة لا يعرف قائلها وهي « من تمنطق تزندق » ويفهمون منها ان من تعلم المنطق صار زنديقاً . هذه الكلمة لعاميٍّ مجهول فى شخصه وفي ملته ودينه والدليل على كونه عاميا ان معنى « تمنطق » لبس المنطقة وليس معناها انه تعلم المنطق خلافا لما يوهمه المصباح ، يستدل بهذه الكلمة صاحب الجامعة الذى لا يراعي في قوله الا « الحقيقة والضمير » على ما ذكر و ينسى او يتناسى انه لا يوجد طالب علم في المسلمين لم يقرأ المنطق وان الازهر لا يعطي شهادة العالمية الا لمن يؤدي الامتحان في علم المنطق ومثله جميع المدارس الاسلامية . ومن كلام حجة الاسلام « من لا يعرف المنطق فلا ثقة بعلمه »

لايبعد أن يكون صاحب الجامعة قد كتب ماذكرنا عنه وهو يعتقد انه مموّه . ويقرب ان يكون مغتراً بما اجاب به عن تخطئته في تلخيص فلسفة ابن رشد لأن سنده في هذا الجواب ثلاثة امور (احدها) زعمه ان النساخ من العرب كانوا يحذفون من كتب ابن رشد المواضع المهمة او يبدلونها فراراً من الملام والاضطهاد . اي ان اولئك النساخ كانوا علماء بالفلسفة وبعلوم الدين ومكلفين بأن يتصرفوا بما ينقلونه بحسب معارفهم حتى يكون الكتاب مشتملا على فلسفة الناسخ لا فلسفة المؤلف . فاذا خالفوا لامهم من استأجرهم للنسخ او اضطهدهم !!!

ثانيها ان الفيلسوف رنان — الذي نزهته الجامعة عن التعصب والذي علمنا عنه انه كان اشد المتعصبين على الاسلام حتى ان السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده ناظراه في باريس وارجعاه عن كثير من خطئه — قال ان العرب اخطأوا في فهم فلسفة اليونان ونقلها . ومنهم ابن رشد .

ثالثها انه « لامناص للكاتب العربي اليوم من اخذ تلك الفلسفة عن الافرنج انفسهم ولا يشترط فى هذا الأخذ سوى حسن اختيار المؤلف اي ان يكون ثقة ومنصفاً غير متعصب لفريق دون فريق . وهذا ما توخته الجامعة » اه بنصه

ولاحتمال اغترار الكاتب بهذه المقدمات التي صحح بها قوله نبشره بأنها لا تروج عند احد طلاب العلم لأمور . (احدها) ان العرب قد اعتنوا بأمر النقل والرواية اعتناء لم يسبقهم به سابق ، ولم يلحقهم فيه لاحق ، ومن آثار ذلك انهم نقلوا فلسفة اليونان ، بغاية الدقة والإتقان، وقد تعلموا اليونانية ولهم فيها قواميس . وقد اعترف لهم الافرنج المنصفون بذلك وفضلوهم به على انفسهم ومنهم سيديو المؤرخ الشهير .

(ثانيها)ان الافرنج برعوا فى علوم التجربة ولكنهم لا يوثق بهم فى علوم النقل

فكتبهم طائفة بالكذب على الاسلام والمسلمين في دينهم وتاريخهم • قال سيديو في مبحث اشتغال العرب بالعلوم الرياضية : « وليس للعرب مجرد نقل كتب اليونان حرفيا كما زعم بعض الافرنج » ثم ذكر انهم زادوا عليها ما اخترعوه في هذه الفنون. وقال في أول المبحث الذي عقده « في عدم اقتصار العرب على شرحهم فلسفة ارسطو ما نصه معربا : « زعم الافرنج انه لم يكن فلسفة عربية وما ذاك الا لجهلهم باشغال العرب فان جميع الدروس بمدارس أوربا في القرون المتوسطة مستمدة من تآليف العرب الفلسفية » الخ وقال غير ذلك بمعناه

(ثالثها) غير معقول ان الذين كانوا يستنسخون الكتب الحكمية كانوا يرضون بأن يغير النساخ فيها وغير معقول ان النساخ كانوا يستطيعون التصرف في تلك الكتب ويعملون بتلك الاستطاعة.

(رابعها) ان ما نقلته الجامعة عن الافرنج غير موثوق به لأن صاحبها غير عالم بالفلسفة فيستطيع نقلها من لغة الى لغة لأنه اذا كان لم يفهم فلسفة المتكلمين بالعربية فكيف يفهم فلسفة ابن رشد واليونان من الفرنسية ؟ ولو فرضنا انه أحسن الفهم فلا يسهل علينا أن نفرض انه حسن القصد لظهور تعصبه على الاسلام والمسلمين • وإصراره على هذا التعصب ومماراته ومكابرته فيه بعد بيان الحق له بالتي هي أحسن .وقد زعم في هذا الجزء ان المسلمين كاليهود والنصارى يعتقدون ان العالم وجد منذ بضعة آلاف من السنين وليس هذا من اعتقاد المسلمين في شيء . فما يدرينا ان كل نقله من هذا القبيل

وأما كلام الجامعة فيما سمته الأمور الجزئية فحسبها فيه الخلط بين الاصطلاحات العلمية ومعاني الكلم اللغوية • وزعمها ان ما قاله الامام في علاقة الانسان بالخالق غير صحيح لأن رنان أفرد فصلا لهذا البحث استعان فيه بكلمات ارسطو اليونانية • وهل يقول عاقل ان قول فلان غير صحيح لأن فلاناً خالفه فيه • وما يدري صاحب الجامعة ان ما قاله الامام هو الصحيح وما قاله رنان هو الخطأ ان صح نقلها عن رنان هذا وان الامام مطلع على ما كتب رنان وغيره من الافرنج وقد كتب ما كتب

(الخاتمة) نشكر في ختام القول للجامعة ولصاحبها هذا التحامل على الاسلام والمسلمين لأنه كان السبب في تصدي ذلك الامام العظيم الى بيان هذه الحقائق التي تحيي الشعور الإسلامي في نفوس المسلمين وتبعثهم الى العمل بما يرشد اليه دينهم

القويم من الرغبة في العلم والحكمة ، وإعلاء شأن الأمة ، ومعاملة المخالفين بالمحاسنة ، وان ظهروا بمظهر المخاشنة ، وليس في كلام الإمام ، الا برد العدوان والسلام ، الداعي الى حسن الالتئام ، فلا يخشين الرصيف منه إثارة الخصام ، وان كان هو يحب الموادّة ويدعو اليها فليدع الكلام فيما يتعلق بالاسلام • فانه ليس من موضوعه ولا يعنيه ، ولا علم له بظاهره ولا خافيه ، وهذا القدر يكفيه ،

جاءنا من الاستاذ الفاضل صاحب التوقيع ما يأتي بنصه :

﴿ بماذا دفع العلماء نازلة الوباء ﴾

دفعوها يوم الأحد الماضي في الجامع الازهر بقراءة متن البخاري موزعاً كراريس على العلماء وكبار المرشحين للتدريس في نحو ساعة جرياً على عادتهم من اعداد هذا المتن أو السلاح الحبري لكشف الخطوب وتفريج الكروب فهو يقوم عندهم في الحرب مقام المدفع والصارم والأسل وفي الحريق مقام المضخة والماء وفي الهيضة مقام الحيطة الصحية وعقاقير الاطباء وفي البيوت مقام الخفراء والشرطة وعلى كل حال هو مستنزل الرحمات ومستقر البركات

ولما كان العلماء أهل الذكر والله يقول « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » فقد جئت أسألهم بلسان كثير من المسترشدين عن مأخذ هذا الدواء من كتاب الله أو صحيح سنة رسول الله أو رأي مستدل عليه لأحد المجتهدين الذين يقلدونهم ان كانوا قد أتوا هذا العمل على انه ديني داخل في دائرة المأمور به • والا فمن أي حذاق الأطباء تلقوه ليتبين الناس منه أو من مؤلفاته عمل تلاوة متن البخاري في درء الهيضة عن الامة وان هذا داخل في نواميس الفطرة أو خارج عنها خارق لها • واذا كان هذا السر العجيب جاء من جهة أن المقروء حديث نبوي فلم خص بهذه المزية مؤلف البخاري ولم يجز في هذا موطأ مالك وهو أعلى كعباً وأعرق نسباً واغزر علماً ولا يزال مذهبه حيا مشهوراً • واذا جروا على أن الامر من وراء الاسباب فلم لا يقرؤه العلماء لدفع ألم الجوع كما يقرؤونه لازالة المغص أو القيء والإسهال حتى تذهب شحناء الجراية من صدور كثير من أهل العلم وعلى هذا القياس يقرأ لكل شيء ما دامت العلاقة بين الشيء وسببه مفصومة

فان لم يستطيعوا عزو هذا الدواء الى نطاس الاطباء سألت الملم منهم بالتاريخ

أن يرشدنا الى من سن هذه السنة في الاسلام وهل قرئ البخاري لدفع الوباء قبل هذه المرة فانا نعلم انه قرئ للعرابيين في واقعة التل الكبير فلم يلبثوا أن فشلوا ومزقوا شر ممزق ونعلم انه يقرأ في البيوت لتأمن من الحريق والسرقة ولكن بأجرليس شيئاً مذكوراً في جانب أجر شركة التأمين المعروفة مع أن الناس يتسابقون اليها تسابقهم على شراء الدواء اذا نزل الداء ويعدلون عن الوقاية التي نحن بصددها وهي تكاد تكون بالمجّان ويجدون فى نفوسهم اطمئناناً لتلك دون هذه

فان لم يجد العلماء عن هذه المسألة اجابة شافية خشيت كما يخشى العقلاء حملة أهل الاقلام عليهم حملة تسقط الثقة بهم حتى من نفس العامة وحينئذ تقع الفوضى الدينية المتوقعة من ضعف الثقة واتهام العلماء بالتقصير وكون أعمالهم حجة على الدين.

هذا — وقد لهج الناس بآراء على أثر الاجتماع الهيضي الازهري •

فمن قائل : ان العلماء المتأخرين من عادتهم أن يهربوا في مثل هذه النوازل من الاخذ بالأسباب والاصطبار على تحملها لمشقتها الشديدة ويلجؤن الى ماوراء الاسباب من خوارق العادات لسهولته ولإيهام العامة انهم مرتبطون بعالم أرقي من هذا العالم المعروف النظام فيكسبون الراحة والاحترام معا فيظهرون على الامة ظهور اجلال ويمتلكون قلوبهم ويسيطرون على أرواحهم ولهذا تمكثوا حتى فترت شرة الوباء فقرءوا تميمتهم ليوهموا ان الخطر انما زال ببركة تميمتهم وطالع يمنهم

ومن قائل : انهم يخدعون أنفسهم بمثل هذه الاعمال بدليل ان من يصاب منهم لا يعالج مرضه بقراءة كراسة من ذلك الكتاب بل يعمد الى المجربات من النعنع والخل وماء البصل وما شابه أو يلجأ الى الطبيب ولا تلتفت نفسه الي الكراسة التي يعالج بها الامة فهذا يدل على ان القوم يعملون على خلاف مافي وجدانهم لهذه الأمة خادعين أنفسهم بتسليم اعمال سلفهم •

ومن قائل : ان عدوا من أعداء الدين الاسلامى أراد أن يشكك المسلمين فيه فدخل عليهم من جهة تعظيمه فاوحى الي قوم من متعالميه السابقين أن يعظموا من شأنه ويرفعوا من قدره حتى يجعلوه فوق ماجاءت له الاديان فيدعون كشف نوائب الايام بتلاوة أحاديث خير الأنام ويروّجون مايقولون بأنه جرب وأن من شك فيه فقد طعن فى مقام النبوة حتى اذا رسخت هذه العقيدة في الناس وصارت ملكة دينية راسخة عند العوام وجربوها فلم تفلح وقعوا والعياذ بالله فى الشك واصابهم دوار الحيرة كما حصل ذلك على أثر واقعة التل الكبير من كثير من الذين لم يتذوّقوا الدين من المسلمين حتى كانوا يسألون عن قوة البخاري الحربية ونسبته الى البوارج ساخرين

منه ومن قارئيه ولولا وقوف أهل الفكر منهم على أن هذا العمل ليس من الدين وأن القرآن يقول: «وأعِدُّوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رِباطِ الخيلِ» الخ لضلوا وأضلوا

وقد جرأ هذا الامر غير المسلمين على الخوض فى الدين الاسلامي واقامة الحجة على المسلمين من عمل علمائهم ولا حول ولا قوة الا بالله

ويقول قوم : ان التقليد بلغ بالعلماء مبلغاً حرم على العقول النظر في عمل السلف وان كذبته العينان، وخالف الحس والوجدان ، ويقول آخرون ممن لا خبرة لهم بهمة العلماء في مثل هذه الكوارث : أما كان ينبغي لهم أن ينبثّوا فى المساجد والاندية والولائم حاثّين الناس على الوقاية من العدوى معضدين الحكومة في تسكين سورة الاهلين مفاوضين الصحة في فتح المساجد وتعهدها بالنظافة فان هذا يرتبط بهم أكثر مما يرتبط بوفد أعيان القاهرة جزاه الله خير الجزاء

فان أعوزهم البيان وخلب القلوب بذلاقة اللسان فلا أقل من أن يؤلفوا رسالة فى فهم ما ورد متشابهاً فى موضوع العدوى حتى يعلم الناس ان الوقاية من الداء مأمور بها شرعا وعقلا وسياسة فيكون كل فرد عارف عضداً للحكومة ولو طلبوا من الصحة طبع ما ألفوا وتوزيعه على المصالح والنواحي للبّت ذلك شاكرة وكان لهم الأثر النافع

هذا مايقوله القوم فى شأن علمائهم نرفعه اليهم ليكونوا على بينة منه لانهم لا يختلطون بالناس غالباً الا في الولائم والمآتم وان اختلطوا فقلما يناقشونهم في شيء تحرزا من حدتهم فى المناقشة ورميهم مناظرهم لاول وهلة بالزيغ والزندقة فلذلك يجاملونهم ويوافقونهم خشية الهجر والمعاندة. أما أنا فاني لا أزال الحّ فى طلب الجواب الشافي عن أصل دفع الوباء بقراءة الحديث وعن منح متن البخاري مزية لم يمنحها كتاب الله الذى نعتقد انه متعبد بتلاوته دون الحديث ولو كان هذا العمل من غير العلماء الرسميين لضربت عنهم وعن عملهم صفحاً ولما خططت كلمة ولكنه من علماء لهم مراكز رسمية يزاحمون بها مراكز الامراء فيجب أن يؤبه لهم وان ينظر لعملهم بازاء مركزهم من الأمة التي يسألون عنها والله ولي التوفيق (متنصح)

باب الاخبار والآراء

الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية

قد نشرنا من هذا الكتاب مقالين أحدهما اضطهاد النصرانية للعلم بمقتضى

أصولها نشر فى الجزء الحادي عشر الماضي واقتبسته جريدة المؤيد . وثانيهما أصول الاسلام القاضية بالتسامح مع العلم أينما وجد واكرام العلماء من أي ملة كانوا نشر فى هذا الجزء . ويلي هذا مقال آخر في نتائج هذه الأصول الاسلامية المذكورة فى هذا الجزء وآثارها فى ترقية العلم والعمران . وايجاد مدنية فاضلة للانسان ، وسينشر فى الجزء الآتي مؤيداً بالشواهد التاريخية ، وشهادات المؤرخين والفلاسفة من الأمم الأوربية ، ويتبع هذا مقال رابع فى شرح حالة المسلمين فى هذا العصر ، وما نكبوا به فى كل قطر ، ويختم الكلام بمقال خامس فى كيفية معالجة الداء ، وبيان النجاة من البلاء ، بحسب رأي هذا الطبيب الروحاني ، والامام الرباني ، لازال ذخراً للاسلام ، ومرشد للأنام ، وسينشر ذلك تباعا فى المنار وربما وفقنا للتعجيل ببعض الاجزاء واصدارها قبل وقتها اكراماً للقراء ، فقد رأينا منهم اقبالا على ما نُشر واعجابا به لم نر مايشابهه الا اعجابهم بالرد على موسيو هانو . ولا غرو فهذه الحكم متدفقة من ينبوع واحد ، لاينكره مكابر ولا حاسد ،

﴿ عبرة وتنبيه . في موت وجيه ﴾

كتب الينا من بومباي (الهند) انه توفي فيها « حسني بك نائب سفير الدولة العلية » فيها فاحتفل المسلمون بتشييعه احتفالا عاما وغلقوا الدكاكين وتركوا جميع الأعمال عامة يومهم . وسيرسلون كتاباً يعزون به أهله في الاستانة العلية

والاعتبار في الخبر من وجوه — أحدها شدة تعلق مسلمي الهند بالدولة العلية ، لأنها أقوى الدول الاسلامية ، وهذا أثر من آثار هداية الاسلام الذى من مقاصده جعل البشر كلهم إخوة . ولو وجد في الهند مثلما يوجد في مصر من أحداث السياسة وخطباء الفتنة الذين يحثون قومهم على بغض كل من لم يكن له نسب عريق في بلادهم ويسمُّون هذا وطنية لما بقي لحب الدولة العلية في قلوبهم عرق ينبض ، ولا لحقوق المسلمين حكم يفرض ، (وثانيها) ان آمال المسلمين لاتزال معلقة بالسياسة ورجالها ، والحكومات وأعمالها ، وليتهم ينظرون أولا الى انفسهم وأعمالهم ، ويعتمدوا بعد الله على كفاءتها واستقلالهم . (وثالثها) حرية الحكومة الانكليزية فلو ان أهل جاوه ارادوا أن يعملوا عملا كهذا لتصدت لهم الحكومة الهولندية وصدتهم عنه . فياليت المسلمين الذين هب عليهم نسيم الحرية المنعش للأرواح يعرفون كيف تكون به الحياة الطيبة ويعملون بما يعلمون ولايحفلون بما يلغط به الغاشون الذين يقبحون لهم نعمة الحرية بذم مصدرها

﴿ السيد محمد المهدي السنوسي ﴾

نعت الينا برقيات اوربا فى الشهر الماضى هذا الرجل العظيم الذي اشتهر بالعلم والعمل والدعوة الى الله تعالي والارشاد الى طريق الرشاد فارتبنا فى صحة الخبر وتربصنا به التكذيب فما كان الا أن أكدته الجرائد الغربية تأكيداً وتبعها غيرها .

وقد اطلعنا اليوم قبل طبع على كتاب من طرابلس الغرب لأحد التجار جاء فيه مانصه :

« وردت مكاتيب مشعرة بوفاة الاستاذ المهدي وبالتحقيق لم يثبت ذلك الى الآن أصلا بالكلية بل المتحقق انه انتقل الى جهة من الجهات مجهولة .

« محاربة الفرنساويين بالاقطار السودانية لم نحصل على خبر منها الى الآن وقد كان في تلك المحاربة رجل من الجزائر أتى الى قسطنطينة احدى الممالك الجزائرية وأرسل الينا جواباً يفيد انه قادم الي طرفنا وعند وصوله نفهم منه حقيقة الواقع تفصيلا واجمالا وما الذي سيصنعه الفرنساويون بخصوص ما ذكر ونعرفكم بذلك والسلام » اه

وسيأتي البحث في ذلك وقول من يكذب خبر المحاربة فيما ننشر من ترجمته

(الترجمة) جمع هذا الرجل من الصفات والخلال ، مايندر أن يكون لأحد من الرجال ، — الشرف والعلم والزهد والارشاد وسيادة العصبية فهو الرجل الديني الوحيد الذي كانت تلهج بذكره الجرائد الأوربية وتستقري أعماله وتتبع حركاته وسكناته وتبني عليها الآراء السياسية بل كان على زهده وانزوائه في زاويته أشبه بملك عظيم أو قائد باسل مستعد لكفاح الاقران ، وفتوح البلدان . وكان الناس فى أوربا وفى الشرق مختلفين فى أمره ، وهائمين فى أودية الظنون من شأنه ، والاكثرون يعتقدون أن طريقته جامعة بين الدين والسياسة ومن أصولها الاستعداد للمدافعة والمقارعة عند الحاجة الى ذلك . واشتهر بين الناس فى هذه البلاد وغيرها ان أتباعه كانوا يعتقدون انه المهدي المنتظر . وقد عرفت أحد دراويشه الصالحين من صحراء طرابلس الغرب واستفدت منه فوائد كثيرة عن السنوسيين فكان مما قاله انهم يعتقدون ان شيخهم هو المهدي المنتظر وانه سيحج ويبايع في حرم مكة اوفى عرفة « الشك مني » وقال : اذا ذهب سيدى المهدي الى الحجاز فلا يتخلف احد من المغاربة عن الحج في تلك السنة الا لعجز مقعد . وكان يقول أيضاً : ان من اصول الطريقة احياء الارض وغرس الاشجار واقتناء السلاح . ونحن نعلم ان للسنوسيين اتباعاً فى مصر يكتمون كل ما يعرفون من امرها بل يكتمون فى الغالب كونهم من اهلها

مثل هذه الأخبار وذلك الاختبار ، هو الذي أثار في النفوس عندنا ما أثار ،

وأما الاوربيون فمنشأ اوهامهم وأحلامهم في السنوسيين جرائد فرنسا وكتبها (راجع صفحة ١٧٨ومابعدها من مجلد المنار الأول تجد فيه النقول التي تؤيد هذا) • وقد بلغنا أن الحكومة الفرنسوية قد خصصت مئة ألف فرنك في كل سنة لمقاومة سلطة أصحاب الطريق في الجزائر وما يليها ويتصل بها وان الذين يأخذون هذا المال هم الذين كانوا يعظمون أمر التيجانية ثم صاروا يعظمون أمر السنوسية بما يكتبونه في الجرائد والكتب والله اعلم بالحقيقة • وانما غرضنا من هذه الجملة كلها بيان اختلاف الناس في امر السنوسية وعذرهم في هذا الاختلاف

وقد كتب في جريدة (الحاضرة) التونسية مقالة بتوقيع (محمد الحشايشي) في بيان الطريقة السنوسية وترجمة صاحبها • قال الكاتب انه كتب عن علم وروية لأنه ساح فى الصحراء الكبرى وما جاورها من البلاد المجهولة واختبر السنوسيين الاختبار التام وكتب فى ذلك رحلة سماها الرحلة الصحراوية • ونلخص من مقالته المفيد لأنها اوسع ما كتبه المسلمون فى هذا الرجل الكبير فنقول

ساق أولا نسبه الى سيدي ادريس بن عبدالاله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن على من فاطمة الزهراء عليهم السلام . ثم قال ان صاحب الترجمة من مدينة مستغانم بعمالة وهران (التابعة للجزائر) من قبيلة الخطاطبة• ارتحل والده الى مدينة فاس في سنة ١٢٢٩ بعد أن حفظ القرآن بالروايات السبع وكان ابن ثمان فاجتمع بالشيخ أحمد التيجاني شيخ الطريقة التيجانية الشهير وتلقى هناك العلوم حتى برّز فيها ثم ارتحل الى المشرق سنة ١٢٤٥ قاصداً أداء فريضة الحج • وظهرت له كرامات عديدة في طريقه فأقام بمكة المشرفة سنين عديدة ونشر في أثنائها طريقته المستمدة من نفس الطريقة المحمدية التي أخذ اجازتها عن سيدي أحمد بن ادريس .فانتشرت الطريقة في الحجاز واليمن الى ان بلغت العراق وفي سنة ١٢٥٩ انتقل الى الجبل الأخضر من وطن درنه وبنغازي (من ولاية طرابلس الغرب) وتصدى للارشاد . وولد له صاحب الترجمة سنة ١٢٦٠ بالزاوية البيضاء فرباه التربية الدينية في مهد العلم والارشاد• حفظ القرآن في الثامنة ثم حفظ الكثير من المتون الفقهية وغيرها واشتغل بطلب العلم على الاستاذ الحافظ لشيخ أحمد الريفي بعد ما قرأ القرآن على مؤدبه الشيخ هاشم الصفاقسي والحافظ الشيخ مدين وأخذ علمي التفسير والتصوف عن والده وعلوم الادب عن الشاعر الأديب الشيخ محمد أبو سيف وعلمي الحديث والأصول عن الشيخ احمد الريفي وجميع هؤلاء من علماء المغرب بعضهم من الاقصى وبعضهم من الادنى

«لها بقيه»

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب

《قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «مناراً» كمنار الطريق》

《مصر في يوم الجمعة غرة رجب سنة ١٣٢٠ — ٣ ١ اكتوبر (تشرين) سنة ١٩٠٢》

الاسلام والنصرانية • مع العلم والمدنية

《وهو المقال الثالث لذلك الامام الحكيم • والاستاذ العليم》

(نتائج هذه الاصول وآثارها فى المسلمين)

الى م أفضت طبيعة الاسلام بالمسلمين ؟ وماذا كان أثرها في اسلافهم الأولين ؟ — فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر واستولى بجيشه على الاسكندرية بعد لحاق النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالرفيق الاعلى بستّ سنوات في رواية وتسع سنوات في رواية أخرى والاسلام في طلوع فجره، وتَفَتُّح نَوْره، فكان من بقايا ما تركت الازمان الأولى رجلٌ مسيحيٌ من اليعقوبيين اسمه يوحنا النحوي كان في بدء أمره ملاحاً يعبر الناس بسفينته وكان يميل الى العلم بطبيعته فاذا ركب معه بعض أهل العلم أصغى الى مذاكرتهم • ثم اشتد به الشوق فترك الملاحة واشتغل بالعلم

وهو ابن أربعين سنة فبلغ فيه مالم يبلغه الناشئون فيه من طفوليتهم وقد أحسن من العلم فنونا كثيرة حتى عُدَّ من فلاسفة وقته وأطبائه ومناطقته

يقول كثير من مؤرخي الغربيين ومؤرخي المسلمين ان عمرو بن العاص سمع به فاستدناه منه وأكرمه لعلمه ووقعت بينهما محبة ظهر أمرها واشتهر حتى قال أحد فلاسفة الغربيين: «ان المحبة التي نشأت بين عمرو بن العاص فاتح مصر ويوحنا النحوي ترينا مبلغ ما يسمو اليه العقل العربي من الأفكار الحرّة والرأي العالي. بمجرد ما أعتق من الوثنية الجاهلية ودخل في التوحيد المحمدي أصبح على غاية من الاستعداد للجولان في ميادين العلوم الفلسفية والأدبية من كل نوع»

خالط المسلمون أهل فارس وسوريا وسواد العراق وأدخلوهم في أعمالهم ولم يمنعهم الدين عن استعمالهم حتى كانت دفاترهم بالرومية في سوريا ولم تغيّر بالعربية الا بعد عشرات من السنين فاحتكت الأفكار بالأفكار وأفضت سماحة الدين الى أن أخذ المسلمون في دراسة العلوم والفنون والصنائع

اشتغال المسلمين بالعلوم الأدبية ثم العقلية

وبعد عشرين سنة من وفاته عليه الصلاة والسلام أخذ الخليفة علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه يحضُّ على تعليم الآداب العربية ويطلب وضع القواعد لها لما رأى من حاجة الناس الى ذلك. وأخذ المسلمون يتحسّسون نور العلم في ظلام تلك الفتن استرسالا مع مايدعوهم اليه دينهم وتنبّههم لطلبه شريعتهم. وان كانت الحروب الداخلية التي اشتعلت نارها في أطراف بلادهم للنزاع في أمر الخلافة قد شغلتهم عن كل شيء من من مصالحهم فانها لم تشغلهم عن تلمّس العلوم والتناول منها بالتدريج على

سنة الفطرة. فالبراعة في الآداب من علم بوقائع العرب وتاريخهم وقول الشعر وإنشاء البليغ من النثر قد بلغت في خلافة بني أمية مبلغاً لم تبلغه أمة قط في مثل مدتها. وكان الخلفاء الأمويون يعلون منزلتها ويرفعون مكانات الشعراء والخطباء والعلماء بالسير. ثم ظهرت آثار العلوم العقلية في آخر دولتهم وترجمت جملة من الكتب العقلية والصناعية قبل نهاية القرن الاول.

نقل الخلفاء الأمويون دار الخلافة من المدينة الى الشام ولم يسيروا في الزهد سيرة الخلفاء الراشدين فقد جاء رسول من الفرس الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما سئل عنه دُلّ عليه فذهب اليه فاذا هو نائم على الارض تحت نخل البقيع بين الفقراء وجاءت رسل الملوك الى معاوية رحمه الله فاذا هو في قصر مشيد محلّى البنيان بأجمل ما يكون من الصنعة العربية مزين بالجنات والرياض وينابيع الماء مفروش بأحسن الفرش يرى الناظر فيه أنخر الأثاث والرياش. ولم يكن معاوية في ذلك قد خالف الدين أو حاد عن طريقه وإنما تناول مباحاً وتمتع برخصة آتاه الله إياها ولا يخفى مافي ذلك من ترويج فنون الابداع في الصنعة على اختلاف ضروبها

اشتغالهم بالعلوم الكونية فى أوائل القرن الثاني

انقضت دولة بني أمية والناس في ظلمات من الفتن كما قلنا ودالت الدولة لبني العباس واستقرت في نصابها من آل بيت النبي قرب نهاية الثلث الاول من القرن الثاني للهجرة (سنة ١٣٢) ثم نقل المنصور عاصمة الملك الى بغداد فصارت بعد ذلك عاصمة العلم والمدنية أيضاً. وأخذ المنصور ينشئ المدارس للطب والشريعة وكان قد جعل من زمنه ماينفقه في تعلم العلوم الفلكية وأكمل حفيده الرشيد ماشرع فيه وأمر بأن يلحق بكل مسجد مدرسة

لتعليم العلوم بأنواعها . وجاء المأمون فوصلت به دولة العلم الى أوج قوتها ، ونالت به أكبر ثروتها ، ويقال انه حمل الى بغداد من الكتب المكتوبة بالقلم مايثقل مئة بعير . وكان من شروط صلحه مع ميشيل الثالث أن يعطيه مكتبة من مكاتب الاستانة . فوجد مما فيها من النفائس كتاب بطليموس في الرياضة السماوية فأمر المأمون فى الحال بترجمته وسمّوه بالمجسطى . ولايسهل على كاتب إحصاء ماترجم من كتب العلوم على اختلافها فى دولة بني العباس أبناء عم الرسول صلى الله عليه وسلم

انشاؤهم دور الكتب العامة والخاصة

وقد أخذت دول الاسلام تعتني بديار الكتب عناية لم يسبقها مثلها من دول سواها حتى كان في القاهرة في أوائل القرن الرابع مكتبة تحتوي على مئة ألف مجلد منها ستة آلاف في الطب والفلك لاغير . وكان من نظامها أن تعار بعض الكتب للطلبة المقيمين في القاهرة . وكان فيها كرتان سماويتان احداهما من الفضة يقال ان صانعها بطلميوس نفسه وإنه أنفق فيها ثلاثة آلاف دينار . والثانية من البرنز . ومكتبة الخلفاء في اسبانيا بلغ مافيها ست مئة ألف مجلد . وكان فهرستها أربعة وأربعين مجلداً . وقد حققوا انه كان في اسبانيا وحدها سبعون مكتبة عمومية . وكان في هذه المكاتب مواضع خاصة للمطالعة والنسخ والترجمة

وبعض الخاصة كانوا يولعون بالكتب ويجعلون ديارهم معاهد دراسة لما تحتوي عليه . يقال ان سلطان بخاري دعا طبيباً أندلسياً ليزوره فأجابه ان ذلك لايمكنه لأن كتبه تحتاج الى أربعمائة جمل لتحملها وهو لايستغني عنها كلها . وكان حنين ابن اسحق النسطوري في بغداد ممن جعل

في داره مكتبة عامة يفِد اليها طلاب العلوم العقلية والرياضية وكان يتبرع بمذاكرتهم فيما يريدون المذاكرة فيه .

انشاؤهم المدارس للعلوم وكيفية التدريس

غطي بسيط المملكة الاسلامية على سعتها بالمدارس . نقول « على سعتها » لأنها زادت في السعة على المملكة الرومانية بكثير . فكنت تجد المدارس في كل الاقطار — في المغول . في التتار من جهة المشرق . في مراكش . في فاس . فى اسبانيا من جهة المغرب .

كانت طريقة الاساتذة في التدريس أن كل مدرس يُعِدُّ درسه ويكتب فى الموضوع الذي يلقي الدرس فيه مايريد ان يكتب ثم يلقيه على التلامذة وهم يكتبون عنه ثم تكون هذه الدروس كتباً وأماليّ تنشر بين الناس فى كل علم . وهنا نبادر الى القول بأن المؤرخين قد أجمعوا على ان جميع المقالات والكتب كانت تنشر ويتداولها الناس بدون أدنى مراقبة ولاحجر ولا نقص شيء مما كتب صاحب الكتاب غيران مؤرخاً واحداً رأيته ذكر أنه قد وضع قانون فى بعض الممالك الاسلامية لنشر كتب العقائد مقتضاه ان لاينشر منها شيء الا باذن . على أني لا أعلم شيئاً من ذلك وقع فى الممالك الاسلامية أيام كان الاسلام إسلاماً

نرجع الى الكلام فى المدارس الاسلامية . يقول جيبون فى كلامه على حماية المسلمين للعلم فى الشرق وفى الغرب : « ان ولاة الأقاليم والوزراء كانوا ينافسون الخلفاء ، فى اعلاء مقام العلم والعلماء ، وبسط اليد فى الانفاق على إقامة بيوت العلم ومساعدة الفقراء على طلبه . وكان عن ذلك ان ذوق العلم ووجدان اللذة فى تحصيله قد انتشرا فى نفوس الناس من سمرقند

وبخارى الى فاس وقرطبة . انفق وزير واحد لأحد السلاطين (هو نظام الملك) مائتي ألف دينار على بناء مدرسة فى بغداد وجعل لها من الريع يصرف فى شؤنها خمسة عشر ألف دينار فى السنة . وكان الذين يُغذَون بالمعارف فيها ستة آلاف تلميذ فيهم ابن أعظم العظماء في المملكة وابن أفقر الصناع فيها . غير ان الفقير ينفق عليه من الريع المخصص للمدرسة وابن الغني يكتفي بمال أبيه . والمعلمون كانوا يُنقدون رواتب وافرة » اه

انقسمت الممالك الاسلاميـة في زمن من الازمان الى ثلاثة أقسام وتنازع الخلافة ثلاث شيع . كان العباسيون في آسيا (الشرق) والامويون في الاندلس من أوربا (الغرب) والفاطميون في مصر من أفريقيا (الوسط) . ولم يكن تنافس هـذه الدول الثلاث قاصراً على الملك والسلطان ولكن كان التنافس أشد التنافس في العلم والادب . وكان مرصد سمرقند قائما في ناحية المشرق يشير الى ما كان عليه المشرقيون من العناية برياضة الافلاك ، ومرصد جيرالد في الأندلس يجيبه بأن أهل المغرب ليسوا بأحط منهم في الادراك ،

جميع المدارس في البلاد الاسلامية أخذت نظام الامتحان في المدارس الطبية عن مدرسة الطب في القاهرة وكان من أشد النظامات وأدقها . ولم يكن لطبيب أن يمارس صناعته الا على شريطة أن تكون بعد شهادة بأنه فاز في الامتحان على شدته . وأول مدرسة طبية انشئت فى قارة اوربا على هـذا النظام المحكم هي التي أنشأها العرب فى ساليرن من بلاد ايطاليا . وأول مرصد فلكي أقيم فى أوربا هو الذي أقامه العرب فى أشبيلية من بلاد اسبانيا

ولع المسلمون بالعلوم الكونية على اختلافها ، والفنون الادبية بجميع أنواعها ، حتى القصص والاساطير الخيالية ، فى الاحوال الاجتماعية ، وابتدأوا بأخذ العلم عن اليونانية والسريانية ، وأخذوا ينقلون كتب الاولين من تلك الالسن الى اللغة العربية بالترجمة الصحيحة . وكان مترجموهم فى أول الامر مسيحيين وصابئين وغيرهم ثم تعلم كثير من علماء المسلمين اللسان اليوناني واللاتيني وكتبوا معاجم في اللسانين . وذلك كله ليأخذوا العلوم من أصولها ، وينقلوها الى لسانهم على حسب ما يصل اليه علمهم فيها ، وكان المعلمون لأبناء العظماء في أول الامر من المسيحيين واليهود ثم انشئت المدارس الجامعة وكان المدرسون فيها من كل ملة ودين . كلٌ يعلّم العلم الذى عرف هو بالبراعة فيه

علوم العرب واكتشافاتهم

كان علم العرب في أول الامر يونانياً لكنه لم يلبث كذلك الا دون قرن واحـد ثم صار عربياً . ولم يرض العربيّ أن يكون تلميذاً لأرسطو وأفلاطون أو اقليدس أو بطليموس زمناً طويلا كما بقي الأوربي كذلك عشرة قرون كاملة من التاريخ المسيحي

قالوا إن باكون هو أول من جعل التجربة والمشاهدة قاعدة للعلوم العصرية وأقامها مقام الرواية عن الاساتذة والتمسك بآراء المصنفين وأطلق العلم من رق التقليد . ذلك حق في أوربا . أما عنـد العرب فقد وضعت هذه القاعدة عندهم لبناء العلم عليها في أواخر القرن الثاني من الهجرة . أول شيء تميز به فلاسفة العرب عمن سواهم من فلاسفة الأمم هو بناء معارفهم على المشاهدات والتجربيات وان لا يكتفوا بمجرد المقدمات العقلية في

العلوم مالم تؤيدها التجربة حتى لقد نقل جوستاف لوبون عن أحد فلاسفة الاوربيين : أن القاعدة عند العرب هي « جرّب وشاهد ولاحظ تكن عارفاً » وعند الأوربي الى مابعد القرن العاشر من التاريخ المسيحي « اقرأ في الكتب وكرر مايقول الاساتذة تكن عالماً » . (فلينظر المصريون وغيرهم من الشرقيين كيف انقلب الحال، وماذا أعقب من سوء المآل)

قال دِيلاَمبر في تاريخ علم الهيأة : « اذا عددت في اليونانيين اثنين أو ثلاثة من الراصدين امكنك ان تعد من العرب عدداً كبيراً غير محصور » . أما في الكيمياء فلا يمكنك ان تعد مجرّباً واحداً عند اليونانيين ولكنك تعد من المجرّبين مئين عند العرب ولهذا عدت الكيمياء الحقيقية من اكتشاف العرب دون سواهم . وقد كانوا يعدون الهندسة والفنون الرياضية من الآلات المنطقية ، يستعملونها في الاستدلال على القضايا النظرية ، وهي من أصدق الأدلة في الايصال الى المجهولات كما هو معروف

العرب هم أول من استعمل الساعات الدقاقة للدلالة على أقسام الزمن وهم أوّل من اتقن استعمال الساعات الزوالية لهذا الغرض . وقد اكتشفوا قوانين لثقل الأجسام جامدها ومائعها حتى وضعوا لها جداول في غاية الدقة والصحة كما وضعوا جداول للأرصاد الفلكية وكانت تلك الجداول معروفة يطلع عليها الناظرون في سمرقند وبغداد وقرطبة حتى لقد وصلوا بتلك القوانين الى ما يقرب من اكتشاف الجاذبية

لا يمكنني في مقالي هذا ان أعدّ ما اكتشف العرب ولا مازادوه في العلوم على اختلاف أنواعها فذلك يحتاج الى سفر كبير . وقد أحصى ذلك

أهل المعرفة والانصاف من فلاسفة الاوربيين ومؤرخيهم . وربما يتيسر لأبناء الأمة العربية أن ينشروا ذلك لاخوانهم حتى يعرفوا ما كان عليه أسلافهم.[1] ولكني أذكر كلمة قالها بعض حكماء الغربيين [2] : « تأخذنا الدهشة أحياناً عند مانظر في كتب العرب فنجد آراء كنا نعتقد أنها لم تولد الا في زماننا كالرأي الجديد في ترقي الكائنات العضوية وتدرجها في كمال أنواعها فان هذا الرأي كان مما يعلّمه العرب فى مدارسهم وكانوا يذهبون به الى أبعد مما ذهبنا فكان عندهم عاما يشمل الكائنات غير العضوية والمعادن . والأصل الذي بنيت عليه الكيمياء عندهم هو ترقي المعادن فى اشكالها . قال الخازني : اذا سمع الشعب الجاهل مايقال بين العلماء ان الذهب قد تقلب فى الأشكال المختلفة حتى صار ذهباً ظنّ من هذا أنه مرّ فى صور معادن أخرى فكان رصاصاً ثم قصديراً ثم صُفراً ثم فضة ثم صار بعد ذلك ذهباً ولا يعلم ان الفلاسفة اذا قالوا ذلك فانما يقصدون منه ماأرادوه من قولهم فى الانسان انه وصل الى حالته الحاضرة بالتدريج ومن طريق الترقي وهم لم يعنوا بقولهم هذا انه تقلب في صور الأنواع المختلفة كأن كان ثوراً ثم حماراً ثم فرساً ثم قرداً ثم صار بعد ذلك إنساناً» اه ويقول الفيلسوف كوستاف لوبون : « ان العرب أول من علّم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين »

وهنا أنكر على بعض فلاسفتهم مانقلوه عن ابن رشد من انه ذهب فى حرية الرأي الى نقض أصل الدين وقال إن الروح لا بقاء لها بعد فناء

(١) قد نشرنا جملة صالحة من ذلك في مقالات (مدنية العرب) في المجلد الثالث (٢) هو الفيلسوف درابر الاميركاني

الجسد وإنما الذي يبقى هي أرواح الأنواع . فإن هذا خطأ عرض لهم من سوء فهم كلامه في بيان بقاء الأنواع دون الاشخاص فانه قال كما قال ارسطو وغيره : ان الأشخاص توجد وتفنى وأما الأنواع فهي باقية لا تزول . وهذا باب آخر يغاير بالمرة ما استنتجوا منه (وقد سبق الكلام في بيان رأيه من وجه آخر) (١) كما أخطأوا في قولهم عنه إنه كان يعتقد بأن الله روح العالم يظهر في صوره والكل يرجع اليه بمعنى انه يفنى في ذاته ولا يبقى في العالم باق آخر وهو يقرب من قولهم السابق . فان ابن رشد كان مسلما وكان يعرف ان الاسلام لا ينافي العلم وإنما ينافي هذا الضرب من الوهم الذي لم يسقط فيه أحد الا من عثرة في طريق العلم أو الاسترسال مع الخيال . وكثير ممن سكروا بهذا الرأي أفاقوا منه . ولكن كتب ابن رشد التي بين أيدينا تبعد بنا عن نسبة هذا الرأي اليه كما سبق بيانه (٢) ولكني لا أنكر نسبته لو نسب الى ابن سبعين وهو ممن أخذ عن تلامذة ابن رشد فان في كلامه مايدل على ذلك

ويقول فيلسوف آخر : « ان العلوم التي تلقاها العرب عن اليونانيين وغيرهم وكانت ميتة بين دفات الدفاتر مقبورة بين جدران المكاتب أو مخزونة في بعض الرؤس كأنها أحجار ثمينة في بعض الخزائن لا حظَّ للانسانية منها سوى النظر اليها — صار عند العرب حياة الآداب ، وغذاء الارواح ، وروح الثروة ، وقوام الصنعة ، ومهمازاً للقوى البشرية يسوقها الى كمالها الذي أُعِدَّت له . وليس في الاوربيين من درس التاريخ وحكم العقل ثم ينكر ان الفضل — في إخراج اوربا من ظلمة الجهل الى ضياء العلم وفي تعليمها

(١) و (٢) قد سبق ذلك في المقالة الاولى التي رد بها الكاتب على الجامعة

كيف تنظر وكيف تتفكر وفي معرفتها ان التجربة والمشاهدة هما الاصلان اللذان يبنى عليهما العلم — انما هو للمسلمين وآدابهم ومعارفهم التي حملوها اليهم وأدخلوها من اسبانيا وجنوب ايتاليا وفرنسا عليهم . وكان من حظ العلم العربي والأدب المحمدي عندما دخلا الى إيتاليا ان البابا كان غائباً لأن كرسيه كان انتقل الى فرنسا في أفنيون نحو سبعين سنة فدب العلم الى شمال ايتاليا واستقر به القرار هناك . ان شوارع باريس لم تفرش بالحجارة الا في القرن الثاني عشر وقد رصّت بالبلاط على نحو مارصّت به مدن اسبانيا » اه

ويقول آخر : « لا أدري كيف أعطانا الاسلام في مدة قرنين عدداً من الفلكيين يطول سرد أفراده وان الكنيسة تسلّطت على العالم المسيحي اثنى عشر قرناً في اوربا ولم تمنحنا فلكياً واحداً »

هذا النماء والزكاء العلمي لم يكن خاصاً بطائفة دون طائفة بل كان الناس في التمكن من تناوله سواء . وانما كان التفاضل بالجد والعمل . والفضل في ذلك كله لحلم الخلفاء وعمّالهم وسماحة الدين ويسره وسهولته على أهله وأهل ذمته . قال بعض فلاسفة الغربيين قولا يعرفه الحق وتثبته المشاهدة : « ان شعوب الأرض لم تر قط فاتحاً بلغ من الحلم هذا المبلغ (يريد فاتحي الاسلام على اختلافهم) ولا ديناً بلغ في لينه ولطفه هذا الحد »

أخذ الخلفاء والامراء . بيد العلم والعلماء

ان الخلفاء الذين يقال عنهم انهم رؤساء دين وحكام سياسة معا كانوا هم بأنفسهم المتعلمين للعلوم الداعين الى تعلمها . كانوا العالمين العاملين . كان خليفة كالمأمون يضطهد أحياناً أعداء الفلسفة وقد عرف التاريخ كثيرين من أرباب الشهرة الذين قضوا في سجنه الشهور أو السنين لأنهم كانوا

يعادون الفلسفة ظناً منهم ان منها مايعدو على الدين فيفسده. هل رأيت في غير الاسلام رئيساً دينياً يضطهد أعداء العلم وجفاة الفلسفة؟ لعلك لاتجده أبداً

كان أهل العلم والأدب عامة يجدون من الاحترام عند الخلفاء والأمراء والخاصة مايليق بهم كيفما كان حالهم . وسأضرب المثل بالشيخ أبي العلاء المعري لشهرته بين الناس بما يشبه الزندقة : يذكر عليُّ بن يوسف القفطي أن صالح بن مرداس صاحب حلب خرج الى المعرة وقد عصى أهلها عليه فنازلها وشرع في حصارها ورماها بالمنجنيق فلما أحسّ أهلها بالغلَب سعوا الى أبي العلاء بن سليمان وسألوه ان يخرج ويشفع فيهم فخرج ومعه قائد يقوده فاكرمه صالح واحترمه ثم قال : ألك حاجة ؟ قال : الأمير أطال الله بقاءه كالسيف القاطع لان مسّه وخشن حده ، وكالنهار البالغ قاظ وسطه وطاب برده ، « خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين » فقال له صالح قد وهبتها لك . ثم قال له انشدنا شيئاً من شعرك لنرويه فانشده على البديهة أبياتاً فيه فترحل صالح . فانظر كيف وهب الأمير بلداً عصى أهله لفيلسوف معروف بما هو عنه معروف . ولو ذكرت مانال العلماء والفلاسفة عند الأمراء والخلفاء لطال بي المقال أكثر مما طال وفيما سبق كفاية لمكتف

إزالة شبهتين وبيان حقيقة الاضطهاد

قد يتوهم قوم ان الاضطهاد قد يظهر في مقت العامة وخلقهم مايختلقون من المفتريات على أهل العلم والفكر الحر وهمس بعضهم في آذان بعض وتغامزهم على أهل الفضل ولمزهم إياهم بالألقاب بل واحتقارهم في بعض الأحيان وهذا النوع منه عند المسلمين بلا نكير . وهو خطأ ظاهر لأن

هذا النوع مما يكره أهل العلم لاتخلو منه أرض ولا تطهر منه بلاد مهما بلغ أهلها من الحرية ومهما بلغ ذوق العلم من نفوس أهلها فان القائمين على عقيدة الكاثوليك الى اليوم في أرض فرنسا نفسها يمقتون الفلاسفة الذين يظهرون بمعاداة الكنيسة ويكتبون مايوهن قواعدها وقد يخلق عليهم أحزاب الكاثوليك مالم يقولوه ويرون ان النظر في كتبهم لايجوز في شريعة الدين . ونحن لانرتاب في ان نحو هذا كان عند المسلمين أيام كانت سوق الفلسفة رائجة عندهم ولكنه ليس من الاضطهاد في شيء وإنما هي نفرة الانسان مما لايعرف مع ترك صاحبه وشانه يمضي في سبيله الى حيث يشاء

يقول آخرون : ان التاريخ يروي لنا ان بعض أرباب الأفكار قد أخذه السيف لغلوّه في فكره فلم يترك له من الحرية مايتمتع به الى منتهى مايبلغ به وليس يصح أن ينكر ماصنع الخليفة المنصور وغيره بالزنادقة

وأقول : ان كثيراً من الغلوّ اذا انتشر بين العامة أفسد نظامها وأضرّ بأمنها كما كان من آراء الحلاج وأمثاله (١) فتضطر السياسة للدخول في الأمر لحفظ أمن العامة فتأخذ صاحب الفكر لا لأنه تفكر ولكن لأنه لم يرد أن يقصر حق الحرية على شخصه بل أراد أن يقيد غيره بما رآه من الحرية لنفسه مع أن غيره في غنًى عما يراه هو حقّاً له وتخشى الفتنة اذا استمر مدعي الحرية في غلوائه فلهذا يرى حُفّاظُ النظام أن أمثال هؤلاء يجب أن يُتّقى منهم المجتمع صوناً له عما يزعزع أركانه . ونحن نرى الفلسفة

(١) المنار — ذكر امام الحرمين في كتابه (الشامل) في اصول الدين انه كان بين الحلاج والجنابي رئيس القرامطة اتفاق سري على قلب الدولة وان ذلك هو السبب في قتل الحلاج

اليوم تضطهد الدين هـذا الضرب من الاضطهاد . ألم تقض الحكومة الفرنسيّة على الراهبين والراهبات أن تكون جمعياتهم ومدارسهم تحت سيطرة الحكومة وان لاينشأ شيء منها الا بإذن من الحكومة ومن لم يخضع لذلك تحل جمعيته وتقفل مدارسه بقوة السلاح . وقدينني من البلاد كما نفي كثيرون في سنين سابقة ؟ ولـكن هل يسمّى هذا اضطهاداً ؟ كلا ولـكن الاضطهاد حق الاضطهاد هو اضطهاد محكمة التفتيش واضطهاد رؤساء الاصلاح بعدها في أول نشأتهم

ماذا يقول القائلون ؟ ان التعليم عند المسلمين كان غريباً أمرُه، يكاد يكون خفيًّا سره، مسجد أو مدرسة تابعـة لمسجد يجلس فيها للتدريس الفقيه والمتكلم والمحدث والنحويّ والمتأدب والفيلسوف والفلكي والمهندس؛ ينتقل الطالبُ من بين يدي الفقيه ليجلس بين يدي الفيلسوف ومن مجلس الحديث الى مجلس الأدب . واذا وقعت مذاكرة بينهم في مسألة من المسائل أخذت الحرية مأخذها في الإقناع والإلزام وسقطت قيمة الغلوّ في التعبير وأخذ التسامح بينهم مأخذه . كان عمرو بن عبيد رئيس المعتزلة وأشدهم صلابة في أصول مذهبه ومع ذلك هو من مشايخ الامام البخاري صاحب الصحيح وكانت له منزلة عند المنصور تعلو كل ذي منزلة عنده حتى قال له يوماً وهو خارج من بين يديه : « رميت لـكل الناس حباً فلقطوا الا أنت ياعمرو بن عبيد » فانظر كيف كان لامام من أئمة السنه أن يصل سنده فى الحديث برئيس من رؤساء المعتزلة ولا يرى في ذلك بأساً

اذا عدّ عادٌّ بعض رجال العلم الذين أخذتهم القسوة في الاسلام وقتلهم حماقة الملوك باغراء الفقهاء وأهل الغلوّ في الدين فما عليه الا أن ينظر

فى أحوالهم فيقف لأول وهلة على ان الذي آثار أولئك عليهم ليس مجرد العصبية للدين وأن ليست الغيرة عليه هي الباعث لهم على الوشاية بهم وطلب تنكيلهم . وإنما تجد الحسد هو العامل الأول في ذلك كله والدين آلةٌ له . ولهذا لاترى مثل ذلك الأذى يقع الا على قاضي قضاة (كابن رشد ورجوع الحاكم الى العفو عنه وإنزاله منزلته دليل على ذلك) أو وزير أو جليس خليفة أو سلطان أو ذي نفوذ عظيم بين العامة . وهذا كما يقع من الفقهاء مثلا لإيذاء الفلاسفة يقع من الفقهاء بعضهم مع بعض لا هلاك بعضهم بعضاً كما يشهد به العيان ويحكي لنا التاريخ فليس هذا كذلك معدوداً من معنى اضطهاد الدين للفلسفة لأن التحاسد أكثرما يقع بين من لادين لهم على الحقيقة وان لبسوا لباسه . وإنما ذلك الاضطهاد هو الذي يحمل عليه محض الاختلاف في العقيدة أو ظن المخالفة للدين في شيء من العلم أو العمل لضيق الدين عن ان يسع المخالف بجانبه وهذا لم يقع في الاسلام . اللهم الا أن يكون حادث لم يصل الينا

هـذه طبيعة الدين الاسلامي عرضت عليـك في أهمّ عناصرهـا ومقوّمات مزاجها . وهذا كان أثرها في العالم الشرقيّ والغربي . وهذه سعة فضل الدين وقوته على احتمال مخالفيه وتيسيره لأولئك المخالفين ان يحتموا به متى رضوا بأن يستظلُّوا بظله . هل في هذا خفاء على ناظر ، وهل يرضى لبيب لنفسه أن ينكر الضوء الباهر ، أفلا يبسم الاسلام عجباً وهو في أشدّ الكرب لعقوق أبنائه، من أديب لم يكن يعده من أعدائه اذ لم يحسبه في أحبائه ، عند ماراه يسـدّد سهمه اليـه ، ويجور كما يجور الجائرون في حكمه عليه ؟؟

﴿ الاسلام اليوم — أو الاحتجاج بالمسلمين على الاسلام ﴾

المقال الرابع لذلك الامام الحكيم

ربما يسأل سائل فيقول : سلمنا ان طبيعة الاسلام تأبى اضطهاد العلم بمعناه الحقيقي وأنه لم يقع من المسلمين الأولين تعذيب ولا إحراق ولا شنق لحملة العلوم الكونية ، ومقومي العقول البشرية ، لكن أليس العلماء من المسلمين اليوم أعداء العلوم العقلية ، والفنون العصرية ، أوليس الناس تبعاً لهم ؟ أفلا يكون للأديب عذره فيما يراه ويسمعه حوله ؟ ألم يسمع بأن رجلا في بلاد اسلامية غير البلاد المصرية كتب مقالا في الاجتهاد والتقليد وذهب فيه الى ماذهب اليه أئمة المسلمين كافة . ومقالا بين فيه رأيه في مذهب الصوفية وقال انه ليس مما انتفع به الاسلام بل قد يكون مما رزئ به أو مايقرب من هـذا وهو قول قال به جمهور أهل السنة من قبله . فلما طبع مقاله في مصر تحت اسمه هاج عليه حَمَلَةُ العمائم ، وسَكَنَةُ الاثواب العباءِ ، وقالوا انه مرق من الدين ، أو جاء بالإفك المبين ، ثم رفع أمره الى الوالي فقبض عليه وألقاه في السجن . فرفع شكواه الى عاصمة الملك وسأل السلطان أن يأمر بنقله الى العاصمة ليثبت براءته مما اختلق عليه بين يدي عادل لايجور ، ومهيمن على الحق لايحيف ، الخ مايقال في الشكوى . فأجيب طلبه لكن لم ينفعه ذلك كله فقد صدر الأمر هناك أيضاً بسجنه ولم يعف عنه الا بعد أشهر مع انه لم يقل الا مايتفق مع أصول الدين ولا ينكره القارئ والكاتب ، ولا الآكل والشارب ،

ألم يسمع السامعون ان الشيخ السنوسي (والد السنوسي صاحب الجغبوب) كتب كتاباً في أصول الفقه زاد فيه بعض مسائل على أصول

المالكية وجاء في كتاب له مايدل على دعواه أنه ممن يفهم الاحكام من الكتاب والسنة مباشرة وقد يرى مايخالف رأي مجتهد أومجتهدين . فعلم بذلك أحد المشايخ المالكية (رحمه الله تعالى) وكان المقدم في علماء الجامع الأزهر الشريف فحمل حربة وطلب الشيخ السنوسي ليطعنه بها لأنه خرق حرمة الدين ، واتبع سبيلا غير سبيل المؤمنين ، وربما كان يجترئ الاستاذ على طعن الشيخ السنوسي بالحربة لو لاقاه وإنما الذي خلص السنوسي من الطعنة ، ونجّى الشيخ المرحوم من سوء المغبة ، وارتكاب الجريمة باسم الشريعة ، هو مفارقة السنوسي للقاهرة قبل ان يلاقيه الاستاذ المالكي .

هل غاب عن الاذهان ما كان ينشر في الجرائد من نحو ثلاث سنين بأقلام بعض علماء الجامع الازهر من المقالات الطويلة الأذيال الواسعة الأردان في استهجان إدخال علم تقويم البلدان (الجغرافيا) بين العلوم التي يتلقاها طلبة الجامع الأزهر ؟ وكان كتاب تلك المقالات يعرضون بمن أشار بادخال هذا العلم وغيره بين تلك العلوم وأنه إنما يريد الغضّ من علوم الدين . أم لم تنشر في العام الماضي فصول بأقلام بعضهم تشير الى الطعن في عقيدة البعض الآخر وإرادة التشهير به مع انه لم يجهر بمنكر ولم يقل قولا يبعد من الكتاب والسنة ؟

ألم تحمل الينا الرواة ماعند علماء الأفغان والهند والعجم من شدة التمسك بالقديم ، والحرص على ماورثوا عن آبائهم الأقربين ، وإقامة الحرب على كل من حاول ان يزحزحهم أصبعاً عما كان عليه سلفهم ، وان كان في البقاء عليه تلفهم ، وما عليه الحال اليوم في حكومة المغرب من الغلو في التعصب والمعاقبة بقطع بعض الأعضاء في شرب الدخان أو بالقتل

في كلمة ينكرها السامعون ، وان أجمع عليها المسلمون الآخرون ،

ثم ألا يتخيل المؤمل انه يسمع من جوف المستقبل صَخَباً ولَجَباً وضوضاء وجَلَبة ، وهيْعات مضطربة ، اذا قيل انه ينبغي لطلبة الأزهر ان يدرسوا طرفاً من مبادئ الطبيعة أو يحصلوا جملة من التاريخ الطبيعي ؟ ألا تقوم قيامة المتقين ، ألا يصيحون أجمعين أكتعين أبتعين : هذا عدوان على الدين ، هذا توهين لعقده المتين ، هذا تغرير بأهله المساكين ، ولا يزالون يشيرون بهذا الى ان لا يبقى شيء عرف له اسم في اللغة الا ألصقوه بهذه البدعة في زعمهم

هل هذه الحال جديدة على المسلمين حتى يقال إنها عارض عرض عليهم ، أو مرض من الامراض الوافدة اليهم ، ؟ لا يسهل على من يعرض أحوال المسلمين تحت نظره من قرون متعددة أن يظن ان هذه الحال من العلل الطارئة على أمزجة الأمم خصوصاً عند مايجد الوحدة فى الصفات ، والشمول فى جميع الاعتبارات ، فلو أخذ مسلما من شاطئ الاطلانطيق وآخر من تحت جدار الصين لوجد كلمة واحدة تخرج من أفواههما وهي : « إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مهتدون » وكلهم أعداء لكل مخالف لما هم عليه وإن نطق به الكتاب واجتمعت عليه الآثار . اللهم الافئة قليلة زعمت أنها نفضت غبار التقليد وأزالت الحجب التي كانت تحول بينها وبين النظر في آيات القرآن ومتون الاحاديث لتفهم أحكام الله منها . ولكن هذه الفئة أضيق عطناً وأحرج صدراً من المقلّدين وان أنكرت كثيراً من البدع ونحّت عن الدين كثيراً مما أضيف اليه وليس منه . فانها ترى وجوب الاخذ بما يفهم من لفظ الوارد والتقيد به بدون التفات الى

ما تقتضيه الاصول التي قام عليها الدين ، واليها كانت الدعوة ، ولاجلها منحت النبوة ، فلم يكونوا للعلم أولياء ، ولا للمدنيّة السليمة أحبّاء ،

هل يمكن ان ينكر أحد جمود الفقهاء ووقوفهم عند عبارات المصنفين على تباينها واختلافها واضطراب الآراء فى فهمها واذا عرضت حادثة من الحوادث ولم يكن لمصنف معروف رأي فيها احجموا عن إبداء الرأي واجتهدوا فى تحويلها عن حقيقتها الى أن تتفق مع قول معروف فى كتاب من الكتب حتى لقد جاء طالب علم من بلد من بلاد الدولة العثمانية وأراد الالتحاق بأحد الأروقة فى الجامع الأزهر فوقع الشك هل بلده مما لأهله استحقاق في ذلك الرواق على حسب نص الواقف . فقال قائل لشيخ الرواق : ان كتب تقويم البلدان تشهد بأن البلد داخل فى شرط الواقف فقال : إنني لا أقنع بما فى تلك الكتب وإنما الذي يصح ان آخذ به هو ان يكون فقيه (ممن مات) قال : ان هذا البلد من قطر كذا وهو الذي وقف الواقف على أهله . واذا قيل لأحدهم : إن الأئمة أنفسهم لم يعينوا مواقع البلدان ولم يضعوا لنا جدولاً لبيان مايحويه كل قطر وبيان الحدود التي ينتهي اليها وإن أصول ديننا تسمح لنا بأن نأخذ بأقوال العلماء في هذه الفنون (وهم منا) وبتواتر الاخبار وما أشبه ذلك من البديهيات قال : انما أريد نصاً فقهياً ، لا دليلا عقلياً ،

واذا قيل لهم : اختلت الشؤون ، وفسدت الملكات والظنون ، وساءت أعمال الناس ، وضلت عقائدهم ، وخوت عباداتهم من روح الاخلاص ، فوثب بعضهم على بعض بالشر ، وغالت أكثرهم اغوال الفقر ، فتضعضعت القوة ، واخترق السياج ، وضاعت البيضة ، وانقلبت

العزة ذلة ، والهداية ضلة ، وسا كنتكم الحاجة ، وألفتكم الضرورة ، ولا تزالون تألمون مما نزل بكم وبالناس ، فهلا نبهكم ذلك الى البحث في اسباب ما كان سلفكم عليه ، ثم علل ماصرتم وصار النــاس اليه ، قالوا : ذلك ليس الينا ، ولا فرضه الله علينا ، وإنما هو للحكام ينظرون فيه ، ويبحثون عن وسائل تلافيه ، فان لم يفعلوا ولن يفعلوا فذلك لأنه آخر الزمان وقد ورد فى الأخبار مايدل على انه كائن لامحالة وان الاسلام لابد ان يرفع من الارض ولا تقوم القيامة الا على لكع ابن لكع . واحتجوا على اليأس والقنوط بآيات وأحاديث وآثار تقطع الأمل ، ولا تدع فى نفس حركة الى عمل ،

رأي رنان في الاسلام : هذا الجمود — الذي لو أردنا بيان ما امتد اليه من طبقات الأفكار وثنيات الوجدان لكتبنا فيه كتاباً — هو الذي حمل الموسيو رنان الفيلسوف الفرنسي المشهور ان يقول في عرض كلام له فى تساهل المذاهب الدينية مع العلم نقلته عنه الجامعة : «على أنني أخشى ان يثبت الدين الاسلاميّ وحده فى وجه هـذا التسامح العام فى العقائد ولكنني أعرف ان فى نفوس بعض الرجال المتمسكين بآداب الدين الاسـلامي القديمة وفى بضعة من رجال الاستانة وبلاد الفرس جراثيم جيدة تدل على فكر واسع وعقل ميال الى المسالمة . الا انني أخشى ان تختنق هذه الجراثيم بتعصب بعض الفقهاء فاذا اختنقت قضيَ على الدين الاسلاميّ . ذلك انه من الثابت الآن أمران — الأول ان التمدن الحديث لايريد إماتة الأديان بالمرة لأنها تصلح أن تكون وسيلة اليه . والثاني انه لايطيق ان تكون الأديان عثرة في سبيله . فعلى هذه الأديان ان تسالم وتلين والا كان موتها ضربة لازب » اهـ كلام رنان بتصرف لفظي قليل

فمن أين يكون هذا الجمود العام الذي سمح للطاعنين ان يحكموا على الاسلام بأنه عثرة فى طريق المسلمين يسقط بهم دون ان ينالوا فلاحاً فى سعيهم ، أو نجاحا فى أعمالهم ، من أين يكون هـذا الجمود ان لم يكن من طبيعة الدين ؟ ومن أين يكون ماسردناه من الحوادث إن لم يكن ناشئاً من أصول الدين ؟ فان لم تسلم بأن هذا اضطهاد وان الاضطهاد من لوازم الدين الاسلامي فعليك ان تسلم بأنه عداوة للعلم أواشمئزازمنه ، أواستهجان له أو احتقار لشأنه ، وأحد هذه الأمور كاف اذا عم بين المسلمين فى ان ينفر بهم عن كل مجد ، وأن يحرمهم كل نفع ، وان يحقق فيهم ما تنبأ به رنان وغيره فما قولك فى هذا ؟؟ (له بقية)

(المنار) سيأتي الجواب فى الجزء الآتي وفيه بيان حقيقة هذا الجمود وأسبابه وكونه لابد ان يزول ان شاء الله تعالى فانتظر العجب العجاب

الاجتماع السادس لجمعية أم القرى

يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦

في الضحى الأوّل من اليوم المذكور تألفت الجمعية حسب معتادها وقرئ الضبط السابق واستعدت الاذهان لتلقي ما يفيضه الله على ألسنة أهل الإيمان من الإخوان

قال (الاستاذ الرئيس) مخاطباً (الشيخ السـندي) انك يامولانا لم تشاركنا في البحث الى الآن فنرجوك أن تتكرم على إخوانك بنبذة من عرفانك تنور بها افكارنا ونرجوك أن لاتحتشم من التعاثم في بعض التعبـيرات اللغوية لغلبة العجمة عليك فان لك أسوة بالفيروزابادي والسعد والفخر وغيرهم .

فقال (الشيخ السندي) إنكم ايها السادة الاخوان سراة افاضل الزمان ، وسباق فرسان كل ميدان ، قد افدتم وأجدتم ولم تتركوا القائل من مجال ، ولا لمثلي غير الإصغاء والامتثال ، وإني احب ان اذكر لكم حالتي وفكرتي قبل هذه الاجتماعات وما

أثرته في هذه المفاوضات • فأقول : اني من خلفاء الطريقة النقشبندية وإذ كان والدي المرحوم هو ناقل هذه الطريقة للأقاليم الشرقية والجنوبية في الهند فقد صرت بعد والدي مرجعاً لعامة خلفائها ثم جرت لي سياحات مكررة في تلك الأرجاء وفي أيالات كاشغر وقازان حتى سيبريا وتلك الانحاء وبسبب حرصنا على تعميم طريقتنا صار لها شيوع مهم وانتشار عظيم بين مسامي هاتيك الديار •

ومن المعلوم ان طريقتنا من أقرب الطرائق للاخلاص وأقلها انحرافاً عن ظاهر الشرع وهي مؤسسة على الذكر القلبي وقراءة ورد خواجكان ومراقبة المرشد والاستمداد من الروحانيات وإني لم أكن أفكّر قط في أن الذكر وقراءة الورد على وجه راتب فيه مظنة البدعة أو الزيادة في الدين ولا أن المراقبة والاستفاضة والاستمداد من أرواح الانبياء والصالحين فيها مظنة الشرك الى أن حضرت هذه الاجتماعات المباركة فسمعت وقنعت وأقلعت والحمد لله •

على اني عزمت أيضاً على أن أتلطف في الامر بالنصيحة والموعظة الحسنة عسى ان أوفق لهداية جماهير النقشبندية في تلك البلاد والى تصحيح وجهتهم بأن يذكروا الله قلباً ولساناً بدون عدد مخصوص معين قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم بدون هيئة أو كيفية معينة متى شاؤا وأرادوا بدون وقت مرتب فرادى ومجتمعين بدون تداع • وان يتركوا المراقبة ويستعيضوا عنها بالدعاء بالغفران والرحمة لكل من الشيخ بهاء الدين النقشي مرشدهم الأعلى ولخليفته مرشدهم الأدنى الذي هم مبايعوه •

وقد فتح الله عليّ ببركة جمعيتنا هذه فهم أسباب ميل المسلمين في هاتيك البلاد صالحهم وفاسقهم للانتساب الى احدى الطرائق الصوفية وكنت قبلاً أحمل ذلك على مجرد اخلاص المرشدين والآن اتضح لي أن السبب هو ان السادة الفقهاء عندنا من الحنفية والشافعية قد ضيقوا على المسلمين العبادات تضييقاً لا يعلم ان الله تعالى يطلبه من عباده وكثروا الاحكام في المعاملات تكثيراً ضيع الناس وشوش الافتاء والقضاء حتى صار المسلم لا يكاد يمكنه أن يصحح عبادته أو معاملته مالم يكن فقيها

فتوسيع الفقهاء دائرة الاحكام أنتج تضييق الدين على المسلمين تضييقاً أوقع الأمة في ارتباك عظيم ارتباكا جعل المسلم لا يكاد يمكنه أن يعتبر نفسه مسلماً ناجياً لتعذر تطبيق جميع عباداته ومعاملاته على ما يتطلبه منه الفقهاء المتشددون الآخذون بالعزائم فبذلك أصبح الجمهور الأكبر من المسلمين يعتقدون في أنفسهم التهاون

اضطراراً فهون عليهم التهاون اختياراً كالغريق لا يحذر البلل • لأنه كيف يطمئن الحنفي العامي حق الاطمئنان في الاستبراء لتصح طهارته وكيف يحسن مخارج الحروف كلها وقد أفسدت العجمة لسانه لتصح صلاته • وكذلك كيف يصحح الشافعي العامي نيته على مذهب امامه في الصلاة أو يعرف شدات الفاتحة الثلاث عشرة ويتنبه لإظهارها كلها ليكون أدّى فريضته

بل أي عامي يعرف وصف الكلام ومعنى الاستواء وتأويل الوجه واليد واليدين وتعيين الجزء الاختياري وإضافة الأعمال له أو لله الى غير ذلك ليكون عند الحنفية الماتريدية والشافعية الأشاعرة مسلماً مقلداً يرجى له قبول الايمان ؟ ومَنْ مِن العامة يحيط علماً بكل ماثبت بالنص القاطع حتى صفرة بقرة بني اسرائيل مثلا لكيلا يعتقد خلافه فيكفر فيحبط عمله ومن جملته انفساخ نكاحه • وكم من مسلم يحكم عليه الفقيه الشافعي بأنه نسل سفاح ومقيم على السفاح وراض لمحارمه بالسفاح الى غير ذلك مما ينافي سماحة الدين ومزية التدين به في الدنيا قبل الآخرة •

فبهذا التضييق صار المسلم لا يرى لنفسه فرجاً الا بالالتجاء الى صوفية الزمان الذين يهونون عليه الدين كل التهوين • (مرحى) وهم القائلون : ان العلم حجاب و : بلمحة تقع الصلحة • و : بنظرة من المرشد الكامل يصير الشقي ولياً وبنفخة في وجه المريد أو تفلة في فمه تطيعه الافعى وتحترمه العقرب التي لدغت صاحب الغار عليه الرضوان (١) وتدخل تحت أمره قوانين الطبيعة • وهم المقررون بأن الولاية لا ينافيها ارتكاب الكبائر كلها الا الكذب وان الاعتقاد أولى من الانتقاد وان الاعتراض يوجب الحرمان أي ان تحسين الظن بالفساق والفجار أولى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الى غير ذلك من الأقوال المهونة للدين والأعمال التي تجعله نوعاً من اللهو الذي تستأنس به نفوس الجاهلين •

على أن الناس لو وجدوا الصوفية الحقيقيين — وأين هم — لفروا منهم فرارهم من الأسد لأن ليس عند هؤلاء الا التوسل بالاسباب العادية الشاقة لتطهير النفوس من أمراض الإفراط في الشهوات وتصفية القلوب من شوائب الشره في حب الدنيا وحمل الطبائع بوسائل القهر والتمرين على الاستئناس بالله وبعبادته عوضاً عن الملاهي المضرة وذلك طلباً للراحة الفكرية والعيشة الهنية في الحياة الدنيا والسعادة الأبدية

(١) المنار — المنقول ان الصديق لسعته حية لاعقرب ولم يصح

في الآخرة • وأين التهوين السالف البيان لصوفية الزمان من هذه المطالب التهذيبية الشاقة ومن حقائق العرفان المعنوية التي لا يعرفها ويتلبس بها الآن من وفقه الله وكشف عن بصيرته • وذلك نحو العرفان عن يقين وإيمان ان من أعز كلمة الله أعزه الله ومن نصر الله نصره الله ومن توقع الخير أو الشر جازماً نال ماتوقع ومن تَصْفُو نفسُه يُلْهَمُ رشده ومن اتكل على الله حقاً كفاه الله ما أهمه ومن دعا الله مضطّراً أجاب دعاءه الى غير ذلك من الحقائق المقتبسة من القرآن وأسرار حكمة سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم (مرحى)

قال (الاستاذ الرئيس) قد أحسن أخونا الشيخ السندي توصيفه المتفقهة المتشددة والمتصوفة المخففة واني ماحق تقريره بما يناسب ان يكون مقدمة تاريخية لبحث التصوف فأقول :

قد كان التنسك في المسلمين شيمة لأكثر الصحابة والتابعين ثم ان التوسع في الدنيا قلل عدد المتنسكين فصار لأهله حرمة مخصوصة بين الناس وصار بعض المتفرغين يقصدون نيل هذه الحرمة بالتلبس بالتنسك والزام النفس بالتمرن عليه وإذ كان من لوازم استحصال تلك الحرمة اظهار التقشف اتخذوا الصوف دثاراً واسم الفقر شعاراً فغلب عليهم اسم الصوفية واسم الفقراء ثم ان بعض العلماء من هؤلاء المعتزين بالتنسك أحبوا التميز بالرياسة أيضاً فصاروا يدعون الناس الى التنسك ويرشدونهم الى طرائق التمرن عليه ومن هنا جاء اسم الإرشاد واسم الطريق •

وإذ كانت ارادة الاعتزاز بالدين ارادة حسنة لإن فيها اعزازاً لكلمة الله فلا يؤخذ بشيء على المرشدين الاولين ولا على البعض النادر من المتأخرين ولو من أهل عهدنا هذا كالسادات السنوسية في صحراء أفريقيا •

أما دخول الفساد على التصوف واضراره بالدين وبالمسلمين مما ذكره أخونا الشيخ السندي وغيره من الإخوان الكرام فقد نشأ من أن بعض المرشدين من أهل القرن الرابع لما رأوا توسع الفقهاء في الشرع وتفنن المتكلمين في العقائد فهم كذلك اقتبسوا من فاسفة فيثاغورس وتلامذته في الإلهيات قواعد وانتزعوا من لاهوتيات الكتابيين والوثنيين جملا وألبسوها لباساً إسلامياً فجعلوه علماً مخصوصاً ميزوه باسم علم التصوف أو الحقيقة أو الباطن • وهكذا بعد ان كان التصوف عملا تعبدياً محضاً جعلوه فناً نظرياً اعتقادياً بحتاً •

ثم جاء منهم في القرن الخامس وما بعده بعض غلاة دهاة رأوا مجالا في جهل

أكثر الأمة لأن يحوزوا بينهم مقاماً كمقام النبوة بل الألوهية باسم الولاية والقطبانية أو الغوثية وذلك بما يدعون من القوة القدسية والتصرف في الملكوت فوسعوا فلسفة التصوّف باحكام تشبه الحكم بنوها على زخرف التأويلات والكشف والتحكمات والمثال والخيال والأحلام والأوهام وألفوا في ذلك الكتب الكثيرة والمجلدات الكبيرة محشوة بحكايات مكذوبة وتقريرات مخترعة وقضايا وتركيبات لامفهوم لها البتة حتى ولا في مخيلة قائليها كما ان قارئيها أو سامعيها لايتصورون لها معنى مطلقاً وان كان بعضهم يتظاهر بحالة الفهم ويتامظ بان للقوم اصطلاحات لاتدرك الا بالذوق الذي لايعرفه الا من شرب مشربهم

وبعض هؤلاء الغلاة قتلوا كفراً ومع ذلك شاعت كتبهم ومقالاتهم وحازوا المقام الذي ادعوه بعد مماتهم لأن في تعظيم شأنهم ترويج مقاصد المقتفين لآثارهم كالإباحيين • وبعضهم لم يكن من الغلاة ولكن أخلافه اعظاماً لأنفسهم في نظر حمقى الأمة نسبوا اليه الغلو وعزوا اليه كتباً ومقالات لايعرفها ومنهم الأفاعيون يفعلون ذلك حتى في عهدنا هذا ولا حول ولا قوة الا بالله (له بقيه)

(المنار لقد بالغ الرجل رحمه الله في النقدوان للقوم في مجموعهم حسنات لم يذكرها كما ان لهم سيئآت وقد بينا ما لهم وعليهم من قبل

باب الاسئلة والاجوبة

(س ١) الاستمطار بالكهربائية ومفاتح الغيب — محمد افندي كامل الكاتب بمحكمة أسيوط : رأيت في بعض المجلات أن علماء الطبيعة في اليابان أمكنهم أن يستحدثوا سحباً ويستمطروها حسب أهوائهم • ورأيت في مجلة أخرى أنهم في بلاد الانكليز يستمطرون السحب الطبيعية • وقد ورد في القرآن الشريف للإعجاز أن الخالق جلّت قدرته هو الذي ينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام الخ • وورد أيضاً أن الغيث ينزل بقدر معلوم وان الله تعالى هو الذي يرسل السحاب حيث يشاء • فهل ما ذكر عن الانكليز واليابان ينافي الإعجاز الوارد فى القرآن وما حدده من علم الانسان بالكائنات؟ نرجو البيان وتفسير الآية « نفعنا الله والمسلمين بغزارة علمكم ••• » اه باختصار

(ج) ان الأمة الاميركية هي السابقة الى ادعاء إمكان الاستمطار بالعمل وذلك بإرسال مقدار عظيم من الكهربائية فى الجوّ تنتشر في السحاب فتجتمع بها دقائق

البخار فتكون ماء فينزل مطراً . ويقال انهم جربوا ذلك فنجح بعض النجاح ولكنه لم يأت على حسب المراد ، ويصير خاضعاً لكسب الإنسان يفعله متى أراد ، والذي نبههم الى هذا ملاحظة حدوث المطر عقيب الحرب حيث تطلق المدافع فتحدث فى الجوّ تغيراً عظيما .

وليس من المحال عقلا ولا شرعاً أن يصل علم الإنسان بسنن الله في الخلق الى حد يستمطر به السحاب متى شاء فان الله تعالى لم يجعل لعلم الإنسان بالكائنات حدًّا معيّناً بل تشير آيات القرآن باطلاقها الى أنه لا حدَّ له كقوله تعالى « وسخر لكم ما في السموات وما في الارض » ولا ينافي ذلك إن حصل كون الله تعالى هو الذي ينزل الغيث وكونه ينزله بقدرٍ معلوم فان ما يناله الإنسان بسعيه وكسبه لا يخرج عن قدرة الله تعالى وعلمه ولم يرد ذلك للإعجاز . أرأيت هذه الينابيع التي نفجّرها ، والآبار التي نحتفرها ، أهي تخرج بكسبنا عن سلطة القدرة الإلهية ، وتحتجب بسعينا عن علمه المحيط بالبريّة ، كلا

أما قوله تعالى : « إن اللهَ عنده علمُ الساعةِ ويُنزّلُ الغيثَ ويعلم مافي الأرحام وما تدري نفسٌ ماذا تكسِبُ غداً وما تدري نفسٌ بأي أرضٍ تموتُ » فليس نصًّا في كون علم الإنسان لايصل الى معرفة شيءٌ من هذه الأمور . ولكن يشتبه على الناس تفسير قوله تعالى « وعنده مفاتحُ الغيب لايعلمها الاّ هو » بهذه الخمس المذكورة فى الآية كما فى حديث أحمد والبخاري . وقد قال الإمام الرازي وغيره أن المراد مفاتح خزائن الغيب أي فلا يعلم جميع ما في خزائن الغيب الاّ من بيده مفاتحها وهو الله تعالى . وقد ظهر لي في أيام طلب العلم وقراءة التفسير وجه دقيق لجعل هذه الخمس مفاتح للغيب ولم أر أحداً من المفسرين تعرض لذلك . وقد عرضت هذا الوجه يومئذ على أستاذنا الشيخ محمود نشابه وعلى شيخنا القاوقجي (رحمهما الله تعالى) فاستحسناه وكتبته في كتابي (الحكمة الشرعية) وهو :

ان المفاتح جمع مفتح بفتح الميم أو كسرها بمعنى الخزائن أو المفاتيح والغيب ما غاب عن الناس وهو عالَم الآخرة وعالَم البرزخ بين الدنيا والآخرة وبعض عالم الدنيا وهو النبات الذي لم ينبت والحيوان الذي لم يولد وما تكسبه الانفس في المستقبل . فالساعة مفتح عالم الآخرة والغيث مفتح عالم النبات وما في الارحام مفتح عالم الحيوان وقوله تعالى « وما تدري نفس ماذا تكسب غداً » ظاهر في مفتح الكسب والاعمال التي ستحدث . وكذلك كون الموت مفتح عالم البرزخ ظاهر في باقي الآية . اه وفي الكتاب

تصوير لمعنى الآية بصورة أخرى . ولك أن لاتسمى الموت برزخاً ولاتجعل البرزخ عالماً

(س ٢) الأعطار الافرنجية — ا . ز . غ . في السويس : أرجو الافادة عن العطر المسمّى (باللوندا) ونحوه أطاهر ام نجس الخ

(ج) هو طاهر كما بيناه بالادلة في الصفحة ٥٠٠ من المجلد الرابع فليراجعه السائل

(س ٣) الخطباء والموضوعات — ا . ع . بالازهر : صلينا آخر جمعة من جمادى الثانية في الازهر الشريف فسمعنا الخطيب ذكر في الخطبة الحديث الذى كنتم ذكرتم في المنار انه موضوع وهو من صام يوما من رجب فله كذا الخ فاذا كان مانقلتم عن المحدثين من وضعه هو الصحيح الثابت فكيف يتجرأ خطيب الازهر على اسناد الاحاديث المكذوبة على النبى صلى الله عليه وسلم اليه وهو يخطب على رؤس أشهر علماء الدين في المسلمين . وهل يجب منع امثال هؤلاء الخطباء من ذلك ام لا

(ج) جاء فى فتاوي ابن حجر المكي الحديثية أنه سئل عن خطيب يرقى المنبر فى كل جمعة ويروي أحاديث كثيرة ولم يبين مخرجيها ولا رواتها. فذكر فى الجواب اشتراط معرفة الحديث فى جواز ذلك أي أن يكون الخطيب محدثا يروي ما صح عنده أو ينقله من كتب الحديث المعتبرة . قال : « واما الاعتماد فى رواية الاحاديث على مجرد رؤيتها فى كتاب ليس مؤلفه من أهل الحديث أو فى خطب ليس مؤلفها كذلك فلا يحلّ ذلك ومن فعله عزّر عليه التعزير الشديد . وهذا حال أكثر الخطباء فإنهم بمجرد رؤيتهم خطبة فيها أحاديث حفظوها وخطبوا بها من غير أن يعرفوا أن لتلك الاحاديث أصلا أم لا . فيجب على حكام كل بلد أن يزجروا خطباءها عن ذلك ويجب على حكام بلد هذا الخطيب منعه من ذلك إن ارتكبه » اه ولا يخفى أنه ليس عندنا فى هذا العصر حفاظ ولا محدثون فياليت مدير الاوقاف يلزم الخطباء بتخريج الاحاديث من الكتب الصحيحة وعزوها في الخطبة الى مخرجيها كالبخاري ومسلم وغيرهما من الحفاظ

والذى ساق الخطباء الى اختيار الاحاديث الموضوعة والواهية هو التزامهم انشاء الخطب في مدح الشهور والمواسم المبتدعة . واذ لم يجدوا حديثاً صحيحاً ولا حسنا في صوم رجب ذكروا المكذوب والواهي . أكثر المشتغلين بالعلم جهلاء بالحديث ومن كان منهم عالما به في الجملة فهو غير عامل فلا ينهى عن المنكر ولا يأمر بالمعروف ولذلك استمرت هذه المنكرات حتى كاد يعدها العامة من ضروريات الدين ، ألا تراهم يحتفلون بصلاة الرغائب في دار السلطنة وغيرها وهي كما نص الفقهاء والمحدثون بدعة مذمومة (راجع بدع رجب في المجلدين الثاني والثالث)

(س ٤) القراءة على القبر — الشيخ احمد حامد بدوي بالازهر: قرأت فى رواية «عذراء قريش» لحضره جرجي افندى زيدان «انه لما اشتد الخلاف على عثمان رضي الله عنه دخل عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه عند قبر رسول الله عليه الصلاة والسلام وشكا اليه حال الأمة ودعا لها ثم قرأ الفاتحة» ونحن نعتقد أن قراءة القرآن لاتجوز على القبور مطلقاً فجئنا بهذه السطور لنسأل المنار هل ما نعتقده صحيح أو يجوز قراءة القرآن كما فعل الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه (كما قاله صاحب الرواية) وللاسلام منكم مزيد الفضل والشكر

(ج) ان الأخبار والآثار التي يحتج بها شرعاً لاتؤخذ من القصص ولا من كتب التاريخ وانما تؤخذ عن المحدثين الذين يبينون أسانيدها ليعلم أيحتجُّ بها أم لا. فالأثر المنقول فى الرواية غير صحيح ولو صح لجاء فيه الخلاف فى الاحتجاج بعمل الصحابي ثم يقال بعد هذا ان العلماء مختلفون فى جواز القراءة عند القبر ولا بد أن يكون اعتقاد السائل بالمنع مبنيا على عدم الاعتداد بما ذكر المجيزون من الدليل فكيف يعتد بعد هذا برواية فى قصة لمن ليس من أهل الحديث؟ وقد ذكرنا رأينا فى المسئلة من قبل فلا نعيده فليراجع السائل الجزء الرابع من هذه السنة والمجلدات السابقة

باب الاخبار والآراء

ارجأنا تمة ترجمة السنوسى الى الآتي

(الاسلام والدولة البريطانيه)

لهج بعض الجرائد في هذه الايام بمقالة لكاتب انكليزي اسمه (مستر د. ج. كوربت) نشرت في الجزء الخامس من كتاب انكليزي كبير في الدولة الانكليزية ومستعمراتها. عنوان هذه المقالة (الاسلام والدولة البريطانية) وقد ارسلها كاتبها الي بعض الجرائد الاسلامية ومنها جريدة المؤيد وطلب منها رأيها فيها وقد عربتها جريدة المؤيد ونشرت التعريب في ستة أجزاء فكان له وقع عظيم عند المسلمين. ونحن نلخص عيون المقالة في اربع مسائل

(١) انكلترا أكبر دولة اسلامية يقول الكاتب في اثبات هذه المسئلة ان المسلمين الذين تحكمهم الدولة العثمانية ستة عشر مليوناً ونيفا بحسب الإحصاء الرسمي والذين تحكمهم دولة الصين ٣٢ مليوناً والذين تحكمهم روسيا ستة ملايين. وهذه الدول الثلاث اكثر الدول تابعاً من المسلمين بعد انكلترا التي تحكم ١٠٧ ٠٧٦ ٨٠٤

مسلمين. وقد بين الكاتب ذلك بالتفصيل فى ثلاث جداول احصائية. واستدركت عليه جريدة المؤيد قائلة ان هذه الجداول مأخوذة من احصاء ١٨٩١ وقد زاد عدد المسلمين في المستعمرات الانكليزية في العشر الاخير زيادة عظيمة فقد كان عدد مسلمي الهند في العشر الماضي ٥٧ مليوناً وصار عددهم بحسب الاحصاء الاخير ٨٧ مليوناً بل ٨٩ مليوناً و ١٢٥ الفاً. وبالجملة ان المؤيد قدر عدد المسلمين الخاضعين للانكليز ١٣٨٫٧٠٦٫٧٤٠ وقال ان هذا المجموع أقل من الحقيقة بكثير

(٢) معاملة الانكليز للمسلمين: يقول الكاتب ان المسلمين في المستعمرات الإنكليزية يتمتعون بالحرية الدينية ويرتقون فى معارج الحياة الاجتماعية ويزدادون بالتدريج ثروة وعلماً وأدباً وستكون الهند مصدرا لمدنية آسيا ومصر منبعاً لحياة ما يجاورها من آسيا وأفريقيا. ثم انه مع هذا ينسب الى قومه الانكليز التقصير في القيام بمصالح المسلمين ويثبت لهم ان مستقبل بريطانيا العظمى مرتبط بمستقبل المسلمين ومصالحهم مقرونة بمصالحهم. ويقول ان الانكليز ارتكبوا هفوات مع المسلمين جهلا وغروراً ونقل عن الدكتور ليتنر الذي وصفه بانه حجة ثقة جملة جاء فيها أن الصلة انقطعت بين الانكليز والمسلمين في الهند بابطال محكمتي الصدر الديواني ونظام عدالت

قال الدكتور «وان أحكام محاكمنا (أي الانكليزية) صارت بعيدة عن الغرض المقصود لجهل قضاتنا باللغة العربية التي لا يمكن أن يكون لأحد مع المسلمين نفوذ بدون معرفتها لارتباطها بالشريعة المحمدية ارتباطاً انفكاك له». وينقل الكاتب عن هذا الدكتور أيضاً القول بوجوب ردّ الانكليز المرتبات والهبات التي منعت عن المسلمين بغير حق ليستعينوا بها على «التربية الدينية والأدبية اللازمة للأمة المحمدية». ويقول اذا اتبعنا نصيحة الدكتور فاننا نكفر عن سيئاتنا الإدارية وغلطاتنا السياسية التي وقعت من بعض حكام الهند قديماً خصوصاً إقفال ابواب المدارس العليا فى وجوه الناشئة الاسلامية وما تبع ذلك من التضييق عليهم في وظائف الحكومة. ويعترف الكاتب للسيد احمد خان بأنه كان هو السبب في تقرب الانكليز من المسلمين وانهم خطوا بسعيه خطوات واسعة ويمدح مدرسته التي كانت مساعدة على هذا التقرب وازالة سوء التفاهم بين الفريقين. ويوجب على الانكليز مساعدة المدارس التي تربي الناشئة على الاستقلال ومحاسن الاخلاق وصفات الرجولية كمدرسة احمد خان

(٣) ارتباط مصلحة الانكليز بالمسلمين: قال يجب علينا وراء التكفير عن سيئاتنا ومساعدة اخواننا المسلمين على الترقي أن نزيل ماعلق بأذهان بعضنا من سوء فهم

الدين الاسلامي فان نتيجة هذا الجهل جعلهم اعداء لنا • ثم نقل ان المسلمين دعوا الله تعالى في مساجد الهند بأن ينصر الانكليز على البور واستدل بهذا على اخلاصهم لحكومتهم وعلى وجوب جذبهم اليها لكيلا تصيبهم السموم التي ينفثها اعداؤها • وذكر الافغان وما يكون لهم من الشأن اذا حاربت روسيا الانكليز في الهند• وانتقل الى افريقيا وذكر قوة السنوسيين فيها وازدياد نفوذهم وانها ستكون وبالا على الانكليز اذا هم لم يجذبوا المسلمين إليهم فانهم لا يلومون في المستقبل إلا انفسهم

قال : « الواسطة الوحيدة لتمكين سلطتنا في آسيا وأفريقيا هي أن نبذل جهدنا في افهام المسلمين ان مصالحها الدينية والسياسية مرتبطة بمصالحنا وانهم بخدمة مصالحهم يخدمون مصالحنا ونحن كذلك • ويلزم المسلمين لذلك أن يعلموا ان كثيرا من معتقداتهم التي يحسبونها من الدين ليست منه ولا جاء بها كتابه • يقول القاضي سيد أمير علي أحد نبهاء المسلمين : « ان سبب تأخر المسلمين وبقائهم على ما هم عليه من التأخر يرجع في الغالب الى ما رسخ في أذهانهم من ان لا حق لهم في استعمال عقولهم في فهم دينهم لان ذلك قد انتهى بانقراض المجتهدين الأولين فصار الاجتهاد بعدهم محرماً وأن المسلم لا يكون مسلماً صادقاً الا اذا كان مقلداً لمذهب من المذاهب المعروفة • فيترك المسلم ما يعتقد وما يفهم ويتمسك بآراء اهل القرن التاسع من المفسرين والفقهاء غير ملتفت الى الآراء والأفكار التي وصل اليها العالم في القرن التاسع عشر »

وقد ختم الكاتب كلامه بذكر حركة العالم الاسلامي الآن للترقي وحتم على الانكليز مساعدة هذه الحركة والاستفادة منها وعلق الامل في ربط الالفة بين الفريقين بمسلمي ليفربول

(٤) دين الاسلام دين مدنية : اثنى الكاتب على الاسلام ثناء من فهمه ورد على المعترضين عليه بفهم وعقل ونقل اقوال ثقات الحكماء والعلماء الغربيين في مدحه واجاب عن الاعتراضات المشهورة بأجوبة حسنة. وربما نلخص تلك الاقوال والمدائح بعد • وان لنا كلاما في الوفاق الاسلامي الانكليزي نذكره في الجزء الآتي

﴿ مثال من أمثلة طفولية الامة — جمعية مكارم الاخلاق ﴾

يعرف قراء المنار أن جمعية وجدت في القاهرة سميت (جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية) ثم وجد لها فروع في الزقازيق والاسكندرية وغيرها • وقد أقبل الناس في القاهرة على الجمعية حتى صار أعضاؤها يعدون بالمئين أو تجاوزوها وأنشأت الجمعية مجلة سمتها باسمها بلغ عدد المشتركين فيها بعد أشهر من ظهورها زهاء أربعة آلاف

مشترك • وكان الفرع الذي تفرع منها في الزقازيق اكبر الفروع نفعاً وأعزها نفراً فانه أنشأ مدرسة وعال بعض الفقراء • ولكن الجمعية الكبرى لم تلبث أن انحلت وابطلت مجلتها بعد مرض عرض على ادارتها وغول غال ماليتها • وظلت جمعية الزقازيق بعد سقوط أمها قائمة على طريقها حتى جاءنا في هذه الايام خبر سقوطها وابطال مدرستها وبيع ادواتها وأثاثها واقتسام الاعضاء له

يعلم الله أننا نكتب هذا بمداد الاسف والامتعاض . ويعلم اهل الفضل والمروءة من افراد الجمعية بعض ذلك منا بحثنا اياهم على احياء الجمعية في القاهرة وتعيين رئيس لها صالح للادارة يخدم الجمعية للجمعية . وانا لم نيأس من همة هؤلاء الفضلاء فإن كان النهوض بعد السقوط عسراً فهو اذا حصل أجدر بالثبات واحرى بالدوام ويسرنا بقاء فرع الجمعية في الاسكندرية ثابتاً وقد احدث للمجلة مطبعة واعاد نشرها • ولا شك ان اهل الاسكندرية أرقى في الحياة الاجتماعية من أهل الزقازيق ولكنهم ليسوا في مجموعهم بأرقى من اهل القاهرة فلعل هؤلاء يحققون رجاءنا فيهم ولا يقنطهم سقوط الطفل قبل فطامه ، من نهوضه وقيامه

(تصحيح) في السطر ٥ من الصحيفه ٤٠١ كلمة (الارحم) وصوابها (الارحب) وفى س ١٨ و١٩ من ص ٤١١ : (بصري الاصل • اين الامير) والصواب (بصري الاصل ابن الامير) وفي س ١٢ ص ٤٣٢ (نجربوني) والصواب (تجربونني) • وفي س ٤ ص ٤٤٣ (بالخليقة) والصواب (فى الخليقة) وفي س ٣ ص ٤٤٤ (بها) والصواب (فيها) و س ٢١ ص ٤٤٤ ايضاً (دعا) والصواب (دُعي) وفى س ١٨ ص ٤٤٧ (ولن تجد لسنتنا) والصواب (ولا تجد لسنتنا) وفى س ٧ ص ٤٤٩ (الاصل الرابع) وصوابه (الاصل الخامس) وليصحح ما بعده من الاصول على الترتيب • وفي س ١ من هامش ص ٤٥٦ (لوقا ١٥ — ٢٥ و٢٦) والصواب (لوقا ١٤ — ٢٦)

﴿ محادثة بين صاحب جريدة الحاضرة ورئيس تحرير جريدة فرنسوية ﴾

اجتمع صاحب جريدة الحاضرة العربية الوحيدة في تونس بموسيو تريدون رئيس تحرير جريدة الديبش تونزيان وتكلما في موضوع التعليم الذي تبغيه فرنسا بتونس • فرأينا أن نلخص ما دار بينهما لما فيه من العبرة للمسلمين الذين استعمر بلادهم الاوربيون أو احتلوها باسم الحماية أو غير ذلك ،

(الصحافي الفرنسي) : ما قولك أيها الرصيف في المقالة التي نشرت اليوم في

جريدتنا تحت عنوان (ماهي النسبة التي علينا أن نعلمهم (أي التونسيين) عليها) جواباً على مقالة في هذا الشأن نشرت في التونزي فرانسيز تحث على حرمان التونسيين من نعمة التعليم العالي الموصل الى النتائج الفكرية النافعة من طب وهندسة وخصام (كذا ولعله يريد الحقوق) وتحرير إذ رأى محرر هذه الجريدة أن نظام الحماية قاض بإبقاء التونسي دائماً في دياجير الجهل حتى لايهتدي الى الصواب والترقي الفكري سبيلا وبمعاملته كما تعامل البهائم حتى لايطمح الى الاستقلال ولا يتوصل الى إنكار ما يلحقه من الأذى والظلم

(الصحافي التونسي) بعد جملة في مدح العلم : هل تنكرون ان فرنسا احتلت هذا القطر لبث أنوار العرفان ونشر راية المدنية بين أهالي المملكة فكيف يمكن الجمع بين هذه الدعوى وبين قضية حرمان شبان التونسيين من التعليم

(الفرنسي) : نحن لم نقل بحرمان التونسي من كل تعليم بل زدنا على السماح له بالتعلم الابتدائي أن أجزنا أن يتعلم بعض الأفراد العلوم العالية بصفة استثنائية خاصة لا عامة لأن انتشار العلوم العالية يثقف العقول ويفتح البصائر ويولد الطمع بالاستقلال في نفوس المسلمين لما هم عليه من صفات الرجولية والشجاعة وحب الجلاد والمحافظة على شعائرهم بخلاف اليهود فإنهم لا وطن لهم ولا مطامع سياسية وهم بكثرة تقليدهم وميلهم لمجانسة الأوربي كادوا أن يكونوا على صبغته فنحن على خلاف رأي التونزي فرانسيس نرى تقييد نشر العلوم العالية وتخصيصه ببعض الشبان لاحرمان جميع الأفراد منه بالمرة

(التونسي) : لعلكم سلكتم هذا المسلك مصانعة لأصحاب الاسهم من التونسيين (وفي الاصل مراعاة لخاطر أصحاب الاسهم)

(الفرنسي) : ربما كان ذلك من جملة الاسباب ولكن هذا هو رأينا الخاص

(التونسي) : كيف يسوغ ذلك التقييد والعلم نور ساطع لايمكن إخماده وفي محاولة حجبه عن الناس خصوصاً القادرين منهم على اقتباسه بأنفسهم من إيغار الصدور وجلب البغضاء مالايليق بدولة حرة هي قدوة الأمم في ترقي الفكر

(الفرنسي) : لقد ضيق الانكليز من قبل دائرة تلقي الشبان المصريين للعلوم العالية في مدارس الحكومة

(التونسي) : لكنهم لم يتمكنوا من منع النهضة المصرية التي أغنت الأمة عن

مدارس الحكومة بما أقامه أفراد نبهائها ونبلائها من المدارس في كل علم وفن وعدلوا عن هذه السياسة في ممالك الهند حيث أقام أشراف القوم وسراتهم المدارس الكثيرة للعلوم العالية من قديمة وحديثة وذلك لأنهم رأوا هذه السياسة أكفل للولاء وتعلق رعاياهم بحكمهم

(الفرنسي): نحن نود أن لاتثقف أذهان التونسيين عامة بالعلوم العالية وأن لايخرجوا فيكونوا أساتذة قادرين على النفع والانتفاع بتحصيلهم حتى نأمن مقاصدهم فلا يسلكوا مسلك المكي كمون في التحامل على الحكومة والنظامات التونسية

(التونسي) : هذا كلام فيه نظر فان كمال التعليم يقي الكامل من الجنوح الى الباطل ويسلك به طرق الجد والعمل النافع له ولقومه وإن تطرف المكي كمون من ثمرات التعليم الابتدائي الناقص الذي تجيزه

(الفرنسي) : لو تجنس كل نابغ في العلوم العالية بالجنسية الفرنسية لما أوجسنا منه خيفة لأنه حينئذ يكون عضوا فرنسيا يؤدي واجب الخدمة العسكرية من عهد الشبيبة

(التونسي) : هل يتساوى بهذه الجنسية التونسي والفرنسي في جميع الحقوق والمصالح ؟ انا رأينا من خواص الفرنسيين من لايرى هذه المساواة مطلقاً ويعيب مجانسه بحداثة التجنس

(الفرنسي) : ذلك لأنهم مع التجنس وبعد أداء الخدمة العسكرية في الجيش يعودون الى عوائدهم كلبس الطربوش وربما لبسوه عثمانيا وارتداء لباس البادية والإقبال على الصلوات والأذكار !!!

(التونسي) : لعلكم تقصدون بالتجنس ترك شعائر الدين وتغيير الأزياء ولو شاطركم المتجنس في أعز الامتيازات الوطنية كمشاطرة اليهود لكم في الامتيازات الوطنية كمشاطرة اليهود لكم في الحقوق والمصالح الحيوية بتغييراتهم الصورية ؟ فهل الخاص لكم من يتزيا بزيائكم مع العلم بان لبس الزنار لا يقتضي الترهب ؟ « وهل تنطبق هذه الأفكار على حرية (التدين) ان لم نقل ترك التدين » الا يعد هذا لو صدر من مسلم من التعصب الذميم والتغالي الممقوت في عرف مدنية هذا العصر الذى ضيقت الحكومة فيه على مدارس الرهبان ؟

(الفرنسي) : انما نقصد نحن امتلاك القلوب ولذلك نود أن يتنازل لنا المسلم عن أحكام دينه الذاتية كالأنكحة والمواريث مما هو مصداق الحالة الشخصية

(التونسي) : اذا كان القصد من التجنس هو تغيير الدين وأصوله الأساسية بما يخرج المسلم عن دائرة دينه وملته فهو مما لا يرغب فيه مسلم ذو مُرُوءة لأن المارق من دينه ممقوت عند الله وعند الناس ولو كان دخيلا فيهم . ثم ان في التجنس بهذه الصفة قلب الهيئة الاسلامية بتغيير الأنساب والنسب في المواريث وحقوق الزوجية في التصرف اذ المرأة عندنا حرة لا يتوقف تصرفها على اذن زوجها الى غير ذلك من مسائل الارحام والأنساب التي جاءت بها أحكام الشريعة الاسلامية المنزلة . فلماذا لا تتغيّر أحكام القانون الفرنسي الى الاحكام الاسلامية ؟

(الفرنسي) : الحق لكم في هذا المبحث فان نسبة المواريث مقصودة لأجل ابقاء الميراث بيد الذكور أعمدة البيوت وهو ما قصده الانكليز من احكامهم في هذا الباب . على انه لا مانع من البحث عن طريقة للتوفيق بين مصالح الهيأتين الاهلية والفرنسية لدوام الألفة وحسن المعاشرة في هذه الاوطان

(التونسي) : ذلك أحسن مرغوب تتجه اليه القلوب وترتاح له النفوس ويا حبذا لو سعت الجرائد المحلية في تحقيقه . غير اني اقول بالاجمال : ان أكفل وسيلة لبلوغ هذه الامنية هي توزيع الفوائد والمغانم وتقسيم المنافع المادية بصورة عادلة توفر للاهالي حظا من فوائد القطر ومغانمه حسية كانت او معنوية كالوظائف والمساعدات المادية والادبية والحث على الترقي الفكري الذي هو ثمرة المدنية . (قال) ثم ودعنا رصيفنا المومى اليه قانعاً بما وضحناه له من الخطاب . اه

(المنار) نقلنا هذا الخطاب بتصرف لفظي قليل لا يغير شيئاً من المعنى ولا نستنبط منه شيئاً بل ندعه للقارئ يفهم منه ما يفهم . ونعرف رصيفنا الفاضل صاحب الحاضرة بأن الانكليز لم يحاولوا مقاومة التعليم الأهلي فيقال انهم «انهم لم يتمكنوا من منع النهضة المصرية» الخ وان المدارس التي حدث عنها لم تغن عن مدارس الحكومة ولا قاربتها في حسن التعليم ولو ان المصريين عرفوا قيمة حرية الانكليز في العلم والدين وكل ما يحتاجه من يتولون امورهم لكانت لهم مدارس كما وصف الرصيف ولكنهم رُزِئوا باحداث يبغضون اليهم الانكليز واعمالهم ويمنونهم بأن فرنسا ستخرجهم من وادي النيل بهذيان اولئك الاحداث ولغطهم فاشتغلوا بهذا عن كل شيء حتى علمهم الزمان بحوادثه حقيقة غرور الأحداث وتغريرهم والآن صار يرجى منهم النهوض الحقيقي والتعليم النافع فان فعلوا فان الانكليز يساعدونهم كما يساعدون اخوانهم في الهند والله الموفق

البدع والخرافات
والتقاليد والعادات

﴿ مثال من أمثلة تعصب النصرانية على العلم ﴾

صاحب مجلة الجامعة الذي يدعي أن النصرانية أكثر تسامحاً مع العلم من الاسلام ارثوذكسي المذهب . وفي القاهرة جريدة لارثوذكسي آخر تصدت للانتصار له والتنويه بخدمته وفلسفته وهذه الجريدة دينية اخبارية وان لم يكتب عليها (دينية) وقد نشرت في العدد الذي انتصرت فيه لصاحب الجامعة المحترم مقالة عنوانها (المدارس والاكليرس) يصح أن تكون مثالا أو ان يؤخذ منها مُثل متعددة لتعصب النصرانية على العلم حتى اليوم «من فمك أدينك»

جاء في المقالة أن عاملين يتنازعان النجاح وعدمه في تعليم الاولاد «الأول التعصب الديني الذي يحمل الآباء على ارسال أولادهم الى مدارسهم الطائفية سواء كانت مفيدة أو غير مفيدة» الخ «والثاني النظر الى المستقبل» وذكر أن الناس يتراوحون بين هذين العاملين ثم قال مانصه بحروفه :

«وما زلنا نرى الناس في هذا التضعضع نرى رؤساء الاديان مع الفئة الاولى المتعصبة يسعون الى الضغط على الافكار وارغام الاهالي التابعين لهم على ارسال أولادهم الى مدارسهم كأن يقولون لهم اتركوا مستقبل أولادكم وحافظوا على صحة اعتقادهم لأن هاته المدارس ما فتحت في بلادكم الا لتسلب منكم أولادكم وتضطرهم الى ترك معتقدات آبائهم وأجدادهم

«وهذا ماقاله أيضاً غبطة البطريرك المسكوني ونقله الينا البريد الأوربي فقد جاء في جريدة التان لمكاتبها في الاستانة : «أصدر غبطة البطريرك المسكوني للروم الارثوذكس في الاستانة منشوراً شديد اللهجة الى جميع المطارنة ضد المدارس الدينية الفرنساوية حرض به أبناء الطائفة الارثوذكسية أن لا يرسلوا أولادهم اليها» اه

فهل سمع مثل هذا عن شيخ الاسلام في الاستانة أو شيخ الازهر في مصر ؟ أليست المدارس الفرنسية ملأى باولاد المسلمين المخالفين لهم في أصل الدين لافي

مذهب من مذاهبه كالخلاف بين الكاثوليك والارثوذكس • نعم ان الاسلام ليس فيه سلطة دينية تجعل الملقب بشيخ الاسلام أو شيخ الازهر مسيطراً على الناس ولكن فيه وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأجدر الناس بالقيام بهذا الواجب، هم الذين يرتقون الى مثل هذه المناصب، ولكن تسامح الاسلام قد غلب حتى خرج عن كونه تسامحاً وتساهلا وصار اهمالا وتفريطاً

نسب صاحب هذه الجريدة ما نكتبه في الرد على صاحب مجلة الجامعة الى رجل صاحب منصب سام فى المسلمين وما كان له ان يصرح بظنه لأن الحق يعرف بذاته لا بقائله والباطل كذلك ولأن آداب الصحافة تقضي بذلك فليس لي اذا رايت مقالة منتقدة فى جريدة منسوبة لكاتب غير معين ان أنسبها لعظيم احب غميزته والنيل منه او احب ان اجعل نفسي مناظراً له ليتوهم الجاهلون بي وبه انني من نظرائه • ولم يكتف صاحب الجريدة المشار اليها بالنسبة المذكورة والمقارنة بين شاب من المبتدئين في الكتابة من اهل مذهبه وبين هذا الشيخ الجليل الذى ذكره بل خرج عن الموضوع فى عدد آخر (وهو العدد الأخير) واتى بجانب اسمه بما لا يليق أن يصدر من السوقة • هذا، وكل من قرأ الرد على الجامعة أعجب بنزاهة الكلام وادبه لانه لا يشم منه رائحة تحقير احد فليس فيه ان صاحب الجامعة «اساء الفهم وتجاهل» ولا «انه حقر المسلمين» بل كل ما فيه سرد النقول من كتب الدين وكتب التاريخ وما يتبادر الى الفهم منها مع الاعتذار عن المعترض على الاسلام والمسلمين والثناء عليه بما عده الناس فوق ما ينبغي • فما كان لمن عومل هذه المعاملة ان يعامل بضدها من عدهم من الاصدقاء، وهو مأمور بمحبة الاعداء، ولا أن يستنجد ابن مذهبه ليقول في الانتصار له ما لا يقوله هو أو يرضى منه ذلك ليحقق التهويل الذي اشار اليه وأرجف به وتبرأ من تبعته والقاها على من رد عليه •

تلك آداب دين التعصب والغلظة وهذه آداب صاحب الجريدة المنتصرة لدين المسامحة والمسالمة ومحبة الاعداء • أقام الله منهم ادلة على دعاويهم، وأيد كلمة الحق بما تقذفه افواه متأدبيهم،

وبقي ان نقول ان فضلاء المسيحيين وأدباءهم قد قدروا الرد الذي ننشره قدره وعرفوا قيمته اذ فهموا انه ابلغ ما كتب في اقناع المسلمين بوجوب حسن المعاملة مع المخالف فى الدين، ووجوب الأخذ باسباب الارتقاء الذي هو الوسيلة الوحيدة لسعادة الشرق والشرقيين، ولو تأنى الرصيف المحترم صاحب الجامعة الغراء وصبر حتى قرأ

الرد كله (ولم يحكم بأنه ٣٥ صفحة فقط •••) لجاز ان يظهر له منه ما ظهر لعلماء المسيحيين وكبار كتابهم من انه اكبر خدمة خدم بها الشرق، والله الهادي الى سبيل الحق،

﴿ سخافة بشائر السلام • في الجاهلية والاسلام ﴾

نشرت مجلة بشائر السلام الانجيلية في جزئها التاسع نبذة في الجاهلية والاسلام زعمت فيها ان الاسلام في عقائده وأعماله دون الجاهلية وقد توسعت في الكلام على الركن الاعظم في الايمان وهو توحيد الله تعالى فزعمت أن الاسلام زاد الجاهلية وثنية على وثنيتها !!! واحتجت على ذلك بستة أمور (١) كون الايمان بمحمد محتما بعد الإيمان بالله تعالى فجعلت هذا شركا بالله وما هذا الا الايمان بالوحي والرسل فان من ينكر نبوة موسى أو عيسى كافر عند المسلمين كمن ينكر نبوة محمد عليهم الصلاة والسلام • فيظهر أن الايمان بالوحي شرك ووثنية عند الكاتب الانجيلي • وتعبيره بمقارنة الاسمين في الشهادتين لا يزيد الشبهة قوة فان صيغة الشهادة المروية في الصحيحين هي «أشهد أن لا اله الا الله وأشهد ان محمداً عبده ورسوله» فهل يكون العبد ربّا والهاً ؟؟ وأما المقارنة في الذكر قولا وكتابة فهي لا تمتنع الا اذا حرم ذكر الله تعالى ومنع بالمرة ؟ الا يقول الكاتب : رحم الله فلانا ونحو هذا ؟ وقد كبرت على الكاتب كلمة توجد في بعض كتب المسلمين وهي ان كلمتي الشهادة مكتوبتان على العرش قبل خلق السموات والارض • القول بهذه الكتابة ليس من عقائد الاسلام فمن عاش ومات ولم يسمع بها أو سمع ولم يصدق بأنها وردت في الحديث بالمرة فلا يعدّ هذا ولا ذاك نقضاً لإيمانه ولا نقصاً منه • واذا قلنا ان هذه الكتابة ثبتت وصحت فأيّ وثنية فيها والإله إله والعبد عبد ؟ نعم ان ذلك يدل على التشريف • وهل يقول الكاتب ان جميع عباد الله سواء في معرفته وعبادته ونفع خلقه وان تشريف بعضهم وتفضيله على الآخر شرك بالله • وان التوحيد الخالص هو ان يعتقد الإنجيلي بأن موسى كفرعون وابراهيم كنمرود بلا فرق ؟ هذا هو فهم دعاة النصرانية في الدين ،وهذا ما ينقمون من المسلمين ، والحمد لله رب العالمين

(٢) زعم الكاتب ان المسلمين أنزلوا حديث النبي منزلة القرآن وجعلوهما سواء في أخذ الاحكام مع اعتقادهم بان القرآن كلام الله والحديث كلام محمد • وزعم ان الشيعة تركوا الحديث فاسخطوا أهل السنة • وكل من الزعمين باطل فاهل السنة لا يقولون بان القرآن والأحاديث سواء والشيعة لم يرفضوا الأحاديث • القرآن أصل الدين والسنة مبينة له قال تعالى «وأنزلنا اليكَ الذِّكر لتبيِّن للناس ما نُزِّل اليهم» وللقرآن خصائص ومزايا

ليست للسنة كوجوب الإيمان بجميع ما فيه وكالتعبد بتلاوته ٠ وأما الأحاديث فلا يضر في الايمان انكار أي حديث منها (ومن ثبت عنده شيء بالتواتر لا يستطيع إنكاره وان لم يكن حديثاً فلا يجيء الحديث المتواتر هنا) وهي على أقسام فما كان منها متعلقاً بأمور الدنيا لا يجب الأخذ به ويجوز أن يكون خطأ كما في حديث تأبير النخل الصحيح وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال « أنتم أعلم بأمور دنياكم » وما كان متعلقاً بأمر الدين فإما أن يكون عن اجتهادٍ وإما أن يكون عن وحي ٠ أما اجتهاد الانبياء فقد جوّز علماء أهل السنة ان يقع فيه الخطأ ولكن لا يُقَرُّون عليه بل يأتيهم الوحي ببيان الحق فيه كما في واقعة أسرى بدر ٠ وأما ما يقولونه عن وحي من الله فيجب الأخذ به ٠ ويفرق المسلمون بين القرآن وبين الوحي الذي يعبر عنه النبي بعبارة من عنده ويسمى عند المسلمين خبراً وحديثاً بما تقدم وبأنه اذا وقع تعارض بينهما ولم يمكن الجمع يعمل بالقرآن دون الحديث ٠ فالحديث الصحيح في المرتبة الثانية لا يمكن ان يساوي القرآن ولذلك سأل النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً عند ما ارسله الى اليمن بماذا يحكم فقال بكتاب الله وانه اذا لم يجد يحكم بالسنة فأجازه على ذلك ٠ وهذا هو المروي عن ابي بكر وعمر وغيرهم من أئمة الدين اي انهم ينظرون في القرآن اولا فان رأوا فيه حكم ما يطلبون قضوا به والا بحثوا في السنة وعملوا بها ٠ فلينظر المسلمون كيف يخترع المسيحيون لهم اصولا للدين ، ويبنون عليها رميهم بالشرك المبين ، فهذا هو تعصبهم وهذا تساهلنا والحمد لله رب العالمين ،

قال: « الثالث ذكرُ اسم محمد مع اسم الله في مواضع جمة من القرآن نظير شريك له في الأمر والنهي والحل والربط ووجوب الطاعة له والمحبة » الخ وقال الكاتب انه لا يذكر الشواهد الا من سورة التوبة وحدها ولكنه ذكر ثلاث آيات اثنتان منهما من التوبة والثالثة من الأحزاب ٠ وقد حرف الآيتين مع وضعهما بين علامات تدل على انه نقلهما بنصهما فكتب « ان الله بريء مما يشركون ورسوله » والله تعالى يقول « ان الله بريءٌ مِن المشركين ورسولُه » وكتب « وما كان لمؤمن او مؤمنة » الخ والله تعالى يقول « وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ اذا قضى اللهُ ورسوله امراً » الآية ٠ اما الجواب عن الشبهة فهو واضح وهو ان أحكام الله تعالى انما تؤخذ عن رسولِه فكل ما يقضي به الرسول من امر الدين فهو مبلغ له عن الله تعالى ويصح اسناده اليه كما يصح اسناد الحوادث الطبيعية الى اسبابها لأن الله تعالى جعلها مرتبطة بها ولا يسمى شيء من

هذا شِركا ٠ وكأني بالكاتب يقول ان دينه يحكم بشرك من يقول « ينبغي للانسان ان يستحي من الله ومن الناس » ونحو هذا لأنه قرن اسم الناس باسم الله في حكم واحد

فلينظر المسلمون الى ثقة دعاة النصرانية في النقل وليقابلوا بين ما ذكر من التحريف في الآيات والخطأ في العزو الى السورة وبين ما وقع لنا مع احد كبار العلماء وهو انه نبهنا الى وجوب التنبيه على غلطة وقعت في المنار نقلا عن الانجيل وهي « لم تجربوني » وقد حذف نون الوقاية من الفعل بالطبع فطبعت (تجربوني) ٠ وليتأمل المنصفون في نقلنا عن القوم ونقلهم عنا للتمييز بين الصادقين والكاذبين ، والتزييل بين المتساهلين والمتعصبين ، والحمد لله رب العالمين ،

قال: « الرابع اتخاذ المسلمين محمداً سيّداً لهم » ثم استنبط من هذا ان المسلمين يعتقدون بأنهم عبيد لمحمد وقال ان هذا هو الشرك الذي عناه ٠ وجوابه ان المسلمين لم يوجبوا ان يقول احد عند ذكر النبي كلمة « سيدنا » ولم يرد الأمر بوصفه عليه الصلاة بذلك في الكتاب ولا في السنة ٠ وقد ذهب بعض العلماء الى أن إضافة لفظ (سيدنا) على صيغة الصلاة الملحقة بالتشهد مكروهة وقال بعضهم انها مستحبة لأن هذا اللقب من ألقاب التكريم التي اعتادها الناس مع الكبراء ومع الاقران ٠ واما استدلال الكاتب على هذه السيادة التي تستتبع الشرك عنده بآية « إن الله وملائكته يصلون على النبي » فهو غريب لأن الصلاة من الله الرحمة ومن غير الله الدعاء كما صرح بذلك العلماء ٠ فلو كان كل من نطلب له الرحمة الهاً لنا وكل من نخاطبه بلقب السيادة آلهاً لنا لكان لنا وللكاتب آلهة لا تحصى !!! نعم ان المسلمين يعتقدون ان محمداً افضل الأنبياء والمرسلين ويعبرون عن ذلك بالسيادة والانبياء افضل بني آدم فهو افضل بني آدم وسيدهم ولكنهم ليس عبيداً له ٠ اما وجه تفضيله فهو ظاهر بأثره وقد كتبنا فيه وسنكتب ايضاً ان شاء الله ٠ فليتأمل المتأملون في تمحّل هؤلاء الدعاة المسيحيين ، واستنباطهم الذي يضحك المحزونين ، والحمد لله رب العالمين ،

قال: « الخامس مغالاة المسلمين في قدمية محمد الى ان قالوا انه نور كائن قبل البشر » الخ ونقول ان هذه المغالاة ليست من الدين في شيء فلا توجد في القرآن ولا في كتب السنة الصحيحة ولا في كتب العقائد وانما توجد في كتب القصص والموالد التي لا اعتبار لها والدين ينهى عن القول بغير علم. على ان العامة الذين يروج عندهم هذا الغلو لا يختلفون في حدوث نبيهم وغيره من الانبياء فلا يصح ان يسمّى القائل بذلك مشركا بوجه ما ٠

ولينظر الناظرون مبلغ علم هؤلاء الناس بالاديان التي يحكمون ببطلانها ويدعون أهلها الى تركها وليدلونا على مسلم يتكلم مثلهم بغير علم ، ويعتدي عليهم في الدعوى ثم في الحكم ، وحسبنا اننا من المسلمين ، والحمد لله رب العالمين ،

قال « السادس والاخير اتخاذ المسلمين محمداً شفيعاً » ثم قال « واتخاذ المخلوق شفيعاً عند الله هو عين الشرك الذي كان عليه العرب في الجاهلية لا اكثر ولا اقل » ثم ذكر ان اتخاذ الجاهلية شفعاء كثيرين اخف شركا من حصر المسلمين الشفاعة في شفيع واحد، على ان المسلمين لم يحصروا · والجواب ان الشفاعة عند المسلمين هي الدعاء · ولذلك يقولون في الصلاة على الميت « وقد اتيناك راغبين اليك شُفَعاء له اللهم ان كان محسناً فزد في احسانه » الخ فكل مسلم شفيع بل كل مؤمن بالله يدعو الله تعالى لنفسه ولغيره والدعاء للغير يسمّى شفاعة · كأن الكاتب الانجيلي يقول ان دينه يحكم بشرك كل من يذكر ميتاً كوالده او غيره ويقول رحمه الله تعالى · فهكذا يفعل (دين التساهل) يفتات اهله على المخالفين ، واذا اجابوهم بالحق يدعونهم متعصبين ، ولكن هذا لايخرجنا عن تساهل المسلمين ، والحمد لله رب العالمين ،

وإن تعجب فعجبٌ قول من اتخذوا نبيّهم الَها : ان الذين يقولون إن نبيهم عبد لله ولكنه أفضل عباده لأنه نفع خلقه افضل منفعة وهداهم بإذنه اكمل هداية هم مشركون بالله لأنهم يعرفون فضل نبيهم ويسألون له رحمة الله تعالى ويطيعونه فيما يبلغه عن الله تعالى . قال الكاتب بعد إيراد ما تقدم : « ويردّ على ذلك اتخاذنا نحن النصارى السيد المسيح شفيعاً وحيداً بين الله والناس على ماجاء في الإنجيل . فأجيب اذا كنا معتقدين ان المسيح مخلوقا (كذا) واتخذناه شفيعاً وحيداً او معه غيره نكون بلا شك مشركين ولكن اذا كان المسيح بالحقيقة كلمة الله الأزلي وهو الخالق وغير المخلوق الذي كان به كل شيء وبغيره لم يكن شيء مما كان فلسنا مشركين بل نعبد الهاً واحدا تبارك اسمه » !!! يعني ان الشرك هو اعتقاد ان نبيهم عبد لله وان شفاعته دعاء لله وان التوحيد الخالص هو اعتقاد الناس ان نبيهم الذي ولد منذ ١٩٠٢ هو الله القديم الأزلي الخالق لكل شيء مما كان قبله وما يكون بعده . وانه شفيع بمعنى انه واسطة بين الناس وبين نفسه يصلبها ويلعنها لإنجائهم !! بخ بخ ما أحسن هذا التوحيد . هذه شبهات المسيحيين المصلحين . فلله الشكر والمنة ان جعلنا مسلمين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ،

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿مصر في يوم السبت ١٦ رجب سنة ١٣٢٠ — ١٨ اكتوبر (تشرين ١) سنة ١٩٠٢﴾

الاسلام والنصرانية · مع العلم والمدنية

(تتمة المقال الرابع لذلك الامام الحكيم)

« الجواب »

أقول هذا كلام فيه رِشيَةٌ من الحق ، ولمعة من الصدق، أما ما نسمعه حولنا من سجن من قال بقول السلف فليس الحامل عليه التمسك بالدين فان حملة العمائم إنما حركهم الحسد لا الغيرة . وأما صدور الأمر بالسجن فهو من مقتضيات السياسة والخوف من خروج فكر واحد من حبس التقليد فتنتشر عدواه فينتبه غافل آخر ويتبعه ثالث ثم ربما تسري العدوى من الدين الى غير الدين — الى آخر ما يكون من حريّة الفكر يعوذون بالله منها . فان شئت أن تقول إن السياسة تضطهد الفكر أو الدين او العلم فانا معك من الشاهدين . اعوذ بالله من السياسة ، ومن لفظ السياسة ، ومن

معنى السياسة ، ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة ، ومن كل خيال يخطر ببالي من السياسة ، ومن كل ارض تذكر فيها السياسة ، ومن كل شخص يتكلم او يتعلم او يجُنّ او يعقل في السياسة ، ومن ساس ويسوس ، وسائس ومسوس ، . يدلك على ان العقوبة سياسة أن الرجل كان يقول بقول السلف من اهل الدين. لا تقل : إن هذه السياسة من الدين ، فاني اشهد الله ورسله وملائكته وسلفنا اجمعين ، ان هـذه السياسة من أبعد الأمور عن الدين ، كأنها الشجرة التي تخرج في اصل الجحيم ، طلعها كأنه رؤوس الشياطين ، فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ، ثم إن لهم عليها لَشَوْباً من حميم ؛ ثم إن مرجعهم لَإلى الجحيم ، إنهم ألفوا آباءهم ضالين ، فهم على آثارهم يهرعون ،

جمود المسلمين واسبابه

واما ما وصفت بعـد ذلك من الجمود فهو مما لا يصح ان ينسب الى الإسلام وقد رأيت صورة الإسلام في صفائها ونصوع بياضها ليس فيها ما يصح ان يكون اصلا يرجع اليه شيء مما ذكرت ولا مما تنبأ بسوء عاقبته (رنان) وغيره . وإنما هي علة عرضت على المسلمين عند ما دخل على قلوبهم عقائد أخرى ساكنت عقيـدة الاسلام فى افئدتهم . وكان السبب في تمكنها من نفوسهم وإطفائها لنور الإسلام من عقولهم هو السياسة كذلك . هو تلك الشجرة الملعونة في القرآن عبادة الهوى واتباع خُطُوات الشيطان هو السياسة

لم اركالإسلام ديناً حفظ اصله ، وخلط فيه اهله ، ولا مثله سلطانا تفرق عنه جنده ، وخُفِر عهده ، وكُفِر وعيده ووعده ؛ وخَفِيَ على الغافلين

قصده ، وإن وضح للناظرين رشده ؛ اكل الزمان أهله الأولين، وأدال منهم خُشَارة من الآخرين ، لاهم فهموه فأقاموه ، ولاهم رحموه فتركوه ، سواسية من الناس اتصلوا به ، ووصلوا نسبهـم بسببه ، وقالوا نحن أهله وعشيرته ، وحماته وعصبته ، وهم ليسوا منه في شيء إلا كما يكون الجهل من العلم ، والطيش من الحلم ، وأَفَنُ الرأي من صحة الحكم ،

أنظر كيف صارت مزية من مزايا الاسلام سبباً فيما صار اليه أهله . كان الاسلام ديناً عربياً ثم لحقه العلم فصار علماً عربيا بعد ان كان يونانياً ، ثم أخطأ خليفة في السياسة فاتخذ من سعة الإسلام سبيلا إلى ما كان يظنه خيراً له . ظن أن الجيش العربي قد يكون عوناً لخليفة علوي لأن العلويين كانوا الصق بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فأراد ان يتخذ له جيشاً اجنبيا من الترك والديلم وغيرهم من الامم التي ظن أنه يستعبدها بسلطانه ، ويصطنعها بإحسانه ، فلا تساعد الخارج عليه ولا تعين طالب مكانه من الملك . وفي سعة أحكام الإسلام وسهولته ما يبيح له ذلك . هنالك استعجم الاسلام وانقلب عجمياً .

خليفة عباسي أراد أن يصنع لنفسه ولخلفه وبئس ما صنع بأمته ودينه — اكثر من ذلك الجند الاجنبي وأقام عليه الرؤساء منه فلم تكن الاعشية او ضحاها حتى تغلب رؤساء الجند على الخلفاء واستبدوا بالسلطان دونهم وصارت الدولة فى قبضتهم . ولم يكن لهم ذلك العقل الذي راضه الاسلام والقلب الذى هذبه الدين . بل جاؤا الى الاسلام بخشونة الجهل يحملون الوية الظلم . لبسوا الاسلام على أبدانهم ، ولم ينفذ منه شيء الى وجدانهم ، وكثير منهم كان يحمل آلهه معه يعبده في خلوته ، ويصلي مع الجماعات لتمكين سلطته ، ثم عدا على الاسلام آخرون كالتتار وغيرهم

ومنهم من تولى أمره ، أيّ عدوٍّ لهؤلاء أشد من العلم الذي يعرّف الناس منزلتهم ويكشف لهم قبح سيرهم ؟ فمالوا على العلم وصديقه الاسلام ميلتهم. أما العلم فلم يحفلوا بأهله ، وقبضوا عنه يد المعونة وحملوا كثيراً من أعوانهم أن يندرجوا فى سلك العلماء وأن يتسربلوا بسرابيله ليُعَدُّوا من قبيله ثم يضعوا للعامة فى الدين ما يبغض اليهم العلم ويبعد بنفوسهم عن طلبه. ودخلوا عليهم وهم أغرار من باب التقوى وحماية الدين. زعموا الدين ناقصاً ليكملوه ، أو مريضاً ليعلّلوه ، أو متداعيا ليدعموه ؟ أو يكاد ان ينقضّ ليقيموه ،

نظروا الى ما كانوا عليه من نخفخة الوثنية ، وفي عادات من كان حولهم من الأمم النصرانية ، فاستعاروا من ذلك للاسلام ما هو براء منه لكنهم نجحوا فى إقناع العامة بان في ذلك تعظيم شعائره ، وتفخيم أوامره ، والغوغاء عون الغاشم ، وهم يد الظالم ، فخلقوا لنا هذه الاحتفالات ، وتلك الاجتماعات ، وسنوا لنا من عبادة الأولياء والعلماء والمتشبهين بهم ما فرق الجماعة ، وأركس الناس في الضلالة ، وقرروا ان المتأخر ليس له أن يقول بغير ما يقول المتقدم وجعلوا ذلك عقيدة حتى يقف الفكر وتجمد العقول . ثم بثوا أعوانهم فى أطراف الممالك الاسلامية ينشرون من القصص والاخبار والآراء ما يقنع العامة بأنه لا نظر لهم في الشئون العامة . وأن كل ما هو من أمور الجماعة والدولة فهو مما فرض فيه النظر على الحكام دون من عداهم ومن دخل في شيء من ذلك من غيرهم فهو متعرض لما لا يعنيه . وأن ما يظهر من فساد الأعمال ، واختلال الاحوال ، ليس من صنع الحكام وإنما هو تحقيق لما ورد في الاخبار من أحوال

آخر الزمان. وأنه لا حيلة في إصلاح حال ولا مآل. وأن الأسلم تفويض ذلك لله وما على المسلم الا ان يقتصر على خاصة نفسه. ووجدوا في ظواهر الألفاظ لبعض الأحاديث ما يعينهم على ذلك وفي الموضوعات والضعاف ماشد أزرهم في بث هذه الاوهام . وقد انتشر بين المسلمين جيش من هؤلاء المضلين وتعاون ولاة الشر على مساعدتهم في جميع الأطراف واتخذوا من عقيدة القدر مثبطاً للعزائم وغلاًّ للأيدي عن العمل. والعامل الاقوى في حمل النفوس على قبول هذه الخرافات إنما هو السذاجة وضعف البصيرة في الدين وموافقة الهوى. أمور اذا اجتمعت أهلكت. فاستتر الحق تحت ظلام الباطل ورسخ في نفوس الناس من العقائد ما يضارب أصول دينهم ويباينها على خط مستقيم كما يقال

هذه السياسة سياسة الظلمة وأهل الأَثَرة هي التي روجت ما أدخل على الدين مما لا يعرفه وسلبت من المسلم أملاً كان يخترق به أطباق السموات ، وأخلدت به الى يأس يجاور به العجماوات ، فجلّ ما تراه الآن مما تسميه إسلاماً فهو ليس باسلام وإنما حفظ من أعمال الاسلام صورة الصلاة والصوم والحج وقليل من الاقوال التي حرفت عن معانيها. ووصل الناس بما عرض على دينهم من البدع والخرافات الى الجمود الذى ذكرته وعدوه دينا. نعوذ بالله منهم ومما يفترون على الله ودينه. فكل ما يعاب الآن على المسلمين ليس من الاسلام وإنما هو شيء آخر سموه إسلاماً . والقرآن شاهد صادق «لا يأتيه الباطلُ من بيْنِ يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد » يشهد بأنهم كاذبون ، وأنهم عنه لاهون ، وعما جاء به معرضون ، وسنوفي لك الكلام في مفاسد هذا الجمود ونثبت انه علة لا بد ان تزول

مفاسد هذا الجمود ونتائجه

طال أمد هـذا الجمود لاستمرار عمل العاملين في المحافظة عليـه ، وولوع شهواتهم بالدفاع عنه ، وقد حدثت عنه مفاسد يطول بيانها وإنما يحسن إجمال القول فيها . كان الدين هو الذي ينطلق بالعقل في سعة العلم ويسيح به في الأرض ويصعد به الى أطباق السماء ليقف به على أثر من آثار الله أو يكشف به سراً من أسراره في خليقته ، أويستنبط حكماً من أحكام شريعته ، فكانت جميع الفنون مسارح للعقول تقتطف من ثمارها ما تشاء وتبلغ من التمتع بها ما تريد . فلما وقف الدين ، وقعد طلاب اليقين ، وقف العلم وسكنت ريحه ، ولم يكن ذلك دفعة واحدة ولكنه سار سير التدريج

افساد الجمود للغة : أول جناية لهذا الجمود كانت على اللغة العربية وأساليبها وآدابها فان القوم كانوا يُعنون بها لحاجة دينهم اليها — أريد حاجتهم في فهم كتابهم الى معرفة دقائق أساليبها ، وما تشير اليه هيئة تركيبها ، وكانوا يجدون أنهم لن يبلغوا ذلك حتى يكونوا عرباً بملكاتهم ، يساوون من كانوا عرباً بسلائقهم ، فلما لم يبق للمتأخر الا الأخذ بما قال المتقدم قصر المحصلون تحصيلهم على فهم كلام من قبلهم واكتفوا بأخـذ حكم الله منه بدون ان يرجعوا الى دليله ولو نظروا في الدليل فرأوه غير دال له بل دالا لخصمه بأن كان عرض له في فهمه مايعرض للبشر الذين لم يقرر الدين عصمتهم لَخَطَّأُوا نظرهم وأعموا أبصارهم وقالوا : نعوذ بالله ان تذهب عقولنا الى غير ماذهب اليه متقدمنا وأرغموا عقلهم على الوقفة فيصيبه الشلل من تلك الناحية . فايّ حاجة له بعد ذلك الى اللغة العربية نفسها وقد يكفيه منها مايفهم به أسلوب كلام المتقـدم وهو ليس من أولئك العرب الذين

كان ينظر الأولون في كلامهم .

وهكذا كل متأخر يقصر فهمه على النظر في كلام من يليه هو غير مبال بسلفه الاول بل ولا بما كان يحفّ بالقول من أحوال الزمان فهو لاينظر الا اللفظ وما يعطيه فتسقط منزلته في تحصيل اللغة بمقدار بعده عن أهلها حتى وصل حال الناس الى مانراهم عليه اليوم . جعلوا دروس اللغـة لفهم عبارة بعض المؤلفين في النحو وفنون البلاغة وان لم يصلوا منها الى غاية في فهم ما وراءها فَدَرَسَتْ علوم الاولين وبادت صناعاتهـم ، بل فقدت كتب السلف الاولين رضي الله عنهم ، وأصبح الباحث عن كتاب المدونة لمالك رحمه الله تعالى أو كتاب الام للشافعي رحمه الله تعالى أو بعض كتب الامهات في فقه الحنفية كطالب المصحف في بيت الزنديق . تجد جزءا من الكتاب في قطر وجزءه الآخر في قطر آخر فاذا اجتمعت لك أجزاء الكتاب وجـدت ماعرض عليها من مسخ النساخ حائلا بينك وبين الاستفادة منها

هذا كله من أثر الجمود وسوء الظن بالله وتوهم ان أبواب فضل الله قد أغلقت في وجوه المتأخـرين ، ليرفع بذلك منازل المتقدمـين ، وعدم الاعتبار بما ورد في الاخبار من أن المبلَّغ ربما كان أوعى من السامع(١) وان هذه الامة كالمطر لايدرى أوله خـير أو آخره(٢) وقلة الالتفات الى ان ذلك قد أضاع آثار المتقدمين أنفسهم ولا حول ولا قوة الا بالله . لاريب

---

(١) المنار : يشير الى حديث ابن مسعود عند الترمذى وابن ماجه وهو : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نضّر الله أمرءا سمع منى شيئاً فبلغـه كما سمعه فرب مبلَّغ أوعى له من سامع » ورواه غيرهما عن غيره (٢) يشير الى حديث

ان القارئ يحيط بمقدار ضرر هذه الجناية على اللغة . يكفيه من ذلك انه اذا تكلم بلغته لغة دينه وكتابه وقومه لايجد من يفهم مايقول ، وأي ضرر أعظم من عجز القائل عن ان يصل بمعناه الى العقول ،

افساد النظام والاجتماع : وأعظم من هذه الجناية جناية التفريق وتمزيق نظام الأمة وإيقاعها فيما وقع فيه من سبقها من الاختلاف وتفرق المذاهب والشيع في الدين . كان اختلاف السلف في الفتيا يرجع الى اختلاف أفهام الأفراد والكل يرجع الى أصل واحد لايختلفون فيه وهو كتاب الله وماصح من السنة فلا مذهب ولا شيعة ولا عصبية . ولو عرف بعضهم صحة مايقول الآخر لأسرع الى موافقته كما صرح به جميعهم . ثم جاء أنصار الجمود فقالوا يولد مولود في بيت رجل من مذهب إمام فلا يجوز له ان ينتقل من مذهب أبيه الى مذهب إمام آخر . واذا سألتهم قالوا : «وكلهم من رسول الله ملتمس » لكنه قول باللسان ، لا أصل له في الجنان ، ثم كانت حروب جدال بين أئمة كل مذهب لو صرفت آلاتها وقواها في تبيين أصول الدين ونشر آدابه وعقائده الصحيحة بين العامة لكنا اليوم في شأن غير مانحن فيه . يجد المطلع على كتب المختلفين من مطاعن بعضهم في بعض مالايسمح به أصل من أصول الدين الذي ينتسبون اليه . يضلل بعضهم بعضاً ويرمي بعضهم بعضاً بالبعد عن الدين وما المطعون فيه بأبعد عن الدين من الطاعن ولكنه الجمود ، قد يؤدي الى الجحود ،

كان الاختلاف في العقائد على نحو الاختلاف في الفتيا تخالف

أنس عند الترمذي وهو : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ امتي مَثَلُ المطر لا يدرى أوله خير أم آخره » ورواه غيره

أشخاص في النظر والرأي . وكان كل فريق يأخذ عن الآخر ولا يبالي بمخالفته له في رأيه ، مسجدهم واحد وإمامهم واحد وخطيبهم واحد . فلما جاء دور الجمود — دور السياسة — أخذ المتخالفون في التنطع ، وأخذت الصلات تتقطع ، وامتازت فِرَقٌ وتألفت شيع . كل ذلك على خلاف مايدعو اليه الدين . وقدبذل قوم وسعهم في تمييز الفرق تمييزاً حقيقياً فما استطاعوا وانماهو تمييز وهميّ ، وخلاف في أكثر المسائل لفظي ، وانما هي الشهوات وضروب السياسات اشعلت نيران الحرب بين المنتسبين الى تلك الشيع حتى آل الأمر الى هذه الفُرقة التي يظن الناظر فيها أنها لادواء لها .

قال قائل من عدة سنين : إنه ينبغي أن يعين القضاة في مصر من أهل المذاهب الأربعة لأن أصول هذه المذاهب متقاربة وعبارات كتبها مما يسهل على الناظر فيها أن يفهمها . وقال : إن الضرورة قاضية بأن يؤخذ في الأحكام ببعض أقوال من مذهب مالك أو مذهب الشافعي تيسيراً على الناس ودفعاً للضرر والفساد . فقام كثير من المتورعين ، يحوقلون ويندبون حظ الدين ، كأن الطالب يطلب شيئاً ليس من الدين ، مع انه لم يطلب الا الدين ، ولم يأت الا بما يوافق الدين ، وبما كان عليه العمل فى أقطار العالم الى ماقبل عدة سنين . فأين قول هؤلاء « وكلهم من رسول الله ملتمس » ؟ لكن هو جمود المتأخر على رأي من سبقه مباشرة وقصر نظره عليه دون التطلع الى ماوراءه . أو هي السياسة تحلّ ماتشاء وتحرم ماتشاء ، وتصحح ماتشاء وتبطل ماتشاء ، والناس منقادون اليها بأزمة الاهواء ،

جناية الجمود على الشريعة : هذا الجمود في أحكام الشريعة جرّ الى عسر حمل الناس على إهمالها . كانت الشريعة الاسلامية أيام كان الإسلام إسلاماً

سمحة تسع العالم بأسره وهي اليوم تضيق عن أهلها حتى يضطروا الى أن يتناولوا غيرها وأن يلتمسوا حماية حقوقهم فيما لا يرتقي اليها. وأصبح الاتقياء من حملتها يتخاصمون الى سواها. صعب تناول الشريعة على الناس حتى رضوا بجهلها عجزاً عن الوصول الى علمها فلا ترى العارف بها من الناس الا قليلا لا يعدّ شيئاً اذا نسب الى من لا يعرفها . وهل يتصوّر من جاهل بشريعة أن يعمل بأحكامها ؟ فوقع أغلب العامة في مخالفة شريعتهم بل سقط احترامها من أنفسهم لأنهم لا يستطيعون أن يطبقوا أعمالهم على مقتضى نصوصها . وأول مانع لهم ضيق الطاقة عن فهمها لصعوبة العبارات وكثرة الاختلاف . سألت يوما أحد المدرسين فى بعض المذاهب : هل تبيع وتشتري وتصرف النقود على مقتضى ما تجد في كتب مذهبك ؟ فأجاب أن تلك الأحكام قلما تخطر بباله عند المعاملة بالفعل وإنما يفعل ما يفعل الناس. هكذا فعل الجمود بأهله ولو أرادوا أن تكون للشريعة حياة تحي بها الناس لفعلوا ولسهل عليهم وعلى الناس أن يكونوا بها أحياء

تعلم ما وصل اليه الناس من فساد الأخلاق والانحراف عن الشريعة. لو سألت عن سببه فى القرى وصغار المدن لوجدته أحد أمرين إما فقد العارف بالشريعة والدين وسقوط القرية أو المدينة في جاهلية جهلاء يرجع بعض أهلها إلى بعض في معرفة الحلال والحرام وليس المسؤول بأعلم من السائل والكل جاهلون . وإما عجز العارف عن تفهيم من يسأله لاعتقال لسانه عن حسن التعبير بطريقة تفهمها العامة فهو إذا سئل يقرأ كتاباً أو يسرد عبارة يصعب على السامع فهمها وعلى المتكلم إفهامها . وذلك للحرج الذي وضع فيه نفسه فلا يستطيع التصرف فيما يسمع ولا فيما يعلم . فاذا

قلت للعارف تعلمْ من وسائل التعبير ما يقدرك على مخاطبة الطبقات المختلفة من الناس حتى تنفع بعلمك واُعلُ بنفسك إلى أن تفهم الغرض من قول إمامك فتجد لأصله انطباقاً على هذه الحادثة مثلا وإن لم يأت ذكرها بنفسها فى قوله أو قول من جاء بعده من أتباعه . قال : سبحان الله! هل فعل ذلك أحد من المشايخ ؟ يريد أن لا يأتي شيئاً إلا ما أتى به شيخه الذي أخذ عنه يداً بيد ولو أبعد بنظره لوجد قدماء المشايخ قد فعلوه وبالغوا فيه حتى خالفوا من أخذوا عنه في بعض رأيه . ثم إذا حاججته في ذلك لم يبعد من رأيه أن يعدك زنديقاً وأنك تدعوه الى الخروج من دينه ولا يدري المسكين أنه بذلك يخالف نصوص دينه وانه يتهيأ للخروج منه نعوذ بالله تعالى

كان كلام بيني وبين أحد المدرسين فى أخذ الطلبة بالنصيحة وتذكيرهم بفضائل الأخلاق وصالح الأعمال خصوصاً عند إلقاء الدروس الفقهية ودروس الحديث والتوحيد . فقال لي : أنه لا فائدة فى ذلك قطعا وهو تعب في غير طائل . فقلت له : ذلك حق عليك أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وليس عليك أن يأتمر المأمور ولا أن ينتهي المنهيّ . فقال : إذا تحققت استحالة المنفعة كان الأمر والنهي لغوا . فانظر كيف اعتقد استحالة الانتفاع بنصحه لبلوغ الفساد من النفوس غايته كما يزعم . ولم ينظر في الوسيلة لاقتلاع هذا الفساد مع ان الدين يدعوه الى ذلك وهو يعمل كل يوم عمله لتعليم من لا سبيل إلى إصلاحه . هذا كله لأنه لم ير نفسه أهلا لأن يتخذ وسيلة لم يتخذها من أخذ عنه أو لم يرشده اليها من تعلم هو بين يديه ولم يتذكر عند ذلك شيئاً من الأوامر الالهية التي وردت فى

النصيحة والتآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر وأن اليأس من روح الله إنما يكون من القوم الكافرين أو الضالين

لا بل إذا قلت له ان هذا الضرب من ضروب التعليم عقيم لا ينتج المطلوب منه أو ان هذا الكتاب الذي تعوّد الطلاب قراءته قد يضر بقارئيه وغيرُه أفضل منه . كاد يظن أن قولك هذا مخالفٌ للدين ورأى العدول عمّا تعوّده نوعاً من الاخلال بالدين . وقد يقيم عليك حرباً يعتقد نفسه فيها مجاهداً في سبيل الله اذا قلت له: ان دروس السلف كانت تقريراً للمسائل واملاءً للحقائق على الطلاب ولم يكن لأحد منهم كتاب يأخذه بيده ويقرئه تلامذته ولم يكن بأيدي الطلبة الا الأقلام والقراطيس يكتبون ما يسمعونه من أفواه أساتذتهم . وقد يعترف لك بصحة ما تقول ولكنه يستمر في عمله اعتماداً على أنه وجد الناس هكذا يعملون . فهل يخطر ببال عاقل ان هذا الجمود من الدين ؟ وهل يرتاب من له أدنى ادراك في سوء عقباه على الدين وأهل الدين ؟

جناية الجمود على العقيدة : ذلك جمودهم في العمل وأشد ضرراً منه الجمود في العقيدة . نسوا ماجاء في الكتاب وأيدته السنة من أن الايمان يعتمد اليقين ولا يجوز الاخذ فيه بالظن وان العقل هو ينبوع اليقين في الايمان بالله وعلمه وقدرته والتصديق بالرسالة وان النقل ينبوع له فيما بعد ذلك من علم الغيب كأحوال الآخرة وفروض العبادات وهيآتها وان العقل ان لم يستقل وحده في إدراك مالا بد فيه من النقل فهو مستقل لا محالة في الاعتقاد بوجود الله وبأنه يجوز ان يرسل الرسل فتأتينا عنه بالمنقول . نسوا ذلك كله وقالوا : لا بد من اتباع مذهب خاص في العقيدة

وافترقوا فرقاً وتمزقوا شيعاً كما قلنا . ولم يكفهم الإلزام باتباع مذهب خاص في نفس المعتقد بل ذهب بعضهم الى أنه لا بد من الأخذ بدلائل خاصة للوصول الى ذلك المعتقد فيكون التقليد في الدليل كالتقليد في المدلول . وكأنهم لذلك جعلوا النقل عماداً لكل اعتقاد وياليته النقل عن المعصوم بل النقل ولو عن غير المعروف . فتقررت لديهم قاعدة : ان عقيدة كذا صحيحة لان كتاب كذا للمصنف فلان يقول ذلك . ولما كانت الكتب قد تختلف أقوالها صار من الصعب أن يجد الواحد منهم لنفسه عقيدة قارة صافية غير كدرة ولا متزعزعة . وقد سرى ذلك من قراء المقلدين الى أميهم فتراهم يعتقدون بكل ما يقال وينقل عن معروف الاسم وان لم يكن في حق الأمر من أهل العلم وتتناقض عقائدهم على حسب تناقض مسموعاتهم

انجرّ التساهل في الاعتماد على النقل الى الخروج عما اختطه لنا السلف رضي الله عنهم فقد كانوا ينقبون عن صفات من ينقلون عنه ويمتحنون قوله حتى يكونوا على شبه اليقين من أنه موضع الثقة . ولكن جمود المتأخر على ما يصل اليه من المتقدم صير النقل فوضى فتجد كل شخص يأخذ عمن عرفه وظن أنه أهل للأخذ عنه بدون بحث ولا تنقيب حتى شاع بين الناس من الأقوال وموضوعات الأحاديث ما ترتفع الأصوات بالشكاية منه من حين الى حين . وكل ما نراه من البدع المتجددة فمنشأه سوء الاعتقاد الذي نشأ من رداءة التقليد والجمود عند حد ما قال الأول بدون بحث في دليله ولا تحقيق في معرفة حاله وإهمالُ العقل في العقائد على خلاف ما يدعو اليه الكتاب المبين والسنة الطاهرة . دخلت على الناس لذلك عقائد يحتاج صاحب الغيرة على الدين في اقتلاعها من أنفسهم الى عناء طويل وجهاد شديد

وسلاحه الكتاب وسلاح أعدائه أقوال بعض من تقدم ممن يعرف ومن لا يعرف. وما أكثر عدد من ينصر أعداءه اليوم وما أقلهم غدا إن شاء الله

سأل سائل من الاستاذ شيخ الجامع الازهر عن حكم عمل من الاعمال الجارية فى المساجد يوم الجمعة — ومنزلةُ الشيخ من الرياسة فى أهل العلم بالدين منزلته — فافتى بما ينطبق على السنة وما يعرفه العارفون بالدين وقال ان العمل بدعة من البدع يجب التنزه عنها. أتظن ان المستفتي أمكنه العمل بمقتضى الفتيا؟ كلا. حدث قيل وقال، وكثرة تسآل؛ ودخلت السياسة ثم قيل ان الزمان ناصر الحقيقة وقد وجدنا الامر كذلك من قبلنا وسكت السائل وماذا يصنع المجيب. نعم هذا من شؤم ذلك الجمود فقد فَصَل بين العامة ومن يرجى فيهم تقويم ما أعوج منها ووكلها الى أناس منها لا علم لهم بالدين ولا بالأدب وقد غرسوا فى أذهان الدهماء شر الغرس ولا تجني الامم منه الا أخبث الثمر. فلو قام العالم بالدين وأراد ان يبيّن حكم الله المصرح به في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم المجمع عليه عند السلف قاطبة انتصب له ناعر من العامة يصيح فى وجهه «ماسمعنا بهذا في آبائنا الاولين» ويريد من آبائه الاولين من رآهم بعد ولادته أو ذكرت له أسماؤهم بلسان مضلّيه حتى صار ارشاد العامة اليوم من أصعب الأمور وأشقها على طالبه

ماذا يمكن ان أقول؟ أصبح الرجل يرتكب في وسائل العبادة أقبح المنكرات فى الدين واذا دعي الى ترك المنكر نفر وزمجر، وأبى واستكبر، انظر ماذا يصنع الموسوسون ومن يقرب منهم فى الاستبراء من البول على مرأى من المارّة وفيهم النساء والاطفال وهم يظنون انهم يتقربون الى الله بما يفعلون

هذا هو شأن العامة يرون ماليس بدين ديناً ويصعب على حفاظ الدين ارشادهم بفضل جمودهم على ماورثوا من ملقنيهم بدون تعقل. فهذا معظم الامة تراه قد تملص من أيدي منذريه ولو شاؤا لأقبل كل منهم على صاحبه وهو أيسر شيء على حملة الشريعة وما هو الا ان يرجعوا الى ما كان عليه النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه من سعة الدين وسماحته، ثم العمل على حفظه وحياطته،

الجمود ومتعلمو المدارس النظامية

ثم ان الجمود قد أحدث لنا فريقا آخر وهو فريق المتعلمين على الطرق الجديدة إما فى مدارس الحكومات الاسلامية واما فى المدارس الاجنبية داخل بلادهم أو خارجا عنها. لا أتكلم عن هذا الفريق فى بلاد القرم أو القوقاس او سمرقند وبخارى أو الهند فاني لا أعرف كثيرا من أحوالهم ومن رأيته منهم رأيت فيه خيراً وارجو أن يكون منهم لقومهم ماينتظره الاسلام من العارفين به فقد رأيت أفرادا قليلين من هؤلاء تعلموا فى البلاد الأوربية ودرسوا العلوم فيها درساً دقيقاً وهم أشد تمسكا بلب الدين الاسلاميّ وروحه من كثير ممن يدعي الورع والتقوى ولا يسمحون لأنفسهم بترك عادة صحيحة من العادات التى أورثها دينهم لقومهم فنعم المتعلمون هؤلاء أكثر الله منهم

وانما أتكلم عن هذا الفريق من المتعلمين فى مُصر وسوريا وسائر بلاد الدولة العثمانية. سماحة الاسلام وسعة حلمه للعلم أباحت للمسلمين أن يرسلوا أولادهم ليأخذوا العلم في المدارس الرسمية وغير الرسمية عن أساتذة فيهم المسلم وغير المسلم أو عن أساتذة كلهم غير مسلمين بل فى مدارس لم

تبن الا لترويج دين غير الدين الاسلامي . وأباحت لغير آباء هؤلاء التلامذة أن يسكتوا وان لا ينكروا عليهم عملهم مادامت العقيدة سالمة من الهدم والضعضعة

جمود تلامذة المدارس الأجنبية : هؤلاء التلامذة ان كانوا فى مدارس أجنبية لا أثر لتعليم الدين الاسلامي فيها بل ربما يتعلم فيها دين آخر فقد يسري الى عقائدهم شئ من الضعف وقد تذهب عقائدهم بالمرة وتحتل مكانها عقائد أخرى تناقضها كما شوهد ذلك مراراً . ولو كان آباؤهم على علم بطرق الاستدلال الإقناعية لعقائد دينهم لدعموا من عقائد أبنائهم وحفظوها من التزلزل أو الزوال . وكيف يكون لاولئك الآباء شئ من هذا العلم مع الجمود على طرق قديمة لا يصل الى فهمها من ينقطع لتعلمها فضلا عن أولئك المساكين . بل لو كان هناك مرشدون على طريقة يسهل فهمها لتيسر لهؤلاء التلامذة أن يهتدوا بهديهم ولكن الجمود صير كل شئ صعباً وكل أمر غير مستطاع

فهذه جناية من جنايات الجمود على أبناء المسلمين الذين يتعلمون فى مدارس أجنبية تخرجهم من دينهم من حيث لا يشعرون . ويا ليتهم يستبدلون بالدين رادعاً آخر من الأدب والحكمة كما يرجو بعض المغرورين الذين لا يعلمون طبائع هذه الأمم أو كما يروّجه بعض من لا يريد الخير بها . ولكنه ترك أفئدتهم هواء خالية من كل زاجر أو دافع اللهم الا زاجراً عن خير أو دافعاً الى شر فاتخذوا إلههم هواهم وامامهم شهوتهم فهلكوا وأهلكوا . ومن هؤلاء ورثة الاغنياء الذين تصيح من شرور أعمالهم الجرائد كل يوم . فالجهل خير مما يتعلم هؤلاء بدون ريبة وليت الإسلام لم يرحب صدره لمثل هذا الضرب من التعليم والتعلم .

جمود تلامذة المدارس الرسمية والأهلية :

أما المتعلمون فى مدارس رسمية أو غير رسمية للتعليم الديني فيها شئ من البقية . فهؤلاء ينشأون على شئ من المعارف في الفنون المختلفة وتقرر لهم حقائق في الكون السماوي أو الارضي أو في الاجتماع الانساني ومن عرف شيئاً انطلق لسانه بالخوض فيه وقد يسمعه متنطع ممن يلبس لباس أهل الدين وهو جامد على ألفاظ سمعها فلو سمع غيرها أنكره وظنه مخالفاً للعقيدة الصحيحة فيأخذ يلوم المتعلم ويوبخه ويرميه بالمروق من الدين . هذا والمتعلم لا يشك فى قوة دليله والجهل بالدين يعتقد أن ما يقوله خصمه منه فينفر من دينه نفرته من الجهل . ولو قال له قائل : ارجع الى كتب الدين تجد فيها ما يسرك وينصرك على نفسك وخصمك . حار لا يدري الى أيّ كتاب يرجع ولم يسهل عليه فهم تلك العبارات التى ورثها القوم على ما فيها من تشتيت وتعقيد وأبقوها كما ورثوها . فيعود الى النفور من الدين نفور طالب الفهم مما لا يمكنه فهمه

لهذا يعتقد أكثر هؤلاء ان الدين شئ غير مفهوم بل قد يعده بعضهم خرافة « نعوذ بالله » فيأخذون عنه جانباً ويتركون عقائده وفضائله وآدابه ويلتمسون لهم آداباً فى غيره وقلما يجدونها فتراهم وقد فترت قلوبهم وقصرت هممهم فلا يطلبون الا ما تطلبه العامة من كسب معيشة أو علو جاه ويسلكون الى ذلك أي طريق ولو أضروا بالعامة أو الخاصة « مادام الشرف محفوظاً » فاذا وجد بينهم من يدعي الوطنية أو الغيرة الملية أو نحو ذلك فانما ينثر الالفاظ نثراً لا يرجع فيها الى أصل ثابت ولا الى علم صحيح ولهذا يطلب المصلحة لبلاده من الوجه الذى يؤدي الى المفسدة وهو يشعر

أولا يشعر على حسب حاله . ومنهم من يصيح باسم الدين ولا تتحرك نفسه لمعرفة حكم من أحكامه أو درس عقيدة من عقائده فشأنهم كلام فى كلام ولبئس مايصنعون . ولولا هذا الجمود لوجدوا فى كتب دينهم وفى أقوال حملته ما تبتهج به قلوبهم ؛ وتطمئن اليه نفوسهم ؛ ولذاقوا طعم العلم مأدوماً بالدين وتمكنوا من نفع أنفسهم وقومهم ولوجدت منهم طبقة معروفة يرجع اليها فى سير الأمة وسياسة أفكارها وأعمالها الاجتماعية .

﴿ الجمود علة تزول ﴾

(المقال الخامس لذلك الامام الحكيم . وفيه بيان علاج الداء)

تفصيل مضرات هذا الجمود وسيئاته يحتاج الى كتاب طويل فنكتفي بما أوجزناه فى الصفحات السابقة . ولكن يبقى الكلام فى أنه عارض يمكن زواله ان شاء الله تعالى .

قد عرفت من طبيعة الدين الاسلامي بعد عرضها عليك فيما سبق أنها تسمو عن أن ينسب اليها هذا المرض الخبيث — مرض الجمود على الموجود — وكم فى الكتاب من آية تنفر من اتباع الآباء مهما عظم أمرهم بدون استعمال العقل فيما كانوا عليه ولاحاجة الى إعادة ذلك. ثم اننا أشرنا أيضاً الى بعض الاسباب التى جلبت هذا الجمود على المسلمين لا على الاسلام . وان محدثها إما عدوٌّ للمسلمين طالب لخفض شأنهم أو لاستعبادهم أو لاستغلال أيديهم لخاصة نفسه . وإما محب جاهل يظن خيراً ويعمل شراً وهذا الثاني كان أشد نكاية ، وأعون على الغواية ، وهل تزول هذه العلة ويرجع الاسلام الى سمته الأولى وكرمه الفياض وينهض بأهله الى ماذخر لهم فيه ؟ ؟

جاء فى الكتاب المبين « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » ذلك الذكر هو الذكر الحكيم وهو القرآن الذي أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير . وهو كما قال « كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » وعد الله بحفظ هذا الكتاب وقد أنجز وعده فلم تطل اليه يد عدوٍ مقاتل ، ولا يد محب جاهل ، فبقي كما نزل ولا يضره عمل الفريقين في تفسيره وتأويله فكذلك مما لا يلتصق به فهو لا يزال بين دفات المصاحف طاهراً نقياً بريئاً من الاختلاف والاضطراب . وهو إمام المتقين ، ومستودع الدين ، واليه المرجع اذا اشتد الامر وعظم الخطب وسئمت النفوس من التخبط فى الضلالات . ولا يزال لأشعة نوره نفوذ من تلك الحجب التى أقاموها دونه ولا بد أن تتمزق كلها بأيدي أنصاره فيتبلج ضياؤه لأعين أوليائه ان شاء الله تعالى

هذا الضياء كان ولا يزال يلوح لامعه في حنادس الظلم لأفراد اختصهم الله بسلامة البصيرة فيهتدون به اليه ويحمدون سراهم ، بما عرفوا من نجاح مسعاهم ، ولكن الذين اطبقت عليهم ظُلَمُ البدع ، وران على قلوبهم ما كسبوا من التحزب للشيع ، وطمست بصائرهم ، وفسدت عقولهم بما حشوها من الاباطيل ، وبما عطلوها عن النظر في الدليل ، هؤلاء في عمى عن نوره وقلوبهم فى أكنةٍ أن يفقهوه وفى آذانهم وقر . يصيحون بأنهم عميٌ صمٌّ فلا يرون له سناء ، ولا يسمعون له نداء ، ويعدون ذلك من كمال الايمان به ولبئس ما رضوا لأنفسهم من السفه وطيش الحلم وهم يعلمون . هذا حال الجمهور الاعظم ممن يوصفون بأنهم مسلمون ويجلبون العار على

الاسلام بدخولهم تحت عنوانه ، ويقوُّون حجج أعدائه فى حربه بزعمهم الاجتماع تحت لوائه ، وماهم منه فى شيء كما قدمنا

هؤلاء لابدأن يصيبهم ما أصاب الأمم قبلهم فقداتبعوا سننهم شبرا بشبر وذراعاً بذراع وضيقوا على أنفسهم بدخولهم في جحر الضب الذى دخلوه (1) ومن اتبع سَنن قوم استحق الوقوع تحت أحكام سُنن الله فيهم فلن يخلص مماقضى الله فى عذابهم. فقد قص عليهم سير الاولين وبين لهم ما نزل بهم عند ما انحرفوا عن سننه وحادوا عن شرعه ونبذوا كتابه وراءهم ظهريا. أحل بهم الذل ، وضرب عليهم المسكنة ، وأورث غيرهم أرضهم وديارهم . فهل ينتظر المتبعون سَنَنَهُمْ ؛ السائرون على أثرهم ؛ أن يصنع الله بهم غير الذى صنع بسابقيهم وقد قضى بان تلك سنته ولن تجدلسنته تبديلا

لاتزال الشدائد تنزل بهؤلاء المنتسبين الى الاسلام ولاتزال القوارع تحل بديارهم حتى يفيقوا (وقد بدأوا يفيقون من سكراتهم) ويفزعوا الى طلب النجاة ويغسلوا قَذَى المُحدَثات عن بصائرهم ، وعند ذلك يجدون هذا الكتاب الكريم فى انتظارهم يُعِدُّ لَهُمْ وسائل الخلاص ويؤيدهم فى سبيله بروح القدس ويسير بهم الى منابع العلم فيغترفون منها مايشاؤن فيعرفون أنفسهم ويشهدون ما كان قد كمن فيها من قوة فيأخذ بعضهم بيد بعض ويسيرون الى المجد غيرنا كلين ولا مخذولين . ولهذا أقول : ان الاسلام لن يقف عثرة فى سبيل المدنية أبداً ولكنه سيهذبها وينقيها من

(1) المنار : في الكلام اشارة الى حديث « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » الحديث رواه الشيخان وغيرها

أوضارها وستكون المدنية من أقوى أنصاره متى عرفته وعرفها أهله . وهذا الجمود سيزول وأقوى دليل لك على زواله بقاء الكتاب شاهداً عليه بسوء حاله ولطف الله بتقييض أناس للكتاب ينصرونه ، ويدعون اليه ويؤيدونه ، والحوادث تساعدهم ، وسوط عذاب الله النازل بالجامدين ينصرهم ،

هذا الكتاب المجيد الذى كان يتبعه العلم حيثما سارشرقاً وغرباً لابد ان يعود نوره الى الظهور ويمزق حجب هذه الضلالات ويرجع الى موطنه الاول من قلوب المسلمين ويأوي اليها — العلم يتبعه وهو خليله الذي لايأنس الا اليه ، ولا يعتمد الا عليه ،

يقول اولئك الجامدون الخامدون كما يقول بعض أعداء القرآن : ان الزمان قد أقبل على آخره ، وإن الساعة أوشكت ان تقوم ، وإن ماوقع فيه الناس من الفساد ، وما مُنِيَ به الدين من الكساد ، وما عرض عليه من العلل ، ومانراه فيه من الخلل ، إنما هو أعراض الشيخوخة والهرم ، فلا فائدة فى السعي ولا ثمرة للعمل ، فلا حركة الا الى العدم ، ولا يصح ان يمتد بصرنا الا الى العدم ، ولا أن ننتظر من غاية لأعمالنا سوى العدم ، (نعوذ بالله) هؤلاء حَفَدَةَ الجهل وأعوان اليأس يهرفون بمالا يعرفون . ماذا عرفوا من الزمان حتى يعرفوا انه كاد ينقطع عند نهايته ؟ ان الذي مضى بيننا وبين مبدإ الاسلام الف وثلاثمائة وعشرون عاماً وإنما هي يوم وبعض يوم أوبعض يوم فقط من أيام الله تعالى. وان آيات الله فى الكون — وإن كانت تدل على أن ما مضى على الخليقة يقدر بالدهور والدهارير ، — تشهدبأن مابقي لهذا النظام العظيم يقصرعن تقديره كل تقدير ؛ « فمالهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا » . ان مابيننا وبين مبدإ الاسلام لايزيد

عن عمر ستة وعشرين رجلا كل رجل يعيش خمسين سنة. فهل يعد مثل ذلك عمراً طويلا بالنسبة الى دين عام كدين الاسلام ؟ ان زمناً كهذا لايكفي — وقد تبين انه لم يكف — لاهتداء الناس كافة بهديه . ولم تقوم القيامة على الدين ولم تقم على شرهم وطمعهم ؟

قد وعد الله بأن يتم نوره وبأن يظهره على الدين كله فسار فى سبيل التمام والظهور على العقائد الباطلة أعواماً ثم انحرف به أهله عن سبيله وصاروا به الى مايرون ونرى . ولن ينقضي العالم حتى يتم ذلك الوعد ويأخذ الدين بيد العلم ويتعاونا معاً على تقويم العقل والوجدان فيدرك العقل مبلغ قوته ، ويعرف حدود سلطنته ، فيتصرّف فيما آتاه الله تصرّف الراشدين ، ويكشف ماامكنه فيه من أسرار العالمين ، حتى اذا غشيته سبحات الجلال وقف خاشعاً ، وقفل راجعاً ، وأخذ إخذ الراسخين فى العلم الذين قال فيهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (كرم الله وجهه) فيما روي عنه : « هم الذين أغناهم عن اقتحام السُّدد المضروبة دون الغيوب ، الاقرارُ بجملة ماجهلوا تفسيره من الغيب المحجوب ،فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول مالم يحيطوا به علما ، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عنه رسوخا» ، واعتبر بعد ذلك بقوله : « فاقتصر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين . هو القادر الذى اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطعَ (١) قدرته ، وحاول الفكر المبرّأ من خطرات الوساوس ان يقع عليه فى عميقات غيوب ملكوته ، وتولهت (٢) القلوب اليه لتجري في كيفية صفاته ، وغمضت مداخل العقول في حيث لاتبلغه الصفات لتناول علم ذاته ،

(١) المنقطع ما ينقطع عنده الشيء وهو آخره (٢) تولهت اشتد عشقها

ردعها وهي تجوب مهاوي سُدَف (١) الغيوب متخلصة اليه سبحانه ، فرجعت إذ جُبِهت (٢) معترفة بأنه لاينال بجور الاعتساف كنه معرفته ، ولا تخطر ببال اولى الرَّويات خاطرة من تقدير جلال عزته »

هنالك يلتقي (أى العقل) مع الوجدان الصادق (القلب) ولم يكن الوجدان ليدابر العقل فى سيره داخل حدود مملكته متى كان الوجدان سليما ، وكان مااستضاء به من نبراس الدين صحيحاً ، إياك ان تعتقد ما يعتقده بعض السذج من ان فرقا بين العقل والوجدان (القلب) فى الوجهة بمقتضى الفطرة والغريزة . فانما يقع التخالف بينهما عرضاً عند عروض العلل والأمراض الروحية على النفوس . وقد أجمع العقلاء على ان المشاهدات بالحس الباطنى (الوجدان أو القلب) من مبادي البرهان العقلي كوجدانك أنك موجود ووجدانك لسرورك وحزنك وغضبك ولذتك وألمك ونحو ذلك .

مُنحنا العقل للنظر في الغايات ؛ والاسباب المسببات ؛ والفرق بين البسائط والمركبات ؛ والوجدانَ لإدراك مايحدث في النفس والذات من لذائذ وآلام ؛ وهلع واطمئنان ؛ وشماس وإذعان ؛ ونحو ذلك مما يذوقه الانسان ؛ ولا يحصيه البيان ؛ فهما عينان للنفس تنظر بهما — عين تقع على القريب ؛ وأخرى تمتد الى البعيد ؛ وهى في حاجة الى كل منهما ولا تنتفع باحداهما حتى يتم لها الانتفاع بالأخرى . فالعلم الصحيح مقوم الوجدان ؛ والوجدان السليم من أشد أعوان العلم ؛ والدين الكامل علم وذوق ؛ عقل وقلب ؛ برهان وإذعان ؛ فكر ووجدان ؛ فاذا اقتصر دين على أحد

(١) السدف جمع سدفة كظلمة لفظاً ومعنى (٢) جُبِه ضُربت جبهته ورُدّ

الأمرين فقد سقطت إحدى قائمتيه وهيهات ان يقوم على الأخرى . ولن يتخالف العقل والوجدان حتى يكون الانسان الواحد إنسانين ؛ والوجود الفرد وجودين ؛

قد يدرك عقلك الضرر في عمل ولكنك تعمله طوعاً لوجدانك ؛ وربما أيقنت المنفعة في أمر وأعرضت عنه إجابة لدافع من سريرتك ؛ فتقول : إن هذا يدل على تخالف العقل والوجدان . ولكني أقول : إن هذه حجة من لا يعرف نفسه ولا غيره . عليك ان ترجع الى نفسك فتتحقق من أحد الأمرين -- إما أن يقينك ليس بيقين وأنه صورة عرضت عليك من قول غيرك فأنت تظنها علما وما هي به . وإما أن وجدانك وهم تمكن فيك ؛ وعادة رسخت في مكان القوة منك ؛ وليس بالوجدان الصحيح وانما هو عادة ورثتها عمن حولك وظننتها شعوراً منبعه الغريزة وماهي منه في شيء .

(نتيجة) : لابد ان ينتهي أمر العالم الى تآخي العلم والدين؛ على سنة القرآن والذكر الحكيم ؛ ويأخذ العالمون بمعنى الحديث الذي صح معناه [1]

(١) المنار — قال العراقي : رواه ابو نعيم في الحلية بالمرفوع منه باسناد ضعيف ورواه الاصبهاني في الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه . ورواه الطبراني في الاوسط والبيهقي في الشعب من حديث بن عمر وقال : هذا إسناد فيه نظر . قلت فيه الوازع بن نافع متروك . وقال الزبيدي في شرح الإحياء : قلت حديث ابن عمر لفظه « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » هكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر وأبو الشيخ في العظمة والطبراني في الاوسط وابن عدي وابن مردويه والبيهقي وضعفه والاصبهاني وأبو نصر في الإبانة وقال غريب . ورواه أبو الشيخ من حديث ابن عباس « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون قدره » ورواه ابن النجار والرافعي من حديث أبي هريرة « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في

« تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله » وعند يكون الله قد أتم نوره ولو كره الكافرون ؛[1] وتبعهم الجامدون القانطون ؛ وليس بينك وبين ما أعدك به الا الزمان الذي لابد منه في تنبيه الغافل ؛ وتعليم الجاهل ؛ وتوضيح المنهج ؛ وتقويم الأعوج ؛ وهو ماتقتضيه السنة الآلهية في التدريج « سُنَّةَ اللهِ فِي الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » . « إنهم يرونه بعيداً ونراه قريبا » . « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » وهو خير الناصرين .

(للكلام بقية)

﴿ الوفاق الاسلامي الانكليزي ﴾

لقد أذن الله المسلمين أن يهبوا من رقادهم ، ويسترجعوا مجد أجدادهم ، وقد سبق لنا ان قلنا في مقالة نشرت في الجزء الرابع من المجلد الثالث ان مجد الاسلام قام على أساسين وانه هدم بهدمهما وانما يعود بإقامتهما وهما استقلال الفكر واستقلال الارادة أما الأول فإقامته بالاجتهاد في علوم الدين والدنيا وأما الثاني فإقامته بالقوة الخ ماهناك . وقد لاحظ من قرأ مقالة (مستر د . ج . كوربت) الانكليزي الذي عربتها جريدة المؤيد ونشرتها في ستة أعداد وذكرنا أقطاب مسائلها في نحو صفحتين من الجزء الماضي أن هذا الكاتب السياسي يبني دعوة قومه الى الاتفاق مع المسلمين على أمرين (أحدهما) ان دين الاسلام دين مدنية يمكن لمتبعيه ان يتفقوا مع أمة راقية كالأمة الانكليزية ويسيروا معها في كل طريق من طرق العمران فتنتفع بهم وينتفعوا بها . وهو يشترط في ارتقائهم ، مايشترطه أشهر فضلائهم ، وهو إطلاق العقل من القيود والاغلال ، وتمتعه بنعمة الاستقلال ، والتربية الدينية ، التي تعيد اليهم صفات

الله » الخ . وتعدد هذه الروايات واجتماعها يكسبها قوة والمعنى صحيح كما قال الحافظ السخاوي في المقاصد . (١) الكافر من يرى الدليل فيصد عنه ولا ينظر فيه أو ينظر فيعرف الحق ثم يماري فيه وينكره عنادا . اه من هامش الأصل

الرجولية ، و (ثانيهما) ان للمسلمين قوتين واحدة في آسيا وهي الأمة الافغانية ، وأخرى في افريقيا وهي الفرقة السنوسية ، وقال الكاتب ان الواجب على الانكليز أن يستعينوا بمسالمة القوتين ، على تمكين سلطتهم في القارتين ، وذلك بجعل مصالحهم متفقة مع مصالح الأمة الاسلامية ، ومساعدتها على العروج في معارج المدنية ، فانها أمة واحدة لاجنسية فيها ولاوطنية ، (فليعتبر الاحداث الذين يفرقون بين المصري والشامي ، والمغربي والحجازي)

هل نحن في حاجة الى مساعدة دولة قوية حرة كالدولة الانكليزية ؟ وهل الدولة الانكليزية في حاجة الينا ؟ نعم ولكن فرقا بين الحاجتين . نحن نحتاج الى مثل الانكليز الذين لهم السلطان الرسمي وغير الرسمي على نحو نصفنا لأجل النهوض والقيام ، وهم يحتاجون الينا لأجل الثبات والدوام ، أو نحن نحتاج اليهم في الحال ، وهم يحتاجون الينا لاجل الاستقبال . وهل يصدق الانكليز في مساعدتنا على التقدم والرقي اذا نحن صدقناهم ؟ نعم اذا قالوا صدقوا ولن يقولوا حتى يعتقدوا بأن المصلحة في ذلك وحتى يثقوا بنا . وقد رأينا هذا الكاتب منهم يحاول إقناعهم بالمصلحة وبكوننا أهلا للثقة وقد سبقه الى ذلك غيره من كتابهم وعلمائهم فهل وجد فينا من حاول إقناعنا بذلك مع أننا أحوج الى الوفاق منهم إذ من البديهي أن المحكوم الجاهل الضعيف أحوج الى مرضاة حاكمه العالم القوي . ولكن الجاهل يمنعه الجهل ان يعلم المصلحة واذا علمها يمنعه الضعف ان يدعو قومه اليها لأن الجاهلين إنما يخاطبون بما يهوون لا بما ينتفعون . أرأيت كيف كان السيد احمد خان ظَنيناً في قومه متَّهماً في بلاده عند ماقام يدعو الى الوفاق بين مسلمي الهند وحكامهم من الانكليز ؟ لاجرم ان هـذا هو شأن الجهل ولكن المسلمين أنشأوا يتسللون منه لِواذاً ولذلك لايلاقي من يجهر في مصر بمثل دعوة المرحوم السيد احمد خان عشر معشار ما لقي من الظِّنة وما عانى من مرارة التهمة وان كانت مصر ليست من الامبراطورية البريطانية كالهند

المسلمون في مصر عرفوا ماكان عليه اخوانهم مسلمو الهند أيام الجفاء بينهم وبين الانكليز وعرفوا ثمرة دعوة احمد خان وثمرة مدرسته في حفظ حقوقهم ومصالحهم بالوفاق مع الانكليز واسترجاع ماكان سلب منها بالتدريج . وظهر لهم خذلان أحداث السياسة الذين جعلوا النعاق بالتنفير من الانكليز منبعاً للمال ومنبراً للجاه وعلموا أنهم غاشون خادعون ضالّون مضلّون فتغيرت الأحوال وصار شيخ الجامع الازهر يزور عميد الانكليز في مصر وشاعر الخديو يمدح ملك الانكليز وينشر ذلك في الجرائد التي تنتمي الى

الانكليز وليس هذا ولا ذاك ممن تضطرهم وظيفتهم أو تقضي سياستهم بأن يفعلوا مافعلوا

انا نعلم مع هذا ان أكثر المسلمين يرتابون في تحقيق هذا الوفاق ولو عرفوا مصالحهم ومصلحة القوم بالبرهان لما كان لهم أن يرتابوا . ان من مصلحتنا التي لانشك فيها ان تكون تربيتنا اسلامية دينية ونرى الانكليز الداعين الى الوفاق يرون رأينا في هذا . ان من مصلحتنا ان نكون رجالا مستقلين في علومنا وأعمالنا ونرى الانكليز يدعوننا الى ذلك ويقولون انه يساعد على الوفاق بيننا وبينهم . ان من مصلحتنا احياء اللغة العربية لغة الكتاب والسنة واللغة الجامعة للأمة ونرى الانكليز يوافقوننا على ذلك . فهل نرتاب في أن شيئاً من هذه الأمور هو من أهم مصالحنا؟ كلا

يقول قائل : ان كاتب المقالة وطائفة من الكتاب والسياسيين الانكليز قالوا بهذا القول ولكن الدولة لم تقل به ولم ينتشر بعد فيصير رأيا للأمة البريطانية فنقولَ ان الحكومة ستضطر الى مجاراة الأمة . فهل نخدع لقول بعض الكاتبين ، ونثق بمن لايتفق معنا في لغة ولاجنس ولا دين ؟ ونقول في الجواب : قد قال مثل ما قال هؤلاء حاكم الهند العام الذى يحكم مئتي مليون من النفوس منهم نحو تسعين مليونا من المسلمين أوزهاء خمسة أضعاف ماتحكمه الدولة العلية من المسلمين. وهب أنه لم يقل بذلك أحد من الحاكمين البريطانيين فأنا سائلك : أي خدمة تقدمها أنت وقومك للانكليز جزاءً على اعتقادك باخلاصهم في حب الوفاق معكم فتخاف ان تضيع هذه الخدمة مع من لايستحقها ؟ لو أن هـذه الدولة محتاجة الينا اليوم في عمل اختياري وهي تخطب ودادنا لنخدمها به لكان لنا ان نقول : انه يجب علينا أن نأخذ بالاحتياط ولا نخسر عملنا حتى نثق بصدق مجاملتنا .

يقولون لنا بلسان حالهم أو بلسان مقالهم: تربوا التربية الدينية ، واتصفوا بصفات الاستقلال والرجولية ، وتعلموا العلوم الفنون ، وحصلوا المال والثروة ونحن نساعدكم على ذلك . فهل من الاحتياط ان لانشتغل بشيء من ذلك لأن هذا ثقة بالقوم ولا ينبغي لنا ان نثق بهم الا بعد قيام البرهان على صدقهم . كيف يكون هذا وان مايصدر عنهم هو عين البرهان على صدقهم .

يقول القائل: انهم يخادعون بمثل هذه الأقوال أمير الافغان والسنوسي ليكون الأول معهم على روسيا وليأمنوا من اغارة الثاني على السودان . ونقول ان هؤلاء الكتاب يخاطبون دولتهم وان حاكم الهند كان يخاطب رعيته المسلمين ومثله حاكم سيراليون (راجع صفحة ٧٠٧ من المجلد الرابع) فهل اتفق هذا وهو في غربي أفريقيا مع ذلك في شرقي

آسيا على مخادعة السنوسي الذى لايسمع خطبهما ولا يقرأ الجرائد فيعرف خبرهما ؟ . نعم ان أمير الافغان يعرف أحوال الهند وما يقول حاكمها . ولكن حاكم الهند العام لا يقول للمسلمين : « انني لو كنت مسلماً لما أضعت من وقتي خمس دقائق من غير فكر في ترقية شأن الاسلام » ولا ينصح للمسلمين بأن يقيموا التربية الدينية ويعدهم بمساعدة الحكومة لهم لمجرد المخادعة فانه انما كان يخاطب قوماً عاملين يخاطب رجال التربية الاسلامية في احتفالهم العام بمدرسة عليكده . فقوله هذا أكبر منشط لهم بالفعل . ثم ما كان لأمير الافغان أن يخدع بالاقوال ، التي لاتنطبق على الاعمال ؛

يقول هذا القائل : ان هؤلاء الحكام يقولون هذا ليطمئن المسلمون الى حكومتهم وهم يعلمون ان المسلمين لايعملون . ونقول : اذا كنت أيها المسلم أسوأ ظناً بقومك منك بالانكليز فلا تجعل الذنب على خير الفريقين ولكن اجعله على شرهما وهو من يقال له اعمل لنفسك فلا يعمل ثم يعتذر بأن من يقول له اعمل غير مخلص في قوله . واعلم ان عقلاء المسلمين لايرضون لأنفسهم ماوصفتهم به وأن الانكليز لم يقولوا ولن يقولوا للمسلمين اقعدوا ونحن نسعى لكم . وأنهم ان قالوا لرعاياهم : اعملوا ونحن لانعارضكم فلهم الشكر . فان زادوا وقالوا ونحن نساعدكم فلهم الفضل العظيم فان سائر المستعمرين من الافرنج يمنعون رعاياهم ومن في حمايتهم من غير اهل دينهم من التعلم ، وكل وسائل التقدم ،

هذا الوفاق يراه المصريون رأيا جديداً ويراه سائر العثمانيين قديماً فهو رأي أكثر وزراء الدولة وساستها ولكنه كان وفاقا انكليزيا تركياً . وكان عليه العمل بين الدولتين ولا ننسى مساعدة بريطانيا العظمى للدولة العلية في الحروب الروسية حرب القريم وما بعدها . ثم تراخت عرى الصلة بينهما بعد احتلال انكلترا مصر وكادت سياسة المستر غلادستون التحمسية تقطع تلك العرى تقطيعاً بما ظهر من تعصبه على الدولة وعلى الاسلام في ابان الفتنة الأرمنية . وكان من أثر ذلك توثيق عرى الصلة بين السلطان وعاهل الالمان وضعف نفوذ الانكليز وكسدت تجارتهم فى البلاد العثمانية حتى قال البرنس بسمرك ما معناه : ان المعلم غلادستون قد هدم بشقشقته الحمقى ما بنته دولته في نحو قرن . ولايزال أكثر نبهاء العثمانيين يفضلون الانكليز على كل دولة أوربية وهذا كله مبني على قاعدة مسلّمة عندهم وهي انه لا بد للدولة من الاعتماد على دولة أوربية في سياستها الخارجية

انكلترا قصرت مع الدولة العلية وان مجاملتها لها تزيد جميع مسلمي مستعمراتها ثقة بها فهي تنفعها في الوفاق الاسلامي الانكليزي أكثر مما تنفع المسلمين الذين تحكمهم فيما نظن فان تعلق آمال أولئك المسلمين بالدولة العلية يثبط هممهم عن السعي في الاستقلال الذاتي الذي هو روح الحياة الاجتماعية كما بيناه من قبل ويزيد عليهم ضغط حكامهم لأنهم يرونهم ميالين الى حكومة أخرى . ومن شأن الضغط ان يفيد ولكنه لايفيد ههنا لأن المضغوط عليه لايحاول الخلاص من الضغط لاعتماده على غيره وقد ثبت هذا بالتجربة المؤيدة للنظر . كان الوفاق انكليزياً تركياً فأصبحنا نتحدث بوفاق اسلامي انكليزي وهو وفاق أشرف وأعلى وأعم وأنفع . كانت سياسة انكلترا في ذلك الوفاق مبنية على قاعدة : يجب أن لا تسقط تركيا ولا تقوم يجب أن لاتموت ولا تحيا . وأما قاعدة هذا الوفاق فهي : يجب أن يعود للمسلمين استقلالهم الذاتي وان ينفخ فيهم روح الدين الاسلامي بفضائله وآدابه ليبعثهم الى المدنية الحقيقية ولكن يشترط ان يكونوا هم العاملين والانكليز من المساعدين . فاذا صح هذا فهو أكبر أمنية يتمناها كل عاقل من المسلمين . ويرضى هؤلاء العقلاء من انكلترا بأن لاتكون على الدولة العلية اذا لم تكن معها وبأن لاتدخل جزيرة العرب ولا تمكن دولة غير مسلمة من دخولها كيفما كان حال الدولة العلية لأن الجزيرة عند المسلمين معهد ديني كالمسجد ومن أركان الوفاق إقامة دين الاسلام لاهدم مناره وتعطيل شعاره

الواثقون بدينهم من هؤلاء العقلاء يعتقدون بأن الامة الانكليزية الحرة اذا عملت بنصيحة مستر كربت وأضرابه (ومنهم اسحق طيلر الذي نشرنا كثيراً من مقالاته في أجزاء من السنة الماضية والسنة الحاضرة) ودرست الاسلام درساً صحيحاً فانها تدخل فيه أفواجاً . وقد سبق لنا القول بأن أمة أوربية كهذه اذا دخلت في الاسلام فانها تملك بالمسلمين الشرق كله ولا يبعد ان تملك بهم الغرب أيضاً فان أكبر قواد الحرب في أوربا قالوا انه يسهل عليهم ان يفتحوا أوربا كلها بمئة الف من جيوش المسلمين .

أنّى لنا بصوت نديٍّ من ذي برهان قوي ، يبلغ قومنا مبلغ انتفاعهم من هذا الوفاق ويعلمهم كيف يقنعون الانكليز به ويمثّلون له مصلحتهم فيه مشدودة مع مصلحتنا في قرن . ان هذا من وظيفة الجرائد ووظيفة أهل الرأي في الامة . وقد علمنا ممن ذكرناهم من عقلاء المصريين الارتياح لهذا الوفاق اذا وثقوا من رضاء

الدولة الانكليزية به ورأينا الجريدة السياسية الكبرى للمسلمين في مصر (المؤيد) موافقة عليه ولا يوجد في مصر جريدة سياسية غيرها يعتد المسلمون برأيها في مصلحة المسلمين . الا أن هؤلاء يرتابون في انكليز مصر ان لم يرتابوا في انكليز الهند وحجتهم في الارتياب ماذكره المؤيد ويذكره جميع الناس من تصرف المستر دنلوب في المعارف تصرف من يريد إضعاف اللغة العربية والدين الاسلامي في مدارس الحكومة . وانتقاد عمل المستر دنلوب مجمع عليه في مصر لا يختلف فيه مع المسلمين القبط ولا السوريون فهو منتقد في غير ماذكرنا من أمر اللغة والدين . ولا ينسب عمله الا الى سياسة دولته، وان كان يجوز انه خطأ في ادارته ،

والذي يكشف عن وجه الحق في هذه المسئلة وأشباهها هو أن يرجع بعض الوجهاء العقلاء الى من بيده أزمة سياسة هذه البلاد وهو اللورد كرومر ويبينوا له الضرر فيما يعتقدونه ضارًّا للبلاد أو للمسلمين في لغتهم أو دينهم فان أشكاهم وأزال الضرر فعليهم أن يعتقدوا أن الانكليز لا يريدون بالمسلمين سوءا وانما يحبون أن ينتفعوا من بلادهم وينفعوهم جزاء على ذلك . وان تبين له الضرر وأصر على ابقائه فلهم أن يسيؤا الظن بدولته وأن يعتقدوا أن هذه الاقوال التي تقال في الخطب والكتب والجرائد تغرير وتمويه . اما نحن فنظن انه لايقتنع منهم بمضرة الا ويزيلها قياساً على من كلمه في شأن ابطال النيابة من المحاكم وبين له ان ذلك ضارٌّ بالبلاد فنكث فتل الاتفاق على ذلك بعد توكيده . وعلى من كلمه في مسئلة بيع الدائرة السنية وبين له مضرة الفلاحين فيه فنقض الاتفاق بعد ابرامه . ومثل ذلك كثير

ونختم البحث بقول ينبغي أن نكرره دائماً وهو أن من لا يعمل لنفسه فلا يصح ان يطالب غيره بأن يعمل له . ومن كان مقصراً في حفظ حقوقه فلا يلومن غيره اذا قصّر فيه . ومن عرف نفسه وعرف مكانه ممن يعيش معهم لا يُظلم ولا يهضم . ومن أعطيَ الحرية في العلم والعمل ، فليس له عذر في التقصير والكسل ومن عرف قوة الرابطة الاسلامية لايقطعها بمدية الوطنية فلولا أن المسلمين كالجسد الواحد كما ورد في الحديث لما طلب الانكليز الوفاق معهم، ومن ظلم نفسه كان جديراً بأن يظلمه غيره .

اذا ما أهان امرؤ نفسه   فلا أكرم الله من يكرمه

والسلام على من تدبر القول فحكم عليه لا على القائل ، وكان همه منه التميز بين الضار والنافع والحق والباطل ،

آثار علمية أدبية

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(تاريخ التمدن الاسلامي) كتاب جديد يشتغل بتأليفه صديقنا المؤرخ المنصف جرجي أفندي زيدان صاحب مجلة الهلال الشهيرة . وهو بحث في نشوء الدولة الاسلامية وتاريخ مصالحها الادارية والسياسية والمالية والجندية وسعة مملكتها وبيان ثروتها وحضارتها وأبهتها وأحوال خلفائها ومجالسهم وقصورهم وكل مايتعلق بهم وتاريخ العلم والصناعة والأدب والشعر والآداب الاجتماعية والعادات والأخلاق في ابان ذلك التمدن وعلاقته بالتمدن الحديث . وقد صدر الجزء الأول منه في هذه السنة وفيه من المباحث المهمة (١) بحث (العرب والتمدن) وفيه اثبات ان العرب عريقون في التمدن وأولو استعداد له راسخ فيهم . و(٢) عصر الجاهلية في الحجاز و(٣) حكومة العرب في الجاهلية و (٤) النهضة العربية قبل الاسلام أي استعداد العرب لظهور الاسلام فيهم بارتقاء عقولهم وآدابهم واحساس بعض خواصهم بالحاجة الى الاجتماع . و (٥) الدعوة الاسلامية . و (٦) الروم والفرس عند ظهور الاسلام ، وماكانوا عليه من الفساد والانفصام، و (٧) انتشار الاسلام وأسبابه . ومثل هذه المباحث يراها الجاهل طعناً في الاسلام لأنها تبين أنه قام على سنن الكون المعقولة والمسلم العالم يراها مؤيدة للاسلام ومبينة لبعض حقائقه لأن من مقاصد هذا الدين ترقية العقل وهدايته الى سنن الله في الخلق ليسير عليها حتى يبلغ كماله وما هو بدين الغرائب والعجائب

ومن مباحثه الكلام في الخلفاء الراشدين والفتوحات الاسلامية والدول العربية في الشرق والغرب . والكلام في الخلافة والولاية والوزارة والجند والسلاح ونظام الحرب والاساطيل أو بيت المال وموارده ومصادره والقضاء والحسبة . والكتاب مزين بالرسوم وصفحاته ٢٠٣

يرى القارئ ان هذا وضع في العربية جديد بهذا الترتيب والتبويب ويحكم بالاجمال قبل أن يراه بأنه وضع مفيد ، وان الأمة في افتقار اليه شديد ، وقد قدره الباحثون في التاريخ من المسلمين قدره اذ تصدى غير واحد منهم لانتقاده فكتبوا في المؤيد مقالات يظهرون فيها ماعدوه عليه من الخطأ في بعض المسائل وقدرد المصنف على بعض من كتب واعترف ببعض الخطأ وأشار الى سببه وأنه غير مهم . وقد

كنا شرعنا في قراءة الكتاب بالتدقيق لننتقده بما يظهر لنا ولما رأينا شواغلنا الكثيرة لا تسمح لنا بإتمامه الا بعد عدة أشهر ورأينا المناقشة في أمره كثرت رأينا من حقه علينا أن نبادر الى التنويه به والاعتراف بأنه مثال مفيد لقراء العربية ولكن مسائله لا تؤخذ قضايا مسلّمة فعلى من اطلع على النقد والردّ ان يحكم الإنصاف وقواعد العلم مع النقل وعلى من لم يطلع على ذلك أن يراجع الكتب فيما يراه محلا للتوقف • أقول هذا وأنا واثق بأن مؤلف الكتاب لم يكتب الا ما اعتقده مع حسن النية وصحة القصد • وأوضح دليل على ذلك أحجّ به من أساء به الظن من المسلمين لانه غير مسلم هو أنه أثبت أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قام بالدعوة وهو موقن بأنه مرسل من الله تعالى وانه لم يكن طالب ملك ولا مال ولا جاه بل طالب إصلاح ألهمه الله تعالى القيام به ولعلنا نعود الى انتقاد الكتاب بعد إتمام مطالعته • أما ثمنه فعشرون قرشاً وهو يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

(المروءة والوفاء) أو الفرج بعد الضيق • قصة عربية جاهلية حدثت في الحيرة من العراق العربي بين الغَرِيَّيْن قرب الخورنق والسدير على ضفة الفرات قبل الاسلام في يوم بؤس النعمان بن المنذر • وقد نظمها ومدّ فيها ما شاء فقيد بيت الأدب الشيخ خليل اليازجي بن الشيخ ناصيف اليازجي الشهير ومثلت في بيروت على عهد الناظم • وقد طبعت في هذه السنة بمطبعة المعارف الشهيرة بإتقان الطبع • وقد قرأنا منها جملة فاذا شعر محرر، وهو على صاحبه لا ينكر، وثمن النسخة خمسة قروش وهو ثمن لا يذكر

(التهذيب) «جريدة تهذيبية أدبية علمية تاريخية دينية لطائفة الاسرائيليين القرايين بمصر» يحررها الأديب الأصولي مراد افندي فرج المحامي • وهي تصدر في شكل كراسة وقيمة الاشتراك فيها عشرة قروش تدفع الى (الحاخامخانة) أنشئت الجريدة في العام الماضي وقد أهدانا جناب الحاخام الفاضل ورئيس اللجنة الملية المجلد الأول منها فالفيناه طافحاً بالمباحث التاريخية والادبية والدينية . وقد كنا نعجب قبل العلم بهذه الجريدة للشعب الاسرائيلي كيف لا تكون له جريدة علمية أدبية أو ملية في مصر مع ارتقاء الاسرائيليين في العلم والادب والثروة والرابطة الملية • وقد سرنا من هذه الجريدة عدم تعريضها بما يسوء أحد الطوائف. ولا غرو فآداب الاسرائيليين العالية تقضي بذلك

(السعادة) مجلة نسائية علمية تهذيبية تاريخية فكاهية تصدر في الشهر مرتين

صاحبتها ومنشئتها روجينا عواد. وقد تصفحنا العدد الثامن منها الصادر في (١٥ اكتوبر) فاذا هو مفتتح بمقالة في (الدفاع عن النساء) تناقش فيها الرجال الجاهلين، الذين يرون حرمان الأنثى من التعليم من الدين . ويليها وصية من والدة لابنتها وهي وصية تدور على وجوب قيام المرأة بتدبير بيتها بنفسها وان كانت غنية ووجوب تحببها الى زوجها حتى يرى سعادته مرتبطة بها . ويتلوهما مقالة في المرأة لصاحب المطبعة التجارية بعد بضعة أسطر غريبة في خبر غريب عنوانه «دير في سفينة» وهو ان رهبان جبل أتوس اتخذوا لهم سفينة في البحر ديراً . ولعلهم يتمرنون فيها على الاعمال البحرية كما يتمرنون في أديار الجبل المقدس على الاعمال الحربية. لأنهم كما يقال رهبان مرابطون بارشاد روسيا • وسيكون لهم شأن في مستقبلها مع تركيا •

هذا وان المجلة مؤلفة من ثلاث كراسات وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشاً مصريا في مصر و١٦ فرنكا في خارجها فعسى أن تلقى رواجا ونجاحا

(أسرار القصور) — قصة وضعية، تبحث عن ماهية الروح ومحالها من الجسد وعن التنويم المغناطيسي الشائع بأوربا وعن الزار والمندل بالاقطار الشرقية، مؤلفها محمد افندي حسين محرر جريدة البوسته وقد كتب في مقدمتها انه نشر فيها رأيا له منذ ست سنين، وكان سنه ثلاثا وعشرين، وهو اليوم لهذا الرأي من المنتقدين،

(المصري) «جريدة أسبوعية علمية مدرسية تصدرها جمعية التلامذة الاسلامية» ويحررها مدير الجمعية علي أفندي عبد الكريم . يطفو في مصر كثير من هذه الجرائد الصغيرة ثم يرسب بل يبدو ثم يخفى ولا نذكر منها شيئاً لعلمنا بأنها في حكم العدم. ولكن للتلامذة عندنا شأناً كبيراً ويا ليت شأنهم عند أنفسهم كذلك • لهذا نقول انه يسرنا أن تتوجه نفوسهم الى الأعمال الاجتماعية فيتكلموا بألسنتهم وأقلامهم عنها في وقت التعليم ليقوى استعدادهم، ويكمل رشادهم، حتى اذا صاروا في سن العمل كانوا من العاملين . ويسوءنا جداً أن ترضى جمعية التلامذة الاسلامية لنفسها إصدار جريدة تطبع على أردإ الورق وتخوض في الموضوعات الخسيسة والهزلية، والاشعار الخمرية والغرامية ، فان المرأ المهذب يحفظ احسن مايسمع ويقول أحسن مايحفظ وهو مع هذا يتساهل في القول مالا يتساهل في الكتابة التي يعرض فيها عقله وأدبه وأخلاقه على الناس أجمعين • فعسى أن يلتفت من يصدر هذه الجريدة الى قبول نصيحتنا باختيار الحسن من الكلام والورق حفظاً لكرامة التلامذة وفائدتهم والله الموفق

الاحتفال بافتتاح بمدرسة بني مزار

أنشئت في هذه السنة مدرسة خيرية اسلامية في بني مزار من مديرية المنيا بتعاون أهل الخير والبر وقد أنيطت ادارتها بالجمعية الخيرية الاسلامية التي انشأتها بمساعدة الأهلين فهي ليست كسائر مدارس الجمعية خاصة بأولاد الفقراء وخالية من اللغات الأجنبية بل هي كالمدارس الابتدائية الأميرية الا مايرجى من زيادة العناية فيها بأمر الدين • ويتعلم فيها أولاد الاغنياء بأجرة قليلة • وقد كان افتتاحها في يوم السبت الماضي باحتفال رأسه الاستاذ الشيخ محمد عبده رئيس الجمعية الخيرية وحضره الوجهاء والفضلاء في مقدمتهم سعادة مدير المنيا وقاضي المديرية ورئيس لجنة المدرسة حسن بك عبد الرازق العضو في مجلس شورى القوانين عن مديرية المنيا • وقد كتب الينا المحامي الفاضل حسن افندي عبد الرازق تفصيلا عن هذا الاحتفال لخصناه بما يأتي

لما كمل نظام المحفل قام الاستاذ الرئيس خطيباً فبدأ بالبسملة وفاتحة الكتاب والصلاة والتسليم ، على النبي الهادي الى الحق والى طريق مستقيم ، واعلن افتتاح المدرسة . ثم شكر للمتبرعين بانشاء المدسة غيرتهم وفضلهم ومما قاله لهم . انكم انفقتم في خير سبيل ، وتاجرتم أربح متاجرة .فان هذه المدرسة ملككم لوأن العلم يملك وما الجمعية الخيرية الانصيرتكم فى عملكم وهى لاتني في معاونتكم باذن الله وتؤمل ان تكونوا سواعدها وأعضادها • ثم قال . ان مافرض على التلامذة الموسرين من أجر التعليم ، (وهو ثلاث مئة قرش سنويا) ليس مما يضيق به صدر الكريم .وتعلمون أن نفقة التلميذ فى المدارس الأخرى تبلغ ثمانية جنيهات فى السنة أ وتزيد ولو أنكم دفعتم فى مدرسة هي لكم ضعف ما تدفعون في مدارس غيركم لكنتم الرابحين لان فرقاً بين من ينفق في بناء دار هي له ومن ينفق على دار مستأجرة

ثم قال مامخلصه : لانريد ان نخاطب الموسرين الذين أغوتهم شرة الغنى وأسكرتهم خمرة الشباب فقذفوا بأموالهم في هوّة الضياع وصرفوا الطارف والتليد ، فيما يضر وما لايفيد ، فأولئك كالانعام بل هم أضلّ . وانما نخاطب العقلاء من الاغنياء فنقول : اذا كنتم تقصدون لتوفروا من مالكم ماتتركون لاولادكم حتى لايكونوا فقراء تعساء فقد سعيتم فى طريق محمود مهّده الاسلام ، ودعا اليه النبي عليه الصلاة والسلام ، وان ماتصرفونه في سبيل العلم والتربية هو من هذا القبيل أيضاً لأنه توفير لسعادة الأبناء بل لاسعادة بالمال اذا لم تصحبه تربية نافعة وعلم صحيح يهتدي بهما المتمول الى كيفية الانتفاع.

بل لا يكون الانسان سعيداً الا اذا كان عائشاً مع مهذبين سعداء. هب انك تركت لولدك ماتبتغي من الثروة وهو في موطن خيمت عليه الجهالة ،واستحوذت على أهله الضلالة ، أتراه يعيش سعيداً بين الاشقياء ، ويحيا غنياً بين الفقراء ، ولا تمتد اليه يد الغواية وتغلب عليه طبائع السفهاء ، وتستهويه شياطين الاهواء • ؟ كلا . ان المرأ بقرينه ورجل الخير بين أبناء الشرور على خطر . فمن أنفق من ماله للعلم والتربية فهو الذي يوطئ لذريته أكناف السعادة ، ويوطد لهم دعائم المعيشة الراضية ، لأنه يصلح لهم مباءة يعيشون في ظلالها آمنين.

ثم بين الاستاذ أسباب اقتصار المدرسة في هذه السنة على تعاليم السنة الأولى للتلامذة وعدم إنشاء فرق من تلامذة السنة الثانية وما بعدها مع أن في طلاب التعلم من هم أهل لذلك • وتلك الاسباب هي ضيق المحل الذي استؤجر للمدرسة الى أن يتم بناؤها ولم يوجد غيره • وكون الوقت بين قبول الجمعية الخيرية إدارة المدرسة وافتتاحها لم يكن كافياً لاختيار المعلمين الأكفاء والظفر بهم لقلة عددهم في مصر • وثم سبب ثالث عام وهو ان السنة الالهية في الترقي أن يبدأ الشيء صغيراً ثم يترقى بالتدريج وأن الامور التي تنشأ كبيرة فالغالب أن يحل عقد نظامها في القريب العاجل والعياذ بالله تعالى •

ثم تكلم الاستاذ الرئيس فى مسئلة سن التلميذ فقال . ان الجمعية الخيرية الاسلامية لم تحدّد سن التلميذ فى نظامها عبثاً ولا تقليداً ولكن حددته لفوائد سامية • تعلمون بالضرورة أن ليس كل من دخل هذه المدرسة يكون تحت لواء الوظائف بل سيكون منهم التاجر والزارع والصانع .فاذا دخل التلميذ المدرسة فى الثامنة وأتم التعليم فى أربع سنين أو خمس يخرج منها غصناً رطيباً مهيئاً للدخول في أيّ عمل شاء • واذ تقدم فى السن ودخل المدرسة بعد العاشرة عاقه يبس عوده عن أن يلين للاعمال الصناعية أو الزراعية وربما عجز أبوه عن اتمام تعليمه وهو عاجز عن الاشتغال بأعمال المعاش فيضيع بين عجزين

ثم ختم القول بشكر سعادة المدير لحضور الاحتفال واستنهض همته لتعميم المدارس فى المديرية وشكر لعبد الرحمن بيك فهمي مأمور مركز بنى مزار سعيه فى الاكتتاب لهذه المدرسة . ثم دعا للمدرسة الدعاء الصالح ولسمو الخديو المعظم فأمّن الحاضرون.

وقام فى أثره المدير فشكر للرئيس فضله وسعيه ووجه أنظار الوجهاء الحاضرين لتدبر نصائحه ثم تلاه حسن افندي عبد الرازق فبدأ قوله بخطاب الرئيس مثنياً عليه بما هو أهله

ميناً تحويم القلوب عليه ، وتوجه نفوس طلاب الترقي اليـه . ثم أتى على المتبرعين للمدرسة وخصّ بالذكر كرام المسيحيين الذين عرفوا قيمة الوطنية ، فتبرعوا للمدرسة مع علمهم بأنها إسلاميـة ، ثم تلاه المأمور فأظهر السرور والابتهاج بالاحتفـال وأثنى على فضيلة الرئيس وسعادة المدير ٠

ثم خطب حسن بك عبد الرازق رئيس لجنة المدرسة فتكلم بمعنى ماتقدم فأحسن وكان الختام مسكا فجزى الله هؤلاء المحسنين خير الجزاء ، ووفق سائر الناس الى حسن الأسوة والاقتداء .

باب الاخبار التاريخية والاراء

﴿ تتمة سيرة السنوسي المنشورة فى الجزء ١٢ ﴾

وكان اعتناؤه منصرفاً الى علوم القرآن والتفسير والحـديث ٠ ولم يذكر كاتب المقالة السبب في هـذا وما هو الا النزعة الاجتهادية التي كان عليها والده وربّاه عليها ولذلك تولى تعليمه التفسير والحديث بنفسه ٠ وكأن الاجتهاد في الدين وفهم الأحكام من الكتاب والسـنة صار معيباً عنـد المسلمين ولذلك حاول كاتب المقالة تكذيب ما أشيع من ان المهدي غير مالكي المذهب وزعم أن كل السنوسـيين على مذهب الإمام مالك (رضي الله عنه) قال « ويبسملون في الصلاة ويقبضون أيديهـم » لعله يريد أنهم لايتركون المشهور من مذهب مالك الا في بعض المندوبات ٠ والصواب أن السـيد محمداً المهدي السنوسي لا يعمل الا بمـا صح عنده في الكـتاب والسنة كما كان والده من قبله

ثم تكلم الكاتب عن سـياسته فقال ان السنوسـيين لايخوضون فيما لا يعنيهم كالسياسات فذلك عندهم كالمحرمات وما أشيع عن السنوسي من انه مستعد للحرب ويدخر الاسلحة المتقنة المجلوبة من أوربا وانه يشـيد الحصون بالصحراء ويصـنع البـارود وله عسكر وخيول مسومة ويبغض الإفرنج فهاته كلها خرافات وأراجيف لا أصل لها وسيعرف الناس ذلك عند ما تسمح الحال بالمواصلات بين افريقيا الشمالية والجهات الصحراوية ٠ وكتب مستشهداً : ولا ينبّئك مثل خبير ٠ ثم أطنب الكاتب في تكذيب هذه الإشاعات ونسبها الى ذوي الأغراض حتى كاد إطنابه يوقع فى الظنّة ٠ واحتج على صدق قوله بأن الرحّالة (مونتاي) وصف السـنوسي وإخوان طريقته بما يقرب ممـا قاله

قال الكاتب : وفي هاته المدة ظهر داع بنواحي بحـيرة تشاد لشن الغارة وإثارة الفتن اسمه محمد السنوسي وهو من أتباع رابح سلطان برنو الذي قتل في السنة الفارطة وكانت له أخت اسمها فاطمـة في عاصمة رابح . ثم وصف من ظلم هـذا السنوسي الجديد وعتوه وذكر ان بعض الكتاب الفرنسيين لما سمعوا بخبره طفقوا ينـددون بالسنوسي صاحب الطريقة ظانين أنه جاهرهم بالعدوان ٠ وسرى هذا الغلط الفاحش الى الطبقات العالية من أهل الصحف كالطان وغـيره ٠ وقال انه لا لوم على تلك الصحف في غلطها ٠ لأن هذا الايهام سرى أيضاً لبعض الصحف الاسلامية نفسها مثل مجلة المنار فقد ذكرت أن السنوسي المهدي له حرب مع الفرنسويين ٠

ثم قال ان الشيخ المهدي السنوسي رحل في سـنة ١٣١٢ من بلد جغبوب على حين غفلة مع أهله وولده وبعض الاخوان قاصداً بلد الكفرة بالصحراء الشرقية في عرض ٢٥ درجة وطول ٢٠ درجة (من باريس) فوصل اليها بعد مسير أربعـين يوماً وسماها بغدامس الجديدة ولم يعلم السبب في ارتحاله والذى أظن هو ميلانه للانزواء وابتعاده عن الوساوس والمطامع الانكليزية اذ كان قدم عليه بعض سـياح الانكليز في جغبوب . وفي سنة ١٣١٧ ارتحل من الكفرة فتوجه الى نواحي كانم ولا زال في تلك الأماكن على عادته المألوفة من عبادة ربه وعـدم اشتغاله بما لا يعنيه هو وطائفة من اخوانه الى أن بلغنا انتقاله الى الدار الآخرة في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٢٠ على طريق الصحف الاخبارية رحمه الله تعالى وجعل الجنة متقلبه ومثواه .

(المنار) : قد انتهى تلخيص ما كتب في جريدة الحاضرة . ونحن نقول : ان أمر موته لايزال مشكوكا فيه فان السنوسيين الواردين من زوايا الصحراء على مصر يكذبون ذلك ولا يبعد أن يكون تكذيبهم مبنيا على اعتقادهم بأنه المهدي المنتظر . فان اختفى أياماً فلا بد أن يظهر ، ولذلك نرى انه يقتضي الشك في موته لا ترجيح عدمه

وأما خبر مناوشة الفرنسيـين للسنوسيين فانما اعتمدنا فيه على مكاتبات السنوسيين أنفسهم لا على الاشاعة والاستنباط ، وليس حديث هذه المناوشة بالحديث وانما كان في العام الماضي فقد راجعنا بعد نشر مكتوب ذلك الطرابلسي مكتوباً آخر من أحد بطانة السنوسيّ مؤرخا في رمضان سنة ١٣١٩ وفيه ما نصه :

« الاخبـار الواردة من جهة كانم ان الفرنسيين لما سمعوا أن سـيدى البراني توجه للزيارة قصدوا الزاوية مرادهم في هتك حرمها فوجدوا بها بعضا من الاخوان

وبعضاً من العربان وبعضاً من التوارق والتقوا عند طلوع الشمس ٢٦ رجب ثم انتشب بينهم الحرب من الصباح الى الزوال وقتل منهم جماعة وافرة وثلاثة من كبارهم والمقاتلون الذين بأيديهم السلاح ثمانية عشر رجلا لان الناس متفرقة والكفار أتوهم على حين غفلة لكن نصر الله المسلمين وهزم المشركين واستشهد فيها من الاخوان أخونا سليمان بن اخ سيدي البراني وأخونا عبد الرزاق فقيه الزاوية وأخونا حسين بن الفضل . ومن المجابرة ثلاثة أخونا ابو على النمر وأخونا عبد الله بن موسى وأخونا مهدي بن شعيب واستشهد أيضاً الشيخ غيث بن الشيخ عبد الجليل وابن عمر المضبوه المغربي وبعض من التوارق واثنان من جماعة السلطان قورن كانا عند الاستاذ زائرين وواحد قطروني وباعوا نفوسهم لله كما قال عز وجل : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة » . ولما أتى الخبر الى الاستاذ رضي الله عنه وجه سيدي البراني والحاج محمد الثني ومعهم جيشا من المجابرة وزويه لقتال أعداء الله ربنا ينصر المسلمين على أعداء الدين » اه باختصار قليل جدا

ومنه ومن أمثاله من الكتب (ومنها مانشرناه في الجزء الثامن) يعلم القراء انه حصل شئ بين الفرنسيين والسنوسيين استمر قريباً من سنة ولا نعلم كيف انتهى لأن الاخبار الخصوصية انقطعت عنا من مدة طويلة واننا نتوقع الخبر اليقين عن قريب . ومما ذكرناه يعرف القراء ان السنوسيين مستعدون للدفاع عن أنفسهم ولكنهم ليسوا أهل اعتداء فهم يمتثلون قوله تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين » وستكون هذه الآية الكريمة هى منتهى المدنية في الحرب فان بقي صاحب المقالة المنشورة في الحاضرة في ريب بعد هذا فاننا نذكر له في جزء آخر شيئاً من نفوذ السنوسيين فى واداي ونواحيها وتوليتهم للملوك وحلهم للمشكلات بينهم بذكر وقائع معينة بالاسماء والجهات ليعلم أننا نتكلم عن بصيرة . وقد كنا ذكرنا ذلك الخبر لغرابته بالنسبة الى المصريين وليس من موضوع المنار التوسع فى هذه المسائل لانها أقرب الى السياسة منها الى التاريخ ولا غرض لنا بالسياسة

أما العبرة التاريخية في ترجمة السنوسي فهي في شيئين (أحدهما) اجتهاده في الدين وعدم تقيده بمذهب من المذاهب وقد مهد له والده رحمه الله تعالى السبيل الى ذلك بكيفية تعليمه وبما ترك له من مؤلفاته التي يبين بها الحجج على وجوب العمل بالكتاب والسنة وعدم الرغبة عنهما الى قول أي عالم أو امام . وقد اطلعنا على كتابه « بقية

المقاصد . في خلاصة المراصد » وهو مختصر كتاب (المراصد) وفيه القدر الكافي من الاحتجاج على وجوب العمل بالكتاب والسنة . و(ثانيهما) تأليف عصبية كبيرة بسلطة الطريقة . ومما ننتقده على أصحاب هذه الطريقة انهم غلوا في شيخهم كسائر أهل الطريق مع شدة تمسكهم بالدين الذي ينهى عن الغلو وأنهم يعتقدون ان شيخهم المترجم هو المهدي المنتظر وهذا الاعتقاد يضر في المستقبل عندما يتبين لهم كما تبين لغيرهم عقمه واننا نرى عقلاءهم لا يعتقدون هذا الاعتقاد ويقولون ان شيخهم لا يرضاه والله أعلم بمصير الأمور .

﴿ مشروع مجلة الجامعة الاقتصادي ﴾

كانت مجلة الجامعة تصدر في الشهر مرتين ثم جعلت في السنة الثالثة (الحاضرة) شهرية وجعلت عشر كراسات (ملازم) أو احدى عشرة ويضاف اليها كراستان من القصة المعربة الملحقة بها . فتعذر على منشئها اصدارها في مواقيتها على نشاطه واجتهاده حتى كان بين الجزء وما يليه أكثر من شهرين . ثم انه شرع الآن في جعل المجلة خمس كراسات مع بقائها شهرية وجعل القصة التي يضيفها اليها كذلك فتوفر عليه تعريب ثلاث كراسات في كل شهر . ثم انه يطبع من القصة الملحقة بالمجلة نسخاً زائدة يربح منها مثل ربح المجلة أو أكثر . ونرجو ان يتمكن بذلك من إصدار المجلة في كل شهر مرة

وما كان له ان يسمّي هذا العمل مشروعاً لأن الناس اصطلحوا على اطلاق لفظ المشروع على الأعمال الكبيرة العمومية الجديدة التي تعدها الحكومات أو الشركات والجمعيات ثم تشرع في تنفيذها. وتعريب القصص ونحوها من الكتب لا يستحق هذا الاسم لاسيما اذا كانت منفعة الناس به تكون أقل مما كانت كما هو الشأن في هذا العمل فان مجلة الجامعة كانت صفحات مجموعتها السنوية تزيد على ألف صفحة بعد تجريد القصص الملحقة فصارت الآن تنقص عن خمسمائة . وانتقدنا على الرصيف أيضاً اختياره قصة بولس وفرجيني للتلخيص والحاقها بالجزء الأخير الذي ابتدأ به مشروعه وبنينا عليه ملاحظتنا . وذلك ان حسن هذه القصة في لغتها الفرنسية هو الإطناب في وصف العيشة البدوية فباختصارها زال هذا الحسن وليس في الموضوع فائدة أخرى تستحق العناية . ثم ان القصة عربت بتمامها من قبل وطبعت . ثم أعاد تعريبها بعض الادباء

وهو ينشرها تباعاً في جريدة التمدن الغراء . فعسى يكون اختيار الرصيف للأجزاء التالية أنفع من هذا الاختيار. هذا ما كتب للجزء الماضي من المنار وقد تبين ان العجز مستمر لأن المجلة لمَّا تصدرْ . فعسى ان يزول قريباً بزوال الضنك المالي . .

(البراعة في الإعلان) كان صاحب مجلة الجامعة يرسل لكل جزء يصدر من مجلته إعلاناً الى جريدة المؤيد يثني فيه على الجزء ماشاء ويشترط أن يكتب في الاخبار المحلية بصفة تقريظ وكانت سماحة الاسلام تحمل المؤيد على القبول . ثم انه تحرش بصاحب الهلال ليناقشه فيشوق قراءه الى الإطلاع على مايجيب به ولكن صاحب الهلال لم يرد عليه مطاعنه فيه حبا بالمسالمة التي هي طبع له . ولما ضاق ذرعه تحرش بالإسلام وطعن فيه وفي أئمته فتصدينا للردّ عليه لأننا كنا نعتقد فيه حسن القصد ولا نكره التنويه بمجلته وانتشارها . ثم انه خيّب ظننا فيه وأظهر أنه متعمد للطعن فعجبنا لذلك حتى زال العجب لما علمنا أنه أرسل كتاباً الى صديق له يقول فيه عن الطعن بالاسلام : قد عرفت انه اكتشاف مهم للاعلان عن الجامعة وتكثير مشتركيها وسترى قريباً في الجامعة بحثاً آخر عن الغزالي سيكون بصفة إعلان أشهر وبمثل ذلك تزول « عنى العسرات ويمحي الضنك » بفضل اقبال المشتركين من المسلمين حتى لم يبق جزء واحد في الادارة من هذه السنة . هذا ما كتبه فعلمنا أن خدمة « الحقيقة والضمير » هي خدمة المجلة لازالة « الضنك والعسرات » واننا نعلم علم اليقين ان المسلمين لايقبلون على تعضيد من يطعن فى دينهم وأئمتهم وانه لم يكتب الى بعض أصحابه ماكتب الا ليشيعوا ذلك فيكون تتمة للاعلان . ونذكر الرصيف المحترم بجريدة كبيرة منتشرة فى القطر المصري انتشاراً لاتطمع فيه الجامعة نقلت طعنا في الاسلام مرة فكادت تسقط لشدة اعراض المسلمين عنها مع قوتها وثروتها فكيف تثبت الجامعة امام هذه العاصفة على ضعفها . ونبشره بان للمسلمين شعوراً يميزون به بين ما يسيء وما يسر ولا يمكن أن يعضدوا من يطعن بدينهم مهما كانوا مقصرين في خدمته . فعدم الشهرة خير من الشهرة السيئة فليترك الغزالي وغيره وليتكلم بما يعلم ، فهو أنفع وأسلم ، وهذا آخر نصائحنا له أو إعلاننا له .

(النقل أمانة) نرى بعض الجرائد في هذه الديار وغيرها تنقل عن المنار ولا تعزو اليه . ومن ذلك أن جريدة المأمون الغراء تنقل المقالات الطويلة من مجلدات المنار السابقة تغير عناوينها او تقسم المقالة الى مقالات تجعل لكل عنواناً وكثيراً ماتسند المقالة الى عالم مجهول فتكتب « قال بعض علمائنا » فنذكرها بوجوب اسناد الشيء الى مأخذه لأن النقل أمانة

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب

المنار
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم السبت غرة شعبان سنة ١٣٢٠ — ١ نوفمبر (تشرين ٢) سنة ١٩٠٢)

الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية

(حرية العلم في أوربا الآن . ونسبتها الى الماضي والحاضر في الإسلام)

(وهو المقال السادس لذلك الامام الحكيم)

لم يبق علينا من الكلام الا مايتعلق بالأمر الرابع مما ذكرته الجامعة[1] وهو « ان تمكن العلم والفلسفة من التغلب على الاضطهاد المسيحي في أوربا وعدم تمكنهما من التغلب على الاضطهاد الاسلامي دليل واقعي على أن النصرانية كانت أكثر تسامحاً مع الفلسفة »

ليس من السهل عليَّ أن أعتقد أن أديباً كصاحب الجامعة يقول هذا القول وهو ناظر إلى الحقيقة بكلتا عينيه مع معرفته بلسان الغربيين

(١) يذكر القراء ان كلام الجامعة في الطعن بالإسلام كان مبنياً على أربعة أمور تقدم الرد على ثلاثة منها وفي هذا المقال الرد على الرابع

واطلاعه على ما كتبوا في هذه المسألة وهي من أهم المسائل التاريخية . وإنما هي عين الرضى تناولت من حاضر الحال ومما انتهى اليه سير التاريخ ماتناولت ثم أملت على قلبه ماجرى به قلمه

هل يصح ان تُسمى الاستكانة للغالب تسامحاً ؟ وهل يُسمى العجز مع التطلع للنزاع عند القدرة حلما ، أم يُسمى غلّ الأيدي عن الشر بوسائل القهر كرماً ، ؟هل تعدمساكنة جناب البابا لملك إيطاليا في مدينة واحدة واجتماع الكرسيين العظيمين كرسي المملكة الايطالية والمملكة البابوية في عاصمة واحدة تسامحاً من قداسة البابا مع الملك ؟ أليس الأجدر بالمنصف أن يسمي ذلك تسامحاً من الملك مع البابا لأنه صاحب القوة والجيش والسلطنة ويمكنه أن يسلب البابا تلك الثمالة التي بقيت له من السلطة الملكية ؟ كما أن الأليق به أن يسمي تلك الحالة التي عليها أهل أوربا اليوم من طمأنينة العلم بينهم بجانب الدين تساهلا من العلم مع الدين لاتسامحاً من الدين مع العلم بعد ما كان بينهما من الحوادث ما كان وبعد غلبة العلم واستيلائه على عرش السلطان في جميع الممالك ورضاء الدين بأن يكون تابعاً له في أغلبها

(اقتباس مدنية أوربا من الاسلام . وأسباب ظهورها التام)

السبب الأول الجمعيات : كان جلاد بين العلم والدين في أوربا وتألفت لنصرة العلم جمعيات وأحزاب منها ما اتخذ السرّ حجاباً له حتى يقوى ومنها ما ابتدأ بالمجاهرة . وكان الدين يظفر بالعلم كما سبق بيانه لكثرة أعوانه وضعف أعوان العلم حتى أشرقت الآداب المحمدية على تلك البلاد من سماء الأندلس وتبع إشراق تلك الآداب واشتغال الناس بها سطوع نور العلم العربي من الجانب الشرقي كما ذكرنا . وقد وجد هذان النوران استعداداً

من النفوس للاستضاءة بهما في السبيل التي تؤدي بهما الى المدنيّة التي كانا يحملانها . هذا الاستعداد كسبته الانفس بما ضايقها من غلوّ رؤساء الدين في استعمال سلطانهم واشتدادهم في استعباد العقل والوجدان حتى ضاق ذرع الفطرة عن الاحتمال فأخذ الشعور الإنساني يتلمّس السبيل الى الخلاص وإذ لاح له هذان النوران اتخذهما له هداية واستقبلها بوجهه وكان بعد ذلك ما كان من تأثُّر الدين لأهل العلم وإحراقهم بالنيران، ونفيهم من الأوطان، ومقاومة رؤساء الدين للحكومات ولأهل الأفكار المستقلة في أدنى الأشياء وأعلاها حتى إنه عند ما شرع ملوك فرنسا في فرش شوارع باريس بالبلاط على الاسلوب الذي وجدوه في مدينة قرطبة وصدر الأمر بمنع تربية الخنازير في تلك الشوارع أغضب ذلك قسوس القديس أنطوان ونادوا بان خنازير القديس لا بد أن تمر في الشوارع على حريتها الأولى . وحصل لذلك شغب عظيم اضطر الحكومة أن تسمح بذلك مع صدور الأمر بأن توضع في أعناقها أجراس . وقالوا ان الملك فيليب السمين مات بسقطة عن فرسه عند ما انزعج الفرس من منظر خنزير وصلصلة الجرس في عنقه

لقائل ان يقول : ان القسوس في ذلك الزمان كان يمكنهم أن يمتنعوا من وضع الأجراس في أعناق الخنازير فرضاهم بذلك يعد تسامحاً عظيما مع العلم (أو الصناعة) ويسهل عليّ أن أوافقه على ان مثل هذا الضرب من التسامح في أجراس الخنازير كان يظهر من حين الى حين الا أنه فيما أظن لا يكفي في تشييد هذه المدنية التي يفتخر بها الأوربيون اليوم ونحن لا نبخسها قدرها كذلك

السبب الثاني الضغط الديني : شدة الحاجة وغلوّ الرؤساء كانا يوقدان الغيرة في قلوب طلاب العلوم فلم تفتر لهم همة فعظم أمرهم واكتشفوا كثيراً من

الحقائق التي نفعت العامة وتنبهت العقول للأخذ بما يَهدون اليه وصارت الحرب بينهم وبين رؤساء الدين سجالا الى أن ظهر دعاة الاصلاح الديني (البروتستانت) فانضم دعاة العلم اليهم ظناً منهم أن سيكونون معهم من المجاهدين فى سبيل العلم . وكان منهم إيراسم الشهير فلما انتصر طلاب الاصلاح ودالت لهم دولة استمروا يعاقبون بالموت على الافكار التي تخالف ظاهر مايعتقدون كما تقدم فانفصل إيراسم ومن معه من حماة الحرية واستقلال الارادة الشخصية وترك المصلحين يتفرقون شيعاً ويقتل بعضهم بعضاً وقال : ما كنت أظن ان دعاة الاصلاح يكونون كذلك اعداء العلم

هذه الطوائف التي تفرقت عقائدها في الإصلاح لم تنتظر الا أن تأمن عدوها العامّ وهو الكنيسة الكاثوليكية الرومانية فلما امنتها أخذ بعضها يصول على بعض واشتعلت نيران الحروب بينهم . قال أحد أفاضل مؤرخيهم : « وكلما ارتفعت طائفة منهم الى عرش القوة لوثت يديها بالجرائم في العمل لإفناء البقية حتى سئمت النفوس دوام تلك الحال ووجدت من توالي حوادث الانتقام وظهور مَضارّه في كل طائفة ان الأفضل لكل طائفة ان تمنح الأخرى من الحرية مالا تستغني عنه واحدة منها . والعلم كان يعمل عمله فى كشف الحقائق وترقية الآداب وكان من أقوى المنبهات الى مضار الحروب ومفاسد العدوان على حرية الاشخاص من أي طائفة كانت . من هذا نشأ ذلك الأصل العظيم أصل التسامح والرضى بمجاورة المخالف فى الرأي . نشأ من القهر والقسوة التي كانت كل طائفة تعامل بها الاخرى » انتهى كلام المؤرخ بالمعنى

السبب الثالث الثورة : ولا حاجة بي الى ذكر ماجاءت به الثورة

الفرنسية وكيف كانت قيامتها على الدين ورؤسائه مما هو معلوم . وإنما أنبه القارئ الى الاعتبار بما تقدم من القول ، وبما يمكنه ان يقف عليه في كتب القوم ، ليعلم ان الدين المسيحي في أوربا لم يحتمل العلم فضلا وكرماً ، وإنما قويت عليه أحزاب العلم فساموه استكانة وخضوعاً ، ولو شاء ان لايحتمل لم يستطع الى ذلك سبيلا .

السبب الرابع ترك المسيحية : رؤساء الدين المسيحي رجال ذوو عزيمة وإقدام وغيرة على دينهم قلما يدانيهم فيها رؤساء دين من الأديان . وهم مع غلوهم في الدين واشتدادهم في استعمال سلطانهم على النفوس كانوا ولا يزالون يتخذون كل وسيلة لتأييد دينهم . وهم أشد الناس حرصاً على تقويم أركانه ودفع الشبه عنه ولم يزدهم العلم الجديد الا وسائل وسبلا لترويج عقائده وآدابه ولم تفتر لهم همة في نشره وتزيينه للقلوب . ومع ذلك كله نرى ان رجال العلم وحماة المدنية يتململون منه ، والعامة من الشعوب في تخاذل عنه ، والأمة الفرنسية التي كانت تدعى بنت الكنيسة أصبحت من أشد الناس عليه ، ورأت فلسفتها أن تحدّد حرية أهل الدين في تعاليمهم واجتماعهم . كل ذلك ومدارس اللاهوت لاتزال عامرة وطلاب اللاهوت يعدّون بالألوف . كل ذلك وكثير من الدول ترى من مزاياها حماية الدين المسيحي في أقطار الأرض . قال أحد رؤساء البروتستان في خطبة من خطبه التي ألقاها في بعض البلاد الفرنسية سنة ١٩٠١ بعد كلام له في أن المسيحية رومانية أو بروتستانية فقدت خاصتها الدينية كما فقدت فائدتها الاجتماعية مانصه مترجماً : « اذا كان الدين المسيحي ليس شيئاً سوى الكثلكة المحتاجة الى الاصلاح (المذهب الروماني) أو الكثلكة التي دخلها

الاصلاح بالفعل (المذهب البروتستنتي) فالقرن الموفي للعشرين (القرن الحاضر) لا يكون مسيحياً أبداً »

وقد جاء في كلام هذا الخطيب مايصرّح بأنه يريد أن يطلب للمسيحية معنى آخر ينطبق كل الانطباق على اعتقاد المسلمين فيها فإن وفّق للنجاح في سعيه زال الخلاف – ان شاء الله – بين الدين والعلم بل بين المسيحية والاسلام

عودٌ الى سماحة الاسلام : آخذ بيد القارىء الآن ، وأرجع به الى ما مضى من الزمان ، وأقف به وقفة بين يدي خلفاء بني أمية والأئمة من بني العباس ووزرائهم ؛ والفقهاء والمتكلمون والمحدّثون والأئمة المجتهدون من حولهم ؛ والأدباء والمؤرخون والأطباء والفلكيون والرياضيون والجغرافيون والطبيعيون وسائر أهل النظر من كل قبيل مطيفون بهم ؛ وكلٌ مقبل على عمله فاذا فرغ عامل من العمل أقبل على أخيه ووضع يده في يده يصافح الفقيه المتكلم والمحدثُ الطبيبَ والمجتهدُ الرياضيَّ والحكيم وكلٌ يرى في صاحبه عوناً على مايشتغل هو به . وهكذا أدخل به بيتاً من بيوت العلم فأجد جميع هؤلاء سواء في ذلك البيت يتحادثون ويتباحثون والامام البخاريُّ حافظ السنة بين يدي عمران بن حطان الخارجي يأخذ عنه الحديث وعمرو بن عبيد رئيس المعتزلة بين يدي الحسن البصري شيخ السنة من التابعين يتلقى عنه وقد سئل الحسن عنه فقال للسائل : « لقد سألت عن رجل كأن الملائكة أدّبته وكأن الأنبياء ربته إن قام بأمر قعد به وإن قعد بأمر قام به وإن أمر بشيء كان ألزم الناس له وإن نهي عن شيء كان أترك الناس له ما رأيت ظاهراً أشبه بباطن منه ولا باطناً

أشبه بظاهر منه » بل أرفع بصري فأجد الامام أبا حنيفة أمام الإمام زيد ابن علي (صاحب مذهب الزيدية من الشيعة) يتعلم منه أصول العقائد والفقه ولا يجد أحدهم من الآخر الا مايجد صاحب الرأي في حادثة ممن ينازعه فيه اجتهاداً في بيان المصلحة وهما من أهل بيت واحد – أمرٌ به بين تلك الصفوف التي كانت تختلف وجهتها في الطلب وغايتها واحدة وهي العلم وعقيدة كل واحد منهم أنّ فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة كما ورد في بعض الاحاديث (١)

الخلفاء أئمة في الدين مجتهدون وبأيديهم القوة وتحت أمرهم الجيش . والفقهاء والمحدثون والمتكلمون والأئمة المجتهدون الآخرون هم قادة أهل الدين ومن جند الخلفاء . الدين فى قوته والعقيدة فى أوج سلطانها وسائر العلماء ممن ذكرنا بعدهم يتمتعون فى اكنافهم بالخير والسعادة ورفه العيش وحرية الفكر لافرق فى ذلك بين من كان من دينهم ومن كان من دين آخر فهنالك يشير القارىء المنصف الى أولئك المسلمين ، وأنصار ذلك الدين ، ويقول : ههنا يطلق اسم التسامح مع العلم فى حقيقته، ههنا يوصف الدين بالكرم والحلم ، ههنا يعرف كيف يتفق الدين مع المدنية ، عن هؤلاء العلماء الحكماء تؤخذ فنون الحرية في النظر ، ومنهم تهبط روح المسالمة بين العقل والوجدان (أو بين العقل والقلب) كما يقولون

(١) المنار : رواه أبو الشيخ ابن حبان في العظمة عن أبي هريرة بسند ضعيف . ورواه من طريقه ابن الجوزي في الموضوعات . ولكن له روايات أخرى منها رواية الديلمي في مسند الفردوس عن أنس بلفظ (ثمانين سنة) وفي رواية موقوفة على ابن عباس « خير من قيام ليلة » ولشهرة هذا المعنى قال الغزالي وردت السنة بكذا

يرى القاريء أنه لم يكن جلاد بين العلم والدين . وإنما كان بين أهل العلم أو بين أهل الدين شيء من التخالف في الآراء شأن الأحرار في الأفكار الذين أطلقوا من غل التقييد ، وعوفوا من علة التقليد ، ولم يكن يجري فيما بينهم اللمز بالألقاب فلا يقول أحد منهم لآخر انه زنديق أوكافر أو مبتدع أو ما يشبه ذلك . ولا تتناول أحداً منهم يدٌ بأذىً الا اذا خرج عن نظام الجماعة وطلب الإخلال بأمن العامة فكان كالعضو المجذَّم فيقطع ليذهب ضرره عن البدن كله

(ملازمة العلم للدين · وعدوى التعصب في المسلمين)

متى ولع المسلمون بالتكفير والتفسيق ، ورُميَ زيد بأنه مبتدع وعمرو بأنه زنديق ، ؟ أشرنا فيما سبق الى مبدإ هذا المرض ونقول الآن إن ذلك بدأ فيهم عند مابدأ الضعف في الدين يظهر بينهم وأكلت الفتن أهل البصيرة من أهله (تلك الفتن التي كان يثيرها أعداء الدين في الشرق وفي الغرب لخفض سلطانه ، وتوهين أركانه) وتصدَّر للقول في الدين برأيه من لم تمتزج روحه بروح الدين ، وأخذ المسلمون يظنون ان من البدع في الدين مايحسن إحداثه لتعظيم شأنه تقليداً لمن كان بين أيديهم من الأمم المسيحية وغيرها . وأنشأوا ينسون ماضي الدين ومقالات سلفهم فيه ويكتفون برأي من يرونه من المتصدرين المتعالمين ، وتولى شؤن المسلمين جُهَّالهم ، وقام بارشادهم في الاغلب ضُلَّالهم ، في أثناء ذلك حدث الغلوّ في الدين واستعرت نيران العداوات بين النظَّار فيه وسهل على كل منهم لجهله بدينه ان يرميَ الآخر بالمروق منه لأدنى سبب . وكلما ازدادوا جهلا بدينهم ازدادوا غلوًّا فيه بالباطل ودخل العلم والفكر والنظر (وهي لوازم الدين الاسلامي) في

جملة ما كرهوه ، وانقلب عندهم ما كان واجباً من الدين محظوراً فيه

لا أكاد أخطئ القاريء اذا زعم ان المسلم إنما استفاد اسم زندقة وتزندق ومتزندق وزنديق من فضل ماعلَّمه جيرانه اذ كانوا يقولون : هرتقة وتهرتق وهو هرتوقي . أو مايماثل ذلك . أو زعم ان قد فشت في المسلمين سرعة التكفير بطريق العدوى من أهل الملل المتشدِّدة وان الذي سهَّل سريان العدوى بتلك السرعة الشديدة هو ضعف المزاج الديني عند المسلمين بجهلهم بأصوله ومقوماته ومتى ضعف المزاج استعد لقبول المرض كما هو معلوم .

ان المسلمين لما كانوا علماء في دينهم كانوا علماء الكون وأئمة العالم . أصيبوا بمرض الجهل بدينهم فانهزموا من الوجود وأصبحوا أُكلة الآكل وطُعمة الطاعم ، هل وقف الجهل بالمسلمين عند تكفير من يخالفهم في مسائل الدين أو يذهب مذهب الفلاسفة أو مايقرب من ذلك ؟ لا بل عدا بهم الجهل على أئمة الدين وخدمة السنة والكتاب فقد حُملت كتب الامام الغزالي الى غرناطة وبعد ما انتفع بها المسلمون أزمانا هاج الجهل بأهل تلك المدينة وانطلقت ألسنة المتعالمين من البربر بتفسيقه وتضليله فجمعت تلك الكتب خصوصاً نسخَ « إحياء علوم الدين » ووضعت في الشارع العامّ في المدينة وأحرقت . قال قوم يعدون أنفسهم مسلمين في ابن تيمية — وهو أعلم الناس بالسنة وأشدهم غيرة على الدين — : إنه ضالٌّ مضل . وجاء على أثر هؤلاء مقلدون يملأون أفواههم بهذه الشتائم وعليهم اثمها وإثم من يقفوهم بها الى يوم القيامة

اهمال آثار السلف وحال علوم الدين وطلابها

أهمل المسلمون علوم دينهم والنظر في أقوال سلفهم حتى انك لا تجد اليوم في أيديهم كتاباً من كتب أبي الحسن الاشعري ولا أبي منصور الماتريدي ولا تكاد ترى مؤلفاً من مؤلفات أبي بكر الباقلاني أو أبي اسحق الإسفرايني . واذا بحثت عن كتب هؤلاء الائمة في مكاتب المسلمين أعياك البحث ولا تكاد تجد نسخة صحيحة من كتاب . كتبت على القرآن تفاسير كثيرة في القرن الثالث من الهجرة وما بعده الى السادس منها تفسير الطبري وتفسير أبي مسلم الاصفهاني وتفسير القرطبي وتفسير الجصاص وتفسير الغزالي وتفسير أبي بكر ابن العربي وكثير غيرها وفيها من آراء اولئك الأئمة ووجوه استنباط الحكم والاحكام مالاغنى لطالب علم الدين عنه . فهل يجد الباحث المجدّ نسخة من هذه الكتب الجليلة يمكن الوثوق بصحتها الا بطريق المصادفة وحسن الاتفاق ؟ وهل يليق بأمة تدعي أنها على دين وأن لها فيه سلفاً صالحاً أن تهجر آثار سلفها وتدع ما كتبوا طعمة للعثّ وفراشاً للتراب ؟ هل وقع مثل ذلك من المشتغلين باللاهوت المسيحي في زمن من الأزمان؟

ان حالة طلبة العلوم الدينية الاسلامية أصبحت مما يرثي له في أكثر بلاد المسلمين فهم لا يقرأون من كتب الكلام الا مختصرات مما كتب المتأخرون يتعلم أذكاهم منها ماتدل عليه عباراتها ولا يستطيع ان يتعلم البحث في أدلتها وتصحيح مقدماتها وتمييز صحيحها من باطلها وإنما يتلقاها كأنها كتاب الله أو كلام نبيه صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ ما فيها بالتسليم . فاذا ناظره مناظر في بعض قضاياها وعجز عن تصحيحه قطع الجدال بقوله

هكذا قالوا وان لم يكن القول متفقاً عليه بل قد يكون القول مما لم يقل به سوى صاحب الكتاب الذي اشتغل به وربما كان صاحب الكتاب ممن لو رآه أحد من السلف لم يرضه تلميذاً يعي عنه مايقول .

كاد ينقطع طلب العلوم الدينية في سوريا والحجاز وتونس والجزائر وقلّ جداً في المغرب الاقصى ولم يبق الاهتمام به الا في بعض الصحاري وذلك إما لصعوبة طرق التعليم واقتضائها الزمن الطويل وحاجاتُ الناس مانعة لهم من إفناء أعمارهم فى عمل لايسد من حاجتهم . وإما لتفضيل الآباء تربية أبنائهم على الطرق الحديثة فى أوربا أو فى المدارس الاخرى وليس فيها من الدين شيء وان كان فيها شيء منه فهو مما لايعد تعليما دينياً ينظر اليه . وإما للفتور والخمود ، الذي نشأ عن التقليد والجمود ؛ وبذلك تجد المسلمين قد تولاهم الجهل بدينهم ؛ وأخذتهم البدع من جميع جوانبهم ؛ وانقطعت الصلة الحقيقية بينهم وبين سلفهم ؛ حتى لو عرض على الجمهور الاعظم منهم ما اتفق عليه السلف من الأحكام لأنكروه واستغربوه وعدّوه بدعة فى الدين وصح فيهم ماقال عمر الخيام فى بعض أشعاره الفارسية مخاطباً للنبي عليه الصلاة والسلام : «ان الذين جاؤا بعدك زينوا لك دينك ووشّوه وزركشوه حتى لو رأيته أنت لأنكرته » فهذا الصنف من المسلمين وهو معظمهم قد أنكر دينه الحق وعاداه ونقم على أهله القائمين بخدمته وإنما اصطفى لاعتقاده بعض أفراد لم يعرف عن السلف اختصاصهم بالثقة ولم يسمح الدين باختصاصهم بالتقليد . فاذا وقع عن هذا الصنف مافيه أذى للعلم وأهله فهل يعدّ ذلك واقعاً من دين الاسلام دين محمد صلى الله عليه وسلم دين القرآن دين السنة الثابتة دين الخلفاء الراشدين ومن تبعهم من السلف الأولين ؟؟

متابعة العلم للاسلام ومباينته لسواه : الحقّ أقول والحسُّ يؤيّدني: ما عادوا العلم ولا العلم عاداهم الا من يوم انحرافهم عن دينهم وأخذهم في الصدّ عن علمه فكلما بعد عنهم علم الدين بعد عنهم علم الدنيا وحرموا ثمار العقل . وكانوا كلما توسعوا في العلوم الدينية، توسعوا في العلوم الكونية ، وضربوا الزمان بسوط من العزّة؛ أما غيرهم فكلما اتّصلوا بالدين وجدّوا في المحافظة عليه أنكرهم العلم وتجهّمهم وا كفهرّ وجهه للقائهم . وكلما بعدوا من الدين سالمهم العلم وبش في وجوههم ولذلك يصرحون بان العلم من ثمار العقل والعقل لا يصح ان يكون له في الدين عمل ، ولا أن يظهر منه فيه أثر، والدين من وجدانات القلب ولا علاقة بين ما يجد القلب وما يكسب العقل . فالفصل تامٌّ بين العقل والدين ولا سبيل الى الجمع بينهما . سامحهم الله فيما يسمونه تسامحاً مع العلم ، وهم يصرحون بأنه عدوه الذي يستحيل ان يكون بينه وبينه سلم ،

هل عرفت السبب في اضطهاد المسلمين للعلم ؟ أقول اضطهاد ولا أريد به ما كان عند الامم المسيحية من الاشتداد في إبادة أهله والتنكيل بهم واختراع ضروب التعذيب والتفنن في صنع آلات الهلاك مع الأخذ بالشبهة ، والاكتفاء في الإعدام بمجرد التهمة ، فان ذلك لم يقع عند المسلمين لا أيام علمهم ، ولا في أزمنة جهلهم ، ولكن أريد من الاضطهاد الإعراض عن العلم ورمي الألفاظ السخيفة في وجوه أهله وقذفهم بشيء من الشتائم مع الابتعاد عنهم . لاريب أنك قد أيقنت بأن السبب في هذا الذي يسميه الأديب اضطهاداً إنما هو جهلهم بدينهم . فالدواء الذي ينجع في شفائهم من هذا الداء لا يكون الا ردّهم الى العلم بدينهم والتبصر فيه للوقوف على أسراره والوصول الى حقيقة مايدعو اليه . كان الدين

واسطة التعارف بينهم وبين العلم فلما ذهبت الواسطة تناكرت النفوس وتبدل الأنس وحشة

الدعاة الى الاسلام : فهل قام بينهم دعاة للعلم حقيقيون ، أو دعاة لأصل الدين عارفون ، ثم استعصت قلوب المسلمين عليهم ، وجمحت نفوسهم عن الانقياد لهم ؟ وهل كثر أولئك الدعاة في أطراف بلاد المسلمين كثرتهم في أوربا من أواسط القرن السابع عشر من التاريخ المسيحي الى ان ظهرت قوة العلم في أوائل القرن السابع عشر وفيما بعد ذلك ؟ لا . إنما رأينا من الصادقين أفراداً يظهرون متفرقين في عصور مختلفة ربما لا يجتمع ربعة منهم فما يزيد في قرن واحد ويأخذون في العمل لما وجّهوا اليه ثم لا يكادون ينطقون ببعض الكلم فيحس الناس بهم فيأخذ المستعد أهبته لمفارقة ما كان عليه واتباعهم حتى تشعر السياسة (نعوذ بالله منها) بما عسى يكون من أمرهم فتخمد أنفاسهم ، قبل ان يبلغوا من قلب واحد ما أرادوا من غرس أفكارهم ، فينطفئ النور ، ويدلهمّ الديجور ، فهل يعدّ الأديب هذه الضربات من أيدي أرباب السياسة اضطهاداً للعلم لأجل حماية الدين ؟ أنزّه كل أديب عن ان يظن ذلك وإنما هي صدمات تقع على الدين لا تختلف عن أمثالها مما يصيبه منهم مباشرة فلا تعدّ حجة على الدين في نظر المنصف

المقلّد دون المقلّد : ربما يقول القائل : ان كان المسلمون قد أخذوا الجمود في التقليد والنفرة من العلم والاعتقاد بالعداوة بين الدنيا والآخرة وبين العقل والدين وما أشبه ذلك مما هم فيه وورثوه عن الأمم السابقة عليهم خصوصاً أقرب الملل اليهم ، فما بالهم لم يقلدوا المسيحيين في الحرص على نشر دينهم والتوسع في علومه مذيّلا بما أخذوه عنهم ولم يقسموا أنفسهم قسمين كما قسم المسيحيون إخوانهم قسمين قسما ينقطع الى الآخرة في الأديار والصوامع

وقسما يشتغل بالدنيا ليقيت نفسه ويقيت أهل القسم الأول ويحمي نفسه ويحميهم من العدوان ؟ ومالك ترى المسلمين خملوا وارتخت أعصابهم وسئموا النظر فى علوم دينهم كما ذكرت ثم صاروا أبعد الناس عن معرفة الطرق لتحصيل الغنى والثروة ، والقبض على ناصية القوة وصولجان العزة ، وطرحوا أنفسهم فى تيار من القدر كما يقولون ، يجري بهم الى حيث لايعلمون ؟ ثم هم مع ذلك أحرص الناس على حياة ؛ وأشدهم لهفاً على الحطام ، فلا ترى الجمهور منهم فى شيء للدين ولا للدنيا فما هذا التناقض ؟

فأقول له : انك قد نسيت ان المقلّد يكون دائماً أحط حالا وأخس منزلة من المقلَّد . فالمقلِّد إنما ينظر من عَمل المقلَّد الى ظاهره ولا يدري سره ولا مابني عليه . فهو يعمل على غير نظام ، ويأخذ الأمر لا على قاعدة ، ولذلك سقط المسلمون فى شرٍّ مما كان عليه مقلَّدوهم لاسيما انهم قد خاطوا فى التقليد وأضافوا الى دينهم مالا يمكن ان يتفق معه فصاروا فى مثل حال المتخبط الذي تَنَازَعُه عدة قوى يذهب مع كل منها آنا ثم ينتهي أمره بعد الخيبة بالتعب الشديد فيستلقي الى أن يستريح فينهض الى العمل على هدى أو يموت . لما كان المسلمون علماء كانت لهم عينان عين تنظر الى الدنيا والأخرى تنظر الى الآخرة فلما طفقوا يقلدون أغمضوا احدى العينين وأقذوا الأخرى بما هو أجنبي عنهم فقفدوا المطلبين ولن يجدوهما الا بفتح ما أغمضوا وتطهير ما أقذوا

الاصلاح والمصلحون : للقائل أن يقول: كيف تدعي أن دعاة العلم والدين قليل بين المسلمين مع أننا نسمع أصواتهم تتلاقى فى جوّ مصر وسوريا وغيرهما من البلاد فى هذه الأيام . كلٌّ يقول : ديني ملتي : اسلام مسلمون : قرآن سنة :

مجد الاسلام القديم . سلفه الصالحون : تعلم تعليم : كتب قديمة كتب جديدة . وما يشاكل ذلك مما يظهر منه ان الداعين الى العلم أو المنبهين الى الاخذ باصول الدين الاسلامي كثيرون ولا نرى مع ذلك من أغلب المسلمين الا آذاناً صمّاً وأعيناً عُمياً وصدّاً عمّا يدعو اليه هؤلاء ؟ ويمكنني أن أقول له : ان الصادق في هؤلاء ليس بكثير عدُّه ، والجمهور منهم قلما يخلص قصده ، وما تجد أكثرهم الا متجرين بهذه الكلمات ، لكسب بعض دريهمات : ويظهر لك ذلك من أنهم يلفظون هذه الاسماء وقلما يدرسون شيأ من مدلولاتها ليقفوا على الحقيقة منه وانما يلقف بعضهم عن بعض ظواهر كالزَّبد لا تمكث في الارض . اما الصادقون على قلتهم فقد بدأ بعض الناس يسمعون ما يقولون ، ويطلبون الرشاد مما يعلمون ، خصوصاً فى أمر الدين والجمع بينه وبين مصالح الدنيا لاسيما في بلاد الهند وبين مسلمي روسيا . ولكن الاصلاح ليس ريحاً تهب فتمسح الأرض من الشرق الى الغرب فى وقت قريب فانتظر

قد يقول القائل : لِمَ لَمْ يكثر هؤلاء كثرتهم بين الأوربيين فيما مضى حتى يغلبوا الظالمين من أهل السياسة ويستميلوا العادلين منهم اليهم ، وينهضوا بالمسلمين من هذه الرقدة التى طال أمدها عليهم ؟ ولم لا يزال أهل البصيرة منهم قليلين متفرقين يهمسون بالقول ولا يجهرون ، وليس للعلم فيهم دعاة عمليون ؟ أليس ذلك سبيلا لمؤاخذة الاسلام وحجة عليه ؟؟ وأقول له : ان حظ المسلمين لا يصح ان يكون أسعد من حظ مقلّديهم بل المنتظر ان يكون أتعس وقد أقامت المسيحية مايزيد على الف سنة قبل ان يظهر فيها العلم أو تنشأ الحرية الشخصية ؛ أو تسري فيها الحركة العملية ؛ الى مافيه صلاح الجمعية الانسانية ، مع توالي المنبهات ؛ وتواصل

الصدمات إثر الصدمات ، ولم يمض على المسلمين من يوم استحكمت فيهم البدعة وأطبقت عليهم ظلم المحدثات ودخلوا جحر الضب الذى دخله من كان قبلهم الا أقل من ثمانمائة سنة فلم يمض عليهم وهم في بدعهم الجديد ذلك الزمن الذى قد يكون عمرا لمثل هذه الحالة ثم تقضي نحبها في آخره . وما أظن ان يمر على المسلمين مثل تلك المدة قبل ان يبلغوا من صلاح الدين والدنيا ماهم أهل له

الفرق بين التعصبين: وعلى كل حال لا يجوز فى شريعة الإنصاف أن يذكر المسلمون فى جانب جمهور المسيحيين اذا ذكر الغلو فى التعصب الدينى فضلا عن ان يقال ان المسلمين أشد إفراطا فيه . والشاهد يدلنا على انه قد يكون للمسلمين فى التعصب ألفاظ وكلمات ، ولكن الذي يكون من جمهور المسيحيين إنما هو أعمال وضربات في المعاملات ؛ وما على طالب الحقيقة الا ان يسيح بفكره فى المستعمرات الهولاندية فى الشرق ومثل مملكة الترنسفال قبل سقوطها وبلاد الناتال فى الجنوب ثم يرجع الى بعض بلاد الروسيا فى الشمال من قبل عشرين سنة ثم يرجع الى الجزائر وما يليها فى جهة الغرب ليعلم كيف تكون الشدة فى المعاملة مع غير أهل المذاهب المسيحية وكيف يبلغ التعصب من أهله حدا تنظر اليهم فيه الانسانية شزراً , ولا تقبل لهم فيه المدنية عذراً ,

ماعلى الباحث الا أن ينظر فيما يكتبه الكتاب الفرنسيون ليعلم أنهم فى حيرة من أمرهم مع المسلمين . يريدون أن تكون لحكومتهم طمأنينة فيما ملكت من بلاد المسلمين ولكن حكومتهم لاتجد السبيل اليها مع ما اتخذته قاعدة لعملها وهو الشدة والافراط فى القسوة على المسلمين خاصة

وحدهم دون سواهم . وأرباب الاقلام يبحثون عن تلك الطمأنينة مع المحافظة على تلك القسوة ويأبى الله أن يعثرهم على مايبحثون عنه لانهم يطلبون الجمع بين الضدين في موضوع واحد وهو محال كما يقرره فلاسفتهم

رأي هانوتو الاخير في معاملة المسلمين

موسيو هانوتو أطلق لقلمه من سنوات أن يجري فى البحث عن طريقة حكم للمسلمين وقاعدة لمعاملتهم فى البلاد التي يحكمها الفرنسيون وجاء فى فصول مقاله بما لايزال يذكره القراء . ثم بعد ان قتل المسألة علما ثلاث سنين رجع الى موضوع البحث هذه السنة بلسان غير الذي كان ينطق به ورأي غير الذي كان يصدر عنه . وإني ذاكر ملخص مانقلته الجرائد من خطابه الذي ألقاه في المجمع الجغرافي فى شهر مارس من هذه السنة متعلقاً بأفريقيا واقتصر منه على مايتعلق بما نحن فيه وهو بالمعنى : « ان القواعد الجديدة التي يجب ان يكون عليها العمل فى أفريقيا هي مخالفة للقواعد القديمة التي كانت تجري عليها السياسة الاستعمارية فيما مضى من الزمان » (أي قبل ساعة وقوف الخطيب لالقاء خطابه) ثم بين هذه القواعد الجديدة التى يعامل بها المحكومون فقال انها الامن والسلم ثم قال : « إننا مدينون لهم بالعدل والسلم كما اننا مدينون لهم بالتساهل الديني ولست أشير الى هذا الموضوع الخطير الذي له علاقة بكل مايثير النفس البشرية الا اشارة خفيفة فاقول : ان التمدن الاوربي يجد فى طريقه فى أفريقيا لاسيما فى شمالها ذلك الدين القديم العظيم الذي هو دين الاسلام والذي هو فى هذه الجهات (شمال أفريقيا) أكثر نشاطاً منه فى غيرها . وهذا الدين يدعو الى آله واحد ويجعل الايمان بالتوحيد مصدراً لكل الفضائل

الذاتية والاجتماعية ويستولي على المؤمن به استيلاء شديداً فلا يعود يقدر على التفلت منه . فمن المفروض علينا التساهل فى هـذا الشأن بل ليس التساهل بكاف وحده فمن الواجب ان ندرس هذا الدين ونبذل جهدنا فى فهمه . وعلينا ان نتخذ الـكلمة الاسلاميـة « لا إكراه في الدين » شعاراً لنا لانخرج عن حدود معناها . وان نحترم الدين الاسلامي ونحميه من كل طارئ سوء . ولا بأس بذكر كلمة للأمير عبد القادر الجزائري في هذا المقام وهي : « إن أصحاب الأديان الثلاثة يشبهون ثلاثة اخوة من ثلاث أمهات » انتهى محصل كلام هانوتو . قبل الـكلام عليه أسأل القارئ هل سمع مثل هذه الـكلمة ممن يماثل الأمير عبد القادر في نسبه الى الى صاحب الرسالة ومقامه في أهل دينه ومكانته من سلامة العقيدة في فى مذهبه ؟ أو سمع مايقرب منها ممن لايدانيه من أهل الملل الاخرى ؟

ترى هانوتو يرشد أهله الى اتخاذ سبيل جديدة في سياسة المسلمين وهذا الجديد هو السلم والأمن والتساهل مع المسلمين في أن يستمرّوا مسلمين واحترام حقوقهم وتركهم يعملون بدينهم . وعد هذا مبدأ جديداً لم يسبق الجري على مثله . وهل تجيب الحكومة الفرنسية طلبه ؟ مسألة فيها نظر . فهل يليق بمنصف ان يذكر المسلم اذا ذكر التعصب مادام في الكون مثل هذه الدرجة منه ؟

سياسة الانكليز في التسامح

نعم نحن لاننكر ان بين الأمم الاوربية أمة تعرف كيف تحكم من ليس على دينها وتعرف كيف تحترم عقائد من تسوسهم وعوائدهم وهي الأمة الانكليزية فهي وحدها الأمة المسيحية التي تقدر التسامح حق قدره .

ولا يصعب علينا أن نقول : إن منشأ ذلك أن أمراءها في الحروب الصليبية وقوادجيشها كانوا من أشد الصليبيين علاقة بسلطان المسلمين وأمراء جيشه . وقد امتاز الانكليز في ذلك الزمن المظلم بدرس عقائد المسلمين وعاداتهم فحملوا من ذلك شيئاً كثيراً الى بلادهم ولم تحجبهم غشاوة التعصب عن إبصار ضوء الحق وظهر أثر ذلك فى أقلام كثير من كتابهم مثل ولترسكوت وشيل وغيرهما قبل أن يظهر فى أقلام الـكاتبين من غير الانكليز بأزمان طويلة . فلنا أن نقول ولانخشى لائماً : إن هذه الخصلة الشريفة — خصلة إطلاق الحرية لأهل الدين يتمتعون باداء فرائضه مع احترام مايحترمون — هي من أجلّ الخصال ورثها غير المسلمين عن المسلمين . وهل أجد من يأبى عليّ القول بأن الاسلام السليم من البدع هو أستاذ الانكليز وعنه اخـذوا هذه الخلة ؟ الا ترى ان نظامهـم فى ذلك يقرب من نظام المسلمين يوم كانوا مسلمين : يكتفون من الناس بالخضوع للقوانين واداء مايفرض عليهم من الضرائب ثم يحفظون نظام العدل بينهم بقدر ماتسمح به السياسة لايفرقون بين دين ودين . وهكذا كان حال المسلمين وان كان ذلك على قاعدة ابرّ وارحم

خاتمة : فان قال قائل : أليس لهذا المقال من آخر ؟ أليس فى طول الكلام مجلبة الملَل ، وترويج الـكسل ، قلت اني أوجه كلامي هذا الى أهل النَّهَم الى الفهم ، وأرباب الشره الى المعرفة ، ولا أظن هؤلاء الا طالبين ماهو أوسع من هذا المقال وأطول منه اضعافا مضاعفة لأن الموضوع جليل ، والـكلام فيه مهما كثر قليل ، وأما القارئ الملول ، فعقله مدخول ، وعزمه مفلول ، وفكره مغلول ، وهو قصير الهمة فيما يقصر وفيما يطول ، فلا

يُنظر اليه في الخطاب ، ولا يعتدّ به عند الحساب ، ومع ذلك فانا واقف عند هذا الحد . وانتظر بتفصيل القول فى مسألة أمراض الاسلام وآثار البدع والمحدثات فيه والعلل التي نشبت بالمسلمين بسببها فرصة أخرى

وقبل أن أترك القارئ أنبهه الى أن ما أجمل في هذه الفصول لم نقصد به الطعن فى حال أحد من الناس ولا طائفة من الطوائف كما يعرفه القارئ نفسه من لباس المعانى وما يكسوها من الأدب والتنزه عن كل كلمة تشم منها رائحة العيب على آخر . وقد يلم من هذه النزاهة ان هذا رأي طبخناه لنَطعَمه بأنفسنا ، وننفق منه على من تلزمنا نفقته من أهلنا ، ولم يكن يخطر ببالنا عند ما أجدنا طبخه ان نفيض منه على غيرنا ، لكن اذا عشا الساري الى ضوء نارنا ، وطلب القرى منا ، قاسمناه ما لدينا ، وعرضنا عليه أحرَّ من نَفَسِ الحياة ، واهنأ من خُلق الأناة ، ان شاء الله ، اه

(المنار) من عجيب الاتفاق أنه بعدما كتب هذا المقالات ونشر بعضها ظهرت تلك المقالة للمستر كوربت الانكليزي التي نشرت فى المؤيد فجاءت شاهدا مؤيدا لما كتب الكاتب فى فضل الإسلام وفى صفات الانكليز وسنلحق قوله في الاسلام بالمقالات اذ طبعت على حدتها فى كتاب . ونبشر القراء بان هذا الامام وعد بان يكتب مقالا آخر ملحقا بهذا في بيان ان ماطرأ على الاسلام من البدع وما لحقها من الجمود سيكون هو السبب فى الرجوع الى الأصل وإعادة مجد الاسلام ولعلها تنشر في الجزء الآتي

وقد بلغ كتاب (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) نحو مئتي صفحة وستزيده شهادة الكاتب الانكليزي ثم مقال الامام الموعود به . وقد طبع على ورق جيد وجعلنا ثمنه مع هذا خمسة قروش صحيحة فقط رغبة في سعة انتشاره

﴿ باب الأسئلة والأجوبة ﴾

(حدوث العالم في نظر الاسلام والفلسفة)

(س ١) المولى رضاء الدين افندي قاضي القضاة وعضو الجمعية الاسلامية العامل في اوفا (الروسيا) : قد طال النزاع وقوي الجدال وكثر في هذه الأيام القيل والقال بين الناس في هذا القطر في مسئلة حدوث العالم من جهتها الشرعية . فبعضهم يقول : ان الاعتقاد بالحدوث الزماني حسب ماقرره علماء الكلام من متأخري المسلمين فرض على العباد مثل الاعتقاد بوحدة الله تعالى وصدق رسوله وسائر الاعتقادات الواردة في القرآن الشريف . وبعضهم يخالفه ويقول : ان الاعتقاد بحدوث العالم حدوثا زمانياً لايكلف به الشرع ولا أخبر به النبي ولا نطق به القرآن الكريم بل هو من آراء أهل الكلام وبدعهم أخذوه من فلاسفة اليونان ولقنوه العوام باسم الدين وما هو من الدين أصلا . بل هو من باب التدين بالرأي . وانما الواجب على المسلمين هو اعتقاد ان العالم مخلوق له تعالى من غير تعرض الى حدوثه بالزمان أو بالذات . وهو الذي نطق القرآن به في عدة مواضع . وبالجملة ان القول بالحدوث الذاتي أو الزماني انما هو من مسائل الفلسفة لاتعلق له بالشريعة . ولما كانت جريدة المنار هي الجريدة الدينية الوحيدة جئنا الى حضرتكم نستسفر رأيكم في هذه المسئلة ونشره أيضاً في أحد أعدادها ويكون هو ان شاء الله تعالى الفاصل بين الحق والباطل .

(ج) ان الصواب في الرأي الثاني . وما كان لدين الفطرة ، مقرر الحنيفية السمحة ، الذي ظهر في الاميين ، ودعا اليه المتوحشين والممدنين ، ان كل يكلف كل فرد في تصحيح الايمان ، بنظريات فلاسفة اليونان ، والتمييز بين تلك الخلافات ، فى الحدوث بالزمان والحدوث بالذات . ثم خلافات الفلاسفة مع أهل الكلام ، فى أصل وجود الزمان . فالمتكلم يقول انه أمر اعتباري ، والفيلسوف اليوناني يقول انه وجودي ، وانها المعارك يحارب الباحث فيها غير عدوّ حتى اذا أعيا من مقارعة الدليل بالدليل ، ونفض عنه عثير القال والقيل ، رجع الى أحد الامرين — وقوف الحَيرة أو دين الفطرة ، المقصد الاول من مقاصد القرآن المبين ، تقرير عقائد الدين ، ثم هو لم ينطق بكلمة من مادة الحدوث للاعيان ، لا بحسب الذات ولا بحسب الزمان . فللناظر ان يقول : ان اطّراد السنن الآلهية ، فى العوالم العلوية والسفلية ، ووحدة النظام مع الاتقان ، فى جميع هذه الا كوان ، يدلّان على ان لها خالقاً عليما ، قادراً حكيما ،

حياً قيوماً ، لارادّ لارادته ، ولا معقّب لحكمه وحكمته ، وانه واحد لوحدة النظام المشهود ، في جميع الوجود ،وبهذا يكون مؤمناً بالبرهان ، متبعاً طريق القرآن، وان لم يخطر بباله حدوث الذات وحدوث الزمان ،

أما مسألة حدوث العالم في نظر الفلسفة فالمتفق عليه عند فلاسفة العصر ان كل مانراه ونحس به من هذه العوالم الأرضية والسماوية فهو حادث بمعنى أنه لم يكن كما هو الآن ثم كان ، ولكن عضلة العقد عند المتقدمين والمتأخرين ، هي مسألة منشأ التكوين ، وهم متفقون على ان الوجود المطلق قديم وان العدم المطلق لاحقيقة له ولا يتصوره العقل وانه لايحدث شيء من لاشيء . فالفلاسفة والمتفلسفون يحسبون ان هذه المسائل القطعية ، لاتنطبق على الاديان وإن سماوية .ونحن نقول : انها هي التي جرى عليها القرآن وقررها الاسلام فليس في كتاب الله تعالى آية تدل على ان الوجود الحقيقي ،صدر عن العدم الخيالي ، بل قال: « وخلق كل شيءٍ فقدَّره تقديرا »والخلق لغة الترتيب وهو لايكون في العدم . بل قال « أولم ير الذين كفروا أنَّ السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما » وقال « ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض أئتيا طوعاً أوكرهاً قالتا آتينا طائعين » وحلّ المسألة بطريقة اسلامية أن هذا الوجود الذي نشاهده كله ممكن حادث وأنه صدر عن وجود واجب قديم لاتعرف حقيقته ولا كيفية صدوره عنه وانما قام البرهان بأنه صدر بإرادة وقدرة وعلم وحكمة . وذلك ماذكرناه من وحدة النظام والاحكام واطراد النواميس والسنن.

دعوى كتابة النبي بالتركية : (س ٢) ومنه : قال الفاضل المرجاني القزاني صاحب « ناظورة الحق » في رسالته « مستفاد الاخبار » : ان حديث أبي هريرة المذكور في أسد الغابة المطبوع بمصر القاهرة (ج ٤ ص١٤٠) وقع فيه عدة أغلاط وقت طبعه والصواب مافي النسخة الخطية في زمان قريب من عصر المؤلف ابن الأثير رضي الله عنه . وهو هكذا : « وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب لعمير ومن معه كتاباً تركياً ذكره . فان رواته نقلوه بألفاظ عربية وبدلوها وصحفوها تركناها لذلك » . ولما لم يكن لدينا نسخة أخرى سوى المطبوعة المذكورة لنقابلها رجونا من حضرتكم مقابلة النسخة المطبوعة مع الأصول المصحّحة خدمة للعلم والدين ثم بيانه الينا لنكون على بصيرة من ذلك وأجركم على الله.

(ج) لم يكن التحريف والتبديل في النسخة المطبوعة وانما كانا في رسالة

الفاضل القزاني « مستفاد الأخبار » فان ماكتبه عن النسخة الخطية هو عين مافي النسخة المطبوعة الا أنه صحف لفظ « تركنا ذكره » بقوله « تركيًّا ذكره » ولفظ (غريبة) بلفظ (عربية) فكان التبديل والتحريف ، من هذا التصحيف ، وسببه ان النسخة الخطية التى رآها غير منقوطة فأوقعت الفاضل فيما رأيت . وما كان لمثله أن يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم يكتب لقوم من العرب كتاباتركياً فان جاز أن يعرف هو التركية من طريق المعجزة فمن أين لعمير وقومه بني أسلم علم ذلك ؟ وما هو الداعي الى مخاطبة العرب بلسان العجم؟ ثم ماكان لمثله أن يخفى عليه ان كلمة (ذكره) بعد كلمة (تركيا) لامعنى لها ولكن معناها ظاهر اذا كانت الكلمة (تركنا) وهو أن المصنف ترك ذكر الحديث لوقوع التحريف فيه وسبب التحريف وجود الالفاظ الغريبة التي لم يفهمهما رواته . أما عبارة الكتاب فهي كما في ترجمة عمير بن أفصى الاسلمي : « روى أبو هريرة قال قدم عمير بن أفصى في عصابة من أسلم فقالوا يارسول الله انا من أرومة العرب نكافئ العدو بأسنة حداد ، وأذرع شداد ، ومن ناوانا أوردناه السامة ، وذكر حديثاً طويلا في فضل الانصار وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب لعمير ومن معه كتابا تركنا ذكره فان رواته نقلوه بألفاظ غريبة وبدلوها وصحفوها تركناها لذلك أخرجه أبو موسى اه

وقد قابلنا النسخة المطبوعة بنسخة خطية في مكتبة الحكومة المصرية كتبت في سنة ٧٢٢ أى بعد وفاة ابن الأثير بأقل من قرن فألفيناها مطابقة لها

السلام على غير المسلم : (س ٣) الشيخ بسطويسي بركات بالمحلة الكبرى : قال الله تعالى « واذا حُيّيتُمْ بتَحِيّةٍ فحَيُّوا بأحسنَ منها أو ردُّوها » وقال تعالى « ولا تقولوا لِمَنْ ألقَى اليكمَ السلامَ لَسْتَ مؤمنا » وقال « يا أيُّها الذين آمنوا لاتَدْخُلوا بيوتاً غيرَ بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلِّموا على أهلِها » الآية . فهل هذا الإطلاق في الآيات الكريمة يشمل المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب وغيرهم من بني آدم أم هو خاصّ بالمسلمين قيدت إطلاقه عليهم أحاديث صحيحة صريحة ؟ وهل قوله صلى الله عليه وسلم فيما معناه : ان من حق المسلم على المسلم إفشاء السلام . يعتبر من قيود الإطلاق لفهم البعض سقوط حق غير المسلم أم لا ؟ واذا قيل انه عام فهل ينبغي شيوعه بين الطوائف حتى يصير عادة مألوفة أم لا ؟

(ج) إن الاسلام دين عامٌّ ومن مقاصده نشر آدابه وفضائله في الناس ولو

بالتدريج وجذب بعضهم الى بعض ليكون البشر كلهم أخوة • ومن آداب الإسلام التي كانت فاشية في عهد النبوة إفشاء السلام الا مع المحاربين لأن من سلّم على أحد فقد أمّنه فاذا فتك به بعد ذلك كان خائناً ناكثاً للعهد • وكان اليهود يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم فيردّ عليهم السلام حتى كان من بعض سفهائهم تحريف السلام بلفظ (السَّام) أي الموت فكان النبي صلى الله عليه وسلم يجيبهم بقوله « وعليكم » وسمعت عائشة واحداً منهم يقول له : السَّامُ عليك • فقالت له: وعليك السام واللعنة • فانتهرها عليه الصلاة والسلام مبيناً لها أن المسلم لا يكون فاحشاً ولا سبّاباً وان الموت علينا وعليهم • وروي عن بعض الصحابة كابن عباس انهم كانوا يقولون للذميّ: السلام عليك • وعن الشعبي من أئمة السلف انه قال لنصراني سلم عليه : وعليك السلام ورحمة الله تعالى • فقيل له في ذلك فقال « أليس في رحمة الله يعيش » وفي حديث البخاري الأمر بالسلام على من تعرف ومن لا تعرف • وروى ابن المنذر عن الحسن انه قال « فحيُّوا بأحسن منها » للمسلمين « أو ردّوها » لأهل الكتاب • وعليه يقال للكتابي في رد السلام عين ما يقوله وان كان فيه ذكر الرحمة

هذه لمعة مما روي عن السلف ثم جاء الخلف فاختلفوا في السلام على غير المسلم فقال كثيرون انهم لا يُبدأون بالسلام لحديث ورد في ذلك وحملوا ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على الحاجة أي لا يسلم عليهم ابتداء الا لحاجة • وأما الرّد فقال بعض الفقهاء انه واجب كردّ سلام المسلم وقال بعضهم انه سنة وفي الخانية من كتب الحنفية ولو سلم يهودي أو نصراني أو مجوسي فلا بأس بالردّ • وهذا يدل على انه مباح عند هذا القائل لا واجب ولا مسنون مع أن السنة وردت به في الصحيح

أما ما ورد من حق المسلم على المسلم فلا ينافي حق غيره فالسلام حق عام ويراد به أمران مطلق التحية وتأمين من تسلّم عليه من الغدر والإيذاء وكل ما يسيء • وقد روى الطبراني والبيهقي من حديث أبي امامة : « ان الله تعالي جعل السلام تحية لأمتنا وأماناً لأهل ذمتنا » • وأكثر الاحاديث التي وردت في السلام عامة وذكر في بعضها المسلم كما ذكر في بعضها غيره كحديث الطبراني المذكور آنفاً

أما جعل تحية الاسلام عامّة فعندي أن ذلك مطلوب وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن اليهود كانوا يسلمون على المسلمين فيردون عليهم فكان من تحريفهم ما كان سبباً لأمر النبي صلى الله تعالى عليه والسلام بأمر المسلمين أن يردوا عليهم

بلفظ « وعليكم » حتى لا يكونوا مخدوعين للمحرفين . ومن مقتضى القواعد أن الشيء يزول بزوال سببه • ولم يرد أن أحداً من الصحابة نهى اليهود عن السلام ، لأنهم لم يكونوا ليحظروا على الناس آداب الاسلام ، ولكن خلف من بعدهم خَلْفٌ أرادوا أن يمنعوا غير المسلم من كل شيء يعمله المسلم حتى من النظر في القرآن وقراءة الكتب المشتملة على آياته وظنوا أن هذا تعظيم للدين ، وصَونٌ له عن المخالفين ، وكلما زادوا بعداً عن حقيقة الاسلام زادوا إيغالاً في هذا الضرب من التعظيم • وإنهم ليشاهدون النصارى في هذا العصر يجتهدون بنشر دينهم ويوزعون كثيراً من كتبه على الناس مجّاناً ويعلمون أولاد المخالفين لهم في مدارسهم ليقربوهم من دينهم • ويجتهدون في تحويل الناس الى عاداتهم وشعائرهم ليقربوا من دينهم حتى أن الأوربيين فرحوا فرحاً شديداً عند ما وافقهم خديو مصر الاسبق على استبدال التاريخ المسيحي بالتاريخ الهجري وعدُّوا هذا من آيات الفتح • ونرى القوم الآن يسعون في جعل يوم الأحد عيداً أسبوعياً للمسلمين يشاركون فيه النصارى بالبطالة • ومع هذا كله نرى المسلمين لا يزالون يحبون منع غيرهم من الأخذ بآدابهم وعاداتهم ويزعمون أن هذا تعظيم للدين ، وكأن هذا التعظيم لانهاية له الا حجب هذا الدين عن العالمين ، ان هذا لهو البلاء المبين ، وسيرجعون عنه بعد حين ،

باب التربية والتعليم

❁ الازهر والازهريون • وفاضل هندي ❁

(الرسالة الثانية مما وعد به الشيخ عبد العزيز العريشي الازهري والأولى نشرت في الجزء ١٠)

(من القاهره الى حيدر اباد)

اليك أيها الاخ سلام صديق طبع قلبه على الاخلاص لك ، وارتبط بأسباب محبتك ، وشكوى شوق قد برح بي برحا . لا أستطيع له شرحا • وبعد فقد ذكرت لك في رسالتي السابقة طرفاً من نظام مدرسة الازهر وطرق التعليم بها على وجه الجملة والآن أريد أن آتي لك بعبارة أوسع وتفصيل أشفى على كل ما رأيته من نظام طلبتها وسلوكهم مناهج التحصيل مقتفياً أثر الطالب في كل دور من أدوار طلبه من إبان

دخوله فيها حتى يترشح لنيل شهادتها مبيناً لك قوته وما حصل عليه في كل دور منها

زرت أيها الاخ تلك المدرسة من تاريخ الرسالة الاولى حتى اليوم زورات متعددة في أوقات مختلفة وقفت فيها على تلك الدروس وقفة العاشق الدنف على الربع المحيل وهو يبكي لأناس عاهدوا الرحيل على أن لايملُّوا الذميل

فكانت نتيجة ذلك البحث الدقيق والتنقير المتواصل ان ظهر لي ما عليه تلك المدرسة الواسعة الكثيرة العدد ووقوفي على مواضع خللها وسوء نظامها على ما أنا عليه من الغربة وبعد الدار، ورأيت أن أجعل كل موضوع رأساً مستقلا بنفسه أذكر فيه كل ما استبان لي من النقد كما سيمر بك ان شاء الله

انتظام الطلبة : وأول أمر رغبت في كشف سره وبيان سببه من أمور هذه المدرسة هو سبب كثرة طلابها حتى بلغوا التسعة آلاف أو يزيدون وأغلبهم من المصريين كما قدمت لك في رسالتي السابقة فكان غاية ما وقفت عليه من ذلك ما سمعته هناك من أخ ثقة خبير قال : لايكاد يمر الانسان ببلدة من البلدان المصرية أو قرية من قراها حتى يرى مئات من شبان المصريين حلفاء المتربة وضيق ذات اليد وهم يطار دون الجوع بالفأس والمحراث وتمضية يومهم الطويل في الحقول والمزارع والتعب والنصب تحت شمس تذيب بوهجها رأس الضب . ومن بينهم أفراد لا يكاد يخلو منهم بلد من البلدان أو قرية من القرى معطلون عن كل عمل يطلقون عليهم تارة لقب الفقهاء أو الوعاظ وطوراً اسم المأذونين ترى الواحد منهم في جبة وقباء وعمامة مجراء يأكل جميع ساعات نهاره إما متربعاً في بيته خالياً من كل عمل أو قاعداً في احدى الزوايا ينثر من فيه على بسطاء أهل الفلاحة مايسمونه وعظاً وارشاداً وما هو الا أقاصيص أو لغو في حكمها يدعوا الناس به الى حب التواكل والبطالة حتى اذا أتى على آخر الدرس لبث مكانه منتظراً ماتدر به أيدي أولئك العملة المساكين الذين لم يحصلوا على الدرهم الا طراداً ، ولم ينالوا اللقمة الا جهاداً ، ومن ذلك يتألف لهؤلاء المعطلين عيشة لاتعب فيها ولا نصب فاذا رزق الله أحد الفلاحين الفقراء ولداً وقع بين نارين إما أن يدعه يشتغل بما يشتغل هو به فيعيش عيشة البؤس والخصاصة وإما ان يدفع به الى الأزهر ويثابر على أن يقسم له مايناله من الأجر على أعماله حتى يمضي عليه عدد من السنين فيخرج منه وقد ترشح لأن يأكل من أوساخ الناس ويعيش عالة على العباد متوسداً الراحة من عناء كل عمل . فاذا ترجح عنده الامر الثاني دفع به الى الازهر وأخذ يجري عليه

من النفقة مايقطعه من قوت يومه الضروري . لذلك لاتكاد تجد في المائة واحداً من الطلبة من البيوتات الشريفة التي يعمل أهلوها لمستقبل شريف كالقضاء والافتاء . فأنت اذا سرت في ساحة تلك المدرسة فانما تشق أجساماً تنبو عن رؤيتها النفس وهم مختلفون متبعثرون ليس لهم نظام ولا ترتيب . ويغلب ان يكون سن الطالب عند اندراجه في سلك الازهريين . مابين الخامسة عشرة الى الثلاثين ، وقد كان امتحان الدخول في هذه المدرسة بسيطاً قاصراً على معرفة القراءة والكتابة اما اليوم فهم يشترطون مع ذلك حفظ جميع القرآن للكفيف ونصفه لغيره .

ولأجل ان أتمكن من أن أبين لك ادوار الطالب هناك وأوقفك على قوته في كل دور منها اقسمها الى ثلاثة أدوار كل دور ثلاث سنوات فيكون المجموع اثنتي عشرة سنة . وهي أقل مدة أمكن بعض الطلبة نيل الشهادة فيها

الدور الاول : يتقدم الطالب للانتظام في الازهر وهو في السن الذي قدمت لك فان كان من الفلاحين (وهو الاغلب) رأى نفسه قد انتقل طفرة من بين رعاء الشاء، الى حلقات المدرسين ومجالس العلماء، وان كان من البيوتات الكبيرة والأسر الخاصة (وقليل ماهم) انتقل المسكين وثبة في يوم واحد من نعيم العيش وحسن الحال الى عيش الشظف والخشونة وبُدل في ساعة واحدة برؤية أهله وهم على ما عهد من النظافة وجمال الهندام رؤية أولئك الذين ذكرت لك . وسواء كان الطالب من العامة أو من الخاصة فانه يتساوى مع غيره في الطلب وطرق التحصيل

يدخل الطالب تلك المدرسة وهو لايدري كيف يحضر ولا ماذا يقرأ ولا على من يتلقى دروسه ولا على أي وجه يسير فيها ولا ماهي الكتب تشرى لذلك الغرض من حيث لا ناظر له هناك ولا رقيب عليه يأمره بشراء كتاب معلوم والاختلاف الى درس مخصوص بل يمكث هناك المسكين أياماً يجول في أركان الازهر وهو على ما ذكرت من البساطة والسذاجة ويأخذ كل يوم في التطواف بحلقات الدروس يتساءل من الطلبة المتقدمين عن كتاب يشتريه، ودرس ينتظم في سلك طالبيه ، حتى اذا تيسر له ذلك بعد الذي تقدم من الحيرة والتعب وضياع الوقت وحضر احد الدروس أخذ يقلب طرفه فيما بين يديه . ويحدد أذنيه لسماع ما يلقي عليه، فلا ينظر الا نقوشاً لامقدرة له الا على النطق بها دون أن يعقل لها أقل معنى . ولا تقع في أذنه الا ألفاظ هي أشبه بالرطانة منها بما يتكلم به الناس فيظل سنته الاولى وهو يروح الى الدروس كما يغدو اليها خاليا من الفائدة مجرداً من

فهم أي شيء مما يتلوه عليه معلمه اللهم الا أن يحفظ بعض كلمات مثل : ضرب زيد ، وقتل بكر عمراً : وتأبط شراً : وقال رحمه الله تعالى ، الخ .. هذ مبلغ ما يصل اليه الطالب من اختلافه الى دروس النحو في سنته الاولى — وأريد قبل أن أسلك بالكلام الى دروس الفقه أن اقول كنت أود أن أطلعك على جميع ما يشتغل به الطالب من الكتب على المذاهب الاربعة الا اني لا أرى في استقصائها كبير فائدة بل الاحسن ان أفصل كتب مذهب واحد واخترت أن يكون الحنفي لأنه الاشهر ، وان لم يكن الاكثر ، ثم أنت تقيس ما بقي من الكتب في المذاهب الاخرى عليه لما بينها من المشاكلة التامة في صناعة التأليف وأسلوب التحرير .

وما حصل عليه في سنته الأولى من النحو يحصل على ما يشاكله في الفقه . وأول كتاب في النحو يسمونه الكفراوي وما يقابله من الفقه يسمي مراقي الفلاح . اما الكفراوى فقد وضعه صاحبه شرحاً لمتن صغير اسمه الاجرومية مشوش العبارة مختصراً جداً

واما مراقي الفلاح فهو كتاب يقتصر من الفقه على العبادات فقط وهو على ذلك مجلد ضخم سلك به مؤلفه مسلك الإسهاب والإطناب . على انه على ما به من التطويل يعد أحسن كتاب في الفقه هناك . وقصارى القول ان الطالب يقطع شهور سنته الأولى كلها ولا يعلق بذهنه ما يستحق ان أذكره لك . وانما هي كلمات يسمعها فتمر عليه مر الخيال الساري — ثم يدخل في سنته الثانية وهو على هذه الحال فيأكل أيامها وهو بالحيرة والذهول لقصور ذهنه عن ادراك أي شيء مما يسمع أو يقرأ . وكثيراً ما يلحق الطالب أو أهله القنوط من النجاح فيخرج من هناك ليحترف . ولا كتب يحضرها في سنته الثانية على الغالب الا ما أمضى فيها سنته الأولى وسيره فيها لا يتميز عن السنة الفائتة الا بكونه وصل الى أن يعرب جملا بسيطة معلومة حفظ اعرابها حفظاً على غير فهم ولا تفكر . ويعرف بعض أسماء الائمة وشيء من الاصطلاحات الفقهية في الفقه ، ثم يتدرج من هاتين السنتين الى السنة الثالثة وفي أولها يكون قد أثر في ذهنه كثرة ما يرد عليه من تعقيد الجمل وتشويش العبارات تأثيراً يحمله على الجلد والتصبر على تلك الاساليب وربما فهم اذ ذاك بعض الجمل بعد ان ينصب نفسه ويتعب فكره كل التعب وينتقل حينئذ من الكفراوي الى كتاب يسمونه (الشيخ خالد) وهو كتاب أصغر في الحجم من الكفراوى وأسهل منه عبارة ولكن يظهر أن سهولته لم ترق للاشياخ هناك فانبرى له بعضهم وعلق عليه حواشي من المفروض

على الطالب الازهري أن يكد ذهنه في فهمها ولم أر — علم الله — كتاباً يكد الفكر ويتعب القارئ في فهم عباراته المشوشة المضطربة مثل ذلك الكتاب . ويقابل هذا الكتاب من الفقه في هذه السنة كتاب (الطائي) أخو تلك الحاشية في فساد العبارة وسماجتها وقبح تحريرها ركب به مؤلفه أسلوباً لم أر ما يشاكله في كل ما وقع لي من مؤلفات العرب فهو يحذف ما يلزم اثباته ويكتب ما من حقه الحذف ويؤخر ما له التقديم ويقدم ما من شأنه التأخير

وأعجل اليك قبل أن أرتقي الى ذكر الكتب الفقهية الكبيرة بيان ان هذا الطالب الضعيف يفاجأ في هذه المدة بتلك الابواب الطويلة المحشوة بالخلاف وتضارب آراء الأئمة فيما لا يعود بأقل فائدة على التلميذ ولا ينتظر أن تكون منه فائدة لغيره مثل أبواب العتق والرق الخ وهناك أبواب أخرى فتحها نافع ولكن توسعتها ضارة لأن مؤلفي تلك الكتب خرجوا بها عن دائرة التشريع الى بيداء واسعة من الخيال المحض فلا تكاد تنظر في باب من أبواب الطلاق مثلا حتى ترى الكثير من الصور الغريبة النائية عما يقصد الشرع في كتاب الله الحكيم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما جرى عليه أصحابه وأئمة السلف في الصدر الاول من الاسلام .

على ماقدمت ينتهي التلميذ من دوره الاول ولو أني بغلام سليم الفطرة الى معلم حكيم في التعليم وأخذ يملي عليه كل يوم قليلا من النحو والفقه ويفهمه اياه حق التفهيم لبلغ في ثلاثة شهور من التحصيل الى أضعاف ما يبلغه طالب الازهر في ثلاث سنوات .

الدور الثاني : اذا خرج الطالب من هذا الدور وهو على ما مر بك وأخذ يدخل في الدور الثاني كان أول شيء يبدأ به أن يضم الى درسي النحو والفقه درساً أو درسين في التوحيد أو المنطق أو البلاغة أو العروض واختيار الطالب أي فن من هذه الفنون أمر موكول الى المصادفات التي تسوقه الى أي فن منها وكثير من الطلبة لا يمد عينيه الى تلك العلوم الا بعد مضي ست سنوات ولا أريد ان أذكر لك الآن ماهي هذه الكتب وما يستفيده الطالب منها بل ادع ذلك لفرصة أخرى وآتي لك قبل ذلك على وصف ما يشتغل به من الكتب في العلمين الأصليين عندهم الفقه والنحو

وأول كتاب يفتحون به السنة الرابعة في الفقه كتاب يقال له (منلا مسكين) يقضي فيه الطالب على الغالب سنتين ومنلا مسكين هذا كسائر ما تقدم من الكتب محشو بالخلافات الكثيرة على غير جدوى والتعمق في فروع تنقضي الاعمار ولا تقع ولا

يحتاج اليها غيرانه يمتاز عن تلك الـكتب بالخطأ فيما يورده من تقول أئمة المـذاهب الأخرى فى معترض الرد عليهم و تزييف أقوالهم . وهو مالا يكاد يخلو منـه كتاب أو باب من الابواب • بعد ان يتمم المسكين (منلا مسكين) يأخذ في تلقي كتاب بعده يقال له (العيني) وهو كتاب بلغ به صاحبه حد النهاية من الخطأ والغلط والتمحل في تزييف مذهب الامام الشافعي واختراع الصور الفقهيـة ولا يكاد يأتي الطالب على آخره وفي صدره شيء من جوهر العلم اللهـم الا تلك الصور الذهنيـة والمسائل الخياليه والمماحكات اللفظية وحفظ أسماء أغلب من اشتغلوا بهذا الفن لـكثرة مايرد من اسمائهم في صدد الخلاف • وان تعجب فعجب بل ألف عجب اتفاق أكثر جماعة الازهر وجل مشايخه على استحسان هذا الـكتاب وامتداح كل من حذا حذوه فى صناعة التأليف • وعندي ان ذلك كاف لبيان ماهم عليه من الذكاء والنبل وماوصلوا اليه من العلم والفضل • ويشتغل الطالب فيما يقابل ذلك من النحو في الدور الثاني بثلاثة كتب — الازهرية والقطر والشذور • أما الازهرية فـكتاب سهل العبارة اقتصر من النحو على المبادئ الا أنه مبتلى كاخوانه بحاشية شط فيها مؤلفها في أغلب المواضع عما هو بصدده • وأما كتابا القطر والشذور فـكلاهما درة متلألئة بين اطمار بالية ألفهما ابن هشام رحمه الله غاية في حسن العبارة وانسجام الاسلوب لم يترك قاعدة يحتاج اليها الطالب الا أتى عليها في هذين الـكتابين • ولو اقتصر الازهريون على قراءتهما متنا مجرداً من الحواشي والتقارير لحصل الطالب منهما على الغرض المقصود من النحو • ولكن الأمر على عكس ذلك فقد وضع بعض الأشياخ على كل كتاب حاشية لم يقع طرفي حتى اليوم على عبارة أبرد ولا اسمج من عبارتها وقـد سلك بها طريق التعسف والتعقيد حتي صارت سجفا يحول بين الطالب وما توخى بيانه المؤلف رحمـه الله • ومن غرائب الاتفاق ان وقعت فى يدى اليوم حاشية القطر فكانت أول جملة وقع طرفي عليها من غير قصد ما كتبه صاحبها تعليقاً على بيت اورده المؤلف وهو :

(الا يا أسلمي يا دارمي على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر)

(قال المحشي) الا حرف استفتاح واسلمي فعل امر ومي اسم امرأة والبلى مقصور مكسور المراد به الاندراس والفناء • اى اسلمي وان كنت قد بليت • ثم قال بعد كلام واعـتراض على الشاعر أنه لم يحترس لان دوام المطر يخرب الدار • واجيب بانه قدم الاحتراس في قوله اسلمي وبأن ما زال تقتضي ملازمة الصفة للموصوف مذ كان قابلا

لها على حسب قابليتها ثم قال وقد ضمن بعضهم هذا البيت حيث قال

اليك اشتياقي يا كنافة زائد فمالي غناء عنك كلا ولا صبر
فلا زلت اكلي كل يوم وليلة ولازال منهلاً بجرعائك القطر

(والـكنافة) اشـهى الحـلوى للمصريين . هذا ما يشتغل به الطالب هناك في مدة ست سنوات من النحو والفقه وأقسم ايها الاخ اني لم أر حتى ساعتى هـذه ممن بلغ السنة السادسة وحضر تلك الـكتب فى النحو من يحسن أن يكتب سطراً واحداً او يقرأ جملتين بغير لحن وغلط وأريد أن أختم هذه الرسالة الآن مقتصراً على ما ذكرت وفى الرسالة الآتية ترى البقية الباقية والسلام عليكم ورحمة الله

آثار علمية أدبية

﴿ رسالة الـكسائي في لحن العوام ﴾

ظفر بهـا الباحث الالمـاني (بركلمن) وطبعها في المانيا وأهـدى نسخة منها الى صديقنا أحمد زكي بك الكاتب الثاني لاسرار مجلس النظار فرأينا أن ننشرها في المنار لما فيها من الفائدة للكتاب والطلاب وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم • وبه نستعين • أللهم صلّ على محمد وآله الطاهرين • هذا كتاب ما تلحن فيه العوام مما وضعه عليّ بن حمزة الـكسائي للرشيد هرون ولا بد لأهل الفصاحة من معرفته •

تقول حَرَصت بفلان بفتح الراء • قال الله عز وجل « وما أكثرُ النـاسِ ولو حَرَصْتَ بمؤمنـين » ولا تقول تحرَص بفتح الراء • قال الله تعالي « إنْ تحرِص على هُدَاهم فإنَّ اللهَ لا يَهْدي من يُضِلُّ » • وتقول ما نقَمت منه الا عجّلته بفتح القاف لايقال غيره قال الله عز وجل « وما نَقَمُوا منهم الا أن يؤمنوا بالله » • وتقول دعه حتى يسكت من غضـبه بالتاء ولا يقال بالنون يسكن (١) قال الله عز وجل « ولمـا

(١) لم نر من عدّى سكت الغضب بمن ولم يستشهد له وانمـا الشاهـد في الآية معدًّى بعن • وقد فسر (سكت) الزجاج وغيره بسكن • وقيل إن الكلام على القلب أي سكت موسى عن الغضب • وذكر الزمخشري الحرف في مجاز الاساس فقـال :

سكت عن موسى الغضبُ » • وتقول قد نَفِدَ المالُ والطعامُ بكسر الفاء قال تعالى « قل لو كانَ البحرُ مِداداً لكلماتِ ربّي لنَفِدَ البحر » • وتقول عجزت عن الشيء بفتح الجيم ومنه قوله تعالى ذِكْرُه « أَعَجَزْتُ أَنْ أكونَ مثلَ هذا الغراب » وتقول كسرت ظفر زيد بضم الفاء والظاء جميعا (١) قال الله تعالى « وعلى الذينَ هادُوا حرَّمْنا كلَّ ذي ظُفُرٍ » وتقول قد صرفت فلانا وقد صرف وجهه بغير ألف ولا يقال أصرفت فلانا قال الله عز وجل « ثم انصرَفوا صَرَفَ الله قلوبَهم » وتقول قد أَصْرَفَت الكلبةُ اذا طَلَبَت المعاظلَة • وتقول قد استدَّت البطانة بكسر الباء (٢) قال الله جل ذكره « يا أيُّها الذين آمنوا لا تتَّخذوا بِطانةً من دُونكم » وتقول لنا على المضيّ الي فلان (٣) بتشديد الياء قال الله تعالى « فما استطاعوا مُضِيًّا ولا يَرْجِعون » • وتقول شكرت لك ونصحت لك ولا يقال شكرتك ونصحتك • وقد نصح فلان لفلان وشكر له • هذا كلام العرب قال الله تعالى « واشكروا لي ولا تكفرون » • « ولا ينفعكم نُصْحِي إن أردتُ أنْ أَنصَحَ لكم » • وتقول عَسَيْتُ أن أكلّم زيداً بفتح السين قال الله عز وجل « فهل عَسَيْتُم إن تَوَلَّيْتم أن تُفسِدُوا في الأرض » • وتقول قد أريتُ فلانا موضع زيد ولا يقال أوريته فإنه خطأ قال الله تعالى « ولقد أَرَيْناه آياتِنا كلَّها » وقال أيضاً « ربِّ أَرِني أنظرْ اليكَ » وتقول قد أوريت النار اذا أشعلتها بالواو وقال تعالى « أفرأيتُمُ النّارَ التي تُورُونَ » وقال عديّ بن زيد في شاهد ذلك :

وطُفِّ حديثَ السُّوء بالصمت ... إنه متى تُورِ نارًا للعتاب تأجَّجا (١)

« وسكت عنه الغضب والحزن وكل ماله أثر ناطق » ففهم وجه التجوّز وقال السكاكي انه استعارة تبعية • وقرأ معاوية بن قرة في الشواذ (سكن) بالنون فهو ليس خطأ

(١) هذه هي اللغة الفصحى ويقال ظفر بضم الظاء وكسرها مع سكون الفاء •

(٢) في اللسان السَّدد القصد في القول والوَفق والإصابة وقد تسدّد له واستدّ • وبطانة الانسان خاصته الذين يفضي اليهم بأسراره مأخوذ من بطانة الثوب (٣) الجملة غير ظاهرة ولعلها في الاصل استفهام

(١) كذا ضبط (طف) في الاصل والمعنى يقتضي انه من المهموز والمعروف اطفأ النار • ثم رأيت اللسان والتاج روياه (وأطف) وتأججا أصله تتأجج مجزوم وحذف التاء قياس

ويقال وقع القوم في صَعُودٍ وهَبُوط وحَدُور مفتوحات الأوائل وكذلك السَّحُور سحور الصائم (١) والفطور أيضاً على مثال فَعُول قال الله عز وجل « سأُرْهِقُه صَعُوداً » وكذلك الرَّكُوب قال الله تعالى « فمنها رَكُوبُهم » • وتقول شُدَّ ثوبَك وشُدَّ عليه بضم الشين قال تعالى « فشُدُّوا الوَثاق » وتقول ذَرْهُ ودَعْه وذَرِ الأمْر ولا يقال: وَذَرْته ولا وَدَعْته قال الله « ذَرْهُمْ يأكلوا ويتمتَّعوا » ولا يقال منه فعلته ولكن تركته • وتقول جَهدت به كل الجُهد والجَهد الأولى مفتوحة والثانية مضمومة قال الله « والذين لا يَجِدونَ الا جُهْدَهم » وتقول دمعَت عيني بفتح الميم وبخصت عينه بالصاد ولا يقال بخست بالسين (٢) إنما البخس والنقص ان تنقص الرجل حقه • وتقول وَدِدْتُ أني في منزلي بكسر الدال الاولى قال بعض الأعراب :

أُحبُّ بُنَيَّتي ووددتُ أني ... حفرت لها برابية قَبِيرا (٣)

الهدايا والتقاريظ

(الصراط المستقيم) كثرت شكوى الباحثين في الاصلاح — ورأسه إصلاح التربية والتعليم — من كتب القرون المتوسطة وما بعدها ووعورة مسالكها وصعوبة أسلوبها وعدم موافقتها للتعليم فقيّض الله تعالى لهم من أنفسهم من يسعى في إحياء كتب السلف ليستعان بها على إحياء اللغة والدين، ومن يشتغل بتأليف كتب جديدة يستعان بها على التربية والتعليم ، فبينا جمعية إحياء العلوم العربية تشتغل بطبع المخصص وتسمى باستنساخ مدونة الامام مالك وكتاب الأم للامام الشافعي لتطبعهما ومنشئ هذه المجلة يشتغل بطبع (دلائل الإعجاز) بعد طبع (أسرار البلاغة) اذا بالشيخ أحمد زناتي ناظر مدرسة القبة الخديوية وأستاذ العربية والدين فيها يؤلف الكتب القريبة التناول في التعليم القوية التأثير في علم الدين

وأكبر مؤلفاته نفعا ، وأحسنها صنعا . كتاب في علم الدين سماه الصراط المستقيم، وقد جعله ثلاثة أقسام قسم في العقائد وقسم في العبادات وقسم في الآداب • وفي

(١) السحور ما يؤكل وبالضم فعل الاكل وقت السحر • ومثله الفطور (٢) أنكر البخس بمعنى الفقء الازهري والمصنف وأثبته الاصمعي وقال إنه لغة كالبخز

(٣) كذا ضبطها الطابع ولا يصح ولعلها تصغير قبر • وفي هامش النسخة المطبوعة لفظ (حَفيراً) وهو بمعنى القبر

كل قسم فصول في الواجبات الاعتقادية والعملية والأدبية . يبتدئ الفصلَ بالآيات الكريمة الواردة في الواجب الذي يتكلم عنه فيه ثم يأخذ الحكم مما تهدي اليه مع بيان معناها . فهكذا يجب أن تكون كتب الدين لتطمئن بها القلوب ، وتؤثر في النفوس ، وقد التزم في الكتاب بيان أسرار العبادات والآداب الدينية ، ومنافعها الدنيوية والاخروية ، وبعد فراغ المؤلف من كتابه عرضه على الأمير العباس أيده الله تعالى فسُرَّ به وأمر بأن يطبع على نفقة الخاصة الخديوية فطبع في المطبعة الأميرية طبعاً متقناً على ورق جيد وجعل في جانب كل صفحة منه جدولين يذكر في أحدهما بإزاء الآيات القرآنية التي افتتحت بها الفصولُ اسمَ السورة وفي الثاني عدد الآية ولو كان هذا البيان عامًّا لجميع الآيات القرآنية في الكتاب لكان النفع أتم . وصفحات الكتاب ٤٠٠ وثمنه ١٢ قرشاً صحيحاً

(الهداية الى الصراط المستقيم) اختصر المؤلف كتاب الصراط المستقيم بكتاب سماه بهذا الاسم وهو مثل الأول فى ترتيبه وأسلوبه الا ان حجمه نصف حجمه والغرض من الاختصار ان يكون المختصر كتاب تعليم يرتقي منه التلميذ الى المطول ويهتدي بتلقي هذا دراسةً الى فهم ذاك بنفسه . وقد طبع الكتاب الثاني على نفقة الخاصة أيضا وفق الله مولانا الأمير ؛ الى مافيه احياء العلم والدين . وثمنه ثمانية قروش صحيحة فنحث كل من يطلب فهم الدين على مطالعة الكتابين

(حجج القرآن) كتاب من أجل ما كتب علماء الاسلام في خدمة الدين للامام أبي الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازى جمع فيه الآيات القرآنية التي يحتج بها الفرق المفترقة من الاسلام في المسائل المختلف فيها بينهم ليعلم الناظر في الحجج مجتمعة لديه ، ممثلة أمام عينيه ، أيها أحق بالقبول ، وأدل على المدلول ، وقد ذكر في فاتحته ان أصل الفرق ثمان — الجبرية وفى مقابلتها القدرية . والمرجئة وفى مقابلتها الوعيدية . والصفاتية وفي مقابلتها الجهمية ، والشيعة وفى مقابلتها الخوارج . قال « ومن هذه الفرق الثمان تشعبت الفرق الثلاث والسبعون » أي التى ورد بشأنها الحديث المشهور . وابواب الكتاب ثلاثون بابا في كل باب فصول كثيرة جمعت المسائل المهمة المختلف فيها . وانا نعتقد انه يعسر على كل عالم ان يفهم الحق فى هذه المسائل بدون ان يطلع على هذه الآيات التي يحتج بها كل فريق على رأيه ولا نعرفها مجموعة فى غير هذا الكتاب . لهذا نقول ان إحياء هذا الكتاب خدمة جليلة للاسلام . فجزى الله الشيخ أحمد عمر المحمصاني الازهري خير الجزاء ان طبعه ونشره بين

الناس بثمن بخس وهو قرشان صحيحان . ومن طلبه من الخارج فليرسل مع الثمن قرشاً لأجرة البريد . وهو يوجد في ادارة المنار بمصر وفى مكتبة هندية ومكتبة المليجي ومكتبة الرافعى ومكتبة المؤيد ومكتبة الهلال

(حياتنا التناسلية) أو « دليل العازب وطبيب المتزوج » كتاب يدل اسمه على موضوعه مؤلفه الطبيب سعيد ابو جمرة الذى تلقى الطب في المدرسة الكليه ببيروت واتمه في كلية (ماريون سمس) في الولايات المتحدة . هو يبحث عن اعضاء التناسل فى الذكور والأناث وما يعرض لهما من العلل والامراض قبل الزواج وبعده . وعبارته سهلة يفهمها كل قارئ ولا غنى لقارئ عنها فان أكثر الناس عرضة للامراض والأدواء التي تتولد في هذه الأعضاء أو في البدن كله من استعمالها فيما يحرّمه الدين والطب (وكل ماثبت ضرره طباً فهو محرم شرعاً) ومن ذلك العادات الضارّة التي تكون من الشبان فى حال الانفراد ويحسبونها هينة وما هي بهينة وانما هى علة العلل للادواء والأمراض القاتلة . ولو علم الناس ما وراءها لأعانهم العلم على مغالبة الشهوة ، ومحاربة اللذة ، لأنه هو الركن الركين ، بعد تربية الدين ، وأين التربية الدينية من قوم يذكر أطباؤهم ومرشدوهم عجائب صنع الله تعالى وحكمه وآياته فى الآفاق وفى أنفسهم فيسندونها الى شيء مجهول يسمونه « الطبيعة » ولا يسندونها اليه جلّت قدرته كما فعل صاحب كتابنا هذا . وانا لانرى فى هذا الكتاب غير هذا العيب . ونقول على كل حال أنه ينبغى لأهل كل بيت اقتناء هذا الكتاب ومطالعته والاستعانة به على تربية الاولاد. وهو مطبوع في مطبعة الهلال وعدد صفحاته مئتان ونيف وثمنه ١٢ قرشاً مصرياً ويطلب من مكتبة الهلال بمصر

(نيل الأرب في موسيقى الافرنج والعرب) الموسيقى فن من الفنون التحسينية يرتقي في الامم بارتقاء المدنية والحضارة ويتدلى بتدلهما . والميل اليه طبيعي في الانسان بل الميل الى حسن توقيع النغم معهود في الحيوان الأعجم . ولقد كان للعرب حظ منه أيام مدنيتهم فذهب بذهابها . ولما دالت الحضارة الى الأمم الغربية ارتقى عندهم هذا الفن حتى صار ركنا من أركان الفنون الحربية ، كما انه ركن من أركان التربية النفسية ، وكان من موضع العجب أن المصريين اشتغلوا بتقليد الأفرنج من زمن طويل وأخذوا عنهم كثيراً من علومهم ولكنهم لم يضعوا لنا كتاباً مصنفاً أو مترجماً في فن الموسيقى حتى ظهر هذا الكتاب فى هذه السنة لمؤلفه احمد افندى امين الديك. ومن عرف المؤلف يحكم بأنه انما ألَّف هذا الكتاب بباعث طبيعي وشعور بأن قومه فى حاجة الى هذا الفن وانه

أراد أن يكون البادئ بسدّ هذه الحاجة. وانما قلنا هذا لأنه شاب بعيد من التفرنج ومذاهبه متمسك بالدين عملا وآدابا على ان الشائع فى قومه ان الموسيقى من الفنون المذمومة فى الدين • وما المذموم فى الدين الا هذا التخنّث الشائع عندهم فى الغناء • أما الموسيقى فهي نافعة فى الحرب والآداب والاخلاق • هذا واننا لانحكم على الكتاب من الجهة الفنية لأننا نعترف مع الخجل بأننا لانعرف الفن • والكتاب مطبوع بالرسوم وأشكال (النوتة) بالمطبعة الأميرية وثمنه خمسة قروش

(الاتجار بالنساء) هى القصة العاشرة من (روايات مسامرات الشعب) معربة بقلم حسن افندى توفيق الدجوي من ضباط البوليس ومعرّب كتاب (التربية الحديثة) وقد صدَّر القصة صاحب مطبعة الشعب بكلمة للصحافة المصرية يطالبها فيها بانتقاد هذه القصص التي يقصد بنشرها خدمة الأمة . وينتقد تقريظ الجرائد بمدح كل كتاب او قصة تنشر وتمني الرواج لها

الانتقاد واجب وان كان يسيء ناشري الكتب كاجربنا. واذا لم يسمح وقت أصحاب الجرائد وكتابها بقراءة الكتاب كله او بعضه فلا يجوز لهم تقريظه لان التقريظ حكم لابدّ فيه من العلم بالمحكوم عليه . ولقد طالعنا قصة الاتجار بالنساء هذه ظناً منا أن الذى حمل ناشرها على تعريضها للنقد هو ثقته بأنها تعلو عليه لما فيها من الإرشاد النافع فألفيناها مشحونة باخبار الفسق والفحش والكيد وسفك الدم والانتقام. ومثل هذه الحوادث التي تشرحها القصة يؤثر الكلام عنها في النفس أسوأ تأثير ويكون غذاء رديئاً للنفوس المستعدة للشرور لأنها لم تتربَّ تربية صالحة .وأين التربية الصالحة فى هذه البلاد ؟ يحتج ناشرو أمثال هذه القصة بأنها لا تخلو من بيان سوء عاقبة المجرمين . ونحتج عليهم بان الكتابة في تمثيل عواقب الجرائم والمآثم يشترط فيها أن يكون ما يكتبون فيه شائعاً فيمن يكتبون لهم بحيث تفيدهم الكتابة عظة وعبرة ولا تزيدهم علماً بوجوه المنكرات وطرق السيّئات. لان مالا شبهة فيه ان كل قارئ يوجه فكره الى ماينا سب طباعه ورغائبه من الكلام ويغفل عن غيره .والجرائم المشروحة في هذه القصة لم تأت على الشرط بخلاف قصة (الحال والمآل) التي قرظناها من قبل فانها جاءت على الشرط لانها ذكرت منكرا معروفاً فاشيا فى مصر وبينت سوء عاقبته لذلك اثنينا عليها وأنكرنا على هذه ولعلّ كلامنا فى الموضعين يكون حاملا على الرغبة عن الضارّ الى الرغبة فى النافع والله الموفق

(روايات الحدّاد) أحسن القصص التي تنشر فى مصر لهذا العهد عبارة ماعربه فقيد التحرير نجيب أفندى الحداد. وقد اهديت الينا قصتان منها منذ اشهر أضعنا

احداهما واستعار الاخرى أحد اصدقائنا ولم يعدها فكتبنا هذه الكلمة لئلا يتوهم المهدي أننا أغفلنا تقريظهما اجحافاً بحقه

﴿ باب الأخبار والآراء ﴾

(ألقاب التعظيم) سرت الى الكتابة العربية والى أهل العربية عادة من عادات الأعاجم المفضولة وهي اضافة القاب التعظيم والتبجيل الى أسماء الاشخاص عند ذكرهم فى القول والكتابة • ولقد أسرف الناس فى هذه الألقاب حتى ألحقوا بها المفضول بالفاضل ، وساووا العالم بالجاهل ، واننا كنا نألم لاتباع عادة الجرائد فى ذلك على تحرِّينا القصد فيها ونرى النفس تنزع الى اتباع سلفنا فيه ولكننا نرجئ ذلك حتى كان فى هذا الجزء أن كتبنا نبذة من رسالة الكسائي وذكرنا في ترجمتها اسم طابعها واسم المهداة اليه مقرونين بألقاب التعظيم المألوفة ثم لم نلبث ان نقلنا اسم الكسائي وهو من أئمة العلم وهرون الرشيد وهو من أعظم الخلفاء بعد الراشدين ولم نرهما مقرونين بلقب • فتنبهت النفس الى ما كانت تنزع اليه وأمرت بترميج تلك الألقاب التي كانت كتبت فرُمِّجَتْ • ونحن بعد اليوم لا نذكر مع اسم أحد الا اللقب الذى يميزه فى نفسه أو صنفه كالشيخ والبك والأفندى • ومن كان غير معروف للقراء نعرّفه بجملة خبرية لا بألقاب مفرده ينعت بها نعتاً ، وتنظم مع اسمه عقداً . ويدخل فى هذه القاعدة أساتذتنا وأمراؤنا • فاذا نقلنا قولاً عن أستاذنا الأكبر (ولفظ الأكبر هنا بيان للواقع) نقول : قال الشيخ محمد عبده أو مفتي الديار المصرية • واذا كان الكلام عن الجمعية الخيرية نقول : قال رئيس الجمعية • ولكننا اذا أسندنا اليه قولا من غير ذكر اسمه فاننا نشير اليه بلقبه الذى اشتهر وهو (الاستاذ الامام) بالتعريف • وانما سبق لنا تعريفه بلقبين لأن لفظ (الاستاذ) وحده ينصرف فى كتب الكلام والاصول الى الشيخ أبي اسحق الاسفرايني ولفظ (الامام) وحده ينصرف الى فخر الدين الرازي ولفظ (الشيخ الامام) أطلقه تاج الدين السبكى فى كتبه على والده الشيخ تقيّ الدين • فعندما استقر رأينا على أن نجعل لاستاذنا الذى يكثر نقلنا عنه لقبا مختصراً يغني عن ذكر اسمه ووظيفته اخترنا هاتين الكلمتين لانه لم يشتهر بهما أحد • وقد عرف ذلك قراء المنار في جميع الاقطار لذلك نقره بشرطه

(كلمة فى المنار) قد كتبنا مرات متعددة على غلاف المنار بأنه لاحقّ للمشترك ان يطلب جزءًا من المنار لم يصل اليه بعد صدور مابعده • ثم رأينا بعضهم يحتج

بأنه اذا تأخر جزء يتوهم أنه لم يصدر فلايعرف أنه قد صدر الا بعد وصول مابعده اليه • لذلك رأينا أن نمدّ في الوقت فنجعله عشرين يوماً في القطر المصري • فمن طلب الجزء الذى يصدر فى أول الشهر مثلا في الحادى والعشرين منه فما بعده فعليه ان يرسل ثمنه ٢٥ مليما سواء كان قد صدر الجزء الذى بعده أم لا • ومن وصل اليه الجزء فأضاعه أو وهبه فلا يجوز له ان يطلب بدله الا بالثمن • وربما يعدّ بعض القراء هذا تشديداً في موضع التساهل ولكنه اذا علم أن الطالبين للاجزاء المفقودة كثيرون جداً وان كل جزء نرسله يضيع علينا مجموعة سنة كاملة فانه يعذرنا لامحالة

(سكة الحديد الحجازية) أخبرنا من شاهد العمل في هذه السكة واختبره بنفسه أن الهمة المبذولة فيه عظيمة وان الآلات والأدوات الحديدية والخشبية التي في بيروت والشام كافية لإيصال الخط الى مكة المكرمة وأن مهندساً ألمانيًّا هناك قال : إن هذا الخط أمتن وأحسن من خطوط الحديد في انكلترا • ومع هذا كله لابد لإتمام العمل من أربعة ملايين جنيه • وهو مبلغ لايرجى له الا سخاء صاحب المشروع الذي يخلّد له بتمامه على يديه أشرف الذكر وهو مولانا السلطان وفقه الله تعالى لما فيه خير الأمة والدولة • ومما ينتقده جميع الذين شاهدوا العمل أمر التضييق على العسكر المشتغلين به فانهم لا يجدون ما يكفيهم من الغذاء والدواء وهم يعملون بجلد وثبات حيّر المهندسين الأوربيين والوافدين المتفرجين • وقد علمنا أن الرئيس الذي يدير العمل من خير الناس فعسى أن يوفق للمحافظة على صحة اولئك الجنود المساكين •

(الأذان السلطاني) بلغنا أن شيخ الجامع الأزهر أنكر في جامع القلعة هذا الآذان في الليلة السابعة والعشرين من رجب التي احتفل فيها بقراءة قصة المعراج • وكاشف بإنكاره مفتي الديار المصرية واتفقا على النهي عنه فعسى ان يؤثر ارشادهما في محو هذه البدعة السيئة

﴿ نصيحه للقارئات , ومن يسمع من الأميات ﴾

إن من خلائق الأنثى وسجاياها ماهو عون للسفهاء على إغوائها وهو انها تحب دائماً ان تكون موضع الاعجاب والاستحسان . ولذلك يتملق اليها المبصبصون ويخادعونها بالمدح « والغواني يغرهن الثناء » حتى يستميلوها اليهم ويهينوا شرفها بالمغازلة على الأقل . ومن الضعف في الأنثى أن تعتقد ان كل من يرمي ببصره اليها يكون مستحسناً لها • ناهيك بصاحب التحديق ونظر الترنيق وهو نظر العاشق المستهتر

عادة والمبصبص المتملق اختلابا وخداعاً فانه يغر الفتاة الغِرّ ويقع من قلبها موقع السهم الذى سقي بالسم، وقد ورد فى الحديث « النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه » رواه الحاكم وصحح اسناده .

بلغ النساء عندنا من الغرور بتطلّع السفهاء اليهن انك تجد نساءنا يتلفتن في الاسواق ماشيات ، وينحنين وهن في المركبات ، وقد يكنّ مع هذا من المحصنات النزيهات ، وان هو الاحب توجيه الانظار ، واعجاب النظار ، ونرى نساء الافرنج يمشين قاصرات الطارف ، مستقيمات العطف ، تحسبهن في ادبهن الظاهر من الملائكة المقربين ، وان كان فيهن من هن اغوى من الشياطين ، وما ذلك الا لانهن تربين على ادب الاجتماع ، وتعلمن مايبعدهن عن سرعة الانخداع ، وان الظهور في المنكر ليزيد في ضرره لما فيه من اغواء الناس وتسهيل سبله على من لايعرفه ولذلك ورد في الشرع ان المعصية الصغيرة تكون كبيرة بالمجاهرة ونرى القوانين الوضعية عند الأمم كلها تحظر الجهر بما ينافي الآداب حتى ماتبيحه منه في السر

السبب في هذا التبرّج والتغنج ، والتشوف والتقصف ، والانثناء والانحناء ، الذى يزيد فى فساد السفهاء ، هو حبُّ الانثى لان تكون زينة فى الاعين وشغلا للقلوب . وانها لتكون كذلك في جميع الاعين وجميع القلوب اذا ظهرت بمظهر الكمال والصيانة ولم تلتفت لكلاب المبصبصين ولم تكلمهن اذا تعرضوا لمكالمتها فان هذه الاماديح التى تسمعها منهم تنقلب الى ضدها بعد ان تبعد عنهم فلا تسمع مايقولون ، فان سفهاء الناس وغوغاءهم لايزالون يعرفون قيمة الفضيلة ويحترمون اهلها

هذا اللين فى العطف والخضوع فى القول قد اطمعا أصحاب القلوب المريضة فى كل امرأة تمر في الطريق فلا تكاد تسلم من سفههم او عبثهم امرأة ولا يعهد مثل هذا المنكر في مدينة ولا قرية مثلما يوجد في هذه البلدة الظالم اهلها . وانا لنعجب من ضعف غيرة الرجال التى اباحت لهم التساهل مع نسائهم حتى اباحوا لهن كل هذا

اننا ليسوءنا جداً ان نرى البنات ينشأن على مثال امهاتهن وعماتهن في هذا اللين المذموم لافرق بين المتعلمات منهن والجاهلات . وانا ليحزننا ان نرى التلامذة الذين هم محل الرجاء ، مستنين بسنة اولئك السفهاء ، حتى انك لاتكاد تجد فرقا بين من نشأ في المدارس ومن نشأ في الطرق والشوارع . رايت من ايام تلميذاً يمشي مع اخوانه في السوق خارجين من المدرسة فمر بامراة فوضع يده على وجهها وعبث ببرقعها ولم ار مثل هذه الوقاحة من غوغاء الحشاشين ، فهل يغر البنات تطلع امثال هذا التلميذ

اليهن . وتصديه لاغوائهن ؟ وهل كان مغرماً بتلك المراة التى عبث ببرقعها فكان الغرام هو الحامل له على اهانتها في السوق ؟ وهل مثل هذا الغرام — اذا فرض — مما يرغب فيه؟

ان ما تقدم من القول هو مقدمات النصيحة التى اقدمها للقارئات والنتيجة المقصودة هي ان الإنسان يؤخذ دائماً من جهة ضعفه ومن الضعف في الانثى الانخداع لمن يظهر لها الحب والاستحسان . وان الرجال دائماً يخادعون النساء حتى ان احدهم ليثبت على التظاهر بالحب زمناً طويلا ليُصدّق • فيجب على الفتاة المتعلمة أن لا تصدق احداً من هؤلاء الشبان الذين يظهرون لها الحب والغرام فان احدهم ليخاتل كل فتاة يراها بمثل هذه المخاتلة • ولو كان صادقاً فيما يظهر من الإعجاب بمحاسنها والرغبة فى الاقتران بها وكان اهلا لذلك لـكان يغار عليها من نفسه ومن غيره فلا يعاملها بهذه المعاملة ، من البصبصة والمغازلة ، ولـكنه يزيد على هذه الإهانة التي تكون منه في كل طريق ، بان يحدث بها كل صديق ورفيق ،

(الحسود المعمَّم) كتب ذو عمامة الى صاحب الجامعة يغريه بالطعن في صاحب مقالات (الاسلام والنصرانية ، مع العلم والمدنية) لأن صاحب العمامة حسد صاحب هذه المقالات على ما اوتيه من سعة العلم وقوة التأثير وعلوّ المكانة فحاول ان يطفئ نار حسده بِذَنوب من ذنوب ذلك الطعن الذى امر به ولـكن صاحب الجامعة اعقل من صاحب العمامة وأعلم منه بقيمة تلك المقالات • وان انكر من فاتحتها ، ما عرف حكمته في اثنائها وخاتمتها ، وإنه ليعلم ان مثل صاحب العمامة معـه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر الخ فهو لا يراه الا بعين النقص ولا يعتقد فيه الا ما يليق به في رقة عقله ودينه • ولا يرضى لنفسه ان يكون مع صاحب العمامة كما كان صاحب الحمارة • على ان الطعن في مثل هذه الحال ، على مثل ذلك المقال ، لا يزيد المطعون فيه الا احتراما واجلالا • ولـكنه يسلّي الحسود لأن عقله صغير ، وفكره قصير ،

(مفكرة مطبعة الموسوعات) اخترع الافرنج هـذه الدفاتر التي يسمونها المفكرة او المذكرة لاصحاب الاشغال الكثيرة من الحكام والتجار والمحامين • ولما رأت مطبعة الموسوعات ان المصريين يشترون هذه الدفاتر الافرنجيـة ويتعبون في كتابة التاريخ في كل صفحة منها بالعربية اصدرت في هذه الايام (مفكرة) عربية لسنة ١٩٠٣ وضمّت التاريخ الهجري في كل صفحة منها الى التاريخ المسيحي • وجعلت في آخرها جداول لتحويل النقود فجاءت خيراً من المفكرات الافرنجية • وجعلت ثمن النسخة ١٢ قرشاً ونصفا صحيحاً فهي ارخص من المفكرات الافـرنجية وتطلب من المطبعة والمنتظر ان تصادف رواجاً عظيما

الجزء السادس عشر المجلد الخامس

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاثنين ١٦ شعبان سنة ١٣٢٠ — ١٧ نوفمبر (تشرين ٢) سنة ١٩٠٢)

المستقبل للاسلام

(بقلم صاحب السماحة السيد الشيخ محمد توفيق البكري شيخ مشايخ الصوفية(١))

(الفصل الاول فى رأس مال الاسلام)

(المكان والسكان)

ان مستقبل الأمم يتوقف في الحقيقة على أمرين طبيعيين هما كثرة السكان وخصب المكان فاذا استوفت الأمة حظها من هـذين الأمرين عظم مستقبلها بقدر ذلك مهما حرمت في الحال من الاسباب الأخرى الكسبية كالعلم والأخلاق والقوانين والحكومة وغير ذلك فان هذه جميعها يأتي بها دور الزمان ، وان أخرتها آونةً طوارق الحدثان ، ولذلك قال (مونتورو) و (تين) وغـيرهما أن مستقبل الصين أكبر من مستقبل أية دولة أخرى . ومن شاهد رُقِيَّ اليابان وما كانت عليه الروسيا منذ ثلاثة قرون وما هي عليه الآن من ضخامة السلطان لا يشك في صواب ذلك القول المتقدم • وقد أشار ابن

(١) من قراء المنار في الاقطار النائية من لا يعرف البكري . هو من بيوتات الحسب والمجد وقد انفرد فى صنفه بتلقي العلوم في مدارس أوربا العالية وبنيل رتبة قاضي عسكر من الدولة العلية • وهو في العربية خزانة الأدب ، ولسان العرب ، يشهد له بذلك شعر فحل ، ونثر جزل ،

خلدون الى شئ من هذا حيث قال ان اتساع نطاق الدولة يكون بقدر اتساع عصبيتها في الاصل • وقال الشاعر : وانما العزة للكاثر • فاذا تقرر ذلك علمنا أن مستقبل الاسلام كبير، وشأنه خطير. فان حظه من هذين الأمرين وافر، وقسطه متكاثر، واليك البيان

اذا تأمل المسلم في مصوّر الجغرافية يجد ثلاثة عوالم قد تقسمت الارض وهي العالم الاسلامي في الوسط والعالم المسيحي عن يساره والعالم الوثني عن يمينه على هيئة قلب وجناحين . ويرى ان قسط العالم الاسلامي من هذا الاقتسام عظيم، ونصيبه جسيم، فهو يمتد في فسحة من الارض بدؤها بحر الأطلنطيق، ونهايتها رسيف الباسيفيك آخذة من حواشي سيبريا شمالا الى جزر المحيط جنوباً • أقاليم متصلة، وأقطار غير منفصلة، وأمصار متتاخمة، وأخياف متلاحمة، وبين ذلك قصور وخيام، ودور وآطام، ووبر ومدر، وبدو وحضر، بقاعٌ هي أطيب المعمور رقعه، وأمرعه نجعة، فيها النيل والفرات، وسيحون وجيحون، فيها أوداء مصر، وسهول الهند وميطان الصين وسواد العراقين، وبطاح الأناطول وجبالها، وريف فارس ورمالها، فيها مرقد النبي العربي الهاشمي، ووطن المسيح بن مريم، ومبعث موسى الكليم، ومهبط الوحي على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الى غير ذلك من هواء طاق، وماء عذب، وجوٍّ صحو، حسنات وراء حسنات، تقصر دونها الأمصار، وتموت حسرة عليها الأقطار، ذهب بعض مجوس الهند الى لوندرة فقال له بعض أهلها كيف أنتم تعبدون الشمس ؟ فقال المجوسي : وأنتم لو رأيتموها لعبدتموها

***

ثم ان هذه السعة فى الارض والبسطة فى الخصب التي رزقها العالم الاسلامي أصل كبير في نموّ أفراده وحسن حالهم اذ ارتباط المكان بالمكين فى السعادة والشقاء والقلة والكثرة امر مقرَّرٌ في علم الاجتماع الانساني • قال (لوبون) : « ما دامت الارض القابلة للزراعة كافية للسكان يتأتّى لهؤلاء ان يزيدوا عدًّا فيكثرون وينمون بالفعل فان تعادلت موارد الأرض وعدد السكان بقي هؤلاء على حالتهم لايزيدون ولا ينقصون فان زاد عديدهم عن موارد الأرض وقعوا في افرة الشدائد والضيق وتواترت عليهم المصائب والأزمات الى ان تأتي حروب جارفة او اوبئة قاشرة فتعدل الكفتين • » هذه حقائق بسيطة ومع ذلك قد تغيب من افهام كبار الخواص واشهر الكتاب فلا يفتأون يطلبون كل يوم زيادة السكان بأية وسيلة كانت بلا مراعاة لما

تقدم وقد وقع في مثل هذا الخطأ (جول سيمون) وزير معارف فرنسا السابق على سعة علمه حيث قال في خطاب ألقاه على مجمع المعارف سنة ١٨٦٨ : « ان من يمكنه ان يزيد سكان فرنسا مليوناً من النفوس يفيدها اكثر ممّن يزيد حدودها بعض فراسخ من الأرض بواسطة الحرب والدم بألف ضعف » وهذا كلام خلو من الصواب لأن من يزيد مساحة فرنسا يكثر مواردها فيجعل الزيادة في السكان محتمة • ومن شك في هذه الحقيقة احلناه على قول استاذ لا يشق له غبار في هذا المضمار وهو (بيليج) الشهير قال : « قد اقتضت الحال زيادة السكان في بلدان اوربا زيادة كثيرة غير طبيعية حتى اختلت النسبة بين عديدهم وبين غلاّت تلك البلاد فلا يمضي غير حقبة من الزمن حتى تعجز الأرض عما يفي بحاجاتهم مهما انهكوا قواها بمختلف الأسمدة وعندها لايحتاج الى نظريات علمية او قياسات فنية لإيضاح الناموس الطبيعي الذي يأمر الانسان بان لا يغفل عن المحافظة على ابواب رزقه ويعاقبه العقاب الأليم عند مخالفة ذلك • ولا يكون ثمة للامم الاوربية من حيلة ولا مخلص الا ان تتفانى لتبقى فترى اذن امثال مجاعات سنة ١٣١٦ وسنة ١٣١٧ وحروب بعد ذلك تليها حتى يحمل الأمهات جيف القتلى لاطعام اطفالهم كما وقع ذلك في (حروب الثلاثين سنة) المعروفة فكل ذي دُربة ورويّة دقق النظر في امر ممالك اوربا ومستقبلها يجدها غير قائمة على اسس متينة بل على أسنة الإبر » اهـ

***

هذا : وربما ذهب بعض العارفين الى أن طبيعة أرض الشرق مفسدة للهمم، مقعدة للأمم، فلا تكون اذن هذه الأرضون من النعم بل من النقم، وهذا رأي تفنده الأقيسة الصحيحة، والآراء النافذة، قال (فوليتر) في دحضه ما نصه : « نسأل من يذهب الى أن طبيعة الأجواء يتوقف عليها حالة الأمة وأخلاقها لما قال الامبراطور (جوليان) ان الذى اعجبه من أهل باريس هو متانه أخلاقهم وأخذهم بالجد والصلابة والسكون في طباعهم. وها هي أجواء باريس كما هي وأهلها فيها الآن أخف احلاما وطباعاً من فراشة. أطفال في زيّ رجال، وصغار وان كانوا كبارا. وهؤلاء المصريون الذين يصفهم لنا المؤرخون بقوة العزائم ومتانة الطباع وعظم الفتوح أصبحوا الآن أمة رخوة ضعيفة العزائم، طعمة لكل آكل، ولِمَ لا يوجد الآن فى أثينا مثل (أناقريون) و (ارستطاليس) و (زوقسيس) • ولِمَ استعاضت روما عن (شيشيرون) وعن (قاطون) وعن

(تثليف) قوماً بهتا لايحسنون أن يقولوا ولا أن يعملوا. أعظم أمانيهم ينحصر في أن يكون الزيت رخيص الثمن لديهم . وقد كان من عادة (شيشيرون) الخطيب الروماني أن يهزأ بالانكليز ويتنادر عليهم حتى انه كتب مرة في رسالة لاخيه (أقانتوس) الذي كان ضابطاً مع قيصر في غزوته التي غزاها بانكلترا يسأله مستهزأ ان كان وجد ثمة فلاسفة كبارا أو رياضيين عظاماً ، فهلاعلم (شيشيرون) أنه نشأ بعده فيها أعظم فلاسفة العالم ورياضيـيه تحت تلك السماء المظلمة بعينها . هذه كلها أمثلة تدل أن ليس للاقليم أثر يذكر في ارتفاع الامم وانخفاضها بل العوامل الأخرى مثل الحكومة أو الدين تفعل في ذلك أكثر منها بمائة ضعف .

***

كأن الله سبحانه وسعدانه أراد أن لا تنزع هذه البلاد الجميلة من أيدي المسلمين اذا أعجزهم الضعف يوما ماعن صونها حتى يؤوبوا الى القدرة على حفظها فجعلها شبه وقف عليهم وذلك ان جعل وسطها الطبيعي غير صالح لأن تعيش فيـه الأمم المتغلبة الآن وهي الأمم الأوربية ولبيان هذا نقول :

قد تقرر في الطبيعيات أن الحيوان أو النبات أو الانسان اذا نشأ في وسط طبيعي لايعيش في وسط آخر غير مماثل له وأقيم على ذلك هناك البرهان . وعنـدهم انه كما لا يمكن للسمك أن يعيش في البيداء ، ولا للناقة أن تدوم في الماء ، ولا للنخلة أن تنبت بين صخور الجليد ، لايمكن للانكليزي أن يستوطن الهند ، ولا لابن للالمان ، أن ينبت في في السودان ، قال (لوبون) في كتاب الفسيولوجي : « ذكر بعض المؤلفين أن الانسان يمتاز عن الحيوان بكونه يعيش في كل جو وعلى كل أرض . وهذا خطأ عظيم ، ووهم كبير ، فقد أثبت التاريخ مراراً أن أهل الشمال لايمكنهم العيش في أرض الجنوب . انظر الى البربر من أهل الشمال وبلاد الجليد الذين فتحوا أرض الرومان وسكنوا أقاليمها الحارة كيف لم يمض قرن واحد حتى أفناهم الموت وأتى عليهم الفناء فلم يبق من الغوطيين واحـد في ايطاليا . وهذه مصر حكمتها عشرون أمة فأكلتهم وبقي الفلاح المصري كما هو على أرضه . وكذلك عجز الرومان عن أن يستوطنوا أفريقية مع انهم استوطنوا أسبانيا وأرض الجول حتى جعلوها بلاداً لاتينية بحتة . ولاريب أننا سنلاقي في الجزائر ما لاقاه فيها الرومان في سابق الزمان فتهلك هذه الارض ذراري فاتحيها مالم يفعـلوا كما يفعل الانكليز في الهند من ارسال أبنائهم ليتربوا في أوربا . وبالجملة إن الانسان

إذا اختلف وسطه الطبيعي هلك وخصوصاً اذا جاء من الشمال الى الجنوب » اهـ

***

جميع ماتقدم متعلق بالمكان أي مواطن الاسلام وبلاده . أما السكان وهم الامم المسلمة فحدث ولله الحمد عن حصى البطحاء ، ورمال الدهناء ، أونجوم السماء ، كثرة آحاد ، ووفرة أعداد ، فمن هؤلاء في أفريقية ماتري :

في مراكش	٩ ٠٠٠ ٠٠٠
« الجزائر	٤ ٥٠٠ ٠٠٠
« تونس	١ ٥٠٠ ٠٠٠
« طرابلس	١ ٤٠٠ ٠٠٠
« مصر	١٠ ٠٠٠ ٠٠٠
« السودان المصري	٦ ٠٠٠ ٠٠٠
« الصحراء الكبرى	٤ ٠٠٠ ٠٠٠
« السودان الذى تحت حماية فرنسا	١٣ ٠٠٠ ٠٠٠
« السودان الذى تحت حماية انكلترا وفي النيجر	٩ ٠٠٠ ٠٠٠
« السودان الاوسط كواداي وباجرمي ونحوها	٥ ٠٠٠ ٠٠٠
« الكونغو	١ ٥٠٠ ٠٠٠
« توبو وقامرون	٤ ٠٠٠ ٠٠٠
« الأوغنده	٣ ٠٠٠ ٠٠٠
« الأريطرا والحبشه	٣ ٥٠٠ ٠٠٠
« موزمبيق ومدغشقر والكاب والزنجبار وأوبوك وأفريقيا الوسطى	٣٠ ٠٠٠ ٠٠٠
مجموع مافي أفريقا	١٠٥ ٤٠٠ ٠٠٠

وفي أوربا ماتري

في تركية أوربا	٢ ٥٠٠ ٠٠٠
« البوسنه والهرسك	٧٠٠ ٠٠٠
« البلغار والروملي الشرقي	١ ٠٠٠ ٠٠٠
« رومانيا	٦٠ ٠٠٠
المجموع	٤ ٢٦٠ ٠٠٠

٢٠ ٠٠٠	في الصرب
١٠ ٠٠٠	« الجبل الاسود
٣٠ ٠٠٠	« اليونان
٢ ٥٠٠ ٠٠٠	« روسيا أوربا والقفقاس
٦ ٨٢٠ ٠٠٠	مجموع ما في أوربا
	وفي آسيا ما ترى
٧ ٠٠٠ ٠٠٠	في الاناطول
٤ ٠٠٠ ٠٠٠	« أرمينية
٢ ٥٠٠ ٠٠٠	« العراق
٢ ٠٠٠ ٠٠٠	« الشام
١٢ ٠٠٠ ٠٠٠	« جزيرة العرب
١٢ ٠٠٠ ٠٠٠	« العجم
١٠ ٠٠٠ ٠٠٠	« روسية آسيا
٩ ٠٠٠ ٠٠٠	« أفغانستان
٥ ٠٠٠ ٠٠٠	« بلوجستان
٩٠ ٠٠٠ ٠٠٠	« الهند
١ ٠٠٠ ٠٠٠	« سيام
٢ ٠٠٠ ٠٠٠	« الهند الصيني
٤٥ ٠٠٠ ٠٠٠	« الصين
١٩٧ ٠٠٠ ٠٠٠	مجموع ما في آسيا
	وفي الاقيانوس ما ترى
٥ ٠٠٠ ٠٠٠	في فيلبين
٤٠ ٠٠٠ ٠٠٠	« سوماطرا
٣٧٠ ٠٠٠ ٠٠٠	« الجاوا
٥ ٠٠٠ ٠٠٠	« بورنيو
٩٠ ٠٠٠ ٠٠٠	« ماليزيا وغيرها من الجزائر
٥١٠ ٠٠٠ ٠٠٠	مجموع ما في الاقيانوس

فهذه ثلاثمائة وستون مليونا من النفوس خلف لذلك السلف الذين يقول الله سبحانه فيهم « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ على الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فى الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى على سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا »

***

وهذه الأمة الكريمة ان حرمت الآن كثيراً من أسباب العلم والعمل فإنه لم يزل في أمزجتها آثار شريفة وصفات قويمة من أثر دينها وارث سلفها تمتاز به على كثير من الامم. قال القسيس (اسحاق طيلر) « ان الاسلام يمتد في أفريقيا وتسير الفضائل معه حيث سار فالكرم والعفاف والنجدة من آثاره، والشجاعة والإقدام من أنصاره، ومن الأسف ان السكر والفحش والقمار تنشر بين السكان بانتشار دعوة المبشرين » وقال (كونتنسن) : « يمتاز المسلمون في الصين على مواطنيهم من الوثنيين برفعة في السجايا وشرف في الاخلاق قد طبعته في نفوسهم ونفوس آبائهم وصايا القرآن بخلاف الوثنيين فانهم في سقوط تام من حيث ذلك »

ومن أهم النعوت التي يمتاز بها المسلم عزة النفس فهو سواء في حال بؤسه ونعيمه لا يرى العزة الا لله ولرسوله وله . وهذه الصفة التي غرسها الدين فى نفوسهم اذا توفرت معها الوسائل كانت أعظم دافع لها الى التسابق الى غايات المدنية ورقيات الكمال . وان أردت فالمح بعقلك حال قوم فقدوا هذا اليقين ماذا تجد من فتور في حركاتهم وقصور في هممهم وخصوصاً اذا بغى عليهم الجهل فظنوا أنهم أدنى الملل كطائفة الدهير ومانك .

***

ثم ان هذه الامم الاسلامية وان اختلفت بهم البلدان وتباينت البقاع والميطان، وتنوعت الاجناس وافترقت الألسنة فقد وحدتهم وحدة الاسلام وجمعتهم جامعة الدين وهي جامعة كبرى تتلاشى أمامها الجامعات الصغرى وتلغى الفروق فيكون جميع المسلمين بها اخوانا. قال تعالى : « انما الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من دعا الى عصبية » فوطن المسلمين هو مجموع الأمة الاسلامية في الدين

وهو الذي قيل فيه : حب الوطن من الايمان . (١) وليس المراد به حب التربة والمسكن والاهل والعشيرة ولو كان كذلك لما كانت الهجرة في الاسلام . ولما نطق الكتاب بالحث عليها والامر بها. قال الله تعالى : « وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » فمن قال من المسلمين في أية بقعة من الارض (وطني) فقد قال (ديني) وقال تعالى : « إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً » وقال سبحانه : « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » ولهذا ترى المسلمين مهما تباعدوا او تباغضوا لاتزال تعمل هاته الجامعة عملها فيهم يسرون لسرور بعضهم ويحزنون كذلك وان افترقت بهم البلدان مابين المشرق والمغرب . وقد عظمت الصلابة في هذه الجامعة الدينية والرابطة الاسلامية حتى سماها غيرهم الآن (تعصباً) (٢)

على ان التعريف بالوطن على هذا النحو هو غاية ماترقى اليه الامم ، وتنبعث نحوه الهمم ، قال أدمون ديمولان : والمهاجر من الانكليز السكسونيين يشعر دائماً بأنه انما يرحل عن بلده مستصحباً لوطنه اذ هو يرى الوطن حيث يعيش المرء حراً ثم قال : «والنصر كل النصر للامم التي وطدت أركان نظامها على دعائم هذه الوطنية»

والتعريف بالجامعة أيضاً على مثال ماتقدم سيرٌ مع سنة العمران وذلك ان أول اجتماع للانسان كان على شكل جمعيات صغيرة جامعتها النسب كبني دار وبني أسد وبني شيبان الخ ثم ارتقى الى جمعيات أكبر من الأولى جامعتها الجنسية وهي التي عليها الامم الآن ويقول العلماء انه سيرتقي الى جنسيات كبرى واحدة جامعتها الانسانية

(١) المنار — اشتهر ان هذه الكلمة حديث وقد نبهنا غير مرة على أنه موضوع

(٢) ان في مصر من أحداث السياسة من يكتب ويخطب لينسخ هذه الآيات الكريمة ويفرق هذه الجامعة بكلمات سخيفة مثل «الوطنية الحقة» و«الدخلاء» فهذه الوطنية الباطلة لاترضى الاسلام والمسلمين ولا غيرهم من وطنيين ومهاجرين لأنها هضمت كل حق . أما الجامعة الاسلاميه فانها تعطي كل ذي حق حقه « لهم مالنا وعليهم ما علينا » ولئن وجد شيء من التعصب في بلاد المسلمين فانما وجد بتراخي عرى هذه الجامعة العادلة كما بيناه مرارا

ونرى الامم تقرب من تلك الغاية النهائية بتأليف الاجناس المتقاربة الى جنس أعم كسعي الجرمان والسكسون والسلاف واللاتين في ذلك الآن . فاذا تبين هذا كانت الجامعة الاسلامية التى أضعفت بل لاشت جامعات الأجناس ونقلتها الى جامعة عظمى يكون فيها كل مسلم اليوم عبارة عن ٣٦٠ مليوناً خطوة كبرى في السير نحو تلك الجامعة التي ستضم أفراد الانسان والتى يسعى وراءها الاسلام من ثلاثة عشر قرناً . (١) فشأن الجامعة الاسلامية أشبه بحال الجامعة الامريكية التي تضم الاجناس المختلفة فيها شرقاً وغرباً لتأييد مبدإ (مونرويه)

ولا يقول بعض جيراننا من المسيحيين ان التشبث بالجامعة الاسلامية يفقد المسلمين الارتباط بهم فانهم لو صدقوا فى هذا القول لفقد المسلمون بذلك عشرة ملايين نفس هم كل المسيحيين الذين في بلاد الاسلام وكسبوا ٣٦٠ مليوناً من اخوانهم . على ان الامر ليس كذلك فان رابطة الذمة تقوم مع هؤلاء المسيحيين. فأما الدين فلا يحرم الفريقان من التعاون والتعاضد للعمل وقد أمر القرآن بمزيد الحسنى معهم قال تعالى: « لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ »

هذا وان الاسلام آخذ في الازدياد والنمو في اكناف الارض بكيفية تستوقف البصر، وتحير الفكر ، بل هو كلما حزبته الاعداء ، وضايقته اللأواء ، اربى في النماء ، كالشجر اذا شذب منه زاد ، او الأتي اذا سد طريقه غرق البلاد . وقد جزم العارفون وفي أولهم علماء الافرنج انه لايمضي حرس من الدهر حتى يربو على جاريه المسيحي والوثني وعدد الأول الآن (٤٢٠) مليوناً والثاني (٥٠٠) مليون . وذلك لأن نسبة الزيادة فيه والزيادة فيهما مختلفة جداً حتى تكاد تكون كالفرق مابين الماشي وراكب المهلاج . كان سكان مصر سنة ١٨٨١ ستة ملايين فاصبحوا سنة ١٨٩١ نحو عشرة ملايين وكان مسلمو الهند سنة ١٨٩٢ (٥٧) مليوناً فصاروا سنة ١٩٠١ (٩٠) مليوناً وعلى هذا فقس مسلمي الصين والسودان وغيرهم . وهذا شيء لايوجد مثله في الأمم الأخرى . قال ديمولان: يتضاعف عدد سكان فرنسا في ٣٣٤ عاماً وسكان المانيا

(١) المنار : يراجع القراء مقالة (الجنسية والدين الاسلامي) في المجلد الثاني من المنار (ص ٣٢١) ومنها يُعلم أن الاسلام هو الذي جاء لجمع البشر كلهم فهم يسعون اليه ولا يعلمون

في ٩٨ عاماً وانكلترا في ٦٣ عاماً واستريا في ٦٢ عاماً

والاسباب في انتشار الاسلام وازدياده في كل صقع وقطر من أحشاء افريقية الى ميطان الصين الى جزر المحيط كثيرة نذكر بعضها فنقول

(السبب الاول) — سلامة العقيدة الاسلامية وسهولتها . قلت مرة للسيد جمال الدين الافغاني ماهو دين المستقبل؟ فقال لي هـذه الآية من كتاب الله : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ». وقال دي كاستري في مؤلفه عن الاسلام: « هكذا جذب الاسلام قسماعظيما من العالم بما أودع فيه من اعلاء شأن النفس بتصوّر الذات الالهية على صفات فوق صفات البشر تذكّرها خمس صـلوات في كل يوم وبما اشتمل عليه من الترفق بطبيعة البشر حيث اباح للناس شيئا ممايشتهون • واعظم عامل في انتشار الاسلام خصوصاً عند الأمم الزنجية (السود) بساطة مذهبه وسذاجة تعاليمه وهو سبب موجود في القرآن نفسه فهو بذلك يلائم الطباع • دين لا اسرار فيه وكلمته (اي كلمة الشهادة) يعتاض عنها عند الاحتضار باشارة تدل عليها كرفع السبابة الى السماء اشارة الى وحدانية الله تعالى فكلما وجد الرجل الجاهلي امامـه دينين متحدين في حقيقتين وحدانية الله وخلود الروح — وهما الاسلام ودين عيسى — تراه يختار الدين الذى لا يزيد شيئاً على تينك الحقيقتين ويعتنق الاسلام بلا محالة وهي قوة يفضل بها القرآن الديانة المسيحية في الانتشار وكانت معروفة عنـد أهل القرن السابع عشر لذلك نقرأ في كتاب القس (ماراشي) الذى سماه (الرد على القرآن): « ولا يغيبن عن ذهن القـارئ ان تلك الطائفـة ... لاتزال حافظة لكل مافي الدين المسيحي من الامور الظاهرة الوضوح القريبة التصديق مضافاً اليـه مايوافق نظام الكون وقانون النشأة الدنيوية فقد أبعد عنه احاجي الانجيل التي نخالها في أول الامر غير صحيحة لا تدركها العقول كما انه جرّد تعاليمه من كل قاعدة يشدُّ بها الخناق على البشر مما جاء في ذلك الكتاب وبهذه الواسـطة تمكن من رفع العقبتين اللتين يحسّ كل واحد منا بانهـما الحاجز بينـه وبين الدين الحق الصحيح وهما عقبـة الروح وعقبة الجسم وهـذا هو السبب في أن الوثنيين الذين يريدون ترك دينهم في أيامنا هذه يعتاضون عنه بالاسلام دون الديانة المسيحية » اه

وقال (اسحق طيلر) : « ليس أمر المسيحية واقفاً عنـد العجز عن إحـداث

مواطئ جديدة لأقدامها فقط ولكن المقام الذى هي فيه قد تعجز عن حفظه أيضاً • أن دين الاسلام قد انتشر آنفاً من مراكش الى جاوا ومن زنجبار الى الصين وهو الآن ينتشر في افريقية بسرعة لا يأتي عليها الوصف وانا لنرى الاسلام أوفق مايكون لتهذيب الأمم المتوحشة وترقيتها . أما الديانة المسيحية فلا ينالها عقولهم وبذا قد نفع الاسلام المدنيّة أكثر مما نفعتها المسيحية . اذا دخلت الديانة المحمدية في قبيلة زنجية محت عبادة الأوثان وأبطلت أكل لحوم البشر ووأد الأطفال وأنشأت فيهم النظافة وعزة النفس والوقار وكرم السجايا فيصير قرى الضيف بمنزلة الفريضة الشرعية ويندر السكر والقمار والمراقص الخزية وتعد العفة في الأناث من خلائق التقوى ويفشو التناصح بالاحسان والأخوة بالوجدان » (*)

(السبب الثاني لانتشار الاسلام) — موافقة أحكامه للفطرة الانسانية وابتنائها على الحكمة العقلية . قال (لوشاتليه) في كتابه المسمى (الاسلام في القرن التاسع عشر): « إن نمو الاسـلام في الهند أمر لا ينكر وسببه في الغـالب حكم المساواة بين الناس الذى سنته الشريعة الاسلامية وذلك ان أهل الهنـد بحسب مذاهبهم القديمـة ينقسمون الى طوائف لا ينبغي لطائفـة منها أن ترقى الى الطائفـة التي فوقها فمن ولد منهم في طائفة دنيا لا يجد له مخلصاً للارتقاء الى العلاء والخلوص من قيـد الطائفة الا اعتناق الاسلام » وقال (لودوفيق دوقنتاسون) في كتابه المسمى (النصارى والاسلام): « لا يصـل أهل الهند الى أن تكون لهم حكومة وطنية مستقلة الا اذا ذهب من بينهم التخالف في المذاهب والطوائف والاجناس ولا يكون ذلك الا اذا ساد فيهم الاسلام الذى يبيد جميع هذه الفروق ويقيم اركان المساواة والإخاء والحرية التي هي من قواعد الديانة الاسلامية »(١)

(السبب الثالث) — وهوأهم الأسباب حذق دعاة الاسلام وهم الصوفية . الصوفية جمعية في الأمة الاسلامية مرتبة النظام، منظمة الهندام، يبلغ عددها مائة مليون من النفوس فهي أكبر جمعية في الدنيا لا يضارعها البوكمر في الصين ولا الطوائف الدينيـة في

(*) تراجع مقالات اسحق طيلر وخطبه في المنار

(١) إن من أحداث السياسة في مصر من يحاول إبطال هذه المزايا الاسلامية بفمه وقلمه لغواً بالوطنية ويزعم مع ذلك انه يخدم مصر والاسلام !!!

أوربا وغيرها وقد قامت هذه الجمعية بالدعوة الاسلامية مقاما عجيباً (١) . قال بعضهم : « ان العالم الاسلامي وقف عن التقدم والغاب امام الدول الأوربية من مدة مديدة فاستطالت هذه الدول على الممالك الاسلامية وغلبت الكثير منها بالقوة

---

(١) للصوفية (علم وعمل) أما العلم فهو العقائد والقواعد والاحكام المعروفة في كتب التصوف كالفتوحات والفصوص ونحوهما وأما العمل فهو ارشاد المسلمين ودعوة غير المسلمين الى الاسلام .

وانا نرى في هذه الايام من بعض متهوري الكتاب انكاراً وتثريباً على عقائد الصوفية وطلبا لتلاشي هذه الجمعية من بين المسلمين بسبب ذلك قال بعضهم : «ان هذا المذهب دخل الى الاسلام من القرن الثاني مع ما دخله من المذاهب اذ ذاك وانما نقل اليه من الفرس بدليل ان مشائخه الاولين كلهم أعاجم كالجنيد النهاوندي وأبو يزيد البسطامي وابراهيم ابن أدهم البلخي وبشر الحافي المروزي وسهل التستري الخ وبدليل انهم جعلوا سند الطريق الى علي رضى الله عنه دون غيره ولا يفعل ذلك الا الفرس الذين هم شيعته . وبدليل انه كان مدونا في كتب الفرس واشعارها قبل الاسلام وقد نقله الفرس عن اليونان اذ كان عندهم مذهباً للحكماء الاشراقيين . وأخذه اليونان من الهنود الاقدمين اما بواسطة فتوح الاسكندر أو قبلها . قال ابو الريحان البيروني في كتاب الهند عند ذكر اعتقاد الهنود في الموجودات العقلية والحسية مانصه : (ان قدماء اليونانيين قبل ظهور الحكمة فيهم بالسبعة المسمين أساطين الحكمة وتهذب الفلسفة عندهم كانوا على مثل مقالة الهند وكان فيهم من يرى أن الاشياء كلها شيء واحد (وحدة الوجود) ثم من قائل في ذلك بالكمون ومن قائل بالقوة وان الانسان مثلا لم ينفصل عن الحجر والجماد الا بالقرب من العلة الاولى بالرتبة والا فهو هو ومنهم من كان يرى الوجود الحقيقي للعلة الأولى فقط لاستغنائها بذاتها فيه وحاجة غيرها اليها وان ماهو مفتقر في الوجود الى غيره فوجوده كالخيال غير حق والحق هو الواحد الأول فقط . وكانت هذه الآراء آراء (السوفية) أي الحكماء فان سوف باليونانية معناها الحكمة وبها سمي الفيلسوف أي محب الحكمة ولما ذهب في الاسلام قوم الى قريب من رأيهم سموا باسمهم ولم يعرف اللقب بعضهم فنسبهم بالتوكل الى الصفة وأنهم أصحابها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وصيره بعضهم من الصوف وعدل أبو الفتح البستي عن ذلك أحسن عدول في قوله :

العقلية والمادية ولكن الذي أعجزها وضاعت معه قوتها وحياتها هم الصوفية . فالصوفية هم في الحقيقة القوة الدالة على الحيوية والنماء في العالم الاسلامي فتراهم في افريقية

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا   قدما وظنوه مشتقاً من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتى   صافى فصوفي حتى لقب الصوفي

وكذلك ذهبوا الى أن الموجود شيء واحد وان العلة الأولى تتراءى فيه بصور مختلفة وتحل قوتها في أبعاضه بأحوال متباينة توجب التغاير مع الاتحاد (الحلول والاتحاد) وكان فيهم من يقول ان المنصرف بكليته الى العلة الأولى متشبهاً بها على غاية امكانه يتحد بها عند ترك الوسائط وخلع العلائق والعوائق (الرياضة والتجرد) . وكانوا يرون في الأنفس والأرواح أنها قائمة بذواتها قبل التجسد بالابدان معدودة مجندة تتعارف وتتناكر وأنها تكتسب في الأجساد بالخيرورة مايحصل لها به بعد مفارقة الابدان الاقتدار على تصاريف العالم ولذلك سموها آلهة وبنوا الهياكل بأسمائها وقربوا القرابين لها كما يقول جالينوس في كتاب الحث على تعلم الصناعات (أصحاب الكرامات) اه كلام البيروني

قالوا والوصول الى المعرفة عند الصوفية ليس من طريق النظر والتجربة بل من طريق الرياضة وكل مايفعله الصوفية الآن من الاهتزاز الشديد في الذكر ونحوه هو لتخليص النفس من الحس حتى تتجلى لها المعرفة بقدر ذلك ولا شك ان هذه جميعها عقائد وقواعد يجب الغاؤها لأنه لم يجيء بها كتاب ولا سنة .اه

أقول هذا تهور وخطل وبعد عن الصواب اذ كيف يجوز لمسلم أن يطالب ايقاف الحركة التي يعترف الافرنج أنفسهم بأنها الحركة الحية الوحيدة الباقية الآن في الاسلام والتي فتحت للاسلام الآن قدر مافتحته سيوف الفاتحين الأولين أما الطريقة لاصلاح حال الصوفية ونفي الضار عنها وإبقاء النافع فيها فهي ان نجعل (العلم) عندهم هو علم الشرع الاسلامي بلا زيادة ولا نقص و (العمل) يبقى موضوعه على ما هو عليه فيكون عبارة عن ارشاد المسلمين الى الشريعة المطهرة ودعوة غير المسلم الى الاسلام وبهذا يكون التصوف عبارة عن (علم بالشرع وعمل به) ويقوم مشائخ الصوفية اذن بركني التعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين حث عليهما الكتاب الكريم قال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وقال تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا

وفى الصين والهند وأواسط آسيا بل في جزائر المحيط يدعون الى الاسلام ويدخلون الافواج فيه كل يوم حتى ان الخطوط التي ترسم في افريقية لبيان حدود الاسلام وراء خط الاستواء تنقل متقدمة الى الجنوب في كل عام من أثر فتوحات مشايخ الطرق فى مجاهل افريقية . وما دخل الفرنسيس قرية فى الكنغو الا وجدوا الصوفية قد سبقوهم اليها وزرعوا بغض الناس لهم فيها • ومن اطلع على المؤلفات الكثيرة الأوربية التي تؤلف في هذه السنين في اوربا عن أحوال الصوفية وتاريخ الطرق وكيفية سير أهلها في الدعوة علم ان مسألة الصوفية هي المسألة الشاغلة للباحثين عن حالة الاسلام الماضية والمستقبلة

وقد بلغ من العناية بهم ان والي الجزائر كلف جمعية برئاسة (اوكتاف دوبون) عن البحث في احوال الصوفية ففعلت وطبعت اعمالها في مؤلف ضخم ورسمت خريطة عامة يتبين منها ما يوجد من الطرق والطوائف في كل بلد من بلاد الاسلام بعلامات مخصوصة حتى تستقصى منها حركاتها وتنقلاتها في الأقاليم اهـ

وقال دي كاسترى : « قد فطن المسلمون الى ما احدق بهم من الاخطار وارادوا تمكين الجامعة وتوحيد الروابط بينهم وهى عند المسلمين اشد قوة منها لدى غيرهم من الأمم التي تدين بدين واحد لأن القرآن شريعة دينية وقانون مدني وسياسي ومن ذلك وجدت حركة في النفوس غايتها مقاومة النصرانية بجميع الوسائل الممكنة وعلى الخصوص مغالبة التمدن الجديد باسم الايمان . قال القائد (رين) وتأتي قوة هذه الحركة الاسلامية من تعدد الطرق الصوفية التي وجدت من اول هذا القرن وعظم شأنها في جميع الانحاء وصار لها تأثير شديد في قلوب الناس ولهم رسل ومريدون يطوفون البلاد الاسلامية التي لاحد لها وغير الاسلامية كمبشرين او مستعطين او قاصدين للحج ويصلون بهذه الكيفية بين الأقطار من مكة الى جغبوب الى القسطنطينية وبغداد الى فاس وتنبكتو الى القاهرة الى الخرطوم الى زنجبار ثم كلكتا وجاوه ومنهم التاجر والمنجم وطالب العلم والشحاذ والمجذوب وكلهم يلاقون صدوراً رحبة ومنزلة كريمة بين المؤمنين» اهـ

قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون). وتكون جمعية الصوفية فى الدنيا أشبه بمدرسة عظمى فيها المشايخ والخلفاء أساتذة والمريدون من الكافة تلامذة قدوضعوا أنفسهم تحت التعلم ومراقبة العمل به مدى العمر اهـ مؤلف الرسالة

وقال (كونتانسون): نرى حركات كثيرة واعمالا كبيرة يقوم بها المهديون او الامراء في العالم الاسلامي ثم تزول كأن لم تكن • اما العمل الثابت الدائم فيه فهو عمل الصوفية فالفضل لهم في انتشار الاسلام شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً. وقال (شاتلييه) بعد ان اطال في وصف انتشار الاسلام في الدنيا وعزاه لمساعي مشايخ الطرق: «والخلاصة ان الاسلام مدين بكل فتوحاته السامية وانتشاره في الاقطار لجماعة الصوفية . فمشايخ الطريق هم في الحقيقة الذين يديرون حركة الاسلام الحية • ولا يخفى مافي عملهم هذا من الخطر على المصالح الأوربية »

(السبب الرابع) تعدد الزوجات وهو الامر الذى به يتفق للمسلم الواحد أن ينسل خمسمائة نسمة وفي الحديث « تناكحوا تكاثروا فانى مباه بكم الامم يوم القيامة » (١) وقال تعالى في حكاية دعاء ابراهيم واسماعيل : (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ)

قال دي كاستري أيضاً: « ومن الوسائل الناجحة في المسلمين لانتشار الاسلام الزواج فان سلاطين السودان يتزوجون من العائلات الوثنية لهذه الغاية ولا تمكث النساء وأولادهن حتى يصير الكل من أقوى الاسباب لانتشار الدين الاسلامي وقد أشار موسيو (رونان) الى ذلك في بعض كتبه حيث يقول (من الصعب ان يصم المرء أذنه اذا تقدمت اليه النساء والاطفال ومد كل يديه اليه وطلب منه ان اعتقد بمن تعتقد) على ان الزواج هو السبب فى وجود انصار الاسلام الاولين »

(السبب الخامس) — بغض الامم الوثنية للمسيحيين وميلهم الى المسلمين بالفطرة قال (كونتانسون): ان مما اعلى كعب الاسلامية على النصرانية في الصين عناية ملوك الصين بالمسلمين من قديم فهم يمنحونهم على الدوام من المراتب والألقاب والمنح مايمنعونه النصارى. وقال بعض الكتاب: «قدم الأوربيون بلاد الصين بجماهير المرسلين من كل ملة ونحلة وسهلوا لهم سبل التملك ووعدوهم بالمساعدة فادخل هؤلاء المرسلون بعضاً من أهل الصين في دينهم بعد ما وعدوهم بالحماية الاجنبية من كل سلطة للقانون لجرأهم ذلك على ارتكاب ماتحرمه القوانين والاعتداء على أهل البلاد فنجم عن هذا معظم الاسباب التي أوجبت كره أهل الصين للمسيحيين كرها يشبه التعصب

---

(١) المنار : رواه عبدالرزاق في مصنفه من حديث سعيد بن أبي هلال مرسلا بسند ضعيف. ولكن ورد بمعناه فى مكاثرة النبي الأمم والأنبياء بأمته مايقويه

وبالجملة إن الأروبيين القائلين بالمساواة يعاملون اللون الابيض من بني الانسان معاملة الاخ لأخيه واللون الاصفر معاملة الرجل لخادمه واللون الاسمر معاملة السيد لعبده ويطلقون الرصاصة على ذي اللون الاسود كما يطلقونها على الوحش الضاري فالانسان كلما مال لونه الى السواد كان نصيبه من هؤلاء الخذلان وفاحش الامتهان. ولهذا كان كره الأمم الشرقية لهم متكاثراً وحقدهم عليهم عظيما.

وقال (فيلكس مارتان) في كتابه عن اليابان مانصه : «وقد استأصل أهل اليابان جميع النصارى فلم يبقوا مبشراً الا شردوه ولا قسيسا الا قتلوه وكان قد تنصر من أهل اليابان ٣٧ الف نفس فاعدموهم قاطبة». وقال أيضاً: «ان الصبغة التي تغطي كل مشكلة أو ثورة في اليابان الآن لتجعلها مقبولة من الناس هى الحركة ضد الافرنج»

وقال أيضاً : « كل من زار اليابان من الاوربيين يعلمون بان الحالة اليوم كما كانت في الازمنة السابقة وان الافرنج في اليابان كأنهم فى دار حرب أو بلد عدو وانه لو كشف الغطاء عن الياباني الحالي وزخرفه لوجد انه ذلك (الساموري) القديم الذى يغلي دمه بعداوة الافرنج عداوة وراثية فيهم لافرق فيها بين الكبير والصغير والامير والحقير»

وقال هانوتو وزير خارجية فرنسا سابقاً في مقالته عن الاسلام: «وقد انبعثت شعبة منه في بلاد الصين فانتشر فيها انتشاراً هائلا حتى ذهب البعض الى القول بأن العشرين مليوناً من المسلمين الموجودين فى الصين لايلبثون أن يصيروا مائة مليون (١) فيقوم الدعاء لله مقام الدعاء (لسا كياموني) وليس هذا بالأمر الغريب فانه لا يوجد مكان على سطح المعمورة الا واجتاز الاسلام فيه حدوده منتشراً فى الآفاق. فهو الدين الوحيد الذي امكن اعتناق الناس له زمراً وأفواجاً وهو الدين الوحيد الذى تفوق شدة الميل الى التدين به كل ميل الى اعتناق دين سواه. ففى البقاع الافريقية ترى المرابطين وقد أفرغوا على أبدانهم الحلل البيضاء يحملون الى الوثنيين من العبيد العارية أجسامهم من كل شعار قواعد الحياة ومبادئ السلوك في هذه الدنيا كما ان أمثالهم فى القارة الاسيوية ينشرون بين الشعوب الصفر الألوان قواعد الدين الاسلامي ثم هو — أي هذا الدين — قائم الدعائم ثابت الاركان في اوربا عينها — أعني في الاستانة — حيث عجزت الشعوب المسيحية عن استئصال جرثومته من هذا الركن المنيع الذى يحكم على البحار الشرقية ويفصل الدول الغربية عن بعضها شطرين »

(١) المنار: جاء القاهرة في هذه الأيام تاجر بلوجي مسلم ذهب الى الصين مراراً فاكد القول بان مسلمي الصين يبلغون ٨٠ مليوناً. وان علماؤهم يهزأون بقول الاوربيين أنهم ٤٠ مليونا

وقال آخر : ان للاسلام في الصين أربعين مليوناً من النفوس وان للمسلمين عند أهل الصين منزلة علية. قال موسيو (واز يليف) وهو من الذين اشتغلوا بالاسلام في تلك النواحي: ان مصيره القيام مقام مذهب (سا كياموني) (١) وان لمسلمي المملكة السماوية اعتقاداً جازماً بأن الاسلام لابد أن يسود حتى تزول به تلك الديانة القديمة وهى مسألة من أهم المسائل اذ الصين آهلة بثلث العالم او تزيد فلو صاروا كلهم مسلمين لأوجب ذلك تغيراً عظيماً في حالة تلك البلاد باجمعها فيمتد شرع محمد من جبل طارق الى المحيط الأكبر الهادي ويخشى على الدين المسيحي مرة أخرى ومعلوم ان أمة الصين أمة عاملة وان هدأت أخلاقها وجميع الأمم تستفيد الآن من عملها فلو جاءها التعصب الاسلامي ذو البأس القوي لخشيت بقية الأمم من السقوط تحت سلطانها (٢) وقال موسيو (مونطيط) لقد صار من المحقق ان الاسلام ظافر لا محالة على غيره من الأديان التي تتنازع البلاد الصينية »

وقال شاتلييه (ان من تأمل حال الاسلام في القطرين اللذين هما آهل أقطار آسيا بل أقطار العالم — الهند والصين — يجد أن الاسلام وحده يتقدم وينمو على حين يرى غيره من الديانات القديمة تتداعى وتضعف والمسيحية لاتكاد تثبت)

وقال آخر بعد ان وصف فتوح الاسلام في الديانات الأخرى وعجز الآخرين عن الفتوح فيه : (ولم ير المبشرون في طريقهم بلداً قامت في وجههم سدوده وأقفلت دونهم أبوابه مثل بلاد الاسلام ومن الصعب أن يكيّف الانسان حالة مسلم يريد أحد المسيحيين أن ينصره حتى لو شبهناه بمسيحي مستنير يريد وثني أن يميل به الى عبادة الاصنام لكان التشبيه ناقصاً)

وقد ملأت هذه الفتوحات الاسلامية قلوب الامم الأخرى وبلبلت بالباهم حتى عدوها من الخوارق وبنوا أسبابها على ماوراء الطبيعة

(١) هو احد ملوك الصين تخلى عن الناس فى التاسعة والعشرين من عمره وعكف على العلوم حتى برع فيها وسمى نفسه (بودا) ومعناه العالم او المتنور ووضع المذهب الذى اتخذته الصين والهند ديناً وكان ظهوره فى القرن الحادى عشر قبل المسيح وقيل فى القرن السابع وهو الأرجح (٢) راجع كتاب موسيو دابرى المسمى الديانه المحمدية فى الصين وتركستان الشرقية المطبوع فى باريس سنة ١٨٧٨ اه من هامش كتاب الاسلام لدي كاستري

قال دي كاستري : « هذه هي أهمّ الاسباب في انتشار الاسلام ولست أدري ان كانت تكفي لإدراك سر هذا الدين في انتشاره أو انه يجب البحث معها عن أسباب سماوية غير ان الاسلام خرج من ذرية اسماعيل وسرى في الارض كما خرجت المسيحية من ذرية اسحق وقد بارك الله في أبناء الخادمة كما بارك في أبناء السيدة

« ونحن نعلم ان يهوذا قال لابراهيم عن اسماعيل انه سيبارك فيه ويكثر من نسله كثيراً وكرّر له ذلك بقوله انه سيبارك له في ابن الخادمة فتخرج من صلبه أمة كبرى لكونه من أولادك وأعاد يهوذا هذه البشرى مرة ثالثة لوالدة ذلك الطفل الذي نجا في الصحراء حيث رمي ليموت عطشاً وقصة ظهور الملك الى هاجر من أجمل الروايات ووصف بادية الظماء ولهف الام على ولدها من ألطف مايقال (نضب الماء في الزق ورمت هاجر الطفل تحت شجرة وابتعدت قليلاً ثم جلست أمامه على مسافة مرمى النبل وقالت لست أصبر ان أرى ابني يموت ثم رفعت صوتها بالبكاء وقد كان بكاء الطفل سبقها الى السماء فناجاها الملك من قبل الله : مالك ياهاجر لاتخافي فقد سمع الرب صوت الطفل من المكان الذي وضعتيه فيه فقومي وساعديه على القيام وليشتد ساعدك على حمله فسيكون من ذريته أمة كبرى)

« ولقد ارتعشت يدي عندما مددتها لأزيل الغطاء عن الكتاب المقدس كي أنقل الآيات التي سطّرتها ولولا ماقاله الاب بروغلي من أن تقدم الاسلام أمر مندرج تحت مابشر به أبو المؤمنين لما تجرأت ان أطبق تلك الآيات على الاسلام ولا ذهبت الى أن في انتشار هذا الدين سراً من الاسرار الربانية » اه

هذا ما أردنا بيانه في هذا الفصل ومنه يعلم أن حظ الاسلام من الارض أوفر حظ وان ارضه له لايمكن أن ينتزعها منه غيره وان عدد المسلمين كثير وان صفاتهم الفطرية قويمة، وجامعتهم الدينية عظيمة، وانهم يزيدون زيادة تستوقف الابصار، وتحير الافكار، وانه لايتسنّى لغيرهم أن يجاريهم في هذا المضمار • واذا كان الامر كذلك كان رأس مال الاسلام، من الاصلين الطبيعيين الضروريين لمستقبل الامم كبيرا في الحال، أكبر من غيره في الاستقبال، ولاينقصه الا الامور الكسبية والاسباب الوضعية التي لابد أن تدفعه طبيعة العمران لتحصيلها شاء أو أبى. فيصل الى ما قدره له الله من السعادة والعلاء والمجادة ولله در القائل:

لي في ضمير الدهر سر كامن لابد أن تستلّه الاقدار

﴿ الفصل الثانى ﴾

(في أسباب الانحطاط)

« الجهل »

اختلف العلماء وافترق العقلاء في أسباب انحطاط الأمم وارتقائها وانقسموا في ذلك الى فريقين وهما

(الفريق الاول) — يرى هذا الفريق ان الامم في ارتفاعها وانخفاضها أشبه بالانسان في أدوار عمره لا تكبره الإرادة ولا تضره الصنعة فهو اذا جاء زمن المشي مشى وحده واذا جاء زمن النطق نطق كذلك. وان الجمعيات الإنسانية مسيرة بناموس طبيعي كالناموس الذى يسيّر الكواكب في أفلاكها . وان الجمعية الحالية هي نتيجة ضرورية لماض طويل الأمد ، وأنها حاملة معها جميع بذور التحولات والأطوار التي لابد لها من المرور عليها في رقيّها وانحطاطها • وانه بذلك تكون الجمعية كالشخص لايبلغ سنّاً مالم يمر بالادوار التي تفصله عنه وان تأثير الانسان في هذا السير هو كتأثير الطبيب في سير المرض أي ضعيف لايذكر .

[الفريق الثاني] — يرى هذا الفريق ان الأمم مثل الشمعة المذابة تضعها في أي شكل أردت ، وتجعلها في أية صورة صورت ، وأن الإرادة تفعل في كيانها فعل الاكسير الذى يحول الترب تبراً . ورجال هذا الفريق هم أساطين الحكمة مثل (أفلاطون) و (أرسطو) و (ليبنيز) و (ليكورغ) • ولا حاجة في اطالة الكلام لترجيح الفريق الثاني في هذا المقام فان اليابان هي البرهان الذي لايختلف فيه اثنان.

***

ثبت عند كبار الحكماء أن الأمم يمكن رفعها وخفضها بالإرادة . أما الآلة الرافعة أو الخافضة لها فقد اتفقوا على انها العلم أو الجهل . قال ليبنيز الحكيم : « لو كان أمر التعليم موكولا اليّ لغيّرت وجه أوربا في أقل من قرن » وقال أيضاً : لو أجلنا النظر لألفينا ان تسعين في المائة من الناس هم فضلاء أو أرذلون نافعون أو مضرون بالتعليم الذي تعلموه وان كل مايوجد من فرق بينهم فسببه ذلك التعليم. وقال (ديدرو) علة العلل في ارتقاء أو انحطاط الأمم هو العلم أو الجهل وما عدا ذلك فاسباب ثانوية وعلل جزئية ترجع الى تلك العلة الاصلية

هذا وقد يدلنا النظر في حالة العمران ان العلم هو العلة التي تقوى بها أمة على أمة والجهل هو سبب انحطاط فريق عن فريق وبيانه أن هذه الأرض وان تنوعت أسماء أجزائها في المواضعة واختلفت الوان بقاعها في الخرائط فهي بسيط واحد فيه العامر والغامر والأمم فيه كأمة واحدة فيها القوي والضعيف . وقد أوجدت المصادفة بعض هؤلاء في حيز عامر مفعم بالنعم والبعض في حيز غامر مملوء بالنقم وجبل الإنسان على حب الأثرة لنفسه ولو هلك في ذلك أهل الأرض جميعاً . قال سهل بن هارون البخيل : « ليس لي من مالي الا ما منعته الناس ولو أمكنهم لنقضوا بيتي حجرا حجرا » فوقع بين القوم بسبب ذلك مايسمى بتنازع الحياة وهو في الواقع قتال بلا سيوف ورماح كل يطلب الطيبات لنفسه ، ويحرص على نزع ذلك من الآخر بقوة بأسه ، معمعة يعيش فيها الجليد، ويهلك الرعديد، ويحي القوي ويموت الضعيف . فلهذا احتاج كل واحد ان يكون أقوى من قرنه فتراجعوا في الأزمان الأولى الى القوة الجسمية حتى اذا سما العقل واستنبط من الأساليب ما طمس به قوة الجسم فزعوا الى القوة العلمية ولهذا قال بعض السياسيين : « الجاهل الآن كالأعزل في القرون الوسطى » . فمن كان اكثر علماً كان اكثر قوة فكان له الغلب والفلج على خصمه وقد يكون هذا التنازع جهرياً وهو معروف في تغاب الأمم بعضها على البعض بقوة الآلات المستنبطة والعدد المبتدعة وقد يكون خفيًّا وهو التناظر في سائر وسائل الحياة، فالأمم في الحقيقة جيوش متلاحمة ، ومقاتلة متحاملة ، كما قال المتنبي :

إنما أنفس الانيس سباع يتفارسن جهرة واغتيالا

فالجنود تقاتل الجنود والتجار التجار والصناع الصناع والزراع الزراع وهكذا . وكما ان الجندي اذا غالب الجندي وكان سلاح أحدهما المكسيم وسلاح الآخر الرمح غلب الاوّل لا محالة فكذلك الحال في سائر الأنواع الأخرى . وبقدر ما يكون في جميع طبقات الأمة من سعة العلم يكون غلب مجموعها على غيرها ولا يمكن أن يحط فرد واحد منها الا أثّر ذلك في كونها كما اذا وقفت بعوضة على طرف سفينة عظيمة أثقلتها وأمالتها حقيقة وان لم تدرك ذلك مشاعرنا .

ومن هذا يعلم ان جميع أحوال الأمة متوقفة على حالة أشخاصها من الجهل والعلم فان صلحت الأشخاص صلحت الأحوال والعكس بالعكس . وبهذا جاء القرآن الكريم قال تعالى : « إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ »

وقال تعالى : « وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ » وقال تعالى : « وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ » وقال جلّ شأنه : « ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ » وقال صلى الله عليه وسلم : « كَمَا تَكُونُوا يُوَلَّى عَلَيْكُمْ »(١) وفي معناه قول الحكيم (الأمة تعطى الحكومة التي تستحقها) وقال فولتير : « الظلم الواقع على الأمة عقاب لها على جهلها » .

ويعلم مما تقدم أيضاً ان الذين يعددون الأسباب الكثيرة في انحطاط الأمم او ارتفاعها إنما يذكرون أسباباً ثانوية لعلة أولى هي علة العلل وهي الجهل أو العلم . فمن جعل السبب محصوراً في الحكومة مثلا قلنا له ان الحكومة لا تكون الا على نسبة استعداد الأمة وما شذَّ عن ذلك لا حكم له بل لا فائدة فيه فقد رأينا ان المصادفة قد توجد حكومة فوق قدر الأمة فلا تلبث ان تتبدل بموت القائم بها أو نحوه باخرى تفسد كل ما أتت به الحكومة الأولى . وهكذا من جعل السبب في فشوّ العقائد الفاسدة في الأمة أو المبادئ التي تزعم انها من الدين وليست منه نقول له ان السبب هو الجهل بالدين وهلمجرّا

***

ثم ان العلم له نبعان في الوجود وهما الأنبياء والحكماء أي الدين والحكمة فنأخذه من الدين أولا ثم ان أردنا التفصيل في الفروع أخذناه من الحكمة . قال ابن مسكويه : « ان تحصيل السعادة على الاطلاق يكون بالحكمة وللحكمة جزآن نظري وعملي فبالنظرى يمكن تحصيل الاراء الصحيحة وبالعملي يمكن تحصيل الهيئة الفاضلة التي تصدر عنها الافعال الجميلة وبهذين الامرين بعث الله الانبياء صلوات الله عليهم ليحملوا الناس عليها وهم أطباء النفوس يعالجونها من أسقام الجهالة بالادب الحق لما يأخذونهم به من الاداب الصحيحة والاعمال النافعة ويطالبونهم بالاستسلام لهم بعد اقامة الحجة عليهم بالمعجزات فمن تبعهم ولزم محجّتهم وقف على الصراط المستقيم ، ومن خالفهم تردّى فى سواء الجحيم ، فأما من أحب أن يعلم صحة مادعوا اليه بالنظر الصحيح فانه يجد ذلك من جهة الحكماء » . ولا يقول قائل انه يوجد تباين بين الدين والعلم يتنافيان به فان ذلك غير صحيح وانما جاء لهم من أنهم حصلوا من الدين ما ليس منه أو اخطأوا مقاصده ومعناه . قال شيخ الفلاسفة فى هذا الزمان هربرت سبنسر فى كتابه (التربية والتعليم) مانصه :

(١) المنار : رواه الديلمي عن أبي بكرة والبيهقي عن أبي اسحق السبيعي مرسلا

« العلم عدو الاوهام المتداولة بين الناس باسم الدين ولكنه ليس بعدو للدين الحق الذى كثيراً ما تحاول هذه الاوهام ستره عن الابصار. نعم أنه يوجد شيء من العلم المتداول يظهر عليه مناقضة الدين ومعاداته ولكن هذا أيضاً من قبيل العلم الذى اكثره وهم اذ العلم الحقيقي الذى يغوص وراء حقائق الاشياء لا يناقض الدين كما قدمنا »

وقال (باقون) امام الفلسفة الحديثة : « القليل من العلم يبعد من الله والكثير منه يقرب منه » وقال (هكسلي) الحكيم الكبير : « الدين والعلم كتوأمين متلاصقين فصلهما يؤدي الى موتهما . فان العلم ينمو متى كان دينياً والدين يثبت متي كان علميا . وأهم آثار الفلاسفة انتجها أفكارهم بسائق دينيٍّ فى الحقيقة »

ولو تتبعنا جميع رؤساء الحكماء وأساطين الفلسفة العقلاء من سقراط وأرسطو وافلاطون الى كانت وديكارت وليبنيز وأمثالهم لوجدناهم من أهل الدين وان لم يتسموا بهذا لانهم يعتقدون بما جاء به الدين ويتخلقون بالحكمة التي أمر بها أن تكون . قال (كارليل) الفيلسوف في كتابه (الهيرو) : « قال (جوتي) اكبر شعراء الجرمان وقد وصف له الاسلام : ان كان هذا هو الاسلام افلا نكون جميعا عائشين فيه ؟ (ثم قال كارليل) نعم ان كل واحد منا عنده حظ من الفضيلة والكمال في الحياة عائش فيه » اه

ولا فرق مثلا بين قول سقراط : « يجب ان تعرفوا ان إلهكم واحد » وقول المسيح في الانجيل : « وهذه هي الحياة الابدية أن يعرفوا انك أنت وحدك الاله الحق » وقول الله سبحانه وتعالى « قل هو الله أحد »

وكل ما أدخل على الدين من تحريف الاصول الحقيقية والقواعد العامة التي فيه فانما جاء من فساد عرض أو عرام طرأ وهو منه براء . وهذه الاصول العامة التي هى عمد السعادة كما لا يختلف فيها الدين عن الحكمة لا يتباين فيها دين ودين بل الاديان فيها سواء . قال الله تعالى : « قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » وقال تعالى : « مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ »

***

اذا توضح ذلك وانه لا خلاف بين العلم والدين فلنبين هنا ماهية كل منهما ليس العلم هو هذه الابواب المحفوظة فقط التي يتسمى محصلوها بالعلماء عند المسلمين

الآن بل هو أوسع من ذلك رحاباً وأفسح مجالا ، هو معرفة حقائق الوجود جميعاً . وينقسم الى حكمة نظرية وحكمة عملية . وتنقسم الحكمة النظرية الى ثلاثة أقسام وهي (قسم العلم الإلهي) وهو ما لا يفتقر في الوجود الخارجي والتعقل الى المادة و (القسم الرياضي) وهو علم بأحوال ما يفتقر اليها في الوجود الخارجي دون التعقل و (القسم الطبيعي) وهو علم ما يفتقر اليها في الوجود الخارجي والتعقل . وتنقسم الحكمة العملية الى ثلاثه أقسام أيضاً (قسم الاخلاق) وهو علم بمصالح الشخص و (قسم تدبير المنزل) وهو علم بمصالح العائلة و (قسم السياسة) وهو علم بمصالح الامة ويدخل تحت كل قسم من هذه الاقسام جملة علوم كالرياضي يدخل تحته علم الحساب والهندسة والجبر والهيئة وكالطبيعي يدخل تحته الكيمياء والطب والنبات والحيوان والجغرافية والفلاحة الى غير ذلك بل كل واحد من هذه العلوم يدخل تحته علوم أخرى كالطب يدخل تحته التشريح والجراحة والكحالة وهكذا الى ما شاء الله . ولو أحصيت العلوم التي تقوم بها أعمال المجتمع الانساني الآن لاربت على ألف علم

وكل علم من هذه العلوم له وظيفة لا يقوم بها غيره فمثلها في جسم الاجتماع كمثل الاعضاء في الجسم لا تغنى فيه العين عن الاذن ولا اليد عن القدم وهكذا . فالعلم الآلهي أو الفلسفة الاولى هو أس العلوم في الحقيقة . سأل (رينان) السيد جمال الدين عن سبب عقم المدارس فى الشرق سواء فيها القديمة والحديثة فقال له السيد ان سببه فقد الفلسفة الاولى منها اذ هي للعلوم كالسلك للعقد او القاعدة للمسائل فإن فقد السلك تبدّد العقد أو عدمت القاعدة تناثرت المسائل

وأما العلم الطبيعي والرياضي فهما باب الارتزاق وسلم المدنية وعنهما يصدر كل ما نراه في الأمم المرتقية الآن من الحركة والعمران

وأما علم الاخلاق فهو طب النفس . ومن العجيب اننا نرى الانسان اذا أصابه دُمل في جسمه اسرع الى العلاج والطبيب وفى نفسه عشرون دمّلا لا يلتفت اليها وان انهكته في الحقيقة آلامها ولا سبب لهذا الا فقدان هذا الطب من بين المسلمين الآن مع نموه عند غيرهم من الامم وحسبك انه الف في مرض الارادة وحده عندهم كتب ذات أسفار .

ويجب ان يكون هذا العلم ملكة فى النفس كملكة النحو في اللسان حتى تنطبق أحوال المرء على قواعده بلا تكلف فتصير الفضائل — كالوقوف عند الاعتدال في الاعمال والحق في الاقوال والاعتماد على النفس ونحو ذلك جميعه — خلقا له وسجية طبيعية

واما تدبير المنزل فهو من أهم الأمور الضرورية لسعادة الأمة وذلك ان المنزل

هو المدرسة الاولى وبعده مدرسة التعليم ثم مدرسة الدنيا فان كان عمل الاولى مضاداً للثانية ضاعت النفس بينهما ضياع لب المأمور لآمرين مختلفين

وأما علم السياسة فهو طب الاجتماع الانساني وطالما أدى الجهل به الى شقاء البشر قال لوبون: إنك لا ترى أحداً لم يقرأ الفلك أو الجبر ثم يحاول حل مسائل فلكية أو معضلات جبرية ولا نرى أحداً كذلك لم يتعلم التشريح ثم يحاول ان يخيط عرقاً مقطوعاً مثلا ولكن نرى كل يوم رجالا لا يفقهون شيئاً من علم السياسة يسوسون الامم ويضعون القوانين ويسنون النواميس غافلين عن الاخطار والازمات التي تنجم من عملهم هذا مع ان خطأ الجاهل بالطب يودي بشخص واحد وهذا الخطأ يودي بأمة • وعلى هذا النحو فقس سائر العلوم والفنون

أما الدين فليس هو ايضاً ما يفهم الناس من أنه مجموع حركات بدنية فقط اولفيف أحاجي لا يصل اليها العقل بل هو العلم باقسامه الا انه أبعد غاية • ومقصده هو عين المقصد الذى وجد لاجله العلم اي ارشاد الخالق الى الحق ثم هدايتهم بقواعده الى كل ما فيه السعادة لهم الا ان الدين يمتاز على العلم بانه يجمع السعادتين سعادة الدنيا والآخرة وان العلم يرغّب في الفضيلة فقط وهو يقهر عليها قهراً ويرتب على ذلك ثواباً وعقاباً

ولتقريب فهم المقصود من الدين والانتفاع بما جاء به نفرض على وجه التمثيل أن الكتاب السماوي الكريم هو كتاب علم وحكمة ونقسمه في ذهننا الى الاقسام السابق ذكرها في تقسيم العلم • فنجد تحته قسم الإلهيات مفعما بما لا يصل البشر الى الاتيان بمثله ولا الوصول الى مثل تعبيره وتمثيله . قال سبنسر الحكيم في كتاب المبادئ الاولى: « لنعرف للدين الفضيلة الكبرى بأنه أول مادل على الله وانه لم يفتأ يعلن ذلك في كل زمان ومكان » • ثم اننا نجد الدين وان لم يتعرض لقسم الرياضيات والطبيعيات فقد حث عليها في جملة ماحث فيه من النظر فى الاكوان وكذلك وضع العبادات التي تحيي التوحيد في النفوس • أما الاخلاق وتدبير المنزل والسياسة المدنية وما يتبع ذلك من الاحكام فقد بلغ فيها غاية ليس وراءها مطلع لناظر وكانت عمومياته هي الاصل الذي فرع عليه الحكماء جميع ما أتوا به في هذه الابواب • وأما ما يقوله السفهاء من عدم موافقة بعض احكام الدين لسير العمران فهو خطأ ووهم اذ نراهم قد قهروا الى الرجوع الى كثير منها بعد أن انكروها قرونا عديدة

***

واذ قد تبين أن الجهل هو سبب الانحطاط وان العلم هو سبب الارتقاء على الاطلاق فهما فلم يبق خلاف في أن سبب انحطاط الأمم الاسلامية هو الجهل • ولو نظرنا نظرة واحدة في أحوال المسلمين لتبيّن لنا مقدار ذلك الجهل وآثاره السيئة فيهم

قلنا ان بابي العلم هما الدين والحكمة . أما الدين فلو حكمناه في نفوس أكثر المسلمين الآن وطبقناه على عقائدهم وأخلاقهم وأحكامهم لوجدنا لدى أكثرهم في محل كل عقيدة قرآنية أو خلق ديني عقيدة أخرى أو خلقاً آخر يكاد يضاد الاول على خط مستقيم • واذا كان الاول آلة للعلاء كان الثاني علة للانحطاط • ليس الغاية من الدين مجرد الانتساب اليه فان ذلك لا يهدي الى خير ولا يدفع عن شر وانما العمل والانتفاع بكل ماجاء فيه هو الذى يرقي صاحبه الى ذرى الكمال وذلك كالطب فإنه لا يكفي أن يعتقد الانسان انه نافع فيبرأ من مرضه وأوصابه وانما يحصل على ذلك باستعماله والائتمار باوامره والانتهاء عن نواهيه • ولذلك حرصت جميع الاديان على تبيان هذه الحقيقة للناس قال تعالى: « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ » وجاء في الإنجيل « وانه ليس الذين يقولون للمسيح ياسيدي ياسيدي يدخلون ملكوت الله بل الذين يعملون ارادة الله » ومهما قلبت بصرك لا تجد الدين في الغالب مستعملا فيما وضع له • فهو عند الخاصة موضوع مناقشات لفظية وصناعة فصاحة كلامية ومجال براعة في اختراع وجوه وتأويل مناحي وبعد عن مقاصد • وعند العامة دفتر تعاويذ ورقى وكتاب ترتيل وكلام يقال لكي لا يفهم حتى قال بعض الادباء: فات هؤلاء ان يفهموه الاحياء فهم يسمعونه الموتى في القبور « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا »

وأما العلم فحالهم فيه كحالهم فى الدين • فهم كل يوم يبعدون عنه ويقربون من نقيضه ولهذا تجد الكتاب عندهم كلما كان أقدم كان انفس وأجود بخلاف الأمم الحية فانه لا يقرأ الكتاب فيها اذا مضى عليه عشرون عاما

منذ كسرت أقلام المسلمين الاولين نرى العلم واقفاً بيننا لا يتحرك • أين الجماعات المشتغلة بالعلوم الآلهية ؟ أين منشئو المذاهب والآراء ؟ أين المحامون عن العقائد ؟ أين المؤلفون في الرياضيات ؟ أين المخترعون لعلوم لم تكن كالجبر والكيمياء ؟ أين من نقل فلسفة أوربا كما نقل أولئك فلسفة اليونان ؟ أين من شرح كتب كانت وديكارت مثلما شرح ابن رشد كتب ارسطو وابن كمونه كتب افلاطون ؟ أين من جمع علوم

الاوائل في سفر شامل كما فعل الفارابي في كتاب التعليم الثاني ؟ أين من ألف فوق مائة مؤلف في الطب كابن سينا والرازي ؟ أين من سافر لجمع غريب النبات وتدوينه كما سافر ابن البيطار الى بلاد الاغارقـة ؟ أين من جرب في الحراثة ودوّن كابي زكريا الاشبيلي الذى رقَّت تجاربه زراعة الاندلس . أين من ساح آسيا وأفريقية والجزر واكتشف البقاع ووصف المواطن كالحسن بن محمد القرطبي المعروف بالاسد الافريقي والبيروني والشريف الادريسي . أين أنواع العلوم الكثيرة التي يتداولهـا المسلمون ويؤلفون فيها والتي حصرها صاحب كشف الظنون في زهاء مائتي علم ؟ أين من دوَّن حوادث زمانه يوماً يوما وأخبار قومه خبرا خبراً باختلاف الروايات وتنوع الاسانيد . أين من وقف على حدود العلوم وزاد فيها على ما كان عند الامم . أين من طلب العلم للعلم وأراد به أن يعرف حقيقة يجهلها ولذة عقلية يحصلها . أ كثر ما عند المسلمين الآن اختلاف في اعراب البسملة وبيان وجوه الصفة المشبهة وأمثالها وشيء من الفقه يعلمونه ولا يعملون به وما عدا ذلك فقشور من العلم في المدارس الحديثة المقصود منها صنع موظفين للحكومات أو اجراء لبعض المهن كالطب والحقوق ونحوهما

هذه مصر وهي فى مقدمة بلدان الاسلام عمرانا وحضارة ورفاهية وشارة — تسعون فى المائة من أهلها اميون ولا يوجد الا واحدة فى المائتين من نسائها تقرأ الخط . فكيف حال المغرب والتركمان والعجم والسودان ؟ حيثما سرت واين اتجهت وقعت عينك على اناسيّ لو جردتهم فى الخيال من ألقابهم وأموالهم وحليهم لم يبق في يدك شيء . قال المعري :

لو يعرف الانسان مقداره ⁂ لم يفخر المولى على عبـده

لولا سـجاياه وأخـلاقه ⁂ لكان كالمعـدوم فى وجده

الناس أجمع فى حركة وعمل والمسلمون في سكون وسكوت كما قال تعالى « وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة » ولله در أبو تمّام حيث يقول :

أفكر فى احلامكم اين عُزّبت ⁂ فيصرعني طورا وأصرعه الفكر

اذا الوحي فيكم لم يضركم فانني ⁂ زعيم لكم ان لا يضوركم الشعر

الفصل الثالث في وسائل الارتفاع

(العلم)

اذا كان الجهل سبب الانحطاط كان العـلم سبب الارتفـاع . فلا تصلح أحوال المسلمين حتى تصلح نفوسهم توقف المعلول على العلة

ولكن ربمـا رأى الانسان الفساد الحال بالمسلمين في أنفسهم في أهلهم في أمتهم في دينهم فى دنياهم وقد سكن في كل عضو منهم علة ، وفي كل جارحة ألم ، وأزمنت الادواء واستطرقت الى بعضها حتى أصبحت كل عـلة تسوق عللا وكل مرض يهيج أمراضاً وغدا بينها شبه الدور والتسلسل. فيتيه في هـذا التيه ولا يدري كيف يسري وماذا يصلح وماذا يترك وأيّ دواء يستعمل وقد اختلفت الأمراض وتباينت الآلام فيقف حائراً بائراً يائساً يرى ان خلق خلقٍ جديد أهون من اصلاح هذا. فلمثل هذا الحائر المشتبه أضرب المثل الذى ضربه (فكتور هوجو) الشاعر الكبير قال : مثل سلطان الاستبداد مثل مصر بني على بطائح (النيفا) في الروسيا وقد جمد الناج ماءها فشـيدت القرى والمنـازل على الجليد وسارت العجلات ودارت حركة المعاش في الأسواق كأ كثر ما يكون وضرب الرجل برجله الأرض فوجد أصلب من الصخر لا تعمل فيـه المعاول ولا يقطعه الديناميت فقيل له ان هذا كله ظل زائل لا يلبث الا عشية أو ضحاها حتى يمحى فلا يكون له أثر فكذب وأنكر وهاله الأمر وبينما هو كذلك واذا بشعاعة من الشمس سالت على هذه الدنيا الصغيرة فاذا هي حلم حالم . قال (هوجو) هـذه الشعاعة هي (الحرية) وأقول انا هي (العلم) وقد بينا آنفاً ماهيّة هـذا العلم الذى ترقى به الأمة اذا أخذ كل منها بنصيبه منه . فنذكر الآن الوسائل اللازمة لإدخاله في أرض المسلمين . وهي تنحصر في (كيفية نقله) و (كيفية تعليمه) و (المال اللازم لذلك) و (من يقوم بهذا العمل)

أما نقل العلم وايجاده بين المسلمين فله طريقان وهما ترجمته الى لغات المسلمين أو تعليم المسلمين لغة من لغات العـلم (وهى الآن الفرنسية والانكليزية والألمانيـة) لتكون هي لغتهم العلمية ومن يقول بالوجه الأول يذكر انه هو السبيل الذى سلكته كل الأمم السالفة في نقل العـلم اليها كما فعل العرب في نقل عـلوم اليونان والسريان والكلدان وكما فعل الفرنج في نقل علوم العرب حتى انك لتجد الآن كثيراً من مؤلفاتهم المهمة مترجمة الى اللاتينية مطبوعة بها من قرون عدة مع فقدها من بلاد الإسلام ويقول هؤلاء : اننا اذا ترجمنا العـلم فقد نقلناه الينا وان تعلمنا اللغات فقط فقد نقلنا افراداً منا الى العلم . وأما من يقول بالوجه الثاني فيرى ان سير النقلة وسـير العلم في حركته كفرق ما بين راكب الناقة وراكب البخار فان بدءا من نقطة واحدة الآن فلا يلبثان أن يتفارقا فيسبق العلم النقل ويبقى الناقل أبد الابيد ذنباً له . وان أريد نقل

ما عند القوم من أول الدهر الى اليوم لزم لذلك خمسمائة عام يكونون فيها قد تقدمونا بمثل هذا القدر من السنين • ويقول هؤلاء :لهذا رأينا الأمم الآن غيرت الطريق الأول في نقل العلم الى هذا الطريق كما فعلت اليابان

وعندي انه يجب التوفيق بين هذين القولين فنجعل تعليم اللغة العلمية إجباريا وبهذا نعطي لكل واحد (مفتاح الجفر) ونرفع الستار عن عالم العلم • ثم نجعل التعليم والتأليف بلسان الأمة التي هو فيها • ومتى فعلنا ذلك امكننا أن نسير مع العلم اذ كتبه وحدوده التي هو عليها تصبح كتبنا وحدودنا وأمكننا أن ننقل منه ماشاء الله ان ننقل منه•

ولا يلزم أن نتعلم اللغة العلمية بحيث نحسن الكتابة والتكلم بها بل يكفينا القدرة على فهمها جيداً والنقل منها كما كان ذلك شأن النقلة الكبار مثل ابن ماسويه وحنين ابن اسحق ورفاعة بك والرشيدي صاحب المادة وامثالهم• ولو حفظ الانسان في كل يوم خمسة مصادر بمشتقاتها لكان رأسه في ختام السنة قاموساً

وانما يجب اذن أن نجعل اللغات الاسلامية في حالة يمكنها بها أن تكون لغة علمية وذلك بنقل ما جدّ من الالفاظ والاصطلاحات اليها وللوصول الى هذا نتخذ أحد المعاجم الموجودة بين أيدينا أصلا ونذيله بما استجد من ذلك ناقلين ألفاظ العلوم واصطلاحات الفنون كما هي بعد تحوير قليل تنتظم به في صيغ اللغة الأصلية . أما الجهد في سد هذا النقص بايجاد ألفاظ من متن اللغة القديمة تؤدي المعاني الجديدة أو استدراك ذلك بواسطة النحت أو الاشتقاق من الجوامد أو نحو ذلك فعبث ولالزوم له

* * *

وأما كيفية تعليم العلم وترتيب ذلك فأهم ما يجب أن يعمل فيه أن يكون التعليم عامّا اجباريا على ثلاث طبقات (ابتدائي وثانوي وعال) وان يكون التلامذة بقدر عشرين في المائة من عدد السكان . منهم واحد في المائة للمدارس العالية وسبعة في المائة للثانوية وما بقي فللمدارس الابتدائية . وان يكون الاساتذة على نسبة واحد لكل خمسة عشر تلميذاً في المدارس العالية وواحد لكل ثلاثين في المدارس الثانوية .ولكل خمسين في المدارس الابتدائية

وعلى هذا يجب أن تكون المدارس الابتدائية منتشرة في كل قرية انتشار المساجد والزوايا • والمدارس الثانوية في كل مركز .والمدارس العليا (أي الجامعة) في أمهات المدن

وينبغي أن تكون الغاية عند الكافة من طلب العلم أن يكون المرء سعيداً في رزقه سعيداً في نفسه وفي فكره وفي بيته وفي أمته لا ان تكون اداء امتحان واخذ شهادة

ثم ان جدول التعليم في المدارس (البروجرام) هو بمثابة الجوهر وكل ماعداه في مقام العرض فعليه يتوقف الفلاح في الحياة أو الخيبة فيها . وطالما حرص الفلاسفة على تبيان أهمية هذا الامر واهتمت به الحكومات . قال جان جاك روسو : « ان أكثر ماتتعلمه في المدارس كأنما نتعلمه لننساه لاغير ذلك اذ معظمه مما لا نستفيد منه في حياتنا مرة واحدة » وقال آخر : « الفساد في التعليم يفسد أمة بأسرها » وقال هربرت سبنسر الفيلسوف الانكليزي « لو لم يكن عندنا من العلم الا ما نعلّمه في المدارس لكانت انكلترا اليوم على ماكانت عليه في القرون الوسطى . فجميع ماعندنا من المعارف الكبرى التي صرنا بها أمة عظيمة في الدنيا لم تنشأ من المدارس المعدة لذلك بل من أكواخ حقيرة وزوايا مهجورة » وقال (كوريون) عن مدارس الصنائع في فرنسا: ان ثلاثة أرباع الوقت يضيع فيها سدى . وقال (هنري دوفيل) في جلسة عامة باكاديمية العلوم في فرنسا: « اني عضو في المدرسة الجامعة(كلية باريس) من مدة واني اليوم على وشك الاعتزال من الاعمال فأقول لكم قولا يجب أن يملأ كل أذن وهو انه مادامت هذه المدرسة على هذه الحال فلا تسوق الا الى الجهالة » . واذا كان الامر من الاهمية بحيث استدعى ايراد هذه الاقوال عن مدارس اوربا وجبان نجعله في المنزلة القصوى من الاهتمام به ولا نقلد تلك الأمم بنقل برجراماتها كما هي وقد سمعنا اقوال الفضلاء في قيمة تلك البروجرامات وقلة جدواها في التربية العامة

وليس لي ان اجزم هنا في مسألة هي الآن مشكلة الأمم ومختلف العقلاء وانما رأيي ان يكون التعليم الابتدائي محصوراً في الأمور التي يجب على كل امرئ ان يعلمها وهو علم (مايحفظ الجسم) كمبادئ قواعد الصحة والفسيولوجيا وعلم (مايحفظ النفس) كالاخلاق وما (يحفظ العائلة) كتدبير المنزل وما (يحفظ الأمة) كمبادئ السياسة والتاريخ ونحوه وما (يحفظ العقيدة) وهو مبادئ الآلهيات والحكمة الأولى التى هى سلك العلوم الحافظ لها من الضياع كما قدمنا ثم لابد له من علم (مايحفظ الرزق) وهو الزراعة أو الصناعة أو التجارة ومبادئ علم الاقتصاد والحساب الضابط للعمل

واما المدارس الثانوية فيتعلم فيها العلم الذى اختاره المرء لنفسه وما يلزمه من الفنون ولغة اجنبية من لغات العلم

ويتعلم التلميذ فى المدرسة العليا تفصيل ما اجمله فى المدرسه الثانوية . وتقسم حينئذ المدارس العليا (الكلية) الى اقسام كل يختص بعلم مخصوص .

والاختصاص بالفن الواحد من اهم الأمور في بلوغ الغايات في العلوم اذ العلم يعطيك من نفسه بقدر ماتعطيه من نفسك . ومما يجب تعويد الطلبة عليه السير مع العلم كل يوم وعدم الوقوف طول العمر عند مايتلقونه في المدارس وذلك بالاطلاع على فهارس (دور الكتب) والوراقين والوقوف على كل مايجد في الفن . قال برتلو الكيماوى المشهور: كنت أقرأ في كل عام فوق مائتي مصنف تنشر في الكيمياء وأحلل ما اجده منها في نفسي تحليلا كيماويا فيتيسر لي بذلك توسيع دائرة هذا العلم واكتشاف أمور كثيرة فيه

***

وأما المال اللازم لذلك فهو لايتجاوز ريالا واحداً عن كل شخص من الأمة وهو ثلث ما تنفقه أمة كالأمة المصرية على الخمر والدخان في كل سنة . والحصول على هذا المال يكون اما من طريق الحكومة بالطلب منها والالحاح عليها والاستمالة في ذلك . أومن طريق الأمة بالاكتتاب العام الدائم والحث عليه بالخطب على المنابر والجرائد وغيرها . وقد كان السيد جمال الدين رأى فى ذلك رأياوهو أن ينشأصندوق يسمى (صندوق المسلمين) يوضع في كل قرية وعلى كل طريق ومسجد ويجمع فيه المال لاصلاح أحوال المسلمين . ولا بأس من جعله تحت مراقبة ادارة رسمية لتزداد ثقة الناس به كما جعلوا صندوق التوفير تحت ادارة مصلحة البوسطة مثلا . على انه لايعدم الاسلام رجالا في هذا الزمان يقومون على قدم أبي بكر الصديق رضى الله عنه في سالف العصر من بذل كل أموالهم في تأييد العقيدة التى أخذوا بهاوالدين الذى انتسبوا اليه . روى مسلم في صحيحه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان من أمنّ الناس علي في ماله وصحبته أبا بكر)

أما البحث عمن يقوم بهذا الامر فهو أهم الابحاث وأس المسائل . الذي يقوم بهذا الامر إما الامة وإما الحكومة .أما الأمة فما دامت في الطفولية فلايمكنها أن تميز خيراً من شر أو ان تترك اللعبة وتشتري الكتاب . واما الحكومة فهي اما حكومة وطنية وهى في الغالب الآن مع الأمم الاسلامية في مقام السيد مع العبد فان تعلمت الأمة وارتقت أصبحت معها فى مكان الوكيل مع موكله وهيهات هيهات ان تساعد على ذلك . وأما

الحكومة الاجنبية فهى بمثابة الوصيّ الطماع مع القاصر الغني فمصلحتها ان تحول بينه وبين الرشد دائما (١) وإذ قد نفضنا أيدينا من هؤلاء جميعا فلم يبق امل يرجى وأمنية تنتظر الامن فئة قليلة بلغت الرشد فعرفت الحال والمآل اعني بها (عقلاء المسلمين) هذه الفئة هى المسأولة وحدها ولا مسؤلية على عامة الأمة « ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج » وهؤلاء العقلاء بالنسبة الى بقية الأمة القاصرة فى مقام الاولياء فهم المسأولون عن خيرها وشرها ونفعها وضرها

لاسبيل الى نجاة المسلمين وإعلاء كلمة الاسلام الا أن يؤلف هؤلاء العقلاء في كل قطر جمعية يسمونها جمعية (مستقبل الاسلام) وان يؤلفوا جمعية أخرى عامة تضم هذه الجمعيات تسمى (المؤتمر الاسلامي) ينعقد فى مكة أو في أي مكان يتفق عليه كل سنتين مرة ويكون أعضاؤه مندوبو جمعيات الاقطار المختلفة ووجهته اصلاح

(١) يقول بعض السذج من البسطاء لا حاجة لاهتمام المسلمين بأحوالهم اذ الافرنج لابدان يسوقهم دافع المدنية وروابط الانسانية الى أن يحتلوا بلادهم فيصلحوا احوالها وينظموا أعمالها كماذ كر ذلك (روسفلت) رئيس جمهورية الولايات المتحدة فى خطبة له قال فيها : (ان داعي الانسانية يضطرنا الي احتلال البلاد الضعيفة والتغلب على الأمم المنحطة لنرتب احوالهم ونصلح اعمالهم ونرقيهم حتى يصبحوا مثلنا تماما وما نأخذه في اثناء ذلك من المنافع هو اجر ذلك العمل) .اقول ان هذا تغرير للابصار، وتضليل للأفكار. اذ الافرنج قد يصلحون الأشياء لا الأشخاص ومثل هذا الاصلاح لايفيد المسلمين وهم في حالة الانحطاط بل هو اشبه بالثياب المهندمة التى يضعها الباعة على تماثيل الخشب. زخرف على تربة ،ونقش على خربة. فان الأمة لايمكنها ان تنازع غيرها سبل الحياة الا بنفسها فاذا فقدت نفسها فهي فاقدة لكل شئ . ولا ترجع فائدة هذه الاصلاحات الا على الافرنج انفسهم فمثلهم فيه مثل من يعمر البيت بأجرته ثم يسكنه مدة طويلة حتى اذا خرج منه يوما كان البيت قد عاد الى حالته الاولى .

اما اصلاح الاشخاص الذى هو أس كل اصلاح حقيقي فهو مالا يفعله الافرنج بل ما يدأبون في الغالب لصده ورده. قال بعض نبهاء التونسيين وقد سئل عن حال بلاده (تقدمت البلاد وتأخر اهلها) ولا عجب في ذلك كله ما دامت سنة الاجتماع قد قضت بان تكون حياة القوي فى موت الضعيف اه لمؤلف الرسالة .

أحوال المسلمين ونشر التعليم الذي هو وسيلة ذلك

أي دولة قامت. أو راية نصبت، أو أمة خلصت، أو وحدة تألفت، الا بالجمعيات، الجمعية عامل لايموت وأمة في واحد • هل اجتمعت الوحدة الايطالية أو تهيأت الجامعة السلافية والجنسية السكسونيـة ، الا بالجمعيات السرية او الجهرية . هـذه الأمة الارمنية والطائفة المقدونية والفئة الكريتية على صغرها في الوجود، وكونها لاتكاد تذكر بين كل موجود، تعمل اعمال الجبابرة في الخلاص من حضيض الأسر، الى اوج النسر، والأمة الاسلامية التي ملأت المشرقين والمغربين تنتفض انتفاض الطائر في شباك الصائد ولا تعمل للنجاة عملا . وكيف ترجو الوصول الى الغاية وهي لاتنقل اليها قدماً ، ولا تحرك شفة ولا قلما ، ومن طلب شيئاً وجده ، ومن تركه فقده .

ولا يعتذر الجبان المفقود القلب بان عقد هذه الجمعيات مما يتعذر حصوله في البلاد الإسلامية الآن اذ اي جمعية انشئت لمثل هذا الغرض فلم تقابل بالكفران ، وتحط بالنيران ، ولكنها العزيمة التي ترى ان الموت في حياة الامة خير من الحياة في موتها وانه لا محيص من الصدر او القبر • على ان كثيراً من بلدان الاسلام الآن مفتوحة الابواب لمثل هذا العمل واخصـها الممالك التي احتلها الانكليز ويقرب سكانها من نصف المسلمين (١) على ان الممالك الاخرى متى علمت ان المقصد من العـمل هو التعليم والتربية . لايكون لها مجال في منعه . فان منعته في الجهر فهـل يمكنها أن تمنعه في السر ؟ وان أمسكت الأفواه فهل يمكنها أن تضبط القلوب

اما اولئك الآخرون الذين تراهم ينذرون بفناء الاسلام وانتهاء امده ويستدلون

(١) أوجـه كثيرة كانت تحملني دائماً ان أجزم بأنه من الضروري للمسلمين أن يتفقوا مع الانكليز في السياسة العامة سوا في ذلك الذين تحت سلطهم والذين تحت سلطة الدول الأجنبية الأخرى والمستقلون •

أما الذين تحت سلطهم فيجب عليهـم ذلك لأسـباب كثيرة منها أن الانكليز يطلقون في مستعمراتهم حرية الدين والتعليم والقول والتجارة ويكتفون من الفائدة بأن تكون البلاد سوقاً لتجارتهم ومجالا لارتفاقاتهم المالية • ولاشيء أنفع وأجدى على الاسلام من هذه الحرية التي لاتوقف نموه الطبيعي ولا يخشى عليـه أكثر من وقوف القوة أمام ذلك النمو •

على ذلك بالاحاديث الموضوعة والاقوال التي لفقها اعداء الدين قديماً لادخال اليأس على قلوب المسلمين فيجب أن نسد افواههم ونوجع اقفاءهم ونتلو على اسماعهم قول الله تعالى : « هو الذي أرسلَ رسولَه بالهُدى ودين الحقّ ليُظهِرَه على الدّين كلِّه ولو كرِه المشركون » وقوله تعالى : « يريدون أن يطفئوا نورَ الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يُتمَّ نورَه ولو كرِه الكافرون »

ايها المسلمون جدُّوا في هذا امر لتجدُوا ، وموتوا فيه لتحيوا . واعرفوا قومكم قبل ان ينكروكم ، واحفظوا بلادكم قبل ان تضيعكم . قد حدثت فيكم حركة عامة فأيدوها

ومنها انه يمكن للأمـة الاسلاميـة اذا ارتقت ان تخلص من نير الانكليز بالاتفاق او بالقوة اذ قوة الانكليز البرية ضعيفة • وقد صعب عليهم ان يخضعوا ثلاثمائة الف من البوير اخيراً فكيف يخضعون ثلاثمائة مليون اذا اصبحوا مثل البوير

ومنها انه اذا لم يكن الانكليز بين ظهرانيهم فلابد أن يكون غيرهم من الامم الاجنبية اذ الضعف الذى هو علة تسلط أولئك لم يفارقهم فان تسلطت عليهم دول أخرى كالروسـيا في آسيا أو المانيا وفرنسا في افريقيا ودهمتهم بما عندها من الجند الذين لايقلون عن خمسة عشر مليوناً فقل على المسلمين السلام •

على انها اذا لم تنكل بهم فانها تسد ابواب الحرية الدينية والسياسية في أوجههم هذه بعض بلادهم ابطل منها الحج ، وبعضها لاتدخلها جريدة اسلامية حرة كالؤيد وتركستان لايقرأ في مدارسها آي الجهاد من كتاب الله ، وجاوه اصبح المسلمون فيهامن الضغط والاهانة في مرتبة الحيوان الاعجم •

وأما المسلمون الذين تحت سلطة الدول الأخرى — فللاسباب المتقدمة جميعها ولأن مصلحة الانكليز في خلاصهم من يد تلك الدول وهي أقدر الناس على هذا في الحقيقة اذ هذه الدول (ماعدا الروسيا) لاتصل الى ممالك الاسلام الا من طريق البحر ومفاتح البحر في أيدي الانكليز •

واما المسلمون المستقلون فيجب عليهم الاتفاق مع الانكليز ايضاً لأوجـه منها ان مصلحة الانكليز تفضل بقاء هذه الممالك مستقلة غير محكومة بدولة اجنبية وذلك لان روح هذه الأمة التجارة وما دامت الممالك الاسلاميـة مستقلة فابواب التجارة مفتوحة وطريقها مأمونة فان احتلتها دولة اجنبيـة فهنالك المخافة والخطر • ولهـذا

وتحملوا فيها الاذى . هذا صوت القرآن يناديكم . وداعي الله يستدعيكم « ياقومنا أجيبوا داعيَ الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويُجِرْكم من عذاب اليم »

﴿ الهدايا والتقاريظ من باب الآثار الأدبية ﴾

(اللؤلؤ النظيم . في روم التعلم والتعليم) كتيّب لشيخ الاسلام زكريا الانصاري المتوفى سنة ٩٢٦ ذكر فيه شروط الاشتغال بالعلم وآفاته . ثم ذكر العلوم المعروفة في العربية وتعريفاتها . أما ماذكره من الشروط والآفات فهو حسن جداً . وياليت أهل الازهر يتدبرون قوله ويسيرون على منهجه كما يقرأون منهجه في الفقه وغيره من كتبه . فقد ذكر من الشروط أن يقصد بكل علم ما وضع له وهم يقصدون بكل علم المناقشة بعبارات كتبه . وذكر منها أن يشتغل كل طالب بالعلم الذى يميل اليه طبعه لان كلاً ميسّر لما خلق له وهم لايراعون هذا . وذكر منها اختيار الكتب الجيّدة وهم قد التزموا كتبا مفضولة لاحجة لهم على اختيارها الا تقليد الآخر لمن سبقه في ذلك . وذكر منها أن لا يدخل علماً في آخر وهذه الحواشي التي التزموها قد امتزجت فيها العلوم امتزاجاً ، فصارت أخلاطاً وأمشاجاً

واما ماذكره فى تعريفات العلوم وفوائدها فقد جرى فيه على المعروف عند اهل

السبب كان الانكليز احرص الناس على مساعدة هذه الممالك على التقدم والنجاح والبقاء ومن رأى مخاطبات السير ليارد سفير انكلترا للباب العالى بعد الحرب الروسية وجد غيرة كبيرة على مستقبل الدولة

أما استيلاء الانكليز أنفسهم على بعض الممالك الاسلامية فهو في الغالب لتحققهم وشك وقوعها فى أيدي غيرهم ان لم يسبقوا اليها . على أنه لولا دماء الانكليز وأموالهم لاستولى الروس على القسطنطينية وعلى العجم والافغان وملكت فرنسا مراكش والطليان طرابلس وهكذا . ومن هذه الاسباب يعلم ان الممالك الاسلامية محتاجة في كل وقت الى عضد قوي تتقي به أوربا . والانكليز هم أولى الناس بهذا اذ تجمعهم مع الأمة الاسلامية كراهية أوربا للفريقين وكراهتهما لها

هذه هي أفكاري في هذا الموضوع ولولا ان هذه المسألة جوهرية بالنسبة الى مستقبل الاسلام لما احتجت للتعرض لها في هذا المقام . اه لمؤلف الرسالة

عصره فى الغالب وفيه خطأ وقصور من اغرب ذلك قوله فى الكيمياء : « علم بأصول يعرف بها معدن الذهب والفضة » وقوله : « علم الهيئة علم يعرف به الاجرام البسيطة من حيث كمياتها وكيفياتها وأوضاعها وحركاتها اللازمة لها »

(تعريف اصطلاحات علم الاصول) رسالة أو مقدمة للشيخ زكريا الانصاري أيضاً ينبغي لمن يبتدئ بتعلم الاصول الاطلاع عليها فانها تؤنسه بتلك الاصطلاحات على ما فيها من خطأ وقصور . ومن غريب ذلك قوله في تعريف المعدوم : « ضد الموجود » مع قوله عقيبه : « الضدان أمران وجوديان يستحيل اجتماعهما في محل واحد » وهذا يفيد أن المعدوم من الامور الوجودية ! ! ومنه قوله : « الذاتي ما يستحيل فهم ذاته قبل فهمه » ومنه تعريفه العدل والعدالة بالاعتدال والثبات على الحق . وانما نبهت على هذه الاغلاط لألفت طلاب الازهر الى عدم التسليم بكل ماقال الشيوخ المؤلفون لانهم ألفوا وماتوا . هذا وقد طبع الرسالتان أو المقالتان أو الكتيبان الشيخ أحمد عمر المحمصاني الازهري وجعل لهما مقدمة وخاتمة فكان جميع ذلك ٣٦ صفحة صغيرة ولكن الثمن أصغر من ذاك فهو نصف قرش صحيح

(المعلقات السبع) هي أشهر من أن ينوّه بها فما من مشتغل بالعلم الا وهو يعلم أنها أبلغ ما يؤثر عن العرب في الجاهلية وأنها يحتاج اليها في اكتساب ملكة فصاحة اللسان وذوق اللغة ولكن نسخها التي في الايدي غير موثوق بضبطها وصحتها لذلك انبرى الشيخ احمد عمر المحمصاني الى تصحيحها وضبطها على الشيخ محمد محمود الشنقيطي وهو كما يعلم القراء امام اللغة في هذا العصر وقد طبع النسخة المصححة مضبوطة بالشكل وذكر في هامشها اختلاف الروايات وأضاف اليها القصيدة المعروفة بلامية العرب مضبوطة مثلها وجعل ثمن النسخة من الورق الابيض الناعم قرشين صحيحين والنسخة من الورق الباقي قرشاً ونصفا فنحث كل مشتغل بالعربية على حفظها بهذا الضبط والتصحيح . ويا حبذا لو كان أضيف الى ذكر الروايات تفسير الغريب

(سفينة النجاة في قواعد النحاة) اسم لكتاب تعليمي مؤلف من أجزاء طبع الثالث منها أخيراً طبعاً حسنا مضبوطاً بالشكل على ورق حسن وهو أوسع من كتاب النحو الرابع الذى يقرأ في المدارس الأميرية اومثله لكنه أكثر تمريناً فهو خير كتاب رأيت في تسهيل تعليم النحو . ومما رأيته منتقدا فيه ذكر جمل فاسدة في التمرينات لأجل اصلاح التلامذة لها وعندي ان هذا مما يترك للمعلمين ولا يكتب فى الكتب . والخطب سهل . ومنه ذكر بعض الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والحكم المأثورة مع تصرف

فيها بالزيادة والنقصان أو التبديل والتغيير والمعنى صحيح. ولعل المؤلف يعتذر بأن هذا من قبيل الاقتباس الذى اعتادوا التصرف فيه بالمأثور وهو عذر يقال وانما انتقدت لأن القارئ يقع في الوهم من ذلك السرد الذى ليس مظنة للاقتباس اذ لم يعتمد في مثل هذا المقام. أما مؤلف الكتاب فهو أحد (الفرير) وقد أشار الى اسمه بهذه الاشارة (ح ط ٠) وأتبعها بهذه العبارة «مفتش اللغة العربية في احد المدارس الكبرى بالقاهرة»

❊ المنار وجريدة «تربيت» الفارسية ❊

جاء في جريدة تربيت الفارسية التي تصدر في طهران تحت عنوان (مجلة المنار) ما ترجمته

ان العلوم والمعارف في هذا العصر قد بنيت في عمدة أقسام الدنيا كما ينبغي أن تبنى، وأحكمت كما يجب أن تحكم، ولم يبق الا القليل من الأمكنة التي يعيش أهلها بالأوهام الباطلة، والخيالات الواهية، جاعلين عنان اختيارهم بأيدي اهواء مختلفة، ورياح متناوحة، يسلكون المناهج المظلمة عُمْياً لا يبصرون

ان معارف الفلاسفة الأقدمين وأفكار العلماء العرفاء من أهل القرون المتوسطة قد اصبحت مفاتح لحكماء هذا العصر الجديد حتى سهل لهم بها تذليل الأقفال الصعبة، وفتح الابواب الموصدة، واصبح عمر الانسان القصير من جراء هذه الاكتشافات يعد بالألوف من السنين. والعالم يفهم ان معنى العيش وحقيقة الحياة هو العلم ومن فوائد العلم القدرة على العمل ومن لا علم له لا قدرة له

والاشياء التي يرومها الجاهل في عمره ويرجو ان يدفع بها آلامه واوجاعه هي التي تولد الامراض، وتضاعف الاوجاع، فحكمها حكم الخمرة التي يشربها الشارب في جنح الليل لصدع همومه فيحدث في صباحه ما يكثر همومه من الصداع والكسل قال احد عبدة الخمر: إني لم اشرب في عمري غير جام واحد لترويح النفس وكل ما شربته بعد فانما كان لدفع ما اورثته تلك الكأس من الخمول والخمود

لا نبعد فالغرض هو العلم اذ به اصبحت أكثر الممالك في هذا العصر جنات دانية الجنى وقد تسلسلت أنهار الفضل بعضها وصيرت السراب بحراً متدفق الجوانب بالأمواه العذبة. وأحد تلك البحور الزاخرة التي ليس لها ساحل هو وادي النيل وكرسي الفراعنة الذي صار حقيقاً بأن يدعى في عصرنا هذا بعرش الحكمة. وأي دليل على ما نقوله أقوى من وجود منبع الفضل العلامة الأوحد مولانا الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية — متعنا الله بطول حياته — في الجامع الازهر في القاهرة

(الجامع الازهر هو مدرسة تحتوي على آلاف من الطلبة مشغولين فيه بتحصيل العلوم) وقبل هذا كثيراً ما تكلمنا عن الجرائد والمجلات المصرية وانما نكرر الحديث فيها حتى لا نكون مدينين بشيء لشرح هذا المطلب المهم ولا يفوتنا مستحب مؤكد بل فريضة لازمة.

في هذا الاسبوع وردت على ادارة التربية (مجلة المنار) ففاز رواد المعارف الذين هم في حوزتنا الصغيرة من مطالعة تلك المجلة باكبر المنافع وبها عرفنا منزلة صاحبها سيد الفضلاء الاستاذ الالمعي السيد محمد رشيد رضا ومقدار ما عليه حضرته من الفضل والادب

أقول: لم يبق في هذا العصر للأمة المصرية شيء يمنعها من بلوغ مقاصدها السامية فإن أسباب الكمال مجموعة لديها فكتابها مثل السيد ومحررو أخبارها من ذكرنا قبلُ ومرشدها فيلسوف مثل فضيلة الشيخ الأجل الشيخ محمد عبده (شكر الله مساعيه) ودار كتبها الشهيرة (الكتبخانة الخديوية) لا يحيط بها الوصف. فاذا لم يصل أولئك القوم الى أقصى درجات العلم والحكمة فلا أدري من أي جهة يكون التقصير وما هو السبب فيه

المنار مجلة علمية أدبية تهذيبية ملية وفيها أخبار متنوعة تصدر في غرة كل شهر وفي السادس عشر منه. هي جنس يجب أن يشرى بالروح. ومن زينة الحياة الدنيا أن هذه المجلة الواحدة تكفي وتغني. إن ما يسطر فيها يمزج بماء الحياة ويشرب فهو ينقذ من مخالب الاستسقاء المهلك ويحيي الروح وينجي من الموت ولم يؤلف كتاب ولا رسالة أحسن من مجلة المنار لاجل الوصول الى الحقيقة ومزايا الاسلام. ولو أن ابن خلدون الحضرمي كان حيًّا لعلم ما أقوله وأثبته

في كل مقالة من هذه المجلة الغراء أثر من طيب ريحانة الفاضل الخبير. والنحرير الذي ليس له نظير، رئيس معاهي قاموس كل علم، علم الأعلام، سند الإسلام، فضيلة الشيخ محمد عبده دام علاه، الذى هو كمال المشرق والمغرب وجمالهما. واذا راقت الآراء المعدودة من حكمائنا في اعين العرفاء من الإفرنج فاول تلك الآراء هي تصورات ذاك المولى الكبير — أعني الشيخ محمد عبده جعل الله الى اعلى المقامات منتهاه والى أعظم البحور طريقه

ومن هذه الجملة أستنبط حسن حظ المصريين الذين هم اخواننا المسلمون واعلم ان شكر هذه النعمة من الواجب. وبعد الاسف الكثير على حال المسجونين في ظلام الجهل أقول: بخ بخ لمصر التي منحت فوق دار الكتب ودار الآثار والعاديات والمدارس كنوز معارف من المجلات المضيئة المفيدة. وما أطيب زمن طلاب جامع

الازهر إذ يحكمون مباني عقولهم وأفهامهم وينورون ساحات قلوبهم وأبصارهم بسماع حكمة تلك الكلمات والآيات وجواهر أحاديث الفيلسوف الأعلم، الجناب المستطاب المعظم. الشيخ محمد عبده سلمه الله تعالى • يحسن من أهل بلادنا أيضاً أن يطلبوا مقدارا من هذه المجلة ويسرحوا النظر فيها واذا نشأ عن ذلك خطايا فخطاياه في عنقي •

طالت حياة شيخنا الاجل الشيخ محمد عبده اذ فيها خير المسلمين • وانشاء الله سنزين أوراق «التربية» بشرح ذلك مع الفوائد العظيمة من مجلة المنار

(المنار) لقد سبق ان قرّظ المنار من علماء الاقطار وفي خير الجرائد والمجلات العلمية في مصر وغيرها ولم ننقل من ذلك شيئاً لاننا نرى أن ناقل مدحه كمادح نفسه بنفسه ولكننا عنينا بتعريب ما كتب في هذه الجريدة (تربيت) ونشرناه لا لأن صاحب الجريدة من أكابر العلماء والفضلاء، وخيرة الكتاب البلغاء، ولا لان الجريدة لها المكانة العالية في نفوس كبراء الفرس وفضلائهم كما أخبرنا بذلك صديقنا ميرزا مهدي بك صاحب جريدة «حكمت» الغراء، بل لان صاحبها على مذهب الشيعة فأحببنا أن يعرف قراء المنار من أهل السنة ان من فضل الله تعالى على الاسلام والمسلمين ان نزع من قلوبهم في هذا العصر تلك التعصبات والتحزبات التي خضدت بها من قبل شوكتهم، وفرقت كلمتهم، فذهبت ريحهم، وخبت مصابيحهم، تقشعت الظلمات وانجلت الغياهب عن فضلاء الامة فأبصروا ان مصالحهم واحدة لان جامعتهم واحدة وهي جامعة الدين الحق الذي جعلهم اخواناً • صار المسلم في فارس يفرح لاخيه المسلم في مصر اذا أحسن عملا ويحزن لاخيه في مراكش اذا أساء صنعاً، وكذلك حال المصري يبتهج بما يسمع من حسن حال اخوانه في ايران، ويستاء اذا هضمت حقوقهم في بلوجستان، الا ما يلغط به بعض الاحداث، وان لم يصادف أقل اكتراث، فلا وطنية ولا عصبية، في هذه الديانة الاسلامية، وعلى كل حال يجب أن نشكر لأخينا صاحب جريدة (تربيت) حسن ظنه بنا وبالمنار على ضعفنا وتقصيرنا. أما ما قاله في الاستاذ الامام، فهو الذى اتفق عليه ذوو الافهام؛ ولكن الشرط في حصول المراد، هو كمال الاستعداد

﴿ باب الأخبار والآراء ﴾

(مدرسة الشوربجي في كفر الزيات) — الناس معادن والاستعداد للخير يظهر أحياناً في أفراد لايهتدي أحد من الناس الى السر في ظهوره فيهم لأنهم لم يمتازوا في تربيتهم امتيازاً يرفعهم عن قومهم فيسند الى تلك التربية ماينفدعون الى القيام به من

الاعمال النافعة والمشروعات العامة • وانما يتعلل علماء النفس والاخلاق في التعليل بأن ذلك الاستعداد جاء من الوراثة لأحد الأجداد السابقين وفاتهم ان لله في بعض البشر عناية أزلية، وفي بعض القلوب الهامات خفية، وليس هذا وذاك من الشذوذ عن النواميس الفطرية، ولكنه غير معروف بالتحقيق والتعليل الصحيح عند علماء النفس

مصطفى بك الشوربجي تربى في الحقول والمزارع لافي المكاتب والمدارس وهو لايقرأ الكتب والجرائد التي ترغب في انشاء المدارس والمستشفيات • وقد وفق منذ سنين الى انشاء مستشفى ومدرسة للبنين والبنات في بلده (بمديريه البحيرة) وأوقف عليهما من الارض مايفي ريعه بنفقتهما ثم انه لما صار يتردد الى بلدة كفر الزيات (بمديرية الغربية) لمعاهدة أراضي اشتراها فيها ورأى انه ليس فيها مدرسة للمسلمين شرع في بناء مدرسة للبنين والبنات فيها وبناء بيوت بجانبها توقف عليها. وكان يوم الجمعة الماضي يوم الاحتفال بالتأسيس وكان رئيس الاحتفال عدلي باشا يكن مدير الغربية وحضره كثير من الوجهاء والفضلاء • وبعد ان وضع المدير الحجر الأول في الأساس على الطريقة الأوربية الجديدة دعي كاتب هذه السطور الى الخطابة فقام وقال مافتح الله به من بيان حسنات العلم ومنافعه في الزراعة والصناعة والتجارة وكل أعمال الحياة الاجتماعية لاسيما جمع كلمة الأمة وتوحيد مصالحها ومنافعها الذى يحقق به معنى الانسانية • ثم بيان أن نشر العلم الذي له هذا الشأن في الحياة هو أفضل الفضائل على الاطلاق حتى ان إنشاء المدارس له أفضل من انشاء المساجد • ثم الانتقال الى حث الاغنياء على انشاء المدارس وبيان ان جميع طبقات البشر متقاربون فى اللذات الحسية وان أوهمت المظاهر الصورية خلاف ذلك فلم يبق من فائدة للاستزادة من جمع المال الا الشرف وكان فى أيام الجهل محصوراً فى الإنفاق على احتفالات الاعراس والمآتم ونحوه ولكن أهل هذا العصر لايرون الشرف الا فى العلم والسعي فى نشره أو القيام بثمراته فى نفع الناس فعلى من يريد ان يكون شريفاً عزيزاً فى الدنيا أن يسعى في انشاء المدارس وعلى من يريد أن يكون سعيداً فى الآخرة أن يسعى فى ذلك أيضاً

ثم نبهتُ بعد هذا على إقبال القبط على تعميم التعليم وسَبْقِهِمُ المسلمين فيه مبيناً ان العلم هو القوة الكبرى فاذا وجدت فى فريق من الأمة دون آخر يرى الفريق العالم أنه الأحق بالسيادة والرفعة وينشأ عن ذلك التنازع والتغابن بينه وبين الفريق الجاهل فاذا كان هذا على نسبة قريبة منه فى العدد والثروة يسرع اليه الغلب والتلاشي ويسود العلم على الجهل سريعاً كما يرشد اليه قوله تعالى: «أن الارض يرثها عبادي الصالحون»

أي الذين يصلحون لعمارتها، والعمل بسنن الله في ترقيتها ، واذا كان للفريق الجاهل قوة من العدد والمال يكون التنازع شديداً، وخراب البلاد وشيكا، والنتيجة أن خير البلاد في أن يكون أهلها متفقين على عمرانها ولن يتفقوا في العمل حتى يتفقوا في العلم بالمصلحة . وذكرت أيضاً العلم النافع وانه مايصلح العمل للدنيا أو الدين أو مايصلح الاعتقاد ويقوّم الفكر . ثم ختمت القول بحث وجهاء الغربية الحاضرين على مجاراة وجهاء المنوفية في انشاء المدارس وعلقت الرجاء بسعادة مدير الغربية وسعيه وبالله التوفيق

ثم قام ابراهيم بك الهلباوي المحامي الشهير فألقى خطاباً مفيداً بين فيه أن العلم كان حلية وزينة في الزمن الماضي وصار ضرورياً للحياة في هذا الزمن . وأن الناس كانوا يمتازون بالسجايا الفطرية فصاروا يمتازون بالمعارف الكسبية ولذلك صار العلم حياة حقيقية والجهل موتاً حقيقياً وضرب المثل بهنود أمريكا الذين انقرضوا لأنهم لم يقدروا أن يعيشوا بجهلهم مع المستعمرين العالمين — الى غير ذلك من الفوائد التي اشتهرت بتنويه المؤيد بها . وقد ضم الخطيب صوته الى صوتي في تعليق الرجاء بالمدير

ثم قام جندي أفندي ابراهيم صاحب جريدة الوطن الغراء فألقى خطابا قال فيه ان الذي حمله عليه هو ماقاله الخطيب الأول (صاحب المنار) في النسبة بين المسلمين والقبط وقال أنه موافق في القول وشاكر عليه . ثم ذكر بمآثر المصريين مشيدي الاهرام وذكر ان السبب في سبق القبط المسلمين في التعليم هو العناية بتعليم البنات واطال في بيان فائدة تعليمهن فجعله اهم من تعليم الذكور

وكان من محاسن الاحتفال حضور بعض التلامذة والتلميذات من مدرسة الشورنجي في البحيرة فخطبوا وانشدوا الأناشيد في مدح العلم ومؤسس المدرسة . ثم انصرف الناس داعين شاكرين

(المستقبل للاسلام) شغلنا معظم هذا الجزء بهذه الرسالة الجليلة ليحيط القراء بفوائدها مرة واحدة . واذا كان هذا رأي شيخ عامة المسلمين في القطر وهم الصوفية وما تقدم في مقالات (الاسلام والنصرانية ..) هو رأي شيخ خواصهم من العلماء والكتاب . وقد اتفقا وبرهنا على أن المستقبل للاسلام والعاقبة للمتقين فلم يبق عذر للمسلمين في تقدير القول قدره والعمل في تحقيق حسن العاقبة

الجزء السابع عشر المجلد الخامس

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في غرة رمضان سنة ١٣٢٠ — ١ ديسمبر (تشرين ١٧) سنة ١٩٠٢)

أيصومون ولا يصلون وهم مؤمنون

اذا كان الله تعالى قد منحنا الدين ليهدينا به الى سعادة الدارين ومنافع الحياتين فلا غرو ان يكون لكل عبادة فيه وجهان احدهما روحاني ينظر الى توثيق عقدة الايمان وتهذيب الاخلاق والآخر اجتماعي دنيوي ينظر في إحكام عرى الارتباط بين المؤمنين العابدين لتتأكد أخوتهم ، وتبرم جامعتهم ، وتتحقق وحدتهم ، وقد اهتدى علماء الاجتماع في هذه العصور الى وجوب توحيد عادات الامة لان الوفاق كلما كثر وتعدد ما به يكون اشتدت الاواخيّ وأمنت التراخي حتى يكون مجموع الافراد كالشخص الواحد. فتراهم قد اتفقوا في انواع العادات فهم يلبسون زياً واحداً ويأكلون في وقت واحد ويتنزهون في وقت واحد كما يتعلمون على طريقة واحدة ويتربون على مثال واحد. وبهذا صاروا كأنهم اهل بيت واحد يتعاطفون ويتعاضدون بل صاروا في مجموعهم كالجسد الواحد كما

ورد الحديث في وصف المؤمنين

الصوم والصلاة عبادتان علمّتا المسلمين الاولين مراقبة الله تعالى والتوجه اليه وطلب مرضاته فصلحت نفوسهم وسمت هممهم وتهذبت أخلاقهم وعلمتاهم الاجتماع في اوقات معينة والاكل في اوقات متفقة فأرشدتاهم الى النظام وطرق الوحدة فصلحت احوالهم باطناً وظاهراً فكانوا كما قال الله تعالى في خطابهم : « إن هذه أمتكم امة واحدةً وانا ربكم فاعبُدُونِ » أو كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً كما ورد في الحديث

مضت سنة الاولين من أهل الملل ان الدين يضعف فيهم ويضمحلّ على هذا النحو — تزول حقيقته المعنوية اولا ثم تزول بعدها صورته الظاهرة بالتدريج . الجسد الحيّ بقاؤه ببقاء روحه فاذا أزهقت الروح منه أسرع اليه الفساد ثم التلاشي والاضمحلال . وإنما تزهق روح الدين بأمراض تعرض لها بعد فقد الاطباء الروحانيين او إهمال خواص الامة لهم وتركهم طبّهم لارواحهم عند مرضها . والسبب في رغبة هؤلاء عن مداواة نفوسهم هو أن الامراض التي تلمّ بهم مستلذة بل هي لا تعدو الإفراط في اللذة مع الجهل بالعاقبة وما وظيفة الدين الا هداية الانسان الى موقف الاعتدال في استعمال قواه الفكرية والنفسيّة لتبقى فطرته سليمة معتدلة

الصلاة افضل من الصيام لان سلطانها على الروح اعلى ، وجذبها إياه الى عالم القدس اقوى ، ولان تأثيرها في جمع القلوب والتأليف بين الافراد ابلغ ، وإشعارها نفوس الطبقات المختلفة معنى المساواة أشد ،

الصيام يذكّر النفس بالسلطان الالهي عند ما تعرض لها الطيبات في النهار فترى انها ممنوعة منها بأمر الله تعالى شأنه وعند الفطر والسحور

اذا تذكرت ان تغيير مواقيت الاكل انما كان لتحقيق هذه العبادة التي فرضها الباري جل جلاله على عباده ترويضاً لأرواحهم وجسومهم وتعويداً لهم على حكم قواهم النفسية كيلا تفرُطَ عليهم وتطغى ليستعدوا بذلك كله لتقواه جل وعلا . واما الصلاة فكل قول من اقوالها وكل عمل من اعمالها فهو ينفخ هذا الروح الحي فيمن يقيم الصلاة لا في كل من يصلي لان فصلا بعيداً بين إقامة الشيء على وجهه وبين الإتيان بصورته كالفصل بين خَلق الانسان وبين رسم صورته على لوح او جدار

اذا قال مقيم الصلاة : الله اكبر : أعطته هذه الكلمة من تجريد التفضيل في التكبير أن الله تعالى اكبر من كل ما يوجد ويتصور فيطمئن قلبه بالتنزيه وتستولي عليه هيبة الكبرياء والعظمة . ثم اذا قال : وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض : (وهو مستحضرٌ أنه يعبر عن توجه قلبه ، الى حضرة معرفة ربه ،) فان نفسه تسمو عن الالتفات الى الدنايا ، وتسمو عن الاشتغال بالخسائس ، وحسبك من الصلاة ما تعطيه هاتان الكلمتان فكيف بك اذا تدبرت سائر الاذكار والتلاوة وفقهت سر ذلك القيام والقعود ، والركوع والسجود ،

كأني ببعض المنكرين الذين يحكمون على الدين وتأثيره بما يجدون في أنفسهم وما يعرفون من حال معاشريهم والعائشين معهم يقولون : إن هذه المعاني مخترعة ، وأسرار مبتدعة ، وخواطر سانحة ، وموازين غير راجحة ، . وعذرهم في ذلك الحرمانُ ، وعدم تدبر سيرة الذين سبقونا بالايمان ، ومن ذاق عرف ، ومن عرف وصف ، ولست واقفاً هنا موقف المناظر ، ولم أقصد بهذا القول إقناع المكابر ، وقد سبق للمنار

القول في بيان فوائد الصوم النفسيّة والبدنية والاجتماعية (فليراجع في المجلدين الثاني والرابع) وكذلك القول في فوائد الصلاة . وانما نريد الآن أن نذكر امراً غريباً في التصور ولكنه واقع شائع وهو ان كثيراً من الناس يصومون رمضان ولا يصلون الا في رمضان اولا يصلون مطلقاً.

الصوم من آيات الايمان فلا يجامع الكفر والجحود ولكن كيف يكون المرء مؤمناً بدين ثم هو يستبيح ترك افضل عباداته وآكد فرائضه وأعظم شعائره ، وما هي علة هذا الترك المطلق ، والإهمال المستغرق ، اذا كان الايمان هو الذي بعث ذلك الصائم على الصوم فلماذا لم يدعّه دعّاً الى الصلاة التي تلي الايمان في المرتبة ؟ أيتصور ان يكون لعلة واحدة معلولات فتوجد ويتخلف عنها اول تلك المعلولات وأولاها، ثم يوجد أضعفها وأقصاها؛ هذا موطن من مواطن العجب ، ولا بد من بيان السبب ،

قد يقال: اذا كان ترك الصلاة لا يجامع الايمان وترك الصيام لا يجامع الكفر فلا بد ان يكون من يصوم ولا يصلي في مرتبة بين المؤمن الصادق ، والكافر المارق ، وهو ما كانوا يدعونه المنافق ، فهو مرتاب يصوم لاحتمال صحة الدين ، ولا يصلي لفقد اليقين ، ويمكن ان يقال : ان صوم مثل هذا ليس من ثمرات الايمان، وانما هو مجاراة للاهل والجيران، فهو عادة لا عبادة. ولو تركه المعاشرون والاقران ، لما بعث عليه القرآن ، ولذلك ترى الذين لا يبالون بالعادات لقوة عزائمهم في العمل بما يعتقدون قد تركوا الصوم فهم يحاربون الدين جهراً ولا يحترمون اهله ولا يجاملونهم من حيث هم به مستمسكون . ويصح ان يقال : ان من تاركي الصلاة المارق ، ومنهم المنافق ، ومنهم من يتركها لمرض الجهل والكسل لا لمرض

الارتياب او الجحود . ولذلك يصوم هذا صوماً حقيقياً يفيده تقوى الله تعالى في امور كثيرة فهو يظمأ ويَصْدَى ولا يشرب في خلوته لعلمه بأن الله تعالى يراه ولا يرضى له ان يكون ضعيف النفس مغلوباً لشهوة الماء يعصي الله لاجلها. فان لم يلاحظ مثل هذا بالتفصيل فلا أقل من الاجمال

اما الجهل الذي يساعد الكسل على ترك الصلاة فهو ذو شعب كثيرة يوجد بعضها عند ابناء العصر الجديد وبعضها عند ابناء العصر العتيق . يقول أبناء العصر الجديد : ان الله تعالى لا يعذب الناس اذا قصّروا في عبادته لان الدين لا يصح أن يكون عقوبة للبشر وإنما فرضت الصلاة لتعين على تهذيب النفس ونحن قد تهذبت نفوسنا فلا نرضى لانفسنا أخلاق هؤلاء المصلين الذين فشا فيهم الكذب والغش والزور والطمع والدناءة الخ :

قول اشتبه حقه بباطله ومسلك الجهل فيه دقيق . ولنا ان نقول لهم صدقتم في قولكم ان الدين لا يصح ان يكون عقوبة بل هو رحمة من الله تعالى قال تعالى لنبيه « وما ارسلناكَ الا رحمةً للعالمين » وقال في خطاب المكلفين « ولَوْ شاءَ اللهُ لأعنتَكُمْ » ولكنه لم يشأ فله الحمد والشكر . وقال جل ثناؤه « يريدُ اللهُ بكم اليسرَ ولا يريدُ بكم العسرَ » وفي معناه قوله عز وجل « وما جعَلَ عليكُمْ في الدينِ من حَرَجٍ » ولكن العقوبة على ترك الصلاة ليست من الحرج وانما هي من الرحمة فان الصلاة منفعة وترك المنفعة ضارّ لانه وقوع في الضد وهي واقعة في الدنيا ومعقولة فمن الجهل الارتياب فيها. ألا ينظر هؤلاء القائلون في صنفهم والذين تعلموا وتربوا مثلهم كيف تفتك فيهم الفواحش والمنكرات فتذهب بمالهم وبصحتهم وتكبل بلادهم بالسلاسل والأغلال

وتسلمها إلى الأجانب . وإذا وجد فيهم أفراد ساعدهم الاستعداد الفطري وما يسمونه (الظروف) والوراثة الطبيعية لسلفهم المصلين على تهذيب نفوسهم فهل استغنوا بهذا التهذيب الذي امتازوا به على العدد الكثير من أمتهم المريضة عن تكميل نفوسهم بمناجاة الله تعالى . أليس لكل واحد منهم أمراض نفسية لو أقام الصلاة لوجد فيها شفاءها . منهم الهلوع الذي يجزع لكل شر يصيبه حتى كأنه امرأة ضعيفة أو طفل صغير والذي اذا أصابه الخير امسكه عن إعانة الضعيف، وإغاثة لهيف، بل الذي لا يخرج منه الحق الثابت عليه الا نكداً . وإذا فرضنا أن جهله بحقيقة نفسه وحقيقة الصلاة زيّن له عدم حاجته اليها ولو لشكر الله تعالى وحفظ شعار الدين الذي ينتمي اليه فهل يُزين له أيضاً أن أهله من زوجة وبنين وبنات في غنىً عن هذه الصلاة؟ وإذا لم يكونوا في غنىً عنها فهل يرى أن إقامتهم إياها من الأمور السهلة إذا كان هو لا يصلي ؟؟ أما صلاة فاسدي الأخلاق لذين يتمثل بهم هؤلاء فهي شبيهة بصيامهم أي إنها محاكاة وتمثيل لهيأة الصلاة الظاهرة

وجملة القول في جواب هؤلاء ان اعتذارهم بعدم العقوبة على ترك الصلاة غير سديد وانهم لم يفهموا معنى الصلاة فيفهموا معنى العقوبة على تركها. ولو فقهوا تأثيرها في النهي عن الفحشاء والمنكر لفقهوا معنى كونها رحمة تزكي النفس فتفلح في الدنيا والآخرة. وكون تركها نقمة تُدسّي النفس وتسهل لها سبل الفواحش والمنكرات فتسلكها فتخسر في الدنيا والآخرة. لو تأمل المتأمل المؤمن بالله معناها وماوصفها به الكتاب العزيز لفقه ذلك. ولو علم انها الآية الكبرى في انقلاب أحوال مسلمي الصدر الأول وتبدل أخلاقهم وسجاياهم لفقه ذلك . ولو كان عندنا اليوم عدد من مقيمي الصلاة

لاستغنينا عن هذا وذاك في تعليم الجاهل، وتنبيه الغافل، واقناع المجادل، هذا ما يقول لنا أبناء العصر الجديد وما نقول لهم الآن بالايجاز (وان لنا لعودة نفصل فيها القول تفصيلا ان شاء الله) وأما ابناء العصر العتيق فان لهم من الضلال في فهم الشفاعات والمكفرات، والانتساب الى اصحاب الاضرحة والمقامات، ما يصرفهم عن اقامة الصلاة، ويغلّ أيديهم عن أداء الزكاة، فكيف إذا أضافوا إلى ذلك الغرورَ بالله والتشدق بذكر الرحمة والمغفرة . وقد كشفنا من قبل جميع هذه الشبهات وأن أكبر آية على ضلالهم في فهمها سوء تأثير هذا الفهم فيهم حتى انتهى بهدم أركان الاسلام وترك شعائره فكاد ينطمس مبناه، بعدما جهل معناه، ولكن خطباء الفتنة وعلماء السوء هم الذين يروّجون هذه الاضاليل فهم قادة المقلدين، وعونهم على إضاعة الدنيا والدين، وكأنك بغربانهم تنعق على اعواد المنابر بهذه المكفرات ومنها المكذوب على الله ورسوله كقولهم: إن الله يعتق فى كل ليلة من رمضان ستمئة الف عتيق من النار فاذا كان آخر ليلة منه اعتق بقدر ما مضى : وامثال ذلك. وفي أقوالهم ما تصح روايته ولكن الفساد فى جهل معناه. لذلك ترى اكثر العامة يصومون ولا يصلون ولا يزكّون، ومنهم الذين لا يحلّون ولا يحرمون،

الصوم اسهل على النفس من المحافظة على الصلاة ومن إيتاء الزكاة . فهو الرسم الباقي عند اكثر المسلمين فاذا درس (والعياذ بالله تعالى) كان دروسه خطراً كبيراً على الرابطة الاسلامية. لهذا نرى ان الذين يجاهرون بالإفطار في رمضان من المسلمين الجغرافيين أشد فتكا بالاسلام والمسلمين من كل مخالف يطعن بعقائدهم او يستأثر بسياستهم. ومن العجيب ان يوجد فيهم

من يتشدّق بكلمة الوطن او الامة. واعجب العجب ان بعضهم يذكر الاسلام ويظهر انه يتمنى عزته. ويحاول خدمته،

اذا كان تارك الصلاة إنما يتركها تثاقلا من مقدماتها وشروطها وتكرارها فانا أدلّه على ما يذهب بثقل هذه الامور كلها ويسهّل عليه ما عسره اختلاف الفقهاء. وإنما يكون ذلك بالرجوع الى اصل الدين، والعمل بما اتفق عليه جميع المسلمين، فأما الطهارة فالغرض منها النظافة وهي مما يرغب فيه كل كريم النفس ويتحراه بحسب استطاعته واما كون التنزه عن القليل من النجاسة والكثير شرطاً لصحة الصلاة فمما اختلف فيه السلف الصالح والائمة المجتهدون فليتحر الانسان التنزه احتياطاً الا اذا عسر عليه ولماذا يحتاط لقول بعض الفقهاء حتى يترك الصلاة احتياطاً ولا يعمل بقول من لا يرى الشرطية ويقيم ركن الدين الركين احتياطاً. بل ان الذين اشترطوا طهارة الثوب والبدن للصلاة قالوا ان المشقة تجلب التيسير ولا حرج في الدين فمن صعب عليه الاحتراز من شيء فله رخصة فيه

وأما الوضوء فهو اسهل شيء اذا روعيت السنة ونبذت الوسوسة فقد ورد ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم توضأ ولم يقع شيء من ماء وضوئه على الارض فيسهل على العارف بالسنة ان يتوضأ من كوب ماء (كوبايه) وهو واقف او قاعد لا سيما اذا كان يمسح على ما يستر رجله ولو جوربا من قطن او صوف فان ذلك جائز عند كثير من الصحابة والتابعين وعليه الامام احمد

واما تعدّد الصلاة فخير لصاحب الشغل الكثير من الترك ان يأخذ بالحديث الذي رواه مسلم في صحيحه والشافعي فى سننه وغيرهما وهو ان

النبي صلّى بالصحابة الظهر والعصر في وقت واحد والمغرب والعشاء في وقت واحد «من غير مرض ولا سفر» وقد اوّل اكثر الفقهاء الحديث فحمله الشافعية على وقت المطر والمالكية على تأخير الاولى والتعجيل بالثانية ولكن في بعض رواياته عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تعليل ذلك بقوله «لئلا يحرج امته» فدل هذا على ان هذا الجمع رخصة والعزيمة في اداء الصلاة في وقتها أفضل ولكن الرخصة اولى من الترك كما هو واقع .

كل واحد من هؤلاء المترفين الذين يتثاقلون عن اداء الصلاة يغسل أطرافه عند القيام من النوم فاذا جعل ذلك الغسل موافقاً للوضوء الشرعي وصلى ركعتين شكرا لله تعالى وحفظاً لافضل شعار يربطه بأمته وتعليما لمن يعيش معهم للدين بالعمل او حملا لهم على التأسي به فاي ثقل عليه؟ ثم اذا فعل مثل ذلك في وقت الظهيرة إذ يسكن الى الراحة او وقت الاصيل إذا شغل وقت الظهيرة فاي تعب في ذلك وهو عمل لا يستغرق ربع ساعة؟ وكذلك وقت العشيّ عند ما يستريح من عمل النهار

اختم القول بتذكير أبناء العصر الجديد بمسألة هم أعرف بتفصيلها من سواهم. وهي أن الامم الحيّة تحافظ على عاداتها القومية وشعائرها الملية وان كانت تعتقد انها وضعية فلا يرضى أهل الرأي منهم بترك شيء من ذلك الا اذا تبين لهم انه ضارٌّ ضرراً كبيراً لا يشفع فيه حفظ الرابطة العامة بالثبات عليه ثم إنهم يتروّون في ذلك التروي الواجب. فما بالكم وانتم تقلدونهم في الزي والحركة في الطريق (لا في العمل) وفي الماعون والاثاث لا تقلدونهم فى الثبات على شعائركم والمحافظة على روابط جامعتكم؟ تعلمون انهم ما تركوا شيئاً الا بعد ان استبدلوا به ما رأوه خيراً منه فماذا استبدلتم بهذه الشعائر

الاسلامية النافعة ، والروابط الملية الجامعة ، التي تتركونها بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ؛ ألا إنكم تستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير تحاون عرى جامعتكم التي فيها عزكم وشرفكم فى الدنيا وسعادتكم فى الآخرة وأنتم لاتشعرون ، فتوبوا الى الله لعلكم تفلحون ،

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده في الازهر)

يَابَنِي إِسرَائيلَ اُذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العَالَمِينَ • وَاتَّقُوا يَوْماً لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَة وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَهُمْ يُنْصَرُونَ •

تقدم تذكير بني اسرئيل بالنعمة في آية قبل هذه الآية مقرونا بالامر بالوفاء بعهد الله وبالوعد بالجزاء عليه ثم الامر بالخشية منه وحده وتلاها آيات أمرهم فيها بالايمان بالقرآن ونهاهم عن لبس الحق بالباطل وكتمانه • ثم امرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ثم وبخهم على نسيان انفسهم من البر مع امر الناس به وتلاوة الكتاب الداعي اليه ودلهم على الطريق الذي يذهب بهذا النسيان وهو الصبر والصلاة التي فقدوها بفقد روحها وهو الاخلاص والخشوع • وبعد هذا عاد الى التذكير بالنعمة بنوع من التفصيل فان النعمة في الآية الاولى مجملة والإجمال ينبه الفكر الى التذكر في الجملة فاذا تلاه التفصيل والبيان كان على استعداد تام لكمال الفهم فيكون التذكر أتم والتأثر أقوى والشكر على النعمه أرجى

بعد ما طلب منهم ان يذكروا نعمه عليهم وتفضيله اياهم إحياءً لشعور الكرامة في نفوسهم وصله بالامر باتقاء يوم الدين والجزاء • وهذا اسلوب حكيم في الوعظ فينبغي لكل واعظ ان يبدأ وعظه باحياء إحساس الشرف وشعور الكرامة في نفوس الموعوظين لتستعد بذلك لقبول الموعظة ولاتستنكف مما يتضمنه الوعظ من التقريع والتوبيخ • هذا الشعور ملازم للانسان لا يفارقه، ولكنه يضعف حتى لا يظهر له أثر وفي تحريك الواعظ له اعتراف ضمني بكرامة وفضل للموعوظ يشفعان له بما يستلزمه الوعظ من الإهانة فيسهل احتماله ويقرب قبوله

قال الاستاذ الامام : شعور العزة والكرامة امر شريف يدعو اليه الايمان بل يستلزمه على وجه اكمل لان ذا الايمان الصحيح الكامل يرى ان له نسبة الى آله عظيم خالق للسموات والارض وانه سيده وممده وعند ذلك تعلو نفسه وترتفع كما قيل :

قوم يخالجهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه

من كان يشعر بقيمة لنفسه تراه اذا خلا بنفسه وتذكر انه ألمّ بنقيصة يتألم ويهتز ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم • واذا تذكر المؤمن ان قلبه الذي تشرف بمعرفة الله تعالى لا ينبغي ان يكون فيه شيءٌ نجس يزاحم هذا العرفان فلا شك انه يأنف من هذه المزاحمة وتثقل عليه ويسهل عليه التزكي مما ألمّ به والإنابة الى الله تعالى • قال: لهذا بدأ الله تعالى تذكير بني اسرائيل بما بدأ وثنى بما ثنّى وهو يتضمن من التقريع والتوبيخ ما يُشعر بغلظ طباعهم وفساد قلوبهم فان من لا يتأدب بإحياء إحساس الكرامة يؤدب بالتأنيب والاهانة

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الاشارة

ناداهم باسم ابيهم الذي هو اصل عزهم وسؤددهم ومنشأ تفضيلهم واسند النعمة اليهم جميعاً لا اليه ثم طفق يفصل النعمة التي ذكرها بجملة فيما سبق بذكر امهات انواعها فذكر تفضيلهم على العالمين بمحض كرمه وفضله فان بني اسرائيل كغيرهم من البشر . والتفضيل هو مناط الاخذ بالفضائل وترك الرذائل لان الذي يرى نفسه رذلا خسيساً لا يبالي بما يفعل . ومن يرى نفسه مفضلا مكرما فانه يترفع عن الدنايا والخسائس التي تدنس شرفه وتذهب بفضله . والحكمة في التذكير بالتفضيل ان يتذكروا ان الذي فضَّلهم له ان يفضل غيرهم كمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وامته وتنبيهُهم الى عدم الذهول عن انفسهم ليذكروها عند امر الناس بالبر ويعلموا انهم أولى بأن يبروا ممن يأمرونهم بالبر لانهم يتلون الكتاب الداعي اليه وهو آية تفضيلهم . والى انهم احق باستعمال الفكر في الآيات التي اوتيها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأجدر من جميع الشعوب بالإيمان به فان المفضَّل اولى بالسبق الى الفضائل ممن فضل هو عليه

ثم ان الفضل على العالمين ان كان بكثرة الانبياء فيهم فهو ظاهر على عمومه لانه لا يعرف شعب من الشعوب يزاحمهم في هذه المزية . ولا تقضي هذه الفضيلة بأن يكون كل فرد منهم افضل من كل فرد من غيرهم . ولا تنافي ان يَفضُلهم اخس الشعوب اذا هم انحرفوا عن هدي انبيائهم وتركوا سنتهم واهتدى اليها ذلك الشعب الذي كان مفضولا . وان كان المراد من التفضيل هو القرب من الله تعالى بمرضاته فلا بد من تخصيصه بعالمي زمانهم ومن تقييده بمدة الاستقامة على العمل الذي استحقوا به التفضيل

ثم قال تعالى « واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئاً » وصف اليوم بهذا الوصف ولم يقل يوم القيمة مثلا للإشعار بأن التصرف في ذلك اليوم والامر كله لله فليس فيه ما اعتاد الناس في هذه الدنيا من دفاع بعضهم عن بعض . وعبّر عن هذا المعنى في اول سورة بقوله « مالك يوم الدين » ثم وصفه هنا بوصف آخر يناسب الاول فقال « ولا يقبل منها شفاعة » اي لانه يوم لا تأثير لاحد فيه ولا كسب ولا ينطق فيه احد الا باذنه تعالى . قال (الجلال) : اي ليس لها شفاعة فتقبل: واستدل بقوله تعالى حكاية عن المجرمين في الآخرة « فما لنا من شافعين » قال الاستاذ الامام ولا دليل في هذا على ان المراد ما ذكر وإنما السياق في الآية وأمثالها يدل على ان المراد بيان ان ذلك اليوم يوم تتقطع فيه الاسباب ، وتبطل منفعة الانساب، وتتحول سنة هذه الحياة من انطلاق الانسان في اختياره يدفع عن نفسه بالعدل والفداء ، ويستعين على المدافعة بالشفاعة عند السلاطين والامراء ، وانه يوم لا يتحرك فيه عضو الا بإذن الله . ولا يقدر أحد ان ينبس بكلمة الا باذن الله . « يوم لا تملك نفسٌ لنفسٍ شيئاً والأمرُ يومئذٍ لله »

كان اليهود المخاطبون ببيان هذه الحقيقة كغيرهم من أمم الجاهلية وأهل الملل الوثنية كقدماء المصريين واليونان يقيسون أمور الآخرة على أمور الدنيا فيتوهمون أنه يمكن تخلص المجرمين من العقاب بفداء يدفع بدلا وجزاء عنه (كما يستبدل بعض حكامهم منفعة مالية بعقوبة بدنية) أو بشفاعة من بعض المقربين الى الحاكم يغير بها رأيه ويفسخ إرادته . ولقد اكتسح الاسلام هذه العقائد وآثارها العملية بالتوحيد الخالص وأتى بنيانها من القواعد . ولكن المسلمين لم يسلموا منها فقد دخل في الاسلام أقوام

يحملون أوزاراً مما كانوا عليه من الوثنية ولم يلقنوا الدين من القرآن ولا كما أرشد القرآن ولكنهم تقلدوه ممن لا يعرفه حق المعرفة وكما ترشد اليه كتب التقليد فكانوا على بقية مما عندهم وعلى جهل بالاسلام وجاء قوم آخرون تعمدوا الإفساد فجعلوا بالتأويل الباطل حقاً، والكذب صدقاً، وذكر الاستاذ الامام بعض العادات المصرية التي يعملونها باسم الدين، وهي من إرث قدماء الوثنيين. كإعطائهم لغاسل الميت مالا يسمونه (أجرة المعدّية) أي اجرة نقله الى الجنة. وغير ذلك مما يعملونه للأموات ولمن يعتقدون فيهم الولاية والقرب من الله

ثم ذكر المكفّرات التي يعتقدها اليهود كقربان الاثم وقربان الخطيئة وقربان السلامة والمحرقة والاكتفاء ممن لم يجد القربان بحمامتين يكفر بهما عن ذنبه وقال: وكانوا يفهمون أن هذه الاشياء تكفّر الذنوب بذاتها والحق أنها عقوبات لا مكفرات فإن من فهم التوراة حق فهمها يعلم ان المكفر الحقيقي هو التوبة والإقلاع عن الذنب ثم تقديم القربان يكون تربية وعقوبة. وقد أخبرهم الله تعالى في هذه الآية بأن يوم القيامة لا يقبل فيه عدل يفتدي الانسان به قال: وكانوا يعتقدون أنهم بانتسابهم للانبياء لا يدخلون النار اولا تمسهم الا أياماً معدودة لأن لهم الجاه والتأثير يوم القيامة ولا يرضون أن يتركوا أبناءهم في العذاب. ثم زادوا على ذلك شفاعة الأحبار لمن ينتسب اليهم. ومتى ضعف الدين يوجد من رؤسائه من يروّج هذه العقائد في العامة لما تسوق اليهم من المنافع. وكذلك كان اليهود حتى جاء الاسلام بهذه الآية وامثالها فمحا هذه العقيدة ليعلم المؤمنون به أنه لا ينفع الانسان يوم القيامة الا مرضاة الله تعالى بالايمان الخالص والعمل الصالح

في القرآن آيات ناطقة بنفي الشفاعة مطلقاً كقوله تعالى «لا بيع فيه ولا خُلة ولا شفاعة» وأخرى ناطقة بنفي منفعة الشفاعة كقوله عز وجل «فما تنفعهم شفاعة الشافعين» وآيات تقيد النفي بمثل قوله تعالى «إلا بإذنه» وقوله «الا لمن ارتضى» فمن الناس من يحكّم الثاني بالاول ومنهم من يرى أنه لا منافاة بينهما فنحتاج الى حمل أحدهما على الآخر لأن مثل هذا الاستثناء (اي الاستثناء بالاذن والمشيئة) معهود في أسلوب القرآن في مقام النفي القطعي للاشعار بأن ذلك بإذنه ومشيئته كقوله تعالى «سنقرئك فلا تنسى الا ماشاء الله» وقوله «خالدين فيهما مادامت السموات والارض إلا ما شاء ربك». فليس في القرآن نصٌّ قطعي في الشفاعة ولكن ورد الحديث بإثباتها فما معناها؟

الشفاعة المعروفة عند الناس هي أن يحمل الشافعُ المشفوعَ عنده على فعل أو ترك كان أراد غيره - حكم به أم لا - فلا تحقق الشفاعة إلا بترك الإرادة وفسخها لأجل الشفيع. فأما الحاكم العادل فإنه لا يقبل الشفاعة الا اذا تغير علمه بما كان أراده أو حكم به كأن كان أخطأ ثم عرف الصواب ورأى أن المصلحة في خلاف ما كان يريد. وأما الحاكم المستبد الظالم فإنه يقبل شفاعة المقربين عنده في الشيء وهو عالم بأنه ظلم وان العدل في خلافه ولكنه يفضل مصلحة ارتباطه بالشافع المقرب منه على العدالة. وكلٌّ من النوعين محالٌ على الله تعالى لان ارادته تعالى على حسب علمه وعلمه أزليٌّ لا يتغير فما ورد في اثبات الشفاعة يكون على هذا من المتشابهات وفيه يقضي مذهب السلف بالتفويض والتسليم مع تنزيه الله جل جلاله عن المعروف من معنى المتشابه. وأما مذهب الخلف في التأويل فلنا أن نحمل الشفاعة

فيه على أنها دعاء يستجيبه الله تعالى والاحاديث الواردة في الشفاعة تدل على هذا ففي رواية الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يسجد يوم القيامة ويثني على الله تعالى بثناء يلهمه يومئذ فيقال « ارفع رأسك وسَلْ تُعْطَه واشفع تُشفَّع » وليس في الشفاعة بهذا المعنى أنّ الله سبحانه يرجع عن ارادة كان أرادها لأجل الشافع وانما هي إظهار كرامة للشافع بتنفيذ الإرادة الأزلية عقيب دعائه . وليس فيها أيضاً مايقوي غرور المغرورين الذين يتهاونون بأوامر الدين ونواهيه اعتماداً على شفاعة الشافعين بل فيه أن الأمر كله لله . وانه لا ينفع احداً في الآخرة الا طاعته ورضاه « فما تنفعهم شفاعة الشافعين . فما لهم عن التذكرة معرضين »

﴿ كيف يكون المستقبل للمسلمين ﴾

قرأت في (المنار) الزاهر مقال سماحة السيد البكري فايقظ في نفسي آمالا كباراً ، وهاج من قلبي مرامي بعاداً ، ورأيته يتفق معي في الغاية ؛ ويلاقي قلمه قلمي في النهاية ، الا انه سار اليها من طرق المعارف التشريحية ، وانتحى اليها وجهة علم الظواهر الجوية ، وناط ذلك المستقبل بالفواعل الطبيعية ، والاحوال الوسطية ، من كثرة السكان ، وخصوبة المكان ، وعدم امكان الانسان المعيشة في كل مكان ، وهي قضايا يتناولها النقد ، ويمكن فيها الاخذ والرد ، والإقبال والصد ، إن رضيها (جوستاف لوبون) رفضها (لينيه) و (كاترفاج) و (داروين) و (وروسل ولاس) و (هكسلي) و (لامارك) و (كوفييه) و (بوفون) وغيرهم من إخوانه الفسيولوجيين . على أن تعليق حياة الاسلام على مؤثرات الوسط وعوامل المكان لا

يناسب مجده وعلو شأنه ، وأهميته أكبر من أن تدفع الكاتب إلى تحري افكار الافراد لتسكين الخواطر على نجاة بلدانه ، وسلامة اوطانه ، فان كان الاسلام له المستقبل الباهر ، والآتي الزاهر ، فليس ذلك الا لكونه الحق الصميم ، والنور الصريح ، والكلمة العليا ؛ والمحجة البيضاء ، أنشودة الانسان ، وضالة العرفان ؛ ونظام العلم والدين ؛ وسلك الفلسفة الحسية واليقين ، ان كان ينشره الصوفية اليوم بين الشعوب الشرقية ؛ المنحطة في درجات المدنية ؛ والعلوم الكونية ؛ فسينشره غداً لهاميم الفلسفة الحسية ، ويآفيخ المعارف الطبيعية . ليس لكونه كما اعتدنا ان نقول دينا جمع بين المصالح الروحية والجسدية ويربط بين الأمور الدنيوية والاخروية فقط هذه بعض مزايا الاسلام وتابع بسيط لتعاليم نسردها سرداً لبعض العقول البسيطة التى لا تدرك غيرها ، ولا تتمسك بالدين الا من أجلها ؛ أما غدا وليس ببعيد يوم تجيئ دولة الروح ويخرج الانسان من قهر المادة العمياء وسلطة الطين الاصم وينتهي دور الزخارف الحيوانية ؛ وتزول سلطنة البطن والاميال البهيمية ؛ وينقلب شأن الانسان من حال مادي الى حال روحاني ، كما انقلب من حال فطري الى حال فكري عقلي ؛ فتشرق الروح في عالمها وتزعج الانسان الى أداء مطالبها ؛ وتصيح به لأن يعرج بها الى محتدها ؛ ويصعد معها الى أوجها ؛ كما كانت تزعجه المادة الى القيام برغائبها ؛ وتميل به الى عالمها ؛ وتطالبه بالركون الى طينها ؛ ذلك اليوم تطلب الروح بابا لعروجها ؛ وترتاد طريقا لصعودها ؛ تلتفت الى جثمانها فتراه عبئا ثقيلا ؛ ومانعاً كثيفا ؛ وأنّى له اختراق طبقات اللطافة الملكوتية بها ؛ وكيف له السبح في العوالم النورانية معها ؛ هنالك يكون التنازع بين الروح والجسد لا كما هو الآن تنازع بين مطالب غذائية

وزخارف مادية ؛ وأغذية دهنية وشحمية ؛ وألبسة قطنية او حريرية ، بل تنازع فى كيفية اعتمادهما معاً على السبح فى سبحات النور الاقدس ، والجري يدا بيد فى باحات الكمال الاقدم .

هنالك سيدر الانسان على نفسه دورة اخرى على محور لا تخيله الآن الا كبار الافئدة كبار العقول . هنالك سيكون الاسلام قائد تلك الحركة وسلطان تلك الدولة والداعي الى الكمال بلسان المدالة المطلقة والمؤاسي ببراهينه الشافية القلوب اليائسة . هنالك سيحوم الناس حول الاسلام كما يحول الفراش حول النور يطلبون نجاة ارواحهم واجسادهم معاً لا أرواحهم فقط . هذه حقائق لا خيالات الا ان تجليها للاذهان يحتاج الى كلام كثير بل سفر كبير

فمستقبل الاسلام فيما أعلم وأرى من هذا الباب دون غيره وهو اليق بعلو شأنه وأنسب لرفعة مكانه واولى به دينا إلهيا ؛ ووحيا علويا ؛ ولكن متى نصل اليه ؛ وأيّ نوع من أنواع الوسائل نعول عليه ؟ هذه جهة الخلاف بيني وبين سماحة السيد . يرى أن أنجع الوسائل لذلك فتح المدارس وترتيبها ؛ وترجمة الكتب العلمية ونشرها ؛ ومشاطرة الاجانب فى لغاتهم والتعمق فيها ؛ ويرجو لذلك أن تعقد جميات ؛ وتشكل هيئات ، وتنضم أصوات وتتحد وجهات ، وتتفانى همم أبيّة ؛ وتتكاتف عزائم إسلامية ، وتبذل أنفس عزيزة وأرواح ؛ وتباع فى سبيل الوحدة بيع السماح ؛ وكلها مطالب سامية ؛ ورغائب عالية ؛ ولكن هل تتحقق ؟

لنُجِلْ فى إمكانها نظرا ؛ ونعمل فى احتمالها فكرا ؛ فإن لاح لنا برق امل ضممنا صوتنا الى صوته ؛ ولا أبدينا فيها رأيا ؛ وعززناه باسلوبنا ؟

حكم السيد بان لا وطن للاسلام ولا جنسية ؛ وأن رابطتنا الوحيدة هي جامعة العقيدة وآصرة الايمان ووشيجة اليقين . فلينظر هل تلك الرابطة اليوم صالحة لان تضم اجزاءنا وتلمّ شعثنا وتوجّه عواطفنا الى الى تيار واحد لنحقق بذلك آمالاً عظاماً ؛ ونرأب بها من جسم هيأتنا صدوعا جساماً ؛ يضرب لنا السيد مثلا بالجمعيات الاجنبية التي تألفت للوحدة الايطالية ؛ والجامعة السلافية ، والجنسية السكسونية ، وعاج من ذلك على ذكر الثورات الارمنية والمقدونية والكريدية ، ثم قال انها « تعمل أعمال الجبابرة في الخلاص من حضيض الاسر ، إلى أوج النسر ، والامة الإسلامية التى ملأت المشرقين والمغربين تنتفض انتفاض الطائر في شباك الصائد . ولا تعمل للنجاة عملا . وكيف ترجو الوصول الى الغاية وهي لا تنقل اليه قدما ، ولا تحرك شفة ولا قلما ، ومن طالب شيئاً وجده ، ومن تركه فقده ، » ثم أردف ذلك بقوله : « ولا يعتذر الجبان المفقود القلب بان عقد هذه الجميات مما يتعذر حصوله في البلاد الاسلامية الآن اذ اي جمعية انشئت قبل هذه فلم تقابل بالكفران ، وتحط بالنيران ، لكنها العزيمة التى ترى ان الموت في حياة الأمة خيراً من الحياة في موتها وأن لا محيص من الصدر أو القبر . »

نقول واسفنا لجبنا ، ولا مفقودي الالباب ولا يائسين ولا مفتونين : لقد سلك السيد في مقاله مسلك الكاتب الحماسي — ولكنه لم يسر سير العالم ولا الفيلسوف العمراني . ولو كان قبل ان كتب مقاله تدبر فى ألوف المقالات التي كتبت قبل مقالته بعشرين سنة وكان فيها من ضروب الحض والحث والتحميس . مالا يمكن المزيد عليه ومع ذلك لم تنتج أثرا ؛ ولم تحقق

لكاتبها ولا لخلافه أملا، لكان رجع إلى نفسه وعلم أن المانع للأمة من سماع تلك الصيحات، والإصاخة لتلك الهيمات، أمر جلل وخطب كبير. ولتراءت له أدواء يجب فحصها وعلل لا ينجع دعاء بوجودها.

قررت العلوم النفسية، وحكمت المشاهدات الوجودية، أن الانسان لا يعمل عملا بل ولا يتحرك حركة الا وهو معتقد صلاحية ما يعمله او يتحرك من أجله ومتيقن من الوصول الى غايته فهل لدى فضلائنا الذين يطلب منهم تأليف تلك الجمعيات من العقيدة الراسخة واليقين الثابت ونحن في القرن العشرين ما يحملهم على تشكيل الجمعيات وبذل نفوسهم ونفائسهم دفاعا عن حقيقتهم وقراعا دون حريمها؟

أنا أول من يقول بأن المستقبل للاسلام وكتبي ومؤلفاتي تشهد لي بذلك ولكنني لا أحب أن أجعل للخيال سلطانا على قلمي، ولا للحماسة التي تنطفئ بمجرد الكتابة نفوذاً على إحساسي؛ بل أعلم أني عائش في عصر الفلسفة الحسية. والمدنية المادية. والمعارف الطبيعية. وصرفت زمنا ليس بالصغير في فحص وسطي الذي أعيش فيه وامتي التى أنا بين ظهرانيها ورأيت بالحس أننا إن لم نسع لمداواة عللنا من اصولها تهنا في تطبيبها وضللنا في علاجها وذهبت كل صيحاتنا أدراج الرياح كما ذهبت صيحات من كان قبلنا. أما داؤنا الوحيد اليوم وسبب عدم صلاحية خاصتنا لاداء وظيفتها الصحيحة فوهن العقيدة وضعف الايمان وما دامت على هذه الصفة فلا يرجى منها اجتماع على أمر البتة.

مجرد اعتقاد ان الاسلام دين يدعو الى الفضائل ويحض على الاخذ بالماديات والمعنويات معاً وانه آخذ في الانتشار بين القبائل الشرقية، او انه

مهيب الجانب في بعض البلاد الاجنبية, كما اعتاد كثير من خاصتنا التفكه به في المجالس اظهاراً لغيرتهم على الاسلام وتحمساً لكثرة براهينه لا يفيدهم في اليقين شيأ لان كلهم تقريباً ممن تعلموا اللغات الاجنبية، ودرسوا العلوم الطبيعية، والمعارف التشريعية، ووقفوا على تعاليم (داروين) و (جوستاف لوبون) الذي استشهد به السيد وعرفوا منهما ومن أمثالهما ان اصل الانسان قرد وانه لا آدم ولا حواء ولا كتاب سماويا ولا روح ولا نفس ولا حشر ولا نشر ومن يرد أن نعطيه صورة موجزة من فلسفة هذه المدنية التى يقرأها خاصتنا من عرفة اللغات الاجنبية ويعتقدون حقيتها فاليه غير مضنون عليه

يقولون يامعشر المتدينين انكم لو جردتم نفوسكم عن الهوى، ووجهتم وجوهكم شطر الهدى، لرأيتم أنه ليس دينكم الا أثراً من أثار الماضين، وبقية من بقايا أوهام السالفين، ليس لها من القيمة والقدر الا كما لسائر آثارهم الاخرى من العلوم الطبيعية، والصناعات اليدوية، فقد حكم العلم (معاذ الله) بان نواميس الكون كافية في تعليل ظواهره، وقوانينه قد فسرت اكثر غوامضه، فلا داعي لفرض وجود قوى وراء الطبيعة، ولا موجب لتوهم عالم علوي بعد هذه المرئيات المحسوسة، أما الوجود فقديم إن لم يكن بصورته فبمادته الاولى. وأما القوى التي تصرفه فلا استقلال لها في ذاتها بل هي صفة لهيولاه الاصلية فلا مادة بلا قوة ولا قوة بلا مادة بل المادة في نفسها مظهر من مظاهر القوة المتحركة في الأثير من الازل.

أما الانسان وما نسبتموه اليه من نفس مستقلة عن الجسد وما منحتموها من مزية الخلود بعد فنائه وتبعثر ذراته فمما تبطله الشواهد العلمية،

وتحيله البدائه التشريحية ، فقد قرر العلم (معاذ الله) أنه لا فرق بينه وبين غيره من الكائنات السفلية،ولا ميزة له على سواه من الانواع الحيوانية، بل ليس هو في ذاته الا حيواناً فاق في قوة التعقل والادراك غيره من أبناء نوعه . على أن أبناء نوعه (الحيوانات) غير محرومة من قسط مناسب من التعقل والإدراك . واذا أردت الدليل فدونك كتب حياة الحيوان ترى من آثار الفكر ونتائج التعقل ما يدلك تمام الدلالة على أن العقل ليس بوقف على الانسان ولا هو وصفه المميز . فاذا نسبت للإنسان روحاً مستقلة عن الجسد ومنحتها مزية الخلود والبقاء اعتماداً على القوة العقلية فلم لا تحكم هذا الحكم نفسه بالنسبة الى الحيوانات أيضاً ؟ اليس هذا من آثار المعلومات السابقة النافقة حينما كان الناس لا يميزون بين ما يؤيده الحس والعيان . وبين ما هو من قبيل الخيالات التي تنشأ في الوجدان بلا روية ولا امعان ؟؟ اما الفضائل التي تقرعون الآذان بها . وتضربون وجوه مناظريكم بسلاحها مدعين أنكم قادتها وزعماؤها . وان لكم حق السيطرة على الناس بها . فليست في الحقيقة تبعاً لتعليم من التعاليم القديمة لكتب خاصة يقوم بها رجال ذوو صفات خاصة بل هي تابعة لنواميس طبيعية تظهر في الامم الحية ظهور سائر آثار النواميس الاخرى فلا علاقة لها بالدين البتة . الا ترون أن كثيراً من المتدينين بعداء عن الفضيلة . مغمورين في غمرات الرذيلة . ودونك الاحصائيات المدققة التي يعتني بجمعها علماء الانسان ترى أن أكثر اصحاب الجرائم من المتدينين المتشددين في الدين واليك كتب علماء الجرائم مثل (لومبروزو) و (فريرو) و (سيرجي) ترى العجب العجاب . بل انظر بعينيك الى الامم التي تزعم أن لها ارتباطاً بالدين

وغيرة على اليقين ألا تراها في حالة من الإجرام والتسفل تفضل عليها معها الامم التي تركت الاديان ، وجعلتها خبراً كان ، والتفتت للمدنية ، والعلوم الطبيعية ، فاصلحت شؤنها ، ودبرت أمورها ، فقامت على قطب الاستقامة والاستقلال ، ونحت منحى الكرامة والجلال ، فكشفت لها المدنية عن وجهها الباسم ، وتجلت لها الحضارة في شكلها الفاتن ، فسيطرت على الامم الاخرى بعلومها وصنائعها ، وقهرتهم بقوتها وسطوتها ، كما صارت بالنسبة اليهم علماً في فضائلها وآدابها ؟ اذا كان لا فضيلة بغير الدين وأنها لا تخرج عما حددتم لها من القيود في كتبكم فما سبب هذه الآثار المدهشة للعقول المضللة للمدارك ؟ اذا كان الانسان كما تقولون خلق مستقلا بذاته من طبيعة علوية ، وانه مستعد لأن يسمو بروحه اسمى منصة للحياة الملكية ، فلماذا هبطتم وعلا عليكم اولئك الذين يزعمون أن الانسان من سلالة القردة وان بينه وبين الحيوانات أواصر من القربى ووشائج من الرحم ؟ اذا كانت الفضيلة كما تقولون لا تثبت للانسان بغير دين ولا تطبع بضميره الا بطابعه فلماذا حرمتم من أصغر أنواعها وسبقكم في باحاتها من يقول أن الفضيلة صفة من صفات الحياة الانسانية والرذيلة كذلك . تنشأ الاولى عند ما تكون شؤن تلك الحياة جارية على سمت منتظم ملائمة لقوانين الخلقة وتبرز الثانية في ضد تلك الحالة ؟؟

اما ما تزعمون من أن لاقوام للامم بغير الدين ، ولا نظام لهم سوى حبله المتين ، فما لا نحتاج معكم فيه الى كبير جدال ، ولا كثير قيل وقال ، فدونكم الامم الغربية الكبرى قد بنت عظمتها بملاشاته وأقامت وحدتها بمنابذة أشياعه ، ومع ذلك نرى لها كل يوم في سجل المعالي أثراً جديداً ،

وفي حدائق الفخار والمجد صرحاً مشيداً، فان كان الحال كما تزعمون فما هذا الأثر المنعكس؟ وما تفسير هذا الامر الملتبس؟ اليست كل هذه البراهين المحسوسة دالةً على انكم متمسكون باقوال لا يقوم عليها من عالم الشهود شاهد، ولا ينهض لها من وقائع الحوادث مدافع، لا جرم أنكم تتأخرون ونتقدم، وتخضعون ونحكم، ولا غرو أن علونا وسفلتم، وتعززنا وذللتم، كما لا عجب ان استخدمنا نواميس الكون وأسرتكم، واستغللنا خيرات الطبيعة وحرمتم.

كل هذه الشبه المتعاصية قد نشأت في وسط العلم الاوروبي ونبع سمها من بين ذرات دسم هذه المدنية العجيبة فالتاثت باكثر العقول أقذارها. وتسممت الفطر بسمومها. وقد سرت هذه السموم الى شبيبتنا الاسلامية التي نهلت من دن العلوم الاجنبية فخلعتها عن مجموعها وذهبت بها مذهباً لا تجعلها مع هؤلاء ولا هؤلاء. وكفى امة عجزاً وضعفاً وقصوراً وتأخراً أن لا يكون لشبيتها وجهة تسير عليها، ولا غاية تعتقدها وتتوق اليها، وتدأب للحصول عليها، حلت هذه الشكوك والشبه من قادة النشأة وزعماء التقدم في البلاد الاجنبية محلاً علياً، وجعلتهم ينبذون معتقداتهم ظهرياً، ولكن قام مقامها لديهم موقتاً غيرة قومية، وحمية جنسية اولغوية لمت شعثهم وضمت اجزاءهم حيناً ظنوا فيه امكان قيامهم بدون الدين بل خالوا ان مصدر رفعهم ومنبع نظامهم والتئامهم، ومنشأ تقدمهم ووئامهم، هدم تعاليمه وتذريتها في الهواء مع الهباء، ثم لما استقاموا على هذه المفازة الخطرة حيناً من الزمن ورأى قادتهم ورؤساء معارفهم ان هذه خطة عوجاء، وسراب ليس وراءه ماء، وان بالادمان على متابعة السير في خطتهم هذه الهلاك المستأصل والجائحة الكبرى التي

تطفئ نور مدنيتهم، وتهدم صروح عظمتهم، وساعد هذا الأثر في نفوسهم الاحساس بالفراغ الذي ألم بصميم معناهم الانساني وجوهرهم البشري من جراء فقد العقيدة التي هي لازم من لوازم هذه النفس الناطقة تعطشت قلوبهم الى الدين الصحيح وحنت فطرهم اليه حنين البائس ينتظر فرجه ويتنسم من شطر الخلاص نسمة. ولكن أين الدين؟؟ كانت الفلسفة الحسية فلسفة (اجوست كونت) وأشياعه القائلين بأن المعقول اذا لم يؤيده شاهد من الحس جاز أن يكون ضلالاً آخذاً من الافكار مكانة لا يمكن قلعه منها وما دامت أسس الدين من عقيدة وجود الروح وخلودها في دار بعد هذه الدار مما لا يمكن الاستدلال عليها بمحسوس جاز أن تكون وهما لا حقيقة له في الواقع. فهي على حسب أسلوب هذا المذهب الكثير الأشياع من قبيل ما لا يمكن إثباته، وما لابد من عدم الخوض فيه، وما معنى دين بدون روح وخلود وآخرة فيها نعيم مقيم أو شقاء مستديم؟ كيف الوصول الى الاعتقاد بدين مهما كانت تعاليمه في عصر هذه فلسفة بنيه وتلك مبادئها؟ ولكن الله سبحانه أكرم من أن يخيب سائلا وأرحم من أن يطرد طارقاً فأرسل عليهم من جهة فلسفتهم هذه آيات تأخذ بالأعناق خضوعاً، وبالأبصار والبصائر دهشة وخشوعاً. فنشأت ابحاث سموها (اپنوتزم) و(مانيتزم) التنويم المغناطيسي و(اسبرتزم) استحضار الأرواح وغير ذلك استدل منها عليهم على ان للانسان روحاً وخلوداً فأنشأوا مئات من المجلات والمجامع وعقدوا لها المؤتمرات والمحافل، وألفوا فيها الكتب والرسائل. وبلغ عددهم من العلماء الأعلام، وقادة المعارف العظام، والمحامين البارعين. والكتاب المتفننين، ما يزيد عن عشرين مليوناً كما سنوضحه بعد ان شاء الله. فهم على هذا لم يقعوا حتى نهضوا ولم يضلوا حتى أوشكوا يهتدون. ولكن شبيبتنا التي جرعت من حوض علومهم وشحنت في أذهانها صور معارفهم لم يشاؤا أن يوسعوا دائرة معارفهم وكأنهم لم يعلموا أن ما يدرس في المدارس من العلوم الطبيعية والرياضية ليس الا قطرة من بحر لا تنقع صدى ولا تروي غلة. بل كأنهم يعتقدون أن العلم واقف حيث هو من عهد (لفوازيير) و(توسيلي) و(ماريوط) و(فولطا) وان باب الرحمة الالهية أغلق في وجه بني آدم (معاذ الله) فلا مرمى بعد مرماهم ولا مذهب بعد مذهبهم ثم نسوا ما تعلموه أيضاً ولم تحفظ ذاكرتهم منه الا شكلا مشوهاً من استنتاجات عرجاء ليس لها أصل ترتكن اليه ولا أساس تعتمد عليه فهم على مذهب (اجوست كونت) و(داروين) بدون أن

يكلفوا أنفسهم معرفة ماهية مذهبهما ، ولا أصول نظرياتهما ، وكأنهم كفاهم في أن يكونوا (اوجوستيين) و (داروينيين) ان يروا في بعض المجلات نبأ من فلسفتهما لم يرد على أسلوب صحيح ولا سلك فيه كاتبه مسلك الاستقراء والتحليل • ثم انهم على فرض تعمقهم في فلسفة علماء هذا العصر وتغلغلهم في مناحيها تدقيقاً وتمحيصاً لم يكلفوا أنفسهم النظر في ماهية الاسلام وأصوله ليروا ان كانت مبانيه مما تهدمها هذه الابحاث أو هي بالعكس تقويها وتؤيدها

أقول هذا ولا أنكر ان لدينا افراداً من رجال هذه النشأة صاروا الهامة علوم العصر تاجا وفي ذروة العلاء الاسلامي عَلَمًا ، ولكنهم وياللاسف قليلو العدد مبعثرون في الجهات مشغولون بالوظائف يتألمون لهذه الحالة مثل ما نتألم ويرون أدواءنا مثل ما نرى •

هذه صورة مصغرة من الشبه والشكوك التى جرفتها الينا مدنية اوروبا والصقتها باذهان كثير من رجال نشأتنا التي استقت منها معلوماتها ، واخذت عنها لغاتها ، فهل بعد هذا يطوف بفكر عمرانيّ باحث أو تحليلي مدقق انه يمكن جمع جمعية عصبيتها الدين وجامعتها العقيدة وسلاحها اليقين ويكون من أثرها تشييد معالي الاسلام وإرجاع مجده اليه ولو ببذل الارواح ، وبيع المهج بيع السماح ؟ اللهم لا • أذن فلنختر احد أمرين اما أن نقلب شكل هيئتنا الاجتماعية من شكلها الحالي الى شكل آخر روابطها الوطنية أو الجنسية أو أي امر غيرهما وهيهات ان يتم لنا ذلك في ألفي سنة • وإما ان نتعهد رابطتنا الأصلية وهو الدين ونجليه لتلك الاذهان ، في شكل يذهب شكوكهم وشبههم ، ويرجع الى تلك الفطر الاسلامية التائهة نورها الصافي حتى تدور على نفس القطب الذي كانت تدور عليه تلك الأرواح الطاهرة والنفوس الكريمة روح سيد ولد آدم واصحابه الذين كانوا حجة الحق الدامغة ، وانوار الفضائل الساطعة ، وخلفاء الله في ارضه وجيرانه في عالم قدسه . صل اللهم عليه وعليهم وتابعيهم آمين

محمد فريد وجدي

(المنار) : ما دخل هذا القرن الميلادي الا وكان شغل طائفة من كبار كتاب أوربا البحث عن مستقبل الاسلام فيه فكتبوا في ذلك المقالات الطويلة كلٌّ يظهر رأيه فمنهم من بشر ومنهم من أنذر • وقد كنا شرعنا من عدة أشهر بكتابة مقالة في ذلك عنوانها « مصير الأنام • ومستقبل الاسلام » ولكن شغلتنا عنها مقالات « الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية » ثم مقالة السيد البكري في الموضوع ثم

هذه المقالة • السيد البكري أحسن في بيان الاغراض التى رمى اليها ونتائجه صحيحة وان كان بعض البحث في المقدمات لا يسلم من النقد كما قال صاحب هذه المقالة ولكن لم يكن للتخيلات في كلامه ذلك السلطان الذي نسب اليه بل التخيلات الخطابية والشعرية في هذه المقالة أكثر ولا بأس بذلك اذا أريد به التأثر فيما يحمد وإنما يذم اذا كان خلابة وخداعاً • وأما قوله : ان الجامعة الاسلامية لا ترجى لما رجاه السيد منها وان عقلاء المسلمين الذين طالبهم السيد بالعمل لا يمكن ان يعملوا واستدلالة بعدم تأثير المقالات الطويلة التي كتبت منذ عشر من السنين : فهو غير سديد فإن كل ما كتب بحق واخلاص قد أثر حتى احدث حركة عظيمة في العالم الاسلامى وإن عقلاء المسلمين يشتغلون الآن بما طالبهم به السيد وانما مطالبته لزيادة البيان والتنشيط والكمال • وإنما لم يظهر اثر كبير لسعيهم لضعف الاستعداد « لكل أجل كتاب » وفي هذه المقالة موافقة على هذا فان الكاتب طالب المسلمين في آخرها بأحد أمرين وهم قائمون بالثاني منهما وهو السديد « ولَتَعْلَمُنَّ نبأه بعد حين »

التنويم واستحضار الأرواح لم يزل أمرهما مبهماً ، ومستقبل أثرهما مجهولا ، وتعليق مستقبل الاسلام عليهما لا يحث المسلمين على عمل ، ولا يحيي في نفوسهم ميت الأمل ، نعم اننا نرجو من كل ما يكشفه العلم من اسرار الخليفة تأييداً للإسلام سواء كان السر روحانياً او ماديًّا والقول الذي لا ريب فيه هو ان المستقبل للاسلام لأنه دين الفطرة والاجتماع المرشد الى مصالح الروح والجسد والهادي الى الوفاق بين وظائف العقل ووظائف القلب • فلا بد ان يكون الاسلام هو الحاكم الأعلى في المدنية العايا عند ما تكمل هي ويظهر هو خالياً من التقاليد التي اضيفت اليه كما قلناه مراراً . وسنزيده بياناً . اما ماذكره الكاتب من شبهات اوربا على الدين فهو لا يمس الإسلام لأن عقائده مؤيدة بالعقل وسيرة المسلمين اطهر سير البشر عند ما كانوا على الإسلام السليم من البدع • وعلى كلّ حال نشكر للكاتب الاول وللكاتب الثاني إعمال قلميهما فى هذا الموضوع الشريف وكل منهما احسن في الوجه الذي كتب فيه ولا تنافي بينهما ولا تناقض في الحقيقة وكل ما كتبا لا يمنعنا من نشر ما كنا شرعنا فيه ولكنه كفانا مؤنة التطويل « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل »

﴿ تتمة الاجتماع السادس لجمعية أم القرى ﴾

(تابع لما في الجزء ١٣)

ثم قال (الاستاذ الرئيس) للخطيب القازاني : ان الاخوان يترقبون منه أيضاً ان يفيدهم بما يلهمه الله مما يناسب موضوع مباحث الجمعية

قال (الخطيب القازاني) : إن الاخوان الأفاضل لم يتركوا قولاً لقائل ولذلك لا أجد ما اتكلم فيه وانما أقص عليهم مساجلة جرت في الاستهداء بين مفتي قازان وافرنجي روسي من العلماء المستشرقين العارفين باللغة العربية المولعين باكتشاف وتتبع العلوم الشرقية ولاسيما الاسلامية وقد هداه الله الى الدين المبين فاجتمع بمفتي قازان وقال له انه اسلم جديداً وهو بالغ من معرفة لغة القرآن والسنة مبلغاً كافياً وعالم بموارد ومواقع الخطاب علما وافياً فيريد ان يتتبع القرآن وما يمكنه ان يحقق وروده عن رسول الله فيعمل بما يفهمه ويمكنه تحقيقه على حسب طاقته لانه لا يرى وجهاً معقولاً للوثوق بزيد او عمرو او بكر أصحاب الاقوال المتضاربة المتناقضة لان حكم العقل في الدليلين المتعارضين التساقط وفي البرهانين المتباينين التهاتر فهل من مانع في الاسلامية يمنعه من ذلك

فاجابه (المفتي) ان اكثر الامة مطبق منذ قرون كثيرة على لزوم اعتماد ما حرره احد المجتهدين الاربعة المنقولة مذاهبهم فانطباق الاكثرية دليل على الصحة فلا يجوز الشذوذ

فقال (المستشرق) لو كان الصواب قائماً بالكثرة والقدم وان خالف المعقول لاقتضى ذلك صوابية الوثنية ورجحان النصرانية ولاقتضى كذلك عكس حكم ماصح وروده عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان امته تفترق الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة هي التي كان هو وأصحابه عليها وقد وقع ما اخبر به وكل فرقة تدعي انها هي تلك الواحدة الناجية ولا شك ان الاثنتين والسبعين فرقة اكثر من اي واحدة كانت منها فأين يبقى حكم الأكثرية .

فاجابه (المفتي) انه قد سبقنا من اهل التحقيق والتدقيق الذين تشهد آثارهم بمزيد علمهم ألوف من الفضلاء وكلهم اعتمدوا لزوم اتباع احد تلك المذاهب القديمة حتى بدون مطالبة اهلها بدلائلهم لأن مداركنا قاصرة عن ان توازن الدلائل وتميز الصحيح والراجح من غيرهما ومثلنا في ذلك كالطبيب لا يلزمه ان يجرب طبائع المفردات كلها ليعتمد عليها بل يأخذ علمه بطبائعها عما دونه أئمة الطب .

فقال (المستشرق) نعم ان الطبيب يعتمد على ما حققه الأولون ولكن فيما اتفقوا عليه واما ما اختلفوا فيه على طرفي نقيض بين نافع اوسام فلا يعتمد فيه على احد القولين بل يهملهما ويجدد التجربة بمزيد الدقة والتحقيق لان اعتماده على احدهما يكون ترجيحاً بلا مرجح . هذا وإننا لنرى ببادئ النظر ان هؤلاء الأئمة الأقدمين لم يقدروا ان يطلعوا على ما لا يقدر المتأخرون ان يطلعوا عليه ويكفينا برهاناً على ذلك (أولا) تخالفهم في كل الاحكام الا فيما قل وندر تخالفا مهماً ما بين موجب وسالب ومحلل ومحرم حتى لم يمكنهم الاتفاق في نحو مسائل الطهارة وستر العورة وما يحل أكله وما لا يحل . (ثانياً) ترددهم في الاحكام وتقلبهم في الاراء وذلك كحكم أحدهم في المسألة ثم عدوله عنه الى غيره كما يقول اصحاب الشافعي انه كان له مذهبان رجع بالثاني منهما عن الأول (ثالثاً) اختلاف أتباعهم في الرواية عنهم كاصحاب أبي حنيفة الذين قلما يتفقون على رواية عنه ويأول ذلك لهم بعض المتأخرين بتعدد مذاهبه في المسألة الواحدة . والحاصل ان الانسان الذي يتقيد بتقليد أحد أولئك الائمة ولاسيما الامام الاعظم منهم لا يتخلص من قلق الضمير أو يكون كحاطب ليل وعلى ذلك لابد للمتحري في دينه من ان يهتدي بنفسه لنفسه أو يأخذ عمن يثق بعلمه ودينه وصوابية رأيه ولو من معاصريه لان الدين أمر عظيم لا يجوز العقل ولا النقل فيه المماشاة واتباع التقليد .

أجابه (المفتي) نحن لا نحتم بأن الصواب مقطوع فيه في جانب احد تلك المذاهب بل المقلد منا اما أن يقول باصابة الكل أو يرجح الخطأ في جانب من ترك مع احتمال الصواب.

فقال (المستشرق) هذا القول يستلزم تعدد الحق عند الله أو القول بالترجيح بلا مرجح لانكم تحامون المفاضلة بين الأئمة واعترافكم باحتمال المذاهب للخطاء يقتضي جواز تركها كلها مع انكم توجبون اتباع أحدها أفليست هذه قضايا لا تتطابق ولا تعقل فلماذا لا تجوزون وانتم على هذا الارتباك ان يستهدي المبتلى لنفسه فاذا تحقق عنده شئ عن يقين أوغلبة ظن اتبعه والا كان مختاراً ولا يكلف الله نفساً الا وسعها.

أجابه (المفتي) اننا لبعد العهد لم يبق في امكاننا التحقيق فما لنا من سبيل غير اتباع أحد المتقدمين ولو كان تحقيقه يحتمل الخطاء.

قال (المستشرق) ما الموجب لتكليف النفس مالم يكلفها به الله ؟ أليس من الحكمة أن يحفظ الانسان حريته واختياره فيستهدي بنفسه لنفسه حسب وسعه فان أصاب كان مأجوراً وان أخطأ كان معذوراً ويكون ذلك أولى من أن يأسر نفسه

للخطاء المحتمل من غيره ٠

أجابه (المفتي) ان هـذا الغير أعرف منا بالصواب واقل منا خطأ فتقليده أقرب للحق ٠

قال (المستشرق) هذا مسلم فيما اتفق عليه الاقدمون اما في الخلافيات فالعـقل يقف عند الترجيح بلا مرجح ولا سيما اذا كنتم لاتجوزون أيضاً البحث عن الدليل ليحكم المبتلى عقله في الترجيح بل تقولون نحن أسراء النقل وان خالف ظاهر النص ٠

أجابه (المفتي) اننا اذا أردنا ان لا نعدّ من شرعنا الا ما تحقق بانفسنا دليله من الكتاب أو السنة او الاجماع تضيق علينا حينئذ احكام الشرع فلا تفي بحل اشكالاتنا في العبادات ولا لتعين احكام حاجاتنا في المعاملات فيحتاج كل منـا ان يعمل برأيه في في غالب دقائق العبادات والمعاملات و يصير القضاء غير مقيد بايجابات شرعية وهل من شك في ان اطراد الاراء وانتظام المعاملات اليق بالحكمة من عدم الاطراد والنظام ٠

قال (المستشرق) لاشك في ذلك ولكن أين الاطرد والانتظام منكم ولا يكاد يوجد عندكم مسألة في العبادات أو المعاملات غير خلافية ان لم تكن في المذهب الواحد فبين مذهبين أو ثلاث ٠ هذا وربما يقال ان توفيق العمل على قول من اثنين أو أكثر أقرب للاطراد من الفوضى المحضة في تفويض الامر لرأي المبتلى أو تفويض الحكم لحرية القاضي فيجاب عن ذلك بأن الامر أمر ديني ليس لنا أن نتصرف فيه برأيـنا ونعزوه الى الله ورسوله كذباً وافتراءً وافساداً لدين الله على عباده ولو ان الامر نظام وضعيٌّ لما كان ايضاً من الحكمة ان يلتزم اهل زماننا آراء من سلفوا من عشرة قرون ولا أن يلتزم اهل الغرب قانون اهل الشرق وعندي ان هذا التضييق قد استلزم ما هو مشاهد عندكم من ضعف حرمة الشرع المقدس ٠

ثم قال (المستشرق) واعيد قولي انكم تحبون أن تكلفوا أنفسكم بما لم يكلفكم به الله ولو ان في الزيادات خيراً لاختارها الله لكم ولم يمنعكم منها بقوله تعالى : (مَافَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) أي مما يتعلق بالدين (١) وقوله تعالى (اليومَ اكملتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً) وقوله تعالى (تلك حدودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ولكن علم الله الخير في القدر الذي هدا كم اليه وترك لكم الخيار على وجه الإباحة في باقي

(١) يريد ان القرآن محيط باحكام الدين وما يناسبه لا بكل علم الله كما يتوهم الكثيرون

شؤنكم لتوفقوها على مقتضيات الزمان ابي الغير وموجبات الاحوال التي لاتستقر فبناء عليه اذا أتيتم اكثر اعمالكم الحيوية باطمئنان قلب باباحتها يكون خيراً من أن تأتوها وأنتم حيارى لاتدرون هل اصبتم فيها ام خالفتم امرالله فتعيشـون و أفئدتكم مضطربة تحاذرون في الدين شؤم المخالفة وفي الآخرة عذاباً عظيما ٠ وليس هذا من مخافة الله التي هي راس الحكمة ولا من مراقبة الوازع التي هي مزية الدين بل هذا من الارتباك في الرأي والاضطراب في الحكم ونتيجة ذلك فقد الحزم والعزم في الامور

ثم قال : اعلم أيها المفتي المحترم ان هذه الحالة التي انتم بها من التشديد والتشويش في أمر الدين هي أكبر أسباب انحطاط المسلمين بعد القرون الأولى في شؤن الحياة كما انحط قبلهم الاسرائيليون بمـا شـدده وشوشه عليهم أهـل التلمود وكما انحطت الامم النصرانية لما كانت (ارثوذكسـية) مغلظة أو (كاثوليكية) متشـددة يحكم فيها البطارقة والقسـيسون بمـا يشاؤن تحت اسم الدين فكانوا يكلفون الناس أن يتبعوا مايلقنونهـم من الاحكام بدون نظر ولا تدقيق حتى كانوا يحظرون عليهم أن يقرأوا الانجيل أو يستفهموا عن معني التثليث الذى هو أساس النصرانيـة كما ان التوحيـد أساس الإسلاميـة . وبقي ذلك كذلك الى أن ظهرت (البروتستان) أى الطائفـة الانجيلية التي رجعت بالنصرانية الى بساطتها الاصلية وأبطلت المزيدات والتشديدات التي لاصراحة فيها في الأناجيل والى أن اتسع من جهة أخرى عند الامم النصرانية نطاق العلوم والفنون رغماً عن معارضة رجال الكهنوت لها فتلطفت أيضاً الكاثوليكية والارثوذكسية عند العوام واضمحلتا بالكلية عنـد الخواص لان العلم والنصرانيـة لايجتمعان أبداً كان الاسلامية المشوبة بحشو المتفننين تضلل العقول وتشوش الافكار ٠

أما الإسلامية السمحة الخالصة من شوائب الزوائد والتشديد فان صاحبها يزداد ايمـاناً كلما ازداد علماً ودق نظراً لانه باعتبار كون الاسلاميـة هي أحكام القرآن الكريم وما ثبت من السنة وما اجتمعت عليه الأمة في الصدر الاول لايوجد فيها ما يأباه عقل أو يناقضه تحقيق علمي

وكفى القرآن العزيز شرفا انه على اختلاف مواضيعه من توحيد وتعليم وانذار وتبشير وأوامر ونواه وقصص وآيات آلاء قد مضى عليـه ثلاثة عشر قرناً تمخضه أفكار الناقدين المعادين ولم يظفروا فيه ولو بتناقض واحد كما قال الله تعالى فيـه : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختـلافا كثيراً » بل الأمر كما تنبه اليـه

المدققون المتأخرون انه كلما اكتشف العلم حقيقة وجدها الباحثون مسبوقة بالتلميح أو التصريح في القرآن، أودع الله ذلك فيه ليتجدد إعجازه ويتقوى الايمان بأنه من عند الله لأنه ليس من شأن مخلوق أن يقطع برأي لا يبطله الزمان .

فهذه القضايا التي قررها حكماء اليونان وغيرهم على أنها حقائق ولم تتردد فيها عقول عامة البشر ألوفا من السنين أصبحت محكوماً على أكثرها بأنها خرافات .

وكذا يقال كفى السنة النبوية شرفاً انه لم يوجد في أعاظم الحكماء المتقدمين والمتأخرين من يربو عدد مايعزى اليه من الحكم التي قررها غير مسبوق بها على عدد الأصابع مع ان في السنة المحمدية على صاحبها أفضل التحية من الحكم والحقائق الأخلاقية والتشريعية والسياسية والتعليمية ألوفا من المقررات المبتكرة يجلي عظم قدرها مع تجدد الزمان وترقي العلم والعرفان .

وكفى بذلك ملزماً لأهل الإنصاف بالإقرار والاعتراف لصاحبها عليه السلام بالنبوة والأفضلية على العالمين عقلا وعلماً وحكمة وحزماً وأخلاقاً وزهداً واقتداراً وعزماً وكفى أيضاً بهذه المزايا العظمى ملزما بتصديقه في كل ماجاء به واتباعه في كل ما أمر أو نهى لان الدهر لم يأت بمرشد للبشر أكمل وأفضل منه (مرحى)

ثم قال (المستشرق) للمفتي وهذا مادعاني الى الاسلام فلبيت والحمد لله وعندي ان لو قام في الاسلام سراة حكماء دعاة مقدمون لما بقي على وجه الارض عاقل يكفر بالله . ثم قال : واني أرى انه لا يمضي قرن الا ويكثر المهتدون من المستشرقين ويرسخون في الدين فيتولون تحرير شريعة الإسلام ، ويفيضون بها على الأنام ، حتى على أهل الركن والمقام ، ولا يبعد أن تأتي الايام بالبرنس محمد المهتدي الروسي أو الانكليزي مثلا قائماً مقام الإمام ، معيداً عز الاسلام بأكمل نظام :

أجاب (المفتي) : لامانع مما ذكرت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ودين الله دين عام، لا يختص بقوم من الاقوام.

ثم قال (المستشرق) : أيها المفتي المحترم لا يطاوعني لساني ان ادعي الغيرة على الملة البيضاء الأحمدية أكثر منك انما أناشدك بالله وبحبك لدينك ان تترك هذه الأوهام التقليدية القائمة في فكرك وتعينني على تأليف كتاب يصور حكمة دين الاسلام وسماحته ليكون سعينا هذا ذخراً عظيما ننال به فخر وثواب هداية عشرات الملايين بل مئات الملايين من النائين الى هذا الدين المبين ، ولا يكبرن ما أقول على فكرك فان أهل هذا الزمان

المستنيرين الاحرار لايقاسون بأهل الازمنة المظلمة الغابرة . نعم وننال أيضاً ثواب حفظ الملايين الكثيرة من أبناء المسلمين العريقين تلامذة المدارس العصرية من هجر الاسلامية على صورتها الحاضرة المشوهة باختلاط الحكم بالخرافات المعطلة بثقل التشديدات المبتدعة فالبدار البدار لأن نفوز بهذه الخدمة التي (يكاد) يعادل أجرها أجر نبي مرسل والله المعين الموفق .

اجابه (المفتي) أصبت فيما تفكرت ولنعم ما أشرت به ولكن هذا عمل مهم يحتاج القيام به لعناية جمعية يتكون من تضلع أعضائها في فروع العلوم الدينية علم كاف للإحاطة وحصول الثقة واسوء الحظ لايوجد من فيهم الكفاءة في هذه البلاد ولذلك يتحتم علينا أن نترك هذه الفكرة آسفين وندعو الله تعالى أن يلهم علماء مكة أو صنعاء أو مصر أو الشام القيام بأداء هذا الواجب .

ولما انتهى (الخطيب القازاني) الى هنا قال هذه هي المساجلة وقد سمعت المفتي يقول انه اجتمع بكثير من المستشرقين فوجدهم كلهم يحسنون العربية أكثر من علماء الاسلام غير العرب مع انهم يشتغلون في علوم اللغة عمرهم كله وما ذلك الا من ظفر مدارس اللغات الشرقية الافرنجية بأصول لتعليم العربية أسهل من الأصول المعروفة عندنا .

قال (المجتهد التبريزي) اني أرى ان الاسلام اصابه فتنتان عظيمتان ولولا قوة أساسه البالغة فوق مايتصوره العقل لما ثبت الدين الى الآن . أما الفتنة (الأولى) فقد قدرها الله ومضت على وجهها وهي حين تشاجروا في الخلافة والملك وانقسموا على أنفسهم بأسهم بينهم يقتل بعضهم بعضاً وتفرقوا في الدين لتفرقهم في السياسة .

وأما الفتنة (الثانية) فلم تزل مستمرة وهي ان الخلفاء العباسيين مالوا الى تعميق النظر في العقائد فخدمهم من خدمهم من علماء الاعاجم تقرباً اليهم في علم الكلام وأكثروا من القيل والقال ثم سرت العدوى الى المناظرة في الفقه وبيان الأولى من المذاهب فاقبلوا على التدقيق والجدل في الخلافيات بين أبي حنيفة والشافعي وأثاروا بينهما فتنة عمياء وحرباً صماء وتركوا بقية المذاهب فاندرست ولم يبق منها سوى مذهب زيد وأحمد في جزيرة العرب ومذهب مالك في الغرب ومذهب جعفر في بلاد الخزر وفارس فاكثروا التأليف والتصنيف في هذه المذاهب كل مؤلف يحب ان يبدي ماعنده ليشتهر فضله وينال حظه من دنياه زاعماً ان غرضه استنباط دقائق الشرع

وتقرير علل المذاهب فتزاحموا وتجادلوا وناقض بعضهم بعضاً وكان من العلماء بعض الصلحاء المغفلين شاركوهم في الفتنة وهم لا يشعرون كما قال الله تعالى : (وإذا قيلَ لهم لا تُفسِدُوا في الأرضِ قالوا إنَّما نحنُ مُصلِحون ألَا إنَّهم هُمُ المفسدون ولكنْ لا يَشعُرُون) وقوله تعالى (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكم بالأخسَرِينَ أعمالاً الذينَ ضلَّ سعيُهم في الحيوةِ الدُّنيا وهُم يَحسَبُون أنَّهم يُحسِنُون صُنعاً).

وهكذا اتسعت دائرة الاحكام في الشرع فصار الخلف عاجزين عن التقاط الفروع فضلاً عن الرجوع الى الأصول فاطمأنت الأمة للتقليد وأقبل العلماء على التعمقات في الدين يغرب المفسر ويتفنن ولو بحكايات قاضي الجن لأنه غير مطالب بدليل ويتفحص المحدّث عن نوادر الاخبار والآثار ولو موضوعة لانه غير مسئول عن سنده ويستنبط الفقيه الحكم ولو بالشبه من وجه للازم اللازم للعلة لأن مجال التحكم واسع وهذه الفتنة لم تزل مستمرة الى أن أوقفها قصور الهمم عند الاكثرين .

على ان هؤلاء المتأخرين اخلدوا الى التقليد الصرف حتى في مسألة التوحيد التي هي أساس الدين ومبدأ الايمان واليقين والفارق بين الكفر والاسلام وجعلوا أنفسهم كالعميان لا يميزون الظلمة من النور ، ولا الحق من الزور ، وصاروا يحسنون الظن في كل ما يجدونه مدونا بين دفتي كتاب لانهم رأوا التسليم أهون من التبصر ، والتقليد أستر للجهل ، وصار أهل كل اقليم أو بلد يتعصبون لمؤلفات شيوخهم الأقدمين ويتخذون الخلافيات مداراً لتطبيق الاحكام على الهوى لا يبالون بحمل أثقال الناس في الدين على عواتقهم يزعمون ان التسليم أسلم وانهم أسراء النقل وان خالف ظاهر النص ويتوهمون ان اختلاف الأئمة رحمة للامة .

ثم ان اختلاف الأئمة يكون رحمة اذا حسن استعماله ويكون نقمة اذا صار سبباً للتفرقة الدينية والتباغض كما هو الواقع بين أهل الجزيرة السفليين وبين أهل مصر والغرب والشام والترك وغيرهم من المستسلمين وبين أهل عراق العجم وفارس والصنف الممتاز من أهل الهند الشيعيين وبين أهل زنجبار ومن حولهم من الأباضيين فهذه الفرق الكبرى يعتقد كل منهم انهم وحدهم أهل السنة والجماعة وان سواهم مبتدعون أو زائغون فهل والحالة هذه يتوهم عاقل ان هذا التفرق والانشقاق رحمة لا نقمة وسببه وهو التوسع في الاحكام سبب خير لا سبب شر .

وكذلك اختلاف المجتهدين في كل فرقة من تلك الفرق لا يتصور العقل ان يكون

رحمة الا بقيد حسن استعماله والا فيكون نقمة حيث يوجب تفرقة ثانية بين مالكي وحنفي وشافعي مثلاً .

والمراد من حسن استعمال الخلاف هو ان كل قوم من المسلمين قد اتبعوا مذهباً من المذاهب ترجيحاً أو وراثة أو تعصباً ولا بد أن يكون في المذهب الآخذ به كل قوم بعض الأحكام الاجتهادية التي لا تناسب أخلاق أولئك القوم أو لا تلائم أحوالهم المعاشية أو طبائع بلادهم فيضطرون الى الإقدام على أحد أمرين أما التمسك بتلك الاحكام وان أضرت بهم أو الجنوح الى تقليد مذهب اجتهادي آخر في تلك الاحكام فقط وقد كان أكثر علماء وفقهاء المسلمين الى القرن الثامن بل التاسع يختارون الشق الثاني فيقلدون في هذه الحالة المذاهب الأخرى ولكن بعد النظر والتدقيق في الأدلة كما كان شأنهم في نفس مذاهبهم الاصلية لئلا يكونوا مقلدين تقليداً أعمى لا يجوزه الدين أساساً الا للجاهل بالكلية .

وهذه الطريقة هي الطريقة المتبعة الى اليوم في بلاد فارس والعلماء المتصدرون لذلك هم أفراد من نوابغ العلماء المتضلعين في علوم مآخذ الدين وأكثرهم ولاسيما الايرانيون منهم متفقهون ومتخرجون على مذهب الامام جعفر الصادق (رضي الله عنه) المدوّن عندهم ويطلق اهل فارس على هؤلاء العلماء اسم (مجتهدين) تجوزاً واتباعاً لعادة الاعاجم في التغالي في التبجيل ونعوت الاحترام ومن ذلك يعلم ان ما يظنه فيهم اخوانهم المسلمون البعيدون عنهم غير الواقفين على احوالهم الا من تفوهات السياسيين غير صحيح فما هم كما يقولون عنهم مجتهدون في أصول الدين مجوزون الرأي في الإجماعيات مخرجون الاحكام اخذاً من الدلائل الظنية ولو لم يقل بها احد من علماء الصحابة والتابعين واعاظم أئمة الهداية الأولين فما احرى مجتهدي فارس بأن يلقبوا بمرجحين او مخرجين او فقهاء مدققين

ثم ان بعض الناس دعوا المقلد لأحد المذاهب اذا اخذ في بعض الاحكام بمذهب آخر ملفقاً وسموا اخذه تلفيقاً واستعملوا لفظة تلفيق في مقام التلاعب في الدين او الترقيع القبيح والحال ان ما سموه بالتلفيق ليس الا عين التقليد من كل الوجوه ولا بد لكل من اجاز التقليد ان يجيزه لانه اذا تأمل في القضية يجد القياس هكذا : يجب على كل مسلم عاجز عن الاستهداء في مسألة دينية بنفسه ان يسأل عنها من اهل الذكر اي يقلد فيها مجتهداً وكل مقلد عاجز طبعاً عن الترجيح بين مراتب المجتهدين فبناءً عليه يجوز له ان

يقلد في كل مسألة دينية مجتهداً ما

وما المانع على هذا الاعتبار للمسلم المقلد ان يتعلم كل مسألة من الطهارة والغسل والوضوء والصلاة من مجتهد أو فقيه تابع لمجتهد فاذا اغتسل بماء دون قلتين لحقته قطرة خمر واعتبره طاهراً كما علمه عالم مالكي غسلا بدون دلك كما علمه عالم حنفي وبعد حدث موجب توضأ ومسح شعرات من الرأس كما علمه عالم شافعي وصلى بعد خروج دم قليل منه كما علمه عالم حنبلي صلاة الصبح بعد طلوع الشمس كما علمه عالم زيدي ووصل الفرض بصلاة أخرى بدون خروج من الأولى كما علمه عالم جعفري أفلا يكون هكذا المقلد صلى صلاة تجزئه عند الله ؟ بلى ثم بلى تجزئه بالضرورة حتى لا يقوم دليل على ان ذاك خلاف الأولى كما يقال في حق الخروج من الخلافات لانه لا يعقل أن يكلف هذا المقلد بأخذ دينه كله من عالم واحد لان الصحابة رضى الله عنهم مع اجتهادهم وتخالفهم في الاحكام كان يصلي بعضهم خلف بعض مع حكم المؤتم منهم على حسب اجتهاده بعدم صحة صلاة امامه واشتراطه صحة صلاة المأموم بصحة صلاة الامام . وهل يتوهم مسلم ان أبا حنيفة كان يمتنع أن يأتم بمالك أو يأبى أن يأكل ذبيحة جعفر كلا بل كانوا اجل قدراً من ان يخطر لهم هذا التعصب على بال وما كان تخالفهم الا من احتياط كل منهم لنفسه

ويوجد في كل مذهب من المذاهب جماعة من تلاميذ الامام او الفقهاء المعروفين بالمرجحين كل منهم كان مجتهداً لم يتقيد بمذهب امامه تماماً وخالفه في كثير او قليل من الاحكام مخالفة اجتهاد بسبب اطلاعه على ادلة مجتهد آخر اوالفتح عليه بما لم يفتح به على امامه ولان الدين يلزم المسلم بأن يتبع فى كل مسألة منه الشارع لا الامام وان يعمل في مواقع الاجتهاد باجتهاده لا باجتهاد غيره وان كان افضل منه .

وهذا ابو حنيفة وامثاله رحمهم الله تعالى كانوا افضل من ان يعتقدوا في انفسهم الأفضلية على ابي بكر وعمر رضى الله عنهما ومع ذلك خالفوهما في كثير من الأحكام الاجتهادية وفقهاء كل مذهب من المذاهب لم تزالوا الى الآن يجوزون الاخذ تارة بقول الامام وتارة بقول احد اصحابه مع ان ذلك هو عين التلفيق فلماذا لا يجوز الحنفية مثلا التلفيق بين اقوال ابي حنيفة والشافعي او غيره وليس فيهم من يقول ان اصحاب امامهم افضل من الشافعي ومالك وابن عباس فما هذا الا تفريق بلا فارق وحكم يعكس الدليل .

وقد نتج من التفريق بين المسلمين والتشديد عليهم في دينهم ومصالحهم بدون موجب غير التعصب المخالفة لامره تعالى (اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه). « مرحي »

ثم ختم (المجتهد التبريزي) مقاله بقوله : وليس مقامنا الآن مقام استيفاء لهذا البحث وانما أوردت هذا المقدار منه بقصد بيان جواز التلفيق اذا كان عن غرض صحيح كما جوزه كثير من فقهاء كل المذاهب • ولا شك ان ضرورة التلفيق أهم من الضرورة التي لأجلها جوز الفقهاء الحيل الشرعية مع انها وصمة عار على الشرع حيث لا يعقل ان يقال مثلا ان الشفعة مشروعة دفعاً للضرر عن الشريك أو الجار ولكن يجوز هذا الإضرار للمحتال • أو ان الربا حرام ولكن اذا أضيف للقرض ثمن مبيع خسيس بنفيس جاز استباحة مقصد الربا • أو ان إيتاء الزكاة فرض ولكن اذا أخرج ربّ المال ماله قبل الحول ثم استعاده سقطت عنه — الى غير ذلك من ابطال الشرع وجعل التكليف تخييراً والتقييد اطلاقاً • ولا حجة لهم في هذا غير ما رخص الله به لايوب عليه السلام من التوصل للبرّ باليمين في قوله تعالى (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث) وما أبعد القياس بين الحنث وبين إبطال الشرع • ولا شك ان المسلمين بذلك صاروا كأنهم لا شرع لهم وقد غضب الله على اليهود لتحيلهم على صيد السبت فقط ونحن نجوز ألف حيلة مثلها بضرورة وبلا ضرورة •

بناءً عليه من الحكمة أن نلتمس للضرورات أحكاماً اجتهادية فيأمر بها الإمام إن وجد والا فالسلطان ليرتفع الخلاف فتعمل بها الأمة ما دام المقتضي باقياً فاذا ألجأ الزمان الى تبديلها بقول اجتهادي آخر فكذلك يأمر به الإمام أو السلطان رفعاً للخلاف • وبمثل هذا التدبير الذي لا يأباه شرعنا ولا تنافيه الحكمة نستبدل بتلك الحيل المعطلة للشرع المسلمة لترقيعات كل فقيه ومتفقه أحكاماً شرعية ايجابية لا زيغ فيها وبنحو ذلك يسلم شرعنا من التلاعب والتضارب ويتخلص القضاء والإفتاء من التوفيق على الاهواء وحينئذ يحقق أن الخلاف في الفروع رحمة • والحاصل أنه يقتضي على علماء الهداية أن يقاوموا فكر التعصب لمذهب دون آخر فيكون سعيهم هذا منتجاً للتأليف وجمع الكلمة في الأمة

قال (الاستاذ الرئيس) انا نشكر أخانا المجتهد التبريزي على بيانه لنا حالة اخواننا أهل فارس وعلى غيرته للدين وقصده التأليف بين المسلمين أما تقريره بخصوص أن حكم الامام ان وجد والا فالسلطان يرفع الخلاف وبخصوص ان التلفيق هو عين

التقليد فتقرير يحتاج الى نظر وتدقيق وستقوم بمثل هذه التدقيقات في المسائل الدينية التي بحث فيها الاخوان الكرام الجمعية الدائمة التي ستتشكل ان شاء الله • واليوم قد قرب وقت الظهر وآن أوان الانصراف

باب الاخبار والآراء

(رمضان — المنكرات فيه) هو شهر الصيام ، والتلاوة والقيام ، والاقبال على الله ، والاعراض بقدر الامكان عن سواه ، وان تأثيره ليظهر في جميع بلاد المسلمين بترك معاهد اللهو والعكوف في المساجد وتغيير العادات الا أن هذا التأثير في هذه المدينة (القاهرة) أضعف منه في سائر بلاد الاسلام فيما أعلم وأظن الا ماتمتاز به من كثرة المرتلين للقرآن في البيوت ترى أكابر العلماء في غير القطر المصري قد انتدبوا فيه لقراءة الدروس الدينية وإلقاء المواعظ المؤثرة منتشرين في المساجد وترى مساجد القاهرة التي عدد علمائها يزيد على عدد العلماء في كل مدينة سواها خالية منهم الا قليلا كالمسجد الحسيني والمسجد الزينبي • وأكثر من يتصدى للوعظ الجاهلون الذين يغرون النّاس بالامانيّ ويقصون عليهم القصص الخرافية والأساطير الوضعية • وفي كل سنة نذكّر الشيخ عليًّا البيلاوي شيخ المسجد الحسيني بوجوب منع هؤلاء القصاصين منه ولعله يفعل في هذا العام كما يفعل شيخ الأزهر في المسجد الزيني لا يأذن لأحد بالوعظ فيه الا اذا وثق بعلمه

اذا كانت معاهد العلم والإرشاد ليست عامرة في القاهرة فلا عجب اذا عمرت معاهد اللهو والفسق حتى في رمضان فقد اطلعنا منذ أيام على (إعلان) ينشر في الطرق والشوارع فاذا فيه أن زعيما من زعماء الملاهي قد استحضر مغنية شهيرة وراقصة بارعة لاجل احياء ليالي رمضان الشريف !!!! ولو بقي عند هؤلاء المسلمين الجغرافيين الذين يخربون بيوتهم بأيديهم ليعمروا بيوت أعدائهم بقية من الغيرة الملية والشهامة الاسلامية لكافؤا هذا المستهين بهم والمستهزيء بدينهم بالاعراض على قينته وراقصته وان لم يتوبوا عن الفسق توبة نصوحا

الجرائد ورمضان — أو — المنار والمنارات

سمعنا من بعض أصحاب الجرائد المنتشرة الشكوى من بخل رمضان عليهم وهو أبسط الشهور فى الإنفاق يدا ، واكثرهم فى التوسع مددا ، ولكن هذا البسط هو السبب فى ذلك القبض أعني قبض الأيدي عن دفع اشتراك الجرائد لأن الناس يحبون الانفاق في رمضان على المآدب لا على الآداب وفي القربات الدينية ، لا فى

الكربات السياسية ، ولهذا لم يكن المنار من الشاكين ، وانما هو من الشاكرين ، لان حظه في رمضان كحظ أخواته منارات المساجد كما أن وظيفته كوظيفتهن • كل منهما وضع لدعوة المسلمين الى الصلاة والصيام ، وكل منهما يزيد مدده في هذه الايام ؛ أما المنارة فمددها الزيت والقناديل ، وأما المنار فمدده الدراهم والدنانير ، وحق المنار آكد وأثبت من حق المنارة لأن دعوته عامة تشمل العقائد والاخلاق ، ودعوتها خاصة بالصلاة والصوم ، ودعوته يسمعها الالوف ، ودعوتها يسمعها نفر قليل ، ودعوته مؤيدة بالبرهان ، ودعوتها تذكير مجرد لاهل الإذعان ، ودعوته متوقفة على مدد القراء ، ودعوتها لا تتوقف على الزيت ولا الكهرباء ، ولهذا كان إمدادها هذا منتقداً عند المتورعين ، وترك امداده منتقداً عند المتدينين ، وقد سبق الى العمل بهذا الحكم أهل المنصورة والسنبلاوين ، وستتلوهم الفيوم وشبين ، اللهم آمين

(بدعة جديدة في مسجد جديد) جدد ديوان الأوقاف مسجداً من المساجد المدعثرة في الفيوم وقد احتفلوا بافتتاحه في يوم الجمعة الماضية بالصلاة فيه وكان الاحتفال بعد الصلاة وسماع خطبة الخطيب الخرافية التى مدح واضعها فيها المسجد مدحاً استنبطه من حروفه • ويالله كيف يرضى المسلمون بأن يقول خطباؤهم مثل هذا الكلام اللغو الذى أمر الله تعالى بالاعراض عنه كما أمر بالاستماع للخطبة حتى ان حاضر مثل هذه الخطبة لايدري أهو مطالب بأن يكون ممن قال الله تعالى فيهم « والذين هم عن اللغو معرضون » وقال فيهم « واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه » أم هو مطالب بامتثال قوله عز وجل « واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا » على قول المفسرين انها نزلت فى الخطبة ؟؟ أما كون ذلك من اللغو فيعرفه العاميّ اذا لاحظ ان كل حرف يكون مبدأ كلمات تدل على معاني شريفة وكلمات تدل على معاني خسيسة فالدال اول حرف من كلمة الدين والدعاء والدراية وكذلك هو أول حرف من كلمة الدنس والدناءة والدعارة

ثم قام خطيب الاحتفال بعد الصلاة وقال « أفتتح المسجد باسم الخديو » الخ ثم مضي في كلامه والناس تصفق له لا سيما عند ذكر الامير حتى كأنهم انقلبوا عن الاسلام الى عبادة الجاهلية التى نزل فيها قوله تعالي « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » والتصدية هي التصفيق • فليعلم الغافلون ان بيوت الله تفتتح باسم الله والخشوع له وتجتنب فيها عبادات الجاهلية ، وبدع المدنية ، فمن كان مخلصا لسلطانه واميره فليدع الله تعالى فيها بان يصلح شؤنهما ويوفقهما لما فيه خير الملة والامة وليعلم أنها بيوت يستوي فيها المأمور والامير ، في الخضوع لله العلي الكبير

(استشارة في أمر ذي بال) — رأى القراء فيما قرأوه من مباحث جمعية أم القرى في الاجتماعات الستة أن كل ما ذكره أعضاؤها من أسباب فتور المسلمين وضعفهم يرجع الى الدين والشؤن الاجتماعية والسياسة العامة . وفي الاجتماع السابع الآتي تفصيل أسباب الفتور في سياسة الدولة العلية العثمانية وإدارتها وهي عشرون سبباً .

وقد كنا ذكرنا عند التنويه بسجل الجمعية وذكر العزم على نشره في المنار أن مافيه من القول بسيئات الدولة العلية يؤلم أكثر القارئين وأننا نختار حذفه عند الوصول اليه . ولكنا رأينا كثيراً من الناس يفند هذا الرأي ويقول ان قراء المنار كلهم أو جلهم من خواص الناس وأهل الفضل الذين يزيدهم العلم بعيوب دولتهم حرصاً على بقائها وسعياً في اصلاح حالها ان استطاعوا فيجب أن لا يحرموا من الاطلاع على الآراء والمباحث التى دونت في سجل الجمعية . فلم يقنعنا هذا القول تمام الإقناع وأحببنا أن نستشير قراء المنار الآخرين فمن كان يرى نشر السجل برمته وذكر كل مافيه عن الدولة والترك فحسبه سكوته دليلا على رأيه . ومن كان يرى وجوب حذف ماينتقد على الدولة فعليه أن يذكر لنا رأيه قولا أو كتابة واننا نرجح هذا الرأي اذا كان عليه عشر المشتركين ولا يصح لمن يسكت قبل النشر أن يلوم بعده

(أشهر مشاهير الاسلام) صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب في سيرة سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله تعالى عنه) وفيه أبواب من العبرة واسعة ، ومباحث في التاريخ والسياسة الاسلامية نافعة ، منها بحث : حكم الاسلام في المسيحيين وحكم الاوربيين في المسلمين ، ومنه يعلم أي الفريقين أعدل . وبحث الردة وحقيقتها . وبحث كون دمشق كانت قاعده الغسانيين أو كون سوريا كانت وطنهم . وبحث شجاعة المسلمات ومساعدتهن للرجال في الفتوح . وبحث الحكم النيابي والشورى في الاسلام . وبحث الاستعمار . وأبحاث تدوين الدواوين وترتيب العمال وضرب النقود ووضع البريد والحكومة العسكرية والحكومة القانونية وبيت المال وغير ذلك مما يؤخذ من سياسة سيدنا عمر وسيرته العادلة التي تضرب الامم بها الامثال ناهيك بذكر الوقائع والفتوح والقضاء . واننا نشكو من كثرة أغلاط الطبع فيه ولكننا واقفون على سببه وهو ان معظم الكتاب طبع ومؤلفه (رفيق بك العظم) غائب فى الشام ولما علم منع إصداره حتى استخرج له جدولا أحصى فيه الاغلاط وألحقه به ولولا ذلك لصدر من بضعة أشهر . وصفحاته تزيد على ٣٠٠ وثمنه ١٠ قروش صحيحة وأجرة البريد قرشان وهو يطلب من ادارة مجلة المنار بمصر ومن المكاتب المشهورة

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر الثلاثاء في ١٦ رمضان سنة ١٣٢٠ — ١٦ ديسمبر (٣ كانون اول) سنة ١٩٠٢)

مصير الانام . ومصير الاسلام

كتب الباحثون من أهل اوربا مقالات كثيرة في مستقبل الاسلام في القرن العشرين فخاضوا فيه من الجهة الدينية والجهة الاجتماعية والجهة السياسية حتى ضربوا فى كل فج ، وهاموا فى كل واد ، فمن زاعم ان المسلمين سائرون الى العدم والانقراض لأنهم اعداء المدنية الحديثة القائم بناؤها على سنن الكون ونواميسه التي لا تتبدل ولا تتحول فهم بذلك أعداء الوجود ومن عادى الوجود فالعدم أولى به . ومن قائل ان هذه الامة الكبيرة لا تنقرض كما انقرض هنود امريكا لانهم أرقى منهم بما سبق لهم من المدنية ولكن يزول سلطانهم فلا تبقى لهم حكومة فتخطفهم الأمم القوية ويعيشون أذلاء مستضعفين ، الى أبد الآبدين ، ومن ذاهب الى أنهم سينهضون ، ومن بعد غلبهم سيغلبون ، وأختلف هذا الفريق في

هذه النهضة كيف تكون وأين توجد . فظن بعضهم أن ستكون بالاخذ بمدنية أوربا وتنشأ في الهند وفارس والاستانة ومصر ورجح بعض أنها تكون بالعصبية الدينية والقوة الحربية وتنشأ في افريقيا أو الصين . وغفل كل من المختلفين عن منبتين آخرين لجلد الإسلام المستقبل وهما أوربا وأمريكا اذا أسرع بهما العلم ونظام الاجتماع الى الإسلام ، الذي لا بد أن تنتهي تلك الأمم اليه في يوم من الايام ، أو جزيرة العرب اذا أبطأ بهما سير العرفان ، وسنن العمران ، فظلت أوربا تطارد المسلمين وتضطهدهم حتى يأرز الاسلام برجالاته المحنكين الى جزيرة العرب كما تأرز الحية الى جحرها ومن ثم ينفثون سموم التعصب في الشرق كله فما ينظر الأوربيون فيه إلا صيحة واحدة فاذا هم خامدون

أراني عجلت برأي قبل التمهيد له وذكرت نتيجة لمقدمات مطوية ودلائل خفية ، فلا غرو أن ينكرها عليّ المسلمون ، قبل أن يعرفها الاوربيون ، الا من بعد نظره ، وغاص في أعماق المسألة فكره ، فلنترك المنكر في انكاره ، ولنساير المتفكر في أفكاره ، باحثين معه في مسير الأنام ، ومستقبل الاسلام ،

أين تذهب الأمم المتقدمة دائماً الى الأمام ، والى اي غاية ينتهي سير هؤلاء الاقوام ، وهل تزداد الشعوب المتقدمة تقدما ، وتزداد الشعوب المتخلفة تخلفاً ، وتزداد الأمم الحية حياة والمائتة موتاً ، حتى تكون الثانية غذاء للأولى كما قال اللورد سالسبوري سياسي انكلترا الكبير ؟

هل تبقى هذه المدنية الاوربية مادية حيوانية تبيح الفحشاء والمنكر ، وهل يجرف سيلها ما في بلاد الاسلام من بقايا العفة والصيانة والتراحم

والتواصل حتى لا يبقى للمسلمين — وقد أخلقت فيهم اخلاق العمران — من الصفات ما يستحقون به رحمة الله تعالى فيكونوا من الهالكين ؟

هل تظل أوربا تواثب الدين كلما قلت حاجة السياسة اليه ، وعدت العلوم الكونية عليه ، وهل يكون حظ الاسلام عند المتعلمين الآتين ، كحظ النصرانية عند المتعلمين الحاضرين والغابرين ، يتململون منه لواذا ، ويمرقون منه زرافات وافذاذا ، ؟

هل تنبت المدنية العصرية في ارض الاسلام كما نبتت في المغرب وتنمو كما نمت وتثمر كما اثمرت سواء بسواء فيرجع المسلم القهقرى الى القرن السادس عشر الميلادي فيبتدئ منه ؟ أم يكون اول سيره من نهاية القرن التاسع عشر فتكون مدنيته اسرع واعجل ، ومعارفه أتم واكمل ، ؟

اذا اراد الناظر ان يستنبط الجواب من سيرة المسلمين الذين ولوا وجوههم شطر المدنية ، ولقفوا هذا اللماح من العلوم الاوربية ، لا يسعه الا ان يقول : ان حال هذه المدنية ستكون (او هي كائنة منذ اليوم) دون حال الاوربيين وانهم سينبذون الإسلام باسرع مما نبذ اولئك النصرانية لان لرؤساء الدين في النصرانية دولة لها في كل فرقة رئيس عام ، وموظفون يسيرون بقانون ونظام ، وهم مستقلون في ذلك عن الحكام ، ولذلك تيسر لهم محاربة العلم زمناً طويلا ولما دالت للعلم الدولة وفاز بالنصر سالموه واستعانوا به على حفظ الدين حتى إن أزمة المدارس اصبحت في أيديهم فلم يتركوا مدرسة بدون كنيسة . ومن عجزوا عن إقناعه بقضايا الدين والزامه بالعمل به والدعوة اليه لا يعجزون عن إقناعه باحترامه والدفاع عنه باعتبار أنه رابطة للجنسية ولا يزال لهم من السلطان فى الامم المسيحية

حتى اكفرها بالدين كفرنسا ما يخيف الحكام منهم فيضطهدونهم . وليس للمسلمين مثل هذه الرياسة المنتظمة في فرقة من الفرق ولا في قطر من الاقطار وما عند الشيعة من المجتهدين ليس لهم من النظام والثروة ما للاكليروس عند النصارى ولا يرجى منهم مثلما كان من اولئك

ترى رئيس علماء الدين في مصر — وان لقبوه بشيخ الاسلام — لا يرجع اليه بشيء من أمور المسلمين ولا يستشار في كيفية تعليمهم وتربيتهم وليس له سلطان ما على اوقافهم الخيرية ، ولا إشراف على اعمالهم الاجتماعية ، وكذلك شيخ الاسلام الرسمي في دار السلطنة العثمانية لا وظيفة له الا تعيين القضاة والمفتين وعزلهم فهو موظف تحكم عليه السياسة ويعزله السلطان متى شاء وليس له من الاستقلال في عمله مثلما لرؤساء الديانة النصرانية على ان عمله للحكومة لا للامة . واكبر من هذا كله ان رجال الدين الاسلامي لا يعهد اليهم بشيء يستقلون به دون الحكومة ولا خدمة المساجد فالحاكم السياسي هو الذي يجعل امام الصلاة اماماً وخطيب الجمعة أوالحج خطيباً فهو عند المسلمين رئيس ديني مستقل وان شرع لحكومته غير ما شرع الله ، وصار يحكم بين المسلمين باسمه دون اسم الله ! ! !

يقول الناظر : اذا كان حال الحكام المسلمين ما نرى من البعد عن الدين وصاروا كما قال الله تعالى « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله » . واذا كان المسلمون على هذا راضين عنهم وخاضعين لهم مع علمهم بأنهم إياهم خاضعين للأجانب إما ظاهراً و باطنا وإما باطناً فقط . وإذا كان علماء الدين لا يرجع اليهم بشيء من سير الامة الاجتماعي والادبي ولاهم ينتدبون لذلك من أنفسهم ويجعلون الامة مضطرة الى الرجوع اليهم

والاعتماد في تربيتها عليهم . واذا كان المتعلمون على الطريقة الاوربية من المصريين والاتراك كثيراً ماينبذون الدين ظهريا ، ويحسبونه شيئاً فريا ، ويستحلون الخمور ، ويستمرءون مرعى الفجور ، ويفضلون الظلمة على النور ، واذا كان هؤلاء المتعلمون هم الذين يتولون الاحكام ، ويأخذون من الامة بكل زمام ، واذا كان الناس على دين ملوكهم . والرعايا تبعاً لحكامهم . وناموس الاجتماع قاض بتقليد الناس لامرائهم وكبرائهم . أفلا يحق لنا ان نحكم بأن المسلمين سيكونون أسرع في ترك دينهم ممن سبقهم . فان كان الجهاد بين العلم والدين في اوربا مدة خمسة قرون قد أنجم ببقاء الدين في نمو ، وسلطانه في نفوذ وعلو ، فلا يمضي على المسلمين قرن أو قرنان ، الا وهو في خبر كان ، واذا لاحظنا انه ليس للمسلمين جنسية ولا وطنية تقوم مقام الرابطة الدينية . وأن الذين أحبوا الامتياز فيهم والانتفاع منهم بدعوتهم الى « الوطنية » لم ينجحوا لان تأثير الدين لم يجعل لهم تأثيراً بل عدّهم الذين يفهمون حكم الاسلام وأسراره أعداءاً للاسلام وان كانت اسماؤهم اسماء المسلمين — فلنا ان نحكم بأن المسلمين سيفقدون بانحلال الرابطة الدينية كل استقلال ، ويكون مصيرهم الى الزوال ، فلا تفيدهم سعة البلاد ، ولا كثرة التعداد ، إذ لا كثرة مع فقد الرابط العام ، كما لا يكون العقد بغير نظام .

هذا ما يقول الناظر بإحدى عينيه ، الى ما بين يديه ، واعني بإحدى العينين العين التي تنظر الى السوءى دون الحسنى والى منافذ الخوف دون ابواب الرجاء . واعني بما بين اليدين الظاهر الشائع من حال الامم دون الخفي الذي لا يرى الا بالتحديق ، وبنفوذ اشعة البصر من الحجاب الصفيق ،

ذلك ان كل انسان يدرك مما يشاهده ويمر به ما هو مستعد لإدراكه وينبو طرفه عما سواه وان كان واضحاً جلياً . فما بالك اذا كان ما يعلو استعداد الناظر الحسير خفياً سره ، مجهولا عنده امره ،

إن سير الامم يشبه سير الظل لاتعد له الخطوات ، وانتقالها يحاكي انتقال النجوم السيارة لا تدركه لاوقدات ، والوليد يعذر اذا انكر سير الظل وجزم بأنه واقف لانه لا يرى حركته. والجاهل بعلم الفلك يعذر اذا انكر بديئاً ان السيارات تسير من الغرب الى الشرق لانه يراها تغيب في جانب الغرب فهو يرى أثر حركة الارض لانه قريب يكون كل يوم ولا يلاحظ سبب تأخر طلوع القمر كل ليلة فضلا عن غيره من السيارات . كذلك يعذر الماجن اذا جاء باريس فعكف فيها على الحانات والمواخير اذا قال ان غاية مدنية أوربا إباحة الفواحش والفجور ولا غاية وراءها. ويعذر كليل النظر اذا جاء مصر فرأى فيها كل شيء دون ما كان يسمع اذا حكم على مستقبلها بضد ما كان يحكم به وهو بعيد عنها ويئس من مستقبل الاسلام بالنسبة اليها

يعذر باليأس اذا دخل الازهر فرآه كعالم الخيال لا أثر لحال الناس في علمه ولا أثر لعلمه فيما عليه الناس في سيرهم ورأى أن الآثار القلمية التي تصدر عن مصر ليست منه في شيء ولا هي مرضية في الغالب عند اهله وانما جل علمهم مناقشة في أساليب المؤلفين وتدقيق في تحليل عبارات كتب مخصوصة اختاروا تدريسها . ثم رأى أن أهله غير محترمين عند طبقة من طبقات الأمة حتى ان الحوذي (سائق المركبة) ليسخر من المجاور في الازهر ومن العالم أيضاً إلا بعض الوجهاء الذين يحترمون

لمناصبهم التي بقيت لهم او لثروتهم وقليل ما هم

ويعذر به إذا غادر الازهر الى المدارس فرأى فيها العناية باللغة الانكليزية ، أضعاف العناية باللغة العربية ، ورأى التلامذة يتلقون تاريخ الدين ، عن المدرسين الاوربيين ، ورأى علم الدين كالرسم الدارس ، لا يحفل به المدرس ولا الدارس ، وظن لذلك أن الانكليزية سوف تستبدل بالعربية

ويعذر به اذا شاهد الجريدة الهزلية البذيئة تطبع منها الوف من النسخ فتباع بالنقد يداً بيد ويتهافت عليها القارئون والقارئات من جميع الطبقات ، يلغون بها مقهقهين ولا مثار للقهقهة والكركرة ، ولا للإهلاس والهرنفة ، ثم يرى قراء المجلات العلمية والتهذيبية على قلتهم يلوون ويمطلون ولا يخرج منهم حقها الا بالنكد . ويعذر به اذا لاحظ حال تلامذة المدارس وبلا أخبارهم ، واكتشف ضمائرهم وأسرارهم ، فرأى أكثرهم مشغولين بالسفاسف فاسدي التربية قصيري الآمال لاهمّ لأحدهم الا أن يكون موظفا في الحكومة لا ليرفع شأن أمته ولا ليخدم مصلحة بلاده ولكن ليكون رزقه مضمونا فلا يتكلف عناء الاعمال ، وان كان وراءها نعيم الاستقلال ، — ويعذر به إذا رأى الاغنياء والوجهاء لاهمّ لهم الا التمتع باللذات تنبسط أيديهم في الإسراف والمخيلة ، وتنقبض عن الاعمال الجليلة

ويكون أعذر باليأس والقنوط اذا رفع بصره الى الحكام والامراء ورآهم العوبة في أيدي الاجانب . وقد أخذتهم الفتن من كل جانب

هذا ما يراه الطرف القصير ، والبصر الحسير ، ويبني عليه حكمه الجائر ولكن الاسلام يسير من وراء مدى طرفه سيرا طبيعياً ، ويتقدم تقدما تدريجياً ، يسير بلغته وعلومه سير الظل الوارف وينتقل انتقال الكواكب

من الغرب الى الشرق في الباطن ومن الشرق الى الغرب في الظاهر بل كل واحد من الخافقين يسير نحو الاخر كلما خطا المسلم الى المدنية الاوربية المسرفة خطوة خطا مثلها الاوربي الى الاسلام أو أبعد منها أو أقرب ولا ندري وهما في مبدإ السير أيهما يكون الاسبق الى تحكيم الاسلام في هذه المدنية المسرفة المائلة ليرجعها الى الاعتدال الذي هو غاية الكمال الممكن ولكننا نعلم أن التلاقي هو نتيجة هذا التقرب المستمر وإن ذلك لواقع ماله من دافع .

* * *

ندع الكلام الان في الحركة الاسلامية العامة الى التقدم في كل قطر من الاقطار وتقرب الشعوب المسلمة بعضها الى بعض ونداء الشيعي والسني السلفي والمتمذهب الى الاصلاح وفي امتداد هذا النداء وتأثيره . وفي الجمعيات الاسلامية وفي ترقي لغة الدين (العربية) وتقدمها السريع من غير نصير من الحكومات الاسلامية أو الجمعيات العلمية -- ندع هذا لفرصة أخرى ونقول كلمة وجيزة في تقرب أوربا الى الاسلام بطبيعة العلم والعمران فيها الان هذا أغرب عند اكثر القارئين من الاول .

كانت أوربا في القرون الماضية تعتقد أن الاسلام دين وثني نشأ بالسلب والنهب والاعتداء وإباحة الفواحش والمنكرات وأن أهله قوم متوحشون يتقربون الى أصنامهم وأوثانهم بسفك الدماء، وكانوا يبنون على هذا الاعتقاد أنه يجب على أوربا السعي باستعبادهم أو محوهم من بلادهم ليسلم سائر الناس من شرورهم . والشواهد على هذا كثيرة في كتبهم فعندهم كتب كثيرة مؤلفة في سوء حال الاسلام والمسلمين ألفها القسيسون والسياسيون لتنفير الشعوب الأوربية من العالم الاسلامي حتى أنهم ترجموا

القرآن الحكيم ترجمة مبدلة محرفة بل الفوا كتباً وضعية منها ترجمة للقرآن لو قرأ المسلم منها ما سموه سورة الفاتحة (وهي التي لا يجهلها مسلم) ولم يذكر له ان هذا ترجمة القرآن لما خطر في باله القرآن عند قراءتها مطلقاً لانه ليس فيها معنى جملة واحدة من جمل الفاتحة الشريفة . ولو شئت أن أسرد الشواهد من كلام الاوربيين في ذم الاسلام ، ونبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، لاحتجت الى تأليف مستقل . وأهون وصف وصفه به الفيلسوف رنان الفرنسي [1] في كتابه (ابن رشد) قوله فيه « دين الخنازير أو القوم المنهمكين في الشهوات » ومن التحريض عليه تلك الكلمة الخبيثة التي جاءت في مقال للموسيو هانوتو وهي الاقتراح على فرنسا بان تهدم الكعبة المشرفة وتنقل قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى قصر اللوفر في باريس . ومن أراد الزيادة على ذلك فليقرأ كتاب (الاسلام) للكونت هنري دي كاستري الذي عربه احمد فتحي بك زغلول وطبع بمصر سنة ١٣١٥

هذه إشارة الى اعتقاد أوربا في الاسلام وقولها فيه وأما العمل فمازال الاوربيون يسومون المسلمين الخسف في كل بلاد لهم استولت عليها دول اوربا حتى خففت انكلترا ثم روسيا وطأتهما عنهم من عهد قريب فاذنت روسيا لهم بطبع المصاحف وكتب الدين وأعطتهم شيئاً من الحرية يتمتعون به الآن وكان ممن سعى بذلك لدى القيصر السيد جمال الدين الافغاني (رحمه الله تعالى) . وهذه انكلترا التي كانت ولا تزال أبعد أمم اوربا

---

(١) هذا هو رنان وهذا كتابه الذي اعتمدت عليه مجلة الجامعة في ترجمة ابن رشد فيلسوف الاسلام العظيم . فهل يوثق بقول متعصب على الاسلام هذا التعصب المشوه في أمر ما يتعلق بالاسلام او تاريخ رجاله العظام ؟

وحكومتها عن التعصب وأقربهن الى التسامح كانت قاعدة الوظائف عندها في الهند أن تكون للانكليزي فالاوربي فالوثني فالمسلم فما كان يوظف مسلم الا اذا لم يقبل الوظيفة التي يتولاها أحد من هؤلاء

انقلبت الحال بعد هذا في الاعتقاد وفي القول والعمل وفي السياسة فقد أقبل العدد الكثير من الاوربيين على دراسة لغة القرآن وعلوم الإسلام فظهر لهم فضل هذا الدين في الجملة وألفوا كتباً كثيرة في فضله وصار اكثر الباحثين فيه يعتقدون بأن نبيّه كان يدعو الى هذا الدين معتقداً بأنه ملْهَمٌ من الله ومؤيد من لدنه سبحانه وتعالى وأن ما جاء به إصلاح عظيم للبشر عقائده نافعة وأخلاقه محمودة وشريعته عادلة . ثم إن منهم من اجتهد في كشف الشبهات التي يوردها علماؤهم على الاسلام وهي منه حقيقة كإباحة تعدد الزوجات بشرطها والرخصة في الطلاق والجهاد . وإن لبعضهم من الاجوبة عن هذه الامور المنتقدة فى نظر قومهم أشد الانتقاد مالا تجد مثله لعالم من علماء المسلمين . وقد قام بعض القسيسين منهم يحاول الجمع بين الديانتين كاسحق طيلر الذي نشرنا بعض خطبه ومقالاته من قبل

لم يقف التحول عند حد اعتقاد بعض الباحثين وأقوال بعض المؤلفين بل قضت طبيعة الاجتماع بالعمل ببعض ذلك ومخالفة دينهم اليه لانه ظهر لهم أنه ضرورة لابد منها وذلك كالطلاق لذي صار مشروعا عندهم وشائعاً فيهم . وكذلك ظهرت فيهم بوادر الحاجة الى تعدد الزوجات حتى قام من الكاتبات من يدعو اليه في الجرائد (راجع مقالة « الرجال والنساء » ص ٤٨١ م ٤) وكأنك بهم وقد عادوا الى ذلك بعد حين وسيجدون في الإسلام الطريقة المثلى لحل المشكلة الاجتماعية الكبرى التي من آثارها الفوضوية

والاشتراكية وتعصب العمال الذي تفاقم خطبه في هذه الأيام

ان ما كشفه العلم في الخلق والتكوين يوافق ما ينطق به القرآن . ان الايات الكونية التي يفصلها القرآن في اثبات الالوهية هي أقرب الى العلم الحاضر والفلسفة الحاضرة منها الى فلسفة اليونان . ان الوحي الذي يطالب القرآن بالايمان يمكن ان يقبله حتى العالم المادي من غير حاجة الى إبطال مسئلة ثابتة من مسائل علمه أو فلسفته . ان الاخلاق التي يدعو اليها القرآن هي أخلاق الاجتماع والعمران ، والعزة والسلطان ، ان أصول الاحكام والشرائع السياسية والمدنية والقضائية والحربية في الإسلام منطبقة على ما ثبتت فائدته للأمم الغربية وفيها ما لم يصلوا اليه ، ولو عرفوه لعولوا عليه ، ان لكل داء من أدواء العمران وكل مرض من أمراض الاجتماع البشري دواءاً شافياً في القرآن يعرف ذلك الراسخون في فقه القرآن من علماء الاجتماع . وان من هذه الادوية ما ينفع بدون الإيمان ومنها ما لا يتم الا به كدواء الزكاة لأدواء المسألة الاجتماعية الكبرى كما قال تعالى « وننزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين » وان المدنية الكاملة التي تسير اليها الامم الراقية لا تكون الا بدين يجمع هذه الاصول الإنّية التي أجملناها الان ، وقد جاء في المنار بعض التفصيل لها وسنزيدها تفصيلا اذا أمهلنا الزمان

ان المسلمين الاولين أخذوا هذه الاصول بالايمان والتسليم فأسرعت اليهم بالسيادة والسعادة ولكن لم يلبث العلم بها أن ذهب وحل محله التقليد الأعشى فتركوا الأخذ بحكمة القرآن الى أقوال مقلديهم ولاغناء فيها عن كتاب الله تعالى فجهلوا في مجموعهم فقه هذه الاصول وزادوا عليها لإيضاحها ما أخفاها فساروا الى الوراء ، يخبطون خبط العشواء ، ولما تكمل مدنيتهم ،

الا ترى مقلَّديهم في العقائد كيف تركوا تلقي العلم الإلهي طريق القرآن، الى نظريات اليونان تأثراً بذلك الزمان، ألا ترى مقلديهم في السياسة والأحكام كيف تركوا أصول القرآن ومايوضحهما من السنة واُستبدوا بالعمل. الا تري الأمة بين هؤلاء الرؤساء، من الملوك والعلماء، قد فقدت الاستقلال الاجتماعي وعوملت معاملة السوائم من الانعام؟ هذا هو سبب ضياع أثر تلك الاصول في سبيل الوصول الى المدنية الكاملة

الاوربيون يسيرون الآن الى الاسلام من طريقه فقد بدأوا بالبحث في الآفاق فعرفوا من آيات الله فيها مالم تعرفه الامم من قبلهم وثنوا بالبحث في أنفسهم فاهتدوا الى كثير من سنن الله تعالى في قواها وفي عملها الحيوي والاجتماعي. ثم أنهم يقرنون العلم دائمًا بالعلم بل لا علم عندهم الا ما أيدته التجربة العملية. وكل ما علموه كان مقربا من القرآن فما عليهم الا أن يفهموه وقد أنشأوا في هذه السنين يدرسون لغته ويدرسونه بقوة واجتهاد وقام فيهم من أنفسهم دُعاةٌ اليه وقد كاد يأتي فيهم تأويل قوله تعالى «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق»

أما نحن المسلمين فاننا نعترف بالتقليد انه الحق ولكننا تركنا من عدة قرون البحث فى الآفاق وفي أنفسنا الذي علق عليه كتابنا تبيُّن الحق والآن توجه الكثيرون منا الى علم الآفاق وعلم النفس تقليداً للذين سبقونا فاذا ضللنا في هذا السير الجديد فاننا نقلدهم من بداياتهم فنترك الدين وآدابه وليس عندنا شيء يقوم مقامه كما كان عندهم فنكون من الهالكين ويكونوا هم السابقين الى الاسلام فلا يزالون يقبلون عليه ونحن مدبرون عنه الى أن يصلوا بحثهم واجتهادهم الى الحق ونحن عثرة في طريقهم وعند ذلك نرجع

الى تقليدهم في الدين كما قلدناهم في مبادئ العلم وما تبعها من التعطيل وما تقليدهم الا اجتهاد فنتعلم منهم كيف نفهم ديننا برؤية آيات الله في الآفاق وفي أنفسنا لا بقول فلان ورأي علان.

وأما اذا اهتدينا في هذا السير واندفعنا الى هذا العلم بإحساس الحاجة اليه الا بالتقليد وأخذناه كاليابان من حيث انتهى اليه لا من حيث بدأ منه وسابقناهم الى ما نحن أجدر به من إحياء لغة القرآن وفهم الدين من القرآن وما يبينه من السنة النبوية فيقرب ان نسبقهم اليه، ونساعدهم عليه، ونسير بعد أن يفهم بعضنا بعضاً متعاضدين متساندين، حتى نصل جميعاً الى الحق اليقين، ونكون السابقين وسائر الامم من اللاحقين، ويظهر فينا معنى حديث أنس عند الترمذي وغيره «أمتي كالمطر لا يُدرَى أوله خير ام آخره» ويأتي فينا جميعاً تأويل قوله عز وجل «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس مفتي الديار المصرية في الازهر)

« وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ »

هذه الآية كالتي قبلها واللواتي بعدها تفصيل لنعمة الله على شعب إسرائيل التي ذكرت من قبل مجملة وابتدأ التفصيل بذكر التفضيل لما تقدم من الحكمة في ذكره وهو نهوض الهمة الى التخلق بالاخلاق

الفاضلة والترفع عن الرضى بما دون المقام الذي رفعهم الله اليه وتوطين النفس لقبول الموعظة الخ ماتقدم. ثم ذكرهم بما حل بهم من البلاء والعقوبات جزاءا على جرائمهم وبلطف الله تعالى بهم وانجائهم من البلاء وتوبته عليهم المرة بعد المرة ليعرفهم مقدار فضله وعقوبته

خاطب الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بما كان لآبائهم لأن الإنعام على أمة بعنوان أنها أمة كذا هو إنعام شامل للأمة من أصابه ذلك الإنعام من أفرادها ومن لم يصبه ويصح الامتنان به على اللاحقين منهم والسابقين كما يصح الفخر به منهم أجمعين. كما أن الانعام على شخص بشيء يختص بعضو من أعضائه كلبوس يلبسه أو أكل يطعمه يكون إنعاماً على الشخص ولا يقال أنه إنعام على لسان فلان ولا على رأسه أو يده أو رجله. ولان ما وصل الى مجتمع بعنوان ذلك الاجتماع والرابطة التي ربطت افراده بعضهم ببعض يكون له أثر في مجموع الافراد لا سيما اذا كان الواصل من بلاء أو نقمة مسبباً عن عمل الامة شراً أو خيراً. ويكون لذلك أثر في الامة يورثه السلف الخلف ما بقيت الامة. وانواع البلاء التي ذُكِّر بها اليهود في القرآن كانت لشعب اسرائيل من حيث هو شعب إسرائيل لان الجرائم التي كان البلاء عقوبة عليها إنما كانت من مجموع الشعب من حيث هو شعب اسرائيل. ثم إن الله تعالى كان يتوب على الشعب بعد كل بلاء ويفيض عليه النعم فتكون العقوبة تربية وتعليما تفيد المعتبرين بها نعمة وسعادة

لا أقول ان هذا الخطاب إيماء أو إشارة للمخاطبين بأن يستحضروا تاريخ أمتهم الماضي ليتذكروا صنع الله تعالى فيهم فيعتبروا بما أصابهم من

بلاء ونعماء، وسعادة وشقاء، ويتفكروا فيما حل بهم من بعدهم، وماينتظر أن يحل بهم، وإنما الكلام نص صريح لا يحتاج الى التأويل. فالروابط الاجتماعية بين افراد الامم وجماعاتها كالروابط الحيوية بين أعضاء الشخص الواحد بلا فرق. تعثر الرّجل فتخدش أو توثأ والالم يلمُّ بالشخص كله من حيث هو شخص حي بحياة واحدة تستوي فيها رجله وسائر أعضائه ولذلك يسعى بجملته لإزالة ألم الرجل ويتوقى أسباب العثار بعد ذلك مستعيناً بكل أعضائه وقواه

علمنا الله تعالى هذا بما قص علينا من أخبار الأمم وأنعم على أمتنا (التي لا تختص بشعب ولا جنس) بهذا القرآن الكريم فكان لهم به نعم لا تحصى تعرف من الكتاب والسنة. منها أنهم كانوا أعداءا فألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا. ومنها أنهم كانوا مستضعفين فمكن لهم في الارض وأورثهم أرض الشعوب القوية وديارهم وجعل لهم السلطان عليهم. ومنها أنه جعلهم أمة وسطاً لا تفريط عندها ولا إفراط ليكونوا شهداء على الناس الذين غلوا وأفرطوا، والذين قصروا وفرطوا، ثم لما كفرت بأنعم الله أنزل بها ألوانا من البلاء والنقم بعنوان الامة فان التتار إنما نكلوا بها وتبروا ما علوا تتبيراً لانها الامة الاسلامية. ثم زحف عليها الغربيون أيام حروب الصليب وجاسوا خلال الديار لانها الامة الاسلامية. ثم إن الفتن لا تزال تحل بديارها، وتنقصها من أطرافها، وسوط عذاب الله يصب عليها بعنوان الامة الاسلامية. وقد مرت عليها قرون وهي لا تعتبر بما مضى ولا تتربى بما حضر بل جهلت الماضي فحارت في الحاضر لا تعرف سببه ولا المخرج منه أليس من العجيب أن الجمهور الاعظم من المشتغلين بالعلم منا هم أجهلنا

بتاريخ الامة لا يعرفون شيئاً من ماضيها ولا حاضرها ولكنهم يعترفون بان الامة في بلاء كبير ويعتذرون بالقضاء والقدر عن معرفة الاسباب ويكلون الى القضاء والقدر النجاة منه أوالبقاء فيه

ان هذه الامة أمة واحدة وان اختلفت ديارها وتعددت اجناسها ولا يمكن أن تعرف حقيقتها الا بعد معرفة تاريخها الماضي فلا بد من تتبع السواقي والجداول الى الينبوع الاول الذي هو الاصل .

كان سلفنا رضي الله تعالى عنهم يضبطون أحوال من قبلهم من أمور الدين والدنيا بكل اعتناء ودقة حتى كانوا يروون البيت من الشعر أو النكتة بين العاشق ومعشوقه بالاسانيد المتصلة وليست هذه المبالغة منتقدة فان الامة انما تكون أمة بدينها ولغتها وأخلاقها وعاداتها فاذا لم يحفظ خلفها عن سلفها هذه المقوّمات بحفظ تاريخها تكون عرضة للتغير بتأثير حوادث الزمان وتقلبات شؤن الاجتماع مع جهل المتأخر بما كان عليه المتقدم وبكيفية حدوث التغير الضار للجهل بالتاريخ . بهذا تفعل فواعل الكون بالامة الجاهلة أفاعيلها حتى تقلب كيانها وتقوض بنيانها وتقطع عرى الربط العامة بين افرادها فلا يكون لهم عمل الا للمصلحة الشخصية وهي لا حفاظ لها فى مجموع الامة الا بالمصلحة العامة فاذا أهملت تكون الامة من الهالكين

عنيت أمتنا بالتاريخ عناية لم تسبقها به أمة فلم تكتف بضبط الوقائع وتلقيها بالرواية كالسنة النبوية بل تفننت فيها فصنفت فى تاريخ الاشخاص كما صنفت فى تاريخ البلاد والشعوب ثم نوعت تاريخ الاشخاص فجعلت لكل طبقة تاريخا فترى فى المكاتب طبقات المفسرين وطبقات المحدّثين وطبقات النحويين وطبقات الأطباء وطبقات الشعراء الى غير ذلك . ثم اهتدى بعضهم الى

استنباط قواعد العمران وأصول الاجتماع من التاريخ فصنف ابن خلدون فى ذلك مقدمة تاريخه . ولو لم تنقطع بنا سلسلة العلم من ذلك العهد لكنا أتممنا مابدأ به سلفنا ولكننا تركناه وسبقنا غيرنا الى إتمامه واستثماره . فالتاريخ هو المرشد الاكبر للأمم العزيزة اليوم الى ماهي فيه من سعة العمران ، وعزة السلطان ، وكان القرآن هو المرشد الاول للمسلمين الى العناية بالتاريخ ومعرفة سنن الله في الامم منه وكان الاعتقاد بوجوب حفظ السنة وسيرة السلف هو المرشد الثاني الى ذلك فلما صار الدين يؤخذ من غير الكتاب والسنة أهمل التاريخ بل صار ممقوتا عند اكثر المشتغلين بعلم الدين ، فان وجد من يلتفت اليه فانما يكون متبعاً فى ذلك سنة قوم آخرين ،

نكتفي الآن بهذا التنبيه ونعود الى اتمام تفسير الآية التى صرفتنا اليه بمخاطبة بني اسرائيل فى زمن تنزيل القرآن بما كان من تعذيب آل فرعون لسلفهم وإنعام الله عليهم بالانجاء من ذلك العذاب

أول من دخل مصر من بني إسرائيل هو يوسف عليه السلام ونما نسله فيها وكثر حتى قيل انهم كانوا يوم خرجوا من مصر ست مئة الف وهذا النمو كان في مدة اربع مئة سنة . وكان المصريون من آل فرعون لا يحبون مساكنة الغرباء (١) فلما رأى فرعون نمو شعب إسرائيل خاف

---

(١) يوجد في المصريين الآن من يكتب ويخطب لإحياء سنة آل فرعون ببغض المهاجرين الى مصر و يبغّض فيهم ولو كانوا على لغته ومن أتباع حكومته العثمانية بل ولو كانوا من أهل الدين الذى ينتمي اليه ويوجد شرذمة من المصريين تلغط بلفظ المصريين والدخلاء انخداعا بالدعوة الى السنة الفرعونية التي تبطل اذا نجحت (ولن تنجح) سنة القرآن الذى أرشد الى أن الله جعل الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا ويتمازجوا وجعل أكرمهم أتقاهم وأنفعهم لعباده وقد اهتدى فلاسفة أوربا الى أن هذه السنة غاية كمال البشر

مغبة الأمر لأنه كان يعلم أنهم اذا كثروا يتبسطون في الارض ويزاحمون المصريين فطفق يستذلهم ويكلفهم بالأعمال الشاقة كصنع الطوب لبناء الهيا كل والبرابي لعلمه بأن الذل يقلل النسل ويفضي بالامة الى الانقراض. ولكنهم ظلوا مع الاستذلال يتناسلون ويكثرون فلما رآهم الحكَّام المصريون يزدادون نسلا وأنهم مع هذا محافظون على عاداتهم وتقاليدهم ولا يمازجون المصريين وعندهم الأثرة والإباء لاعتقادهم أنهم شعب الله وأفضل خلقه خافوا ان يقووا بالكثرة فيعدوا عليهم ويغلبوهم على بلادهم كلها او بعضها

وانما كانوا يزدادون على الذل نسلا لأن الذل لايؤثر الا فى الزمن الطويل وذلك بأن الذليل الذي لاتطلق إرادته فى أعماله هو بمنزلة الشخص الذي يضعف عن تناول الغذاء الذى يمده حياته فهو يذبل رويداً رويداً حتى ينحلّ ويموت. والقوة المعنوية التى تحفظ حياة الأمم هي قوة الارواح والإرادات لان الجسم محمول بالروح. والعمل النافع إنما يكون بالارادة فمتى خذلت النفوس بالتسلط على ارادتها تبعها الجسم فيضعف بضعفها. والضعيف يأتي بنتاج ضعيف ويكون نسل نتاجه أضعف من نسله ويتسلسل هكذا حتى يكون من لوازم ضعف النسل اسراع الموت الى صغاره قبل بلوغ سن الرشد. وبهذا ينقرض النسل كما حصل لهنود أمريكا وسكان شمالي أوستراليا.

استبطأ المصريون أثر الاستذلال في الاسرائيليين فعملوا على انقراضهم بقتل ذكرانهم واستحياء إناثهم فأمر فرعون القوابل بأن يقتلن كل ذكر لبني اسرائيل لان من سنة الله في الخلق أن قوام الشعوب والقبائل وحفظ

الاجناس انما يكون بالذكور. وقال مفسرنا (الجلال) تبعاً لغيره إن سبب العذاب وتقتيل الابناء دون البنات هو أن بعض الكهنة أخبر فرعون بأن سيولد من بني اسرائيل ولد ينزع منه ملكه ويكون على يديه هلكه (قال الاستاذ الامام) وليس لهذا القول سند صحيح ولا يعرف في التاريخ وما قلناه هو الذي يعرفه بنو اسرائيل ويتناقلونه في كتبهم المقدسة وغير المقدسة وهو المعقول في نفسه أيضاً

باب الاسئلة والاجوبة

(تعدّد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم)

(١) مصطفى أفندي رشدي المورلي بالزقازيق: ماهى الحكمة في تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أكثر مما أباحه القرآن الشريف لسائر المؤمنين وهو التزوج بأربع فما دونها وتعين الواحدة عند خوف الخروج عن العدل ؟

(ج) إن الحكمة العامة في الزيادة على الواحدة في سن الكهولة والقيام باعباء الرسالة والاشتغال بسياسة البشر ومدافعة المعتدين دون سن الشباب وراحة البال هي السياسة الرشيدة. فأما خديجة وهى الزوج الأولى فالحكمة في اختيارها وراءسنة الفطرة معروفة وليست من موضوع السؤال. وقد عقد بعد وفاتها على سودة بنت زمعة وكان توفي زوجها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية. والحكمة في اختيارها أنها من المؤمنات المهاجرات الهاجرات لأهليهن خوف الفتنة ولو عادت الى أهلها بعد وفاة زوجها (وكان ابن عمها) لعذبوها وفتنوها فكفلها عليه الصلاة والسلام وكافأها بهذه المنة العظمى. ثم بعد شهر عقد على عائشة بنت الصديق والحكمة في ذلك كالحكمة في التزوج بحفصة بنت عمر بعد وفاة زوجها خنيس بن حذافة ببدر وهي اكرام صاحبيه ووزيريه أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) واقرار عينهما بهذا الشرف العظيم *

وأما التزوج بزينب بنت جحش فالحكمة فيه تعلو كل حكمة وهى إبطال تلك البدع الجاهلية التى كانت لاحقة ببدعة التبني كتحريم التزوج بزوجة المتبنَّى بعده وغير ذلك. وقد نشر في المجلد الثالث من المنار مقالتان في هذه المسئلة احداها للاستاذ الامام فليراجعهما

السائل هناك . ويقرب من هذه الحكمة الحكمة في التزوج بجويرية وهي برة بنت الحارث سيد قومه بني المصطلق فقد كان المسلمون أسروا من قومها مئتي بيت بالنساء والذراري فأراد عليه الصلاة والسلام أن يعتق المسلمون هؤلاء الأسرى فتزوج بسيدتهم فقال الصحابة عليهم الرضوان أصهار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي أسرهم واعتقوهم فأسلم بنو المصطلق لذلك أجمعون وصاروا عوناً للمسلمين بعد ان كانوا محاربين لهم وعوناً عليهم وكان لذلك أثر حسن في سائر العرب

وقبل ذلك تزوج عليه السلام بزينب بنت خزيمة بعد قتل زوجها عبد الله بن جحش بأُحد وحكمته في ذلك ان هذه المرأة كانت من فضليات النساء في الجاهلية حتى كانوا يدعونها أم المساكين لبرها بهم وعنايتها بشأنهم فكافأها عليه التحية والسلام على فضائلها بعد مصابها بزوجها بذلك فلم يدعها أرملة تقاسي الذلّ الذي كانت تجير منه الناس وقد ماتت في حياته .

وتزوج بعدها أم سلمة (واسمها هند) وكانت هي وزوجها (عبد الله أبو سلمة بن أسد بن عمة الرسول برة بنت عبد المطلب وأخوه من الرضاعة) أول من هاجر الى الحبشة وكانت تحب زوجها وتجله حتى إن أبا بكر وعمر خطباها بعد وفاته فلم تقبل. ولما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم « سَلِي الله ان يؤجرك في مصيبتك ويخلفك خيراً » قالت : ومن يكن خيراً من أبي سلمة : فمن هنا يعلم السائل وغيره مقدار مصاب هذه المرأة الفاضلة بزوجها وقد رأى عليه الصلاة والسلام أنه لا عزاء لها عنه الا به فخطبها فاعتذرت بأنها مُسِنّة وام أيتام فأحسن عليه السلام الجواب — وما كان الا محسناً — وتزوج بها . وظاهر ان ذلك الزواج ليس لاجل التمتع المباح له وانما كان لفضلها الذي يعرفه المتأمل بجودة رايها يوم الحديبية ولتعزيتها كما تقدم

واما زواجه بأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب فلعل حكمته لا تخفى على انسان عرف سيرتها الشخصية وعرف عداوة قومها في الجاهلية والإسلام لبني هاشم ورغبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تأليف قلوبهم . كانت رملة عند عبيد الله بن جحش وهاجرت معه الى الحبشة الهجرة الثانية فتنصر هناك وثبتت هي على الاسلام فانظر الى إسلام أمرأة يكافح أبوها بقومه النبي ويتنصر زوجها وهي معه في هجرة معروف سببها . أمن الحكمة ان تضيع هذه المؤمنة الموقنة بين فتنتين ؟ أم من الحكمة ان يكفلها من تصلح له وهو أصلح لها ؟

كذلك تظهر الحكمة في زواج صفية بنت حيّي بن أخطب سيد بني النضير وقد قتل أبوها مع بني قريظة وقتل زوجها يوم خيبر . وكان أخذها دحية الكلبي من سبي خيبر فقال الصحابة يا رسول الله انها سيدة بني قريظة والنضير لا تصلح الا لك فاستحسن رأيهم وأبى ان تذل هذه السيدة بأن تكون أسيرة عند من تراه دونها فاصطفاها وأعتقها وتزوج بها ووصل سببه ببني اسرائيل وهو الذي كان ينزل الناس منازلهم

وآخر أزواجه ميمونة بنت الحارث الهلالية (وكان اسمها برّة فسماها ميمونة) والذي زوجها منه هو عمه العباس (رضي الله عنه) وكانت جعلت أمرها اليه بعد وفاة زوجها الثاني أبي رهم بن عبد العزى وهي خالة عبد الله بن عباس وخالد بن الوليد فلا أدري هل كانت الحكمة في زوجه بها تشعب قرابتها في بني هاشم وبني مخزوم أم غير ذلك

وجملة الحكمة في الجواب أنه صلى الله عليه وسلم راعى المصلحة في اختيار كل زوج من أزواجه (عليهن الرضوان) في التشريع والتأديب فجذب اليه كبار القبائل بمصاهرتهم وعلم أتباعه احترام النساء واكرام كرائمهن وقرر الاحكام بذلك وترك من بعده تسع أمهات للمؤمنين يعلمن نساءهم من الاحكام ما يليق بهنّ مما ينبغي أن يتعلمنه من النساء دون الرجال ولو ترك واحدة فقط لما كانت تغني في الأمة غناء التسع .

ولو كان عليه السلام أراد بتعدد الزواج ما يريده الملوك والأمراء من التمتع بالحلال فقط لاختار حسان الابكار على أولئك الثيبات المكتهلات كما قال لمن استشاره في التزوج بأرملة « هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك » هذا ما ظهر لنا في حكمة التعدد وان أسرار سيرته صلى الله عليه وآله وسلم أعلى من تحيط بها كلها أفكار مثلنا .

﴿ ترك الملوك والامراء فريضة الحج ﴾

(س ٢) ا — ع بالازهر: « من المعلوم أن الحج لبيت الله الحرام فريضة عينية على كل مسلم استطاع اليه سبيلا وبديهي ان أمراء المسلمين وحكامهم هم أقدر على الاستطاعة فَلِمَ لا يحجون وهل هناك مانع شرعي أو ما يوجب سقوطه عنهم سيما وقد مضي نحو الثلاثه قرون ولم نسمع بملك منهم حجّ أو اعتمر أفيدونا الجواب ولكم الاجر والثواب »

(ج) لا نعلم لاحد منهم عذراً في ترك هذا الركن الديني العظيم وقد كنا شددنا النكير في هذه المسئلة في الصفحة ٣٨٦ من منار السنة الأولى . واننا نرى العقلاء منا صاروا يلهجون بهذه المسئلة ويقولون ما بال بعض ملوكنا وأمرائنا كشاه العجم وخديو مصر يذهبون الى أوربا المرة بعد المرة ولا يذهبون الى مكة المكرمة فاذا كان السلطان عبد الحميد يخاف على نفسه من قومه الترك أو من الارمن (دون سواهم من رعيته) اذا خرج حاجا لأنه لا يتيسر له من الاحتياط في السفر ما يتيسر له في قصره . واذا كان

سلطان المغرب الاقصى وأمير الافغان يخافان على بلادهما من الفتن أو اقامة غيرهما في مكانهما اذا خرجا من بلادهما فما بال غيرهم ممن لا يخشى على نفسه ولا على بلاده لا يحج . نعم ان الحج مفروض على التراخي فلا يعترض على شخص بعينه أنه لم يحج لجواز أن يكون لم يؤخر الحج الا وهو عازم عليه ولكن يظهر من حال ملوكنا وامرائنا الحاضرين أن سيكونون كمن سبقهم من عدة قرون . ويعتقد المشتغلون بالسياسة أن السلطان عبد الحميد لا يرضيه أن يحج شاه العجم ولا أمير مصر وأنه يمنعهما اذا أرادا ذلك ما استطاع وكذلك سلطان مراكش لانه يخاف أن يعملوا في البلاد المقدسة عملا سياسياً كتحويل الخلافة الى أنفسهم فهذا كل ما نعلمه في اعتذار المعتذرين والله أعلم بالسرائر . أما الفوائد التى تكون من حج الامراء والسلاطين لانفسهم وللمسلمين فهي كبيرة جداً فان الاجتماع في تلك البقاع المقدسة هو خير سبيل في تعارفهم وتحالفهم على ما فيه مصلحة الملة والامة مع بقاء كل منهم في امارته او سلطنته . ونعيد ما قلناه في المنار من خمس سنين وهو انه لو كان لعواهل أوربا وقياصرتهم وملوكهم مثل هذا المجتمع العظيم لما تركوا الاختلاف اليه

(اختلاف الشريعة باختلاف الزمان والمكان)

(س ٣) م . ر . بمدرسة الحقوق بمصر : يقول أرباب الشرائع والقوانين إنه يجب في تحقيق عدالتها أن تكون موافقة لاخلاق الامم وعاداتهم وطبائعهم ودرجة تربيتهم واقاليمهم واحوالهم المعاشية والاقتصادية . فاذا كان الامر كذلك فلمَ لمْ نشاهد سوى قانون واحد لدى الامم الاسلامية (الشريعة الغراء) مع أنه يوجد اختلاف عظيم بين تلك البلاد في العادات والاخلاق والاقاليم ؟

(ج) ان علماء الحقوق والقوانين الوضعية انما يضعون قوانينهم لاهل السياسة وهم انما يهمهم من رعاياهم جباية الاموال والأمن من الخروج عليهم لاسيما اذا كانوا من غير جنسهم وما يساعد على ذلك من منع التعدي . فواضع القانون يحترم عادات كل قوم وان كانت ضارة كالسكر والزنا ويخص أحكامه بحفظ النظام فيها ومنع التعدي . واما الشريعة الالهية فاصلاح الاخلاق والعادات فيها مقصود بذاته واساس هذه الشريعة درء المفاسد وحفظ المصالح سواء كان ذلك في الافراد أو الجماعات وما بينهم من الروابط والصلات . وقد وضع الاسلام على هذا الاساس أصولا عامّة للاحكام لا تختلف باختلاف الزمان والمكان كالمساواة في الحقوق وإقامة القسط « ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » . وكون درء المفاسد مقدما على جلب المصالح . وارتكاب أخف

الضررين . وجعل البينة على المدعي وهي كل ما يتبين به الحق . وجعل الحاكم مستقلا مجتهداً يستنبط الاحكام مع فرض الاستشارة عليه . الى غير ذلك من الاصول العادلة وبعد هذا كله جعلت العرف محكّما كوضع الشرع ليراعى فيما يختلف من أحوال البلاد والعباد التي لا تخلّ بمقاصد الشريعة والدين في التهذيب وتقريب الشعوب بعضها من بعض لتكون الامم كلها أمة واحدة

لهذا الذي أجملناه لم تلزم الشريعة الاسلامية اتباعها بالتزام جزئيات الاحكام التي صدرت في عهد التشريع كما هى بدون مراعاة أساس درء المفاسد وحفظ المصالح وقد تقدمت الادلة على هذا في مقالات « محاورات المصلح والمقلد » فليراجعها السائل في أواخر المجلد الثالث وأوائل الرابع من المنار ومنها يعلم ان هذا الوضع من أسباب جعل الشريعة خاتمة الشرائع ونبيها صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين كما بيناه مراراً بالتوضيح

(طهارة السبيرتو او الكحول)

(س ٤) علي افندي حسني بكمرك السويس: قد الجأت حالة الوقت الى (السبيرتو) في إزالة ما على الملابس والطرابيش من الوسخ والدهن وقد تردد الناس في طهارته ونجاسته للشك في أصله فان كان نجساً فهل تطهر الطرابيش المنظفة به بحرارة النار عند كيها أو بكونه سريع الطيران كما يقال ؟

(ج) قد أثبتنا من قبل طهارة الكحول بأنواعه في المنار بالادلة بل هو أقوى المطهرات على انه سريع الطيران ولو لم يعرض الثوب على حرارة النار . والقول بنجاسته وتنجيسه تشديد مبني على فلسفة غير صحيحة [راجع ص ٥٠٠ م ٤]



الاجتماع السابع لجمعية أم القرى

(في مكة المكرمة يوم الاربعاء الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦)

في صباح اليوم المذكور انتظمت الجمعية وقرئ الضبط السابق حسب القاعدة المرعية قال (الاستاذ الرئيس) مخاطباً السيد الفراتي ان الجمعية لتنتظر منك فوق همتك في عقدها وقيامك بمهمتها التحريرية ان تفيدها ايضاً رأيك الذاتي في سبب الفتور المبحوث فيه وذلك بعد ان تقرر لها مجمل الآراء التى اوردها الاخوان الكرام اذ احطت بها علماً مكرراً بالسمع والكتابة والقراءة والمراجعة فأنت اجمعنا

لهافكراً، هذا والجمعية ترجو الفاضل الشامي والبليغ الاسكندري ان يشتركا في ضبط خطابك بأن يتعاقبا في تلقي الجمل الكلامية وكتابتها لانهما كباقي الاخوان لايعرفان طريقة الاختصار الخطي المستعمل فى مثل هذا المقام

نظر (الفاضل الشامي) الى رفيقه واستلمح منه القول ثم قال انا مستعدان للتشرف بهذه الخدمة

قال (السيد الفراتي) حباً وطاعة وان كنت قصير الطَّوْل ، كليل القول ، قليل البضاعة • ثم انحرف عن المكتبة فقام مقامه عليها الفاضل الشامي والبليغ الاسكندري وما لبث ان شرع فى كلامه فقال : يستفاد من مذاكرات جمعيتنا المباركة ان هـذا الفتور المبحوث فيه ناشئ عن مجموع اسباب كثيرة مشتركة فيه لا عن سبب واحد أو أسباب قلائل تمكن مقاومتها بسهولة • وهذه الاسباب منها أصول ومنها فروع لهاحكم الاصول وكلها ترجع الى ثلاثه أنواع وهي اسباب دينية واسباب سياسية واسباب اخلاقية• واني أقرأ عليكم خلاصتها من جـدول الفهرست الذي استخرجته من مباحث الجمعية رامزاً للاصول منها بحرف (الالف) وللفروع منها بحرف (الفاء)•وهي

(النوع الاول الاسباب الدينية)

(١) تأثير عقيدة الجبر في أفكار الامة (ا) (٢) تأثير المزهدات في السعي والعمل وزينة الحياة (ف) (٣) تأثير فتن الجدل في عقائد الدين (ا) (٤) الاسترسال في التخالف والتفرق في الدين (ا) (٥) الذهول عن سماحة الدين وسهولة التدين به (ا) (٦) تشديد الفقهاء المتأخرين في الدين خلافاً للسلف (ا) (٧) تشويش افكار الامة بكثرة تخالف الآراء في فروع احكام الدين (ف) (٨) فقد امكان مطابقة القوة للعمل في الدين بسبب التخليط والتشـديد (ف) (٩) ادخال العلماء المدلسين على الدين مقتبسات كتابية وخرافات وبدعا مضرة (ا) (١٠) تهوين غلاة الصوفية الدين وجعلهم اياه لهواً ولعباً (ف) (١١) افساد الدين بتفنن المداجين بمزيدات ومتروكات وتأويلات (ف) (١٢) ادخال المدلسين والمقاربية على العامة كثيراً من الاوهام (ا) (١٣) خلع المنجمين والرمالين والسحرة والمشعوذين قلوب المسلمين بالمرهبات (ف) (١٤) ايهام الدجالين والمداجين ان في الدين اموراً سريّة وان العلم حجاب (ا) (١٥) اعتقاد منافاة العـلوم الحكمية والعقلية للدين (ا) (١٦) تطرق الشرك الصريح أو الخفي الى عقائد العامة (ف) (١٧) تهاون العلماء العاملين في تأييـد التوحيد (ف) (١٨)

الاستسـلام للتقليد وترك التبصر والاستهداء (ف) (١٩) التعصب للمذاهب والآراء المتأخرين وهجر النصوص ومسلك السلف (ف) (٢٠) الغفلة عن حكمة الجماعة والجمعة وجمعية الحج (ا) (٢١) العناد على نبذ الحرية الدينية جهلا بمزيتها (ف) (٢٢) التزام مالا يلزم لأجل الاستهداء بالكتاب والسنة (ف) (٢٣) تكليف المسلم نفسه مالايكلفه به الله وتهاونه فيما هو مأمور به • (ف)

(النوع الثاني الأسباب السياسية)

(٢٤) السياسـية المطلقة من السيطرة والمسئولية (ا) (٢٥) تفرق الامـة الى عصبيات وأحزاب سياسـية (ف) (٢٦) حرمان الامة من حرية القول والعمل وفقدانهـا الامن والامل • (ف) (٢٧) فقد العـدل والتساوي في الحقوق بين طبقات الامة (ف) (٢٨) ميل الامراء طبعاً للعلماء المدلسين وجهلة المتصوفين (ف) (٣٩) حرمان العلماء العاملين وطلاب العلم من الرزق والتكريم (ا) (٣٠) اعتبار العلم عطية يحسن بها الامراء على الاخصاء وتفويض خدم الدين للجهلاء (ا) (٣١) قلب موضوع اخذ الاموال من الأغنياء واعطائها للفقراء (ا) (٣٢) تكليف الامراء القضاة والمفتين اموراً تهدم دينهم (ف) (٣٣) إبعاد الامراء النبلاء والاحرار وتقريبهُم المتملقين والاشرار (ا) (٣٤) مراغمة الامراء السراة والهداة والتنكيل بهم (ف) (٣٥) فقد قوة الرأي العام بالحجر والتفريق (ف) (٣٦) حماقة أكثر الامراء وتمسكهم بالسياسيات الخرقاء (ف) (٣٧) إصرار أكثر الامراء على الاستبداد عناداً واستكباراً (ف) (٣٨) انغماس الامراء في الترف ودواعي الشهوات وبعـدهم عن المفاخرة بغـير الفخفخة والمال (ف) (٣٩) حصر الاهتمام السياسي بالجباية والجندية فقط (ا)

(النوع الثالث الاسباب الاخلاقية)

(٤٠) الاستغراق في الجهل والارتياح اليه (ا) (٤١) استيلاء اليأس من اللحاق بالفائزين في الدين والدنيـا (ف) (٤٢) الإخـلاد الى الخمول ترويحاً للنفس (ف) (٤٣) فقد التناصح وترك البغض في الله (ا) (٤٤) انحلال الروابط الدينية الاحتسابية (ا) (٤٥) فساد التعليم والوعظ والخطابة والارشاد (ف) (٤٦) فقد التربية الدينيـة والأخلاقية (ا) (٤٧) فقد قوة الجمعيات وثمرة دوام قيامها (ا) (٤٨) فقـد القوة المالية الاشـتراكية بسبب التهاون في الزكوة (ا) (٤٩) ترك الاعمال بسبب ضعف الآمال (ف) (٥٠) اهمال طلب الحقوق العـامة جبناً وخوفاً من التخاذل (ف)

(٥١) غلبة التخلق بالتملق تزلفاً وصغاراً (ف) (٥٢) تفضيل الارتزاق بالجندية والخدم الأميرية على الصنائع (٥٣) توهم ان علم الدين قائم في العمائم وفي كل ما سطّر في كتاب (ف) (٥٤) معاداة العلوم العالية ارتياحاً للجهالة والسفالة (ا) (٥٥) التباعد عن المكاشفات والمفاوضات في الشئون العامة (ا) (٥٦) الذهول عن تطرق الشرك وشئومه (ا)

ثم قال (السيد الفراتى) هذه هي خلاصات اسباب الفتور التي اوردها اخوان الجمعية وليس فيها مكررات كما يظن • وإذ كان للخلل الموجود في اصول ادارة الحكومات الاسلامية دخل مهم في توليد الفتور العام فاني اضيف الى الاسباب التي سبق البحث فيها من قبل الاخوان الكرام الاسباب الآتية اعددها من قبيل رؤس مسائل فقط إذ لو اوردت تفصيلها وتشريحها لطال الامر ولخرجنا عن صدد محفلنا هذا

والاسباب التي سأذكرها هي اصول موارد الخلل في السياسة والادارة الجاريتين في المملكة العثمانية التي هي أعظم دولة يهم شأنها عامة المسلمين • وقد جاءها اكثر هذا الخلل في الستين سنة الاخيرة أي بعد ان اندفعت لتنظيم امورها فعطلت اصولها القديمة ولم تحسن التقليد ولا الابداع فتشتت حالها ولا سيما في العشرين سنة الاخيرة التي ضاع فيها ثلثا المملكة وخرب الثلث الباقي واشرف على الضياع لفقد الرجال وصرف السلطان قوة سلطنته كلها في سبيل حفظ ذاته الشريفة وسبيل الاصرار على سياسة الانفراد

واما سائر الممالك والامارات الاسلامية فلا تخلو أيضاً من بعض هذه الاصول كما ان فيها أحوالا اخرى اضرّ وامرّ يطول بيانها واستقصاؤها والاسباب المراد الحاقها ملخصة • هي •

﴿ الاسباب السياسية والادارية العثمانيتين ﴾

(٥٧) توحيد قوانين الادارة والعقوبات مع اختلاف طبائع اطراف المملكة واختلاف الاهالي في الاجناس والعادات(*) (ا) (٥٨) تنويع القوانين الحقوقية وتشويش القضاء في الاحوال المتماثلة (ا) (٥٩) التمسك بأصول الادارة المركزية مع بعد الاطراف عن العاصمة وعدم وقوف رؤساء الادارة في المركز على أحوال تلك الاطراف

(*) من أهم الضروريات ان يحصل كل قوم من أهالي تركيا على استقلال نوعي اداري يناسب عاداتهم وطبائع بلادهم كما هي الحالة في امارات المانيا وولايات أمريكا الشمالية وكما يفعله الانكليز في مستعمراتهم والروس في املاكهم • من هامش الاصل

المتباعدة وخصائص سكانها (ف) (٦٠) التزام أصول عدم توجيه المسئولية على رؤساء الادارة والولاة عن أعمالهم مطلقاً (*)(ف) (٦١) تشويش الادارة بعدم الالتفات لتوحيد الاخلاق والمسالك في الوزراء والولاة والقواد مع اضطرار الدولة لاتخاذهم من جميع الأجناس والاقوام الموجودين في المملكة بقصد استرضاء الكل (ف)

(٦٢) التزام المخالفة الجنسية في استخدام العمال بقصد تعسر التفاهم بين العمال والاهالي وتعذر الامتزاج بينهم لتأمن الادارة غائلة الاتفاق عليها (ف) (٦٣) التزام تفويض الامارات المختصة عادة ببعض البيوت كامارة مكة وامارات العشائر الضخمة في الحجاز والعراق والفرات لمن لا يحسن ادارتها لاجل ان يكون الامير منفوراً منه ممن ولي عليهم مكروهاً عندهم فلا يتفقون معه ضد الدولة (ا) (٦٤) التزام تولية بعض المناصب المختصة ببعض الاصناف كالمشيخة الاسلامية والسر عسكرية لمن يكون منفوراً منه في صنفه العلماء أو الجند لاجل أن لا يتفق الرئيس والمرؤس على أمر مهم(*)(ف)(٦٥) التمييز الفاحش بين اجناس الرعية فى الغنم والغرم(*)(٦٦) التساهل في انتخاب العمال والمأمورين والإكثار منهم بغير لزوم وانما يقصد به اعالة العشيرة والمحاسيب والمتملقين الملحين • (٦٧) التسامح في المكافاة والمجازاة تهاوناً بشئون الادارة حسنت أم ساءت كأن ليس للملك صاحب (٦٨) عدم الالتفات لرعاية الشؤن الدينية كوضع نظامات مصادمة للشرع بدون لزوم سياسي مهم أو مع اللزوم ولكن بدون اعتناء بتفهيمه للامة والاعتذار لها جلباً للقناعة والرضاء • (٣) (٦٩) تضييع حرمة الشرع وقوة القوانين بالتزام عدم

(*) ولذلك كانت الحالة في الدولة قبل التنظيمات الخيرية خيراً منها بعدها حيث كان العمال مسؤلين لدى حضرة السلطان ثم أطلق سراحهم في عهدنا من كل مسؤلية الا في الافعال بل الاقوال بل الخواطر التي تتعلق بحقوق السلطنة • من هامش الاصل

(*) هكذا تكون احتياطات الحكومات العاجزة (*) كهضم الدولة العثمانية حقوق العرب فى المناصب والارتزاق من بيت المال هضما لا نسبة فيه لأنها مميزة عليهم حال كونهم ثلثي رعيتها كلها من الجركس والبشناق والأكراد والأرناؤط والروم والارمن والخروات والبلغار والعربكير وكاستثناء اهل العاصمة والحجاز وغيرهم حتى بعض البيوت من الخدمة العسكرية والتكاليف الشرعية والعرفية • وكاستثناء غير المسلمين من الخدمة العسكرية لمجرد كونهم لا يتحملون حالة الضنك التي عليها جيشها

(٣) كاستخدام اليهود قابضي مال أي أمناء صناديق وقابضي اعشار السوائم وفي ذلك عدم

اتباعها وتنفيذها والإصرار على ان تكون الادارة نظامية اسما ارادية فعلا • (١)

(٧٠) التهاون في مجاراة عادات الاهالي وأخلاقهم ومصالحهم استجلاباً لمحبتهم القلبية فوق طاعتهم الظاهرية • (٧١) الغفلة اوالتغافل عن مقتضيات الزمان ومباراة الجيران وترقية السكان بسبب عدم الأهتمام بالمستقبل (٧٢) الضغط على الأفكار المتنبهة بقصد منع نموها وسموها واطلاعها على مجاري الأدارة محاسنها ومعايبها وان كان الضغط على النمو الطبيعي عبثاً محضاً ويتأتى منه الإغراء والتحفز وينتج عنه الحقد على الادارة

(٧٣) تمييز الاسافل أصلا وأخلاقاً وعلما وتحكيمهم في الرقاب الحرّة وتسليطهم على أصحاب المزايا وهذا التهاون بشأن ذوي الشئون يستلزم تسفل الادارة • (٧٤) ادارة بيت المال ادارة اطلاق بدون مراقبة وجزاف بدون موازنة واسراف بدون عتاب واتلاف بدون حساب حتى صارت المملكة مديونة للاجانب بديون ثقيلة توفي بلاداً ورقاباً ودماءً وحقوقاً • (٧٥) ادارة المصالح المهمة السياسية والملكية بدون استشارة الرعية ولاقبول مناقشة فيها وان كانت ادارة مشهودة المضرة في كل حركة وسكون •

(٧٦) ادارة الملك ادارة مداراة واسكات للمطلعين على معايبها حذراً من أن ينفثوا مافي الصدور فتعلم العامة حقائق الامور والعامة من اذا علموا قالوا واذا قالوا فعلوا وهناك الطامة الكبرى • (٧٧) ادارة السياسة الخارجية بالتزلف والإرضاء والمحاباة بالحقوق والرشوة والامتيازات والنقود • تبذل الادارة ذلك للجيران بمقابلة تعاميهم عن المشاهد المؤلمة التخريبية وصبرهم على الروائح المنتنة الادارية • ولولا تلك المشاهد والروائح لما وجد الجيران وسيلة للضغط مع ماألقاه الله بينهم من العداوة والبغضاء الى يوم القيامة •

ثم قال (السيد الفراتي) ان بعض هذه الاسباب التي ذكرتها هي أمراض قديمة ملازمة لإدارة الحكومة العثمانية منذ نشأتها أو منذ قرون وبعضها أعراض وقتية تزول بزوال محدثها وربما كان يمكن الصبر عليها لولا ان الخطر قرب والعياذ بالله من القلب كما أشار اليه الاستاذ الرئيس في خطابه الاول (٢)

رعاية المذاهب التي تستوجب ان لا تسقط الزكاة عن الدافعين وكاستخدام قضاة بالرسوم أو برواتب جزئية جداً • (١) تعطيل بعض احكام الشرع كاف لخرق حرمته • وأما الاحكام النظامية فمع كثرتها البالغة عشرات الوف قضايا لم يتفق الى الآن اجراء شئ منها الا بعض مايتعلق بسلب الاموال (٢) أشار حضرة الرئيس وهو الاستاذ المكي في خطابه

ثم قال ويلتحق بهذه الاسباب بعض اسباب شتى افصلها بعد تعدادها الحاقا بالخلاصات • وهي

﴿ أسباب شتى ﴾

(٧٨) عدم تطابق الاخلاق بين الرعية والرعاة (٧٩) الغرارة أي الغفلة عن ترتيب شئون الحياة (٨٠) الغرارة عن لزوم توزيع الاعمال والاوقات (٨١) الغرارة عن الإذعان للاتقان (٧٢) الغرارة عن موازنة القوة والاستعداد (٨٣) ترك الاعتناء بتعليم النساء (٨٤) عدم الالتفات للكفاءة في الزوجات (٨٥) الخور في الطبيعة أي سقوط الهمة (٨٦) الاعتزال في الحياة والتواكل

أما عدم التطابق في الاخلاق بين الرعاة والرعية فله شأن عظيم كما يظهر للمتأمل المدقق في تواريخ الامم من أن أعاظم الملوك الموفقين والقواد الفاتحين كالاسكندرين وعمر وصلاح الدين (رضى الله عنهما) وجنكيز والفاتح وشرلكان الالماني وبطرس الكبير وبونابرت لم يفوزوا في تلك العظائم الا بالعزائم الصادقة مع مصادقة تطابقهم مع رعاياهم وجيوشهم في الاخلاق والمشارب تطابقاً تاما بحيث كانوا رؤساً حقاً لتلك الاجسام لا كرأس جمل على جسم ثور أو بالعكس . وهذا التطابق وحده يجعل الأمة تعتبر رئيسها رأساً فتتفانى دون حفظه ودون حكم نفسها بنفسها حيث لايكون لها في غير ذلك فلاح أبداً كما قال الحكيم المتنبي

انما الناس بالملوك وهل ... يفلح عرب ملوكها عجم

ومما لاخلاف فيه ان من أهم حكمة الحكومات أن تتخلق بأخلاق الرعية وتتحد معها في عوائدها ومشاربها ولو في العوائد غير المستحسنة في ذاتها • ولا أقل من أن تجاري الحكومة الاجنبية اخلاق الرعية ولو تكلفاً وقتيا الى أن تتوفق لاجتذابهم

الاول للحالة السيئة في الحجاز من فقد الأمن في بلد الله الامين . والجور الفظيع الذى يقع على أهل الحرمين وزوارها من تنازع السلطات الثلاث الامارة والولاية والعسكرية وغير ذلك من الاحوال التي لاتطاق وصار يتشكى منها عامة الحجاج لاسيما الداخلين تحت سلطة الاجانب وهو السواد الأعظم من المسلمين ولا غرو ان هذه الحال تستدعيهم لان يدعوا حكوماتهم للمداخلة في شؤن ادارة الحجاز لأجل حصولهم على الأمن والراحة وحينئذ لاقدر الله يتفانى العرب دون حفظ بيضة الاسلام كما تفانوا قبلا وحدهم في دفع الصليبيين عن المسجد الأقصى . اهمن هامش الاصل

الى لغتها فاخلاقها لجنسيتها كما فعل الامويون والعباسيون والموحدون وكما تهتم به الدول المستعمرة الافرنجية في هذا العهد وكما فعل جميع الاعاجم الذين قامت لهم دول في الاسلامية كآل بويه والسلجوقيين والايوبيين والغوريين والامراء الجراكسه وآل محمد علي فانهم ما لبثوا أن استعربوا وتخلقوا باخلاق العرب وامتزجوا بهم وصاروا جزءاً منهم وكذلك المغول التتار صاروا فرساً وهنوداً فلم يشذ في هذا الباب غير المغول الاتراك أي العثمانيين فانهم بالعكس يفتخرون بمحافظتهم على غيرية رعاياهم لهم فلم يسعوا باستتراكهم كما انهم لم يقبلوا أن يستعربوا والمتأخرون منهم قبلوا أن يتفرنسوا أو يتألمنوا . ولا يعقل لذلك سبب غير شديد بغضهم للعرب كما يستدل عليه من أقوالهم التي تجري على ألسنتهم مجرى الامثال في حق العرب .

ذلك كاطلاقهم على عرب الحجاز (ديلنجي عرب) أي العرب الشحاذين واطلاقهم على المصريين (كور فلاح) بمعنى الفلاحين الاجلاف و(عرب جنكنه سى) أي نور العرب و(قبطى عرب) أي النور المصريين . وقولهم عن عرب سوريا (نه شامك شكرى ونه عربك يوزى) أي (دع الشام وسكرياتها ولا تر وجوه العرب) وتعبيرهم بلفظة (عرب) عن الرقيق وعن كل حيوان أسود وقولهم (پيس عرب) أي عرب قذر و(عرب عقلي) أي عقل عربي أي صغير و(عرب طبيعتي) أي ذوق عربي أي فاسد و(عرب چكه سى) أي حنك عربي أي كثير الهزر وقولهم (بونى يپارسه م عرب اوله يم) أي ان فعلت هذا أكون من العرب وقولهم (نرده عرب نرده طنبوره) أي أين العرب من الطنبور .

هذا والعرب لا يقابلونهم على كل ذلك سوى بكلمتين الأولى هي قول العرب فيهم (ثلاث خلقن للجور والفساد القمل والترك والجراد) والكلمة الثانية تسميتهم بالاروام كناية عن الريبة في اسلامهم وسبب الريبة ان الاتراك لم يخدموا الاسلام بغير اقامة بعض جوامع لولا حظ نفوس ملوكهم بذكر أسمائهم على منابرها لم تقم . وانهم أتوا الاسلام بالطاعة العمياء للكبراء وبخشية الفلك أبي المصائب وباحترام مواقد النيران (أوجاقات) فزادوا بذلك بلات في طين الخرافات

ثم قال (السيد الفراتي) أرجو المعذرة من المولى الرومي لانه يعلم اني ما أفرطت ولولا الضرورة الدينية التي يعلمها لما صرحت والناصح الغيور من يبكيك لا من يضحكك . قال (الاستاذ الرئيس) ان أخانا السيد الفراتي خطيب قوال وفارس جوال والابحاث التي أشار الهاذات ذيول طوال واليوم قد قرب وقت الزوال فموعدنا غداً ان شاء المولى المتعال

باب التربية والتعليم

الشذرة التاسعة من جريدة الدكتور راسم (١)

﴿ تعليم الاطفال اليونانية واللاتينية واقرائهم كتبهما ﴾

تناظرت مع هيلانة غير مرة في ضرورة تعليم « اميل » تينك اللغتين وإقرائه ما ألف فيهما من الكتب ولست ذاكر لك من هذه المناظرات الا ملخصها فأقول :

الواجب أن يربى كل طفل تربية من ينبغي ان يكون من كبار الرجال فذلك هو الوسيلة التي يفضل بها عامة الناس ويمتاز عنهم في مستقبله ولهذا كان حقاً على المربي ان يعرف طبعه ويبحث في ضروب ميله ويَخْبُر أنواع استعداده العقلي . ولما كان الفضل والامتياز يحصلان في هذه الدنيا بكيفيات مختلفة وينالان بطرق شتى كان أول فرض عليه ان يبحث في هذه الطرق عما يلائم طبعه ويناسب استعداده

فالذي أعيبه في طريقة المربين عندنا هو إغفال ما للناشئين من القوى وضروب الاستعداد الذاتية وعدم اعتبارها في شيء من التربية . ذلك انك ترى بعض الناشئين مثلاً قد ولد رحالة ليضرب في الارض ويجوب آفاقها وأخص حاجته فيما خلق لأجله هي معرفة اللغات الحية ليتفاهم بها مع الأجانب في بلادهم فيبدأ المربون بتعليمه لغتين مهملتين انقطع التخاطب بهما من على وجه الأرض . وترى آخر خلق ميالاً الى معرفة علم القوى المحركة وقوانين التوازن (الميخانيقا) يلقون به في بحر من الكتب ما له من قرار . وتجد ثالثاً أعد للتجارة ورابعاً سخر للزراعة لا يراعى ما لكل منهما من الميل الى ما أعد له بل يتبع في حقهما ما قضت به العادة وجرى عليه العرف وهو انه لا بد لمن يريد الاشتهار بالعلم في هذه الدنيا من سجنه في المدرسة ثمان سنين . كم رأينا من متعلمي اللاتينية واليونانية من يقضى عليهم بأن لا يستعملوهما في حياتهم لانهم متى خرجوا من المدارس واشتغلوا بمصالحهم قلَّ وايمُ الحق ان يخطر ببالهم تصفح كتاب فرجيل (١) أو ديوان عمير (٢) والنظر في صحفهما البالية التي قضوا في مطالعتها كثيراً من ساعات النصب والسآمة ولست أقصد بقولي هذا تجريد أيّ معرفة من

(١) معرب من باب تربية اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر

معارف العقل كائنة ما كانت من الفائدة مطلقاً ولكن لا حرج علي ان ارتبت في ان ما يخسره كثير من التلامذة من زمنهم في تعلم تينك اللغتين لا يساويه ما يعود عليهم من الفوائد بتعلمهما

أنا اعلم كل ما للمنتصر لهما من وجوه الاحتجاج على ضرورة تعليمهما فله ان يقول ان معرفتهما حاسة سادسة لنا ندرك بواسطتها دقائق آداب لغتنا وانه لا يسع احد من الناس إنكار ما كان لمطالعة الكتب القديمة المؤلفة بهما من التأثير المبارك في عقول الناشئين الذين تغذوا بلبان معارف الاقدمين حق التغذية وان مطالعة هذه الكتب تخلصنا من شواغل وقتنا المادية وتعارض عصرنا الذي تساوت فيه الناس وانمحت درجات التفاضل بينهم واشتغل اهله بالحقائق الثابتة دون غيرها كعصور الابطال وما بها وافاد من مخترعات الخيال وتستر مواضع الضعف فينا بحجاب الجمال الظاهر بدون ان تغير من طبيعتنا شيئاً. ثم ان بُعد اهل تلك العصور عنا ومباينتهم لنا في الاخلاق والعوائد مما يساعدنا ايضاً على ان نبصر من خلال كتبهم الشعرية ضياء منتهى الكمال المطلوب

وفوق ذلك فان هذه الكتب حافلة بالاناشيد الوطنية التي كان من آثارها ما تراه في عهد الجمهورية الجميل من احتقار الملوك وجر ذيل الخيلاء عليهم فلقد كفت نفحة هبت من رومة او من أثينا في إثارة بغض السلطان المطلق بقلوبنا في القرن الثامن عشر فان حكماء هذا القرن وزعماء الفتنة الفرنسية فيه قد استمدوا مما دعوه من الكتب المدرسية اصلاح الصور لإيقاظ العقول وبث روح الحياة السياسية في النفوس وكان للخيالات الغابرين في ذلك الجهاد الذي قام في سبيل الحق من البلاء ما كان للاحياء انفسهم فلا تقل لابني غراقوس (٣) وبرتوس (٤) وقانون اوتيقا انهم قد ماتوا بل هم احياء يعينوننا على كفاحنا ويعاضدوننا في جهادنا ويسمعوننا من اصواتهم ويشهدوننا من اساهم ما يقوي عزيمتنا على السعي وراء الحرية التي هي غاية النفوس الابية

لا أنازع في ان معرفة اليونانية واللاتينية قد تكون من الرياضات النفسية المفيدة

---

(١) فرجيل هو شاعر لاتيني شهير ولد سنة ٧٠ ومات سنة ١٩ قبل المسيح

(٢) عمير هو اشهر شعراء اليونان الاقدمين لا يعلم مكان ولادته ولا تاريخها . كذا كتب المعرب والمعربون السوريون يعربون «هومير» ويكتب بالقلم الافرنجي هكذا Homer-ere «٣» غراقوس حاكم روماني اشتهر في اسبانيا ورزق بولدين سميا بالغراقين وكانا من قضاة الشعب «٤» بروتوس أحد قتلة القيصر الروماني

ولكني أقول إن لرياضة النفس وتربية العقل طرقاً شتى وان من الظلم الفاحش قصر معنى التعليم على فرع واحد من العلوم فقد يكون الانسان عالماً يشار اليه بالبنان وخطيباً باهر البيان وسياسياً حصيف الجنان (وفي أمريكا ما يشهد لصحة ذلك) وهو لم يقرأ في حياته كتب أرسطو «١» ولا ديموستين «٢» ولا شيشيرون «٣» باللغة التي ألفت بها . ذلك ان مراقبته بنفسه للامور ومعاملته للناس واختلاطه بهم ودراسته لآداب لغته واستعداده الفطري كثيراً ما تغنيه عن الزخارف المدرسية فرأيي هو ان الاحوال التي تحتفّ بالطفل وما يكون فيه من القوى والملكات الذاتية هي الواجب التعويل عليها في تحديد الطريقة التي ينبغي سلوكها في تربيته فان طرق التعليم انما أوجدت للاحداث ولم توجد الاحداث لها

لمّا أعلمْ حقّ العلم ضروب استعداد «اميل» ولا حالة عقله حتى أحكم على اليق أنواع التعليم به وأشدها ملاءمة لطبعه والذي أتمناه له هو ان لا يكون بعيداً عن العلوم ولا عن آداب اللغة ولست أرى من وجوه الاعتراض على الجمع بين هذين النوعين من المعارف سوى ما يقتضيه تعلم اليونانية واللاتينية من الزمن فان انفاق سبع سنين أو ثمان من العمر في تحصيل لغتين مهملتين تحصيلا في غاية النقص غالباً هو اسراف كبير في عصر لا يحصّل الانسان فيه متوسط المعارف الضرورية إلا بانفاق معظم حياته واني باحث الآن فيما اذا كانت اضاعة ذلك الزمن الطويل في تحصيلهما لازمة لطبيعة الصعوبات التي يصادفها المتعلم فيه أو انها ليست من لوازمها وان من الميسور التغيير فيها والتقليل منها

أول سبب فيما أرى لطول مدة تعلم هاتين اللغتين هو إفراط المعلمين في تعجيل تعليمهما للأطفال لانهم يبدأونهم به قبل ان يكونوا تعلموا أو راقبوا شيئاً بأنفسهم فتراهم لجهلهم كيفية صوغ الالفاظ وتركيب الاساليب التي هي قوالب المعاني لا يكادون يتمتمون بلغتهم نفسها مضبوطة ولحبسهم بين جدران المدرسة من نعومة أظفارهم اعتادوا اعتبارها سجناً تتعاقب عليه الاجيال الناشئة تكفيراً لسيئة جهل آبائهم الاولين فهم

واما قانون اتيقا فهو حفيد قانون القديم وهو ضابط روماني شهير كان من حزب بومباي وبعد ان شهد معه واقعة فرسالا انطلق الى أفريقا وقتل نفسه «١» أرسطو حكيم يوناني مشهور «٢» ديموستين أشهر خطيب يوناني أثار مقدونيا على فليبوس وألب أثينا على الاسكندر «٣» شيسرون أشهر خطيب روماني

لا يعرفون شيئاً من الكون وقد حالت المدرسة بينهم وبين المحابّ البيتية والجواذب الاهلية وهي التى كانت تحبب العمل اليهم وتشعر قلوبهم قدره فأصبحوا لا تصلهم حرارتها الا من بعيد جداً ففي أول عمل لهم يمرنون به قواهم الناشئة تفاجئهم الفاظ وحشية وصيغ نحوية وتراكيب مجهولة فيتصيدون اتفاقاً بأيديهم العسراء من محابرهم الكدراء ضروباً من مخالفة القياس وأنواعاً من ضعف التأليف تجري بها اقلامهم، ولا تدركها افهامهم، فَرُحْمَى لهم من حيارى ذاهلين لا ينفعهم تعاقب التمارين ولا تتابع الامثال فليس تكرار الاغلاط والخطئآت الواحدة في تعلم لغة مجهولة هو الوسيلة إلى إصلاحها

انا أحب ان يرى ولدي قبل تعلم اللاتينية شيئاً من العالم وان ينفتق ذهنه باحتكاكه بالصناعة ودراسته تاريخ الموجودات فان كل واقعة روقبت تولد في نفس مراقبها لذة وتنمي فيه الحاجة الى المعرفة فاذا حصل له بكسبه بعض معان بينة صار بهذه الواسطة أحسن استعداداً لفهم ما يتلقاه عن غيره من المعاني ولو ظهرت في صيغ مبهمة من الالفاظ

ثم ان من اسباب طول المدة التى تقضى في تعلم اليونانية واللاتينية على ما أرى ان المربين يعلمونهما للاطفال قبل ان يطلعوهم على شيء من احوال الرومان واليونان والانسان لا يحسن تعلم لغة قوم الا في بلادهم ومن أجل ذلك ساهتم عند تعليمهما «أميل» بان اجعل له من آثار اهلهما بلاداً يتعلمهما فيها. وفي هذا المقام تظهر فائدة انشاء معاهد التعليم التى من قبيل القصر البلوري نعم انى على يقين من ان مشاهدة ما يكون في مثل هذه المعاهد من التماثيل والصور ومثل المعابد والمباني الأثرية العامة لا تعين التلميذ على فهم شعر عمير وفرجيل ولكن اليونانية واللاتينية اذا اقترن تعليمهما بتعليم تاريخ قومهما وما يشهد لهم من دلائل التقدم القديم لا تبقيان لغتين مندثرتين اندثاراً تاماً كما لو علمتا مجردتين

ذلك ان لفنون الرسم من التأثير في نفوس الناشئين ما هو فوق المظنون بها كثيراً بسبب اجالتها العقل في آثار الغابرين وسياحتها بالنفس في اعمال الماضين ولان سن الإيفاع هو السن الذى يسهل فيه اندماج اليافع في شخص غيره لسبب سهل الادراك وهو ان معنى الاستقلال الذاتي لا يظهر الا قليلا في هذا الطور من الحياة فبكثرة هذا النوع من المعيشة مع اليونان والرومان فيما بقي من آثارهم ينتهي التلميذ بان يهتم باخلاقهم وعاداتهم وشؤنهم قبل ان يعرف لغتهم فتراه يتابع بعقله الاسطول اللاتيني

في سلامين «١» ويشهد خلف بومباي «٢» واقعة فرسالا. ولا يسبقن الى خاطرك ان هذا الوجود الفكري فيما غبر من الزمن ليس هو إلا وهماً محضاً فانه لا شيء مما كان في الماضي قد مات موتاً تاماً

لم تجد طريقتنا في تعليم اللغتين اللتين نحن بصدد الكلام عنهما نفعاً فانها لا تزال عليها مسحة من تعليم القرون الوسطى وهي التي طبعها عليها القسيسون والرهبان اذ لا تزال العقبات تقوم في سبيل دراسة آثار الاقدمين دراسة صادقة واولها ما للدين المسيحي من الاوهام والوساوس في آلهتهم التي تراه على قهره إياها لا يزال يعتقد انها مضرة حتى في انهزامها امامه فان رجال هذا الدين مع استئثارهم على توالي القرون باللغات القديمة واحتكارهم معرفتها كانوا يُعْنَوْن في تعليمهم بإزهاق ذلك الروح الذي ألهم الصناع ما ظهر على أيديهم من تحف الصنائع وطرفها وكانت فنون الوثنيين وآداب لغاتهم من الغنائم التي اهتم أولئك الرجال بحفظها غير انهم كانوا يحترسون كل الاحتراس من اظهار آخر ما اكتشفوه من أسرارها للأحداث وكان من مصلحتهم ان لا يزيلوا عن تلك الاسرار الا طرفاً من حجابها لانه كان لا بد لما يَعِيهِ الخلف من آثار السلف ان يردهم يوماً ما الى عبادة الطبيعة وجمالها ومن أجل ذلك كان رؤساء الدين لا يفتأون يذكرون الناشئين بأن آلهة الوثنيين آلهة باطلة لا أصل لها الا الكبرياء والكذب وانه لا ينبغي النظر اليها الا من بعيد مع الاسترشاد في ذلك بهدي الدين المسيحي

أنا لا أحترس كل هذا الاحتراس في تعليم «اميل» تينك اللغتين واقرائه كتبهما فانه لا بد لمن يزاول دراسة أمر من الامور ان يكون له فيه شيء من الاعتقاد فما ضره لو انه أخلص في الاشتغال بهرقل (٤) وأعماله ومن ذا الذي ينقم منه ان قدم قرباناً للآلهات العفيفة (٥) ولمنروة (٦) الحكيمة الابية فان في كشف حقيقة الاشخاص الخرافيين الذين وجدوا في خيال الاقدمين وكانت حياتهم ملائمة كل الملائمة لخيال

«١» سلامين وتسمى الآن كولورى هي جزيرة في خليج أثينا «٢» بومباي قائد روماني شهير له غزوات كثيرة كان فيها ظافراً «٣» فرسالا مدينة باقليم تساليا القديمة من بلاد اليونانية هزم فيها قيصر الروم القائد بومباي (٤) هرقل بطل خرافي مشهور بأعماله العجيبة (٥) الالاهات العفيفة في أساطير اليونان هي الاهات الفنون التسعة بنات المشترى (٦) منروة هى في الاساطير المذكورة الاهة الحكمة والفنون والحرب

اليافعين وازالة الوهم من عقول هؤلاء في شأنهم في ذلك تعجيلاً بزعزعة عقيدتهم في النوع الانساني • ولا يظن ظان اني أقصد بما أقول ان أوقف « اميل » عند الوثنية فاني انما أريد بهذا القول انه لا بد لمن يريد النفوذ الى أسرار لغة قوم من اختلاس آلهتهم • اه

﴿ مقدمة كتاب الاسلام والنصرانية ﴾

« أُدْعُ إلى سَبِيلِ رَبّكَ بالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بالتى هي أَحْسَنُ. إنَّ رَبَّكَ هوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بالْمُهْتَدِين »

ظهرت في العالم مَدَنِيّاتٌ ثم خفيت ، وَدُرِسَتْ فيها العلوم والفنون ثم دَرَسَتْ، وصلحت أحوال الأناسيّ ثم فسدت، وطلعت فيهم أقمار الهداية الدينية ثم خسفت ، ولم يزل الناس في قيام وقعود ، وهبوط وصعود ، والأمم في تلاش وفناء ، ونشوء وارتقاء ، حتى استعدّ المجموع في جملته للرقي العام ، فمنحه الله تعالى دين الاسلام ،

جاء الاسلام والعالم كله في تأخر من جميع الوجوه — من جهة الدين • من جهة العلم • من جهة المدنية • من جهة السياسة • فلم يمرّ قرن واحد حتى جدّد للعالم كله ديناً قيّمًا ، وعلماً محكماً ، ومدنية سعيدة ، وسياسة رشيدة ، ونشر ذلك كله في مشارق الأرض ومغاربها بقوة الحق ، وسرعة البرق ، فتغير به وجه الأرض ونفخ في الانسان روحاً جديداً أعطاه من جراثيم الحياة ما لا يقبل الفناء ، ما دامت الأرض والسماء ، (١)

ينبوع تفجر في أرض وفاض ماؤه على غيرها فأحيا الأرض بعد موتها ولكن القائمين على حراسته وتعاهده وضعوا فوقه أنقاضاً من خرائب جيرانهم فغيض الماء وما بقي منه صار مستنقعات تُجْتَوى • لم يلبث بعد ما غاض أن فاض منه شيء في

(١) بينا ان اركان الاصلاح الاسلامي غير قابلة للهدم في مقالات متعددة نشرناها في مجلدات المنار كمقالات « الاصلاح الديني » والمقالة التي فاتحتها « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » ومقالات « سلطة مشيخة الطريق الروحية » وفيها الكلام على تقييد الاسلام السلطتين السياسية والدينية وجعل الناس سواء • وكل هذا في المجلد الأول • وكمقالة « الجنسية والديانة الاسلامية » في المجلد الثاني ومقالة « اعادة مجد الاسلام » ومقالات « مدنية العرب » في المجلد الثالث وكمقالات الحكومة الاسلامية والقضاء في الاسلام في المجلد الرابع

مواضع أخرى فانتفع أهلها به وحافظوا عليه ولكن الأكثرين منهم لا يعرفون من أين جاءهم كما ان أكثر أهل الينبوع المنتسبين اليه بالاسم لا يعرفون أن ذلك الماء الذي تفجر في تلك المواضع فأنشأ أهلها به حدائق ذات بهجة هو من ماء ينبوعهم، وانهم لو أزالوا عنه تلك الانقاض لفاض ورجع اليهم خصبهم ونماؤهم كأحسن ما كان • لأنهم تعلموا من غيرهم كيف يستخدم الماء للاحياء

ذلك مثل المسلمين اليوم مع الأمم الغربية الحيّة الراقية • أخذ الغربيون من الاسلام كل أصول الاصلاح الذين هم فيه وهم يقولون: الاسلام عقبة في طريق كل اصلاح • يقولون للمسلمين: ان ماءنا صاف نقي يحيي البلاد والعباد وماءكم آسن أجاج أحدث مستنقعات أهلكت الحرث والنسل • فكيف يستوي الماآن ، وقد اختلف الأثران ، ؟ منهم من يقول هذا معتقداً ، ومنهم من يقوله منتقداً ، ونحن ساكتون عنهم ، لأننا جاهلون بأنفسنا وبهم

ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يَمِيزَ الخبيث من الطيّب • ويظهر الحق من الباطل ، فتقوم الحجة على الجاهل بدينه ونفسه ، والمكابر لوجدانه وحِسّه، لعلّهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ، فيرجعوا الى أصول دينهم وهو الأولى بهم والأحرى • فقد أعدهم بنوائب الزمان ، وصروف الحدثان ، لأن يعترفوا بذنبهم ، وينيبوا بالتدريج الى ربهم ، اذا ظهر فيهم علماء ربانيون ، وأطباء روحانيون ، يعرفونهم بحقيقة الداء ، ويصفون لهم الدواء ، وما طلب الانسان بلسان استعداده شيئاً من مولاه ، الا تفضّل عليه به وأعطاه إياه (١)

لهذا سخر الله للمسلمين حكيماً من الاعلام ، واماماً من أئمة الاسلام ، يطب لدائهم ، ويجمع ما تفرق من آرائهم ، وقد كتب في هذه الايام كتابة جليلة في العلم والمدنية ، بالنسبة الى الديانتين النصرانية والاسلامية ، رد فيها على أحد كتاب المسيحيين قوله ان المسيحية كانت أكثر تسامحاً مع العلم من الاسلام وان الاسلام أكثر اضطهاداً للعلم والفلسفة من النصرانية ، وبيّن في آخر ما كتبه حال المسلمين السوءى وعدم موافقتها لما تقتضيه طبيعة دينهم فبرأ الاسلام وسلفه من الملام ولكنه لم يبرئ المسلمين المتأخرين بل دلهم على حقيقة دائهم وهداهم الى طريقة معالجته والخروج منه باذن الله تعالى . ولعمري انه أنذر فأعذر وبرئ من وعيد الكتمان « فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها »

(١) راجع مقالة « الاصلاح والاسعاد ، على قدر الاستعداد » (ص٦٨١ م٤)

ويلي هذا في المقدمة إلماع لشبهات ذلك الكاتب وقد عرفها القراء من قبل كما عرفوا الرد عليها فلا حاجة لذكرها. وقد تم طبع الكتاب وإصداره وثمنه ٥ قروش صحيحة وأجرة البريد في مصر ستة اعشار القرش (٦ مليمات) ويطلب من ادارة المنار بمصر

باب الاخبار والآراء

﴿ سعي في الوفاق الاسلامي الانكليزي ﴾

علم القراء من المقالة الافتتاحية في هذا الجزء أن من الفائدة الكبرى للاسلام والمسلمين ان يعرف أهل أوربا حقيقة الاسلام لانهم متى عرفوا حقيقته يعرفون حقيته وفضله فيكونون نصراء له وتقل مقاومة حكامهم لأهله . ولا ريب ان من عرف منهم هذه الحقيقة يكون أقدر منا على تعريفهم إياها بصورة يقبلونها . كما لا يرتاب عاقل في أن معرفة الانكليز بالاسلام تكون أنفع للمسلمين من معرفة غيرهم من الاوربيين لان للانكليز سلطاناً على الشعوب الاسلامية ليس لغيرهم مثله أو ما يقاربه ولأنهم أقرب الأمم الأوربية الى أخلاق الاسلام وفضائله وأرجاهم لفائدة أهله

بعد التذكير بهذا نقول ان الحاج عبد الله براون الانكليزي الذي اهتدى الى الإسلام من عدة سنين وثبت عليه ومازج أهله توجهت نفسه الى القيام بخدمة صالحة لأهل دينه الذي اهتدى اليه ولأبناء جنسه الذين نبت فيهم وذلك بأن ينشئ جريدة انكليزية في مصر غرضها الأول التوفيق بين مصلحة الانكليز ومصلحة المسلمين في مصر وفي المستعمرات الانكليزية كالهند وغيرها . وقد سافر الى الهند بمساعدة أهل الغيرة والنجدة من المسلمين الذين يعرفون قيمة هذا السعي ليعرض رأيه على كبراء المسلمين هناك ويستمدهم في الإسعاد عليه . وقد بلغنا ان اللورد كرومر مرتاح الى هذا العمل ومساعد عليه ويرجى من كبراء عقلاء المسلمين في الهند أكثر مما يرجى من عقلائهم في مصر إسعاداً وإرفادا .

ومما يدلنا على ان هذا العمل يرجى نجاحه أننا رأينا الحوادث قد أعدت النفوس من الفريقين له كما علم من الكتابات الكثيرة التي دلت على توجه حكام الانكليز وكتابهم الى مساعدة المسلمين على التربية الملية الاستقلالية والتعليم النافع وقد عرب المؤيد كثيراً منها فعرفه المصريون كما عرفوا بالاختبار سوء مغبة ماجرى عليه أحداث السياسة عندهم من اللغط بسب الانكليز وشتمهم وجعل حسناتهم

سيئات فرجع المصريون الى رأي إخوانهم مسلمي الهند الذين جربوا قبلهم معاداة القوة ثم رجعوا فعرفوا فائدة المسالمة وهو أنه لا أنفع للمسلمين من التوفيق بين مصالحهم ومصالح الانكليز والعمل معهم بالصدق والإخلاص . وكل هذا من مقدمات مجد الاسلام المستقبل « والعاقبة للمتقين »

﴿ مابعد الاستشارة ﴾

استشرنا قراء المنار في نشر ما جاء في سجل جمعية ام القرى من معايب السياسة والادارة في دولتنا (ايدها الله تعالى) فكتب الينا بعضهم يجزم بوجوب نشر السجل كله ليعرف محبو الاطلاع اسباب الفتور السياسية كما عرفوا غيرها . ولم يكتب الينا احد قط باستحسان عدم النشر ولكن بعض اصدقائنا قالوا لنا شفاهاً انهم يرجحون عدم النشر لئلا ينفر المحب الجاهل الراغب في بقائه على جهله من المنار ويظن أنه ينفر عن الدولة العلية التي هي أعظم دولة إسلامية . ولكننا رأينا ان انتفاع الجمهور بعلم كل ما يقال عن الدولة أولى بأن يرجح على انتفاع ادارة المنار من رضاء محبي الجهل عنها . اما الانتفاع بما نشر فهو ان نشر مثل هذه الافكار هو الذي يقنع الترك والعرب وسائر المسلمين بأنه لا شيء أضر عليهم من حل الرابطة الإسلامية استغناء بالروابط الجنسية . ويظهر ان مولانا السلطان عبد الحميد (وفقه الله تعالى) مقتنع بهذا المعنى كما اقتنع به من قبل اعظم سلفه (السلطان سليم ياوز) ولذلك تراه يعتمد في مهماته على ابناء العرب اكثر من غيرهم ولو كان قادراً على إزالة الجنسية التركية لأزالها فيما يظهر وقد رأينا كثيرين من عقلاء الاتراك مقتنعين بهذا الرأي اعظمهم المشير مختار باشا الغازي . ولولا انهم عرفوا مضرة الجنسية وعرفوا ان عقلاء العرب عرفوها لما اقتنعوا بها . ولا يجوز ان يحملنا ما ورد في سجل الجمعية على بغض الترك فنزيد في ضرر الجنسية وإنما يجب ان نسعى في إزالة الجنسية والرجوع الى الرابطة الإسلامية وحدها. على ان ما ذكر من بغض الترك واحتقارهم للعرب ليس عاماً فيهم وإنما هو شنشنة من افسدتهم السياسة الفاسدة وا كثرهم اخلاط في الأصل من الأجانب والعناصر الغريبة . وقد بلغنا ان الترك العريقين في الاناطول يتبركون بالعربي اذا رأوه ويجلونه لأنه من بلاد النبي صلى الله عليه وسلم وان كان في شخصه وضيعاً سافلا . ويكادون يعبدون من ينتسب الى آل البيت عليهم السلام

﴿ الجرائد والمجلات والمشتركون ﴾

يكتب الينا كثيرون طالبين الاشتراك بالمجلة بما دون القيمة المعروفة لانهم تلامذة

ولأنهم فقراء ومنهم من يصف حاجته الى المنار وضيق ذات يده المانع من دفع جميع الاشتراك وصفاً غريباً ولا شك ان منهم من يستحق ان يسمح له بما يطلب لانه صادق في استثقال دفع خمسين قرشاً مرة واحدة لانه فقير اليد ومنهم من يحرُم ان يساعد على اطاعة شحّه لأنه فقير النفس غني اليد وقد يشتبه هذا بذاك فان لم يشتبها فان الثاني يجني على الاول

كنا جعلنا قيمة الاشتراك لطلاب العلوم ٤٠ قرشاً فرأينا العلماء وأساتذة المدارس ونظارها لا يدفعون الا ٤٠ قياساً على التلامذة والطلاب بجامع الاشتغال بالعلم ورأينا القضاة الشرعيين وجميع من يخرج من المدارس الى الوظائف بأنواعها لا يدفعون الا ٤٠ عملا بقاعدة الاستصحاب الفقهية أو جرياً مع حركة الاستمرار الطبيعية . وبهذا يضيع حق المنار بين القاعدة الفقهية والناموس الطبيعي بسوء التطبيق . واذا جعلنا الفقر سبباً للرضى بنصف الاشتراك وكان كل انسان هو المعرّف للفقر واذا كان أكثر الاغنياء الحقيقيين مع هذا لا يحفلون بالعلم والدين ولا يعضدون من يخدمهما فلا شك أنه لا يسلم لصاحب الجريدة خمسة في المئة من المشتركين يدفعون قيمة الاشتراك كاملة

واذا عُلم بعد هذا ان الغني والفقير والمعلم والتلميذ سواء في المطل أو الارجاء في دفع قيمة الاشتراك ولو الى آخر السنة وأن بعضهم يستحل" أكل ثمن الجرائد والمجلات وأن المحصّلين للجرائد منهم من يقتدي ببعض المشتركين باستحلال أكل ما يحصله كما وقع لنا مراراً ومنهم من يشارك صاحب الجريدة بالخمس حتى كأن المال غنيمة والمحصّل هو السلطان أو بيت المال — فان العالم بذلك يخجل أن يطلب الاشتراك بنصف القيمة في مجلة يبلغ صفحات مجلدها في السنة نحو الف صفحة ويصرف صاحبها في تأليفه سنة كاملة

(المنار) أقل مجلاّت القطر الشهيرة ثمناً فمنها ما ثمنه فى السنة جنيه ومنها ما ثمنه ٨٠ وما ثمنه ٧٠ وما ثمنه ٦٠ وبعض هذه المجلات أصغر من المنار حجماً وربما كان التعب فيها أقل فاننا ربما نشتغل عدة ساعات فى البحث عن حديث واحد لنعرف جميع مخرّجيه وما قيل فيه فلهذا ولمجموع ما تقدم شرحه يعذرنا الذين طلبوا الاشتراك بنصف القيمة على عدم مجاوبتهم والاعتذار لكل واحد منهم . وقد كتبنا هذه النبذة بقلم الخجل ليعلم المطلعون على المنار ويسمعوا ممن يطلع اننا لا نقبل من احد الاشتراك بأقل من خمسين قرشاً فى السنة فيستريحوا ويريحونا . ومن نعلم باليقين انه يعسر عليه ان يوفر من نفقته فى السنة خمسين قرشاً يجعلها ثمناً لمجلة يحب ان يقرأها ويرجى ان ينتفع بها فإننا نرسل اليه المنار بلا ثمن

الجزآن ١٩ و ٢٠ المجلد الخامس

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر الخميس ١٦ شوال سنة ١٣٢٠ — ١٥ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٣)

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس مفتي الديار المصرية في الازهر)

« وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ . وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ . ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ »

جاء فى الآية السابقة ذكر تنجية بني إسرائيل من آل فرعون وهو مجمل يشمل النجاة من كل أنواع العذاب . وذكر فى هذه الآية نعمة الإنجاء بالتفصيل بعد الاجمال لبيان عناية الله تعالى بهم فيه إذ جعل وسيلته من خوارق العادات وجعل فيه هلاك عدوّهم . وقد يقال ان هذه نعمة مستقلة من نعمه تعالى عليهم لا انها بيان لإجمالٍ فى التي قبلها

لما أرسل الله تعالى موسى عليه السلام الى فرعون وملائه يدعوهم الى توحيد الله والى أن يخلي بينه وبين شعب إسرائيل بعد إطلاقهم من ذلك الاستعباد والتعذيب لم يزدهم فرعون الا تعذيباً وتعبيداً . وفى سفر الخروج من تاريخ التوراة أن الله تعالى أنبأ موسى بأنه يقسي قلب فرعون فلا يخفف العذاب عن بني إسرائيل ولا يرسلهم مع موسى حتى يريه آياته . وأنه بعد الدعوة زاد ظلماً وعتوًّا فأمر الذين كانوا يسخرون بني إسرائيل فى الأعمال الشاقة بأن يزيدوا فى القسوة عليهم وأن يمنعوهم التبن الذي كانوا يعطونهم إياه لعمل اللَّبِن (الطوب) ويكلفوهم بأن يجمعوا التبن ويعملوا كل ما كانوا يعملونه من اللبن لا يخفف عنهم منه شيء . فأعطى الله تعالى موسى وأخاه هرون الآيات البينات فكان فرعون يحاول معارضتها بسحر السحرة فلما آمن السحرة برب العالمين رب موسى وهرون لعلمهم أن ما جاء به ليس من السحر وإنما هو تأييد من الله تعالى سمح فرعون بخروج بني اسرائيل بل طردهم طردا وفى سفر الخروج انهم خرجوا فى شهر أبيب وكانت إقامتهم في مصر ٤٣٠ سنة . ثم أتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليمّ ما غشيهم وأنجى الله بني اسرائيل وأغرق فرعون ومن معه

قال الاستاذ الامام : فلق البحر كان من معجزات موسى وقد قلنا فى رسالة التوحيد ان الخوارق الجائزة عقلا أي التي ليس فيها اجتماع النقيضين ولا ارتفاعهما لا مانع من وقوعها بقدرة الله تعالى على يد نبي من الأنبياء ويجب أن نؤمن بها على ظاهرها ولا يمنعنا هذا الايمان من الاهتداء بسنن الله تعالى في الخلق واعتقاد أنها لا تتبدل ولا تتحول كما قال الله في كتابه الذي ختم به الوحي على لسان نبيه الذي ختم به النبيين فانتهى بذلك زمن

المعجزات ودخل الانسان بدين الاسلام في سنّ الرشد فلم تعد مدهشات الخوارق هي الجاذبة له الى الايمان وتقويم ما يعرض للفطرة من الميل عن الاعتدال فى الفكر والاخلاق والاعمال كما كان في سن الطفولية بل أرشده تعالى بالوحي الاخير (القرآن) الى استعمال عقله في تحصيل الإيمان بالله وبالوحي ثم جعل له كل إرشادات الوحي مبينة معلَّلة مدلَّلة حتى فى مقام الأدب كما أوضحنا ذلك في رسالة التوحيد . فإيماننا بما أيَّد الله تعالى به الأنبياء من الآيات لجذب قلوب أقوامهم الذين لم ترتق عقولهم الى فهم البرهان لا ينافي كون ديننا هو دين العقل والفطرة وكونه حتم علينا الايمان بما يشهد له العيان من أن سننه تعالى فى الخلق لا تبديل لها ولا تحويل:

وجملة القول ان الذي يمنعه العقل هو وقوع المحال فلا يمكن أن يؤيَّد نبيٌّ بما هو مستحيل عقلا لأن ذلك مما لا تتعلق به قدرة الله تعالى ولذلك سمَّى المتكلمون المعجزات « خوارق العادات » ومنهم من كان يقول إن لها أسباباً خفية روحية لم يطلع الله الامم عليها ولكنه خص بها الأنبياء عليهم السلام والمشهور ان الله يخلقها بغير سبب لتدل على أن السنن والنواميس لا تحكم على واضعها ومدبرها وإنما هو الحاكم المتصرف بها . وإنما كان هذا هو المشهور لأنه الظاهر وإلا فمن يستطيع أن ينفي ذلك النفي المطلق عن عالم الغيب . وقد ذكر القولين الامام الغزالي وأشار اليهما الاستاذ الامام في رسالة التوحيد

. قال : وزعم الذين لا يحبون المعجزات من المتهورين ان عبور بني اسرائيل البحر كان في إبّان الجزر فان فى البحر الاحمر رُقارِق اذا كان الجزر الذي عهد هناك شديداً يتيسر للانسان أن يعبر ماشيا . ولما اتبعهم فرعون

بجنوده ورآهم قد عبروا البحر كأنهم يمشون على اليبس تأثرهم وكان المدّ يفيض ثوائبه (المياه التي تجيء عقيب الجزر) فلما نجا بنو إسرائيل كان المدّ قد طغى وعلا حتى أغرق المصريين. واذا كان تحقق إنعام الله على بني اسرائيل يتم بهذا التوفيق لهم والخذلان لعدوهم ولا ينافي الامتنان به عليهم فانه ينافي كون فرق البحر كان آية لموسى وينافي وصف كل فرق منه بالطود العظيم. واذا تيسر تأويل كل آيات القصة من القرآن فانه يتعسر تأويل قوله تعالى «فانفرق فكان كل فرق كالطود العظيم» وهو الموافق لما في التوراة.

ويقول المؤولون إنهم لما عبروا انفرق بهم وكانوا لاستعجالهم واتصال بعضهم ببعض قد جعلوا ذلك الماء الرقارق فرقين عظيمين ممتدين كالطودين وان هذه الآية تشعر بذلك فانه يقول (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ البحر) ولم يقل: فرقنا لكم البحر: والظاهر أن الباء هنا للآلة كما تقول: قطعت بالسكين: وأما قوله تعالى «وأوحينا الى موسى أن أضرب بعصاك البحر فانفرق» فانه لا ينافي ان الانفراق كان بهم كما في الآية الاخرى لا بالعصا وذلك أن الذي أوحاه الله تعالى الى موسى هو أن يخوض البحر ببني إسرائيل وقد عهد أن من كان بيده عصا اذا أراد الخوض في ماء كترعة أو نهر فإنه يضرب الماء أولا بعصاه ثم يمشي فهذه الآية معبرة عن هذا المعنى أي ألهمه الله عندما وصل الى البحر أن يضربه بعصاه ويمشي ففعل ومشى وراءه بنو إسرائيل بجمعهم الكبير فانفلق بهم البحر. وأما قوله تعالى «فكان كل فرق كالطود العظيم» فهو تشبيه معهود مثله في مقام المبالغة كقوله تعالى (وهي تجري بهم فى موج كالجبال) وقوله «ومن آياته الجوار فى البحر كالاعلام» فالامواج والسفن الجواري لا تكون كالجبال الشاهقة، والاعلام الباسقة،

وانما تقضي البلاغة بمثل هذا التعبير، لكمال التصوير وارادة التأثير،

هذا ما ينتهي اليه تأويل المؤولين ولم يبسطه الاستاذ الامام في الدرس وانما قرر أن فرق البحر كان معجزة لموسى عليه السلام وحكى عن المتهورين من الذين لا يحبون المعجزات خلافه وهو انهم يزعمون أن عبور البحر كان في وقت الجزر. وإنما بسطنا تأويلهم لئلا يتوهموا أننا لم نقل به لأننا لم نهتد لتوجيهه مثلهم ولا يهمنا أن ننازعهم في تأويل آية بخصوصها اذا علمنا أنهم يثبتون الآيات الكونية تأييداً للانبياء عليهم الصلاة والسلام فاذا كانوا ينفونها كلها فالأولى لهم أن لا يتعبوا في تأويل جزئياتها لأن الكلام يكون بيننا وبينهم أولاً في قدرة الله وإرادته ثم في إثبات أصل الوحي وإرسال الرسل. والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم. ولنا أن نقول هنا أن الباء في قوله «بكم» للسببية أو للملابسة لا للآلة. وقد أشار البيضاوي الى ذلك كله بقوله «فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك لسلوككم فيه أو بسبب انجائكم أو ملتبسا بكم»

قال الاستاذ الامام: بعد ان قرر نعمة الإنجاء من استعباد الظالمين، والبعد من فتنة القوم الضالين، ذكر النعمة التي وليتها وذكّر بما كان من كفرهم إياها فقال «واذ واعدنا موسى أربعين ليلة» وقد كانت هذه المواعدة لاعطائه التوراة ولما ذهب لميقات ربه استبطؤه فاتخذوا عجلا من ذهب فعبدوه كما هو مفصل في غير هذه السورة (وسيأتي هناك تفسيره ان شاء الله تعالى)

والمراد هنا التذكير بالنعمة وبيان كفرها ليظهر أن تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ومعاندته ليس ببدع من أمرهم وانما هو معهود منهم مع رؤية الآيات وبعد إغداق النعم عليهم ولذلك اكتفى بالاشارة اليه

بقوله « ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون » أي اتخذتموه إلها ومعبودا وبعد ان ذكرهم بذلك الظلم ذكرهم بتفضله عليهم بالتوبة ثم بالعفو الذي هو جزاء التوبة فقال « ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون » هذه النعمة بدوام التوحيد والطاعة . وقفّى هذا بذكر إيتائهم الكتاب وهو المنة الكبرى فقال « واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون » قال المفسر (الجلال) كغيره ان الفرقان هو التوراة وقال بعض المفسرين ان الفرقان هو ما اوتيه موسى من الآيات والمعجزات قال الاستاذ الامام بعد حكاية القولين : ولكن ذكره بعد الكتاب معطوفاً عليه دليل على أن المراد به ما في الكتاب من الشرائع والاحكام المفرقة بين الحق والباطل والحلال والحرام ، ومعنى قوله : لعلكم تشكرون لعلكم تهتدون : اي ليعدّكم بهذا العفو للاستمرار على الشكر ويعدّكم بهذه الاحكام والشرائع للاهتداء ويهيئكم للاسترشاد فلا تقعوا في وثنية اخرى . وان من كمال الاستعداد للهداية بفهم الكتاب أن يعرفوا ان ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام هو هدى ونور يرجعهم الى الاصل الذين تفرقوا عنه واختلفوا فيه . وكذلك اهتدى به منهم المستبصرون ، وعانده المقلدون الذين لا يعقلون

﴿ باب العقائد ﴾

رأيٌ في علم الكلام . وطريقةٌ في اثبات الوحي

(لعالم عامل وكاتب فاضل)

سلامٌ عليكم أيها القارئون ورحمة الله وبركاته . وانعامه واكرامه .

هذه كلمات قليلة قدمتها لكم على صفحات هذه المجلة النافعة . اشير فيها لبيان شيء من حال علم الكلام وأختمها بذكر طريقة سهلةٍ للسالك قريبةٍ للآخذ في اثبات الوحي .

— الذي دعاني لتحرير هذا —

كيفما التفت الإنسان بحسه أو فكره لا يجد شيئاً إلاّ وشيء آخر يقابله هو ضد له . وكيفما تقلّب لا يُلفي نفسه إلا بين شيئين يسمى أحدهما « المحبة » والآخر « النفرة » . وكيفما تحرك فهو إما طالب لما يحب وإما هارب مما ينفر . ياويح الانسان الذي يشتغل مدة حياته بالطلب والهرب . ثم ياويحه حين يرى لما يطالبه طلاّباً كثيرين يزاحمونه وينازعونه . ثم حين يجد نفسه غير مستقلٍ فيما يحب وينفر . يحبّ شيئاً ، فيعاتَب ، ويكره شيئا فيعاقَب . ثم ياويحه حين يعلم افراد نوعه متضادّين ومتجادلين من أجل التضادّ .

هذا الجدال قد يحتدم بين الاخوة بني النوع من أجل الاحتياج الذي فطروا عليه وقد يكون الاحتياج دواءً مسكّناً من هذا الغليان . وطالما شوهدت أشياء مثل الاحتياج تكون داءً ودواءً

من أجل الاحتياج يتفرق النوع ويتخاذل ، ومن أجله يلتئم ويتعاون ، وليس كل احتياج منشأه الضرورة بل كثير منه منشأه حب التميز . ومن فضل الخالق أن جعل كلاً محتاجاً ومحتاجاً اليه . المطعِمون محتاجون للكاسين ، والكاسون محتاجون للمُطعمين ، والفريقان محتاجان للبانين ، والثلاثة محتاجون للبائعين ، والاربعة محتاجون للحافظين ، وفحول الكل محتاجون للاناث ، واناث الكل محتاجون للفحول ، والكل حريصون على تحصيل الاولاد وانمائهم . والكل محتاجون للشارعين الذين يبينون

الحدود والحقوق ، والكل محتاجون مع العمل الى العلم والمعلمين ، وفي هذا كله حِكَمٌ عرفها من عرفها . وجهلها من جهلها

ما احوجنا مع هذا الاحتياج والتعاون في لوازم الحس الى التحاب والتعاون فى لوازم العقل فياللاسف لم نر انفسنا الا على هذه الحالة متفرقين وما نحن ابتدعنا التفرق بل كان قبل ان كانت اشخاصنا وسيبقى الى من بعدنا

ليس علينا رفع الخلاف ولا نقوى نحن عليه . ولكن علينا ان لا نزيده كما زاده المتعالمون المطاعون في حياتهم والمتَّبعون بعد موتهم . اولئك الذين يكدرون على الناس صفاء فطرتهم، ويفسدون عليهم سلامة تصورهم، بل علينا ان نجتهد في تخفيفه وذلك لا يكون الا بصقل العقول من صدإ الاوهام فعلينا مجاهدة الاوهام واهلها مبلغ جهدنا . وما اجمل هذه من وظيفة نشكر عليها المحيط المقسِّم الممدّ الذي جعل لنا منها نصيباً . وآتانا عليها عوناً .

واحسن جلاء للعقول هو إزالة سيطرة المتعالمين عنها (فهو الصدأ العظيم) واستعمالها في فهم اسرار الكائنات وحكم الشرائع . وافضل عونٍ لها في بلوغها في هذا السبيل هو الدين الخالص من شوب الناس . ذلك لان البشر منذ القديم كدّروا العقل بتصورات سقيمة في شان الموجد الاول فالدين يرشد لا سلمَ . وحملوا النفوس على عادات قبيحة ضارّة سمّوها عبادات فالدين يهدي لأجمل وانفع . وحمّلوها اثقالاً من القوانين الجائرة فالدين يوصي بأعدل . وزينوا لها اخلاقاً فاسدة فالدين يدل على أصلح .

لكن الناس اصناف مصنفة اكثرهم يميلون لما هو ضد الخير وتحن نفوسهم الى الرذائل الخارجة عن حد الاعتدال فى كل شيء كما هو داب الذين خلوا من قبل . فمن لم يتمسك بالدين البتة فلا كلام فيه ههنا . ومن تمسك

فيه تراهم فى مغايرته على نوعين — نوع يغايرونه بالفعل ويتمسكون منه بالاسم وهم الاكثرون ونوع يغايرونه بعلوم يحدثونها يُبصِّرون الناس فيها انهم اولياؤه . فأما الذين يغايرونه بالفعل فالوظيفة معهم الوعظ والتذكير . واما الذين يغايرونه بما يحدثونه فالوظيفة معهم وظيفة العاقل مع العاقل في الدعاوي والبيّنات . وتحقّ الحقيقة ويبطل الغلط .

ولما عرفتُ ان الدين كلام يفهمه العاقلون ، ولا يحتمل ما يعزوه اليه المتفرقون ، حرصتْ نفسي على كشف حال كثير من العلوم المحدثة فأقول مالها وما عليها ليعلم طلّابها ما يضرهم وما ينفعهم . ذلك منذ علمت ان سعادتي فى ان اكون مُخلص القلب للمجتمع الانساني ، القائم على ناموس رباني ، وان اكون شاكراً لنعم العاملين بما ينفع الناس ملتئماً مع من عرفوا النعم فشكروها ، اوجهلوها فاستعرفوها ، نافراً عمن كفروا بها واستيقنتها انفسهم .

فهذا ما دعاني اليوم لتحرير هذه الكلمات الشارحة رأياً في علم الكلام . وطريقة فى إثبات الوحي .

﴿ تمهيد وتقسيم ﴾

هذا الإدراك الذي اوتيه الإنسان لم يقفْ به عند استعراف ما يَطعَمُهُ ويكتسيه ويأوي اليه بل ساح به من عالَم الشهادة الى عالم الغيب= من عالَم الحس الى عالم الحدس =

يسأل الانسان نفسه بنفسه ما هو الموجد الأول او ما هو الموجود الأول ، مَنْ صنع هذه الكواكب الزاهرة ، من اوجد هذه البحار الزاخرة ، من انشأ هذه الأرواح العاقلة ، من خلَقَ هذه الاسباب الظاهرة والباطنة ، مَنْ سوّى هذه الروابط الثابتة ، من صوّر هذه

الصور المتغيرة ، من يدبر هذه الكائنات المتنوعة ؟

ثم ينتقل من هذا السؤال الى سؤال آخر فيقول: ما هي نفسنا ماهو ادراكنا . لماذا افرادنا متفاوتون فيه . ما هي هذه الحياة التي نحياها . ما الفائدة لنا منها . ما الحكمة للذي سوّى فيها . ما الذي يجب ان نعمله معها . اين تذهب ارواحنا عند اضمحلال هذه الحياة . لماذا نحبها وهي مع قِصرها مرّة المذاق . كدرة الموارد . لماذا نتزاحم . لماذا نتجادل . ما السبيل لسلامتنا بعضنا من بعض ؟

هذه الأسئلة وامثالها شغلت فكر هذا النوع من زمن قديم ليس لنا ولا لغيرنا علمه . وما زال الناس ولا يزالون يتساءلون ويتجاوبون في هذا الى ما شاء الله . وليس البحث فى هذه شأن كل فرد من الأفراد بل هو شأن نفر من كل امة من هذه الأمم المتفرقة . وقد يعقب البحثَ والتفكر تصور ويعقب التصور عقد . ويحمل العاقد بشيء غيره ان يعتقد كما اعتقد فهكذا تكوّنت نِحَل الناس ومِلَلهُم .

والذين اشتغلوا بتدوين العلوم قد تقيدوا باصطلاحات خاصة زَعَمَ ان بها يمكنهم تعميم فائدتها . واما الذين عرفوا كيف يُقرِّب العلم من افهام الطبقات المختلفة فيحبون ان تتجافى عباراتهم عن الاصطلاحات مهما امكنهم .

ذكّرني بذكر هذه القضية أنّي رأيت مدوني هذه المباحث في لغتنا قد تباعدوا بها عن أفهام الاكثرين بكثرة ما جاؤا فيها من الاصطلاحات وهم ما قصدوا الا التفهيم بل زعم بعضهم أن الناس أجمعين مكلفون أن يعلموا علمهم ذلك . ولا بد من أن يزعم هذا ان اصطلاحاتهم يفهمها كل أحد من أهل اللغات المختلفة . ولعلّ عذرهم أنهم دونوها كما وجدوها على اصطلاح

الباحثين من أمم أخرى . وهو عذر مقبول في الجملة

هذه المباحث يقال لمجموعها في اصطلاح المدونين (فلسفة) وهي كلمة منحوتة من اليونانية قالوا معناها (حُبُّ الحكمه) . ومن أجل شيوع هذه الكلمة بهذا المعنى ظن البعض أن الفلسفة اليونانية هي أول فلسفة ومن أجل أن علم الكلام (الآتي ذكره) يردُّ كثيراً من آراء فلاسفة اليونان كما يرد الفلاسفة بعضهم على بعض ظن بعض أن علم الكلام انما جعل لنقض الفلسفة . والظن الأول يزهقه التدقيق في التاريخ العام للأزمنة القديمة التي يُجهل منها أكثر مما يعرف . والظن الثاني يزهقه معرفة أن علم الكلام فلسفة يعرف بها صحة الدين . وليست كل الفلسفة مناقضة للدين حتى يحتاج الدين الى علم به تنقض الفلسفة كما أنه ليس كل كلام أهل الكلام مقبولا عند الدين بل كثير منه مردود بشهادة بعضهم على بعض . والمدقق يعلم أن ليس علم الكلام الا قسمين قسما يجمعون فيه نظريات على طريقة الفلاسفة القدماء يوافقونهم في أشياء ويخالفونهم في أشياء . وقسما يجمعون فيه خلافات ومنازعات بينهم أنفسهم

ويعلم أيضاً أن الدين انتصر بروحه الزكية السالمة من الشوائب قبل أن يجيء علم الكلام ناصراً له وناقضا للفلسفة . ولكي يعلم الناظر ههنا آراء الناس في الإلٓهيات قبل الاسلام وقبل علم الكلام أذكر نموذجاً يسيراً منها في فصل . ومنه انتقل لعلم الكلام في فصل آخر



الفصل الاول

— الفلسفة الالهية عند الأمم السالفة —

كان الصابئة (وهم طائفة منبتها بلاد فارس منها انفصل ابراهيم النبي الذي هاجر الى فلسطين وتسلسلت النبوة في عقبه) يقولون ان للعالم صانعاً فاطراً حكيماً مقدّساً عن سمات الحدثان والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى جلاله وانما يتقرب اليه بالمتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهراً وفعلا وحالة وهم ينكرون نبوة البشر ولكنهم يعترفون بمعلمهم الأول هرمس (قيل هو ادريس) ويثبتون عالماً روحانيا على نحو ما يسميه الكتابيون الملائكة وقسموا هذا العالم الروحاني الى طوائف منها مدبرات الكواكب التي هي هياكلها اذ لكل روحاني هيكل ولكل هيكل فلك ونسبة الروحاني الى ذلك الهيكل نسبة الروح الى الجسد فهو ربه ومدبره ومديره . وربما يسمون الهياكل أرباباً وربما يسمونها آباءً والعناصر أمهات . فوظيفة هذه المدبرات تحريك الكواكب على قدر مخصوص ويحصل من حركاتها انفعالات في الطبائع والعناصر فيحصل من ذلك تركبات وامتزاجات في المركبات فيتبعها قوى جسمانية ويركب عليها نفوس روحانية مثل أنواع النبات والحيوان ثم قد تكون التأثيرات كلية صادرة عن روحاني كلي وقد تكون جزئية صادرة عن روحاني جزئي فمع جنس المطر ملك ومع كل قطرة ملك

واتخذ هؤلاء صوراً وتماثيل على صور الكواكب وأمثلتها وبنوا لها البيوت وأقاموا لها الهياكل واحتفلوا من أجلها بفروض ومراسم شرحها يناسب كتب الجدل وكتب التاريخ . وليس غرضنا الا النموذج اليسير

وكان « الزروانية » (وهم طائفة من الفرس) يقولون ان النور أبدع اشخاصاً من نور كلها روحانية نورانية ربانية لكن الشخص الذي اسمه « زروان » شكّ في شيء من الاشياء فحدث « اهرمن » (الشيطان) من ذلك الشك ولهم في ذلك اساطير لم نجوز سردها لقلة فائدتها .

وكان « الزرداشتية » (وهم طائفة فارسية اخرى زعيمهم زرداشت) يقولون ان النور والظلمة اصلان متضادان وكذلك « يزدان » و« اهرمن » وهما مبدأ موجودات العالم وحصلت التراكيب من امتزاجهما وحدثت الصور المختلفة والباري تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما وهو واحد لا شريك له ولا ضد ولا ند ويدعي اصحاب (زرداشت) معجزات كثيرة له

وكان (طاليس) اليوناني — الذي تعلم الالٰهيات والهندسة والهيئة في مصر وهو اعظم مؤلفي الفلسفة المسماة يونانية — يقول ان جميع ما في الكون لا يخلو عن إحساس ما وانه مملوء بما لا يدركه الطرف من المخلوقات وكلها متحركة ذات ارواح

وكان (فيثاغورس) يقول ان العالم له روح وإدراك وان روح هذا الدولاب العظيم هو الاثير فمنه جميع الارواح الجزئية وكان يقول ان الارواح لا تفنى فهي تسيح في الهواء الى ان تصادف جسما فتدخل فيه ولذلك كان يشدد في منع اكل الحيوانات . وادعى فيثاغورس معجزات كثيرة جلها لتأييد مذهبه في تناسخ الارواح ومما فعل انه بنى له تحت الارض حجرة صغيرة وعاهد امه ان تكتب له كل ما يكون ويحدث فغاب فيها سنة ثم خرج نحيفاً أشعث أغبر وجمع الناس واخبرهم انه كان في جهنم ولاجل ان يصدقوه شرع يخبرهم بما حصل في غيبته فظنوا انه

فوق جميع البشر (تأمل)

وكان (هيرقليس) يقول ان الكون ممتلئ من الجن والعقول وان الإله لما قضى أزلاً بوجود الاشياء تركها لتدبير خلقه (تأمل)

وكان «انكسغوراس» يقول بالعقل الذي يفيض على كل مادة ما يليق بها من الصورة وكان يقول لافراغ في الجوّ بل هو مملوء وان جميع الاجسام تقبل القسمة الى مالانهاية له ولو كان الجسم صغيراً جداً بحيث لو وجد قاسم ماهر وآلة تقسيم لأمكن ان يستخرج من رجل البعوضة اجزاء لو وضعت على الف الف سماء لسترتها من غير تناهيها في نفسها بل لا تزال قابلة للقسمة (تأمل)

وكان «افلاطون» يقول الأصول ثلاثة الإله والمادة والإدراك فالإله يشبه عقل العقول والمادة تشبه السبب الأول للتولد والفساد. والإدراك كجوهر روحاني قائم بذات الإله. كان الناس يلقبون افلاطون بالالهي وكانوا يقولون إن أفلاطون يعرف الإله الحقيقي معرفة جيدة وهذا إمّا من جودة ذهنه او مما أُطلع عليه من كتب العبرانيين (تأمل) ووقع من افلاطون أنه نوّع الالهة مراتب ثلاثاً علويين مسكنهم السماء ومتوسطين يسمون جنّاً كوزراء للعلويين مسكنهم الهواء وسفليين مسكنهم الماء سماهم انصاف آلهة (تأمل) وقال إن جميع عناصر العالم وسائر اجزائه ممتلئة بهذا النوع الثالث وقد يظهرون في بعض الاحيان لأبصارنا ويختفون احياناً وتبع أفلاطون فيثاغورس في تناسخ الأرواح

وكان «ارسطاطاليس» يقول: الأصول ثلاثة العدم والمادة والصورة: وعرّف المادة بتعريفين مختلفين سلباً وايجاباً فقال في الاول: المادة هي ما

ليست جوهر ذلك الشئ ولا امتداده ولا عرضه ولا نوعاً آخر من الامور الوجودية العارضة له: وقال في الثاني: المادة هي مبدأ تركيب الاشياء ومنتهى تغيراتها: وليس في الاثنين ما يفيد حقيقتها (تأمل)

وكان «ابيقور» يقول بأن الروح جسمانية معللاً ذلك بأنها محركة لاجسامنا مشاركة لها ألماً ولذة وانا في حالة ثقل النوم نتيقظ بها بغتة وبها تتغير الواننا على حسب ما يعرض لها من الحركات والاعراض

هؤلاء من مشاهير اليونان الذين تكلموا في الإلهيات وهذه مشهورات من آرائهم فيها (وأما علومهم الرياضية والمنطقية فليست من صدد موضوعنا ولا تنقضها الالهيات والعلوم الخادمة لها ولا تأمر بنقضها بل بإبرامها لانها لازمة نافعة واما علومهم الطبيعية فلا ننكرها عليهم أيضاً الا ما انكروا فيها الصانع وصنعه)

وكان «اليهود» يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويقولون إن عيسى بن مريم الذي خلق من غير اب زنت به امه واتى من الزنا وخالف بعمله النواميس الشرعية فقتلناه وصلبناه

وكان النصاري يقولون لا بل عيسى هو ابن الله بعثه ليخلص الناس من خطيئة آدم التي لحقت بأولاده وجعله فداء لهم من الخطيئة التي لم يسكن غضب الرب من اجلها ثم اختار أن يكون سكون غضبه وتخليص الناس منه بواسطة اراقة دم ابنه ولا تنس أن النصارى يقولون أيضاً بأصول ثلاثة الاب والابن وروح القدس

وكان العرب أصنافاً منهم من انكروا الخالق والبعث وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني كما حكى ذلك القرآن عنهم «وقالوا ما هي الا حياتنا

الدنيا نموت ونحيي . وما يهلكنا الا الدهر » اشارة الى الطبائع المحسوسة وقصر الحياة على تركبها وتحللها . فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر

ومنهم صنف أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الإعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الاصنام وزعموا انهم شفعاؤهم عند الله في الآخرة وهم الدهماء من العرب الا شراذم منهم

ومن العرب من كان يعتقد التناسخ فيقول اذا مات الانسان أو قتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته فانتصب طيراً هامة

ومنهم من كان على ملة ابراهيم كزيد بن عمرو بن نفيل . ومنهم من تهود . ومنهم من تنصر ومنهم من تفلسف وأدرك بعقله الحشر والجزاء قال « قس بن ساعدة » وهو أحد حكماء العرب: كلا ورب الكعبة ليعودنّ ما باد . وقال أيضاً : كلا بل هو الله اله واحد . ليس بمولود ولا والد . أعاد وأبدى ، واليه المآب غداً ، وقال « عامر بن الظرب العدوي » وهو من حكماء العرب أيضاً اني ما رأيت شيئاً قط خلق نفسه ، ولا رأيت موضوعا الا مصنوعا ، ولا جائياً الا ذاهباً ، ولو كان يميت الناس الداء ، لاحياهم الدواء ، ثم قال : إني أرى أموراً شتى وحتى : قيل له وماذا ؟ قال : يرجع الميت حيا ، ويعود اللاشيء شيأً ، ولذلك خلقت السموات والأرض : وقال علاّف بن شهاب التميمي

وعلمتُ أن الله جازٍ عبده ... يوم الحساب بأحسن الأعمال

— ظهور محمد عليه السلام —

فبينا حال الناس عامة والعرب خاصة على ما قصصناه ظهر « محمد » من العرب بين أظهرهم بهدى عظيم ، ودعا الى صراط مستقيم ، صدّقه

بدعوته الواحد والاثنان ، وكذّبه الشعب الكبير المتشعب الى جماجم وبطون وأفخاذ ، صدقه من صدقه لنور قذف في قلبه ، رأى به وجه وجه صادق ، وخطته خطة مرشد ، ودعوته دعوة مؤيد من عالم الغيب ، وكذّبه من كذّبه لشبهة عنّت له ، وحجاب أسدل على بصيرته ، ثم صدّقه آخراً من كذّبه أولاً ، ولم يفارق هذه الدار وفي جزيرة العرب جماعة مكذبون

كيف آمن جمهور العرب به من بعد أن أورد متعاقلوهم كل شبهة عنت لهم ، من بعد أن قالوا ساحر كذاب ، من بعد أن قالوا شاعر مجنون؟ هل آمنوا رهبة من سيفه ؟ فكيف أرهب سيف هذا الواحد قلوب تلك القبائل الكثيرة ؟ هل آمنوا رغبة في المغانم؟ فكيف سرى هذا الخاطر الواحد في أفكار الكل بعد ان صدوا أعظم الصدود وحارب بعضهم بعضاً من أجل أن ينصره قوم ويكيده قوم ؟ .

انما آمن العرب بعد حين من دعوته تربصوا فيه ان تظهر لهم أعلام صدقه فظهرت (كما سيظهر لك) ويومئذ دخلوا في دينه أفواجاً ، ووفدوا على حضرته زمراً ، يبايعونه على التصديق والاتباع ، ويستعلمون منه الوظائف والواجبات ، ويرجعون عنه بأفئدة مسرورة ، وعزائم مشتدة ،

أما العقيدة التي كان هذا الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوصي بها فهي أن يشهد الرجل أن « لا اله الا الله » وأن « محمداً رسول الله » . كلمة « الله » عند العرب علم على الخالق كانوا يقولون به ولكنهم لا يعرفون كماله كما يجب فكان منهم من يظن أن الملائكة بناته وان الأصنام شركاؤه في بعض ملكه فعرفهم أن الله لا يشبه المخلوقات فلا يلد ولا يولد وليس له شريك في الملك ولا اله غيره ولا معبود سواه ولا ينبغي أن يرجى

ويخاف من غيره . فكل هذه المعاني مجموعة في كلمة « لا اله الا الله » وأما الكلمة الثانية فالمقصود منها التسليم بما جاء به في الكتاب والخضوع لما يحكم به ويمضيه واعتقاد أن هذا الكتاب كلام الله أوحاه اليه بواسطة ملك من الملائكة الذين هم خلق مدركون لايعصون الله تعالى ويندرج في هذه العقيدة الايمان باليوم الاخر

هذه هي العقيدة التي يصير بها المصدّق محمدياً وقد ورد تفصيلها في القرآن كصفات الله تعالى والاحتجاج على المكذبين والوعد والوعيد في الدار الاخرة ويعلم القارئ أن العرب المدعوين لما آمنوا ما كانوا يعلمون القرآن كله لأنه لم يكن قد تم نزولا . بل أكثرهم ما كانوا يعلمون غير الآيات القليلة وكان أعلمهم به (أي الذين يعلمون كثيراً من الآيات) لا يجد في الألفاظ شيئاً غريباً في مدلوله ليتساءلوا عنه ويتباحثوا فيه (الاماروي نادراً) بل كان هذا التباحث من قسمة الذين أتوا بعيدهم

أتى بعيد عصره أناس قرأوا القرآن فعلموا شيئاً وجهلوا شيئاً . وأناس استمعوا لآراء الناس في الإلهيات من نحو ما قصصناه عليكم وانقسموا فيه فرقتين محبة وكارهة . ثم انقسمت المحبة فرقتين مصوّبة ومخطئة . ثم انقسمت المصوبة طائفتين مؤولة للدين على مقتضاها وتاركة له على حاله . ثم انقسمت المؤولة زمرتين معتدلة وغالية . فهذا هو مبدأ نشأة الفلسفة في الإلهيات عند المسلمين وعلى هذا الشكل كان تفرق أهل هذه الفلسفة

الفصل الثاني

— الفلسفة الإلهية عند المسلمين — أو — علم الكلام —

لا يصح أن نقول ان العصر الأول للاسلام كان خالياً من بذور

البدع التي حدثت بعده في الأصول والفروع . نحن لانقول هذا القول لأن أقوال المعاصرين للرسول كثير منها محكي في القرآن ونرى في بعضها مايدل على أنه كمذهب الجبرية وفي بعضها ما يدل على أنه كمذهب القدرية وغير ذلك . ولكننا نقول لم تنبت تلك البذور الا في اواخر أيام الصحابة حين أظهر معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الاسواري القول بإنكار اضافة الخير والشر الى الخالق سبحانه . ونسج على منوالهم واصل بن عطاء الغزال وكان هذا تلميذاً للحسن البصري . ويحكى أنه دخل واحد على الحسن فقال يا امام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج بها صاحبها عن الملة . وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان فكيف تحكم لنا بذلك اعتقاداً؟ فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل أنا لا أقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر. ثم قام واعتزل الى اسطوانة في المسجد وأخذ يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن اعتزل عنا واصل فسمّي هو واصحابه « معتزلة »

وقال « واصل » هذا بقول معبد وغيلان في مسألة افعال العباد وانكر مثلهما قضاء الله تعالى وقدره . فسموا « قدرية » (سماهم بهذا خصومهم) . قال ان الباري تعالى حكيم عادل لايجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمرهم به . وأن يحكم عليهم حكماً ثم يجازيهم عليه .

وقال « واصل » واصحابه يستحيل وجود إلهين قديمين ازليين ولذلك نفوا صفة العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام عن

الباري اي لم يقولوا هذه صفات للباري قديمة ازلية بل ان الله عالم حي قادر وليس علمه ولا حياته ولا قدرته الا ذاته .

هذا رأس الطائفة « المعتزلة » وطالع بعده الشيوخ الذين اتبعوه كتب الفلاسفة فخلطت مناهجها بمناهج الكلام وافردتها فنا من فنون العلم وسمتها باسم « الكلام » إما لان اظهر مسئلة تكلموا فيها هى مسئلة الكلام فسمي الفنّ باسمها واما لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فناً من فنون علمهم بالمنطق والمنطق والكلام مترادفان . (كذا قيل)

وتفنن « المعتزلة » في هذه المباحث وزاد الآخر على الاول وتروتق كلامهم في أيام المأمون والواثق والمعتصم :

أما مسألة الكلام المشار اليها فهي القول بأن القرآن مخلوق وممن اشتهر بهذا القول جهم بن صفوان وكان هذا جبرياً اي يقول أن العبد مجبور في أفعاله . وهذا المذهب ضدُّ مذهب المعتزلة الذي معناه ان العبد حر في افعاله أي ليس مسلوب الاختيار بإرادة الله وحكمه .

وكان بين « المعتزلة » العلماء العقليين وبين أهل الرواية في كل زمان اختلافاتٌ ومنازعات في مسألة الصفات وكان العلماء النقليون يناظرون الآخرين لا على قانون منطقي بل على طريقة المفتين في الدين . وكان من احسنهم اتقاناً ابو العباس القلانسي والحارث المحاسبي . وجرت مناظرة بين ابي الحسن الأشعري وبين استاذه ابي على الجبائي في بعض مسائل والزمه اموراً لم يتخلص عنها بجواب فأعرض عنه وانحاز الى النقليين السالكين طريقة السلف ونصر مذهبهم على قواعد منطقية واساسات نظرية فصار ذلك مذهباً منفرداً وهو المشهور اليوم بأنه مذهب اهل

السنة والجماعة . ويظن البعض بأنه بقي في مذهبه بقايا من مقالات اساتذته قبل ان تركهم وهم من شيوخ الاعتزال . وقرر طريقته جماعة من الاذكياء كالقاضي ابي بكر الباقلاني والاستاذ ابي اسحاق الاسفرائيني والاستاذ ابى بكر بن فورك على اختلاف بينهم قليل .

ومن يطالع مقالات المعتزلة بامعان يتبين له ان مقاصدهم التوفيق بين الدين والفلسفة ولم يتيسر لهم ذلك لامرين الاول ان الفلسفة التي طالعوها اكثرها غير صحيحة فلذلك لم تلتئم مع الدين . الثاني ان المقصد الاصلي من الدين هو العمل وهؤلاء افرطوا في الجدل فشطوا عن مقصد الدين كما شط مجادلوهم من الجبرية الخالصة والجبرية المتوسطة والمرجئة .

لكنّ القوم بما صنعوه في احتجاجاتهم وبما اضطروا مناظريهم ان يقلدوهم في النظر والاستدلال قد رفعوا شأن العقل كما يجب له ووسعوا ميدان نظره وقرروا آداباً مهمة وقوانين محكمة في المناظرة من حيث هى وفي المناظرة في موضوعهم هذا بخصوصه . من اهم تلك الآداب معرفة كل منهم ان مناظرهم نظيرهم . وعدم تكفير بعضهم بعضاً لمجرد المباينة بالفهم . ولا يلفتنك عن تسليم هذا شذوذ البعض عن هذا الادب المرعي، المعتمد على اصل شرعي ، ومن اهم تلك القوانين تقريرهم جميعاً ان الدليل العقلي القطعي يقدّم على الدليل النقلي عند التعارض ويستعان له بالمجاز والتأويل لئلا يذهب سدى كذا قال بعض الاذكياء . واقول ياليتنا استفدنا هذه الفائدة التي اشار اليها من غير باب الجدل في الدين . والتجربة ترينا ان هذه الفائدة لم تتم الا في أعقل الباحثين واكملهم قصداً واوفرهم حكمة وليس هؤلاء بكثيرين حتى نقول ان مخالفهم قد شذ . نعم ليس بمنكور

عندي ان صنيعهم ذلك رفع شان العقل وكاد ان يبلغه اشده في هذا الباب ويسير به الى ابواب اخرى من استعراف اسرار الكائنات وحكم الشرائع عامة والشريعة المحمدية خاصة ويومئذ كان يرجى للدين دوام سيره وانتشاره على السيرة الاولى ولكن هو الخطأ في الدين يقف به ويمنع سيره ان كان قوياً ويزهقه ان كان ضعيفاً .

نرجو أن تكون قد عرفت مما تقدم ان مدار الفلسفة الالهية الاسلامية على آراء «المعتزلة» ومناظريهم . أمّا مناظروهم فالمتكلمون من أهل السنة (وأشهرهم الاشاعرة) والقايون من أهل السنة والغلاة من الفريقين كالجبرية والحشوية والمشبهة والمرجئة . والغلو في كل شيء مذموم .

وقد أجللنا هذه الفلسفة عن أن نعد في أهلها أولئك الذين يتشيعون لرجل بعينه أو يتعصبون عليه وان عدهم الناس الباحثون في فرق المحمديين . اذ الشرط أن نحكي ماله علاقة بالفلسفة دون مالا علاقة له إلاّ بالهوى والسياسة .

وهذه أول كلمة نوجّهها لعلم الكلام وعلمائه متأسفين على اشتغال أفاضل أهل هذه الصناعة من المعتزلة ومناظريهم في هذه المسئلة التي أومأنا اليها . ولئن كان للمتقدمين منهم عذر لأن الزمان زمانها فليس للمتوسطين فضلاً عن المتأخرين وجه من الوجوه المزينة أو سبب من الاسباب الحاملة اللهم الاهوى البعض وتقليد البعض ولا يؤلم قلبي الا المتبعون على عمه الذين نزلوا أنفسهم منزلة القاصرين .

والكلمة الثانية أوجهها لجمهورهم أيضاً على عدم تروي كل منهم في كلام الآخر . لأننا حين التأمل والتروي نجد اختلافهم انما هو على الاصطلاحات دائر . وقلما نجد بينهم اختلافاً عظيما في حقيقة من الحقائق بل اختلافاتهم

مع الفلاسفة يمكن القول فيها هكذا أيضا . ولتوضيح هذا نورد هنا أمثلة :

(١) هل بين العقول السليمة اختلاف في أن الموجودات ترجع الى مبدإ . هل بينها اختلاف في أن مبدأها يجب أن لا يكون قبله شيء . هل بينها اختلاف في أن النفوس مستشرفة دائماً أن تعرف ماهو ذلك المبدأ ؟

(٢) ماهو ذلك الشيء ؟ ههنا الاختلاف اذا لم يترو الناس مع بعضهم واذ ترووا فلا خلاف . نحلل هذا السؤال الى أربعة : (١) ماهي ذاته (٢) ماهي صفاته (٣) ماهي أفعاله (٤) ما هو اسمه ؟ . اما السؤال الأول فجواب كل عاقل فيه لا نعلمها . لا يخالف في ذلك عقلاً ملي ولا فيلسوف على اختلاف فرق المليين والفلاسفة اللهم إلا من لا يتدبرون . واما الثاني فالجواب فيه لا يحد لأنه لم يحس ، ولا يوصف لأنه لم يعرف ، لا يخالف في هذا أيضاً أحد . ومن يصفونه من المليين لا يصفونه بعقلهم بل يتبعون فيه الوحي ويفوضون الأمر في علمه . ومن يصفونه من الفلاسفة فأنما يصفونه بما هو مقتضى وجوده كقولهم : واجب الوجود : بل جعلوا ذلك علماً عليه . وأنت خبير أن هذا ليس وصفاً . وأما الثالث فالجواب فيه ان فعله البدء والتصوير . وهذا لا يخالف فيه أحد أيضاً اللهم الا الجاهلون جهلاً مركباً . ولا يعد خلافهم خلافاً ولا يجدر بعاقل أن يتصدى للرد على من يقول وُجدت الاشياء بنفسها . وقامت منتسقة لحالها .

جهلنا فلم نعلم حقيقة نفسنا   وقلنا بأن الكون قام بنفسه !!!

وامّا الرابع فالجواب فيه بالاتفاق ان هذا يختلف باختلاف اللغات ولا يعرض هذا الاختلاف للتصور تبعاً للاختلاف في اللفظ كما لا تختلف النفوس في معرفة الأبيض لكون الدالّ عليه مختلفاً . ولا أرى العقلاء

الا متفقين على ان اختلاف الاصطلاح كاختلاف اللغة فلا يجب تجافي المليّ عن اصطلاح الفيلسوف ولا تجافي هذا عن اصطلاح ذاك . هذه الكلمة تغنيك عن اكثر ما في علم الكلام الذي ولع أهله بتشعيب الاختلافات التي منشأها اللفظ لا التصور كما سترى في الامثلة الآتية وأنت قس عليها .

(٢) كيف بدأ ذلك الشيء غيره ؟ أيُّ عاقل يتجاسر على ادّعاء معرفة هذا من طريق العقل على وجه اليقين . هل ثمة من يتجاسر على هذه الدعوى . وهل من يتجاسر عليها عاقل ؟ مع صعوبة هذه المسألة لا تجد الناس سكتوا في جوابها . أمّا المليون فحلّها لهم الوحي فقالوا أراد ان يُوجِدَ فأوجد . وقال ناس من الفلاسفة نشأ عنه غيره وجوباً (أو عبارة هذا مآلها) وللفريقين كلام كثير . ولئن سألتَ المليّ هل تعرف ارادته ؟ وهل يمكنك أن تشبهها بأرادتك التي تعرفها ؟ ليكونن جوابه لا ، ولئن سألت الفيلسوف ما الذي أوجب أن ينشأ عنه غيره وهل تعرفه ؟ ليقولنّ لا اعلم أو يخترع اسماً يجوز ان يكون بمعنى الإرادة التي يقول بها المليّ ، فكلاهما بالعجز عن الإدراك مشتركان ، وعلى وجود غيره بتأثيره (المجهول عندهما) متفقان ، على أن المتكلمين صرحوا بان الإرادة القديمة (تلك التي لا يعرفونها) توجب المراد ،

(٣) متى اوجد ذلك الشيء غيره ؟ لم يجب عن هذه المسألة المتفلسفون ولا اللاهوتيون المحمديون . ولكن قال اللاهوتيون (المتكلمون) ان ذلك المُوجِد قديم وفسروه بأنه غير مسبوق بعدم وان الموجودات حادثة أي مسبوقة بعدم ، وقال المتفلسفون هو قديم وهي قديمة ، وللفريقين كلام كثير ، وهذه المسئلة لا خلاف فيها أيضاً ؛ لأنهم متفقون على أنه أوجدها وعلى انهم يجهلون متى أوجدها ، وما كان للمليّ أن يقفو ما ليس له به علم

من العقل ،ولم يسمع فيه كلاماً من الوحي ، فليس في الدين ما يحمله على الخوض في هذه المزال ، وما كان للفيلسوف أن يجزم بشيء لم يقم عليه دليل يقيني ، فهما متفقان على العجز هنا إن تقاربا للحق ، كما اتفقا على العجز عن معرفة كيف أوجدها ،

هذا والمليون (نقليُّوهم وعقليُّوهم) قد يُسألون عن أشياء لا يسأل عنها الفيلسوف الذي لم يتبع ملة . يسأل هؤلاء عن معنى نصوص لا يستطيعون إبقاءها على ظاهرها كالنصوص القائلة ان السموات والارض خلقت في ستة أيام . يقال لهم هل هي أيام مثل التي تعرفونها أم ايام اخرى لا تعرفونها؟ ان قلتم بالاول فالايام هذه انما عرفت بعد خلق السموات والارض . وان كان المقصود مقدار مدتها دل ذلك على ان هنالك مدة وزماناً . وان قلتم بالثاني (وهو الذي نقوله) فقولوا نعرف انه خلقها. ولكن لا نعرف كيف خلقها . ومتى خلقها . ومم خلقها. ونؤمن بقول الله تعالى « ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً او كرهاً قالتا اتينا طائعين » .

(٤) لم اوجد ذلك الشيء غيره ؟ وهذه محارة ايضاً للعقل وينبغي أن يجتمعا هنا ايضاً على العجز عن المعرفة . على أن الملي يقول: الحكمة خفية: فيصح ان يقول الفيلسوف مثله « وما اوتيتم من العلم الا قليلا »

(٥) ما هي صفات ذلك الشيء ؟ قلنا ثمة الجواب مختصر ولكن هذه المسألة جديرة بزيادة البيان لأن الخلاف العظيم فيها بين المليين انفسهم . بين النقليين منهم والعقليين اولا . وبين المعتزلة من العقليين والاشاعرة ثانياً . واحب أن أنفي الخلاف الحقيقي هنا كما نفيته بينهم وبين الفلاسفة في الأمثلة المارة .

قال النقليون ومتبعوهم من المتكلمين ان الله قديم وعلمه قديم وحياته قديمة وسمعه قديم وبصره قديم وكلامه قديم وارادته قديمة وقدرته قديمة وفعله قديم . وقال المعتزلة هذا يوجب تعدد القدماء فالله ذات مستجمعة لصفات فهو عالم مريد قادر حي سميع بصير متكلم . وهو قديم . وصفاته عينه . وقال الأشاعرة هي امور زائدة على ذاته لا هي عينه ولا هي غيره . ولكل كلمات سموها ادلة معروفة في محلها . ونحن نقول اذا تروّوا فلا خلاف . وتوضيحه ان الكل قائلون هو حي عالم مريد قادر سميع بصير متكلم والكل قائلون ان معنى الحي ذو حياة والعالم ذو علم الى آخره . والكل قائلون هو واحد بلا تعدد . فاذا لم يبق الا ان هذه الصفات زائدة او غير زائدة؟ بقي الخلاف لفظيًّا عند المدققين ولا يلزم من القول بها تعدد القدماء كما توهم البعض . ولا من عدم القول بها نفيها كما توهم البعض وليس للحس هنا مبلغ من العلم ، ولا للعقل سند في الحكم ، ولا في الدين قول يحمل على الجزم

اما الخلاف بين النقليين والعقليين فهو في فهم بعض الاشياء التي وصف بها الباري وبعض الأعضاء التي نسبت اليه وهو في الظاهر خلاف مهم جداً . وقد ظهرت آثاره من القول الى الفعل وخلاصته أن كل طائفة من هذين الفريقين تنقسم طائفتين معتدلة وغالية فنحن لا ننكر وجود الخلاف حقيقة بين الغاليتين منهما ولكن الخلاف بين المعتدلتين ترجعه لا الى شيء . توضيحه ان المعتدلين من النقليين قالوا : ورد الوحي بصفات للباري فنحن نقف مع عبارة الوحي وقفة المتأدب الحكيم ونصفه بما وصفه لا ننفي معانيها ولا نعتقد أنها كالمعاني المخصوصة بالمحدثات وهذه هي طريقة

الصحابة ومن تابعهم عليها (قلت وليس على هذه من غبار) ثم المعتدلون من العقليين قالوا : إننا قد علمنا انه ليس كمثله شيء فعلمنا من هذا العلم ان الكلمات الموهمة تشبيهاً لا يصح اعتقاد معانيها كما يعتقد في المعاني المخصوصة بالمحدثات فاستفدنا لها معاني قريبة راعينا فيها قرائن اللغة وقرائن كلام الوحي (قلت وهذه ايضاً ليس عليها من غبار) ولقد لاح من هذا ان لا خلاف بين الفريقين . غاية الامر أن اولئك احجموا عن ادعاء التفسير وهؤلاء اقدموا ولم يأتوا في تفسيرهم منكراً من القول ولا تباعدوا عن القرائن ولا تعدّوا حدود ما ورد من الكلمات . فهذا لا يعد خلافاً .

اما الغالية من النقليين فاعتقدت الكلمات على ظاهرها وربما تعدتها الى غيرها . وأما الغاليه من العقليين فلم تعتقد شيئاً على ظاهره فلاهم منكرون للنصوص ولاهم واقفون معها قط . وهم مختلفون ايضاً . فالبون انما هو بين هذين الفريقين . وقد اشتبه على الناس الذين لم يعرفوا هذا التقسيم فاعتقدوا بالسلف ومعتدلي الخلف مالا يجوز اعتقاده . هذا هو تحقيق الامر في هذه المسألة ونحن من الغاليتين برآء . ومع المعتدلتين سواء .

(٦) ما هي افعال ذلك الشيء ؟

مر الجواب عن هذا آنفاً مختصراً والكلام هنالك مع الفلاسفة من غير المليين وأعدناه ههنا لخلاف في الظاهر بين المليين الفلاسفة ومناظريهم . قال النقليون ومتابعوهم من المتكلمين ان الله تعالى يفعل كل شيء يقع في هذه الدنيا . وقال العقليون إن الله تعالى خلق خواصّ واسباباً واسند اليها الفعل . قلت هذا اصل لمسئلة مهمة . وهي ان الانسان من جملة الأشياء وفعله من جملة الاشياء فعلى رأي الاولين ان الله يفعل الانسان وفعله . وعلى رأي الآخرين ان الانسان يفعله الخاصة التي

خلقها الله . وفعله يفعله هو بالخاصة التي آتاه الله اياها . واقول هل ثمة من لا يعجب من عدم تروّي الفريقين فى هذه المسألة التى كل كلام فيها يرجع الى نقطة واحدة . ألم يأن للذين آمنوا ان يعلموا ان الله خلق الانسان عاقلا متصرفا في هذه الدار بغيره من جماد ونبات وحيوان . ومحاسباً على عمله وتصرفه . ومهاناً او مكرماً بعمله فليقولوا كيفما شاءوا ان يقولوا . افماهم بمؤمنين بأن الانسان محاسب على عمله ومجزي عليه ؟ أراد المعتزلة ان ينفوا الشرور والقبائح عن الباري فقالوا الأنسان هو يفعل فعله . واراد اهل السنة ان لا يثبتوا في الوجود معه فاعلا فقالوا الله هو الذي يفعل كل شيءٔ . إطو المراتب في أعين الاولين ، وابسطها في أعين الآخرين . تجدهم متفقين كاتفاقهم على أن المرء مأخوذ بعمله وهي المرتبة الاخيرة .

وفي هذه المسئلة تولد من البحث غلاة من الفريقين غالية قالوا بالجبر المحض وأفرطوا في تقريره ابتغآء تعطيل الشريعة . وغالية قالوا بالاستقلال المحض وافرطوا في تقريره ابتغاء التوصل لفصل الكون عن المكون في كل الشؤن . ويومئذ لا يتقى ولا يرجى ولا يدعى وفي هذا مصادمة لنصوص الدين واسراره . على ما فيه من الرجم بالغيب واتباع الظن المحض الذي لا يليق بالعقلاء لانه يضرهم ولا ينفعهم

فى هذه الامثلة الستة قد اوضحنا تصديهم للمجادلة فيما لا خلاف فيه وفيما التبس عليهم من الامر ولا اريد أن اتكلم على اختلافهم فى خلود اصحاب الكبائر وعدم خلودهم . بل ولا في اختلافهم في خلود الكفار وعدم خلودهم . واكتفى في هذا المحل بكلمة خرجت من بيت النبوة قالها احد ائمة اهل البيت وهى « ان الله اراد منّا اموراً . واراد بنا اشياء .

فحجب عنا ما اراده بنا . وبين لنا ما اراده منا . فالاجدر بنا أن نشتغل ونتعاون فيما اراده منا . ولا نتجادل ونتخاذل فيما حجبه عنا مما أراده بناء . »

هذا والكلمة الثالثة من اللاتي أردنا ان نقولهن اوجهها لناس من أهل عصري لا يزالون يحرصون على دراسة الكتب المدونة في علم الكلام ويجتهدون فى حلها وتفسيرها . ولا يسمحون لأنفسهم ان ينظروا في غيرها من كتب الفلسفة العصرية . ولا ان يتعدوا حدود ما كتب لهم الاولون من اصطلاحات وتعريفات . وما قرروا لهم وكتبوا عليهم من مذهب واعتقاد . أقول لهؤلاء : (١) ان تلك الكتب كتبت على أسلوب الفلسفة القديمة . والآن قد تغيرت الرسوم ، ودرست الرقوم ، وحدثت بعد تلك العلوم علوم ، فاقرأوا ما تيسر فما وجدتموه موافقاً للدين وهو الاكثر فاحمدوا الله على هذا التوافق ، وما وجدتموه مبايناً فاسعوا في معرفة أسباب التباين . (٢) علم الكلام فائدته على ما قالوا الترقي من حضيض التقليد الى ذروة الإيقان وأنتم في هذه الكتب تلتزمون مذهب رجل معين وتحفظون حدوداً وتعاريف ما أنزل الله بها من سلطان . ولا شهد لجملتها العقل بتبيان . فالذي تزعمون الخلاص منه هو الذي أنتم فيه . (٣) ان الشبه التي تقرأونها في كتبكم هذه قد تسمعون خلافها فينبغي ان تكونوا مستعدين للاحتجاج على كل شبهة كما هو مطلوبكم من هذه الكتب وهي لا تفي بمطلوبكم هذا

والكلمة الرابعة أوجهها لناس آخرين من أهل عصري دأبهم الاستهداء بالذين ماتوا . أقول لهؤلاء (١) ان الذين ماتوا لم تختبروهم . ولم تعلموا السبب في كثير من مقالاتهم (٢) ان الناس قد يحدثون مقالات بحسب زمانهم ومكانهم وغرض نفسهم او حاكمهم (٣) ان الحي شخصه

محسوس . وحاله محدود . يقـدر المرء ان يعرف الحكمة في مقالاته والناس منهـم مخلصون لاحكمة فى مقالهم ولا سر ولا غرض الا قول الحق وبذل النصح ومنهم ضد ذلك (٤) ان أخذ الادلة عن الاحياء المخلصين والاستهداء بهم في دفع الشبه أولى من الاستهداء بالذين لانعلم من أمرهم شيئاً . واعنى بهذا ان يعالج العصريون أنفسهم من بعض الجمود

والكلمة الخامسة أوجهها لناس آخرين من أهل عصري قد قرأوا شيئا من الفلسفة وما قرأوا شيئا من الدين فإماهم حيارى في الامر وإماهم مارقون من الملة . أقول لهؤلاء ان طريقـة الدين حنيفة سمحة . أركان اعتقاده معرفة ان لهذه الموجودات موجداً هو « الله » . وانه لايشـبه شيئا من الموجودات . وانه متصرف فيها مدبر لها . وان الانسان الذي ميزه في عوالم الارض بالعقل مسئول عنده عن عقله وعما عمل بعقله . وان محمداً (صلى الله عليه وسلم) النـبي العربي أرسله ليتمم مكارم الاخلاق . ويرشد الناس على الاطلاق . وأركان عباداته ذكر الله تعالى بصلوات خمس في اليوم لتخف الغفلة المهلكة . وصوم شهر في السنة لتغلب النهمة المتعبة . وحج في العمر الى حيث يتلاقى الاخوان في البيت الحرام والمشاعر المعلومة لتأكد الوحدة الملية وتزداد الالفـة . وإيتاء الزكاة في الحول للفقراء والضعفاء لتجبر الحاجـة المضطرة . وبناء أحكامه على العـدل في الحقوق ، وبناء آدابه على الاحسان للمخلوق ،

هذه جملة الدين ولا والله لاتند فروعه عن قيود هذه الجملة فيجدر بكم أيها الاذكياء ان تتعرفوا بالدين وأسراره لتجمعوا بين فائدة الفلسفة التي تنور عقولكم ، وبين فائدة الدين التي تزكي نفوسكم . وان سألتموني ماالدليل

على صحة الوحي الذي هو أساس الأديان . وما الدليل على صحة دعوى النبي العربي (صلى الله عليه وسلم) فأقول اني لست بأعلم منكم فتفكروا يظهر لكم سر هذا الامر العظيم على انني لاأضن عليكم بمباني مما عرفت

طريقة في أثبات الوحي

اني تفكرت أولا (والانسان خلق متفكراً) في : ماهو العقل الانساني الذي ميزه على الحيوانات المدركة بحواسها فقط بل ماهو الادراك ؟ فلم أستطع علم هذا . سألت أعالم الناس الذين اجتمعت بهم من عرب وترك وفرس وهنود وافرنج فلم اهتد لعلم هذا

رجعت الى آثار الموتى قلبت في الكتب أوراقاً تعد بالآلاف فلم ألف المطلوب . فسكنت اعياء عن طلبه سكوناً حالياً . واكتفيت بمعرفة انه قوة عظيمة قد رفعت الانسان الى طبقات الكواكب وهو لم يتحرك لجهتها فأرته بغير عينه بدائع صنعها ، واتقان نظامها ، وصورة دورانها ، وشكل تقابلها بعضها مع بعض . وهبطت به الى طبقات هذا الكوكب الذي هو فيه (الارض) فأرته بعينه وبغير عينه بدائع كونها ، وخزائن أسرارها ، وانتظام سيرتها ، وبصرته انه (أي الانسان) هو سلطان عوالمها ، تنقاد كلها لتصرفه ، وتصبر تحت أمره ، فهو المنفرد في الارض بحياة جامعة للعلم (بالشاهد والغائب) والقدرة (على التصوير والتشكيل) والارادة (لما يلزم البـدن وما يلزم العقل) والكلام (الذي يبلغ به ارادته للحاضر معه بواسطة الآلة البدنية الطبيعية ، وللغائب عنه بواسطة الآلات الجمادية الصناعية ، منها هذه الكتابة التي تبلغنا كلام من قبلنا من أهل الادوار ، وتبلغ كلامنا للنائي عنا بالدار ، والآتي بعدنا في الاجيال ، ومنها

هذا التلغراف الذي يسمع به المشرقي مايريد المغربي في لحظة من الزمان) والسمع (الذى نفهم به إرادة غيرنا .) والبصر (الذي يطبع فى فكره صور الاشياء) فبمجموع مزايا هذه الحياة كان له السلطة والتصرف في عوالم هذه الارض تصرفاً تابعاً لنواميس هي فوق ارادته . وفوق سمعه وبصره. وفوق علمه وقدرته . وفوق أمره ونهيه

هذا القدر عرفت بادئ بدء من آثار تلك القوة العظيمة التى هي العقل وبهذا القدر تم لى معرفة ان هذه القوة هي أكمل وأعظم قوة فى العوالم الارضية . وان تلك النواميس التى هي فوقها وحاكمة عليها يجب ان تكون من عالم آخر

ما هو ذلك العالم ؟ هذه نقطة ثانية عرج اليها فكري وفى هذه الدرجة وقف عقلي زماناً كثيراً يلتمس الدليل في معراجه هذا ثم اتاه الدليل من نفسه . فقال ان ذلك العالم هو العالم المحجوب عن حسنا المعروف المألوف عند تصورنا . هو عالم الحقائق والقوى والطبائع التي نعرفها بآثارها ونجهل كنهها وذواتها. هو عالم الغيب وهو بحر عظيم لاساحل له والذي ظهر لنا منه نقط قليلة بعد ظهور امثلتها في عالم الشهادة . قال بعض الاذكياء « كنا لا ندرك السر في قيام هذه الكرة في الفضاء ثم علمنا من امثلة ظهرت للحس ان هنالك قوة تمسكها ، لا نرى تلك القوة بأبصارنا ، ولا نسمعها بآذاننا ، ولا نحسها بأيدينا ، ولا نشمها بانوفنا ، ولا نذوقها بفمنا ، ولم تبلغها عقول الاكثرين منا من المتقدمين والمتأخرين ، واليوم ادركها بعض اقطاب العلم الباحثين فى اسرار الوجود وقرب ادراكها لعقولنا فصرنا نقول بها . ونلهج بالاسم الذي وضع لها (الجاذبية) وكذلك كنا لا

ندرك السر فى حركتها ثم ظهر . وكنا لانعلم كيف تكونت ومتى تحركت ويدعى البعض اليوم انهم يعلمون ذلك . وكذلك كنا لا ندرك طبائع الأجسام البسيطة والناس اليوم انما يعرفونها بآثارها وبخواصها فى البساطة وبعد التركب - كل ذلك يرشدنا الى ان عالم الغيب (اي الأسرار التى حجبت عنا) واسع . وقلة ما انكشف لاترشدنا الى انحصاره فيها واحاطتنا بمجموعها بل ترشدنا الى ان ما جهلناه كثير بالنسبة الى ما عرفناه وتأمرنا ان نقف عن تعيين طرف لهذا الميدان لذي خوات البصيرة ان تجول فيه وحرم البصر



قلت في فكري ان الانسان محكوم في خلقته لنواميس تُحدِث خواطره وخواطرُه متضادة متنازعة كمال التضاد والتنازع . فإما ان هنالك قوتين متضادتين (من جنس القوة التي هي العقل) مسلطتين عليه وتصرفه تابع لنفوذهما على النسبة . وإما ان الأثرين المتضادين منفعلان عن المزاج الإنساني المركب من متضادات . وعلى الرأي الأول فالقوتان إما لهما وجود خارج الجسد . أو لا وجود لهما الا في الجسد . وان وجدا خارج الجسد فالمادة التى تقومان بها اما بسيطة واما مركبة . هذه أسئلة تخطر في بال الذين يريدون ان يتوصلوا للحقائق من طريق كونيتها لا من طريق اسميتها . والعقل السليم يعلم ان هذه الاحتمالات كلها جائزة . والقول بكل واحد ينفع في الدلالة على ان النواميس التى لها نفوذ على الإنسان هي أمور وجودية لها العلاقة العظمى في تفاوت أفراد النوع العاقل هذا التفاوت العظيم الذي يرينا رجلا يُعلّم أفضل شرع وأكمل آداب . ورجلا يكتشف لنا سر البخار والكهرباء وما يفعلان من سحر الالباب بروائع آثارهما وبدائعهما . ورجلا يستحوذ على قلوب الألوف المؤلفة ببيان يبديه

ويستنزل النفوس عن محبة الحياة فيقذفها بين القواصف والقواذف . ورجالاً كثيرين لايعرفون من الامر الا حيوانية ومَوَتاناً .

ولنا ان نقول ان النسبة بين الانسان وبين من هو دونه محفوظة بواسطة قريبة منه ومن التى هى دونها (كالنبات مثلا هو قريب من الحيوان لنموه مثله ومن الجماد لعدم تحركه بالارادة مثله) ونعلم قطعا ان الانسان على عظمته في الارض غير كامل . أما من حيث الصورة فلفنائها وأما من حيث الخاصة فلتردده في تحصيل مايعتبره سعادة (ولذلك يعيش الانسان في هذه الدار شقياً على كل حال اما بالآلام والأتعاب الجسدية واما بالآلام والأتعاب الفكرية واما بهما معاً) فيجب ان تكون النسبة المحفوظة بالتسلسل مع من دونه محفوظه أيضاً مع من فوقه . وليس في عالم الحس فوقه شيء

ففى عالم الغيب خلقان متضادان (تضاد المليح والقبيح) لهما علاقة بالانسان كعلاقة الانسان بمن دونه . وعلاقة الانسان بمن دونه هى احتياجه اليها لتكميل خاصته واحتياجها اليه لظهور خواصها فعلاقة هذين هكذا : يحتاجان اليه (بسنة الله في الخلق) لتكميل خواصّهما ويحتاج اليهما لظهور خاصته . هذا القدر يكفيني ويكفيك ولا تسلني عن اسميهما وكنهيهما فأني اكره جداً ان يختلف العقلاء بسبب الأسماء وأحب ان يتقاربوا من صوب المعاني ويعتبروا الدلالات عرضاً تابعاً ويتساهلوا مع بعضهم في الاصطلاحات كيلا تكون سبب اختلافهم

أما خاصة الانسان التى يطلب تكميلها مادام حياً فهى التصرف بعوالم هذه الارض . فأما الذين تغلب فيهم قوة محبة الخير فيلهمون تصفية العقل

الغريزي (القابل للصفاء والكدورة) فتظهر في مرائي أفكارهم صور المعقولات . وتشرق عليهم من عالم الغيب أسرار ومعارف يحسن بها تصرفهم وتحمد آثارهم ويبقى ذكرهم حيا اذا اضمحلت صورهم يوما من الايام

واما الذين تغلب فيهم القوة الاخرى المضادة فتكدر عقولهم وتتشوش بكثرة الوسواس والتردد ويكثر شقاؤهم في طلب المشتهيات المادية ولن تنتهي وحرمانها اكثر من حصولها والم التزاحم عليها والتذابح لا توازيه ولا تسكنه لذتها . فبسوء تصرفهم تذم عقباهم ويموت ذكرهم كما يموت ذكر الانعام التي تحيي زماناً ثم تهلك .

ولما كان الانسان على هذه الصورة من التضاد المحسوس الذي يبتدئ في النفس على وجه التردد ثم يتفرج وتتمادى به الخطوط المتباينة وكان بحكم هذا التضاد منقسما الى ابرارهم أقل وأشرارهم اكثر لم يستغن عن قانون عام عادل وآداب جميلة مهذبة للنفوس ومعينة للقانون وعند قراءتنا في ماضي الانسان نجد ان الله جبر نقصه هذا فاصطفى من البشر ناساً هداهم ، اوحى اليهم ، علمهم شرائع وآداباً كما اقتضته حاجة الناس . وما وجدنا قط امة مرتقية ليست على اساس واحد من اسس الدين الذي جاء به المصطفون .

وهذا التضاد كما هو دليل (اول) على ماذكرناه هو دليل (ثان) على أن الباري تعالى هو المدبر للموجودات . لان تصرف الانسان الذي نوهنا به تصرف ناقص كما هو محسوس ، وتصرف احدى القوتين ناقص ايضاً كما هو معقول ، ولا بد لنا من تصرف اكمل لانه ظهر لنا شيء شاهد ان هنالك فوقه ما هو اكمل فالتصرف الأكمل هو لاكمل شيء فيجب ان يكون

هو الباري تعالى رب العالمين . فكان الله تعالى خلق الانسان خلقاً خاصاً مدركا ليعرفه بنفسه وخلق فيه امثلة من الكمال ليعلم كمال الله ويعرف ان يمجده – وهو الغني – بعبارات يستعيرها . واوصاف يستعين بها مما عرف من الكمال المتجلي بنفسه المصنوعة على أبدع مثال في المحسوس، وأقرب منال في المعقول ، ثم ليدل بنقصه على كماله لم يجعله جازماً مستقلا في ارادته ولا دائماً مستمرًا في حياته ، ولا متحدا منتظماً في كلامه ، ولا مجيداً في كل تصرفه ، ولا كاشفاً لكل شيء في علمه ، بل لم يجعل افراده وهم واحد في النوع على نسق واحد في الإرادة والحياة والكلام والقدرة والعلم . فكانه اراد ان يبين بهذا التفاوت في الأحوال والدرجات ناقصامنهم وانقص وكاملا واكمل لتجلي برهانه ان له السلطان والملك وبيده الامر كله والحكم

وهو دليل (ثالث) على ان الشرائع والاداب التى جاء بها المصطفون انما هي بوحي منه لانها معرِّفة به باديء بدءٍ نصاً على وفق ما تعرِّفُ به خلقة الانسان حالا واشارة وهذا اكمل تعريف وهيهات ان يستقل به عقل الانسان الناقص المتردد والتعريف الحق به هو اول ركن من اركان الشرائع التى يراد بها زجر النفوس

و « محمد » ذلك الرسول العربي (عليه الصلاة والسلام) قد لبث في الأميين زمناً طويلا من عمره . ثم ظهر عليهم وهو الأمي بمعارف من عالم الغيب يملأ شرحها على اسلوب الفلسفة دفاتر ، وأتى من القواعد العامة التي تصلح شرعا لكل زمان ومكان بما يملأ التفريع عليه أسفاراً ، ومن الآداب الجميلة بكلمات يسيرة ، بما يعجز أساطين علم الأخلاق عن ترتيب مثلها بدواوين ، قام بالامر وحيداً . وصدع بالهدي على رؤوس

الملأ فقوبل بالرد والدعّ . فصبرت نفسه ولم تجزع ، وكبرت همته ولم تصغر ، واشتد عزمه ولم يضعف ، وما زال يخطب ويدعو ، ويؤنب طوراً ويترفق مرة ، حتى انتصر وأمرَ أمرُه . وتهذب على يديه جماعة منهم يقوون ان يتسلطوا بسلطاني العدل والاحسان على الأرواح والاشباح وما زال اسمه يسمو ، ودينه ينمو ، حتى طاف المشارق والمغارب ، واستقر في نفوس الاعاجم والأعارب ، فما في دينه من الأدب الرافع ، والنظام النافع ، وما في قومه الذين رباهم وأرشدهم من علو الهمة ، ومضاء العزيمة ، وما في انتشار دعوته في حياته وبعد مماته هذا الانتشار العجيب ، وما في سيرته الخصوصية من الكمال الانساني البديع ، وما في بقاء قرآنه على الحفظ من التبديل ، وما في وعوده التى وعد بها المؤمنين (كتمكنهم في الارض وصيرورتهم خلفاء في الارض) من الصحة ، كل هذه تكفى من سلمت فطرته ، وصحت فطنته ، ان يعلم صحة دعواه ، وفضيلة هداه ، ولا ينكر هذا الا مقلد أو معاند . اللهم صلى وسلم عليه ماشكرك الشاكرون ، وذكره الذاكرون

— اليوم الآخر —

بين الفلاسفة والمتكلمين اختلافات كثيرة في امكان الحشر وعدمه وفي وقوعه وعدمه . وفي لزومه وعدمه . وفي كيفيته . ونحن نختم هذه الرسالة بهذه الكلمة :

العقل حين يرى ان الانسان لم يبلغ في هذه الحياة غايته من سبيل الارتقاء . لا من حيث الصورة لأنه يموت . ولا من حيث الحال لأنه في شقاء الطلب والهرب . وفي شقاء التردد بين الحصول والحرمان

والتوفيق والخذلان ، ولا من حيث العقل لانه محجوب عن عالم الغيب، يجنح الى انه لابد من يوم آخر ليبلغ فيه الانسان غايته من حيث عدم الفناء، ومن حيث عدم الحجاب، ومن حيث التخلص من الاضداد، فينقسم فيه الناس الى صنفين متباينين قسم في جنة نعيم البال وسعادة الرضاء بما كسبوه في حسن تصرفهم ونعم المصير . وقسم في سعير شقاء الحال وشقاء الندم على ما اجترحوه بسوء تصرفهم وبئس المصير .

لتبين هذا أوجهِّ حسك وعقلك الى انتهاء الاجسام المركبة الفانية الى اجسام بسيطة باقية سواء رجعتَ بها الى المبدإ او ذهبت بها الى المصير بتصيير ما . فهذا يرشدك الى امكان ان يرجع الشيء الباقي لاصله مهما امتزج بغيره . والروحيون من الفلاسفة لا يقولون بفناء الروح كما لا يقول الماديون منهم بفناء البسائط . فالروحيُّ ان يلزمه ان لا يستبعد رجوع هذه الروح يوماً من الايام كما جاءت اولا للماهية التي عرفت بها لتبلغ تلك الماهية بهذه الروح في ذلك اليوم غايتها التي اعدت لها . والمادي يلزمه ان لا يستبعد امتزاج تلك البسائط امتزاجا تاماً في يوم آخر كالامتزاج الاول الذي حصلت منه ماهية حي من الاحياء ليبلغ هذا الحي بهذا الامتزاج الثاني (الذي يحصل على كيفية ثانية) في هذا اليوم الآخر غايته التي اعدت له . وعارٌ على من يعلم ان الماس (هذا الجوهر الكريم عندنا) قد استخلص من جنسه الفحم حتى صار كما يرى ان يستبعد ان يُستَخلَصَ الانسان (هذا المخلوق المدرك الكريم عند فاطره تعالى) من جنسه الحيوان . وفريق منه من نوعه الانسان بأعظم من هذا المثال . اما اذا لم نقل باليوم الآخر فأين تميز الانسان على الحيون اذا ماتا ميتة واحدة واين تميز

الابرار على الاشرار اذا كان الامر مقصوراً على هذه الحياة .

اقول قولي هذا واستغفر الله وانيب اليه واسأله لي ولكم الهداية والتوفيق الى سبل السلام. اه في رمضان سنة ١٣٢٠ (ع . ز)

باب شبهات المسيحيين . وحجج المسلمين

« يُحرِّفُونَ الكَلِمَ عن مواضعه ويقولونَ سَمِعنَا وَعَصَينا واسمَعْ غيرَ مُسمَعٍ وراعِنا ليًّا بألسنتِهم وطَعنًا في الدين . ولو أنهم قالوا سمِعنَا وأطعنَا واسمَعْ وانظُرنَا لكان خيرًا لهم وأقوَم ... »

قد علم قراء المنار أننا لم نفتح هذا الباب للطعن في دين النصارى أو غيره ابتداءً وانما فتحناه لردّ شبهاتهم التي ربما تشكك الجاهل بالاسلام في الدين مطلقاً فتفسد أخلاقه ويكون مصيبة على نفسه وعلى الناس . ولا غرض لطعن الطاعنين بالاسلام الا هذا التشكيك الذي يحل الرابطة الاسلامية ويضعف المسلمين لانه يخرجهم عن كونهم أمة فيكونون أفراداً مقطّعين ، لا جنسية لهم ولا دين ، ولو أنهم كانوا يطمعون في تنصيرهم لكان لهم عندنا بعض العذر . ولكن التجربة أفادت التاريخ ان الملايين من النصارى صاروا مسلمين ولا يوجد بازاء كل مليون من هؤلاء واحد من المسلمين تنصر الا ما كان من أفراد ليس لهم من الإسلام الا وراثة الاسم عن آبائهم الأولين .

قيل للسيد جمال الدين الأفغاني الحكيم الشهير (رحمه الله تعالى): ما سبب الدعوة الى مذهب الدهريين في الهند وعدم الاقتصار على الدعوة

الى النصرانية ؛ فقال إن المسلم يستحيل ان يكون نصرانياً لأن الاسلام نصرانيـة وزيادة فهو يأمر بالاعتقاد بنبوة عيسى وحقية دعوته ويرفض الخرافات والبدع التي زادتها الجمعيات النصرانية في دينه . فلما جرب الذين يبتغون حل الرابطة الاسلامية الدعوة الى النصرانية فلم تنجح عمدوا الى تشكيكهم في أصل الدين المطلق بالدعوة الى الدهرية ،

وكذلك لما رأي مثل صاحب الجامعة أن تشكيك المبشرين بالنصرانية لم ينجح في المسلمين من الطريق الديني انبرى لتشكيكهم من الطريق العلمي وبذل جهده لإقناعهم (١) بأن دينهم كغيره عدوّ للعقل وللعلم و(٢) أن أئمتهم في العقائد (المتكلمين) ينكرون الاسباب و(٣) أن جمع السلطة الدينية والسلطة السياسية المدنيـة في خليفة الاسـلام ضارٌ بالمسلمين وموجب لتأخرهم . ومن رأي صاحب الجامعـة أن المسلمين اذا أرادوا الترقي والنجاح فلا بد لهم من سماع نصيحته وهي (١) أن يضعوا دينهم في جانب من العقل والعلم لانهما قاضيان بهدمه كقضائهما بهدم النصرانية فاذا حاولوا الجمع بين الدين والعلم كما ينصح لهم بعض أئمتهم بما ينشر في المنار وغيره فانما يحاولون محالا بل انما يهدمون دينهم فيخرجون بلا علم ولا دين . و(٢) أن يعتقدوا أن سنة الله تعالى في الاسباب والمسببات مطردة في الواقع خلافاً لما يحكم به الدين وعلماء الكلام فاذا صدقوا بالواقع فعليهم أن يكذبوا أئمتهم والعكس بالعكس . و(٣) أن يجعلوا خليفتهم حاكماً مدنياً يخترع الشرائع والاحكام ويتركوا ما شرعه الله لما شرعه السلطان ويجعلوا الدين خاصاً بالعبادة لله تعالى . أي أنه يجب على المسلمين في رأي صاحب الجامعة أن يتركوا نصف دينهم وهو أحكام المعاملات الدنيوية ويجعلوا

النصف الثاني لمن يريد أن يترك العقل والعلم والاسباب لاجل العبادة .

هذا ملخص نصح صاحب مجلة الجامعة للمسلمين ولاجل أن يجعله مقبولا اورد لهم كلمات عن بعض أئمتهم حرفها عن معناها ليخدع البسطاء بها وإننا نشرح هذه المسائل ونبين الحق فيها ليكون حجة على هؤلاء المعتدين الذين « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون »

﴿ الأسباب أو سنن الله تعالى في الخلق ﴾

وإثبات الامام الغزالي لها .

ذكر صاحب الجامعة في كتاب لفّقه أننا أوردنا قوله تعالى « ولن تجد لسنة الله تبديلا » لإثبات أن النواميس الطبيعية لا تتغير ولا تتبدل ثم قال : « مع انه لو قام حجة الاسلام الامام الغزالي من قبره وسمع هذا القول لكسر قلم صاحب تلك المجلة وضحك من بساطته وعدم أطلاعه على الشؤن التي يبحث فيها لأنه استشهد بتلك الاية للغرض الذي ذكره مع أنها لم ترد في القرآن لهذا الامر بوجه الاطلاق »

يقول هذا صاحب الجامعة تمهيداً لخلابة المسلمين بأن ما يحكم هو فيه من الحكم بتفسير كتاب الله برأيه الأفين مقتبس من الامام الغزالي الذي حرف قوله عن موضعه ولم يفهم مراده منه .

اذا كان الغزالي يضحك من (بساطة) من أخذ معظم علمه في الدين من كتابه إحياء العلوم اعتقاداً وعملا ودرسه من أول نشأته المرة بعد المرة كما درس كل ما اطلع عليه من كتبه بامعان وإخلاص — فهل يضحك او يبكي من (تركيب) جاحد معاند يلتمس من كلامه كلمة يحرفها عن موضعها

ليغش المسلمين بشيء يخالف دينهم محتجاً بكلام امام من ائمتهم ولا موضع للاحتجاج ؟ نترك مثل هذا ونسرد مذهب الغزالي في الاسباب وسنن الله تعالى ونبين الحق في المسألة التي اشتبه فهمها على كثير من الناس حتى صار التشكيك فيها متيسرا لمثل صاحب الجامعة مع عوام المسلمين الذين لا يزال فيهم من يقرأ ما يكتبه ذهابا مع سماحة الاسلام

مذهب الغزالي : قال حجة الاسلام في الفصل الثالث من كتاب التوكل مانصه : « الاسباب التي يجلب بها النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومظنون ظناً يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه . (الدرجة الاولى) المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لايختلف كما ان الطعام اذا كان موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول : أنا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق أعالي الحنك على أسافله: فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء . فانك اذا انتظرت ان يخلق الله تعالى فيك شبعا دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه لك ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى . وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت في ان يخلق الله نباتا من غير بذر أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل هذا جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه » اه بحروفه

وبعد ان قرر ان هذه الدرجة لا يأتي فيها التوكل بترك العمل تكلم عن الدرجة الثانية وهي ما كان السبب فيها مظنونا وبيّن ان التوكل لا يأتي

فيها أيضاً قال مانصه : « فاذاً التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الاسباب لا يناقض التوكل »

هذا التفصيل في جلب المنافع وقد أورد مثله في منعها وفي دفع المضرات التي أسبابها قطعية أو ظنية وبين ان التوكل انما يكون في ترك الاشياء الوهمية كالرقية والطيرة والكيّ التي ورد بها الحديث . ومما صرح فيه بذكر السنة الالهية هنا قوله : « وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقضي التوكل باغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير لان هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى إما قطعاً وإما ظناً » ثم أورد الشواهد من الكتاب والسنة وهي مشهورة .

وقال في الكلام على التداوي وهو من منع المضارّ هذه الكلمة الجليلة « ليس من التوكل الخروج عن سنة الله أصلاً » . وقال أيضاً في تداوي النبي صلى الله عليه وسلم « وإنما لم يترك الدواء جرياً على سنة الله تعالى وترخيصاً لأمته فيما تمس اليه حاجاتهم »

وأظهر من هذا قوله بعد شرح طويل للاسباب : « فبهذا تبين أن مسبب الاسباب أجرى سنته بربط المسببات بالاسباب إظهاراً للحكمة والادوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب فكما ان الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش فالسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا يفارقه الا في أحد أمرين أحدهما أن معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جليّ واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن أدرك ذلك بالتجربة التحق في حقه

بالأول . والثاني ان الدواء يسهل والسكنجبين يسكن الصفراء بشروط أخر في الباطن وأسباب من المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الإسهال . وأما زوال العطش فلا يستدعي سوى الماء شروطاً كثيرة وقد يتفق في العوارض مايوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر . واختلال الاسباب أبداً ينحصر في هذين الشيئين والا فالسبب يتلو السبب لا محالة مهما تمت شروط السبب » اهـ بحروفه

فاي نص في التلازم بين الأسباب والمسببات أقوى من هذه الجملة الاخيرة ؟ فهذا هو الامام الغزالي الذي يوهم المسلمين صاحب الجامعة بأنه ينكر الاسباب وينكران معنى سنة الله التي لاتتبدل ولا تتحول الاسباب وارتباطها بالمسببات . فهل بعد هذا يوثق بقول صاحب الجامعة أو بحسن قصده ؟ وهل يجوز لغير العالم الراسخ ان ينظر في قول هذا المشكك الذي يريد ان يفسد على عوامّ المسلمين عقائدهم ؟؟

(التوفيق بين هذا وبين ماقاله في تهافت الفلاسفة)

مسألة الاسباب التى شرحها الامام الغزالي في كتاب التوحيد والتوكل هي مايعتقده المسلمون وانما كتبها للمسلمين لانه يبين في هذا الكتاب مقام التوكل الذي هو أعلى مقامات الايمان . وله كلام آخر في هذه مسألة مع الفلاسفة لا مع المسلمين . وكلامه هناك يجب ان يكون بلسان يخالف هذا اللسان ولكن لايناقضه ذلك انه هنا يشرح الواقع الذى يدل عليه الوجود وينطق بموافقته الشرع وهناك يتكلم على العلل والتأثيرات الحقيقية في الايجاد والاعدام وما قاله في الموضعين

هو الحق الذي لا محيد عنه كما نبينه

ولا بد قبل الخوض في القسم الثاني من كلمة تمهيدية في الموضوع وهي ان المغرورين بالظواهر من الفلاسفة المتقدمين كانوا ينزلون الاسباب العادية الظاهرة منزلة العلل العقلية القاطعة وينسبون اليها التأثير ويزعمون أنها مطردة اطراداً ضرورياً يستحيل انفكاكه . ولو نهضت لهم الحجة البالغة على ذلك لما خالفهم المسلمون لان القاعدة المتفق عليها عند المتكلمين هي ان قدرة الله تعالى وارادته لا تتعلقان بالمستحيل وإنما تتعلقان بالممكن فقط . ولكن لا حجة لهم على ذلك وإنما هي شبهات كشف الحجاب عنها الغزالي وغيره . وتلك الاسباب التي مر القول في اطرادها ممكنة فهي مطردة بفعل الله تعالى

ولو سلم الناس بقول اولئك الفلاسفة لوقفت حركة العلم عند تلك الظواهر التى كانوا يرون تغييرها محالا عقليا وإنما المحال العقلي شيء واحد وهو اجتماع النقيضين او الضدين المساويين للنقيضين او ارتفاعهما . ولوان هذه الغرائب التى كشفها العلم في عصرنا ذكرت لاولئك الفلاسفة القاصرين لجزموا باستحالتها واوردوا على ذلك من الشبهات النظرية مثلما أوردوه على القول ببعث الاجساد . وأمثلة بعث الاجساد ظاهرة اليوم لعلماء الكيمياء ظهوراً تاماً

قال الامام الغزالي في كتاب تهافت الفلاسفة ما نصه : « هذا ما اردنا ان نذكره في العلم الملقب عندهم بالالهي اما الملقب بالطبيعيات فهي علوم كثيرة نذكر أنواعها لتعرف ان الشرع ليس يقتضي المنازعة فيها ولا انكارها الا في مواضع » . وانبه القاريء الى عطفه الانكار على المنازعة لتغايرهما فالانكار هو القول ببطلان الشيء مرة واحدة والمنازعة هي

المباحثة في دليله ليظهر الصواب مأخوذة من منازعة الثوب بين اثنين . ثم قال الامام بعد سرد انواع العلوم الطبيعية المعروفة الى ذلك العهد « وانما نخالفهم من جملة هذه العلوم في اربع مسائل (الاولى) حكمهم بان هذا الاقتران المشاهد في الوجود بين الاسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة فليس في المقدور ولا في الامكان إيجاد السبب دون المسبب ولا وجود المسبب دون المسبب وأثر هذا الخلاف يظهر في جميع الطبيعيات » الى ان قال ما نصه « وإنما يلزم النزاع في الأولى من حيث أنه ينتفي عليها اثبات المعجزات الخارقة للعادة من قلب العصا ثعبانا وإحياء الموتى وشق القمر . ومن جعل مجاري العادات لازمة لزوماً ضرورياً أحال جميع ذلك . واولوا مافي القرآن من إحياء الموتى وقالوا اراد به إزالة موت الجهل بحياة العلم واوّلوا تلقف العصا لسحر السحرة بابطال الحجة الإلهية الظاهرة على يد موسى شبهات المنكرين . وامّا شق القمر فربما أنكروا وجوده وزعموا أنه لم يتواتر » اهـ بنصه

ولينظر طلاب الحقيقة الى تحريف صاحب الجامعة النصرانية قول الامام كيف كان . الامام قال « وإنما يلزم النزاع في الاولى من حيث أنه ينتفي عليها اثبات المعجزات » ومعناه ان محل النزاع في المسئلة الاولى هو إنتفاء إثبات المعجزات بجعلها من المحالات العقلية التي لا يمكن وجودها ولا تتعلق قدرة الله بها . وصاحب الجامعة يقول عن لسان هذا الامام ما نصه : ثم قال وانما يجب علينا إنكار هذا القول لانه ينتفي به اثبات المعجزات » فجعل (الانكار) محل (النزاع) وزاد عليه جعله واجبا . وقد بينا الفرق بين للانكار والنزاع آنفا . فاذا كان نقل صاحب الجامعة عن رنان وعن غيره على هذا النحو من الفهم والامانة

فاننا نهنئ من يقرأ ما يكتبه بأن علمه عين الجهالة ، وهدايته نفس الضلالة ثم قال الامام الغزالي في بيان الحق في المسئلة من طريق العلم المؤيد لما يعتقده المسلمون ما نصه : « الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولاذاك هذا ولا إثبات احدهما متضمن لاثبات الآخر ولا نفيه متضمن لنفي الآخر فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر مثل الري والشرب . والشبع والاكل . والاحتراق ولقاء النار . والنور وطلوع الشمس . والموت وجز الرقبة . والشفاء وشرب الدواء . واسهال البطن واستعمال المسهل . وهلمجرا الى كل المشاهدات من المقترنات في الطب والنجوم والصناعات والحرف . وان اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه لخلقها على التساوق لا لكونه ضروريا في نفسه غير قابل للفرق بل في المقدور خلق الشبع دون الأكل وخلق الموت دون جز الرقبة وادامة الحياة مع جز الرقبة وهلمجرا الى جميع المقترنات وانكر الفلاسفة امكانه وادّعوا استحالته ثم ضرب لذلك مثالا واضحا لا حاجة لذكره

وما ذكره الامام الغزالي هنا هو ما عليه فلاسفة هذا العصر فانهم لا يقولون بأن شيئاً من هذه المقترنات في العادة المعروفة بالاسباب والمسببات هو ضروري واجب عقلا وانفكاكه محال لا يتصوره العقل بل كل هذه الاشياء عندهم ممكنة . وانفكاك التلازم وقع كثيراً ويسمون مالا يعرفون له منه علة « فلتات الطبيعة » وبعض الانفكاك كان بما اكتشفه العلم من اسرار الكون ويتوقعون بهذه الاكتشافات مالم يقع كإحياء الموتى ولو كان في نظرهم محالا لما توقعوه . ولكن صاحب الجامعة

لا يميز بين الضروري والممكن فيخلط المسائل بعضها ببعض . وقد صرح الغزالي فيما تقدّم آنفا بان المتلازمين في العقل تلازماً يثبت بأحدهما بثبوت الآخر وينتفي بانتفائه هما اللذان يستحيل انفكاك تلازمهما الا ان قدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيل

(الوفاق بين قولي الغزالي ومذهب باكون)

تقدم ان الغزالي قال في كتاب التوكل ان سنة الله في نظام الكون هي ان الاسباب مرتبطة فيه بالمسببات ارتباطاً كلياً لا يختل الا اذا لم تستوف الشروط التي يتحقق بها السبب حتى قال ان السبب يتلو المسبب عند عدم المانع «لا محالة» وفسر مثل قوله تعالى « فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا» بهذا النظام في الارتباط بين الاسباب والمسببات وهو التفسير المتين . وقال في كتاب تهافت الفلاسفة ان هذا الارتباط بين الاسباب والمسببات العادية على اطراده ليس بضروري في نظر العقل وعدمه ليس محالا وانما هو ثابت في الواقع ونفس الامر بحكمة خالق الكون ومدبره واذا كان الله قد أحكم بحكمته الروابط بين حوادث الكون فينبغي للناس أن يبحثوا عنها ويهتدوا بها في مصالحهم ومنافعهم ولا يتوقف هذا الاهتداء على كون كل ما يظهر في العادة سبباً لشيء ان يكون انفكاكه عنه محالا عقليا

ويعلم الناظر في فلسفة القدماء أنهم كانوا يعتمدون على الادلة النظرية في الحكم باستحالة الشيء أو إمكانه أو وجوبه عقلا فالغزالي وغيره من أئمة علم الكلام بينوا ان المستحيل العقلي هو ما كان بمعنى اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما أو اجتماع الضدين بمعنى النقيضين . وقالوا ان المستحيل والواجب الضروري في نظر العقل لا تتعلق بهما قدرة الله تعالى وإنما تتعلق

قدرة الله تعالى بالممكن فقط . فكانت فائدة قول المتكلمين في أمرين عظيمين هما أساس لترقي البشر (أحدهما) ان ماثبت أنه ضروري (واجب) أو مستحيل لا يطمع فيه الطامع لا من جهة الكسب ولا من جهة الالتجاء الى الله تعالى لانه لا يتغير . (ثانيهما) ان للممكنات سننا منتظمة ينبغي للانسان ان يعرفها وينتفع بها ولكن لا ينبغي أن يوقف حركة استعداده عند ما يظهر له بادي الرأي أنه لا يتغير بل عليه أن يبحث لعله يقف على سنة إلهية أخرى تكون السنة التي ظهر له اطرادها مشروطة بها فيجمع بين الانتفاع بالسنتين معاً . مثال ذلك أن السنة الآلهية الظاهرة في النار أنها تحرق ما يقبل الاحتراق . فلا ينبغي للانسان ان يجزم بأنه لا يمكن ان ينتفي هذا الاحتراق لأنه ضروري بل عليه أن يبحث لان الاحراق ممكن وربما يكون حصوله مشروطاً بانتفاء وجود مادة من المواد لو عرفت يمتنع الاحراق بها. وقد اكتُشِفَ الآن ما يمنع الاحتراق في الجملة وانتفع به في وقاية المكاتب العمومية

فهذا التقرير أتى حجة الاسلام على تلك الفلسفة النظرية من القواعد (وإن أساء ابن رشد في فهم بعض قوله وكابره في بعضه) وأظهر حكم الدين الاسلامي في إطلاق العقل الانساني من تلك القيود النظرية ليسبح في ملك الله مهتدياً بسنن الله فيه . وقد جرى (باكون) على هذا الأثر فقرر ان الأدلة النظرية لا يعتمد عليها في إثبات المسائل العلمية مالم تؤيد بالتجربة والاختبار . قال باكون هذه الكلمة التي يعدونها أساس النهضة العلمية الجديدة في أوربا وقد كانت معروفة عند المسلمين من قبله (كما تقدم في مقالات الاسلام والنصرانية) وما كانت عنده أكثر جلاء

ووضوحاً لأنه كان يعتقد بخلافها كالتنجيم والكيمياء القديمة وحجر الفلاسفة وهي أمور وهمية لا ترتقي الى ان تكون نظرية مظنونة . ولكن اوربا كانت مستعدة بارتقاء العلم فيها الى الاخذ بما قال من وجوب الاعتماد على التجربة والاختبار فعملوا بذلك وارتقى العلم به وعد با كون إمام هذه الطريقة التي قررها المسلمون وعملوا بها من قبله

والنتيجة ان صاحب الجامعة أخطأ في زعمه ان الامام الغزالي أنكر الاسباب. وفى زعمه ان مذهبه فى السنن الالهية غير ماقلناه فى « المنار » وندعو اليه دائماً . وفي زعمه أن بينه وبين قاعدة با كون سوراً عالياً . وفي زعمه أيضاً ان التلازم بين الاسباب والمسببات أو النواميس اذا لم يكن ضرورياً (أي واجباً عقلياً يستحيل عدمه) تصير النواميس فوضى فان خالق الكون وواضع نواميسه اذا كان حكيما لا يفعل شيئاً الا بنظام كما دل على ذلك كتابه العزيز ودل عليه الوجود فكيف يكون الأمر فوضى . ومن قال ان النظام فى الكون مشروط بكون الله تعالى غير قادر وغير حكيم ؟ ما قال بهذا الا صاحب الجامعة النصرانية يثبت ان مذهب المتكلمين المسلمين باطل في نفسه ومؤدٍ الى انكار حكمة الله تعالى وقدرته . ولم نر من المنكرين على الدين أشد تهافتاً فى طعنه بالاسلام وأئمته الاعلام مثل هذا الكاتب الجديد الذي حاول الشهرة والنجاح من غير طريقهما كما فعل ذلك المعتوه الذي تخلّى في مذبح تلك الكنيسة العظيمة ليشتهر اسمه . فبئست الشهرة بمكابرة الحق وتحريف كلام الائمة لاجل دريهمات تجيء من عدو للاسلام ، يحب ان يتشفى من أهله ولو بزور الكلام ، وهو أعلى من أن تعرج اليه الاوهام ،

القسم العمومي

الاجتماع الثامن لجمعية أم القرى

في مكة المكرمة . يوم الخميس الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦

في صباح ذلك اليوم انتظمت الجمعية وقرأ البليغ الاسكندري ضبط اليوم السابق على العادة المألوفة وأذن الأستاذ الرئيس للسيد الفراتي بإتمام بحثه

فقال (السيد الفراتي) ان من أعظم أسباب الفتور في المسلمين غرارتهم أي عدم معرفتهم كيف يحصل انتظام المعيشة لانه ليس فيهم من يرشدهم الى شيء من ذلك بخلاف الامم الأخرى فان من وظائف خدمة الأديان عندهم رفع الغرارة أي الارشاد الى الحكمة في شؤن الحياة . وأما الأقوام الذين ليس عندهم خدمة دين أو الشراذم الذين لا يهتمون لخدمة دينهم فيستغنون عن ذلك بوسائل أخرى من نحو التربية المدرسية والأخذ من كتب الأخلاق وكتب تدبير المنزل ومفصلات فن الاقتصاد والتواريخ المتقنة والرومانات الاخلاقية والتمثيلية أي كتب الحكايات الوضعية ونحو ذلك مما هو مفقود بالكلية عند غير بعض خاصة المسلمين

على ان الخاصة السالمين من الغرارة علماً لا يقوون غالباً على العمل بما يعلمون لأسباب شتى منها بل أعظمها جهالة النساء المفسدة للنشأة الأولى وقت الطفولية والصبوة ومنها عدم التمرن والالفة (١) ومنها عدم مساعدة الظروف المحيطة بهم للاستمرار على نظام مخصوص في معيشتهم

ثم قال ولا أرى لزوماً للاستدلال على استيلاء الغرارة علينا لأنها مدركة مسلمة عند الكافة وهي ماينطوي تحت أجوبتنا عند التساؤل عن هذه الحال بقولنا : ان المسلم مصاب . وان الله اذا أحب عبداً ابتلاه . وان أكثر أهل الجنة البله . وحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه . وان غيرنا مستدرجون . وانهم كلاب الدنيا . وانهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا . وانهم في غفلة عن الموت وغفلة عن ان الدنيا شاخت.

ثم قال فمن الغرارة) في طبقاتنا كافة من الملوك الى الصعاليك اننا لا نرى ضرورة للاتقان في الأمور وقاعدتنا ان بعض الشيء يغني عن كله . والحق ان الإتقان ضروري

«١» كما يتربى أولاد أكثر أمرائنا على أيدي اللالات أو الخادمات وما أدراك ما تلك الحيوانات . اه من هامش الأصل

للنجاح في أي أمر كان بحيث اذا لم يكن مستطاعاً في أمر يلزم ويتحتم ترك ذلك الامر كلياً والتحوّل عنه الى غيره من المستطاع فيه ايفاء حق الإتقان .

(ومن الغرارة) توهمنا ان شئون الحياة سهلة بسيطة فنظن ان العلم بالشيء اجمالاً ونظرياً بدون تمرن عليه يكفي للعمل به فيقدم أحدنا مثلا على الإمارة بمجرد نظره في نفسه انه عاقل مدبر قبل ان يعرف ماهي الإدارة علماً ويتمرن عليها عملاً ويكتسب فيها شهرة تعينه على القيام بها .

ويقدم الآخر منا على الاحتراف مثلا ببيع الماء للشرب بمجرد ظنه ان هذه الحرفة عبارة عن حمله قربة وقدحاً وتعرضه للناس في مجتمعاتهم ولا يرى لزوماً لتلقي وسائل إتقان ذلك عمن يرشده مثلا الى ضرورة النظافة له في قربته وقدحه وظواهر هيئته ولباسه وكيف يحفظ برودة مائه وكيف يستبرقه (كذا) ويوهم بصفائه ليشهي به ومتى يغلب العطش ليقصد المجتمعات ويتحرى منها الخالية له عن المزاحمين وكيف يتزلف للناس ويوهم بلسان حاله انه محترف بالإسقاء كفاً لنفسه عن السؤال الى نحو هذا من دقائق إتقان الصنعة المتوقف عليها نجاحه فيها وان كانت صنعته بسيطة حقيرة .

ومن الغرارة ظننا ان الكياسة في: أدري وأقدر: جواباً للنفس في مقاصد كثيرة شتى والحقيقة ان الكياسة لاتتحقق في الانسان الا في فنّ واحد فقط يتولع فيه فيتقنه حق الإتقان كما قال تعالى « ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه » فالعاقل من يتخصص بعمل واحد ثم يجاوب نفسه عن كل شيء غيره: لا أدري ولا اقدر: لأن الأول يتكلف اعمالا لايحسنها فتفسد عليه كلها والثاني يتحرى لكل عمل لازم له من يحسنه فتنتظم اموره ويهنأ عيشه .

فالملك مثلا وظيفته النظارة العامة وانتخاب وزير يثق بأخلاقه ويعتمد على خبرته في انتخاب بقية الوزراء والسيطرة عليهم في الكليات فالملك مهما كان عاقلا حكيما لايقدر على إتقان أكثر من وظيفته المذكورة . فالملك اذا تغرر وتنزل للتداخل في أمور السياسة أو الادارة الملكية أو الأمور الحربية اوالقضاء فلا شك انه يكون كربّ بيت يداخل طباخه في مهنته ويشارك بستانيه في صنعته فيفسد طعامه ويبور بستانه فيشتكي ولا يدري ان آفته من نفسه .

ومن « الغرارة » اللوث في الامور أي تركها بلا ترتيب والحكمة قاضية على كل انسان ولو كان زاهداً منفرداً في كهف جبل فضلا عن سائس رعية او صاحب عائلة

ان يتخذ له ترتيباً في شئونه وذلك بأن يرتب

(اولا) أوقاته حسب أشغاله ويرتب أشغاله حسب أوقاته والشغل الذي لايجد له وقتاً كافياً يهمله بالكلية او يفوضه لمن يفي حق القيام به عنه .

(ثانياً) يرتب نفقاته على نسبة المضمون من كسبه فان ضاق دخله عن المبرم من خرجه يغير طرز معيشته ولو بالتحول مثلا من بلده الغالية الأسعار او التي مظهره فيها يمنعه من الاقتصاد الى حيث يمكنه ترتيبها على نسبة كسبه .

(ثالثاً) يرتب تقليل غائلة عائلته عند أول فرصة ملاحظاً اراحة نفسه من الكدّ في دور العجز من حياته فيربي أولاده ذكوراً وإناثاً على صورة ان كلاً منهم متى بلغ أشده يمكنه ان يستغني عنه بنفسه معتمداً على كسبه الذاتي ولو في غير وطنه .

(رابعاً) يرتب أموره الادبية على نسبة حالته المادية أعني يرتب أموره الدينية ولذاته الفكرية وشهواته الجسمية ترتيباً حسناً فلا يحمل نفسه منها مالا تطيق الاستمرار عليه .

(خامساً) يرتب ميله الطبيعي للمجد والتعالي على حسب استعداده الحقيقي فلا يترك نفسه تتطاول الى مقامات ليس من شأن قوته المادية ان يبلغها الا بمحض الحظ اي المصادفة . وخلاصة البحث ان الغرارة من أقوى اسباب الفتور وقد اطلت في وصفها وإيضاحها ليتأكد عند السادة الاخوان ان ازالة اسباب الفتور الشخصي ليس من عقبات الامور .

ثم قال ان لانحلال اخلاقنا سبباً مهمًّا آخر ايضا يتعلق بالنساء وهو تركهن جاهلات على خلاف ماكان عليه اسلافنا حيث كان يوجد في نسائنا كأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي اخذنا عنها نصف علوم ديننا وكثيرات من الصحابيات والتابعيات راويات الحديث والمتفقهات فضلا عن الوف من العالمات والشاعرات — اللاتي في وجودهن في العهد الاول بدون انكار — حجة دامغة ترغم انف غيرة الذين يزعمون ان جهل النساء احفظ لعفتهن فضلا عن انه لا يقوم لهم برهان على مايتوهمون حتى يصح الحكم بان العلم يدعو للفجور وان الجهل يدعو للعفة . نعم ربما كانت العالمة اقدر على الفجور من الجاهلة ولكن الجاهلة اجسر عليه من العالمة . ثم ان ضرر جهل النساء وسوء تأثيره في اخلاق البنين والبنات امر واضح غنيّ عن البيان وانما سوء تأثيره في اخلاق الازواج فيه بعض خفاء يستلزم البحث فأقول :

ان الرجال ميالون بالطبع الى زوجاتهم والمرأة اقدر مطلقاً من الرجل في ميدان

التجاذب للاخلاق ولا يتوهم عكس ذلك الأمن استحكم فيه تغرير زوجته له بأنها ضعيفة مسكينة مسخرة لارادته حال كون حقيقة الأمر انها قابضة على زمامه تسوقه كيف شاءت • وبتعبير آخر يغره انه أمامها وهي تتبعه فيظن انه قائد لها والحقيقة التي يرها كل الناس من حولهما دونه انها انما تمشي وراءه بصفة سائق لا تابع • وما قدّر قدر دهاء النساء مثل الشريعة الاسلامية حيث أمرت بالحجب والحجر الشرعيين حصراً لسلطتهن وتفرغهن لتدبير المنزل فأمرت باحتجابهن احتجاباً محدوداً بعدم ابداء الزينة للرجال الاجانب وعدم الاجتماع بهم في خلوة أو لغير لزوم • وأمرت باستقرارهن في البيوت الا لحاجة ولا شك أنه ما وراء هذه الحدود الا فتح باب الفجور • وما هذا التحديد الا مرحمةً بالرجال وتوزيعاً لوظائف الحياة •

والصينيون وهم أقدم البشر مدنية التزموا تصغير أرجل البنات بالضغط عليها لاجل ان يعسر عليهن المشي والسعي في افساد الحياة الشريفة ذاك الشرف الذي هو من أهم مقاصد الشرقيين بخلاف الغربيين الذين لا يهمهم غير التوسع في الماديات والملذات

وقد امرت الشريعة برعاية الكفاءة في الزوج وذلك ايضاً مرحمة بالرجال واكثر الأئمة المجتهدين أغفلوا لزوم تحري الكفاءة في جانب المرأة للرجل وأوجبوا ان يكون هو كفؤاً لها فقط لكيلا تهلكه بفخارها وتحكمها على ان لرعاية الكفاءة في المرأة بالنسبة الى الرجل ايضاً موجبات عائلية مهمة منها التخير للاستسلام والتخير لتربية النسل • وللتساهل في ذلك دخل عظيم في انحلال الاخلاق في المدن لان التزوج بمجهولات الاصول اوالأخلاق اوبسافلات الطباع والعادات او بالغريبات جنساً او الرقيقات مفاسد شتى لأن الرجل ينجرُّ طوعاً أو كرهاً لأخلاق زوجته فان كانت سافلة يتسفل لامحالة وان كانت غريبة بغضت اليه قومه وجرته الى موالاة قومها والتخلق بأخلاقهم ولا شك ان هذه المفسدة تستحكم في الاولاد اكثر من الازواج

وربما كان أكبر مسبب لانحلال اخلاق الامراء من المسلمين أتاهم من جهة الامهات والزوجات السافلات اذ كيف يرجى من امرأة نشأت سافلة رقيقة ذليلة(١) أن تترك بعلها وهو في الغالب أطوع لها من خلخالها أن يجيب داعي شهامة أو مروءة أو أن تغرز في رؤس صبيتها مقاصد سامية أو تحمسهم على أعمال خطرة كلاّ لا تفعل ذلك أبداً انما تفعله الشريفات اللاّتي يجدن في أنفسهن عزة وشهامة (٢) وهذا هو

(١) كالكرجيات الارمنيات والرقيقات الجركسيات امهات اكثر الامراء وزوجاتهم
(٢) كبنات بيوت المجد الحريصات على الفخر وبنات أهل البادية والقرى الابيات النفوس

سرّ ان أعاظم الرجال لا يوجدون غالباً الا من أبناء وبعول نسوة شريفات أو بيوتٍ قروية وهذا هو سبب حرص امراء العرب والافرنج على شرف الزوجات

(ثم قال السيد الفراتي) أيضاً: واني أرى ان هذا الفتور بالغ في غالب أهل الطبقة العليا من الامة ولا سيما في الشيوخ مرتبة (الخور في الطبيعة) لاننا نجدهم ينتقصون أنفسهم في كل شيء ويتقاصرون عن كل عمل ويحجمون عن كل إقدام ويتوقعون الخيبة في كل امل • ومن أقبح آثار هذا الخور نظرهم الكمال في الاجانب كما ينظر الصبيانُ الكمال في آبائهم ومعلميهم فيندفعون لتقليد الاجانب واتباعهم فيما يظنونه رقةً وظرافة وتمدناً وينخدعون لهم فيما يغشونهم به كاستحسان ترك التصلب في الدين والافتخار به فمنهم من يستحي من الصلاة في غير الخلوات • وكإهمال التمسك بالعادات القومية فمنهم من يستحي من عمامته . وكالبعد عن الاعتزاز بالعشيرة كأن قومهم من سقط البشر • وكنبذ التحزب للرأي كأنهم خلقوا قاصرين . وكالغفلة عن ايثار الاقربين في المنافع • وكالقعود عن التناصر والتراحم بينهم كي لا يشم من ذلك رائحة التعصب الديني وان كان على الحق — الى نحو ذلك من الخصال الذميمة في أهل الخور من المسلمين الحميدة في الاجانب لان الاجانب يموهون عليهم بأنهم يحسنون التحلّي بها دونهم

وهؤلاء الواهنة يحق لهم أن تشق عليهم مفارقة حالات الفوها عمرهم كما قد يألف الجسم السقم فلا تلذ له العافية فانهم منذ نعومة أظفارهم تعلَّموا الأدب مع الكبير يقبلون يده أو ذيله أو رجله • وألفوا الاحترام فلا يدوسون الكبير ولو داس رقابهم • وألفوا الثبات ثبات الأوتاد تحت المطارق • وألفوا الانقياد ولو الى المهالك • وألفوا ان تكون وظيفتهم في الحياة دون النبات ذاك يتطاول وهم يتقاصرون ، ذاك يطلب السماء وهم يطلبون الارض كأنهم للموت مشتاقون، وهكذا طول الألفة على هذه الخصال قلب في فكرهم الحقائق وجعل عندهم المخازي مفاخر فصاروا يسمون التصاغر أدباً والتذلل لطفاً والتملق فصاحة واللكنة رزانة وترك الحقوق سماحة وقبول الاهانة تواضعا والرضاء بالظلم طاعة كما يسمون دعوى الاستحقاق غروراً والخروج عن الشأن الذاتي فضولاً ومد النظر الى الغد أملا والاقدام تهوراً والحمية حماقة والشهامة شراسة وحرية القول وقاحة وحب الوطن جنونا

ثم قال وليعلم ان النشءَ الذين تعقد الأمة آمالها باحلامهم عسى يصدق منهاشيء

اه من هامش الاصل

وتتعلق الاوطان بجبال هممهم عساهم يأتون فعلاً مذكوراً هم اولئك الشبان ومن فى حكمهم المحمديون المهذبون الذين يقال فيهم ان شباب رأي القوم عند شبابهم الذين يفتخرون بدينهم فيحرصون على القيام بمبانيه الاساسية نحو الصلاة والصوم ويجتنبون مناهيه الاصلية نحو الميسر والمسكرات الذين لايقصرون بناء قصور الفخر على عظام نخرها الدهر ولا يرضون ان يكونوا حلقة ساقطة بين الاسلاف والاخلاف الذين يعلمون انهم خلقوا احرارا فيأبون الذل والاسارة • الذين يودّون ان يموتوا كراما ولا يحيون لئاما • الذين يجهدون ان ينالوا حياة راضية حياة قوم كل فرد منهم سلطان مستقل فى شؤنه لايحكمه غير الدين وشريك أمين لقومه يقاسمهم ويقاسمونه الشقاء والهناء وولد بارّ بوطنه لايبخل عليه بجزءٍ طفيف من فكره ووقته وماله • الذين يحبون وطنهم حب من يعلم انه خلق من ترابه • الذين يعشقون الانسانية ويعلمون ان البشرية هي العلم والبهيمية هي الجهالة • الذين يعتبرون ان خير الناس أنفعهم للناس الذين يعرفون ان القنوط وباء الآمال والتردد وباء الاعمال ، الذين يفقهون ان القضاء والقدر هما السعي والعمل • الذين يوقنون ان كل ما على الارض من أثر هو من عمل أمثالهم البشر فلا يتخيّلون الا المقدرة ولا يتوقعون من الأقدار الا خيراً •

وأما النشء المتفرنج فلا خير فيهم لأنفسهم فضلا عن أن ينفعوا أقوامهم وأوطانهم شيئاً وذلك لأنهم لا خلاق لهم تجاذبهم الاهواء كيف شاءت لا يتبعون مسلكا ولا يسيرون على ناموس مطرد لانهم يحكمون الحكمة فيفتخرون بدينهم ولكن لا يعملون به تهاوناً وكسلا (١) ويرون غيرهم من الامم يتباهون بأقوامهم ويستحسنون عاداتهم ومميزاتهم فيميلون لمناظرتهم ولكن لايقوون على ترك التفرنج كأنهم خلقوا أتباعاً (٢) ويجدون الناس يعشقون أوطانهم فيندفعون للتشبه بهم فى التشبيب والاحساس فقط

---

(١) اكبر مايشق عليهم ويتكاسلون عنه الصلاة التي هي عماد الدين • ولنخاطبهم بلسانهم فنقول : ان الطهارة والوضوء هما عين (التواليت) أو بعضه وتمكن بدقيقتين أو ثلاث وأفعال الصلاة هى عين (الجمنستيك) واكمل منه لانها موزعة ولا تستغرق الركعة منها اكثر من دقيقة فاطول صلاة تطول عشرة دقائق • بناء عليه فليبك على نفسه من يقصر نشاطه عن الصلاة والصوم اللذين لو لم يكن فيهما حكمة غير أنهما شعار يعرف بهما المسلم أ [illegible] ه لكفى • (٢) هذه حكمة الشرع فى حظره ترك سنة الاسلاف وتقليد الاغيار ولو فى اللباس وهذه الامم الافرنجية تنفر من التقليد حتى فى القياسات والموازين

دون التشبث بالاعمال التي يستوجبها الحب الصادق • والحاصل ان شؤن النشء المتفرنج أيضاً لا تخرج عن تذبذب وتلون ونفاق يجمعها وصف « لاخلاق لهم » والواهنة خير منهم لانهم متمسكون بالدين ولو رياءً وبالطاعة ولو عمياء على انه يوجد في المتفرنجة أفراد غيورون كالراسخين من أحرار الاتراك المتهيين غيرة يقتضي احترام مزيتهم

ثم قال (السيد الفراتي) ان الخور المبحوث فيه علة معدية تسري من الشيوخ الى الشبان ومن الطبقة العليا الى العامة وليت الشيوخ والكبراء يرضون بما كتبه الله عليهم من الذلة والمسكنة والخمول وسقوط الهمة والدناءة والاستسلام فيتركوا أهل النشأة الجديدة وشأنهم لايستهزؤن ولا يعطلون ولا يسفهون ولا يثبطون وما أظنهم بفاعلين ذلك أبداً الا أن تتصدى لهم جرائد مخصوصة تقابلهم باللوم والتبكيت وتتسلط عليهم أقلام الأدباء وألسنة الشعراء بوضع أهاجي وأناشيد بعبائر بسيطة محلاة بنكت مضحكة لكي تنتشر حتى على ألسنة العامة • وبمثل هذا التدبير تثور حرب أدبية بين النشء والواهنة لاتلبث أن تنتهي بانكسار الفئة الثانية أولئك البائسين المتفاشلين المتواكلين المتقاعسين المتخاذلين المتشاكسين العاجزين عن كل شيء الا التعطيل

ومن راجع تواريخ الامم التي استرجعت نشأتها والدول التي جددت عصبيتها يجد من حكمائها ونجبائها مثل حسان قريش وكميت العباسيين ولوتر الالمانيين وفولتر الفرنساويين قد تغلبوا على الفكر الواهن وأنصاره من الأشراف والشيوخ وأهل العناد والفساد بحمل لواء النشء واثارة حرب أدبية حماسية بين الفئتين على اننا نحن تكفينا الضوضى ولا نحتاج قط للفوضى لأن واهنتنا أضعف من أن تحوجنا أن ننتظر أمّ
حسانٍ تلد حسَّاناً ورب حيلة أنفع من قبيلة (٢٤١١١٨٤٩٩٨٤٧٧١٢٤٠٤٣٣٣٢١
٣٥٤٢٩٣٤٨٤٧٢٢٦٤٢٥٥٤٢٤٢٤٨٢٢١٣٠٧١٩٢٣٤١٧٤٦١٦٨٢٤٢١٣١١
١٩٠٥٠٥٣٣٤٧٨٦٦٢٤٥٥٢٤٤٣٨٩٢٤٢٤٤٢٣٩٤١٧٧٦٦٨٧٥٣٩٣٧٤٢٣٥
٢٥٩٤١٤١٠٢٦١١١١٨١٠١٤٩٧٨٥٥٥٨٤٣٢٢٨٨٩٣٥٧٤٥) وهذا أنجع دواء
والله ولي النيات

ثم ختم (السيد الفراتي) كلامه بقوله هذا ما سنح لي في هذا المرام وقام ، وتبادل مع مع الفاضل الشامي والبليغ الاسكندري المقام

قال (الأستاذ الرئيس) ان مباحث الجمعية قد استوفت حقها وكفاني السيد الفراتي تلخيص أسباب الفتور منها ولا أرى لزوماً لتلخيص بقية المباحث الدينية

وقد أعطاني أخونا المدقق التركي رئيس لجنة القانون (السانحة) التي وضعتها اللجنة مطبوعة في نسخ على عدد الاخوان لتوزع عليهم فيطالعها كل منهم ويدققها قبل وضعها في اجتماعنا غداً في موقع المذاكرة حيث يبحث فيها قضية قضية بدون جزاف وأما اليوم فقد حل أوان الانصراف

بادر (السيد الفراتي) وفرق على كل واحد من أعضاء الجمعية نسخة من سانحة القانون فأخذوها وتفرقوا

باب التربية والتعليم

الشذرة العاشرة من جريدة الدكتور اراسم (*)

التقليد والذاكرة

مثل هاتين القوتين في فتنة العقل والتغرير به كمثل الفتانات الخرافية التي كانت تظهر في بحر صقلية وتستهوي الملاحين بشجي صوتها فتوردهم في شعابه مورد الهلكة فانهما بعلو مكانتهما وجلال خطرهما في دراسة اللغات وبخداعهما العقل أحياناً في آدابها بما يأخذانه عن الغير من محاسن القول وطرائقه يأكلان الاستعداد الحقيقي أكلا .

وقد يكون الذنب في ذلك على المربين دونهما لما ينهجونه من طريقة التربية فان أحداً لا يرتاب في كون تينك القوتين من المواهب الخلقية الميمونة بيد أن هذا لا ينبغي أن يكون سبباً للافراط في تنميتها فانك ترى التلميذ الذي تربى على طريقتنا يصف لك بما قرأه في الكتب أشياء لم يرها في حياته ويفوه أمامك بجمل من القول المنثور أو المنظوم تدل على ضروب من الوجدان هو لم يشعر بشيء منها قط ويبدي من الهيج والانفعال في بعض أحوال لا علاقة له بها من حياة غيره ما لا أثر له في نفسه ولو أنك سألته أن يتغنى بذكر الاشجار وظلالها والانعام ورعاتها والربيع وأزهاره لوجد فيما يذكره من محفوظاته جميع ما قاله فيها فرجيل (١) وهوراس (٢) من النعوت والاوصاف

(*) معرب من كتاب أميل القرن التاسع عشر (١) راجع عدد (١) من تعليقات الشذرة التاسعة (٢) هوراس شاعر لاتيني مشهور ولد في سنه ٦٧ ومات سنة ٨ قبل المسيح

ومع انه قد يكون خيراً له أن يذهب الى المزارع ويرى بنفسه ما يحصل فيها وكيف يحصل تراه شديد الاحتراس من موافاتها خشية أن يخسر فيها اللاتينية وما تواضع عليه الاقدمون من الصور اللفظية لتأدية ما كان يعرض لاذهانهم من المعاني والافكار

واذا استوصفته قتالا انبرى يصف لك ما استعمل فيه من الآلات وكيف كان اصطدام الجيشين بالفاظ مطنطنة وعبارات مجلجلة وهو لم يشهد شيئاً من ذلك أبداً فاذا كان مرادك اختباره في محاصرة العدو وجدته قد انتهى من حصاره كما انتهى فرتوت (١)

ولقد عرفت فيما سبق تلميذاً كان يبدو عليه كثير من مخايل النجابة نال اكليلا مكافأة له على قرضه شعراً وصف فيه زج سفينة في البحر وهو لم ير في عمره سفينة ولا بحراً .

نعم ان الشبان في هذه الايام لا يكادون ينفلتون من المدارس الا وهم رافضون لآثار السلف نابذون لها ظهريا غير انه لا معنى لهذا الا انهم يتعاضون عن مُثل الغابرين مُثل الحاضرين لان محو طيات التقليد وغضونه من النفس وارجاعها الى صقالها الفطرية ليس من السهولة بالمقدار المتوهم فاننا كل يوم نقرأ في وصف الكتاب والشعراء المبتدئين قول واصفيهم في الواحد منهم انه نابغة يفتش على نفسه فليقل لي ربه هذا الفتاش أين أضل نفسه حتى أصبح ينشدها

ان تربية تكون بدايتها إضلال وجدان الاستقلال الى حد انه ينبغي لأجل الاهتداء اليه تلمسه سنين طويلة لمن الغرابة بمكان

أنا لا أشتهي ولا أرجو أن يكون « أميل » ميالا الى وقف نفسه على دراسة آداب اللغة ولو أني وهيلانة دأبنا في تحبيبها اليه وأفلحنا في حجب حالة عقله بزخارف الذاكرة لاخفقنا في مسعانا الى غايتنا المطلوبة فاتقاء لهذا الخطر تراني مصمماً على ارجاء تعليمه اللغات القديمة واقرائه كتب مؤلفيها وقد جعلت له مشاهدة الاشياء مقدمة على علم الالفاظ فاصبحت علومه على ما فيها من النقص لها أصول في الخارج ترجع اليها ودعائم في الواقع تستقر عليها وسعيت في ايتائه من آلات الضبط والدقة

(١) فرتوت هو اسقف مؤرخ من الفرنجة ولد سنة ١٦٥٥ ومات سنة ١٧٣٥ ق ٠ م ٠ وهو مؤلف كتاب الفتنة السويدية والفتنة الرومانية وتاريخ الاشراف الكرام والمؤرخ يلمح الى واقعة لهذا المؤرخ وهي انه كان يكتب تاريخاً لحصار رودس وانتظر طويلا ورود أنباء صحيحة له عنه فلم تحضر فاتم تاريخه قبل ورودها ثم قال اني متكدر من ذلك ولكن قد انتهيت من حصاري

العقلية ما هو لازم للانسان في بحثه عن الحسن والحق أكثر جداً من سعيي في الافضاء اليه بما لي أو ما لغيري من المعاني

وقبل ان اجمل البحث فى مثل الاقدمين في مكنته سأعنى كل العناية بتنبيهه الى ان هذه المُثُل لاتقلد فانه من السخف المحقق ان نباري الغابرين مباراة نحن على يقين من غَلَبنا فيها من قبل ان ندخلها وكيف لانكون مغلوبين لهم ونحن نرضى لانفسنا طريقتهم في الكلام والكتابة والذي لاغضاضة علينا فى أخذه عن كتّاب اليونان والرومان انما هو روح آداب لغتهم وما يناسب كل زمان وكل قوم من أساليب الانشاء وترتيب المعاني والدِقّة في التعبير عنها وانتقاد الالفاظ اللائقة بها فكما ان من يعاشر بعض خواص الاجانب يقتبس شيأ من خصائصهم بغير ان يكون ذلك موجباً لمشابهته لهم بحال من الاحوال كذلك معاشرة الاقدمين بواسطة ماتركوه من آثارهم توحي الينا شيئاً من عوائد العقل واللسان المناسبة لكافة الاقوام المستضيئين بضياء العرفان •

التقليد الخسيس سواء قلد فيه الغابرون أو الحاضرون لايقتصر سوء أثره على إضعاف الذوق والميل الى الفنون بل انه يسلب الناشئين شرف النفس وكرامتها فلشدَّ مايخدعون بما تؤديه لهم الالفاظ عند قبولهم اياها من المعاني صحيحة أو فاسدة لان أساليب الإنشاء والالفاظ والجمل تفعل في نفوسهم مايفعله السحر الحقيقي فتراهم يتوهمون انهم يتفكرون فيما يقولون ويكتبون والحق انهم يرددون مافكر فيه المفكرون ولعمري ان هذا هو أصل بعض الاباطيل التي تحاول من قرون عديدة اطفاء نور العقل • ذلك ان ضروب الاستعباد متلازمة فمن قبل واحدا منها فقد أخذ على نفسه الرضوخ الى جميعها الا ترى الشاب المتعلم الذي اعتاد تقليد مايصفه المقلدون بالمُثُل الحسنة يصاحبه في سيرته وأطواره روح اللين والانقياد الذي ألفه من التقليد فتجده يجبن ويفزع عند كل عزيمة ذاتية

نعم انه قد يخاطر بحياته في براز أو يعرضها للهلكة في ساحة قتال لانه يرى ذلك مستحسنا في نظر الناس ولكنه اذا دعي الى مقاومة عادة بربرية او تأييد حق قلَّ ناصروه ورأى أن من وراء ذلك الاستهداف للسُّخْرِية والزراية عليه نكص على عقبيه نكص الجبان وفر فرار الرعديد

مثل هؤلاء المخلوقين المجردين عن ذواتهم يجدون طريق عيشهم ذلولا ويأتيهم

رزقهم بلا نصب ولكن ما أكثر مايسومون أنفسهم من الخسف وما احط مايسفلون بها اليه من دركات الذل • عرفت امرأة بَرْزَةً (١) محبوبة حسنة المحاضرة وكانت ارملة ولها ولد كان قبلة آمالها فبدالها يوما من الايام ان تنشّئه على أحسن آداب المواضعة المعروفة فرأت ان الاستشهاد باقوال الكتاب اللاتينيين في المقامات المناسبة من المحاورة والتمثل باشعارهم وايراد أمثالهم من الامور التي لابأس بها بل انه يكسو المحاور اذا كان حسناً بُرْداً من الخطر ويلقي عليه مسحة من جلال القدر فارسلت ولدها الى المدرسة فغادرها كيوم كدخلها خفيف العقل لم يستفد من العلم الا قشورا محبوبة عند الناس ولكونه أوتي ذاكرة مباركة كان يتكلم فى كل موضوع ويناقش فى كل شيء ولا يبدي رأيا الا قوبل بالاستحسان لانه يسهل على كل انسان أن يرضي الناس عنه اذا سلم لهم مايقولون ولم يعارضهم في شيء من آرائهم فكان ثرثاراً عديم الخلق حسن الصورة عقيم الفكر أرادت والدته أن تصيره رجلا من الاكياس أونائباً لأحد الحكام او معتمداً سياسياً لحكومته في بعض البلدان وان أحببت أن تعرف ماذا صيرته قلت انها صيرته طفيلياً .

ان طريقتنا في التربية تظهر بادي الرأي سخيفة مضحكة وان جاز أن تكون مما يتعاصى على الافهام ادراكه وربما لاتطابق أي طريقة غيرها مطابقتها لمقاصد حكامنا ونظامنا السياسي

التلامذة فى مدارسنا مقترعون مدنيون تبكر الحكومة بتأهيلهم لوظيفتهم على نظام معنويٍ يشف عن حذق واضعه فأنت ترى القائمين على تربيتهم يوزعون عليهم متاعا من الآراء والعلوم التي يجب عليهم تقلدها في مستقبلهم مراعين في ذلك الدقة العسكرية التي تراعى في توزيع متاع الجند وينادونهم: «الهوينا» أيها الاحداث وايا كم ان تحيدوا عن الخطة المضروبة لكم • نعم ان منهم من يولونهم أدبارهم ولا يصغون الى ندائهم وان كثيراً من هؤلاء يتحيزون الى فئة الآخذين بحرية النظر ويتضاعف عددهم كل يوم ولكن لشدة مايلاقون على ذلك من العقاب يحرمون من تقلد الوظائف العلمية في المدارس الجامعة ومن القيام بالوظائف الادارية في الحكومة فلايولَّى أحدهم شيئاً منها وفوق ذلك تراهم ان لم يسيروا سيرة مرضية وقد أخذت الحكومة على نفسها تعليمهم كيف يسيرون بما تتابعه لهم من ضروب الايذاء وما تبلوهم به من العقوبات والنكبات

(١) البرزة المرأة الجليلة التي تظهر للناس ويختلف اليها القوم

السياسية ولا جرم فانهم في قبضة حاكم ماهر والذنب عليهم في انهم لم يعرفوا من قبل ان لهم والياً يقوم عليهم واستاذاً يرشدهم

ولما لم يكن هـذا هو الفلاح الذي أرجوه «لاميل» وكان الذي يعنيني من أمره قبل كل شيء انما هو حفظ كرامته وشرفه من حيث هو انسان كان نصيب هذه الطريقة مني محض الاعجاب بها دون ان أرضاها لتربيته

﴿ الشذرة الحادية عشرة ﴾

في المؤلفات المفيدة للناشئين واختيارها

أجد في نفسي انبعاثاً كثيراً الى اعتقاد انه لا شيء أضرّ على كتاب الاقدمين وأدعى الى هجر مؤلفاتهم من اطراء المعلمين اياهم واعتيادهم الإعجاب بما كتبوا

ذلك ان هؤلاء بالزامهم الطفل حفظ ما يختارونه له من هذه المؤلفات وارشادهم اياه الى ما يجب عليه ان يراه فيها من ضروب المحاسن خشية ان يقصر في احترام آثار سلفه واكراههم له على ملاحظة جميع ما فيها حتى علامات الفصل والوصل بذلك كله لا يفلحون غالباً الا في ان يكرّهوها اليه وهي أحسن أعمال عقل الانسان

فالإفراط في الوقاية من جانب المعلم يصير سبباً للضعف من جانب المتعلم وافراط ذلك في اعجابه بما يعلمه يذهب بالحمية من نفس هذا فيما يتعلمه

والمقصود من التعليم على أي حال انما هـو انشاء القوة الحاكمة في نفس الطفل وأنا في شك من بلوغ هـذه الغاية بالجري على تلك الطريقة فانه على فرض وجود التلامذة الذين يكون فيهم من الامتثال ما يكفي لان يروا الحسن فيما يمدح لهم والقبح فيما يذم (وفي التلامذة من هم كذلك) لا تكون أذواقهم من أجل ذلك أسلم من أذواق غيرهم ولا اكثر منها دربة بل ان هذا مما يدعو الى سلبهم قوة تميزهم الامور بأنفسهم فتكون همتهم في مستقبلهم مصروفة الى تلقي آراء من تعتبر آراؤهم حجة من الناس لا الى النظر في الامور والحكم عليها حكماً مستقلا

سادع ابني وشأنه في انتقاء كتبه فلا اجتنب الا ما يكون مناهضاً بالاخلاق لاني اود ان يكون هو صاحب الخيار فيما يفضل في نظره من كتب الآداب فاذا ضل ذوقه في الاختيار عولت في رده الى الصراط السوي على ضروب نمو عقله لا على ما يدعو اليه كدري من انواع التوبيخ والتأنيب ومع كوني لا اضن عليه بالإرشاد متى سألني اياه تجدني اقصد ان يلتمس في ما يطالعه تنمية افكاره وتربية ضروب وجدانه الذاتي

نعم اني قد اشتهى ان اقدم له بعض كتب مخصوصة واغتبط لو انه اتفق معي في التأثر بما فيها غير اني لا اجدني محقاً في اقتضاء ذلك منه لان الاعجاب بالشيء من اجل ان يكون مفيداً لا بد ان يصدر عن نفس المعجب ولان الانسان في كل طور من اطوار حياته منفرداً كان أو مجتمعاً يتصور للحسن كالا يطابق بالضرورة بعض أحوال تتعلق بنفسه أو بوظائف أعضائه • يدلك على ذلك اننا لا نكاد نعرف الآن ما قرأناه في عهد شبيبتنا من الكتب ولا مؤلفيها ولا نحس بشيء من الميل الى كتب الادب التي طالعناها فى ذلك الزمن ولم يبق من الشعراء والكتاب الذين كانوا أساتذتنا فيه بكتبهم من يصحبنا فى شيخوختنا الا النزر اليسير •

آثار علمية ادبية

(الاسلام والنصرانيه • مع العلم والمدنية) لقد أقبل الناس على هـذا الكتاب اقبالا لم يعهد في هـذه البلاد وأمثالها حتى إننا لنتوقع نفاد نسخة المطبوعة كلها في زمن قريب جداً • وقد قدمنا نسخة منها الى رئيس علماء الدين في مصر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر فتقبلها بأحسن قبول وأظهر لنا غاية الارتياح لطبعه وأثنى بما هو أهله ثم انه لم يرض الا أن كافأنا بما هو أضعاف ثمن الكتاب وألزمنا بقبول المكافأة وحسبنا رضاه عن هذا الأثر أدامه الله نصيراً للاسلام

وقد نشرنا في آخر الكتاب أبياتاً من قصيدة في تقريظه لأحمد أفندي الكاشف وأننا ننشرها أيضاً فى المنار وهي

سلاما حجةَ الإسلام فينا ... ورضواناً رجاءَ المسلمينا
عُنيت بما كتبتَ فكان وحيا ... يؤيّد وَحْيَ مُلهمك المبينا
فلم تترك لمتَّهمٍ مكانا ... يرى فيه المزاعم والظنونا
فما بطل يخوض الحرب فرداً ... فما يدعو بآخرَ مستعينا
جهاداً في سبيل الله يفدي ... بمهجته المواطن أن تهونا
بأبقى منك آثاراً وذكرا ... وقدراً في قلوب العالمينا
وكان يراعك المنصور سيفاً ... وكان كتابك الدّرع الحصينا

ملكتَ به معاقل عاليات نبتْ عنها سيوف الفاتحينا
وماضرَّ الضلالُ الخلق حتى نفعتَهم وأوضحتَ اليقينا
فرفقاً بالمكابر قد كفاه مجادلة وأوشك أن يدينا
وَدَعْه في تأمله عساه يجيئك باعتراف المهتدينا

باب التقريظ

رحلة صادق باشا العظم الي صحراء افريقية الكبرى

الفريق صادق باشا المؤيد العظم أحد حجاب مولانا السلطان عبد الحميد خان كاتب أديب وقائد شجاع وأمين عندمولاه يبعثه في المهمات السياسية والفنية العملية. فكما عهد اليه بأمر مد الاسلاك البرقية في الحجاز ثم بأمر النظر في سكة حديد الحجاز من الأمور الفنية عهد اليه من قبل بالرحلة الى صحراء أفريقيا واكتناه شؤنها عامة وشؤن السنوسي وجماعته خاصة فقام بذلك وعهد اليه من بعد بالذهاب مع بعثة الى روسيا لمقابلة قيصرها في أمر سياسي • أما سفره الى الصحراء بأمر السلطان فقد كان مرتين وكتب فيما شاهد في المرة الثانية رحلة باللغة التركية أودعها وصف ما رآه واختبره من أحوال المكان والسكان • وقد عرب الرحلة جميل بك العظم وطبعت في كتاب مستقل بعد طبعها في جريدة « معلومات » ولا شك انقراء العربية كلهم يحبون الاطلاع على مثل هذه الرحلة الا من لايحب التاريخ ولا يحفل بما يبنى عليه من أحوال السياسة الحاضرة • والرحلة تطلب من ادارة مجلة المنار بمصر

(الإسلام في عصر العلم) كتاب جديد يشتغل بتأليفه وطبعه محمد فريد افندي وجدي • وقد جعله ثلاثة أقسام أحدها في « الإنسان » وثانيها في « المدنيّة » وثالثها في « ماوراء المادّة » ورابعها في « حياة النبي صلى الله عليه وسلم » والغرض من الكتاب تأييد الدين الاسلامي بمباحث العلوم على ما انتهت اليه في هذا العصر

الغرض شريف وحاجة المسلمين اليه شديدة فان المفتونين منهم بمدنية أوربا يخطف أبصارهم كل شيء يرونه من آثارها ويختلب أفئدتهم كل يسمعونه من علومها وعقولهم تتبع أفئدتهم وأبصارهم • فترى الكثيرين منهم في شك من دينهم الذي انتموا اليه ولم يعرفوه حق المعرفة لاعتقادهم أن أولئك الذين تلك المدنية مدنيتهم وتلك العلوم علومهم لايعتقدون بصحة الدين • ومنهم الضعيف الواهن الذي يكفي

لايقاعه في الشك أن تخفى عليه حقية مسألة واحدة مما يعزى الى دينه أويراها مخالفة لما يقول أولئك الخاطفون لبصره والمختلبون لفؤاده وربما تكون تلك المسألة ليست من الدين بل من التقاليد اللاصقة بأهله أو تكون من الأمور الواردة فيه لا على سبيل القطع أو يكون لها معنى غيرما يفهم أويكون المخالف للمسألة هو المخطئ ولكن من فتن باعتقاد عظمة إنسان لايخطر له أنه يخطئ • التقليد يفتك بعقل المقلد حتى يجعله أسيراً لكل من يعتقد عظمته يسلم له بكل شيء تسليما

أمثال هؤلاء يجب أن يعرفوا نسبة هذه العلوم وهذه المدنية الى الإسلام وما يؤيده منها ومن علومها • ولن يجدوا حاجتهم هذه على طرف الثمام الا اذا انصرفت همة الباحثين للتأليف فيها وهذا ما توخاه صديقنا محمد فريد وجدي في كتابه هذا فنسأل الله تعالى ان يوفقه لاكماله ويسهل له سبيل كماله ويوفق اخوننا المسلمين لمساعدته على عمله بالاقبال عليه • وقد اختار هو أن يصدر الكتاب لمن يشترك فيه منجماً تنجيماً في كل شهر ٦٤ صفحة من القطع الصغير اللطيف . وقيمة الاشتراك في السنة ٣٠ قرشاً صحيحاً تدفع سلفاً أو على ثلاثة نجوم . وهو يطلب من مؤلفه بالسويس

قاموس الماني عربي

ان الحاجة التي تسوق الامم الى الاقتراب من الامة الالمانية ودراسة لغتها أصبحت متأكدة وتزداد من يوم الى آخر ذلك بانها من حرب السبعين الى اليوم وصلت في علومها وصنائعها وتجارتها وسائر ضروب المدنية الى درجة أبهتت العالم فأخلت الامم لها المحل الاول وصار الكثيرون من المتكلمين يدرسون لغتها ويرحلون اليها في طلب الكمال وقد أخذ عدد من الشرقيين ليس بالقليل في دراسة هذه اللغة يبتغون ان يصيبوا من هذا ما يصيبه غيرهم وسينمو هذا العدد من غير شك تبعاً لامتداد العلائق بين البلاد الالمانية وبلادهم وازدياد المستكملين وطلاب الحقائق في هذه البلاد• هذا قول حق نلفت به القراء منهم الى قاموس الماني عربي ظهر في هذا العهد •الف هذا الكتاب العالم الفاضل اللغوي المؤرخ الدكتور ارنست هردر المحرر باحدى الجرئد الشهيرة التي تصدر ببرلين « بَخْلشْ رُنْدْ شَوْ » والقاموس المذكور مشتمل على ثلاث وثمانمائة صفحة جمعت نحو ثمانية عشر الف كلمة مراعى في جمعها حاجة المتكلم والقارئ في الكتب الادبية سواء كانت جرمانية الاصل أو دخيلة شائعة في اللغة • ان هذا الدكتور — وقد عاشرته زمناً طويلا — بعيد

ان يضع للكلمة الالمانية أخرى عربية بازائها اذا لم يكن المعنى واحداً بل يعمد اذا لم يصب الكلمة المطلوبة الى التعبير عن المعنى في جملة يصيب بها الغرض قدرما يمكن • ساعده على أداء هذه المهمة التي يعمل لها منذ عهد بعيد معرفته باللغة المصرية الدارجة والفصحى وقد وضع فيها أجرومية باللغة الالمانية طبعت سنة ١٨٩٨ بمطبعة «هيدلبرج» وصادفت اقبالا طيباً • قد يضع المؤلف لغرض ما إزاء الكلمة الالمانية أخرى من اللغة الدارجة مع التنبيه على ذلك • لم يوجد من قبل قاموس الماني عربي الا واحد لحضرة البروفسور فارمولد النمساوي الا انه غير واف بالغرض ومن هذا ان كلماته لا تزيد على الثلث من الفاظ الكتاب الجديد • ان هذه الخدمة الجليلة التي قام بها هذا المؤلف هي في منفعة الناطقين باللغة العربية اكبر منها في صالح قومه ولهذا نشكر له هذا العمل ونسأل له دوام التوفيق للعمل على الصالح العام

ومن أراد ان يكاتب حضرة المؤلف في أمر يخص كتابه أو نحو هذا فليتفضل بالاستفهام عن طريقة ذلك من حضرة السيد الفاضل صاحب هذه المجلة (أحد القراء)

(مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر) صدر الجزء الاول من هذا الكتاب لمؤلفه المؤرخ المنصف جرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال وهو خاص بتراجم الملوك والامراء والقواد ورجال الادارة والسياسة ولم نتمكن من مطالعة شيء منه ولكننا نعلم ان طريقته فيه هي طريقته في الهلال بل هو قبسة من نور الهلال • وصفحاته ٢٦٤ وفيه ٧٢ رسما وثمنه ١٥ قرشاً صحيحاً ويطلب من مكتبة الهلال بمصر

(الحال بين العامة) «رسالة دينية أدبية تهذيبية اجتماعية» ألفها عبد العزيز أفندي فتحي الجورجستاني وقل في مقدمتها ان أكبر داع دعاه الى تأليفها هو انه سمع من الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية كلمة قالها للناس بعد صلاة الجمعة في بلده (محلة نصر) وهي: يكاد قلبي يقطر دما عند ما أرى بدعة أسندها مبتدعها الى الدين: وتلا الاستاذ قوله تعالى «ان الذين اتخذوا دينهم هزواً ولعبا» الآية • أما فصول الرسالة فهي (١) الصدق والامانة وضدها • و(٢) الاقتصاد وبعض ماورد في مدحه وذم ضده و(٣) الاصلاح والمعاونة • و(٤) حسن المعاملة وطاعة أولى الامر • و(٥) النميمة والغيبة والحسد • و(٦) نشر المعارف وفضل العلم • و(٧) العمل وترك الكسل و(٨) المبتدعون في الدين • و(٩) المفاسد في الموالد و(١٠) الطريق • وختم الرسالة في انتقاد الوعاظ • ولا شك ان مطالعة العامة لهذه الرسالة نافعة لأنها تنفر عن المنكر وتحث على المعروف والخير • ولكن اسمها لا يطابق مسماها الا في

كلمات من الفصول الاخيرة لأن سائر الفصول لا تشرح من أحوال العامة ماينبغي شرحه فعسى ان يوفق المؤلف الى كتابة مايعرفه من المنكرات الفاشية بين العامة بالتفصيل • ولم يعتن بتصحيح الرسالة كما يجب وذلك لا يمنع من الانتفاع بها

(النخبة) ديوان شعر جديد لناظمه رشيد أفندي بن حنا مصوبع اللبناني وقد عرفنا الناظم شابا متوقد الذكاء ومن أحسن شعره قصيدة يصف بها سوق احسان أقامها سرب من العذارى الاسرائيليات في فندق (كونتيننتال) بمصر قال فيها

حيِّ في مصر أربُع الغادات … ومغاني الحسان والحسنات
أربُعٌ قد حوين كل صنيع … من جميل وأوجه سافرات
يتجارى الفتيان فيه الى البذ … ل باغراء أعين الفتيات
آنساتٌ صيّرن من كان في القو … م بخيلا يجود بالمكرمات
يستبيه لحظ الحسان فلا يلـ … بث ان يبذل اللُّهى والهبات
كل خود للسحر في مقلتيها … عُقدٌ قد خَلَبْنَ بالنَّفثات
أخذت للفقير منا زكاة … قابلتها من حسنها بزكاة
وغدا الزهر غالي السعر اذ قد … كان يعطى من تلكم الراحات
ينثر الورد حولنا من يديها … فنخال الخدود منتثرات
وتعير النسيم من صدرها أنـ … فاس طيب نردّها زفرات

الى ان قال

سوق حسن للعاشقين وسوق … من جميل للبائسين العفاة
أنشأتها أيدي الكواعب منهـ … ن ويا حسنهن من منشئات
ما كفتنا محاسن العِين حتى … ملكتنا الحسان بالهمَّات
هكذا يجعل الجمال افعل الـ … خير لا للخلاب والمنكرات
هكذا تشفق الحسان وتغدو … للذي رام قربها قاسيات
هكذا يكرم المتيّم بالور … د ولكن يُحمَى عن الوجنات
هكذا يعرض الجمال محلًّى … بجميل الأفعال والغايات

هذا ما أردنا نشره من هذه القصيدة الرشيقة لتكون أحسن مثال للديوان • طبع الشاعر ديوانه هذا وأهداه الى نقولا بك توما المحامي لما شاهد من حبه للأدب وأهله

(حديث ليلة) قصة فكاهية غرامية تأليف القصصي الفرنسي الشهير اسكندر دياس الكبير • وقد عربها الشيخ نجيب الحداد الذي كان أحسن كتاب هذا الوقت

تعريباً للقصص وطبعت فى مطبعة المعارف التي هي في مقدمة المطابع المصرية اتقاناللطبع فاجتمعت في هذه القصة محاسن التأليف والتعريب والطبع ولذلك يرجى لها الانتشار بالطبع

(المجلة المدرسية) مجلة علمية أدبية مصورة تصدر في كل شهر شمسي مرة مديرها ومحررها سيد افندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية الأهلية وقد صدر الجزء الاول منها في أول يناير سنة ١٩٠٣ في ١٦ صفحة وهو مصدر برسم سمو الخديو المعظم وفيه نبذة من تاريخ سموه ونبذة بعدها في الكلام على الأسد كأن المراد بوضعه بعده مراعاة النظير ، وتشبيه الاسد بالأمير ، في القسم الادبي منه مقالة فى (اللغة) وفي ختامه خطب وجيزة لتلامذة المدرسة التحضيرية

نحن نعرف من سيد افندي محمد شابا غيوراً على الأمة والملة مجتهداً في تهذيب تلامذة مدرسته وقد أنشأ لهم جمعية في المدرسة يتمرنون فيها على الخطابة والبحث بالقول ثم أنشأ لهم هذه المجلة ليتمرنوا بها على البحث بالكتابة والقراءة فنرجو له النجاح ونحث تلامذة سائر المدارس على قراءة مجلته ومساهمة اخوانهم في مباحثها ولعله لا يعدم من محبي العلم والادب في غير المدارس تنشيطاً واسعاداً • وقيمة الاشتراك في المجلة المدرسية ١٥ قرشاً صحيحاً في السنة

(العلم الصناعي) مجلة علمية صناعية تاريخية تصدر في كل شهر مرة لمنشئيها عبد الرحيم أفندي فوزي وحسن فهمي أفندي احمد المتخرجين في مدرسة الفنون والصنائع الخديوية • صدر الجزء الاول منها في هذا الشهر في ١٦ صفحة مطبوعا طبعاً جميلا بمطبعة الشعب على ورق جيد • وهي مفتتحة بمقالة في تاريخ الصناعة وتأثيرها (في) العمران) وتتلوها مقالة في سيرة مخترع القلم الامريكانى مصدرة برسمه وفيها نبذ أخرى في النتائج الصناعية • وقد كتب على غلاف المجلة أن مراسلاتها تكون بعنوان (الشركة الصناعية بمصر والسودان بشارع محمد على) فاذا كان هناك شركة تصدر المجلة فان النجاح يرجى لها بقدر رسوخ تلك الشركة وثباتها والا فلا بد من تنويع مباحثها ليقبل عليها صنوف القراء لأن البلاد لم ترتق الى حيث يكون فيها لكل نوع من أنواع الفنون والعلوم جريدة أو مجلة خاصة • وقيمة الاشتراك في هذه المجلة عشرون قرشاً فعسى أن تصادف إقبالا ورواجاً لتحبب الصناعة الى أهل هذه البلاد الذين هم في أشد الحاجة اليها •

(الثبات) جريدة أسبوعية علمية أدبية تهذيبية بشكل الجريدة الرسمية تصدر كل ١٥ يوما الآن وقد صدر العدد الأول منها منذ أيام وفيه مقالات في (شبان الغرب

وشبان الشرق) ونبذة في محاسن الاخلاق وأخرى في أشهر ملوك العالم • أما صاحبها فقد كتب اسمه عليها هكذا (ا • عبد الحميد) ولكنه أرسل الينا مع العدد الأول رقيما علمنا منه أن الالف اشارة الى (ابراهيم) فانتقدنا ذلك منه ولعله يصرح باسمه فى الأعداد الآتية • وأما قيمة الاشتراك فيها فهي ١٥ قرشاً صحيحاً فى السنة • فنتمنى له التوفيق ولجريدته الانتشار

﴿ إعجاز أحمدي — أو سخافة جديدة لمسيح الهند ﴾

كل يوم تبتدي صروف الليالي خلقاً من أبي سعيد غريبا

وأبو سعيد هذا الزمان هو غلام أحمد القادياني المفتون بنفسه ، المغلوب على عقله وحسه ؛ فهو كل يوم يأتينا بخُلق غريب ، وخَلْقٍ من إفكه عجيب ، ففى الشهر الماضي أرسل الينا قصيدة من المخزيات ، ولكنه نظمها فى سلك ما يدّعيه من المعجزات ، وجعل لها مقدمة هذيانية ، ولكنها باللغة الاوردية ، وأرسل لنا معها منشوراً باللغة الانكليزية ، يقول فيه انه أوتي من البلاغة فى العربية ما لم يؤته أحد من العالمين ، وانه يتحدى بقصيدته هذه جميع المطاعين ، ومن يعارضها في الهند من شعراء العربية ، يُعطى عشرة آلاف روبية ، ولم يذكر لنا الحاكم الناقد ، الذي تعرض عليه القصائد ، ليميز بين سحر البيان ، وبين اللغو والهذيان ، وقد أخرنا الكتابة في هذه السخافة الجديدة لاننا كنا عازمين على قراءتها كلها وإظهار ما فيها من الأغلاط اللغوية والنحوية والصرفية والعروضية والتنبيه على ما فيها من السرقات الشعرية ، التي ساخها من كلام فحول الرجال ، ومسخها ولا غرو أن يظهر المسخ على يد المسيخ الدجال ، ثم بدا لنا ان هذه الانتقادات ليست بضرورية ، عند العارفين باللغة العربية ، فان عرض القصيدة عليهم يكفي لمعرفة دركها فى السخافة • وأما المخدوعون به من الأعجمين فى الهند فلا يفهمون انتقادنا اذا هو وصل اليهم لذلك نذكر هنا أبياتاً من القصيدة ونترك للقراء الضحك منها ومن غرور المستدل بها على دعوى المسيحية قال

أيا أرض مُدٍّ قد دفاك مدمِّر وأرداك ضلّيل وأغراك موغر
دعوتِ كذوبا مفسداً صيدي الذي كحوت غدير أخذه لا يعزّر
وجاءكِ صحبي ناصحين كأخوة يقولون لا تبغوا هوًى وتصبّروا
فظل أُسارى كم اسارى تعصب تريدون من يعوي كذئب ويختر
فجاؤا بذئب بعد جهد أذابهم ونعني ثناء الله منه ونظهر

فلما أتاهم سرهم من تصلف   وقال افرحوا اني كميّ مظفر
وقال استروا أمري واني أرودهم   أخاف عليهم أن يفروا ويدبروا
وارضى الائام اذا دنامن أرضهم   على النار مشاهم وقد كان يبطر

ومنها في هجو منكر عليه

فلما اعتدى وأحس قومي أنه   يصرّ على تكذيبه لا يقصر
دعوه ايبتهلن لموت مزوّر   مضل فلم يسكت ولم يتحسر
وكذب إعجاز المسيح وآيه   وغلطه كذباً وكان يزور

ثم قال هذه الأبيات التي كتب بإزائها في الهامش انها وحي من الله تعالى

فقدسرني في هذه الصورصورة   ليدفع ربي كلما كان يحشر
فألفت هذا النظم أعني قصيدتي   ليخزي ربي كل من كان يهذر
وهذا على اصراره في سؤاله   فكيف بهذا السُّئل أغضى وأنهر
وليس علينا في الجواب جريمة   فهدي له كالأكل ما كان يبذر
فان اك كذاباً فيأتي بمثلها   وان اك من ربي فيغشى ويثبر
وهذا قضاء الله بيني وبينهم   ليظهر آيته وما كان يخبر
قطعنا بهذا دابر القوم كلهم   وغادرهم ربي كغصن تجذر
ارى ارض مُدّقد اريد تبارها   وغادرهم ربي كغصن تجذر
أيا محسني بالحمق والجهل والرُّغا   رويدك لاتبطل صنيعك واحذر
اتشتم بعدالعون والمن والندى   اتنسى ندى مدٍّ وما كنت تنصر
ترى كيف أغبرت السماء بآيها   اذا القوم آذوني وعابوا وغبّروا
فلا تخير سبل غيّ وشقوة   ولا تجلن بعدالنوال وفكر

﴿ سخافة أخرى لمسيخ الهند الدجال ﴾

قلنا انه أرسل الينا في الشهر الماضي قصيدته الإعجازية ونقول أيضاً انه أرسل الينا في هذا الشهر رسالة باللغة الانكليزية كتبها باسم ملك الانكليز لا باسم الله وجعلها خدمة للدولة الانكليزية في زعمه ووهمه ولكن لم يكتب في الحقيقة ماهو أضر منها على السياسة الانكليزية • وهذا شأن الصديق الاحمق يريدأن ينفع فيضر

من سياسة هذا المسيخ الدجال انه نسخ حكم الجهاد في الاسلام لكيلا تعارضه الدولة الانكليزية في دعوته ظناً منها انه يؤلف عصبية دينية للخروج عليها في الهند كما

يفعل أمثاله الدجالون الذين يدعي كل خارج منهم انه المهدي المنتظر • وقد كتب في هذا المعنى كثيراً • وانما كانت كتابته في هذه الرسالة وأمثالها ضارّة ومناقضة للسياسة الانكليزية لأنه يقول فيها ان جميع علماء المسلمين يقولون بوجوب الجهاد الديني وانهم جهلاء مخطئون في هذه الدعوى • فاذا انتشرت هذه الرسالة وقرأها الناس فربما تحرك نفوسهم الى الأمر الذي تصرح الرسالة بان العلماء مجمعون عليه ولا تلتفت الى تخطئة خارجي مثل غلام أحمد القادياني لهم •

وأما الرأي الأفين الذي أشار به على الحكومه الانكليزية وهو جمع مؤتمر من العلماء للنظر في مسألة الجهاد واستقراء أدلتها في الكتاب والسنة ليظهر لهم انه غير واجب فيقرروه — فهو رأي لاترضى به سياسة حكيمة كالسياسة الانكليزية ولا هي محتاجة اليه • أمّا عدم رضاها به فلأنه اذا قرر العلماء خلاف مايقول غلام أحمد الدجال فيخشى من وقوع فتنة عظيمة • وأما عدم حاجتها اليه فلأن أهل الهند راضون من حكومتهم ولا يخطر في بالهم الخروج عليها وحسبها هذا منهم • ولو كان هذا الدجال يجتنب هذه الأوحال، لكان أسلم له على كل حال،

باب الأخبار والآراء

﴿ الحجّ في هذا العام ﴾

أمرت حكومة تونس وحكومة الجزائر الفرنسية بمنع الحج في هذا العام لئلا يحمل الحجاج من بلاد الحجاز جراثيم الوباء الموهوم الى بلادهم فَتَفَشّى بهم وأرادت حكومة مصر أن لا يحج في هذا العام الا الأغنياء القادرون على الاحتياطات الصحية اذا نزل البلاء ووقع الوباء واحتيج الى النفقة الواسعة فأمرت بالزام كل من يريد الحج بدفع خمسين أو سبعين جنيهاً للحكومة تكون أمانة عندها تنفق عليه منها ما تنفقه بقدر الحاجة وترد اليه ما يبقى بعد عودته اذا عاد وبقي من المال بقية

ضمنت الحكومة للحجاج بازاء ذلك القيام بجمع شؤنهم في السفر • وقد استكثر الناس هذا القدر من المال واعتقد الأكثرون أن الغرض منه التنفير عن الحج والتمهيد لمنعه ولذلك طلب مجلس الشورى من الحكومة أن تنقص منه فلم تقبل

والناس في استياء عظيم من جراء ذلك وقد كتبوا من جهات متعددة يشكون للحكومة بل لمستشاريها ومديريها من الانكليز ثقل ذلك المال المفروض وأكثر الشكوى كانت لمستشار نظارة الداخلية ولكنها لم تغن شيئاً . على ان الوقت لم يفت واللورد كروم صاحب النقض والابرام فى السودان

ولقد كان في هذا العمل فرصة للانكليز يمكنون بها ميل المصريين عامة اليهم لو اغتنموها وخففوا من المال المفروض شيئاً . ولعل الذي يمنعهم من تلبية الأهالي وسماع شكاويهم هو لغط أحداث السياسة بالمسألة ونشر تلك الشكاوي في بعض الجرائد المتطرفة على ما فيها من الطعن بالحكومة الاسلامية التي فرضت ذلك المال بالاتفاق . فكأن مستشار الداخلية خجل من أن يطلب من هذه الحكومة الرجوع عن شيء قررته وكان هو راضياً به لأن الامة التجأت اليه وحده دون الأمير ودون نظار حكومته بل مع التعريض بذمهم والطعن بدينهم .

ولو أراد المصلحة من أشرنا اليه من أحداث السياسة لما نشر في جريدته كلمة من شكاوي الأهالي الجارحة لثلاثة أمور (أحدها) ان نشرها يثبت ان قلوب الاهالي انحرفت عن الحكومة الخديوية الاسلامية ولم يبق لها رجاء تتيممه في مصلحة من مصالح دينها ودنياها الا المحتلون (ثانيها) ان نشرها يكون صادًّا للمحتلين عن إغاثة الناس لعلمهم بأن ذلك يتضمن إهانة الحكومة على لسان من يفتخر دائماً بالطعن فى الحكومة وفي المحتلين بسبب وبدون سبب ويرمي الجميع بسوء القصد . فلا يرضى المحتلون أن يغيثوا الأهالي ليفتخر ذلك الحدث الصغير ، بأنه كان الحامل لهم على ذلك بما لجريدته من قوة التأثير ، (ثالثها) ان نشرها فى الجرائد ينتهي بإقرار من نشرها وتسجيله كون المحتلين هم الغوث الوحيد للمسلمين والقائمون بمصالحهم الدينية والدنيوية دون حكومة الامير الاسلامية — هذا لو أشكوا الأهالي وأجابوا طلبهم وعند ذلك لا يبقى للاحداث سبيل الى الطعن فيهم وهو بضاعتهم التي يعيشون منها .

ولذلك تعجب الناس من نشر تلك الشكاوي المفصحة عن تعلق قلوب مسلمي مصر بالانكليز من جريدة الاحداث التي تتَّجر بذمهم . قالوا : اذا كانت الجريدة لاترجو نفع تلك الشكاوي فهي ساعية في هدم سياستها الأولى وهي لا يمكن أن تحج بغيرها وان كانت لاترجو نفعها وإنما تنشر صور تلك الشكاوي لعلمها بأن نشرها يغيظ المحتلين ويحملهم مع الحكومة على الاصرار فهي لاتقصد نفع المسلمين ولا تسعى فى تسهيل الحج عليهم . وأصحاب الرأي يعلمون أن تلك الجريدة لايهمها كثر الحجاج

أو قلُّوا وانما سبب الصياح والعويل شيء واحد وهو جذب قلوب الأهالي الى الجريدة وايهامهم انها أشد غيرة عليهم وعلى دينهم من غيرها وهذا مقصد يتلاشى أمامه التفكر فى نتيجة النشر هل تكون تسجيل مدح الانكليز والطعن بحكومة الامير أو تكون الإصرار على تنفيذ ما أمرت به الحكومة . والذي لا ريب فيه ان نشر تلك الشكاوي الجارحة كلها كان ضارًّا وما كان يتصوَّر له وجه منفعة قط

أما نحن الذين لايهمنا الا تسهيل سبيل الحج لأنه عبادة لله تعالي — ونحن دعاة دين لا دعاة سياسة — فلم ينقطع أملنا من سموّ الأمير ومن حكومته لاننا نعلم انهم لم يأمروا بما أمروا به ليصدُّوا الناس عن سبيل الله . كيف وحكومة مصر لاتقاس بحكومة اسلامية أخرى كحكومة تونس مثلا لان أكبر شرف لها عند المسلمين أنها تسيّر ركبا مخصوصا للحج وتقدم كسوة الكعبة فهي مساهمة للدولة العلية في خدمة الحرمين الشريفين وهي جارة البلاد المقدسة . فحكومة عزيز مصر لا يسهل عليها أن يخدش هذا الشرف ولا أن ينتقص . ولكنها أمرت بما أمرت به لتمنع الفقراء عن الحج خوفاً عليهم وعلى البلاد في هذا العام فاذا لاحظت الآن أن الأغنياء قلّما يحجون لانهم مشتغلون بتمتعهم وهم أحرص الناس على حياة وان الخير في جميع الأمم انما يكون غالباً في الطبقة المتوسطة وأن أهل هذه الطبقة هم أقرب الى الصحة من الاغنياء لقلة الاسراف وقلة الوهم والوسواس ولكن يثقل على الاكثرين منهم أن يعطي أحدهم الحكومة خمسين جنيهاً أو سبعين غير ما يأخذه معه وما يتركه لاهله وعياله من النفقة — واذا لاحظت مع هذا أيضاً أن الأمة كلها مستاءة من ثقل هذه الفريضة وتشكو منها وتطالب تخفيفها وكل الحكومات العادلة والدستورية تحترم الرأي العامّ — فلا غرو أن يأمر مولانا الأمير أعزه الله باجتماع مجلس النظار ثم يصدرون أمراً آخر بتخفيف ما فرض أوّلا الى نصفه مثلا . والنسخ معهود في الشرائع السماوية وفى القوانين الوضعية بالأولى . يجب أن يكون الامير وحكومته محل الرجاء وغاية ما نرجو من حرية المحتلين أن لا يعارضوا في مثل هذا الامر الديني وما كانوا معارضين

اذا كان غرض الحكومة أن يكون ركب الحج في هذا العام مؤلفا من أهل اليسار فما كان أجدر الموسرين بالانتظام في هذا السلك الدريّ الذي لاخرز بين درره ولآلئه ونخص بالذكر المترفين الذين يؤخرون الحج لما يكون فيه من الزحام وقلة العناية بالنظافة لصعوبتها مع كثرة السواد من الفقراء . ولو هزّت الاريحيّة الاسلامية بعض النظّار الى الحج لكان فيمن يحج منهم هذا العام أسوة حسنة لكثير من الاغنياء

ولكان أجره بذلك عند الله مضاعفاً ومقامه في نفوس المصريين رفيعاً مشرفاً • واذا لم يبادر عدد كبير من الاغنياء الى الحج لإحياء شعائره وحفظ شرف مصر الديني فلا سلام على الاغنياء • ولا زادهم الغنى الا تعاسة وشقاء ،

الجامعة الدينية . والجامعة الوطنية

بينا رأينا في الجامعتين مرات كثيرة وأحسن ما لتبناه في ذلك وأوضحه مقالة مسهبة في المجلد الثاني من المنار عنوانها « الجنسية والدين الاسلامي » اثبتنا فيها بالبرهان المعقول ان تمسك المسلمين بدينهم واعتصامهم بعروة جامعته هو المؤلف الوحيد بين مصالحهم ومصالح من يساكنهم في بلادهم والحامل لهم على موادّة من ليس على دينهم ففيه معنى الوطنية التي يطلبها بعض عقلاء المسيحيين في الشرق لعلمهم بأن سعادته في التأليف بين شعوبه المتفرقين في الدين تفرقاً كثيراً • ومن هؤلاء العقلاء بعض أصحاب الجرائد السوريّة المسيحية في سوريا ومصر وأمريكا • ومما نعتقد فيه الاخلاص من هذه الجرائد (المناظر) ويعرف أصدقاؤنا في مصر اننا كثيراً ما فضلناها على غيرها من الجرائد العربية ونوّهنا بموضوعاتها النافعة

ومن الناس المشتغلين بالصحافة من يلغط بالوطن والوطنية بغير علم ولا هدًى منهم الذي يلقب في المنار بمحدَث السياسة فانه خلق وطنية لا يعرفها احد سماها « الوطنية الحقة » ومعناها ان يبغض المصريُّ المسلم كل من ليس مصريا لانه ليس وطنيا وان كان كالمصري فى لغته ودينه وجنسيته السياسية وهي (العثمانية) وأن لا يحب القبطيَّ المصري لانه ليس مسلماً • فهذه الوطنية الباطلة التي لا يتصور فيها العاقل الا المضرة هي التي نحمل عليها في المنار حملاتنا المعروفة واننا نرى جميع الكتاب من المسلمين والمسيحيين يوافقوننا على محاربة هذا الهذيان الضار

وقد اتفق لبعض الكاتبين السوريين في البرازيل ان كتب فى (المناظر) كتابة في الدعوة الى الوطنية ونبذ التعصبات الدينية ثم اتفق له ان رأى في المنار كلمة في « حدث السياسة » ووطنيته فظن انه المعنيُّ وطفق يرد علينا ملقبا ايانا بكهل السياسة وعساه يطلع على هذه النبذة فيعلم أنه ليس المعنيّ بالحدث واننا لسنا من السياسة في شئ واننا ان كنا ندعو المسلمين الى النهوض باسم الاسلام فانما ندعوهم الى العلم والتعليم والتربية التي تقضي بها حالة العصر لا الى السياسة وأحزابها وعصبياتها وملوكها وامرائها • نرى المسلم في تركيا وروسيا والهند والجاوه ومصر وتونس والجزائر وفى سائر الاقطار متأخراً

في العلم والتهذيب والعمل النافع ونرى ان لتقاليده تأثيراً في هذا التأخير وهو يتوهم ان ذلك من الدين ونحن نعلم ان الدين ضده فنحن ندعوه باسم الاسلام الحقيقي الى نبذ الوهم ، وتحصيل العلم ليجاري مجاوريه في سبل الحياة • ولا يمكن ان ندعوه هذه الدعوة باسم « الوطنية » لأن مجلتنا ليست سياسية ولا تجارية ولا زراعية لنحث اهل الوطن الواحد على الاتفاق في ترقية هذه الامور باسم الوطن • على اننا لا نقصر في الدعوة الى التأليف بل هو امر عرفنا به ولا نعرف كاتباً عربيا كتب فيه ما كتبنا •

التعصب الديني والجرائد والمجلات

التعصب للدين بمعنى الاعتصام به والاستمساك بعروته فضيلة هي أمّ الفضائل والتعصب بمعنى ايذاء المتدين لمن يخالفه في دينه رذيلة تتولد منها مصائب كثيرة لا سيما اذا أنشئت لهذا التعصب جرائد ومجلات تدعو اليه وتحركه • والتعصب بالمعنى الأولى قوي عند المسلمين لا يساويهم فيه أحد حتى في هذا الطور الذي هم فيه الآن طور الضعف والتأخر • والتعصب بالمعنى الثاني لا يسلم منه أهل ملة ولكنه عند المسلمين أضعف منه عند غيرهم لا سيما النصارى

أنظر تر المسلمين أكثر من تسعة أعشار أهل القطر المصري ولكنه ليس لهم جريدة دينية ولا مجلة ملية الا المنار وهو حديث العهد فيهم • والنصارى لهم فيه عدة جرائد ومجلات دينية على قلة عددهم • واقرأ هذه الجرائد والمجلات تجدها ملأى بدعوة المسلمين الى النصرانية والطعن بالاسلام ولا ترى في « المنار الاسلامي » دعوة للنصارى الى ترك دينهم والدخول في الاسلام وقد مرّت عليه ثلاث سنوات من أول نشأته وهو معرض عن الرد على المعترضين والقادحين في الاسلام على كونهم يرسلون اليه كتبهم وجرائدهم لأننا لم نكن نرى المسلمين مبالين بها فأحببنا بقاء ذلك السكون بالسكوت عنهم • ولكننا لما رأينا سوء تأثير بعض الكتب والمجلات فتحنا في المنار بابا للردّ شبهات المسيحيين ، التزمنا فيه الأدب والحجة وما كنا معتدين ،

أليس عجيباً ان تسعة ملايين من المسلمين في مصر ومئات من الملايين في غيرها لا تعرف لهم الا مجلة دينية واحدة ويوجد في كل قطر من أقطارهم جرائد ومجلات كثيرة لأولئك الشراذم الذين يساكنونهم وهم أقل منهم عدداً ومالا وتمسكا بالدين؟ نعم ان هذا عجيب وأعجب منه ان جرائد الشراذم الصغيرة تعتدي على تلك الملايين الكثيرة وتطعن بدينهم وتدعوهم الى تركه واتباع دينها • وان تعجب فهناك ماهو

أعجب من الأمرين وهو ان المسلمين يشتركون بتلك الجرائد ويعضدونها باقبالهم عليها وهم يعلمون ان النصارى لايكادون يشتركون بجريدة صاحبها مسلم ان لم تكن دينية الا لغرض شخصي ونحوه واما المجلة الدينية الاسلامية الوحيدة وهي (المنار) فليس لها من المشتركين المسيحيين الا اثنان من القبط (وكان لهم ثالث اشترك ثلاث سنين ولم يدفع شيئاً من قيمة الاشتراك فرمج اسمه) وخمسة من السوريين، وفي ذلك عبرة للمعتبرين،

ومن العبر التي هي احدى الكبر، ما جاءت به «الجامعة» في الأيام الأخر، وهو أنها تصدت للطعن في الاسلام . وفي ائمته الأعلام ، من طريقة خدمة العلم دون الدين ، ودعوى ارادة النصيحة للمسلمين ، وهي تجد مع هذا من يشترك فيها منهم بل يزعم صاحبها أنه كان بين انياب الفقر ، ومخالب الضنك والعسر ، الى أن تحرش بالمسائل الاسلامية ، وناطح بقرنه أعلام الملة الحنيفية ، فأقبل عليه المسلمون ، وهم من كل حدب ينسلون ، وما زالت تتوالى عليه منهم «الاشتراكات» ، حتى زال عنه بما لهم «الضنك والعسرات» والعبرة في هذا على تقدير صدقه ظاهرة . وأما العبرة على تقدير تمويهه وتعظيمه لشأن نفسه وبراعته في الاعلان عن جامعته فهي ان المسلمين في اعتقاد هذا الرجل قد بلغوا من الجهل والحماقة مبلغاً يستزلهم فيه بمثل هذا الكلام الى مكافئته على الطعن بدين الاسلام ،

وأكبر من هذا وأعجب مما سبقه كله أن من جرائد المسلمين في مصر وسوريا من قرّظ كتابه الذي لفقه في الطعن بالاسلام وائمته ووجه أنظار المسلمين اليه ، وحثهم عليه ، أليس من الألغاز والمعميات التي يصعب حلها على الأكثرين ان جريدة بيروتية إسلامية تقرظ كتاباً يطعن في الاسلام ويحرف كلام ائمته ليقنع المسلمين بما يقول ويزعم ان الجمع بين الرياسة الدينية والمدنية في خليفة المسلمين قاض بهدم الاسلام وتأخر أهله عن جميع الأمم ويصرح بأنه يجب على المسلمين ازالة هذا المعنى في الخلافة وجعل السلطان رئيساً مدنياً كملوك أوربا — الى آخر ما أشرنا اليه في باب الشبهات وسنوضحه بمقالة مخصوصة ؟ بلى ان هذا من عجيب (غرارة) المسلمين المشروحة في الاجتماع الثامن لجمعية أم القرى المنشور في هذا الجزء أو من عجائب تساهلهم

مع هذا كله يقولون اننا متعصبون وانهم متساهلون ، كأنه يتعذر علينا ان نرضيهم ونحن مسلمون ، « ولن ترضى عنك .. » ولا ننكر ان أصحاب الصحف المعتبرة كالهلال والمقتطف والمقطم والأهرام غير راضين عن خطأ الجامعة وفتحها أبواب التعصب على المسلمين وهم يبعدون عن جعل صحفهم دينية

الفلسفة القديمة وابن رشد

فلسفة المتقدمين من اليونان والعرب الذين جروا على آثارهم قد نسخت بالفلسفة الحديثة ولم يبق للبشر حاجة فيها الا من الجهة التاريخية فلا ينبغي تضييع الوقت بالاشتغال بنظرياتها العقيمة الا لأفراد يتفرغون لحفظ تاريخ العلوم ليعرفوا نسبة الماضي الى الحاضر وهؤلاء الأفراد لا يوجدون الا في الأمم الراقية التي أحاطت بالعلوم والفنون العصرية التي عليها مدار العمران لأن حفظ سلسلة الفلسفة والعلم من الأمور التي يسمونها كمالية وأمامها مرتبتا الأمور الضرورية والامور الحاجيّة

ولا يخفى ان أهل هذه البلاد لايزالون في المرتبة الأولى فلا يجوز ان تشتغل أفكارهم بالمرتبة الكمالية لأن ذلك تضييع للوقت وافساد للفكر . فالاشتغال بنشر فلسفة ابن رشد وأمثاله بين القارئين وترغيبهم فيها ضارٌّ بهم ولو كان ضرورياً أو حاجيًّا لطلبوه بسائق المنفعة وقرروه في مدارسهم

نعم ان ابن رشد عالم متكلم إسلامي كما هو فيلسوف فما كتبه في نسبة الفلسفة الى الدين ينبغي أن يطلع عليه المشتغلون بعلم الكلام في الازهر وغيره من المدارس الدينية وذلك هو كتابه (فصل المقال) المطبوع بمطبعة المؤيد . ولا بأس للمتوغل في علم الكلام من النظر في كتابه تهافت التهافت بعد النظر في كتاب تهافت الفلاسفة للامام الغزالي وكلاهما مطبوع بمصر في كتاب واحد وثمنه بخس

ولا يصح لعاقل أن يعتمد في فلسفة ابن رشد — اذا هو ارادها — على تلخيص مثل صاحب الجامعة من كلام رنان أو من الكتب العربية فان صاحب الجامعة شاب لم يتعلم الا مبادئ علوم المدارس في مدرسة كفتين فهو لا يفهم هذه الفلسفة ولا هو حسن القصد في بيان ما يفهمه كما علم من مقالة (الاسباب والسنن) المنشورة في هذا المنار ويعلم مما سننشره في اثبات ان دين الاسلام مبني على العقل كما صرح القرآن الكريم وقد زعم صاحب الجامعة ان الامام الغزالي وابن رشد يقولان بخلاف ذلك أي بخلاف ما ينطق به كتاب الله تعالى (حاش لله)

القوى الادبية في الشرق

يقول من يدعي القيام باحياء الآداب في الشرق بلسان صديق له مجهول إن الشرق في حاجة الى القوى الأدبية ولم يبين ما هي تلك القوى بالنص ولكنه بينها بالفحوى وهي الكذب وسوء الظن والخوض بالاعراض ومكافأة المحسن بالاساءة

والنميمة والبهتان للتفريق بين الصديق وصديقه والرصيف ورصيفه والأستاذ وتلميذه

أما الكذب فمنه نسبته ما كتبه في هذا الموضوع لغيره مع ان العبارة والأسلوب والفحوى تشهد كلها بأن ذلك له والا فمن هو ذلك الكاتب الذي يسمع عندنا القول من فلان ويسمع نقيضه منه عند ذلك المدعي ؟ ومنه أنه حكى عنا من الطعن في بعض الأصحاب والرصفاء ما نعلم انه لم يقع ونقيس عليه ما حكاه عنهم فنعلم ان كل ما قاله كذب» الخ

وأما سوء الظن فمنه أنه جزم بأن الذي أفشى سره المنبئ بسوء قصده وبعزمه على الاستمرار في عمله السيئ هو ذلك الأديب الذي ينوّه به ويمدحه ويدافع عنه والحقيقة ان السر انما ظهر من قطر غير القطر المصري فكان على محيي الآداب في الشرق أن لايجاري ظنه السيئ في صديق له ويحمل عليه تلك الحملة المنكرة

وأما الخوض في الاعراض فمنه أنه أوهم ان صديقه الذي أساء الظن به كان مستخدما قبل ماهو فيه الآن من العمل التجاري في موضع لاينبغي التصريح به وانما يشار اليه بالنقط ... مع ان الرجل لم يكن مستخدما الا في شركة الاسواق.

وأما مكافأة المحسن بالاساءة فمنها وهو أظهرها معاملته المشار اليها آنفاً مع صديقه الذي كان متفانياً في مساعدته . ومنها معاملة غيره من المحسنين بما لا حاجة الى التصريح به ويعرفه من يعرف الرجل وسيرته

وأما النميمة والبهتان فمنها زعمه ان فلانا كان يقول فى فلان كذا ويذم عمله وكذلك الآخر ولو كان كل ذلك صحيحاً لوجب كتمانه فكيف يصرح به محيي آداب الشرق وهو أفك صريح وبهتان عظيم وهذه النميمة والبهتان قد عزيت الى أسماء صريحة

﴿ أحوال العالم الاسلامي ﴾

الدولة العلية في اضطراب من زلازل الفتن في مكدونية والحاح الدول عليها بوجوب الاصلاح ومن مطالبة انكلترا لها بالاذن لسفنها الحربية أن تمر فى الدردنيل والبوسفور عند الحاجة كما أذنت لبعض السفن الروسية

والدولة المراكشية في خطر عظيم من خارج يدعى (أبا حمارة) خرج على السلطان يحاول نزع الملك منه . وقد كبرت فتنة هذا الخارج وقويت عصبيته لأن الاهلين نفروا من السلطان عبد العزيز لما يرون من ميله الى الاجانب وتنافسه في زخرف مدنيتهم . ولا شك ان السلطان عبد العزيز لم يسلك طريق الحكمة فيما وجه اليه وجهه من تغيير حال بلاده أو اصلاحها كما يقولون . وقد كنا نصحنا له ولحكومته

بالاستعانة بالدولة العلية على الاصلاح العسكري والعلمي بطلب رجال من العثمانيين المسلمين يقومون بالاصلاح — والمنار يرسل دائما الى ناظر خارجيته ولكن هذا التقاطع بين ملوك المسلمين وأمرائهم هو أصل كل بلاء ابتلوا به .

هاتان الدولتان الاسلاميتان مضطربتان وبقية البلاد الاسلامية وادعة ساكنة ليس فيها شيئ يؤثر ، ولا حادث يذكر ، اللهم الا الهند ومصر . فأما الهند فقد احتفل فيها من عهد قريب بتتويج ملك الانكليز وتسميته أمبراطور الهند وهذا الاحتفال يسمونه (الدربار) ويكون في مدينة (دلهى) عاصمة الهند الأولى . وتلا هذا الاحتفال احتفال آخر بمؤتمر التربية الاسلامية وهو خير ما يعمله المسلمون في هذا العصر لانه انفع الاشياء لهم . وأما مصر فقد احتفل فيها ثلاثة احتفالات عظيمة في مدة قريبة أحدها الاحتفال بدار الآثار والعاديات المصرية وثانيها الاحتفال بالخزان الذي بني في أصوان وثالثها احتفال المؤتمر الطبي الدولي المصري واننا نتكلم عن الاخيرين بموجز من القول

﴿ المؤتمر الطبي الاول بمصر ﴾

الغرض من هذا المؤتمر دراسة أمراض البلاد الحارة ولاشك ان مصر خير مكان يصلح ان يؤمه أطباء أوربا لهذا البحث وقد اشتركت فيه الدول العظيمة رسمياً وأرسلت مندوبين عنها يحضرونه . وقد افتتح المؤتمر عزيز مصر العباس في الملهى الخديوي (الأوبرا) في ١٩ رمضان (١٩ دسمبر) الماضي فخطب خطبة فرنسية رحب فيها بأعضاء المؤتمر وشكر الحكومات والمجامع العلمية التي لبّت دعوة حكومته وأرسلت مندوبيها الى المؤتمر ومما قاله «يجدر بي ان أفتخر بأن بلادي قد اهتمّت اهتماما حقيقياً بالسير في سبيل التقدم وفيما هو صالح ونافع لنوع الانسان ولذلك جعلت مساعيَّ موجهة دائما الى المحافظة على سيرها فى هذا السبيل»

وقد تكلم الناس في أمرين أحدهما كون خطبة الامير بالفرنسية دون لغة حكومته الرسمية (العربية) وجهل هؤلاء ان هذا الاحتفال لو كان في روسيا لما خطب القيصر فيه الا بالفرنسية التي يفهمها كل الذين يخاطبهم . وثاني الأمرين ان مختار باشا الغازي لم يحضر المؤتمر ولم ترسل الدولة العلية مندوبا آخر من الأطباء . ويقال ان هذا المؤتمر لايرضي الدولة العلية لأن من شأن مثله ان يكون فى البلاد المستقلة وكأنها ترى ان الواجب ان يكون المؤتمر بدعوة الدولة العلية لا بدعوة الحكومة المصرية بنفسها .

الخزان - أو - سدّ أسوان

اقامة السدود على الأنهار لحفظ الماء الذي يحتاج اليه في ريّ الارض قديم في البشر وكان العرب من السابقين اليه تصوّراً وعملا فسدّ مأرب فى بلاد سبأ مشهور أمره . وكان في دولة العبيديين في مصر من تصوّر بناء سدٍّ للنيل ولم يبرز ذلك للفعل . ثم أن نابليون الأول تصور هذا العمل وأراده وتكلم فيه من بعده كثير من المهندسين ولم يتم الا فى زمن هذا الامير (العباس) وبأيدي الموظفين فى حكومته والمقاولين فى بنائه من الانكليز . وقد وضع الحجر الأول من سد أسوان فى ١٢ فبراير (شباط) سنة ١٨٩٩ وضعه دوق كنوت اخ ملك الانكليز ووضعت زوجته الحجر الأخير منه فى ١٠ دسمبر (ك ١) سنة ١٩٠٢ وقد كتب على كل من الحجرين بالإنكليزية اسم واضعه والتاريخ وكون السنة سنة كذا من حكم سموّ (الخديو عباس حلمي)

طول السدّ من الشرق الى الغرب الفامتر وسمكه من أسفله نحو ثلاثين متراً ومن أعلاه ٧ أمتار ويزيد ارتفاعه عن سطح الماء عند انخفاضه على ٢٠ مترا وفيه ١٨٠ مصبًّا للماء سعة المصب نحو ٣ أمتار من الأمام ومتران من الوراء في الغالب ولها أبواب تفتح وتغلق بحسب الحاجة لحبس الماء واطلاقه . ويبلغ ما يمسكه السدّ من الماء مليار او ٦٥ مليون متر مكعب أو مليار او ١٤٠ مليون طن . وهي تفتح وتغلق بالآلات الكهربائية . وأما منافع السدّ المقدرة فهي عظيمة جداً منها احياء أرض واسعة تقدر بمئات الالوف من الفدادين ومنها التمكن من زرع نحو نصف مليون فدان مرتين في العام وذلك مما لا يزرع الآن الا مرة واحدة ومنها سدّ العجز الذي يكون من انخفاض النيل في بعض السنين .

ومن تمة منفعة هذا السدّ انه بني في أسيوط قناطر كالقناطر الخيرية عددها ١١١ قنطرة عرض كل قنطرة خمسة أمتار وارتفاعها من قاع النهر الى السطح ١٢ متراً ونصف وسمكها عند القاعدة ٢٦ متراً وفائدتها اصلاح الري فيما تحت اسيوط من الوجه القبلي

اما الاحتفال بفتح الخزان فقد كان فى رمضان الماضي ودعت الحكومة اليه وكلاء الدول وكبار الموظفين والوجهاء وكثيراً من الافرنج وكان الامير دعا دوق كنوت وزوجه . وابتدأ الاحتفال ناظر الاشغال العمومية حسين فخري باشا بخطبة فرنسية ذكر فيها وجه الحاجة الى السدّ بالاجمال والعناية فى بنائه فأجابه الأمير بخطبة فرنسية وجيزة اعترف فيها بعظمة العمل وأثنى على الناظر واعوانه الموظفين الذين شكر لهم همتهم فى مساعدته وقال « وانه ليسرني كثيراً أن أرى حكومتي تتبع اعز رغائبي وأخص ميلي فتبذل كل الجهد فى جلب الخير والسعادة للبلاد »

المجلد الخامس — الجزء الحادي والعشرون

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر يوم الجمعة غرة ذي القعدة سنة ١٣٢٠ — ٣٠ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٣)

القسم الديني

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا الى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ . ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

في هذه الآيات ضرب من ضروب التذكير غير ما سبقه ومن البلاغة والحكمة أن يجيء تالياً له ومتأخراً عنه . مهّد أولاً للتذكير تمهيداً يسترعي السمع ويوجّه الفكر ويستميل القلب وهو الابتداء بذكر النعمة مجملة والتفضيل على العالمين ولا يرتاح الانسان لحديث كحديث مناقب قومه ومفاخرهم — ثم طفق يفصل النعمة ويشرحها فبدأ بذكر فرد من أفرادها لا يقترن به ذكر سيئة من سيئاتهم وهو تنجيتهم من ظلم آل فرعون ولكنّ ذكرا كبر ضروب ذلك الظلم معه وهو قتل الأبناء يخفض من عتوّ تلك النفوس المعجبة المتكبرة التي تعتقد ان الله لا يسوّد عليها شعباً آخر وهو مع هذا لا ينفر بها عن الاصغاء والتدبر لأنه لم يفاجئها بشيء فيه نسبة التقصير وعمل السوء اليها . ثم ثنّى بذكر نعمة خاصة خالصة تسكن النفس الى ذكرها إذ لا يشوب الفخر بها تنغيص من تذكر غضاضة تتصل بواقعها وهي فرق البحر بهم وانجاؤهم وإغراق عدوهم . لاجرم ان نفوس الاسرائيليين كانت تهتز وتأخذها الأريحية عند ما تلا عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية لما فيها من الشهادة بعناية الله تعالى بهم لاسيما إذا قارنوا بين هذا التذكير وبين تذكير مشركي العرب بتلك القوارع الشديدة لم يتركها بعد هذه الهزة تجمح في عجبها وفخرها ، وتتمادى في إبائها وزهوها ، بل عقّب فذكر بعد هذه النعمة سيئة لهم كبرى ظلموا بها أنفسهم وكفروا نعمة ربهم وهي اتّخاذ العجل إلها وقدم على ذكرها خبر مواعدة موسى وهي من النعم وختمها بذكر العفو ثم قفّى بذكر نعمة إيتائهم الكتاب والفرقان وهذا ما يجعل انفس السامعين الواعين قلقة يتنازعها شعور اعتراف المذكِّر الواعظ لها بالشرف ، وشعور رميه إياها بالظلم والسرف ،

بعد هذا كله استعدت تلك النفوس لأن تسمع آيات مبدوءة بذكر سيئاتها من غير تمهيد ولا توطئة فانتقل الكلام الى هذا الضرب من التذكير وذلك قوله تعالى «وإذ قال موسى لقومه ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم» الآية . ثم قوله عز وجل «وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك» الآية . ومثلهما ما بعدهما

تكلم الاستاذ الإمام في التوبة وقال انها محو أثر الرغبة في الذنب من لوح القلب والباعث عليها هو شعور التائب بعظمة من عصاه وماله من السلطان عليه في الحال ، وكون مصيره اليه فى المآل ، لاجرم ان الشعور بهذا السلطان الإلهي بعد مقارفة الذنب يبعث في قلب المؤمن الهيبة والخشية ويحدث في روحه انفعالا مما فعل وندما على صدوره عنه ويزيد هذا الحال فى النفس تذكر الوعيد على ذلك الذنب وما رتبه الله عليه من العقوبة فى الدنيا والآخرة . هذا أثر التوبة في النفس وهذا الأثر يزعج التائب الى القيام بأعمال تضادّ ذلك الذنب الذي تاب منه وتمحو أثره السيء «ان الحسنات يذهبن السيئات» فمن علامة التوبة النصوح الإتيان بأعمال تشق على النفس وما كانت لتأتيها لولا ذلك الشعور الذي يحدثه الذنب . وهذه العلامة لا تتخلف عن التوبة سواء كان الذنب مع الله تعالى أو مع الناس . الا ترى ان أهون ما يكون من إنسان يذنب مع آخر يبالي به أن يجيء معترفاً بالذنب معتذراً عنه وهذا ذل يشق على النفس لا محالة . وقد أمر بنو إسرائيل بأشق الأعمال في تحقيق التوبة من أكبر الذنوب وهو الرغبة عن عبادة من خلقهم وبرأهم الى عبادة ما عملوا بأيديهم . وقد قال «فتوبوا الى بارئكم» لينبههم الى ان الإله الحقيقي هو الخالق البارئ ليتضمن الامر الاحتجاج عليهم والبرهان على جهلهم

ذلك العمل الذي أمرهم به موسى هو قتل أنفسهم والقصة في التوراة التي بين أيديهم الى اليوم . دعا موسى اليه من يرجع الى الرب فأجابه بنو لاوي فأمرهم بأن يأخذوا السيوف ويقتل بعضهم بعضاً ففعلوا وقتل في ذلك اليوم « نحو ثلاثة آلاف » وقال مفسرنا (الجلال) كغيره ان الذين قتلوا سبعون الفاً والقرآن لم يبين العدد والعبرة المقصودة من القصة لا تتوقف على تعيينه فنمسك عنه . كذا قال الاستاذ الإمام وهذا مذهبه في جميع مبهمات القرآن يقف عند النص القطعي لا يتعداه ، ويثبت ان الفائدة لا تتوقف على سواه ،

أما سؤال بني اسرائيل رؤية الله تعالى فقد قال الاستاذ الامام انها واقعة مستقلة لا تتصل بمسألة عبادة العجل وهي معروفة عند بني اسرائيل ومنصوصة في كتابهم . وذلك ان طائفة منهم قالوا لماذا اختُصَّ موسى وهرون بكلام الله تعالى من دوننا . وانتشر هذا القول في بني إسرائيل وتجرأ جماعة منهم بعد موت هرون وهاجوا على موسى وبني هرون وقالوا لهم ان نعمة الله على شعب إسرائيل هي لأجل ابراهيم واسحاق فتشمل جميع الشعب . وقالوا لموسى لست أفضل منا فلا يحق لك أن تترفع وتسود علينا بلا مزية وإننا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة . فأخذهم الى خيمة العهد فانشقت الارض وابتلعت طائفة منهم وجاءت نار من الجانب الآخر فأخذت الباقين وهذه النار هي المعبر عنها بالصاعقة . وقد أخذ هذا العذاب تلك الطائفة والآخرون ينظرون . وهكذا كان بنو إسرائيل يتمردون ويعاندون موسى عليه السلام وكان سوط عذاب الله يصب عليهم فرموا بالامراض والاوبئة وسلطت عليهم الهوام وغيرها حتى أماتت منهم خلقاً كثيراً فمجاحدتهم ومعاندتهم للنبي صلى الله تعالى

وآله وسلم لم تكن بدعا من أعمالهم

قال تعالى «ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون» ذهب الاستاذ الامام الى ان المراد بالبعث هو كثرة النسل أي انه بعد ماوقع فيهم الموت بالصاعقة وغيرها وظُن أن سينقرضون بارك الله في نسلهم ليعد الشعب بالبلاء السابق للقيام بحق الشكر على النعم التي تمتع بها الآباء الذين حل بهم العذاب

والعبرة الاجتماعية في الآيات ان الخطاب في كل ماتقدم كان موجها الى الذين كانوا في عصر التنزيل وان الكلام عن الأبناء والآباء واحد لم تختلف فيه الضمائر . حتى كأن الذين قتلوا أنفسهم بالتوبة والذين صعقوا بعد ذلك هم المطالبون بالاعتبار وبالشكر . وما جاء الخطاب بهذا الاسلوب الا لبيان معنى وحدة الامة واعتبار أن كل مايبلوها الله به من الحسنات والسيئات وما يجازيها به من النعم والنقم إنما يكون لمعنى موجود فيها يصحح ان يخاطب اللاحق منها بما كان للسابق كانه وقع به ليعلم الناس ان سنة الله تعالى في الاجتماع الانساني ان تكون الامم متكافلة يعتبر كل فرد منها سعادته بسعادة سائر الافراد وشقاءه بشقائهم ويتوقع نزول العقوبة به اذا فشت الذنوب في الامة وان لم يواقعها هو « واتقوا فتنة لاتصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة » وهذا التكافل في الامم هو المعراج الاعظم لرقيها لأنه يحمل الأمة التي تعرفه على التعاون على الخير والمقاومة للشر فتكون من المفلحين

بعدهذا ذكر الله تعالى نعمة أخرى بل نعمتين من النعم التي منّ بها على بني اسرائيل فكفروا بها ولكنه لم يذكر ما كان به الكفران بل طواه

وأشار اليه بما ختم به الآية من أنهم لم يظلموا الله تعالى بذلك الذنب المطويّ وإنما ظلموا أنفسهم . وهذا أسلوب آخر من أساليب البيان في التذكير وضرب من ضروب الايجاز، التي هى أقوى دعائم الاعجاز؛ أما النعمة الاولى فقوله تعالى « وظَلَّلْنا عليكم الغَمَامَ » . قال الاستاذ الامام هذه نعمة مستقلة متصلة بما قبلها في سياق الذكرى منفصلة عنها فى الوقوع فان التظليل استمر الى دخولهم أرض الميعاد . ولولا ان ساق الله اليهم الغمام يظللهم فى التيه لسفعتهم الشمس ولفحت وجوههم . وقال لا معنى لوصف الغمام بالرقيق كما قال المفسر (الجلال) وغيره بل السياق يقتضي كثافته اذ لا يحصل الظلّ الظليل؛ الذي يفيده حرف التظليل، الا بسحاب كثيف يمنع حر الشمس ووهجها . وكذلك لا تتم النعمة التي بها المنة الا بالكثيف وهو المنقول المعروف عند الاسرائيليين أنفسهم

وأما النعمة الثانية ففي قوله تعالى « وأنزلنا عليكم المنّ والسلْوى » ما منح من الله تعالى يسمى إيجاده إنزالا ومنه « وأنزلنا الحديد » على ان المن ينزل كالندى وهو مادة لزجة حلوة تشبه العسل تقع على الحجر وورق الشجر مائعة ثم تجمد وتجف فيجمعها الناس ومنها الترنجبين وبه فسر المنّ مفسرنا وغيره . وأما السلوى فقد فسروها بالسُّمَانى وهو الطائر المعروف فمعنى النزول يصح فيه على حقيقته أيضاً . وظاهر أن قوله تعالى « كلوا من طيبات ما رزقناكم » مقدّر فيه القول . وفي (سفر الخروج) أن بني اسرائيل أكلوا المن أربعين سنة وان طعمه كالرقاق بالعسل وكان لهم بدلا من الخبز وليس المراد أنه لم يكن لهم أكل سواه الا السلوى فقد كان معهم المواشي ولكنهم كانوا محرومين من النبات والبقول كما يعلم مما يأتي .

وفي قوله تعالى « وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسَهم يظلمون » تقرير لقاعدة مهمة وهي أن كل ما يطلبه الدين من العبد فهو لمنفعته وكل ما ينهاه عنه فانما يقصد به دفع الضرر عنه ولن يبلغ أحد نفع الله فينفعه ولن يبلغ أحد ضره فيضره فكل عمل ابن آدم له أو عليه « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت »

باب العقائد ورد الشبهات

(الاسلام دين العقل)

كنا ولا نزال نصرح بأن دين الاسلام هو دين العقل وحجتنا الكتاب والسنة وكلام الائمة ولكننا ابتلينا بمن يشكك المسلمين في دينهم وفي الدعاة اليه بإيهامهم ان ما نقول ليس من الدين وأنه ضارّ به لان الاسلام يجب ان يكون كسائر الاديان التقليدية عدواً للعقل وان بناءه على العقل مؤذن بهدمه كغيره وانه لو كان معقولاً لكان علما ولم يكن ديناً الى غير ذلك من التشكيك وإنما نأخذ ديننا عن الادلة العلقية والنقلية من كتاب ربنا لا عن المخالفين المشككين

بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين . وفي خلقكم وما يبثُّ من دابةٍ آياتٌ لقوم يوقنون . واُختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأيّ حديث بعد الله وآياته يؤمنون . ويلٌ لكل أفَّاكٍ أثيم . يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصِرُّ مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم .

فهذا كتاب الله يقيم الادلة والبراهين مطالباً بها أهل العقل باليقين في الايمان ؛ واليقين لايكون الا بالبرهان ، ومعرفة الشيء ببرهانه هو أعلى العلم وأقواه . ولذلك قال تعالى بعد آيات ذكر فيها أهل الكتاب : « ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون » . وقال بعد آية « هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون » والبصائر جمع بصيرة وهي الحجة توصل الى اليقين . ثم قال في الجاحدين تقليداً « وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » فنفى عنهم العلم وبيّن ان الظن لاينفع في الدين، لان المطلوب فيه علم اليقين ، كما قال في سورة أخرى « وما لهم بذلك من علم ان يتبعون الا الظنّ وان الظنّ لايغني من الحق شيئاً »

تلك آيات من سورة قصيرة تدل على ان الاسلام دين العقل وانه علم وانه يطلب فيه اليقين ولا يكتفى بالظن في الايمان بأصوله كوحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته وبعثة الانبياء ورسالة خاتمهم عليه وعليهم السلام. وقد جاء في القرآن كلمة « يعقلون » بالياء والتاء نحو خمسين مرة وفيه ذكر العقل والعقلاء في الخطاب وإقامة الآيات على الايمان بغير هذا الحرف كالنُّهى واللّب فلفظ الألباب جاء في بضع عشرة آية . لهذا كان العلم بالكون طريق الايمان والاسلام . قال عز وجل « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جُدَدٌ بيضٌ وحمرٌ مختلفٌ ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء ان الله عزيز غفور» فديننا ولله الحمد علم وكل علمنا دين لأنه يزيدنا إيماناً ومعرفة بالله سبحانه

وقد ورد في الحديث « ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم »
وأما قول المشككين ان العلم محصور في المحسوسات فكل مالا تحس به فلا يقال في عرف الفلاسفة انك عالم به فهو من المغالطة أو الجهل فإنه لاعلم يعتصم باليقين كعلم الرياضيات وبراهينها معقولة غير محسوسة .

﴿ تعارض الدليل العقلي مع الدليل السمعي ﴾

ذكرنا في المنار غير مرة ان الذي عليه المسلمون من أهل السنة وغيرهم من الفرق المعتد بإسلامها ان الدليل العقلي القطعي اذا جاء في ظاهر الشرع مايخالفه فالعمل بالدليل العقلي متعين ولنا في النقل التأويل أو التفويض وهذه المسألة مذكورة في كتب العقائد التي تدرس في الازهر وغيره من المدارس الاسلامية في كل الاقطار كقول الجوهرة

وكل نصٍ أوهم التشبيها   أوّله أو فوّض ورم تنزيها

قال الامام الرازي في تفسير قوله تعالى « لا يكلف الله نفساً الا وسعها» عند ذكر التأويل : « انه قد ثبت أنه متى وقع التعارض من القاطع العقلي والظاهر السمعي فإما ان يصدقهما وهو محال لأنه جمع بين النقيضين وإما أن يكذبهما وهو محال لأنه ابطال للنقيضين وإما ان يكذب القاطع العقلي ويرجح الظاهر السمعي وذلك يوجب تطرق الطعن في الدلائل العقلية ومتى كان كذلك بطل التوحيد والنبوة والقرآن . وترجيح الدليل السمعي يوجب القدح في الدليل العقلي والدليل السمعي معا فلم يبق الا أن يقطع بصحة الدلائل العقلية ويحمل الظاهر السمعي على التأويل » اه ثم انه أقام الدليل بهذا الوجه على المعتزلة في مسألة التكليف لانهم يتفقون مع أهل السنة فيه هذه المسألة مشهورة عند علماء المسلمين لا تحتاج الى تأييدها بنقول

ولكن فشت بيننا في هذه العصر مطبوعات المشككين في الدين فاذا نقل المسلم عبارة من أصول دينه يقولون ان هذا من عنده ولا يبعد أن يوجد من الجاهلين من يغتر بأقوالهم . وقد تقدم في مقالات « الاسلام والنصرانية » أن الاصل الثاني للاسلام تقديم العقل على النقل عند التعارض وهذا دليله من القرآن ومن كلام بعض الأئمة ولو أردنا سرد النقول من المواقف والمقاصد وسائر كتب الكلام والتفسير ومن كتب المتأخرين كحواشي الباجوري والرسالة الحميدية لأطلنا الكلام في معنى واحد

الشكوك في المسألة

فان قيل ان الامام الغزالي بعد أن أظهر تهافت الفلاسفة في أدلتهم النظرية في علم الله تعالى قال: « فإذن ليس ينفك فريق منهم عن خزي في مذهبه وهكذا يفعل الله بمن ضل عن سبيله. وظن ان الامور الالهية يستولي على كنهها بنظره وتخيله » فهل يدل هذا القول على ان الدين غير معقول أم لا

فالجواب انه ليس من مقتضى الدين ولا من مقتضى الفلسفة الوقوف على كنه الخالق وحقيقته وكنه صفات الباري وحقيقتها . واذا عجز الحكماء والعلماء عن معرفة كنه الاجسام المشاهدة فكيف يطمع الطامعون بمعرفة كنه خالق الاجسام بأدلة نظرية وتخيلات شعرية ؟ هذا شيء لم يكلفنا به الدين فيكون قول الغزالي بانكاره على الفلاسفة دليلا على أن الاسلام يكلف الناس بغير المعقول كما يزعم المشكك

ومثل هذا قوله في هذا البحث (بحث العلم الإلهي) مخاطبا للفلاسفة بعد إظهار عجزهم وتهافتهم: « المقصود تعجيزكم عن دعواكم معرفة حقائق الامور بالبراهين القطعية وتشكيككم في دعاويكم واذا ظهر عجزكم في

الناس من يذهب الى ان حقائق الأمور الإلهية لاتنال بنظر العقل بل ليس في قوة البشر الاطلاع عليها ولذلك قال صاحب الشرع صلوات الله عليه « تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله » اه

فهذه الجملة من الامام الغزالي كالجملة السابقة خاصة ببيان عجز البشر عن ادراك حقيقة الباري وحقائق صفاته وقد مرت القرون والاجيال وستمر قرون وأجيال أخرى الى ينقضي عمر البشر ولا يصلون الى معرفة حقيقة الله وحقيقة علمه وسائر صفاته . وهكذا قال صاحب مقالات (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) قال (ص ٥٤٤ من المنار): « لابد ان ينتهي أمر العالم الى تآخي العلم والدين، على سنة القرآن والذكر الحكيم؛ ويأخذ العالمون بمعنى الحديث الذي صح معناه، « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله » وعند ذلك يكون الله قد أتم دينه ولو كره الكافرون، وتبعهم الجامدون القانطون، » فكلام الامام الغزالي وكلام هذا الامام واحد لا فرق بينهما . ولو كان الاسلام كلفنا بأن نعرف كنه ذات الله تعالى وكنه صفاته لكان مكلفاً لنا بما لا يعقل ولا يستطاع ولكن الله يقول « لا يكلف الله نفساً الا وسعها »

هذا وان الامام الغزالي لم يقصد بكتاب تهافت الفلاسفة الذي نقلنا منه تينك الجملتين بيان القواعد الإسلامية وإنما قصد بيان فساد نظريات الفلاسفة في الأمور الإلهية وقد يُدفع الفاسد بالفاسد ولذلك قال قبل الجملة الثانية بأسطر (ص ٤٥): « نحن لم نخض في هذا الكتاب خوض الممهدين، بل خوض الهادمين المعترضين، ولذلك سمينا الكتاب (تهافت الفلاسفة) لا (تمهيد الحق) » فلا يصح أن يؤخذ من هذا الكتاب

مذهبه في العقائد ولا في غيرها كما نبهنا على ذلك في مقالة الاسباب والمسببات في الجزء التاسع عشر والعشرين . وإنما يؤخذ مذهبه من كتبه في العقائد والاصول وهو فيها موافق لسائر أئمة السنة من أن العقل أصل الاسلام وان براهينه القطعية لا ترد فان جاء في الشرع ما يخالفها في الظاهر فالحكم فيه ما تقدم

فان قيل : قد علمنا ان أئمة المسلمين في العقائد والاصول لم يختلفوا في أن دين الاسلام هو دين العقل فهل تعلم أن الفلاسفة الاسلاميين خرجوا عن هذا الاصل وفصلوا بين العقل والدين ؟ فالجواب كلا ان الفلاسفة أحرص على التوفيق بين العقل والشرع من غيرهم وقد ألف فيلسوف الاسلام في الغرب أبو الوليد بن رشد رحمه الله تعالى كتابا في هذه المسألة أثبت فيها ما أثبته أهل السنة من قبله . ذلك الكتاب هو (فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال) في هذا الكتاب أثبت ان الشرع الاسلامي أوجب النظر بالعقل وجعله أساسا للعقائد ثم قال (في ص ٨) ما نصه :

« واذا كانت هذه الشرائع حقا وداعية الى النظر المؤدي الى معرفة الحق فإنا معشر المسلمين نعلم على القطع انه لا يؤدي النظر البرهاني الى مخالفة ما ورد به الشرع فإن الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له . واذا كان هذا هكذا فان أدى النظر البرهاني الى نحو ما من المعرفة بموجود ما فلا يخلو ذلك الموجود أن يكون قد سكت عنه في الشرع أو عرف به . فان كان مما سكت عنه فلا تعارض هناك وهو بمنزلة ما سكت عنه من الأحكام فاستنبطها الفقيه بالقياس الشرعي . وان كانت الشريعة نطقت به فلا يخلو ظاهر النطق ان يكون موافقا لما ادى اليه البرهان فيه او مخالفا . فان كان موافقا فلا قول هناك . وان كان مخالفا طلب هناك تأويله . ومعنى التأويل هو

إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية من غير ان يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه او سببه او لاحقه او مقارنه او غير ذلك من الاشياء التي عهدت في تعريف أصناف الكلام المجازي . واذا كان الفقيه يفعل هذا في كثير من الاحكام الشرعية فكم بالحري ان يفعل ذلك صاحب العلم بالبرهان فان الفقيه انما عنده قياس ظني والعارف عنده قياس يقيني

« ونحن نقطع قطعا أن كل ما ادى اليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع ان ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي . وهذه القضية لا يشك فيها مسلم ولا يرتاب فيها مؤمن . وما اعظم ازدياد اليقين بها عند من زاول هذا المعنى وجربه وقصد هذا المقصد من الجمع بين المعقول والمنقول بل نقول انه ما من منطوق به في الشرع مخالف بظاهره لما ادى اليه البرهان الا اذا اعتبر الشرع وتصفحت سائر أجزائه وجد في الفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التاويل او يقارب ان يشهد . ولهذا المعنى اجمع المسلمون على انه ليس يجب ان تحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا ان تخرج كلها عن ظاهرها بالتاويل » اهـ المراد منه بحروفه

نقول : الله اكبر ، لمع الحق وبهر ، وظهر ان علماء المسلمين متكلميهم وفلاسفتهم ومفسريهم وفقهائهم لم يختلفوا في ان الاسلام دين العقل على العقل بني شرعه والعقل هو المخاطب به (لا القلب وحده) وظهر ان ما قاله ذلك الإمام في مقالات (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) في تعارض الادلة العقلية والنقلية ، هو المجمع عليه في الملة الحنيفية ، وهذا ما يدعو اليه المنار جهارا ، وكبر على اعداء الإسلام فمكروا مكرا كبارا ، ولن

يجدوا لهم من دون الله أنصارا،

فان قيل: ان لابن رشد كلاما آخر في «تهافت التهافت» يشبه ان يكون مخالفا لقوله هنا كقوله «الفلسفة تفحص عن كل ما جاء في الشرع فان أدركته استوي الإدراكان وكان ذلك أتم في المعرفة وان لم تدركه أعلمت بقصور العقل الانساني وان يدركه الشرع فقط»، وكقوله: «أما الكلام في المعجزات فليس فيه للقدماء من الفلاسفة قول لأن هذه كانت عندهم من الاشياء التي لا يجب ان يتعرض للفحص عنها وتجعل مسائل فانها مبادي الشرائع والفاحص عنها اوالمشكك فيها يحتاج الى عقوبة عندهم مثل من يفحص عن سائر مبادي الشرائع العامة مثل هل الله تعالى موجود وهل السعادة موجودة وهل الفضائل موجودة. وإنه لا يشك في وجودها وان كيفية وجودها هو أمر إلهي معجز عن إدراك العقول الانسانية. والعلة في ذلك أن هذه هي مبادي الاعمال التي يكون بها الانسان فاضلا ولا سبيل الى حصول العلم الا بعد حصول الفضيلة. فوجب ان لا يتعرض للفحص عن المبادئ التي توجب الفضيلة قبل حصول الفضيلة. واذا كانت الصنائع العملية لا تتم الا بأوضاع ومصادرات يسلمها المتعلم أولا فأحرى ان يكون ذلك في الامور العلمية» اهـ بحروفه

فالجواب ان هذا الكلام لا ينافي ذاك ولا يخالفه بل هو مؤيد لقوله الأول ولقول جميع أئمة المسلمين من السابقين عنه واللاحقين به الى صاحب مقالات (الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية) ولو فرضنا ان بين القولين مخالفة لكان الواجب اعتبار الأول لانه مبين لمذهبه واعتقاده هو وسائر المسلمين على سبيل القطع. وأما قوله هنا فهو حكاية

عن الفلاسفة الاولين ولا يضرنا مخالفتهم لنا مادمنا واثقين بأننا على الحق المؤيد بالبرهان. على ان ابن رشد يقول هنا ان الفلاسفة الاولين لا يعارضوننا في هذه المسائل أي ان مقتضى مذهبهم ذلك والا فقد صرح بأن ليس لهم كلام في هذه المسائل التي ذكرها فالخلاف بينه وبين الغزالي في هذا المقام محصور في نقل إنكار الفلاسفة على المليين مسألة المعجزات ومبادي الفضائل فالغزالي يسنده اليهم على الاطلاق وابن رشد يقول انه لم يبحث ذلك الا ابن سينا والخطب سهل

أما الوفاق فإنك تراه بديًّا يتكلم عن رأي الفلاسفة في الأديان ومباديها لا في الاسلام الذي هو أرقاها وهو مع ذلك يعترف بأمور لا تجعل الدين (المُطلَق) فوق العقل بمعنى أن فيه ما يحيله العقل ويقطع بعدم صحته (منها) أن ما لا تدركه الفلسفة بنظرياتها فهو دليل على ان العقل الإنساني قاصر عن الوصول اليه بنفسه فهو محتاج فيه الى إرشاد الشرع. ولا شك ان العقل الإنساني قاصر حتى اليوم عن إدراك كل ما بين يديه فهو يستخدم الكهرباء وينتفع بها ولا يعرف حقيقتها فكيف يعرف أمور الآخرة والنشأة الثانية؟ وليس معنى قولنا ان دين الاسلام معقول ان كل مسائله يمكن أن تعرف بالعقل استقلالا بل معناه انه ليس فيه شيء يحكم العقل باستحالته ككون الواحد ثلاثة والثلاثة واحداً. وكون الإله يتحد بالبشر ولولا ان هذا هو المراد لكان العقل يستقل بوضع الدين ولا يحتاج فيه الى الوحي

و(منها) قوله ان مبادئ الدين كالمعجزات أمور موجودة لا يُشكّ في وجودها. والموجود لا يكون محالا لأن المحال لا يقبل الوجود. وقوله

عنهم: ان كيفية وجودها أمر إلهي تعجز عن إدراكه العقول الإنسانية: لا يستلزم أن الدين غير معقول أو ان فيه شيئاً محالاً في نظر العقل لأن هذه الموجودات التي نحس بها ولا نشك فيها قد عجزت عقولنا عن معرفة كيفية إيجادها فعجزها عن معرفة كيفية وجود المعجزات أولى. ويسهل على كل عاقل أن يميز بين ماهو مستحيل لا يتصور العقل وجوده وبين مالا يشك في وجوده لكنه لم يصل الى معرفة كيفية حدوث هذا الوجود

و (منها) ان هذه المبادئ الدينية الموجودة الثابتة يجب أن تؤخذ بالتسليم والتقليد للشرع (لا لآراء الناس) من غير أن نسلط النظريات الفلسفية على البحث في إمكانها وفي كيفية وجودها لأن هذا البحث سفه وضار. وأي سفه وضرر أكبر من التشكيك في شيء موجود نافع للناس لصدهم عن الانتفاع به بنظريات لا قيمة لها. اي سفه اكبر من سفه من كان يماري بالموجود الثابت بالمشاهدة أو التواتر (كالمعجزات) او يلزم الانسان بأن لا يسلك طريق الفضيلة حتى يبحث بالدلائل النظرية الفكرية في إمكانها وفي كيفية حصولها وهو يرى ويشاهد أنها تحصل بالفعل وأن طريق حصولها هو العمل لا النظريات الفكرية ؟؟

وما احسن ما اورده الفيلسوف في هذا المقام أيضاً وهو :

« واما ما نسبه (أي ما نسبه الغزالي الى الفلاسفة) من الاعتراض على معجزة إبراهيم عليه السلام فشيء لم يقله الا الزنادقة من اهل الاسلام فان الحكماء من الفلاسفة ليس يجوز عندهم التكلم ولا الجدل في مبادي الشرائع وفاعل ذلك عندهم محتاج الى الأدب الشديد. وذلك انه لما كانت كل صناعة لها مبادي وواجب على الناظر في تلك الصناعة ان يسلم

مبادئها ولا يتعرض لها بنفي ولا إبطال كانت الصناعة العملية الشرعية هي أحرى بذلك لأن المشي على الفضائل الشرعية هو ضروري عندهم ليس في وجود الانسان بما هو إنسان بل وبما هو إنسان عالم. ولذلك يجب على كل إنسان ان يسلم مبادي الشريعة وان يقلد فيها ولا بد من هذا الوضع لها فان جحدها والمناظرة فيها مبطلان لوجود الانسان ولذلك وجب قتل الزنادقة. فالذي يجب ان يقال فيها ان مباديها هي أمور الهية تفوق العقول الانسانية فلا بد ان يعترف بها مع جهل اسبابها ولذلك لا تجد احدا من القدماء تكلم من المعجزات مع انتشارها وظهورها في العالم لانها مبادي تثبيت الشرائع والشرائع مبادئ الفضائل. ولا فيما يقال فيها بعد الموت. فاذا نشأ الانسان على الفضائل الشرعية كان فاضلا باطلاق فان تمادى به الزمان والسعادة الى ان يكون من العلماء الراسخين في العلم فعرض له تأويل في مبدإ من المبادئ فيجب عليه ان لا يصرح بذلك التأويل وأن يقول فيه كما قال الله تعالى « والراسخون في العلم يقولون آمنا به » هذه حدود الشرائع وحدود العلماء » اه بحروفه من (ص١٢٩)

حقا أقول ان هذا مايصح ان يسند الى الحكماء العقلاء وانا نوضحه بمثال آخر طالما ذكرناه في مباحثنا مع الاخوان وهو ان الطب علم قد ثبتت فائدته للناس بالتجربة والمشاهدة فمن الحماقة وسفه الرأي أن يقال للمريض عليك ان لاتقبل من الطبيب علاجا حتى تبحث أولاً عن مبادي الطب وتثبت بالادلة النظرية انه نافع ومفيد ثم تعرف الدواء الذي يصفه لك الطبيب ماهو وما نسبة بعض أجزائه الى بعض وكيف يؤثر في مقاومة المرض وما الدليل العقلي على تأثيره وما أشبه ذلك

كذلك يكون أفين الرأي من يقول للناس عليكم ان تبحثوا قبل الايمان عن أسباب المعجزة الثابتة التي رأيتموها أو نقلت اليكم بالتواتر حتى كانكم كنتم حاضريها كيف أوجدها الله تعالى ثم تبحثوا أيضاً عن كل ماجاء في الشرع لتعلموا بالدليل النظري لم كان كذلك وكيف كان وبعد ذلك كله آمنوا اذا عرفتم كل المسائل بالدليل النظري ولا تؤمنوا اذا لم تعرفوها يفتك المرض بمريض الجسد حتى يكون حرضاً أو يكون من الهالكين ولا يقدر ان يقف على دقائق الطب بالنظر والاستدلال وهو كسبي كله وضعه أمثاله من الناس بالنظر والتجربة . وكذلك تفتك الرذائل والعقائد الباطلة بمريض النفس فتجعله مصيبة على نفسه وعلى الناس ولا يصل بالنظر الى هذه الكيفيات فبقي ان الصواب ماقرره الاسلام وهو أن النظر واجب في الاصول التي تثبت بها معرفة الله تعالى وصحة النبوة ومتى اعتقدنا بقدرة الله وإرادته وعلمه وكونه أوحى الى بعض عبيده وألهمهم إرشاد الناس الى مايسعدهم في حياتهم الاخرى فانه يسهل علينا أن نسلم بكل مايقول الموحى اليهم (الانبياء عليهم السلام) تسليما . فان وجدنا فيه شيئاً يخالف ظاهره الدليل العقلي القطعي نرده اليه بالتأويل أو نفوض الامر فيه الى الله مع الاخذ بالدليل العقلي . هذا ماأجمع عليه أئمة المسلمين كما تقدم وهو كاف في كون الاسلام دين العقل لان المسلم لايترك الدليل العقلي القاطع بحال من الاحوال .

وقد أحسن ابن رشد في رأيه أن لاتنشر التاويلات التي تظهر للراسخين في العلم بل تبقى خاصة بأهلها لئلا تكون سببا لفتح باب الجدل على العامة فيما لاتصل اليه أفهامهم من حقائق العلوم . والجدل مدعاة الشكوك ولذلك يجب تأديب المشككين والاعراض عن المجادلين

ارتقاء الاديان ، وختمها بالاسلام

(جاء في « رسالة التوحيد » للاستاذ الامام مانصه)

جاءت أديان والناس في فهم مصالحهم العامة بل والخاصة فى طور أشبه بطور الطفولية للناشئ الحديث العهد بالوجود لايألف منه الا ماوقع تحت حسه ، ويصعب عليه ان يضع الميزان بين يومه وأمسه ، وان يتناول من المعاني مالا يقرب من لمسه ، ولم ينفث في روعه من الوجدان الباطن ما يعطفه على غيره من عشيره أو ابن جنسه ، فهو من الحرص على مايقيم بناء شخصه في هم شاغل عما يلقى اليه فيما يصله بغيره اللهم الا يداً تصل الى فمه بطعام ؛ أو تسنده في قعود أوقيام ، فلم يكن من حكمة تلك الاديان ، ان تخاطب الناس بما يلطف في الوجدان ؛ أو يرقى اليه بسلم البرهان ، بل كان من عظيم الرحمة أن تسير بالاقوام وهم عيال الله سير الوالد مع ولده فى سذاجة السن لايأتيه الا من قبل مايحسه بسمعه أو بصره . فأخذتهم بالاوامر الصادعة ، والزواجر الرادعة ، وطالبتهم بالطاعة ، وحملتهم فيها على مبلغ الاستطاعة ، كلفتهم بمعقول المعنى جلي الغاية وان لم يفهموا معناه ، ولم تصل مداركهم الى مرماه ، وجاءتهم من الآيات بما تطرف له عيونهم ؛ وتنفعل به مشاعرهم ، وفرضت عليهم من العبادات ما يليق بحالهم هذه (١)

(١) المعروف الى الآن من هذه الأديان دين اليهود ومن قرأ كتبه المقدسة التي يسمون مجموعها (التوراة) يتجلى له انطباق الوصف عليهم ففيها أن الرب كان يلقب شعب اسرائيل بالشعب « الغليظ الرقبة » أي العريض القفا والمراد البليد الجافي وكان يريه الآيات والمخاوف فيخضع ثم يعود الى تمرده . وكان يعلل له الاحكام بالوقائع الخاصة كانجائه من المصريين . وكان يعاقبه على ترك أي حكم باشد العقوبة ومنها ان من يعمل يوم السبت عملا يقتل قتلا

ثم مضت على ذلك أزمان علت فيها الاقوام وسقطت ، وارتفعت ، وجرّبت وكسبت ، وتخالفت واتفقت ، وذاقت من الايام آلاما ، وتقلبت في السعادة والشقاء أياما وأياما ؛ ووجدت الانفس بنفث الحوادث ؛ ولقن الكوارث ، شعوراً أدقّ من الحس وأدخل من الوجدان ؛ لا يرتفع في الجملة عما تشعر به قلوب النساء أو تذهب معه نزعات الغلمان ؛ فجاء دين يخاطب العواطف ، ويناجي المراحم ؛ ويستعطف الاهواء ؛ ويحادث خطرات القلوب ، فشرع للناس من شرائع الزهادة مايصرفهم عن الدنيا بجملتها ويوجه وجوههم نحو الملكوت الاعلى ، ويقتضي من صاحب الحق ان لا يطالب به ولو بحق ، ويغلق أبواب السماء في وجوه الاغنياء ؛ ومانحو نحو هذا مما هو معروف • وسن للناس سننا في عبادة الله تتفق مع ما كانوا عليه ، وما دعاهم اليه ؛ فلاقى من تعلق الناس بدعوته ما أصلح من فاسدها ،

ثم لم يمض عليه بضعة أجيال حتى ضعفت العزائم البشرية عن احتماله ، وضاقت الذرائع عن الوقوف عند حدوده والأخذ باقواله ، ووقر في الظنون أن اتباع وصاياه ضرب من المحال ، فهبّ القائمون عليه أنفسهم لمنافسة الملوك في السلطان ، ومزاحمة أهل الترف في جمع الأموال ، وانحرف الجمهور الأعظم منهم عن جادّته بالتأويل ، وأضافوا اليه ما شاء الهوى من الأباطيل ، هذا كان شأنهم في السجايا -- نسوا طهارته ، وباعوا نزاهته ؛ أما في العقائد فتفرقوا شيعا ، وأحدثوا بدعا ، ولم يستمسكوا من أصوله الا بما ظنوه من أشد أركانها ، وتوهموه من أقوى دعائمها ؛ وهو حرمان العقول من النظر فيه وفي غيره من دقائق الأكوان ، والحظر على الافكار أن تنفذ الى شيء من سرائر الخلقة ، فصرحوا بان لا وفاق بين الدين والعقل ، وان

الدين من أشد أعداء العلم ؛ ولم يكف الذاهب الى ذلك أن يأخذ به نفسه بل جدّ في حمل الناس على مذهبه بكل ما يملك من حول وقوة • وأفضى الغلوّ في ذلك بالأنفس الى نزعة كانت أشأم النزعات على العالم الإنساني وهي نزعة الحرب بين أهل الدين للإلزام ببعض قضايا الدين • فتقوّض الأصل ؛ وتخرّمت العلائق بين الأهل ، وحلّت القطيعة محلّ التراحم ، والتخاصم مكان التعاون ، والحرب محلّ السلام ؛ وكان الناس على ذلك الى أن جاء دين الاسلام ؛ (*)

كان سن الاجتماع البشري قد بلغ بالانسان أشُدَّه ؛ وأعدته الحوادث الماضية الى رشده ، فجاء الاسلام يخاطب العقل ، ويستصرخ الفهم واللُّب ، ويشركه مع العواطف والاحساس ؛ في إرشاد الإنسان الى سعادته الدنيوية والاخروية • وبيّن للناس ما اختلفوا فيه ، وكشف لهم عن وجه ما اختصموا عليه ، وبرهن على أن دين الله في جميع الأجيال واحد ، ومشيئته في اصلاح شؤنهم وتطهير قلوبهم واحدة ، وأن رسم العبادة على الأشباح ، انما هو لتجديد الذكرى في الارواح ، وان الله لا ينظر الى الصور ولكن ينظر الى القلوب ؛ وطالب المكلَّف برعاية جسده كما طالبه بإصلاح سره ، ففرض نظافة الظاهر كما أوجب طهارة الباطن ، وعدّ كلا الأمرين طهراً مطلوبا ؛ وجعل روح العبادة الإخلاص ، وأن ما فرض من الأعمال إنما

(*) يرى الناظر ان الاستاذ الإمام يلصق جميع ما ابتدع في النصرانية وكان شؤما على الإنسانية ، بالرؤساء الذين خرجوا من زهادة المسيح ويدعون انهم نوابه الى مزاحمة الملوك والاستعلاء عليهم • فلا يتوهمن أحد أن مسلما يعتقد أن في دين المسيح نفسه شيئاً كان ضارًّا بذاته فيمن خوطبوا به

هو لما أوجب من التطبع بطاهر الملكات : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » « ان الإنسان خُلِقَ هلُوعاً اذا مسّه الشرُّ جزُوعاً واذا مسّه الخير منُوعاً الا المصلّين » ورفع الغنيّ الشاكر الى مرتبة الفقير الصابر بل ربما فضله عليه ، وعامل الإنسان في مواعظه معاملة الناصح الهادي للرجل الرشيد ، فدعاه الى استعمال جميع قواه الظاهرة والباطنة ، وصرح بما لا يقبل التأويل ان في ذلك رضاء الله وشكر نعمته وان الدنيا مزرعة الآخرة ولا وصول الى خير العقبى ، الا بالسعي في اصلاح الدنيا ،

....

(ثم قال) « كشف الاسلام عن العقل غمّة من الوهم فيما يعرض من حوادث الكون الكبير « العالم » والكون الصغير « الانسان » فقرّر ان آيات الله الكبرى في صنع العالم إنما يجري أمرها على السنن الإلهية التي قدّرها الله في علمه الأزلي لا يغيرها شيء من الطوارئ الجزئية ، غير أنه لا يجوز أن يُغفَل شأن الله فيها ، بل ينبغي أن يحيي ذكره عند رؤيتها ، فقد جاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فاذكروا الله »(١) وفيه التصريح بان جميع آيات الكون تجري على نظام واحد لا يقضي فيه الا العناية الازلية على السنن التي اقامته عليها »

ثم أماط اللثام عن حال الانسان في النعم التي يتمتع بها الاشخاص أو الأمم والمصائب التي يرزؤن بها ففصل بين الأمرين فصلا محكما — ثم بعد ان ذكر حال الافراد وأن ما يصيبهم قد يكون بكسبهم وقد يكون بغير ذلك قال :

(١) كسفت الشمس يوم مات ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فظن بعض الناس انها كسفت لموته فقاله رواه البخاري وغيره

«أما شأن الامم فليس على ذلك فان الروح الذي أودعه الله جميع شرائعه الالهية من تصحيح الفكر وتسديد النظر ، وتأديب الاهواء ، وتحديد مطامح الشهوات ، والدخول الى كل أمر من بابه ، وطلب كل رغيبة من أسبابها ، وحفظ الامانة ، واستشعار الاخوة ، والتعاون على البر ، والتناصح في الخير والشر ، وغير ذلك من أصول الفضائل — ذلك الروح هو مصدر حياة الامم ومشرق سعادتها في هذه الدنيا قبل الآخرة « من يرد ثواب الدنيا نؤته منها » ولن يسلب الله نعمته مادام هذا الروح فيها . يزيد الله النعم بقوته وينقصها بضعفه ، حتى اذا فارقها ذهبت السعادة على أثره ، وتبعتها الراحة الى مقرّه ، واستبدل الله عزة القوم بالذل ، وكثرهم بالقل ، ونعيمهم بالشقاء ، وراحتهم بالعناء ، وسلط الله عليهم الظالمين أو العادلين فأخذهم بهم وهم في غفلة ساهون ، « واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمرناها تدميرا » أمرناهم بالحق ففسقوا عنه الى الباطل ، ثم لا ينفعهم الانين ولا يجديهم البكاء ، ولا يفيدهم ما بقي من صور الاعمال ولا يستجاب منهم الدعاء ، ولا كاشف لما نزل بهم الا ان يلجؤا الى ذلك الروح الا كرم فيستنزلوه من سماء الرحمة برسل الفكر والذكر والصبر والشكر « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » — « سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » . وما أجل ما قاله العباس بن عبد المطلب في استسقائه « اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ، ولم يرفع الا بتوبة » على هذا السنن جرى سلف الأمة فبينما كان المسلم يرفع روحه بهذه العقائد السامية ويأخذ نفسه بما يتبعها من الاعمال الجليلة ، كان غيره يظن انه يزلزل الارض

بدعائه ؛ ويشق الفلك ببكائه ، وهو ولِعٌ بأهوائه ، ماض في غلوائه ، وما كان يغني عنه ظنه من الحق شيئاً » اهـ المراد هنا من رسالة التوحيد

﴿ تشبيه التعليم الديني بتعليم المدارس ﴾

هذا ماقاله الاستاذ الامام في رسالة التوحيد التي طبعت سنة ١٣١٥ وقرر مجلس ادارة الازهر تدريسها رسميا في الجامع الازهر . ومعلوم ان رئيس هذا المجلس هو شيخ الجامع فهو مع سائر العلماء أعضاء المجلس بل وسائر علماء الازهر متفقون على مافي هذه الرسالة . ومما تقدم عنها يعلم معنى كون دين الاسلام هو دين العقل والقرآن يشهد بهذا في عشرات ومئات من الآيات . ويعلم أيضاً ان المسلمين يعتقدون بحقيقة الديانة المسيحية وكونها جاءت اصلاحاً للناس ولكن الى أجل محدود قد انتهى واستغني عنه بالدين الاخير

تقدم ان دين الله واحد « لا نفرق بين أحد من رسله » وأن خطاب الوحي كان يختلف باختلاف استعداد الناس . فالشريعة الموسوية وماشاكلها مما كان قبلها ودرس كالمدرسة الابتدائية . والديانة المسيحية كالمدرسة التجهيزية . والديانة الاسلامية كالمدرسة العالية التي هي التعليم الأخير . وهذا لا يتضمن انتقاص اليهودية والمسيحية كما أن وجود المدارس العالية لا يقتضي انتقاص المدرسة الأولى أو الثانية لأن كلا منهما لا بد منه والغرض من الجميع واحد . ولا تنس ان التشبيه بالنسبة الى مجموع البشر في الجملة فلا يقال ينبغي أن يكون كل فرد من الناس يهوديا ثم نصرانيا ثم مسلما . وهذا الذي قلناه مؤيد بما ارشد اليه العلم الصحيح من سنة الارتقاء البشري وقد جرى الناس على ذلك بحكم تلك السنة فدخل الملايين من اليهود والنصارى

في الاسلام أفواجا وكانوا في ذلك كمن انتقل من مدرسة الى مدرسة أعلى منها. ولولا الرؤساء الذين جعلوا الدين تقليديا وجعلوا عليه سياجا من القوة الحسية والوهمية ولولا الطوارئ التي طرأت على سير الاسلام بواسطة الرؤساء من الملوك والامراء ، وفتنتهم للعلماء والفقهاء ، لما بقي للأديان الأولى من الاتباع ما يكونون به أمما كبيرة .

القسم العمومي

﴿ الاجتماع التاسع لجمعية أم القرى ويتبعه الاجتماع ١٠ و ١١ ﴾

« في مكة المكرمة يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦ »

في صباح اليوم المذكور انعقدت الجمعية وقرأ كاتبها السيد الفراتي ضبط مفاوضات اليوم السابق حسب الاصول المرعية .

قال (الاستاذ الرئيس) اننا نقرأ اليوم قانون الجمعية وقد علم الاخوان من مطالعة السانحة التي وضعتها اللجنة ان هذا القانون هو الآن في حكم قانون موقت الى أن تتشكل الجمعية الدائمة ان شاء الله وتزاول وظائفها فهي تعيد النظر فيه وتعتني بتطبيقه على الموجبات والتجربات ثم تعرضه على الجمعية العامة التي سيأتي ذكرها فيه فاذا أمضته صار حينئذ قانوناً راسخاً .

فلنقرأ الآن قضايا القانون فقرةً فقرة حتى اذا كان لأحد الاخوان ملاحظة على بعض الفقرات منه فليبدها عند قراءتها وبعد المناقشة اما أن تقبل أو ترد أو تعدّل بالأكثرية . وعلى كل حال تضبط المناقشة في سجل مخصوص يكون كشرح للقضايا يرجع اليه عند اللزوم

ثم أمر (الاستاذ الرئيس) بقراءة سانحة القانون فقرئت وجرت على بعض القضايا وبعض الفقرات منها مناقشات وتولى المدقق التركي رئيس اللجنة إعطاء الإيضاحات اللازمة عن المقاصد التي لاحظتها اللجنة فيه فقبل أكثر قضاياه وعدّل بعضها وضبطت المناقشات على حدة

وقد استغرقت مباحث القانون جلسة ذلك اليوم وكذلك جلسة الاجتماع العاشر

المنعقد يوم الاحد الثامن والعشرين من الشهر وجلسة الاجتماع الحادي عشر المنعقد مساء الأحد أي ليلة الاثنين

الاجتماع الثاني عشر

«في مكة المكرمة يوم الاثنين التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦»

في صباح اليوم المذكور انتظمت الجمعية حسب معتادها

أمر (الاستاذ الرئيس) بقراءة القانون الذي تقرر في الاجتماعات الثلاث السابقة متناً مجرداً فقريءَ وهذه صورته •

قانون جمعية تعليم الموحدين

المقدمة

قد تقرر فى الجمعية المنعقدة في مكة المكرمة في ذي القعدة سنة ست عشرة وثلاثمائة والف المسماة «جمعية أم القرى» النتائج الآتية

«١» المسلمون في حالة فتور مستحكم عام «٢» يجب تدارك هذا الفتور سريعاً والا فتنحل عصبيتهم كلياً «٣» سبب الفتور تهاون الحكماء ثم العلماء ثم الأمراء «٤» جرثومة الداءِ الجهل المطلق «٥» أضر فروع الجهل الجهل في الدين «٦» الدواء هو إنارة الافكار بالتعليم أولا وإيجاد شوق للترقي في رؤس الناشئين ثانياً «٧» وسيلة المداواة عقد الجمعيات التعليمية القانونية «٨» المكلفون بالتدبير هم حكماء ونجباء الأمة من السراة والعلماء «٩» الكفاءة لإزالة الفتور بالتدريج موجودة في العرب خاصة «١٠» يلزم تشكيل جمعية ذات مكانة ونفوذ في دائرة القانون الآتي البيان باسم «جمعية تعليم الموحدين»

الفصل الاول

[في تشكيل الجمعيه]

« قضية ١ » تتشكل الجمعية من مائة عضو منهم عشرة عاملون وعشرة مستشارون وثمانون فخريون ويرتبط بالجمعية أعضاء محتسبون لا يتعين عددهم •

« قضية ٢ » يجب أن يكون الأعضاء كلهم متصفين بست صفات عامة وهي «١» سلامة الحواس وكون السن بين الثلاثين والستين ابتداء «٢» الاسلام من أي مذهب كان من مذاهب أهل القبلة . «٣» العدالة بحيث يكون غير متجاهر بمعصية شرعية إجماعية

ولا متلبس أو معروف بخلة منافية للمرؤة . «٤» المزية بعلم أو جاه أو ثروة (*) «٥» الكتابة باتقان في لغة ما ولو عامية «٦» النشاط بأن يكون ذا همة ونجدة وحمية •

(قضية ٣) يشترط في الاعضاء العاملين والمستشارين زيادة اربع صفات على ماسبق وهي (١) القدرة على التكلم والكتابة بالعربية • (٢) إمكان الإقامة ثمانية اشهر في مركز الجمعية وهي ماعدا ذا الحجة ومحرماً وصفراً وربيعاً الاول • (٣) تفرغ العاملين للحضور في نادي الجمعية أربع ساعات في كل يوم ماعدا الجمعة وأيام الأعياد • (٤) تفرغ المستشارين لحضور جلسة يوم واحد في كل أسبوع •

(قضية ٤) يشترط في الاعضاء الفخريين زيادة ثلاث صفات وهي (١) القدرة على الكتابة في إحدى اللغات الأربع وهي العربية والتركية والفارسية والأوردية • (٢) الاستعداد لمراسلة الجمعية باحدى هذه اللغات في كل شهر مرة بمقالة أو رسالة أو فصل من تأليف يقترح موضوعه من قبل الجمعية أو هو يتخيره والجمعية تستصوبه وتقرره • (٣) الاذعان لانتقادات وتنقيحات الجمعية وتصحيحها (١)

[قضية ٥] تتشكل جمعية عامة في كل سنة مرة في أوائل ذي القعدة يدعى اليها جميع الأعضاء حتى المحتسبون فيحضرها الأعضاء العاملون مطلقاً ومن شاء من الباقين •

(قضية ٦) الجمعية العامة بالمذاكرة والانتخاب الخفي " والاكثرية المطلقة تميز المترشحين للهيئة العاملة ثم المترشحين للهيئة المستشارة •

(قضية ٧) الهيئتان العاملة والمستشارة تجتمعان وبالمذاكرة واكثرية الثلثين تميزان المترشحين منهم للرياسة ولنيابة الرياسة وللكتابة الاولى وللكتابة الثانية ولامانة المال ثم تنتخبان من المترشحين رئيساً لاجل سنة ونائب رئيس لاجل سنتين وكاتباً أول لاجل ثلاث سنين وكاتباً ثانياً وأمين مال لأجل أربع سنين

(قضية ٨) الهيئتان العاملة والمستشارة يدققون في صفات الذين يراد ان يكونوا من الاعضاء الفخريين أو المحتسبين ثم بالانتخاب الخفي " والاكثرية المطلقة يقبلون أو يردون

(قضية ٩) للهيئتين العاملة والمستشارة أن يرفعوا صفة العضوية عمن يعلم وقوع

«*» ليس المقصود من الثروة ذاتها بل إعانتها صاحبها على بعض الاخلاق الشريفة

«١» (قضية موقتة) يبتدئ تشكيل الجمعية حسبما يتسهل للمؤسس وهو يرأسها موقتاً وله أن ينيب عنه من شاء وعند ما يبلغ عدد الاعضاء المكتتبين قدراً كافياً يجمعهم لينتخبوا الهيئة العاملة والهيئة المستشارة •

حالة منه تستوجب ذلك وتحقق خفياً وتصدق بأكثرية الثلثين •

(قضية ١٠) الجمعية العامة تقوم بأربع وظائف وهي : (١) تدقيق اجمالي في جميع الاعمال التي أجرتها الجمعية في السنة الماضية • (٢) التدقيق في حساباتها الماضية • (٣) تقرير مايلزم التشبث به من الاعمال الكبيرة في السنة المستقبلة (٤) تقرير نفقات السنة القابلة •

(قضية ١١) المركز الرسمي للجمعية مكة المكرمة ولها شعبات في القسطنطينية ومصر وعدن وحائل والشام وتفليس وطهران وخيوه وكابل وكلكته ودهلي وسنغابور وتونس ومراكش وغيرها من المواقع المناسبة

(قضية ١٢) يكون تشكيل الشعبات على نمط تشكيل الجمعية المركزية مصغّراً وتكون مرتبطة تماما بالجمعية فيما عدا ماليتها وجزئيات أمورها فان لها الخيار ان تكون مستقلة المالية والادارة

(قضية ١٣) تتشكل الشعبات على التراخي ويعطي للبعض المناسب الموقع منها هيئة تصلح معها لان تتخذ عند مسيس الحاجة هي المركز الاصلي (١)

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في مباني الجمعية)

(قضية ١٤) الجمعية لاتدخل في الشؤن السياسية مطلقاً فيما عدا ارشادات وتنبيهات بمسائل أصول التعليم وتعميمه •

(قضية ١٥) ليس من شأن الجمعية ان تكون تابعة أو مرتبطة بحكومة مخصوصة على انها تقبل المعاونة أو المعاضدة من قبل السلاطين العظام والامراء الفخام المستقلين والتابعين بصفة حماة فخريين •

(قضية ١٦) لاتنتسب الجمعية الى مذهب أو شيعة مخصوصة من مذاهب وشيع الاسلام مطلقاً •

(قضية ١٧) توفق الجمعية مسلكها الديني على المشرب السلفي المعتدل • وعلى نبذ كل زيادة وبدعة في الدين • وعلى عدم الجدال فيه الا بالتي هي أحسن •

---

(١) ﴿ قضية موقتة ﴾ مركز الجمعية يكون في السنين الاولى في بور سعيد أو الكويت ثم ينتقل الى مكة بعد الرسوخ أو عند اقامة مراكش وأفغان وايران وغيرها وكالات سياسية لها في مكة وعلى كل حال يكون للجمعية يد قوية في مكة ولو خفية •

(قضية ١٨) يكون شعار الجمعية القولي [لانعبد الا الله] • وشعارها الفعلي التزام (المصالحة) على وجه السنة ووجهتها (الغيرة على الدين قبل الشفقة على المسلمين) وأهم أعمالها (تعليم الاحداث وتهذيبهم) «تراجع قضية ٤٦ و٤٧ و٤٨ » :

(قضية ١٩) أعضاء الجمعية لايتكلفون التناصر والتعاون فيما هو ليس من مقاصد الجمعية أي التعاون بالمال أو الجاه فيما بينهم الا لمن يصاب ويتضرر بسبب الجمعية.

(قضية ٢٠) تتكفل الجمعية بكفاية عدد مخصوص من أصحاب المزايا العلمية الخاصة أو العزائم الخارقة العادة بشرط ان يكونوا مجردين لاعيال لهم أو شبيهين بالمجردين

﴿ الفصل الثالث ﴾

« في مال الجمعية »

(قضية ٢١) نفقات الجمعية تبنى على غاية البساطة والاقتصاد وهي تسعة أنواع « ١ » اكمال كفاية الهيئة العاملة بما لايزيد على ستين ذهباً انكليزياً لكل واحد في السنة • « ٢ » رواتب الكتاب والمترجمين والخدم • « ٣ » أجرة محلات المركز والشعبات غير المستقلة مالية • « ٤ » نفقات البعوث المتجولة • « ٥ » نفقات المطبوعات . « ٦ » نفقات التحرير والتأليف • « ٧ » نفقات البريد والرسائل « ٨ » كفاية المذكورين فى « القضية ٢٠ » « ٩ » النفقات المتفرقة .

(قضية ٢٢) تعتمد الجمعية في الحصول على نفقاتها على جهتين فقط النصف من ربح مطبوعات الجمعية أي طبع المؤلفات الآتي ذكرها في الفصل التالي من نحو طبع المصحف الشريف بصورة متقنة للغاية تستوجب الاختصاص بطبعه والنصف الآخر من اعانات أصحاب الحمية والنجدة من أمراء وأغنياء الامة وبعض الاعضاء المحتسبين •

(قضية ٢٣) أمين المال يكون من أغنياء التجار المشهورين المقيمين في مركز الجمعية ويكون من جملة الاعضاء المستشارين ويقوم بهذه الخدمة حسبة لربه ودينه ويكون المال في يده بوجه مضمون •

(قضية ٢٤) أمين المال يعطى وصولات بمقبوضاته تكون مطبوعة مرقوما عليها عدد متسلسل في جانب منها مجموع الوارد ومجموع المصروف في تلك السنة باعتبار غاية الشهر العربي المنصرم •

(ملاحظة موقته) يكفي للجمعية في السنين الاولى مقدار خمسة آلاف ذهب (جنيه) انكليزي فقط وحصول ذلك ليس بذي بال

(قضية ٢٥) أمين المال لا يصرف شيئاً الا بورقة صرف مطبوعة عليها عدد متسلسل وموقّع عليها من القابض وكاتب الجمعية ورئيسها.

﴿الفصل الرابع﴾

«في وظائف الجمعية»

(قضية ٢٦) الهيئتان العاملة والمستشارة بالاتفاق أو اكثرية الثلثين تعيدان النظر في قانون الجمعية مرةً ابتداء ثم كل ثلاث سنين مرة وتنظمان القوانين التي تلزم ويجب مطلقا ان يكون ترتيب القوانين تابعاً لقواعد التروي والتدقيق والتأمين وترتبط كل قضية بشرح مفصل مسجل يرجع اليه • ولا يصير القانون دستوراً للعمل الا بعد قراءته في الجمعية العامة السنوية وقبوله • ويجوز للهيأتين عند الضرورة تقرير العمل بالبعض من أحكام تلك القوانين موقتاً ثم تعرض على الجمعية العامة الاسباب المجبرة على التعجيل •

(قضية ٢٧) ايقاظ فكر علماء الدين الى الامور الخمسة الآتية وتنشيطهم للسعي في حصولها ومساعدتهم باراءة أسهل الوسائل وأقربها اليها وهي •

«١» تعميم القراءة والكتابة مع تسهيل تعليمهما • «٢» الترغيب في العلوم والفنون النافعة التي هي من قبيل الصنائع مع تسهيل تعليمهما وتلقيهما • «٣» تخصيص كل من المدارس والمدرسين لنوع واحد أو نوعين من العلوم والفنون ليوجد في الامة أفراد نابغون متخصصون • «٤» إصلاح أصول تعليم اللغة العربية والعلوم الدينية وتسهيل تحصيلها بحيث يبقى في عمر الطالب بقية يصرفها في تحصيل الفنون النافعة «٥» الجدّ وراء توحيد أصول التعليم وكتب التدريس

(قضية ٢٨) السعي في تأليف متون مختصرة بسيطة واضحة على ثلاث مراتب «١» لتعليم المبتدئين أو المكتفين بالمبادئ • «٢» لتعليم المنتهين الطالبين الإتقان • «٣» لتعليم النابغين الراغبين في الاختصاص •

(قضية ٢٩) الاهتمام في جعل المتعلمين والمعلمين على أربع مراتب • «١» العامة ومعلموهم أئمة المساجد والجوامع الصغيرة • «٢» المهذبون ومعلموهم مدرسو المدارس العمومية والجوامع الكبيرة • «٣» العلماء ومعلموهم مدرسو المدارس المختصة بالعلوم العالية • «٤» النابغون ومعلموهم الافاضل المتخصصون •

(قضية ٣٠) السعي لدى أمراء الأمة بمعاملة كافة طبقات العلماء معاملة الأطباء أي بالحجر رسما على من يتصدر للتدريس والإفتاء والوعظ والإرشاد ما لم يكن مجازاً

من قبل هيئة امتحانية رسمية موثوق بها تقام في العواصم •

(قضية ٣١) التوسل لدى الأمراء أن يعطوا لاحد العلماء الغيورين في كل بلدة صفة محتسب ديني على جماعة المسلمين في تلك البلدة ويجعلوا له مستشارين منتخبين من عقلاء الأهالي وتكليف هذه الجمعية الاحتسابية بأن تقوم بالنصيحة للمسلمين بدون عنف وبتسهيل تعميم المعارف والمحافظة على الاخلاق الدينية •

(قضية ٣٢) التوسل لنيل العلماء ما يستحقون من رزق وحرمة ومنعهم عن كل ما يخل بصفتهم وشرفهم • (١)

(قضية ٣٣) التوسل لحمل أهل الطرائق على الرجوع الى الأصول الملائمة للشرع والحكمة في الارشاد وتربية المريدين • وتكليف كل فرقة منهم بوظيفة مخصوصة يخدمون بها الامة الاسلامية من نحو اختصاص فرقة كالقادرية مثلا بعول وتعليم الأيتام وأخرى بمواساة المساكين وأبناء السبيل وجماعة بتمريض الفقراء والبائسين وفئة بالتشويق الى الصلاة وغيرها بالتنفير عن المسكرات ونحو ذلك من المقاصد الخيرية الشرعية فيكون عملهم هذا عوضاً عن العطل والتعطيل •

(قضية ٣٤) حمل العلماء والمرشدين وجمعيات الاحتساب على السعي لإرشاد أفراد الأمة خصوصاً أحداثها الى قواعد معاشية وأخلاقية متحدة الاصول تلائم الاسلام والحرية الدينية وتفيد ترويض الاجسام وتقوية المدارك وتثمر النشاط للسعي والعمل وتولد الحمية والاخلاق الشريفة

(قضية ٣٥) تعتني الجمعية بصورة مخصوصة بوضع مؤلفات أخلاقية ملائمة للدين وللزمان وتكون على مراتب من بسيطة ومتوسطة وعالية بحيث تقوم هذه المؤلفات مقام مطولات الصوفية • وتقوم بوضع مؤلفات للغة وسطى عربية لا مضرية ولا عامية وجعلها لغة لبعض الجرائد ولمؤلفات الاخلاق ونحوها مما يهم نشره بين العوام فقط (١)

(قضية ٣٦) تعتني الجمعية في حمل العلماء وجمعيات الاحتساب على تعليم الامة

---

(١) كالقعود في محلات القهوة والتجول في المجتمعات وركوب الحمير ونحو ذلك مما لا يقدم عليه أمثالهم في الملل الأخرى

«٢» كالاكتفاء بالسين عن الثاء وبالزاي عن الذال والاقتصار على التثنية بالياء والجمع بالواو والنون والقصر بالألف وكقبول الوضع العامي المشهور . ه من هامش الأصل [المنار] : هذا خطأ لا حاجة اليه اذ يمكن الوصول الى المقصود باللغة الصحيحة السهلة

مايجب عليها شرعا من المجاملة في المعاملة مع غير المسلمين وما تقتضيه الانسانية والمزايا الاسـلامية من حسن معاشرتهم ومقابلة معروفهم بخير منـه ورعاية الذمة والتأمين والمساواة في الحقوق وتجنب التعصب الديني أو الجنسي بغير حق ٠

(قضية ٣٧) تنشر الجمعية رسالةً دينية عربية في كل شهر يكون حجمها نحو مائة صفحة بحيث يتألف منها كتاب في كل عام وتكون مباحثها ثمانية أنواع يخصص لكل بحث قسم منها وهى ٠

(١) مقررات الجمعية وأعمالها وخلاصة المهم من مراسلاتها مع شعباتها ٠ (٢) مباحث دينية في موضوع سماحة الدين ومزاياه الساميـة ودفع مايرمى به من منافاته للحكمة والمدنية ٠ (٣) قواعد أخلاقية ونصائح معاشـية ٠ (٤) فصول في العـلوم والفنون النافعـة والترغيب فيها واراءة طرائق تلقينها وتلقيها ٠ (٥) المقالات المفيدة التي يحررها الاعضاء الفخريون وغيرهم من فضلاء الامة ٠ (٦) الاخبار والاعلانات الخاصة بالنهضة العلمية الاسلامية ٠ (٧) الاسئلة والاجوبة المهمة ٠ (٨) مباحث وفوائد شتى ٠

(قضية ٣٨) تكون الابحاث والمقالات الدينية في الرسالة الشهرية ملاحظاً فيها إجماع السلف أو الموافقة لمذهبين فأكثر من المذاهب المدونة المتبعة ٠ ويتعـين في المسائل المهمة الخلافية بأن يقرها بعض المشهورين عن علماءِ الهداية من المذاهب المختلفة

(قضية ٣٩) تكون قيمة الرسالة معتـدلة قريبة من نفقات تحريرها وطبعها فقط وترسل الى المدارس والعلماء المشهورين بدون عوض على حساب الامراء والمحتسبين.

(قضية ٤٠) تعتني الجمعية غاية الاعتناء في إيصال الرسالة الى المرسلة اليهم بصورة منتظمة وفي ادخالها البـلاد المأهولة بالمسلمين رغماً عن كل مانع فترسل ولو براً مع روّاد على نجائب تخترق آسيا وافريقيا الى اقاصيهما ولا تعدم الجمعية وسائل كثيرة للايصال

(قضية ٢١) تخصص الجمعية لمنشوراتها وإعلاناتها أربع جرائد من أشهر الجرائد الاسلامية السياسية ٠ ١ عربية في مصر ٢ تركية في القسطنطينية ٣ فارسية في طهران ٤ أوردية في كلكته

(قضية ٤٢) تسعى الجمعية في تأسيس مدرسة جغرافية تاريخيـة دينية في مركز الجمعية لاجل تثقيف تلامذتها وتأهيلهم للسياحة والبعوث

(قضية ٤٣) ترسل الجمعية بعوثاً جغرافية وعلمية تجوّل في البلاد الاسـلامية القريبة والبعيدة للاطلاع على أحوال البلاد وأهلها من حيث الدين والمعارف ولارشادهم

الجزء الثاني والعشرون المجلد الخامس

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿مصر يوم السبت ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٢٠ — ١٤ فبراير (شباط) سنة ٩٠٣﴾

﴿ باب ردّ الشبهات عن الاسلام ﴾

(السلطتان الدينية والمدنية)

نحن المسلمين نعتقد ان دين الله تعالى واحد في جوهره وان البيان والهدى فيه انما اختلف باختلاف الأزمنة وان الناس كانوا في كل زمان يأخذون من هداية الدين بقدر استعدادهم . وأن حالة الاجتماع في الأمم السابقة كانت قاضية بإضاعة كتب الدين كلها أو بعضها اذا طال الأمد على من جاء بها وأن أقرب الملل ظهورا من الاسلام لم تسلم من هذه الاضاعة وان الإسلام هو الدين الوحيد الذي حفظ كتابه كله وظهر في وقت ارتقت فيه حالة الاجتماع حتى يمكننا ان نحكم بأنه لم تتلاش ثمرة من ثمار العقول بعد الإسلام ولن تتلاشى فهو مبدأ تاريخ جديد في البشر

قلنا ان أقرب الملل زمنا من الاسلام لم تسلم من الضياع وظاهر أننا نعني اليهودية والنصرانية فكل من الفريقين قد فقد السند المتصل لكتبه

المقدسة فهو غير موجود قولا ولا كتابة . وهذا هو المراد بقوله تعالى فيهم « أوتوا نصيباً من الكتاب » وقوله عز وجل في كل منهما « فنسوا حظاً مما ذُكّروا به » والحظ بمعنى النصيب أي أنهم حفظوا بعض ما أوتوه ونسوا بعضه . ومتى ذهب بعض الدين صار الباقي غير موثوق به وان سلم من التحريف فيه والإضافة اليه فكيف اذا لم يسلم . وقد أنزل الله تعالى القرآن « مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » والمراد بالكتاب الجنس والمهيمن المراقب الذي عنده نبأ ما يراقبه فما صدقه القرآن من تلك الكتب فهو من النصيب الذى أوتوه ، وما أخبر به وليس موجودا فهو من الحظ الذي نسوه ، وما كذبه فهو مما زادوه وأضافوه فهو الحكم العدل ، وإنه لقول فَصْلٌ وما هو بالهزل ،

وكان الواجب أن يحكموه فيما شَجَرَ ، وينتهوا عما نهى ويأتمروا بما أمر ، وكذلك فعل الموفقون ، وصدّ عنه الآخرون ، والسبب في الصدود هو السلطة الدينية التي جعل ذووها الدين لمصلحتهم تقليديا محضا عقود عقائده بأيدي الرؤساء مثل الأحبار والأساقفة يقلدونها الناس ويحمونهم سواها وينشّئون الأحداث ، من الذكران والإناث ، على اعتقاد وجوب التسليم لهم ، والرجوع في كل امر الدين اليهم ، ولا يزال أثر هذه التنشئة ظاهرا فيمن يتربى في مدارس القسيسين فتراه يناظرك في المسألة فاذا قامت عليه حجتك قال ان هذا الذي تقول ، ظاهر في نفسه ومعقول ، ولكنه من أمر الدين والقسيس يقول بخلافه ولا قول في الدين الا مايقول القسيس ولا يشترط ان يكون قوله معقولا ولا مفهوما !!

فاذا قال النصراني ان السلطة الدينية مثار التعصب الذميم ، ومبعث

العداوة والبغضاء بين الجيران والأقربين ، والحجاب دون المساواة بين أهل الوطن الواحد في الحقوق ، والقيد الذي تقيد به الإرادة والعزيمة ، والغل الذي يغلّل به العقل والفكر ، = فالمسلم يصدقه ولا ينازعه يصدقه حامداً لله تعالى أن ليس في دينه طائفة جعل لها الاسلام حق السيطرة على العقول والأرواح تودع فيها ما تشاء وتحرمها ما تشاء وتتصرف في المسلمين باسم الدين كما تشاء .

ثم يلتفت فيرى ان المسلمين الذين قلّدوا الرؤساء الروحيين عند النصارى لم يبلغوا أن صار لهم سلطة حقيقية منتظمة يحاسبون بها الأفكار على خواطرها والعقول على معارفها بل هؤلاء هم الذين كانوا يتسامحون مع الفكر والخيال مالا يتسامح غيرهم ويعدون كل معرفة تقرب من الله تعالى لأنهم يقولون : إن الله طرائق ، بعدد أنفاس الخلائق ، ثم يلتفت من جانب آخر فيرى ان هؤلاء المقلدين في السلطان الروحاني لا تعظم سلطتهم الا حيث يصغر العلم بالدين ، ولا يقوى نفوذهم الا حيث يضعف نفوذ الحكم الاسلامي ، وما عزّ لهم سلطان في مكان ، الا وكان وبالا على المسلمين والاسلام ، فان كنت نسيت حوادث مهدي السودان ، فأمامك حادثة خارجيّ مراكش الآن ،

للعلماء والعقلاء والكتاب والخطباء أن يقولوا في السلطة الدينية النصرانية ما شاؤا ، ولهم أن يسعوا في فصلها وإبعادها عن السلطة المدنية ما استطاعوا ، فإنها سلطة كانت ولا تزال ضارة حيث وجدت وتوجد وكان معظم ضررها أيام كانت مقرونة بالسلطة المدنية . لهم ان يسموها سلطة فان لها في كل مملكة رئيساً عاماً يولي سائر الرؤساء في المملكة وهؤلاء الرؤساء الذين هم أركان سلطته منبثون في كل مدينة وفي كل قرية

ولا يوجد حكام مدنيون في جميع القرى والمزارع كما يوجد هؤلاء الحكام الروحانيون . ولهم أن يقاروا هذه الحكومة ويقاوموها، ولهم أن يخضدوا من شوكتها، ويضعفوا من صولتها، ولهم أن يقولوا انه لولا فصلها عن السلطة المدنية، لما تنسمنا نسيم الحرية؛ ولهم أن يعذروا الأمة الفرنسية؛ اذا حاولت اصطلام هذه السلطة بالكلية؛ المسلم يعذرهم في كل هذا لأنه من الإصلاح الذي جاء به الاسلام كما ألمعنا في صدر هذا المقال فمن لم يأخذه من الاسلام مباشرة فله أن يأخذه من نظام الفطرة اذا هداه العلم اليه وما الاسلام الا دين الفطرة الهادي الى نظامها وسنن الله فيها

ومن الظلم البين ان يرمى الإسلام نفسه بتقرير السلطة الدينية المعروفة عند النصارى . والاسلام هو الذي أبطل كل سلطة يكون بها فريق مسيطرا على روح فريق وحاكما على حريته في غير ما يحرمه الشرع على كل رئيس ومرؤس او يطالب به كل رئيس ومرؤس . ان الذين اتبعوا سنن من قبلهم وقلدوهم في مثل هذا الامر لم يتقنوا التقليد وكان روح الاسلام مانعاً أن يبلغوا منه كل ما أرادوا . ولكن الإسلام لم يسلم من أعداء يلصقون به كل عيوبهم ويقولون عليه الكذب وهم يعلمون ، نعم انهم يعلمون أنهم يخلقون عليه إفكا لأنهم اطلعوا على ما كتبنا وكتب بعض الائمة في بيان نفي هـذه السلطة ثم يفتأون يعيبون الاسلام بها ولهم غرض يرمون اليه وراء تشكيك المسلمين في دينهم وتنفيرهم منه وقد اشرنا اليه في مقال مضى ووعدنا ببيان الحق فيه كما بيناه في غير ذلك من شكوكهم وشبهاتهم

(شاهد في الموضوع من منار السنة الاولى)

صدرنا العدد ٢٢ من منار السنة الأولى بمقالة في (سلطة مشيخة

الطريق الروحية) قلنا في أولها : « لقد أتى على الانسان في طور اجتماعه أدوار ؛ ومرت عليه أجيال وأعصار، وهو مغلول الإرادة ومقيد الجوارح بسلطتين عظيمتين قويتين للقائمين عليهما النفوذ التامّ في أفراده ، والتصرّف المطلق في آحاده ، وهما سلطة الدين وسلطة السياسة — او كما يقول أهل العصر — السلطة الروحية والسلطة الزمنية »

ثم قلنا بعد كلام في حال هاتين السلطتين وتأثيرهما وحال الأمـة التي تحكم بهما ما نصه:

« وبالجملة ان أمة هـذا شأنها تكون دائما متقلقـلة كقدح الراكب لا تثبت على حال ولا تستقر على شأن . وجميع ما انتاب الأمم من رفعـة وضعة وعلم وجهل وسعادة وشقاء فقد كان مرجعه الى تصرف الامراء والحاكمين ، والرؤساء الروحيـين ، ولقد كان الشر أغلب على الأمم من الخير والشقاء أشمل لها من السعادة لأن الرئيس الفاضل الحكيم لا يأمن من العثار واذا عثر عثرت معه الأمة وهوت وقد يهدم الرئيس الجاهـل الغوي في مدة قليلة ، ما بنته الحكماء في الأجيال الطويلة ،

ولهذا كانت سعادة البشر موقوفة في نيلها أو كمالها على تحديد القوانين والشرائع الروحية والزمنية (المدنية) وجعل الناس فيها شرعا (أي سواء) لا مزية لرئيس على مرؤس الا بما يمتاز به المرؤسون بعضهم على بعض وبما لا تقوم الرياسة بدونه كوجوب الطاعة للسلطان ولا طاعة لأحد على أحد فيما وراء الشريعة والقانون . ولكن لم تأت شريعـة سماوية ولم يوضع قانون بشري لهذا التحديد والمساواة حتى جاءت الديانة الاسلاميه فحدّدت الشريعتين (المدنية والروحية) معاً وجعلت الناس فيهما سواء لا فضل لأحد

على أحد الا بالعلم والعمل ، واقتلعت جذور الطاعة العمياء وبينت ان الدعوة الى الحق لا تكون الا بالحجة والبرهان بمثل قوله تعالى (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » فسّر العلماء البصيرة بالحجة الواضحة . وقوله تعالى « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »

« وبناء على هذا كان الصحابة يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم الرأي قائلين : هل هذا شيء قلته من عندك يارسول الله أو نزل به وحي ؟ فان قال هو من عندي جاؤا بما عندهم من الرأي وربما رجع النبي الى رأيهم كما جرى فى بعض الغزوات (منها بدر وأحد) . وأوقف أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب الامام علياً مع رجل من آحاد يهود للمحاكمة وعاتبه عليٌّ بعد المحاكمة بأنه لم يساو بينه وبين خصمه لأنه كنّاه وسمّى خصمه وفي التكنية تعظيم وتعظيم أحد الخصمين ولو بمثل هذا منافٍ للعدالة والمساواة . وراجعت امرأة عمر وهو على المنبر فى مسألة تحديد المهر محتجة عليه باية « وآتيتم إحداهنّ قِنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » فقال : أصابت امرأة وأخطأ عمر :

« وأبلغ من هذا ان النبي عليه الصلاة والسلام طعن سواد بن غزية بقدح (سهم لانصل له ولا ريش) في بطنه وهو مكشوف ليستوي فى الصفّ يوم بدر فقال : قد أوجعتني فَأقِدْني : فكشف له عن بطنه ليقتص منه فطفق يتمسح به وكان ذلك منه توسلا للتوصل الى هذا الشرف العظيم . وآذن الناس قبل موته بأن من له حق عنده فليطلبه واذا كان نحو ضرب فليقتص منه وأذن لرجل أن يضربه حين ادّعى انه ضربه يوما فقال الرجل : انني كنت عاري الكتف أو الظهر : (شك من الراوي) فألقى له الرداء عن عاتقه الشريف وكان شأنه فى ذلك شأن سواد بن غزية .

« والنتيجة ان الاسلام قرر العبودية لله وحده والحرية فى ضمن دائرة الشريعة والمساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات وإطلاق الارادة والفكر من سلطة كل زعيم وسيطرة كل رئيس روحي ومقتضى ذلك أن يكون المسلم عبدا كاملا لله حراً كاملا بالنسبة لما سواه »

هذا بعض ماقلناه فى المسألة من نحو خمس سنين وبعده كلام فى سلطة مشيخة الطريق كيف ظهرت وماذا أعقبت

(مجمل الدلائل على نفي السلطة الدينية في الاسلام)

(١) أقوى الدلائل على أنه لا سلطة دينية فى الاسلام كما فى النصرانية تحديد وظيفة الرسول في القرآن بأنه مبلّغ لا مسيطر ولا وكيل ولا جبَّار على الناس قال تعالى « إنْ عليكَ إلا البلاغ » وقال عز وجل « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء » . قال تبارك شأنه « إنك لاتَهْدي مَنْ أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » وقال عز اسمه « وما أنتَ عليهم بجبار » وقال تعالى جده « فذكّر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وقال جل جلاله « وما أنت عليهم بوكيل » فأين هذا كله من ملة يدّعي رؤساؤها أنهم وكلاء الله فى الارض . هل يقاس النقيض على النقيض ؟؟

(٢) سيرة النبي عليه السلام فقد سمعت آنفا أنه كان يقيد من نفسه ويرجع عن رأيه الى رأي أصحابه . وأعجب من هذا أنه رجح الرأي الموافق لرأيه فى مسألة أسرى بدر وكان الرأي الآخر هو الاصلح فعاتبه الله عتاباً شديداً حتى بكى عليه الصلاة والسلام

(٣) سيرة الخلفاء الراشدين كما سمعت آنفا عن عمر ويؤثر مثله عن سائرهم ولم تكن سيرتهم في المساواة وفى تحكيم الأمة بأنفسهم من مزاياهم

الشخصية وإنما هو شيء أخذوه من القرآن ومن السيرة النبوية كما علمت وإنما زيتهم أنهم فهموا الإسلام كله وكانوا أشد من غيرهم غيرة عليه وعملا به .

(٤) لو كان الاسلام شرع هذه السلطة المعروفة فى الملل السابقة عليه من البوذيين والبراهمة والاسرائيليين والنصارى او أجازها لوجد لها فى المسلمين نظام ورؤساء كما وجد عند غيرهم ولكن شيئاً من ذلك لم يوجد وإنما وجدت طائفة تصدت للتربية والإرشاد ثم انقسمت الى طوائف وجماعات ولم يكن لهم سلطة على أحد وانما يتبعهم من شاء باختياره ولم يسلموا مع ذلك من رمي الفقهاء لهم بالانحراف عن الدين ومن تفريق الحكام شملهم ولذلك لم يكن لهم ظهور الا حيث يضعف علم الدين وحكمه كما قلنا آنفاً . وأما لقب « شيخ الاسلام » فهو من اختراع الملوك والامراء الذين بعدوا عن المظهر الديني فاستعانوا بمن له هذا المظهر لأجل التأثير فى نفوس العامة المقلدين

ثم ان السلطة الدينية وجدت على حقيقتها فى طائفة الباطنية ثم وجدت لهذه الطائفة حكومة مدنية فى العبيديين (الفاطميين) ولكن مذهب الباطنية ليس من الاسلام فى شيء ولذلك لم يستطع العبيديون أن يؤيدوه بسلطتهم تأييداً ظاهراً فيقال ان السلطة الدينية قد اجتمعت مع السلطة المدنية فى طائفة تنتمي الى الاسلام في الجملة . فعلم مما تقدم أنه ليس فى الاسلام سلطة دينية فما هذا الذي يعيب الاسلام به بعض كتاب النصارى وما هذه النصائح التى توجهها تلك الاقلام الى الأمة الاسلامية لتقنعها بوجوب الفصل بين السلطتين الدينية والمدنية ؟ الجواب ان المراد بذلك ان يترك المسلمون شريعتهم كما يعلم من الفصل الآتي

الشريعة والدين في الإسلام

جرى عرف الكتاب الأوربيين ومن تبعهم من الشرقيين لاسيما كتاب النصارى بأن يطلقوا اسم الدين على مايتعلق بالاعتقاد بالله وبالوحي وما يعد به من أمور الغيب وما يفرضه من العبادة ويخصوا كلمة الشريعة بما يتعلق بالمعاملات والاحكام القضائية والمدنية والسياسية . وكل باحث فى التاريخ من هؤلاء الكتاب يعلم ان الاسلام جاء بدين وشريعة ومن ذلك قول بعضهم : إن محمداً (عليه الصلاة والسلام) كوّن في عشرين سنة أمة وجاءها بدين وشريعة ولم يتفق لغيره في العالم الجمع بين هذه الامور الثلاثة : فهؤلاء يعلمون أن الشريعة قسيمة الدين في الإسلام وان مايدين به المسلم ربه وما يعامل به الناس كله مقتبس من نور واحد وهو نور الوحي الذي أوحاه الله الى محمد عليه الصلاة والسلام

لا فرق في الاسلام بين القسم الديني البحت والقسم الشرعي الا في شيء واحد وهو ان الاعتقاد والعبادة لما كانا لا يختلفان باختلاف الزمان والمكان وأحوال الأمم وجب الاعتماد فيهما على الوحي في الجملة والتفصيل والكليات والجزئيات . وأما المعاملات الدنيوية فلاختلافهما باختلاف ما ذكر قد وضع الاسلام لها قواعد كلية وأصولا عامة وفوض استنباط الجزئيات التي تحدث الى أولي الامر العارفين بمقاصد الاسلام وبأصوله العامة وقواعده الكلية فهم يبينون الاحكام بالشورى في كل مايحدث للناس من المصالح استنباطا من تلك الاصول والقواعد . قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » فذكر أولي الامر بصيغة الجمع . وقال « ولو ردّوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه

الذين يستنبطونه منهم » ذكر أولي الأمر بصيغة الجمع أيضا وأناط بهم استنباط الحكم الذي يحتاج اليه او يتنازع فيه

ثم ان الاحكام الشرعية المنصوصة او المستنبطة تحتاج الى منفذين ولا بد ان يكون لهؤلاء رئيس لئلا تكون الأمور فوضى وقد سمي الرئيس الاول في الاسلام بعد وفاة النبي صلى عليه وسلم خليفة له وسمي من بعده أمير المؤمنين واستمر هذا اللقب . ووظيفة هذا الرئيس حماية الدين وأهله وتنفيذ أحكام شريعته فليس هو مسيطرا على الناس في دينهم ولا مستقلا بوضع الاحكام الشرعية لهم وإنما هو حافظ للنظام؛ ومنفّذ للأحكام؛ وسلطته هذه كما ترى مدنية شورية ، لا مطلقة ولا استبدادية؛ ولكن الاسلام أوجب عليه أن يعمل بالشرع وحرّم عليه أن يكون شارعاً بنفسه وأوجب طاعته بالمعروف ، كما أوجب على الأمة إزالة سلطانه ان حملها على غير المشروع؛ فصح بهذا الاعتبار أن يقال ان السلطة المدنية في الاسلام مستندة الى الدين أو انها سلطة دينية . ولكن لا يصح أن تشبه بالسلطة الدينية عند غير المسلمين ولا أن يجعل صاحبها جامعا بين سلطتين إحداهما على الأرواح والعقول والثانية على الأجسام والأعمال

هذا هو ديننا وهذه هي سلطته فبماذا يطالبنا ذلك الكاتب النصراني وبماذا ينصح لنا ؟ هو يطالبنا بأن نجعل رئيسنا المدني شارعاً ومنفذاً لما يشرعه لنا من الأحكام وينصح لنا بأن نترك شريعتنا القائمة على أصول ديننا ويزعم أن بناء الشريعة على قواعد الدين وجعل الحكام حماة للدين ومنفذين له هو الذي أزال الدولة العباسية ، وفرق شمل الأمة الإسلامية؛ ومن رأيه ان المسلمين لا ينجحون ولا تقوم لهم قائمة مادام سلطانهم مكلفا

بالعمل بشريعتهم الدينية وتنفيذها !!!!

لو جمعت كل ما ورد من الكلم في جميع اللغات ليدل على معنى التعجب وأضفت اليه كل أمارات التعجب ودلائله في الحركات والاشارات العضوية والقلمية وقدرت على تصوير جميع انفعالات المتعجبين وتأثراتهم النفسية وألصقت ذلك كله بهذه النصيحة النصرانية للأمة الاسلامية لما وفيت حق البيان في كونها عجيبة غريبة مدهشة للمتعجبين !!!

(شبهات المشكك)

(١) يقول هذا الناصح الأمين، أو المشكك في الدين: إن غرض الدين في الأرض مناقض لغرض الحكومة في الأرض فكيف يجمع الإسلام بين النقيضين؟ ونحن نقول له ان الإسلام جاء للاصلاح في الأرض وكل ما يناقض الاصلاح فهو إفساد تجب إزالته فالواجب أن يكون غرض الحكومة الاسلامية موافقا لغرض الدين الإسلامي . ومما لا خلاف فيه بين فقهاء الاسلام أن أحكامه الشرعية كلها مبنية على قاعدة « درء المفاسد وجلب المصالح » فأي حاكم من حكامنا يقدر ان يأتينا بشرع اصلح من هذا الشرع اذا نحن تركناه عملا بنصيحتك وجعلنا الحاكم هو الشارع ؟؟؟

(٢) يقول الناصح الامين ؛ او المشكك في الدين ؛ إن من التناقض بين وظيفة الدين ووظيفة الحكومة أن الدين وضع قواعد وتقاليد للعقل وطرقا لسير الفكر فقيد بذلك الحرية العلمية . والحكومة لا تكلف الانسان بأن يسير في فكره على طريق مخصوص وإنما هي حامية لحرية النفس وما يتبعها من المال والدم والشرف : ونحن نقول اذا كان دينك كذلك فدين الاسلام مناقض له غير مناقض لوظيفة الحكومة التي ذكرتها . وذلك أنه

تقرر فيه حرية العقل فلا يخرج المسلم عن حكمه في عقائده (كما بيناذلك في الجزء الماضي) وتقرر أن أحكامه ترجع الى خمس قواعد يسمونها الكليات الخمس وقد جمعها صاحب عقيدة الجوهرة بقوله:

وحفظ دين ثم نفس مال نسب ... ومثلها عقل وعرض قد وجب

(٣) يقول الناصح الأمين، أو المشكك في الدين،: يجب أن تكون الحكومة مساوية بين من تحكمهم وان اختلفت أديانهم وأن تكون حامية لهم على السواء أيضاً والدين مناقض لها في ذلك: ونحن نقول: اذا كان دينك كذلك فديننا مناقض له لا لما يجب ان تكون عليه الحكومة. وذلك ان المساواة من أصوله وقد أشرنا في الفصل السابق من هذا المقال الى مساواة عمر بين الإمام عليّ ورجل من آحاد اليهود ومطالبة عليّ له بالمساواة في اللقب أيضاً وهذه مساواة لم تصل اليها حكومة ولن تصل اليها حكومة الا ان تكون مقيمة للاسلام على حقه. وأما الحماية فمن الأصول المأثورة في ديننا هذه الكلمة الجليلة «وان نحميهم مما نحمي منه أنفسنا» وهذه الكلمة الفضلى «لهم مالنا وعليهم ما علينا»

(٤) يقول الناصح الامين، او المشكك فى الدين،: إنه ليس من شأن السلطة الدينية، الدخول في الأمور الدنيوية؛ لان الاديان شرعت لتدبير الآخرة لا لتدبير الدنيا. ونحن نقول: اذا كان دينك كذلك فديننا ليس كذلك فانه شرع لبيان مصالح الدارين، والارشاد الى طرق السعادتين، فكيف تحكم على الأديان كافة بما تعتقده في دينك؟ وهل كنت أنت الواضع للأديان كلها فتقول إني وضعت دين الاسلام هكذا أيضاً وأهله قد زادوا فيه فانا الآن أطالبهم بالرجوع الى الاصل؟ ان المسلمين

لا يقبلون منك ذلك لان انهم عرفوا الدين بأنه وضع الهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم الى ما فيه صلاحهم فى الحال؛ وفلاحهم فى المآل؛

(٥) يقول الناصح الامين، او المشكك في الدين،: ان الجميع بين السلطتين يضعف الامة ضعفا مستمراً لانه يقتضي اضطهاد العقل والذكاء ويعرض الحكومة لثورة الامة باغراء عدو يثيرها عليها ويكون سبب الشقاق الديني بين الطوائف التي تتألف منها الشعوب ويعرض الدين لأكاذيب السياسة ومفاسدها. ونحن نقول ان كل هذا قد وقع في دينه فلا ننكره وإنما ننكر قياس ديننا عليه وهو مباين له. وحسبنا ان الذي وقع عندنا هو نقيض ما وقع عندهم فان الحكومة الاسلامية التي يسميها جمعا بين السلطتين (وقد فهمت معناها) قد أعطت الامة قوة لم يقاوها فيها أحد في زمنها وما ضعفت الامة الاسلامية الا بضعف الشرع وعدم إقامته وهذا أمر لا خلاف فيه. وكذلك لم يضطهد العقل والذكاء في الاسلام فى عصر اقامة شريعة الاسلام وانما وقع شبه اضطهاد بعد ضعف الشرع والتهاون فى تنفيذه. اما الثورات التي يخافها الناصح على الحكومات الاسلامية اذا بقيت على شريعتها فهي أجدر بالوقوع اذا خرجت الحكومات عن الشريعة لأن الخروج على السلطان لا يجوز في الاسلام الا اذا خرج السلطان من الاسلام بترك الشريعة واذا أخطأ فالواجب ان ترجعه الامة عن خطاءه بالمعروف: قال صاحب عقيدة الجوهرة:

وواجب نصب إمام عدل ... بالشرع فاعلم لا بحكم العقل
فليس ركنا يعتقد في الدين ... فلا تحد عن حكمه المبين
الا بكفر فانبذن عهده ... فالله يكفينا أذاه وحده

واما الشقاق الديني بين الطوائف والملل فلم يعهد في بلاد الاسلام أيام إقامة الشريعة والعمل بها بل كانت الطوائف في هدون وسلام لأن الدين يوجب ذلك وكان معمولا به . والذي يوجب الشقاق هو جعل الدين مصلحة لرؤساء مخصوصين يناهض كل رئيس بطائفته سائر الطوائف فهو ألصق بالفصل بين السلطتين وجعل كل واحدة مستقلة لها رؤساء يديرونها منه بالجمع بينهما خصوصاً جمع الاسلام بالمعنى المتقدم . وقد ذاقت الامة النصرانية بأس هذه الرياسة وكانت هي التي ابتدعت الحرب بين طائفتين من أهل دين واحد للخلاف في الدين . ولو لم يكن لكل طائفة رؤساء مخصوصون لما وقع شيء من ذلك . وقد سرت عدوى النصرانية الى غيرها وأصاب المسلمين شرر تلك النيران فحدث بين اصحاب المذاهب شيء من الشقاق لتعصب كل طائفة لامام مخصوص وعلماء مخصوصين . وقد علمت ان رجال لدين لم تنتظم لهم في المسلمين رياسة لأن طبيعة الاسلام تأبى ذلك ولهذا لم يعظم النفور والشقاق بين أصحاب المذاهب الاسلامية كما عظم بين أرباب المذاهب النصرانية . على أن المذاهب المتعددة في الدين هي مخالفة لوضع الدين لانها تفرق فيه والله يقول « أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ويقول « إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » ولكن جاءنا من كتاب النصارى في هذا العصر من يقول ان التفرق الى شيع من طبيعة ديننا ولا علاج لهذا التفرق الا ترك حكامنا لشريعتنا !!!

وأما تعريض الدين لأكاذيب السياسة ومفاسدها اذا كانت الشريعة مستمدة من الدين فهو نقيض المعقول وخلاف الواقع فان السياسة كما قال الكاتب مبنية على الرياء والمخاتلة ولا علاج للرياء الا الدين وقد شدّد فيه

الإسلام حتى سماه « الشرك الأصغر » فاذا بُنيت السياسة على قاعدة الدين سلمت وسلم معها الدين واذا انفصلت من الدين فسدت وأفسدت الدين ولذلك استعاذ منها الإمام كاتب مقالات (الاسلام والنصرانية) بما استعاذ ووصفها بما وصف . وقد قلب الحقيقة الناصح أو المشكك فجعل انفصال الحكومة من الدين هو سبب السلامة !!!

الوحدة الدينية والوطنية

يقول الناصح الأمين ، أو المشكك في الدين ، ان الوحدة الدينية التي يطلبها الاسلام مستحيلة الوقوع ومحاولتها كان اكبر أسباب الفتن التي حدثت في الاسلام والمسيحية . ويزعم ان البشر قد ارتقوا عن طلب الوحدة الدينية التي كانت عامة فيهم الى الوحدة الوطنية وتدحرج في البيان الى ذكر فرنسا التي ارتقت فيها هذه الوحدة الجديدة التي حصر فيها سعادة البشر حتى حكمت بابطال مدارس الرهبنات وحتى حرمت على رئيسها ذكر اسم الله تعالى أو ذكر العناية الالهية في خطبه . وههنا شعر بأن هذا التدحرج قد أنهار به في هوّة الباطل فعاد يعترض على هذه « الطريقة الجديدة » ويذكر من مفاسدها . وهكذا شأن من يعرف بما لا يعرف . وقد استدل على استحالة الوحدة الدينية بما كان في أوربا من المفاسد والفتن بسببها وبعدم نجاح البابا فيها وبسعادة أوربا بعد إقامة السد بينه وبين الأحكام . ثم جرى على عادته في تشبيه الاسلام بالنصرانية فزعم ان الذي أسقط دولة بني العباس هو عجزهم عن حفظ المملكة بالوحدة الدينية وعدم اهتدائهم الى الوحدة الوطنية !!! سبحان الله ما أعلم هذا الكاتب بالتاريخ وما أقدره على استخراج طبائع الملل منه !!!

خبرونا أيها المؤرخون والمطلعون على كتب التاريخ أيّ مؤرخ قال ان سبب سقوط بني العباس هو حكمهم بالشريعة الاسلامية أو قال ان أصحاب الملل المختلفة في بلادهم كانوا ساخطين على الحكم بالشريعة وطالبين أن تستبدل بها قوانين غيرها يضعها الحكام أو المحكومون وأنهم لذلك ثاروا على الدولة حتى أسقطوها بالحروب الأهلية التى مثارها التعصبات الدينية ؟ لم يقل بذلك عالم ولا جاهل وانما هو زعم افتحره وافتجردوا اخترعه وابتدعه ناصح المسلمين الامين أو مشككهم في الدين

لسقوط دولة العباسيين أسباب أهمها أمران ذكرهما مؤرخ الدولة العثمانية الأكبر جودت باشا ناظر العدلية (رحمه الله تعالى) قال بعد ما ذكر فضل المأمون في ترويج العلوم وتوسيع نطاق المدنية ماتعريبه « الا أنه أخطأ خطأ بينا في أمر يتعلق بتدبير المملكة وهو انه أعطى ولاية خراسان لرجل يسمى طاهرا مكافأة له على قتل أخيه الأمين فاتخذ نيسابور عاصمة لها وجعلها موروثة له ولأعقابه من بعده فكان ذلك باعثا على إزالة رهبة الخلافة من صدور العمال، وسبباً في الخروج عن الطاعة والنزوع الى الاستقلال، ثم جاء بعده الخليفة المعتصم فجمع بعض الاحداث من الترك وجعلهم عسكراً خاصاً به ولما اشتد ساعدهم خرجوا عن طاعته وأحدثوا ثورات هائلة كما وقع قديماً في عسكر قياصرة رومية »

وظاهر أن ماعمله المأمون مخالف للشريعة الاسلامية ومناف للوحدة الدينية . وأن ماعمله المعتصم كان لإخلاله بأصول الاحكام الاسلامية من الشورى وكفالة الامة للامام والتحري فى اتخاذ البطانة فقد قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودّوا ماعنتّم »

الآية . وللمفسرين وجهان في قوله « من دونكم » قيل هم المنافقون وقيل الكافرون . وكان أولئك الاحداث أحد الفريقين فإنهم اتُّخذوا بطانة ولما يدخل الايمان في قلوبهم كما علم من مقالات (الاسلام والنصرانية) وقد تحقق فيهم قوله تعالى « لا يألونكم خبالا ودّوا ما عنتم » ولكنّ ناصحنا الامين حرف قول الإمام في هذا المقام الى فتنة سياسية فزعم أن مراده الحكم بأن الترك والفرس لا يعتدّ باسلامهم وان الدين خاصّ بالعرب أي أنه لا يعتد باسلام مثل البخاري ومسلم وأبي حنيفة والغزالي الخ !!! نعوذ بالله نعوذ بالله

ياحسرة على أعداء الشريعة الاسلامية التمسوا لها عيباً فيها فأعياهم وأعوزهم، فالتمسوه في المقيمين لها (كأبي بكر وعمر) فأعياهم وأعجزهم؛ فنقبوا عنه فيمن انحرفوا عن صراطها فنكبوا فأصابوه وألصقوه بها وقالوا إنها شريعة ضارة يجب تركها واختراع شريعة بدلها !!!

كانت رابطة الوحدة في الاجتماع البشري محصورة في البيوت (العائلات) ثم اتسعت فصارت فى القبائل ثم اتسعت بناموس الترقي فكانت الشعوب والامم الكبيرة التي وحدتها الجنسية باللغة او الدين او البلاد (الوطن) وكان الدين خاصا لا يتعدى الشعب الذي وجد فيه الى أن ظهر الاسلام فان في الاناجيل المعتمدة عند النصارى الى اليوم ان المسيح عليه الصلاة والسلام قال : « لم أرسل الا الى خراف اسرائيل الضالة » وقال « ماجئت لأنقض الناموس وانما جئت لاتمم » والناموس هو شرع الاسرائيليين الخاصّ بهم وتتميمه ببيان الحق فيما اختلفوا فيه منه وفي بيان اسراره والتوسع في القسم الروحاني منه . وأما ما ينقلونه عنه من انه قال « اكرزوا بالانجيل

في الخليقة كلها » فهو مخالف لما تقدم في الظاهر ويمكن أن يتفق معه بجعل (أل) في الخليقة للعهد أي الخليقة المعهودة وهي الأمة الاسرائيلية حيث كانت وأين وجدت

بعد هذا استعدّ البشر بناموس الارتقاء الى وحدة أوسع من كل ما تقدم – الى وحدة يمكن أن تدخل فيها جميع الشعوب والقبائل والامم والاجناس المختلفين في البلاد واللغات والاديان – الى وحدة لها رابطتان (إحداهما) جثمانية اجتماعية عمرانية دنيوية وهي أن يحكموا بشريعة عادلة تساوي بينهم في الحقوق لا يمتاز فيها كبير على صغير ولا غنيّ على فقير ولا عربي على عجمي ولا متدين بدين على متدين بغيره (وثانيتهما) روحانية أخروية أخروية تختص بمن يجمعهم الاعتقاد الصحيح، المبنى على البرهان الصريح، وهذه الوحدة هي الوحدة التى جاء بها الدين الاسلامي وعمل بها المسلمون فى الصدر الاول فكان المخالفون لهم فى الدين يفضلون حكمهم على حكم المتحدين معهم فى الدين واللغة والوطن . ولم توجد المساواة ولا العدالة الصحيحة الى اليوم الا في الاسلام فهذه الدول الاوربية الراقية بالوطنية لا تساوي بين ابنائها وأهل مستعمراتها فى الاحكام بل ألزمت الحكومات الضعيفة في غير بلادها بالخروج عن العدل والمساواة وتمييز أجناسها على رعايا كل حكومة من تلك الحكومات فالمصري يقتل في مصر اذا قتل أجنبيا ولكن الاجنبي لا يقتل بالمصري . وقد كنا أوضحنا هذا المبحث في مقالة عنوانها (الجنسية والدين الاسلامي) فلتراجع في المجلد الثاني من المنار . وفي سائر مجلدات المنار مباحث كثيرة تؤيد هذه المسائل المتفرقة وتعضد القضايا المتعددة في هذا المقال

فتبين بمجموع ما تقدم ان الوحدة التي جاء بها الاسلام هي أعلى ما يترقبه البشر وأفضل ما يتوجهون اليه ولكن الرياسة الروحية في الديانة النصرانية التي جعلت الدين مصلحة من المصالح ينتفع بها الرؤساء وخروج الحكام المنتسبين للاسلام عن قواعدها هما السدان المانعان من انتفاع البشر بها وسيدكّ الحرية السدين، ويجمع البشر بالاسلام بين السعادتين،

القسم العمومي

﴿ تتمة الاجتماع الثاني عشر لجمعية أم القرى ﴾

قال (الاستاذ الرئيس) ها نحن أولاء قد استوفينا قراءة القانون للمرة الثانية أيضاً ولم يستدرك عليه أحد من الاخوان شيئاً فهل أنتم مقروه . فاجاب جميع الاعضاء نعم نقره .

قال (العلامة المصري) اني بالنيابة عن هيئة الجمعية أشكر لحضرة الاستاذ المكي الرئيس براعته في حسن ادارة الجمعية كما انني أقدر للمدقق التركي ورفقائه واضعي سانحة القانون قدر فضلهم وحسن احاطتهم .

واني لأرى في هذا القانون أشعة نور بين القضايا والسطور، نور يشرق على المنارات فيبدر الأهلة ويبهر النسور، نور معقود اللواء لنشأة جديدة، وحياة حميدة، وعاقبة سعيدة، نور يمزق ديجور الفتور، ويحيي ميت الشعور، وما ذلك على الله بعزيز .

قال (المحقق المدني) بمناسبة أني جار النبي صلى الله عليه وسلم أرى كأن رسول الله مسرور بكم أيها الإخوان الكرام يتضرع الى ربكم أن يوفقكم في مشروعكم خدمة لدينه وأمته خدمة تلحقكم بالمجاهدين الصديقين الاولين .

قال (الاستاذ الرئيس) اذا تقرر أن يكون تأسيس الجمعية الدائمة ابتداءً في بورسعيد او الكويت بصورة غير علنية في الاول فأرى أن نفوض اتخاذ أسباب هذه المهمة للعلامة المصري والسيد الفراتي فهما بعد ستة أشهر يجتمعان في مصر وبعد تهيئة الاسباب وترتيب ما يلزم ترتيبه يسعيان أولاً بطبع هذه المذاكرات مع القانون ثم يهتمان بترجمة ذلك الى بقية أمهات اللغات الاسلامية التركية والفارسية والاوردية فيطبعانها وينشرانها ذكرى وبشرى للمؤمنين .

ثم بعد استطلاعهما ما يلزم استطلاعه من آراء وأفكار ذوي الهمم السامية، يباشران أسباب تشكيل الجمعية مع التروي والتأني اللازمين حكمة وربما لا يساعدهما الزمان فيحتاجان لترقب الفرصة ولو تأخر الامر الى اجتماعنا الثاني • وأخونا السيد الفراتي يعدنا بأنه لا يقطع عنا رسائله وإعلامنا بسير المسألة والأمل بعنايته تعالى أن نجد في اجتماعنا الثاني بعد ثلاث سنين الجمعية الدائمة متشكلة على أحسن نظام •

ثم قال (الاستاذ الرئيس) واني على أمل أن الجمعية الدائمة ستلحقنا باعضائها الفخريين فنخدم مقاصدها الجليلة المتعلقة باعزازديننا واخواننا وأنفسنا فننال بذلك أجر المجاهدين وشرفاً عظيما نفتخر به نحن وأحقابنا من بعدنا الى يوم الدين •

ثم قال وان جمعيتنا هذه قد اختارت أن تجعل مركزها الموقت في مصر ومصر دار العلم والحرية وكانت أخذت في العمران بسرعة ولو لا تهاون سعيد وتطاول اسماعيل وسقوط نفوذ الفرنسيس بحرب السبعين وانفراد الانكليز ويأسهم من قبول المريض التمريض وتهاتر قوات الدول بتوازنها لبقيت تلك الحركة العمرانية مستمرة ولما رجع الشيخ الى دور الانحلال، ولا رقع الابن في دور الاحتلال،

ثم خاطب (السيد الفراتي) هيئة الجمعية فقال: أيها السادة لاغرو ان أكون أكثر الاخوان سروراً بانتاج سعي وسياحتي هذه الخطوة الكبيرة في هذا السبيل واني مستبشر من تسهيل المولى تعالى البداية أن يسهل السير الى النهاية ولا يعز على الله شيء والعزائم لاشك تذلل العظائم •

وإني ايها السادة سأراسلكم إن شاء الله بمهمات ما يحصل ويتم ولا استغني أن ترفدوني بآرائكم ولو عن بعد وتسعفوني بأدعيتكم بالتوفيق • وليس هذا اليوم آخر عهد جمعيتنا بل يلزم أن نجتمع ايضاً في هذا المحفل رابع أيام التشريق فتكون تلك جمعية الوداع • وفيها يكاشفكم حضرة الاستاذ الرئيس ببعض تدابير وبشائر يجب اسرارها فتُوقَرُ في الصدور لاتسجل ولا تذاع وفي ذاك اليوم يتم بتسهيل الله طبع سجل مذاكرات جمعيتنا الى هذه الساعة (بمطبعة الجلاتين) فيوزع عليكم نسخ منها كما يعطى لكم نسخ من ضبط المناقشات على القانون ونسخ جديدة من مفتاح الكتابة الرمزيه تبديلا للمفتاح المختصر الاول مذيّلاً بتراجم الاخوان بصورة اكثر تفصيلا من الاولى وعلى الله التيسير •

ثم قال (السيد الفراتي) أخبركم ايها السادة باني اخذت بالأمس رسالة من اخينا الاديب البيروتي الذي لم يمكنه القدر من موافاة الجمعية كما بينت ذلك قبلا فهو

يقرئكم السلام ويدعو للجمعية بالتوفيق ويطلب أن أتلو عليكم قصيدة له يخاطب بها المسلمين

فقال (الاستاذ الرئيس) وعليه السلام وأمر بقراءة القصيدة فقرئت وأثبت منها باشارة الاستاذ الرئيس بعض أبيات وهي •

غيرتمو ياحيارى ما بأنفسكم	فغيّر الله عنكم سابغ النعم
الله لايهلك القرى اذا كفرت	وأهلها مصلحون فى شؤنهم
ترك التآمر بالمعروف أورثكم	ما حاق من نُذُر يازلّة القدم

***

ياقومنا صححوا توحيد بارئكم	بدون إشراك أحياءٍ ولا رمم
ونقّحوا الشرع من حشو ومخترع	رُجْعَى الى دين أسلاف ذوي ذمم
خذوا بمحكم آيات منزّلة	وسنة بيّنت في الفعل والكلم
دعوا البدائع في الدين وان حسنت	ولا يغرنّكم تأويل محتكم
سماحة الدين في فكر وفي عمل	خير من الإصر والأغلال والسّقم
سماحة الدين منَّ اللهُ خالقكم	بها عليكم دعوا الكفران بالنعم
وحافظوا ملة بيضاء ساطعة	وسمحة قد حبتكم كل مغتنم
راقت فضائلها في كل فلسفة	قوامها حكمة تفضي الى شمم

***

هذي وسيلتكم لا غيرها أبدا	فاسعوا لنهضتكم ياخيرة الأمم
في غير جامعة التوحيد ان تجدوا	من جامع لكمو لستم ذوي رحم
سياسة الدين أولى ما تساس به	شتى الخلائق من عرب ومن عجم
فيها الحياة وفيها حفظ رايتكم	خضراء سوداء حول الركن والحرم

ذيل

قررت الجمعية في اجتماع الوداع المنعقد في رابع أيام العيد بعض أمور مهمة ينبغي أن تسَرّ ولا تذاع غير أنها رأت أن يلحق منها بهذا السجل ما يأتي فقط •

قرار عدد ٦

ان الجمعية بعد البحث الدقيق، والنظر العميق، في أحوال وخصال جميع الاقوام المسلمين الموجودين وخصائص مواقعهم والظروف المحيطة بهم واستعدادهم وجدت

أن لجزيرة العرب ولأهلها بالنظر الى السياسة الدينية مجموعة خصائص وخصال لم تتوفر في غيرهم • فرأت الجمعية أن حفظ الحياة الدينية متعينة عليهم لا يقوم فيها مقامهم غيرهم مطلقاً وان انتظار ذلك من غيرهم عبث محض. على أن لبقية الاقوام أيضاً خصائص ومزايا تجعل لكل منهم مقاماً مهمًّا في بعض وظائف الجماعة الاسلامية. مثل ان معاناة حفظ الحياة السياسية ولا سيما الخارجية متعينة على الترك العثمانيين (١) ومراقبة حفظ الحياة الدينية التنظيمية يليق أن تناط بالمصريين والمقام بمهام الحياة الجندية يناسب أن يتكفل بها الأفغان وتركستان والخزر والقوقاس يميناً ومراكش وإمارات أفريقيا شمالاً. وتدبير حفظ الحياة العلميـة والاقتصادية خير من يتولاها أهل ايران وأواسط أسيا والهند وما يليها •

ولما كانت الجمعية لا يعنيها غير أمر النهضة الدينية رأت من الضروري أن تربط آمالها بالجزيرة وما يليها وأهلها ومن يجاريهم وأن تبسط لأنظار الأمـة ماهي خصائص الجزيرة وأهلها والعرب عموماً وذلك لأجل رفع التعصب السياسي أو الجنسي ولأجل إيضاح أسباب ميل الجمعية للعرب فتقول

١ (الجزيرة) • هي مشرق النور الاسلامي

٢ «الجزيرة» • فيها الكعبة المعظمة

٣ «الجزيرة» • فيها المسجد النبوي وفيه الروضة المطهرة

٤ «الجزيرة» • أنسب المواقع لأن تكون مركزاً للسياسة الدينية لتوسطها بين اقصى آسيا شرقاً وأقصى افريقيا غرباً•

٥ «الجزيرة» • أسلم الاقاليم من الأخلاط جنسية واديانا ومذاهب•

٦ «الجزيرة» • أبعد الاقاليم عن مجاورة الاجانب

٧ «الجزيرة» • افضل الأراضي لان تكون ديار أحرار لبعدها عن الطامعين والمزاحمين نظراً لفقرها الطبيعي •

٨ (عرب الجزيرة) • هم مؤسسو الجامعة الاسلامية لظهور الدين فيهم •(٢)

٩ «عرب الجزيرة» . ستحكم فيهم التخلق بالدين لانه مناسب لطبائعهم الاهلية اكثر من مناسبته لغيرهم •

---

(١) لأنهم متقنون فن (الديبلوماتيك) أي المراوغة في المقال والتلون في الاحوال.

(٢) وكذلك من يتبعهم من العشائر القاطنة بين الفرات ودجلة والنازحين الى افريقيا

١٠ «عرب الجزيرة» • اعلم المسلمين بقواعد الدين لأنهم أعرقهم فيه ومشهود لهم في أحاديث كثيرة بالمتانة في الايمان

١١ «عرب الجزيرة» • أكثر المسلمين حرصاً على حفظ الدين وتأييده والفخار به والعصبية النبوية لم تزل قائمة بين أظهرهم في الحجاز واليمن وعمان وحضرموت والعراق وأفريقيا

١٢ «عرب الجزيرة» • لم يزل الدين عندهم حنيفاً سلفيًّا بعيداً عن التشديد والتشويش•

١٣ «عرب الجزيرة» • أقوى المسلمين عصبية وأشدهم أنفة لما فيهم من خصائص البدوية • (١)

١٤ «عرب الجزيرة» • أمراؤهم جامعون بين شرف الآباء والامهات والزوجات فلم تختل عزائمهم •

١٥ «عرب الجزيرة» • أقدم الامم مدنية مهذبة بدليل سعة لغتهم وسمو حكمتهم وأدبياتهم

١٦ «عرب الجزيرة» • أقدر المسلمين على تحمل قشف المعيشة في سبيل مقاصدهم وأنشطهم على التغرّب والسياحات وذلك لبعدهم عن الترف المذلّ أهله •

١٧ «عرب الجزيرة» . أحفظ الاقوام لجنسيتهم وعاداتهم فهم يخالطون ولا يختلطون•

١٨ «عرب الجزيرة» • أحرص الأمم الاسلامية على الحرية والاستقلال وإباء الضيم • (٢)

١٩ (العرب على الاطلاق) • لغتهم أغنى لغات المسلمين في المعارف ومصونة بالقرآن الكريم من أن تموت

٢٠ «العرب» • لغتهم هي اللغة العمومية بين المسلمين البالغ عددهم ٣٠٠ مليون.

٢١ «العرب» . لغتهم هي اللغة الخصوصية لمائة مليون من المسلمين وغير المسلمين •

٢٢ «العرب» . أقدم الأمم اتّباعاً لاصول تساوى الحقوق وتقارب المراتب في الهيئة الاجتماعية •

٢٣ «العرب» • أعرق الامم في أصول الشورى في الشئون العمومية • (٣)

---

(١) وبقوه ذلك لا يزالون يأخذون خراجا ممن يأخذون باسم هدية (٢) هذا هو سبب عدم انقياد أهل اليمن ومن يليهم للعثمانيين (٣) يشهد لهم بذلك القرآن في قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام إذ قالت تخاطب الملأ أي المستشارين الاشراف «يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون • قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين • قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها

٢٤ « العرب » . أهدى الامم لاصول المعيشة الاشتراكية .

٢٤ « العرب » . من أحرص الامم على احترام العهود عزةً واحترام الذمة انسانية واحترام الجوار شهامة وبذل المعروف مروءة . (١)

٢٦ « العرب » . أنسب الاقوام لان يكونوا مرجعا في الدين وقوة للمسلمين فان بقية الاقوام قد اتبعوا هديهم ابتداءً فلا يأنفون من اتباعهم أخيراً .

فهذه هي الاسباب التي جعلت جمعية أم القرى تعتبر العرب هم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية بل الكلمة الشرقية . والجمعية تسأل الله تعالى أن يوفق ملوك المسلمين وأمراءهم للتصلب في الدين وللحزم والعزم عساهم يحفظون عزهم وسلطانهم الى أن يرث الله الارض ومن عليها وأن يحميهم من التعصب السيئ للسياسات والجنسيات ومن الكبر والانفة ومن التخاذل والانقسام ومن الانقياد الى وساوس الاجانب الاضداد لئلا ينتابهم الخطر القريب المحدق بهم وتتخاطفهم النسور المحلقة في سمائهم والله الموفق واليه ترجع الامور .

وهكذا تمت الاجتماعات وختمت المذاكرات وأُرفض الجمع على وعد التلاقي .

باب التربية والتعليم

الشذرة الثانية عشرة (*)

(لا يسلم وجه الشمس من كَلَف)

قضية لا محيص من تسليمها فاننا في طور الانتقاد الذي لا ينفلت من تحليله

وجعلوا اعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » (١) يكفي برهاناً على ذلك مجاملة أهل الجزيرة لسياح الافرنج — ماعدا تلك الفعلة التي اندفع اليها ابن صباح ونال عليها بعد عامين رتبة باشا — وترجيح اليهود الهجرة للبلاد العربية . وعدم اشتراك البلاد العربية العثمانية في حوادث الارمن الاخيرة كالموصل وماردين وسعرد ونصيبين والمدن العربية من ولاية حلب وأما حوادث لبنان والشام وحلب في القرن السابق فما كانت متولدة من تعصب ديني أو جنسي محض بل من غرور جماعة من الدروز بالانكليز وجماعة من المسيحيين بنابليون الثالث . اه

(*) معرب من كتاب أميل القرن التاسع عشر في التربية

وتفتيشه شيء فقد تناول الاديان و آداب اللغات والتاريخ والاوضاع القومية فلا تجد عبادة من العبادات الا وقد وجه اليها العلم ضروبا من البحث لاقبل لها بمقاومتها وأصبح ماكان يخاله الناس من اللغات والنقوش البربائية والحروف معمّيات لا سبيل الى الاهتداء الى معانيها وقد نبذت مغاليقها وألقت بين يدي العلم مقاليدها وأسلمت اليه أسرارها ولم يغن عن الاغاليط التي شيبها مر الدهور انها قبعت رؤسها في ظلماتها وسترت نواجهها في حنادسها فانه لم يبق في مكنتها ان تفاحح في التغرير بالعقل بما لها من القدم فقد عرف سبب حدوثها وكشف الستار عما كانت ترتعدله فرائص الاقدمين من المجردات الخيالية فعرف الانسان نفسه وكله دهش واستغراب لخوفه وفزعه لانه قد عَرَف اليوم كيف نشأت الآلهة (١) ورأى مذاهب كان لها ماللبديهيات من القوة والرسوخ تضاءلت وتلاشت امام العلم بالنواميس الكونية التي كان يتوهم ان هذه المذاهب فوقها وأبصر أسراراً مستغلقة كانت تعاصت على العقل أذعنت اليه الآن فمضى يحكم فيها بكشف أصلها وبيان منشإها

من الظلم والإجحاف عدم اعتبار هذه الحركة العامية في تربية الناشئين فكيف يصح ان لا يدخل المدارس ماوصل اليه العلم من نتائج بحثه الا بعد قرن من ظهوره لو دخلها

﴿ انتقاد آداب اللغتين اليونانية واللاتينية ﴾

أنا لا أريد الآن ان اشتغل من وجوه الانتقاد الا بما يتعلق بآداب اللغتين اليونانية واللاتينيه وأقول قد اعتاد المعلمون ان يفردوا هذه الآداب بالدرس دون بقية آثار الاقدمين كما لو كانت آداب كل لغة فرعا مستقلا عن تلك الآثار ولا أراهم يستندون في ذلك الا الى وهم عُنيتُ من قبل بدحضه ولهذا تراني ذكرت « لاميل » أسماء آلهة عمير وما ورد من صفاتهم في أساطير الهنود وقصصت عليه أشهر وقائعهم وسيكونون من معارفه القدماء ولم يبق عليه الا ان يعرف كيف انهم كانوا يواصلون

---

(١) يشبه كلام المؤلف هاهنا ان يكون تقريرا لمذهب الماديين ويدل بفحواه على أنه لا يعتقد بالله ولا بملائكته ولا بصحة المذاهب الدينية في هذين المعنيين وينسب الى النواميس الكونية كل ما كان وما يكون ويزعم ان العلم قد هداه الى أصل معنى الالوهية وهذا كله من غرور العقل نعوذ بالله منه ومن الغلو في النظر وما يؤدي اليه من الاشر والبطر . كيف يصل العقل الى كنه الأله وهو لم يصل الى كنه نفسه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . والعذر له ولأمثاله أنهم نشأوا على دين مناقض للعقل

الاسفار ويجوبون الاقطار وكيف ان الواحد منهم كان يظهر في صور مختلفة ويبدو في هيآت متباينة وهو أمر لما يجيء وقته .

ذكرت من شعراء الاقدمين عميرا ولهذه المناسبة أود لو أدري ماالذي يعود على التلامذة من تفهيم المعلمين اياهم ان ديوانيه الموسوم أحدهما بالعلياد (الإلياذه) والثاني بالعديبي هما من ابتكار رجل من الغابرين اذا كان جميع الناس اليوم يعلمون كيف تولدت القصص الشعرية الحماسية في الامم القديمة والحديثة

لاريب ان في هذه القصص محاسن كبرى وعبرا جليلة غير اني سأتحامى كل التحامي ان أجعل سيرة أشيل (١) مثلا نموذجا « لاميل » يحتذيه في سيرته فان هذا البطل الذي عبث ولها عن مصلحة أمته وقعد عن منازلة أعدائها في حومة الوغى ان أبى عليه قومه جارية رقيقة كانت محلا لاطماعه وكان بهذا سببا في طول مدة رزايا الحرب وشدائدها لم يكن حقيقا برضاء الآلهة عنه وميلهم اليه فهم باشتغالهم به واعانتهم اياه على خصمه لشجاعته غير مراعين إغفاله لواجبه قد جعلوا عاقبة الحرب عبرة سيئة وهي ظفره بهكتور (٢) أي ظفر الطيش الحربي بالوطنية الصحيحة

لم يقتصر الاقدمون فيما جهلو من الامور على نكرهم بعض الاصول التي هي الآن أساس وجدان الانسان بل انهم تركوا لنا ميراثا من الاباطيل والمذاهب الفاسدة التي تدعو دراسة كتبهم الى بقائها ان لم يقارنها الاحتراس والحذر فإن سحر ما يحفظ الناس من آثارهم قد حمى كثيراً من المظالم القومية قرونا عديدة من وثبات العقل ولايزال يذودها عنها وان المغرم منا بالمطالعة المفرط في المعيشة بين كتبه المفرط فيها بين ابناء وقته يُرَى في أكثر أوقاته قليل التأثر جداً بما شاع في الناس من العادات السيئة الكثيرة التي يرجع أصلها الى أخلاق الاقدمين وعوائدهم

ان الحضارة اليونانية كان لها من وجوه الحسن مايثير الإعجاب بها ولو ان « أميل » كلف بدراستها كلفا صادقا لما كنت الا في غاية الرضى عن ذلك ولكني لأحب ان يكون خدعة التشدد في ميله اليها لما فيها من وجوه القبح أيضا فاشدَّ ما احتقر فيها الرقيق وبخست قيمته ونسيت حقوق البؤساء والمغلوبين فلم يحض عليها

(١) أشيل في أساطير اليونان هو بطل يوناني أبواه تيتيس وبيلى قتله باريس في حصار طروادة (٢) هكتور في هذه الاساطير هو ابن بريام وعقيبة وزوج اندروماك ووالد استيناكس قتله أشيل أخذا بثار پاروقل

أحد اللهم الا صيحتين أوثلاثاً أنبعث من أعماق وجدان الانسان ووصلت الينا بعد اختراق حجب مامر من الازمان ولكم هلك في سبيل تلك الحضارة من اجيال وباد من إنسان ولم يكن فيها أحد يعنى بتخفيف مضض البؤس الذي كانت تقاسيه الدهماء ولم يكن العمل يستوجب للعامل أدنى حق من الحقوق لانه لم يكن يصلح الا لأيدي الطغام نعم ان ظاهرها ومنظرها كان مونقا فان ماازدانت به من الفنون والشعر والدين السمح والالهة الباسمين في وجوه الابطال كان يكسو تلك الامة المغتبطة برودا جمعت كل ماللكمال المنشود من ضروب العظم والبهاء ولكن العبرة بالمخبر لا بالمنظر .

التاريخ الروماني هو دون التاريخ اليوناني بكثير لا لان رومة لم تنتج رجالا كباراً بل لانها كانت تفرط في عبادة القوة وقد لاقت جزاء هذا الافراط فانها بعد ان استعبدت غيرها من الامم آل أمرها الى استعباد نفسها فلتقل لي هذه الامة الفاتحة وقد أظهرت للعالم ماللفتح من النتائج اللازمة ماهي الامم التي علمتها والشعوب التي أصلحت شؤنها ؟ أرى الناس تميلهم أخبار غزواتها وتهزهم أحاديث نصراتها ولا أرى أحدا منهم يستقصي أسباب مصائبها ليشفى من جنون الحرب ويبرأ من هوس القتال

اني اذا أقرأت « أميل » اليونانية واللاتينية وفجرت له بذلك ينبوع الآداب القديمة والتاريخ كان قصدي منه ولا شك توسيع عقله وتنمية إدراكه بيد اني ارمي الى غاية أخرى أمكن في نفسي من هذا وهي ان أنشئ في نفسه الاستعداد للسلوك في هذا الكون . ذلك لان ماتتضمنه تلك الآداب من أسمى الإقدام النفسي والاخلاص في العمل وحب الوطن أشد في قلب اليافع تأثيرا وأبلغ في نفسه موعظة من جميع ما يقوله الخطباء ويوصي به الحكماء بل ان في نفس التحمس الذي يبدو منه في استحسانها بذلا لنفسه لانه يخرجها من معقل امتناعها ويخلعها عن عرش صلفها ليسوّيها بمن استحق الحياة استحقاقا صحيحاً واني لأقنط من فلاح الطفل الذي لايروقه شيء وأما من آنس من نفسه التأثر بما لغيره من بهاء العظمة ورونقها فذلك الذي أوتيت نفسه سراً من أسرار الله . ان فضائل الغابرين أبلغ من فضائل الحاضرين في خلب الخيال بما عليها من مسحة القوة والبسالة وأعمال اليونان والرومان لبعدها عنا بحسب ترتيب الازمان يحليها البعد والغرابة ببعض السمات التي قد تغالى بها فتجعل لها من القيمة فوق ماتستحقه ولكن ذلك لايزيدها الا الحاجة في دعوة الناشئين الى اجلالها واعظام قدرها واذ علمت ذلك رأيتني غير مخطئ في التعويل على تأثير الاقدمين

في ترقية أفكار ولدي وتهذيب خلقه

على أني أعلم حق العلم أن جميع ما خلفوه لنا لا يدعو الى الاعجاب على السواء فما سيبيون (١) الذي جندل انيبال (٢) ودمر قرطاجة (٣) مثلا بالبطل الذي سأسترعى الى سيرته ذهن « أميل » كلا بل اني سأوجه كل همتي الى تفهيمه أن ما يلاقي من الهزائم اجلالا لوجدان الحق أعلى منزلة وأعظم خطراً من الانتصار ببيض الصفاح وسمر الرماح وأن المجد الصحيح انما هو في علو النفس وشرفها وسأقول له أرأيت اليوم الذي انتصرت فيه رومة على قرطاجة فذلك هو اليوم الذي وفي فيه ريجولوص (٤) بعهده فانطلق الى أفريقيا وحده لا يثنيه عنه لجاجة زوجته وأولاده ولا دعاء اخوانه وأصدقائه مع علمه بأنه ملاق حتفه وساع الى هلاكه . في ذلك اليوم ظهر أن رومة قد برّزت على قرطاجة في صدقها ووفائها ولم يكن تبريزها عليها في غير هاتين الفضيلتين الا أمراً مرتهنا بوقته اذ كان لابد لقرطاجة من الغلب والقهر

لا مراء في ان الجمهورية الرومانية أيام مجدها وعلوها كانت تسفر عن أخلاق شريفة وطباع كريمة وليس كذلك حالها في عصر تدليها واضمحلالها ولو أني أردت تبصير « أميل » علة هذا التدلي له لحصرتها في إعواز الفضائل الجمهورية إعوازا كان سبباً لنجاح الحكم المطلق في رومة وطول مدته فلست أخشى على الحرية ما قد ينتابها من الاخطار المادية ولا أرهب على رومة ان يقف بابوابها التركينيون (٥) او بورشينا (٦) يبتغون الاستيلاء عليها ما دام فيها امثال موشيوس سيفولا «٧» وانما الذي

(١) سيبيون واسمه ايمليان الملقب بالافريقي الثاني كان رابع أولاد بولص أميل ولد في سنة ١٨٥ ومات في سنة ١٢٩ ق . م تبناه عمه الذي هو ابن الافريقي الاول من أسرة سيبيون وكان على يده انتهاء الحرب الثالثة بين رومة وقرطاجة فكانت هي خاتمة هذه الحروب فانه أخذ قرطاجة في سنة ١٤٦ ق . م «٢» انيبال هو قائد قرطاجة تولى قيادة الجيش في الحرب الثانية التى حصلت بين قرطاجة ورومة وبعد انتصاره في مواقع كبيرة هزم سيبيون فانتحر بالسم تخلصاً من انتقام الرومانيين

«٣» قرطاجة مدينة أفريقية قديمة «٤» ريجولوص قائد روماني قتله القرطاجيون لانه أرسل من قبلهم الى رومة للمفاوضة في المبادلة بالاسرى فتكلم في مجلس الشيوخ بماينافي هذا الطلب وعاد الى قرطاجة فمات صبراً (٥) التركينيون هم بعض ملوك رومة الاولين (٦) بورشينا هو ملك اتروريا حاول اعادة التركينيين الى ملك رومة فهدده موشيوس

أخافه على أمة من الامم هو خسة الضمائر ولؤم السرائر

نفوسنا هي مواطن الظلم ومكامن البغي فالذي علينا هو ان نحاربه فيها ونجليه عنها قبل محاربة الملوك الظالمين واجلاء الجبابرة الغاشمين ومن أجل هذا لم يك ينفع بروقوس [١] وأنصاره ان بقروا بطن القيصر فان قلب رومة كان مقروحاً بالداء القيصري

كان اولى بذلك الرجل وقد أراد ان ينزع تاج الملك ممن كان مستعداً له ان يرجع اولا الى قلبه فينزع منه كبر الاشراف وانفة السراة ثم ينزع ان استطاع من نفوس قرنائه ما علق بها من الرذائل والنقائص التي تقتضي وازعاً يرد من جماحها ويكف من نزعاتها ولولا تقصيره فى ذلك لاستحق ما اتاه من الأعمال الدالة على الشهامة والبسالة ان تبيض به صحف التاريخ بل ان هذه الاعمال كان من شأنها ان تؤخر استقرار حكم الاستبداد ولكنها لا تستطيع ان تقوم بالامة من وهدة انحطاطها

أحدثت فى أخريات أيام الجمهورية الرومانية أحداث كثيرة شوهت محاسنها كالنظام العسكري الوحشي وإهدار الدماء وضروب التعذيب والاطماع الخسيسة وبيع الضمائر وتناوب ارسال الضعفاء والاوغاد والتعلق بعجلة الظافر على انه كان لا يزال يظهر في جهات مختلفة من قرارة الدهماء المنهوكين المنحطين بعض الاخلاق الفاضلة ظهور الصخور التي تشرف على ماحولها من المياه المنخفضة ، ولاقنوط من ارتفاع شأن الحرية ما بقي في الناس أباة للضيم موقنون بظفرهم في الذود عنها فان هؤلاء يشهدون الجهاد في سبيلها وقد يلاقون الهزيمة فيه ولكنهم لا يشهدون اندثارها اندثاراً لا قيام منه وانما تزهق روح الامل من حياتها متى انحازت العقول بعد كلالها وهي صامتة الى حكومة مطلقة لكنها ساكنة مطمئنة تلين للمحكومين كلما شعرت بازدياد أمنها وزوال مخاوفها فأضر نظام سياسي على أمة من الامم انما هو الحكم الاستبدادي المجرد من الصرامة والقسوة وكذلك كان حكم أغسطس للرومان

كان عُجْب الامة في ذلك الحكم لايزال يتغذى ببعض ضروب من الغرور غريبة ككونها لا تزال خير أمة بل أميرة الامم وكون أعلامها وألويتها لا تزال مبجلة في الخارج وكونها تنتصر على المتوحشين من حين الى حين وكونها صاحبة الآلهة

سيفولا فولى مذعوراً (١) موشيوس سيفولا هو رجل روماني أراد ان يقتل بورشنا ملك اتروريا فأخطأه وقتل كاتم أسراره وأراد يظهر لهذا الملك ثبات الرومانيين فوضع يده اليمنى في جذوة نار مستعرة

وصحف الكاهنات والفنون الجميلة والآثار الفخيمة التي تروق الاجانب وكونها جددت بناء رومة وهي المدينة الابدية من قواعدها الى سقوفها — كل هذا صحيح ولكن واحسرتاه فليست تعبئة الجيوش ولا إنشاء القلاع والحصون ولا بناء المعابد مما يغني عن الامة من سقوطها شيئاً فقد بقي معبد المشتري المسمى بالقابلتول في رومة بعد فناء الرومان

ليس لي الا كلمة اقولها في شعراء عصر أغسطس وهي ان أحسن هؤلاء الشعراء قطعا في نظر المعلمين فرجيل وهوراس فهما اللذان أحب ان تجعل كتبهما في أيدي الناشئين اكثر من غيرها وان كان كلاها قد تجرد في معظم ما كتب من شرف النفس وكرامتها . ألم يلاحظ من قرأ عنيتية(١) فرجيل ان نفس مغزاها ملكي وهو مغزى ما كان يرد — على ما أرى — في ذهن شاعر زاهر الخيال في أيام الجمهورية الجميلة فقد وصف فرجيل ممدوحه المسمى عني بالانسان الذي تجلت فيه العناية الالهية وتوحدت في شخصه الامة وبانه المنجي لامته المؤسس لجيله . ومثل هذه المعاني يرى عليها انها موسومة بميسم الملك الذي برزت في عهده ومطبوعة بطابع القرن الذي ظهرت فيه وسواء كانت حسنة اوقبيحة من حيث الفن فهي تشف عن حالة العقول في ذلك العصر وتسفر عن الخطة التي رسمتها لنفسها الحكومة الذاتية حتى في نفوس الخيار من الامة

ان أجود الاشعار وأحسنها ليس في استطاعته ان يحجب دناءة النفس ولا ان يستر خسة الطبع ولقد كان شعراء اللاتين قدوة سيئة لخلفهم بما كان يصدر عنهم من ضروب التمليق الخسيسة وانواع المدائح التي كانوا يطرون بها أغسطس تحقيقاً لاغراضهم ونيلا لامانيهم فأسسوا به في الدنيا من حيث لا يشعرون وظيفة الكتاب والشعراء المتزلفين على أن فرجيل وهوراس كانا أميري هذه الصناعة ولم يكن غيرهما فيها الا من أتباعهما

ألخص لك ما تقدم فأقول : ان دراسة آثار الاقدمين تختلف ثمراتها باختلاف الطريقة التي تباشر بها فاجلال هؤلاء بلا قيد ولا تمييز ولا نقد يؤدي الى ما تؤدي اليه جميع ضروب الوثنية وهو صغار النفس وضعتها ذلك بان ما يؤثر عنهم من المحفوظات والخرافات والكتب والاشعار الحسنة له من الظل والتحكم في النفوس مالا تقل الخشية منه على الناشئين عن خشية ظلم الحكام الغاشمين وتحكم الطغاة المستبدين

(١) عنينية فرجيل قصيدة قالها في مدح إعني وهو أمير طروادي ابن انشيز الزهراء وصفه فيها بانه مؤسس النسل الروماني

وبهذا يبطل العجب من أنه يوجد اليوم من تلامذة اليونان والرومان من يلتمسون في علوم البيان وسائل للذود عن مصالح الغابرين ومغالطاتهم ومنهم من يرومون منها دروعاً حصينة للحرية تكف عنها عوادي الباغين

نحن على ما فينا من النقائص كلها احسن من الاقدمين حالا وأرفع شاناً وان جاز علينا التدلي والانحطاط كما جاز عليهم ذلك لان فينا قوة النهوض والارتقاع الى ما انحططنا منه وان لنا عليهم لفضلا كبيراً بسمو وجداننا فكاننا بتأخرنا عنهم في الوجود قد أخذنا على أنفسنا ان نكون خيراً منهم لان وجدان الواجب كوجدان الحق ينمو ويرتقي بمرور الزمان ولعمري انه لا ينكر ما للتمدن العصري من ضروب التأثير في النفوس والعقول الا مكابر خبيث الطوية ولست أريد بما قلته اننا أصبحنا بهذا التمدن اكثر من الاقدمين أخلاقاً فاضلة وطباعاً باسلة ومعارف واسعة وتحمساً في الميل الى الحسن كلا ثم كلا بل أريد ان معاني العدل واحترام حق الغير قد شاعت فينا ورسخت في نفوسنا فصرنا اكثر منهم اهتماماً بان يخالفوننا في العناصر والاحوال القومية والاقاليم وألوان الجلود فنحن الآن من حيث كوننا من بني الانسان أقل من اليونان والرومان بعداً عن كل ما له مساس بالانسانية . اه

﴿ مسألة الشيخ محمد شاكر ﴾

جاء في العدد ٥٥٤٥ من جريدة الديبش تونيزيين تحت هذا العنوان مانصه

نشرت جريدة الديبش تونيزيين الصادرة بتاريخ ٣٠ نوفمبر الأخير فصلا ضافيا ببيان حادثة الشيخ محمد شاكر أحد أساتذة جامع صفاقس الذي استحضرته الحكومة التونسية الى الحاضرة بناء على شكوى قدمها اليها قاضي تلك المدينة ومفتيها وهددته بالعزل من وظيفة التدريس

وقد أوردنا في ذلك الفصل موضوع هذه الشكوى إذ قلنا إن الشيخ كان في خلال دروسه بالمسجد يطعن في التقاليد وينكر المعتقدات الباطلة والظواهر الخارجية المقتبسة من خرافات العجائز وتخرصاتهن وأوردنا مثلا عليها زيارة قبور الأولياء المصحوبة بتقديم النذور على اعتقاد الحظوة بوساطة هؤلاء الأولياء في تحصيل المنافع ووقاية الذات من طوارئ الحدثان وقلنا إنه نسب هذه الأضاليل الى ما انزلق فى دين الاسلام الصافى المنهل من بقايا عقائد الوثنيين وقال إن كثيرا من التقاليد التى تسير عليها بعض الطرق الاسلامية كالعيسوية مثلا مناقضة كل المناقضة للقواعد التى بني عليها الدين الاسلامي

ولايخفى مانجم عن تلك العادات والمعتقدات من إعاقة الأمم عن النهوض من كبوة التأخر ومنعها عن بلوغ الشأو البعيد من التقدم والارتقاء واسدالها ظلمات الجهل الذى يزيد تلك الأمم وأمثالها مصابا علي مصابها

فمن الواجب والحالة هذه إنقاذ طبقات الناس من ظلمات التقاليد و لبدع والمعتقدات الفاسدة التى لاغرض لاصحابها غير التذرع بها لتحصيل سعادة الدنيا بجهل البسطاء والسذج على الاعتقاد بأنها من الدين وماهي من الدين فى شئ، بل الدين منها براء

وقد ختمنا ذلك الفصل يومئذ بقولنا «فاذا كان ماذكرناه قد وقع فعلا فلنا الأمل الوطيد في أن تقلع الحكومة التونسية عن متابعة أهواء القائمين بأمور الشرع فى صفاقس من قاض ومفت وأن تطلب منهما بعدا فى النظر وسعة فى الصدر»

وكنا نظن أنه يكفينا مجرد سرد وقائع تلك الحادثة كى تتكفل الوقاية من الاضطهاد لرجل فاضل لاعيب له سوى أنه فاق علي اشباهه فوقا عظيما ببعد النظر وحرية اللسان وصدق القول وكان ينبغي أن يجازى على هذه المزايا بالتشجيع والتعضيد

نأسف الاسف المر لكون الحكومة التونسية لم تفقه معنى مادعوناها اليه حتى انقادت فى تصرفاتها الى تغريرات المغررين مما لانرى معه مندوحة عن البحث فى عواقبه ونتائجه

فانها لم تكتف بفصل الأستاذ عن وظيفته بمقتضى قرار من الوزير الاول بل سلبت منه لقب «مطوع» الذى يفيد أنه حائز علي إجازة لنبوغ في العلوم والفنون في الجامع الاعظم ولذا رأينا أن لانجر ذيل التغافل والسكوت عن هذا الحادث الذى يوجب الكدر والأسف

لم يكن الشيخ محمد شاكر الذى فصل من وظيفته من الطاعنين في العمر كما قلناه خطأ وانما هو شاب في مقتبل العمر ونضرة الشباب لايتجاوز السابعة والعشرين ومع كونه كفيف البصر كان في مقدمة طلبة الجامع الاعظم نباهة وذكاء ونال اجازة العالمية التي استردت منه ظلما وعدوانا وكان ذلك الشيخ الشاب يتلقى غير الدروس المعتادة في الجامع الاعظم علوم المدرسة الخلدونية (١) ونجاهر هنا بأعلى صوتنا بأن الفضل الاول لهذه المدرسة التى اقتبس منها تلك الافكار العالية التى انقضت عليه بسببها صواعق غضب الطبقة العتيقة من المسلمين

ويضاف الي ماتقدم أن ذلك الشاب ملم بما يحدث الآن في القطر المصري من

(١) المدرسة الخلدونية في تونس تشبه مدرسة دار العلوم في مصر يتعلم فيها بعض طلبة جامع الزيتونة العلوم العصرية

التقدم العلمي وهو في مقدمة المعجبين بالشيخ محمد عبده قاضي القضاة فى مصر (٢) الذي هو من أكابر المسلمين ذوي الأفكار النيرة التي توافق المدنية ومن ثقاتهم وله مؤلفات وفصول في الجرائد تشهد بسعة اطلاعه يقصد بها إعادة الاسلام الى ماكان عليه من الرونق وتطهيره من التقاليد والبدع التى من شأنها أن تغرس في القلوب التعصب الديني وعدم الاحتمال والتسامح وتجعل بين العالم الاسلامي والمدنية سدا منيعا

هذه الخطة تسير عليها جريدة مصرية تدعى «المنار» يكتب فيها الشيخ محمد عبده بدون أن يذيل كتاباته بامضائه وهي حريصة على ملازمة خطتها هذه حرصاً يزداد كل يوم

إن النشء الاسلامي في هذا العهد — ومنه الناشئون في تونس — قد أيقنوا ان لاتكون نهضة للسلالة العربية الا ببث مثل تلك الافكار ولهذا تلقت كتابات الشيخ محمد عبده ومقالاته بالصدر الرحيب ومن واجبات الحكومة التونسية في هذا الوقت الذي تنبه التعصب فيه من سباته بالبلاد المراكشية وزعزع عرش سلطان متهم بشدة الميل الى الحديث أن تساعد بما في وسعها من الجهد الافكار التي من شأنها بث مبادئ الاحتمال والتسامح بين طبقات العالم الاسلامي ولكنها بدلا عن ذلك عاملت الرجل الذي لم يخش بأساً بالمجاهرة بأفكاره معاملة الساعي في غرس بذور الفتنة بل معاملة أحقر الناس وأدناهم اذ طردته طرد الاشقياء فأصبح على قارعة الطرقات لا مال في يده ولا أمل في قلبه

ولو أن هذا الرجل حاول ان يقلب معالم الدين الاسلامى أو لو أنه أبدى من الافكار والخواطر ما يخالف مبادئ وقواعد هذا الدين لقلنا أن الحكومة التونسية رامت المحافظة على الأمن العام والسلام بين الناس فاتخذت قبله وسيلة من وسائل الشدة والجبروت لتكون العبرة الزاجرة ولكنها اضطهدته اضطهاداً ديني الصبغة في حين أن حماية فرنسا على تونس تفيد تصدي دولة متمدنة لإفاضة أنوار العلوم على جموع من الناس في حاجة الى التعلم والترقي وأي جناح على رجل لجأ الى الاحاديث النبوية الشريفة مستشهداً بها على فساد ماتذهب اليه العامة من ضرورة ارسال الهدايا الى أضرحة الاولياء لكي تنال المنافع بحسن تأثيرهم في أحوال المعيشة اليومية قال النبي (صلى الله عليه وسلم) في حديث له «لا تتخذوا قبري وثنا»

وحقيقة الأمر أن ذنب الشيخ محمد شاكر الذي لا يغتفر ولا يعفى عنه بسببه

(٢) المراد بقاضي القضاة المفتي الاكبر لانه يفتي للقضاة وقد وضع له هذا اللقب ابتداء

هو تجرؤه على المس بعادات تتخذها مشائخ الزوايا والمستفيدون منها مصدراً من مصادر الكسب ويرون ان سيؤل أمرها الى النضوب اذا سادت الافكار التي يسعى الشيخ في بثها بين طبقات العامة

قلنا إن الشيخ محمد شاكر كان استاذاً في صفاقس وان الزاوية التي كان يقوم فيها بوظيفتــه تسمى بزاوية سيدي (كراي) التي يرى العامة في الولي المدفون بها انه الحامي لتلك البلدة وقد استفادت سلالته بشهرته فعكفوا الى الآن فيها يستأثرون بالنذور التي تقدم اليه وهم يعيشون بواسطتها في نعيم ورخاء فلما اطلعوا على ما كان يلقيــه الشيخ محمد شاكر للطلبة من الافكار المغايرة لمصلحتهم ثارت عليــه ثورتهم فبدأوا أولا برفع الشكوى الى كل من القاضي والمفتي اللذين استدعيا اليهما الاستاذ وأنبوه على الخطة التي انتهجها في التدريس فاراد الشيخ أن يقيم لهم الدليل على انه لم يمس الدين بشيء مستشهداً بالكتب مؤيدا حجته باقوال السلف الصالح ولكنــه عبثاً جاهد في هذا السبيل لان المناقشة بينه وبين القاضي انتهت بقول هذا الاخير له «إن الضوء لا يأتي من اعمى » فأجاب الشيخ محمد شاكر « وأنا ادعو ان يخلص الناس من عمايتهم » فاعتبر القاضي أن هذه الاجابة سبة فاضحة له استلزمت استدعاءه الى الوزارة حيث حاول التبرؤ من الذنب الذي عزي اليه ولكنه لم يكن امامها اسعد حظاً منه امام القاضي

ولكن من الاسف ان الحكم عليــه كان صادراً من قبل لان للقاضي والمفتي الصفاقسيين اركانا في الحكومة يستندان اليهــم فطالبوا الاقرار على العزل بالرغم عن المساعي العديدة التي بذلت لديهم في صالح المعزول وقد أمضى الوزير الاول هــذا القرار بدون ان يكون مقتنعاً بصحة السبب الذي افضى اليه

هذا تفصيل شرح حادثة الشيخ محمد شاكر أستاذ مسجد سيدي كرائي . قضى على هذا الرجل لانه تجاسر على القول بأن الاباطيل والبدع والتقاليد صواعق الامة وأن أرباب الطرائق الدينية يعيشون من سذاجة الافراد وسرعة اعتقادهم وبهذه المثابة يبثون التعصب في نفوسهم

ولا ننسى ان حوادث مرغريت ومشاكل مراكش الحديثة ليست في الحقيقة سوى نتيجة من نتائج التعصب الذي مادام كامنا في أفئدة المسلمين فلا بد لنا أن نتوقع حدوث امثال تلك الحوادث . فلا غرابة اذا زاد عجبنا بعد ذلك من اضطهاد رجل لا ذنب له الا الوعظ لانقاذ أبناء دينه من ربقة الجهل الذي قوس ظهورهم منذ أجيال ومنعهم من المشاركة في التقدم الذي يدفع بالانسانية الى الامام اهـ

باب الأخبار والآراء

﴿ عربي كريم وولي حميم ﴾

في أوائل هذا الشهر جاءنا نبأ برقي من بومبي (الهند) يقول فيه مرسله ان صديقكم (محمد عبد الوهاب باشا شيخ دارين) قد سافر اليوم الى الحجاز في باخرة (الامبراطور) وسيعرج على السويس . وقد علمت ان باخرة الامبراطور تصل الى السويس مساء الاربعاء (١١ فبراير) فيممت السويس في ذلك اليوم للقاء صديق مخلص احبني واحببته على البعد — احبني في الله بحبه للمنار ورضاه عن خدمته واعجابه به وعمله بما يرشد اليه ويفتي به في أمر الدين . وأحببته في الله لما توسمته في كتبه الي من الغيرة الدينية والاخلاص في كل ما يقول

لقيته فلقيت منه الفضائل العربية ، والاخلاق الاسلامية ، الاناة والوقار والشهامة وكرم النفس واليد . ومن كرمه انك ترى منه أبا القِرى ، يقصد ام القرى ، فهو يسير اليها بركب يبلغ ثلاثين رجلا أكثرهم من جماعته وحاشيته العرب الكرام وبعضهم من مسلمي الهند . ومن كرمه انه يمد لكل غداء وعشاء الخوان ، وينصب الجفان ، وفيها ما شئت من الالوان ، ومن كل فاكهة زوجان ، ومن كرمه أنه رأى في السويس كثيراً من الفقراء الغرباء يبغون الحج ويلتمسون المساعدة عليه بأن يحملوا بغير أجرة في سفينة الخاصة الخديوية فارتاح الى حملهم على نفقته وأرسل يطلب من محافظ السويس بيان عددهم وأسماءهم وان كثروا . ومن كرمه أنه لم يمض عليه في السويس يوم أو يومان ، حتى عرف منزله فقراء البلد فانتحوه من كل مكان ، فألفوه لا يرد سائلا ، ولا يخيب آملا ، حتى اننا عذلناه على بسط يده لهم ، عند ما كاد يتعذر علينا أن ننفذ معه من بينهم ، ولعمري ان هذا الجواد قد أرانا خير نموذج من كرم خلفاء العرب وأمرائهم الاولين الذين حفظ التاريخ مناقبهم وخلد مآثرهم

وقد اختار أن يسافر بجماعته في باخرة الخاصة الخديوية (البحيرة) اذ رأى معنا ما فيها من النظافة وتيسير العبادة وأخبرناه ان سمو عزيز مصر قد انشأ هــذه الباخرة لتسهيل سبيل الحج على المسلمين وانه يسره ان تكون العبادة متيسرة فيها

للمسافرين ولذلك جعل مستخدميها من المسلمين فسر صاحبنا بذلك ورفع الى سمو العزيز رسالة برقية يشكر لسموه عنايته بانشاء هذه الباخرة لتسهيل الحج بها على الفقراء ويشكر حفاوة حكومته به لاسيما محافظ السويس ووكيل المحافظة ويعتذر بضيق الوقت عن عدم التشرف بزيارة سموه وتقديم الشكر الشفاهي فأجابه سموه بالبرق جوابا لطيفا هذا نصه

سراي عابدين

حضرة الامير الجليل محمد بن عبد الوهاب امير دارين تحت لواء نجد بالسويس

نشكر حضرتكم خالص الشكر على التلغراف الذي ارسلتموه الينا ونتمنى لكم حجا مبروراً وصحة وسلامة في السفر والاقامة (عباس حلمي)

موكب الحج المصري وضعف الدين في مصر

احتفل في هذه السنة بموكب الحج المصري أو المحمل المصري كما كان يحتفل في غيرها من السنين وما المحمل وموكبه الا تعظيم وإشهار لركب الحج ومن العار العظيم والخزي القبيح على مصر وهي المملكة الاسلامية الثانية التي للحاج فيها موكب رسمي أن يكون الحجاج منها أقل من حجاج قرية من قرى سائر البلاد الاسلامية أو أقل من الركب الذي جاء به صديقنا الفاضل الهمام محمد عبد الوهاب باشا من بلده الصغيرة (دارين)

يتشدق الذين دين ألسنتهم وأقلامهم قويّ متين ، ودين عقولهم وقلوبهم ضعيف مهين ، ويقولون لا لوم ولا عار على الأمة المصرية ان لم يخرج الى الحج منها في هذه السنة الا ٢٧ رجلا فان الاغنياء الذين يستطيعون دفع مافرضته الحكومة والخروج الى الحج إنما تركوه « احتجاجا على الحكومة » فالعار محصور في الحكومة !! وهذه الحجة أضعف من حجة من جاء المسجد فوجد الباب مغلقا فترك الصلاة معتذرا بان المسجد لم يقبله ! وانما كان عذر القاعدين عن الحج من الاغنياء أضعف لان باب الحرم أو باب الطريق غير مغلق في وجوههم واذا فرضنا أن المتشدق بما ذكر غيدار (الغيدار هو الرجل يسيء الظن فيصيب) وكانت الحكومة تحب أن تصد الناس عن الحج في باطنها أو بإلجاء المحتلين لها على ذلك فهل تقضي قوة الدين بان تضعف الأمة أمامها ، وتجعل دينها هدفا لسهامها ، أم الواجب عليها بذل النفس والنفيس في مقاومتها وحفظ شعار الدين ، واقامة هذا الركن الركين ، الامر ظاهر

ولكن ممن يطعن بالحكومة من هو أشد الناس تنفيرا وتثبيطا عن إقامة ركن الاسلام الذي يدعي الدفاع عنه فحسبنا الله ونعم الوكيل

سكة حديد الحجاز — وضريبة لها جديدة

تعلقت ارادة مولانا السلطان بأن يؤخذ قرش صحيح عن كل ورقة تقدم للحكومة في العدلية وغيرها من الدوائر سواء كانت الورقة مستقلة أو تابعة لاوراق أخرى كالاوراق التي يحتج بها الخصماء في الدعاوى (المستندات) والمال الذي يجمع من هذه الضريبة مخصوص بسكة حديد الحجاز لان نفقاتها تزيد كل يوم باتساع العمل

وفي هذا المقام ننوه بغيرة اخواننا مسلمي الهند واهتمامهم بهذا المشروع الاسلامي الكبير ونخص بالذكر الاستاذ الهمام الملا عبد القيوم فان الجرائد الهندية توافينا دائماً بذكر تجواله في البلاد وخطبه المؤثرة في الحث على جمع مال الاعانة للسكة ولم نسمع بأن عالماً مصرياً او تونسياً نبس بكلمة خير في هذا الموضوع ، نعم ان الحرية الممنوحة للمصريين لم تقدر ان تنقذ قلوبهم من الاستعباد للحكومة فلو أن حكومتهم أرادت جمع اعانة لأرادوا او لو ظنوا انها تريد ذلك لبادروا اليه كما امتنعوا عن الحج لانهم ظنوا ان حكومتهم لا تريد ان يحجوا في هذا العام «هذا وما فكيف لو»

(اصلاح لبنان — لائحة للمتصرف الجديد)

أهدتنا جريدة المناظر الغراء التي تصدر في البرازيل رسالة مطبوعة أو « لائحة » من جماعة اللبنانيين المهاجرين الى صاحب الدولة مظفر باشا متصرف لبنان وهي رسالة جليلة صادرة عن فكر حي نقتطف منها ما يأتي

«مولاي: الأمة اللبنانية مستقلة في شؤنها الداخلية فهل استقلت على سبيل الاستعداد ؟ ينبئنا التاريخ وتدلنا الحالة الحاضرة على أن الأمة لاتتحرك فيها عاطفة الاستقلال الا متى أنفت من الرضوخ للسلطة الاجنبية وأنها لاتأنف من هذا الرضوخ الا متى شعرت بطاقتها على ان تحكم نفسها • فالأمة اللبنانية لم تستقل على سبيل الاستعداد

« قد تقدم الاستقلال الداخلي اللبناني شيء مما يتقدم الاستقلال غالبا • تقدمته دماء ولكن ليست كالدماء التي جرت في أميركا سنة ١٧٧٥ وما يليها الى سنة ١٧٨٣ • تقدمته معارك ولكنها ليست كالمعارك التي حدثت في بولونيا سنة ١٨٣٠ • تقدمه جهاد ولكن ليس كالجهاد الذي حدث في جنوبي افريقية في السنوات الثلاث الاخيرة إنما الدماء

التى تقدمت استقلالنا كلها دماء لبنانية لم تمتزج بها نقطة من دماء جيوش الدولة المتسلطة ولا دار في خلد اللبناني في السنوات التي تقدمت استقلاله أن يخرج على الدولة التى كان ولا يزال يرفع رايتها والمعارك التي حدثت قبيل الاستقلال كلها أهلية نازل فيها اللبناني أخاه اللبناني • والجهاد الذي حـدث لم يخالطه من الروح الوطني ولا نسمة . دماء تعصب ومعارك صليبية وجهاد طائفى . تلك مقدمة الاستقلال اللبناني أو مقدمة المؤتمر الدولي الذي التأم في بيروت في حزيران سنة ١٨٦١ وقرر للبنان حالة السياسية الحاضرة

« فانظر يامولاي ما هي مقدمات الاستقلال اللبناني الداخلي تعلم سر اختلال اللبناني في حكومة نفسه . سر اختلال اللبناني في حكومته لنفسـه او سر الاختلال السـياسي في لبنان هو الفساد الاجتماعي الذي كان مصدر المقـدمات الاستقلال • فالاصلاح في لبنان يجب ان يكون اثنين ـ اصلاحا اجتماعياً ينتهي بالاصلاح السياسي الاختياري واصلاحاً سياسياً يستمر حتى تستقر نتيجة الإصلاح الاول • ما استقلمت (يامولاي) الامة اللبنانية وهي قادرة على سـيادة نفسها ولكنها استقلت فيجب ان نجعلها اهلا لهذه السيادة »

***

• ثم قال الكاتب بعـد ان ذكر ان المصلحة العامة لم تربط اللبنانيين ولم تربطهم وحدة اللغة بل قال انه ليس لهم حتى الآن مصلحة عمومية وانهم ماداموا كذلك فهم في حكم العدم وبعد ان اوجب البحث في سبب ذلك وجزم بأنه أهم ما يقال في الفساد الاجتماعي قال:

مولاي ؟ الارض التي يسكنها الدرزي اللبناني يسكنها المسيحي اللبناني • الهواء الذي يتنشقه الواحد يتنشقه الآخر • اللغة التي يتكلم بها هذا يتكلم بها ذاك • اذا راجت سوق الحاصلات اللبنانية في الخارج استفاد كلاهما معاً واذا كسدت تضررا معاً فلماذا وعلام اقتتلا ؟

مولاي : ما هو الفرق بين الارثوذكسي والماروني وبين كل منهما والملكي وبين كل منهم والمسلم وبين كل من هؤلاء والشيعي في كل ما هو لبناني دنيوي على الإطلاق ؟ لا تستطيع ياصاحب الدولة ان تجد من فرق فما هو سبب استقلال كل واحدة من طوائف لبنان عن الأخريات فيما هو دنيوي

لا يوجد في لبنان الا أربع مدارس دينية . والمدارس الدينية مشروعة الاستقلال . فهل اقتصر الاستقلال عليها ؟ كلا ياصاحب الدولة ان الاستقلال الطائفي تناول كل مدارس الجبل الاستعدادية والعالية • فما هي مشروعية هذا الاستقلال الطائفي في

مدارس نقول ان تعاليمها دنيوية .

الاحسان لا ينكره دين ما فما سواغية انفراد أبناء هذه الطائفة عن أبناء تلك في المشروعات الخيرية والآداب • والعلوم مشتركة فما معنى اصطباغ الجمعيات الأدبية والعلمية بالصبغات الطائفية

اذا أنعمت الحضرة العلية السلطانية على ابن هذه الطائفة بوسام أو رتبة عالين سر أبناء الطائفة نفسها واستاء أبناء الطوائف الأخرى

المؤلف يشفع اسم في صدر كتابه بنسبته الطائفية ومؤلفه عندئذ مفيد عند طائفته غير مفيد عند الطوائف الأخرى

الطبيب الدرزي طبيب الدروز . والمحامي الماروني محام للماورنة . والعالم الأرثوذكسي موضوع ثقة الارثوذكس فقط . والكاتب الملكي معتبر عند الملكيين فقط

فما هو سبب هذا التدافع . هذه المواربة • هذا التناقض • هذا الاستقلال في قوم تجمعهم المصلحة الطبيعية واللغة؟ هو التعصب الديني ياصاحب الدولة — التعصب الذميم الذي يزين لكل طائفة في لبنان انها مستقلة بمصلحتها عن الطوائف الاخرى • ولا مصلحة لها في الحقيقة يصح ان تسمّى مصلحة طائفية عمومية . ولا فائدة من استقلالها في مثل ما قدمنا من الامثلة الا فائدة رؤسائها الزمنية — فائدة استخدام هذا الاستقلال فيما يفيد الرئيس وانسباءه واصدقاءه باسم الطائفة — فائدة استخدام الدين في المنافع الذاتية . التعصب الديني هو سبب الاستقلال الطائفي . وهذا الاستقلال هو سبب انتفاء المصلحة العمومية • فكيف نلاشي هذا الاستقلال لتستتب لنا تلك المصلحة؟ »

ثم بيّنَ بعد ذلك في اللائحة كيفية الملاشاة وسنذكرها في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

﴿ المنار في البلاد الاسلامية ﴾

جاءنا من طهران كتاب يقول فيـه مرسله ان للمنار ذكراً سائراً في مجالس العلماء والمجتهدين وان الإمام العلام ، ملاذ الانام ، السـيد محمد الطباطبائي المجتهد المشهور « قد بالغ في مجلسه الغاص بالعلماء في تقريض مجلتكم والثناء عليكم • • وان الفاضل القمقام . علامة علماء الاسـلام ، الحاج الشـيخ زين الدين ، الملقب بملك الواعظين ، لانه أول واعظ ومتكلم على المنبر في هـذه الاقطار كان يعظ في شهر رمضان في احد جوامع طهران الموسوم بالجامع المروزي وهو جامع كبير معروف وفيه مدرسة كبيرة للفقه وسائر العلوم • • • • وقد اثنى عليكم وقرض مجلة المنار علي

منبر الجامع اثناء الوعظ والمسجد مملوء بجماهير الناس من الخاص والعام،

والمنار يفتخر بصداقة هذين العلمين في الامة المحمدية، ولا غرو فالبلاد الفارسية جديرة بهذه الاريحية، فانها كانت ينبوع العلم والاجتهاد وستبقى كذلك الى يوم التناد،

وجاءنا من تونس ان الجزء الواحد من المنار يدار على عشرات من الناس

وجاءنا من بلاد أخرى عربية ان أهلها لايرجحون على فتوى المنار فتوى وان بعض القضاة الشرعيين يعتمد على المنار في حجج بعض الاحكام ويحتج به وهذا دليل على حياة العلم هناك لاننا لانقول في الدين شيئاً الا بالدليل فهم يأخذون به لا بقولنا

وجاءنا من بعض المدرسين في بلاد روسيا أنه سمع كثيرا صدى المنار وخدمته للإسلام وأحب ان يطلع عليه ولكنه لم يعرف اسم صاحبه فاكتفى بأن يكتب الينا باسم «المنار في مصر» طالبا ارسال المنار اليه . فنشكر لهؤلاء الفضلاء الاعلام تنشيطنا على هذه الخدمة الملية ومساعدتنا عليها بالدعوة اليها والتنويه بها

﴿ انتقاد المقتطف الاغر ﴾

قرظ المقتطف الاغر كتاب الاسلام والنصرانية وانتقد علينا ما أوردناه في مقدمته من تمثيل الاسلام بينبوع تفجر في أرض ثم فاض في أرض أخرى فأنشأ به أهلها حدائق ذات بهجة الخ وتلطف كاتب الانتقاد الفاضل فأورد النقد بصفة سؤال سنجيب عنه في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

﴿ تنبيه لقراء المنار ﴾

قد اصدرنا الجزء التاسع عشر الذي موعده غرة شوال مع الجزء العشرين في نصف شوال فجعلناهما جزءا واحداً مؤلفاً من عشر كراسات فلم ننقص المشتركين من حقهم شيئاً . وقد غفل عن كبر الجزء وعما كتب عليه من العدد (١٩ و٢٠) بعضهم فكتبوا يطلبون منا الجزء التاسع عشر

﴿ إزالة وهم ﴾

يتوهم بعض الناس أن مما ينشر في المنار غير معزو الى أحد ما هو بقلم الاستاذ الامام أو بايعازه وقد تذكرنا هذا عند نشر تعريب (مسألة الشيخ محمد شاكر) وبهذه المناسبة نذكر ان كل ماينشر في المنار غير معزو أصلا فهو لصاحب المنار فكرا وعبارة، وهذا لاينافي اننا اقتبسنا كثيرا من المسائل العلمية التي ننشرها من معارف الشيخ في الدروس والمذاكرات ولكن الذي نود بيانه أن منشئ المنار مستقل في عمله استقلالا تاما لادخل لأحد فيه

الجزء الثالث والعشرون — المجلد الخامس

المنار
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «مناراً» كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر يوم السبت غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٠ — ٢٨ فبراير (شباط) سنة ٩٠٣ ﴾

مسألة النساء

(مضار تربية النساء الاستقلالية في الافرنج)

(تمهيد) للامم طريقان تسير عليهما في حياتها الاجتماعية طريق الهداية الدينية مع النظر والتجربة وطريق النظر والتجربة بدون استعانة بهداية الدين. ولا يعرف التاريخ أمة من الامم ارتقت في الحياة الاجتماعية بدون دين ولكن كثيراً من قادة الافرنج في السياسة والعلم قد مرقوا من النصرانية واستدبروا تعاليمها الاعتقادية والادبية والعملية في طريق مدنيتهم مقررين أنه لايعتمد في شؤن الحياة الاعلى النظر والتجربة معاً دون ماعداهما فاشتهر في العالم أن الافرنج مرقوا من الدين في الواقع وانما ينصرونه ويتعصبون له لأجل السياسة الخارجية وأنهم لم يرتقوا الى قنة حضارتهم هذه الا بهذا المروق والاستدبار . وهذه شبهة أو حجة على بطلان النصرانية اذا كان الدين كما يقول المسلمون سائقاً الى صلاح

الدارين، وسعادة الحياتين، ولكننا رأينا من كتاب النصارى من يقول ان الدين خاصّ بطلب الدار الآخرة ومراعاة تعاليمه في أمور الدنيا مفسد لها.

وقد خدع بمثل هذه الاقوال والأحوال بعض المسلمين الجغرافيين الذين لايعرفون من الاسلام الا بعض مايرون ممن عاشوا معهم فحسبوا ان المسلمين لايرتقون الا بمثل مارتقى به الافرنج من استدبار الدين والاعتماد على النظر والتجربة اللذين هما طريق تمحيص العلم . يقيسون ديناً على دين يخالفه في حقيقة معناه وفى تعاليمه الاعتقادية والأدبية والعملية وفى آثاره الاجتماعية والمدنية ولا حجة لهم الا أن الأفرنج باستدبار الدين ناجحون، والمسلمين في الواقع ونفس الامر خاسرون، ولوأبصروا لرأوا ان هذا الخسار، انما تولد من المروق والاستدبار . وان قياسهم انما هو قياس الضد على الضد، ولله الأمر من قبل ومن بعد،

لقد سبح القلم الى مايس من موضوعنا في هذا التمهيد والذي نريد ان نقوله هو أن الإنسان على كونه أرقى الاحياء في هذه الارض لم يستغن ولن يستغني بنظره وتجاربه عن هداية الدين وإرشاده ولَدِينٌ وثني خير له من ترك التدين بالمرة . وأن كل أصول الارتقاء التي بني عليها عمل مستدبري النصرانية في أوربا مستفادة من الدين إما من بقايا دينهم تقليداً وإما مما وصل اليهم من الاسلام اجتهاداً . وأنه يجب على المسلمين الذين وجهوا وجوههم للحضارة الافرنجية بالتربية والتعليم ان يترووا في نظام هذه التربية وقوانينها فلا يجعلوها تقليدية خالصة . وأنه يجب ان يكون أول هذا التروي تقوية الرابطة الملية التي كانوا بها أمة لئلا تكون التربية مفرقة لاجتماعهم ممزقة لشملهم فيكونوا كالباحث عن حتفه بظلفه . وأنه

يجب اقامة ماقرره الدين على سبيل القطع والتروي والاجتهادُ فيما وكله الى الناس والاعتماد فيه على النظر والتجربة والاعتبار بسير الامم ونتائجه . وان أكبر العبر ماوقع فيه الافرنج من الامراض الاجتماعية بشذوذهم عن هداية الدين في كثير من المسائل وان انتفعوا نفعاً عظيما في أمور أخرى اذا خالفت النصرانية فانها توافق الاسلام بل هي لابدّ ترجع الى أصل من أصول هدايته كما تقدمت الاشارة اليه آنفا

مسألة النساء : وبعد هذا التمهيد نقول ان لدينا الآن مسألة كبيرة وهي مسألة النساء كيف يُعلَّمْنَ وكيف يربين ليكنّ عونا للرجال على الارتقاء ومجاراة الامم الحية .

ان طلاب تغيير سير الامة بالتربية والتعليم قد وضعوا نصب أعينهم أوربا وارتقاءها فمنهم من يطلب محاكاتها أومجاراتها وهم الحكام وبعض العقلاء، ومنهم من يستحب تقليدها تظرّفا أو تزلّفا وهم الذين أخذوا قشورا من العلوم العصرية في مدارس أوربا أو مدارس بلادهم التي أنشئت لهذه العلوم وفتنوا بزخرف المدنية الأوربية وبهرجها . كانت فرنسا هي القبلة الأولى للاستانة ومصر في طلب هذا التحوّل لأنها أم هذه المدنية الجديدة فى الغرب والشرق . ثم إن مصر وجهت وجهها في هذه السنين الى انكلترا بحكم طبيعة الاحتلال الانكليزي ومثلها الهند في هذا التوجه . ويرى هؤلاء ان الانكليز أقوم تربية من الفرنسيس ولذلك نورد لهم مااستفدناه بالمذاكرة والمناظرة مع بعض أهل العلم والخبرة التامة من الانكليز في مسألة النساء، ليعلموا ان التروي الذي قلنا بوجوبه في التمهيد لابد منه . ثم ننتقل الى الحكم بضروة اتباع الهداية الاسلامية في مسألة النساء والتربية

القويمة التي تنطبق عليها ليتبين لهم أن طريقة النظر والتجربة في هذا القرن لم تغن عن الهداية التي جاءت على لسان نبيٍّ أميٍّ منذ ثلاثة عشر قرنا ونيفا

الغرض من التربية والتعليم سعادة الامة بهناء المعيشة وشرف المنزلة وانما يطلب الهناء والشرف للحيّ النامي فاذا كانت طريقة التربية والتعليم تؤدي الى قلة النسل وعدم نموّه فتلك هي الطريقة السوءى وسلوكها هو الجناية الكبرى على البشر. وتربية الاناث تربية استقلالية كما يتربى الذكور سواء مخلٌّ بوظيفة النساء الفطرية ومؤدٍ الى تلك النتيجة المخيفة – قلة النسل المؤذنة بهلاك البشر

انتجت هذه التربية في انكلترا النتائج الاتية (١) اعتماد النساء على انفسهن في المعيشة والكسب (٢) توجههن الى الاعمال الخارجية أي التى تكون خارج البيوت وتنافي تدبير المنزل (٣) رغبة الكثير منهن عن الزواج بالمرة وقال بعض أطباء الانكليز إنه عرف بالاختبار أن نحو اربعين في المئة من النساء كذلك. وقال بعض أطباء فرنسا إن إناث البشر كإناث سائر الحيوانات الاصل فيهن الرغبة عن مباشرة الرجال الا في وقت مخصوص وهو وقت الاستعداد لقبول التلقيح وان ماعدا هذا فهو عارض على البشر وبين أسبابه وذكر أن هذا العارض يكون في بعض الافراد مرضا من نوع (الهستيريا) وليس هذا محل شرح أقواله.

(٤) أن أكثر النساء المتعلمات المتربيات يكرهن الأُمومة إما لما في الحبل والولادة من المشقة والتعب وإما لاضطرارهن الى ملازمة البيوت في معظم مدة الحبل والرضاعة اذا هن أرضعن أولادهن والبيوت صارت فى نظرهن كالسجون لتعودهن على كثرة الخروج. وإما لاحتياجهن في ذلك الى

نفقات كثيرة تعوزهن أو يفضلن التوسع بها في الترف. ومنهن يذهب في ذم الأمومة مذهب الخيال الذي يلتبس عليهن بنظريات الفلسفة أو تقاليد الدين المسيحي فى جعل الانسان ملكوتيا فيقلن ان الحبل والولادة من صفات الحيوانات فينبغي الترفع عنه. وهذه جهالة بمعنى الانسان وما هو الا حيوان أرقى من سائر الانواع في جنسه. وليس في استطاعة الخيال أن يخرجه عن كونه حيوانا وان استند الى الفلسفة اوالدين

(٥) انه قد فشا في النساء تناول الادوية لمنع العلوق وللاسقاط بعد تحققه

(٦) ان البنت قلما تتزوج في أول طور الاستعداد للأُمومة وهذا التأخير من اسباب عسر الولادة لأن الاعضاء في طور الحداثة تكون مرنة تمدد بسهولة فاذا كبر السن قلت هذه المرونة المسهلة للولادة. ويزيد العسر عسراً ضعف الاجسام بالإفراط في الترف والنعيم فصار من الضروري ان لا تلد المرأة الا وهي مخدرة بالكلوفورم وبمساعدة الاطباء

(٧) ان الولادة قلما تنتهى بسلامة من مرض خطر فهذه سبع نتائج بعضها سبب لآخر ونضيف اليها نتيجتين عامتين فى النصارى وهما

(٨) ان المرأة ملزمة في عرف النصارى بان تدفع لمن ترغب فى التزوج به مهراً وكثيراً ما يعسر عليها ذلك فتضطر الى التبتل أو البغاء

(٩) ان الرهبانية مشروعة للنساء كالرجال ومعدودة فى الفضائل الدينية عند اكثر النصارى. فهذه تسع أسباب من اسباب قلة النسل ومقدمات انقراض الامم. وما عدا الاخيرين منها فهو من آثار التربية الاوربية. ولما كانت فرنسا هى السابقة في هذه التربية النسائية ظهر فيها قلة النسل واطباؤها وساستها في حيرة من أمره. وستتبعها انكلترا في ذلك

بعد سنين ، وإن خفي ذلك على المعجبين بتربيتها من الشرقيين

وإذا التفتنا الى جانب الرجال نراهم فى انكلترا يأخذون إخذ الذين سبقوهم بهذه المدنية الفاسقة في فرنسا فاكثر الشبان يرغبون عن الزواج بالمسافحة والمخادنة ولا يكاد أحدهم يتزوج حتى يناهز الاربعين سنة أو يجاوزها ثم هو لايود أن يكون له ولد كثير وإنما يبتغي وليًّا يرث ماله ويحفظ اسم بيته ان كان من اصحاب البيوتات ولا يكره ان يكون له ثان يخلف الاول اذا هو درج فإن عُزّز بثالث احتمله وكره كرها شديدا ان يزيد ولده عن عدد « الاقانيم الثلاثة » ويتفق مع زوجه على الاجهاض اذا كانت ودوداً ولوداً

ولا تحسبن هذا الصياح والعويل من ساسة فرنسا وبعض كتابها في الشكوى من قلة النسل عامة في الامة بل الاكثرون يرون ذلك شرطا في سعادة الامم كما يرونه شرطا في سعادة البيوت فان الامة التي يتضاعف سكانها في مدة قريبة لاتلبث أن تضيق بها بلادها وتضطر الى المهاجرة الى بلاد دونها لتعمرها وتغالب اهلها عليها وفي ذلك من الشقاء استبدال الدار الخربة بالدار العامرة . ويقولون إن الدولة لاتشكو من قلة النسل حباً في الامة ولكن طمعا في مباراة الدول المستعمرة فالسبب فى ذلك طمع الملك الذي لا يكتفون ببذل رفاهة الامة في سبيله وانما يبذلون ايضا أموالها ودماءها . لهذا يعسر على مثل فرنسا ان تعالج هذا الداء الاجتماعي القاتل مادامت على هذه الطريقة فى التربية والتعليم وفساد العقيدة وحرية الفسق والفجور

بقي علينا ان نلتفت لفتة ثالثة الى البيوت لننظر كيف يعيش الزوجان

اللذان نظرناهما منفردين اووصفنا من حالهما منفصلين . يتوهم المفتونون بمدنية أوربا ان السعادة المنزلية ، ونعيم المعيشة الزوجية ، يوجدان في الغرب حيث توجد العلوم العالية والتربية المشتركة بين الصنفين . ويتوهم أكثر الذين قرأوا ذلك الوصف البليغ المؤثر للحياة الزوجية السعيدة في كتاب (تحرير المرأة) أنه وصف منتزع من البيوت الاوربية فمنهم من يتمنى مثله بتربية مثل تلك التربية وتعليم مثل ذلك التعليم ولا مانع لنا منه كما يقول الكتاب . ومنهم من يرى ان المسلمين محجوبون عن تلك السعادة بحجاب النساء وانه لاسبيل اليها فما لنا الا أن نسأل الله ان يعوضنا عنها في الآخرة ما هو خير منها

الحق الذى لامرية فيه ان هناء المعيشة الزوجية لايتحقق الا بتحقق أمور (احدها) اذعان المرأة بأن الرجل هو سيد المنزل ورئيسه وانها هي تابعة ومرؤسة له . ولا تذعن فى نفسها هذا الإذعان الا اذا تربت عليه واعتقدته دينا (ثانيها) ثقة الزوجين بالاختصاص بأن يعتقد الرجل انه لايشاركه أحد في زوجه وتعتقد المرأة ان زوجها لايختلف الى غيرها من خدن أو بغيّ . وهذان الامران متحققان في الشرق بالدين أكثر من تحققهما في الغرب. ولا استثني من الشرق مصر التي هي أفسق بلاد المشرق وأكثرها فساداً في البيوت (العائلات) . (ثالثها) المشاكلة فى الطباع والمقاربة في السجايا والافكار . وهذا الامر ظاهر فى الغربيين وهو في الشرقيين كذلك فى الغالب . ومن غير الغالب بعض المتعلمين من المصريين فانهم لايجدون في النساء من يقاربهم فى أفكارهم . وهم الذين يشكون من حال النساء ويطلبون تغييرها بتربية وتعليم جديدين وان لرغبتهم تأثيراً كبيراً في

الامة لانها موافقة لرغبة الحكومة وسعيها . والعمل على هذا وان أنكره بالقول الا كثرون

نعم يجب ان يكون النساء على مقربة من الرجال في الافكار والاخلاق والمقاصد والرغبات فالبلاد التي انتشر فيها تعليم البنين ينبغي ان ينتشر فيها تعليم البنات حتى لا تتسع مسافة الخلف بين الصنفين ولما في التربية والتعليم من الفوائد الكثيرة ولكن يجب علينا ان لا نتبع خطوات الاوربيين قدما بقدم وأن لا نحتذي شاكلتهم حذو القذّة للقذة بل علينا ان نتوقى من أول السير كل ما رأيناه سيّئ العاقبة فيهم وذلك يرجع الى أصول أهمها تربية الانثى تربية استقلالية تامة وتعليمها كل ما يتعلمه الذكور فهذان الامران ينافيان إذعانها لسيادة الرجل باطنا وظاهراً ويبغّضان اليها ملازمة البيوت وهي وظيفتها الطبيعية الشرعية التي ليس لها تركها الا لسبب مقتض كما أنهما يعرضانها لتدنيس عِرضها وإهانة شرفها الذي لا تسمو عند الرجل ولا تملك قلبه الا به .

وحسبي ان أقول في التربية النافعة للنساء يجب ان تكون إسلامية وأن أقول في تعليمهن الاول انه كتعليم الرجال أي ينبغي ان يعرفن مبادي العلوم المدرسية كلها وأما ما وراء هذا فيجب ان لا يتوسعن الا فيما يلزم للبيوت من تدبير ونظام وتربية أطفال . ومن ذلك صنائع اليد والخياطة

فعلم مما تقدم انه يجب علينا التروي في تربية البنات وتعليمهن وان لا نقلد فيهما الغربيين تقليداً أعمى لاسيما فيما يحظره علينا ديننا فقد تبين بسير العلم والتجربة في أوربا عدة قرون ان كل ما خالفوا فيه الاسلام كان ضارًّا فقد رجعوا الى الطلاق الذي كانوا يعدونه من اضر الامور في الاجتماع البشري

فصاروا يعدونه مثلنا من ضروراته . وتبدأوا يشعرون بأن تعدد الزوجات من ضرورات الاجتماع أيضا ووجد من نسائهم داعيات اليه لاسيما في بلاد الانكليز حيث تزيد عدد النساء على الرجال ضعفين فيكثر الزنا ويكثر عدد النساء اللواتي لا عائل لهن كما بيناه في مقالة مستقلة بالنقول والشواهد عن جرائد انكلترا (راجع ٤٨١ م ٤) ولنا ان نعتبر أن تأييد سير العمران وحوادث الزمان لاحكام الاجتماع في الاسلام من جملة الدلائل والبراهين على صحة أصله وكونه وحيا من الله تعالى لا وضعاً من حكماء البشر كما يتوهم الملحدون . وقد طال بنا الكلام والمسألة تحتاج زيادة في البسط نرجئه الى فرصة أخرى

باب رد الشبهات عن الاسلام

(احياء الاسلام لمدينة اليونان والرومان والمصريين)

ذكرنا في آخر الجزء الماضي ان المقتطف الاغر قرظ كتاب (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) وانتقد في تقريظه التمثيل الذي أوردناه في مقدمة الكتاب مورداً انتقاده في صورة سؤال يستحب أن يسمع جوابه ان كان عندنا جواب ، وها نحن أولاء نوافيه بما يجب بعد ايراد السؤال أو الانتقاد . قال الكاتب الفاضل بعد ذكر اسم الكتاب ونسبته الي من نسب اليه : « وهو مقالات نشرت في مجلة المنار الإسلامي ثم جمعت على حدة في كتاب . قال حضرة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في تمهيد وضعه لها ما نصه :

« ينبوع تفجر في أرض وفاض ماؤه على غيرها فأحيا الارض بعد

موتها ولكن القائمين على حراسته وتعاهده وضعوا فوقه أنقاضاً من خرائب جيرانهم فغيض الماء وما بقي منه صار مستنقعات تُجتَوى . ولم يلبث بعد ما غاض أن فاض منه شيء في مواضع أخرى فانتفع أهلها به وحافظوا عليه ولكن الاكثرين منهم لا يعرفون من أين جاءهم كما ان أكثر أهل الينبوع المنتسبين اليه بالاسم لا يعرفون أن ذلك الماء الذي تفجر من تلك المواضع فأنشأ أهلها به حدائق ذات بهجة هو من ماء ينبوعهم وأنهم لو أزالوا عنه تلك الانقاض لفاض ورجع اليهم به خصبهم ونماؤهم كأحسن ما كان لأنهم تعلموا من غيرهم كيف يستخدم الماء للاحياء . ذلك مثل المسلمين اليوم مع الامم الغربية الحيّة الراقية . أخذ الغربيون من الاسلام كل أصول الإصلاح لذي هم فيه »

(ثم قال الكاتب بعدما نقل هذه الجملة ما نصه :) « ويا حبذا لو بين لنا حضرة الاستاذ الفاضل من أين أتى الماء الذي أحيا مدنية اليونان والرومان فأنشأوا به الحدائق والجنات والماء لذي أحيا مدنية المصريين الأقدمين فبقيت آثارهم الصناعية الى الآن لم يقو ملوك العرب على محوها مع ما بذلوه في ذلك من العناء وآثارهم الأدبية مرسومة في صفائح الصخور تعلّم اسمى الفضائل وأفضل الآداب »

﴿ جواب المنار ﴾

كنا بالأمس أو بالأموس نردّ شبهات بعض المتطفلين على موائد العلم ، والمتهجمين على الطعن في الاسلام بغير فهم ، ونحن اليوم إنما نذاكر عالماً غزير المادة واسع الاطلاع وناظراً أديباً ذكيّ الفؤاد ؛ دقيق الانتقاد ، الا أن قلمه عثر في هذا الميدان وقد يكبو الجواد ؛

من حسنات المقتطف أنه ينتقد الكتب التي يقرظها ولا يتبع سنن الجرائد في مدح كل ما يهدى اليه من كل وجه وان كان مذموماً من وجوه كثيرة . وانتقاد الكتب التي تنشر بين الناس أمر نافع ولكنه وعر المسالك لأن وقت كتاب المجلات والجرائد قصير يضيق عن قراءة كل ما يهدى اليهم من المطبوعات لانتقاده ولأن أصحاب تلك المطبوعات من المؤلفين او الناشرين يألمون من الانتقاد وان كان حقاً ومقنعاً . وبعض الانتقاد يؤلم الجماهير من الناس اذا كانوا على خلاف رأي المنتقد . فالتصدي للانتقاد مع هذه الوعورة في طريقة يعدّ فضيلة توجب الثناء والشكر على من يعرف فوائد الانتقاد في تجلي الحقائق وتحري الصواب وتنقيح العلوم والفنون .

ولقد قلت من قبل قولا في ذلك كشفت به عما في نفسي وهو : سواء عندي من مدح قولي ومن انتقده لأنني في حاجة الى معرفة ما يستحسن منه وما يستقبح على سواء بل ربما كنت أحوج الى معرفة موضع النقد ، مني الى معرفة موضع الحمد ، لأن هذا أبعث على إصلاح العمل ، وأهدى الى توقي الزلل ،

أما عثرة المقتطف فهي ظاهرة لأول وهلة في تحويل التمثيل عن موضعه فإنه صريح في كون الكلام في « المسلمين اليوم مع الأمم الغربية الحية الراقية » لا مع المصريين الأولين ، ولا مع اليونانيين والرومانيين ، وصريح في كون الأمم الحية أخذت من ينبوع الاسلام كل أصول الاصلاح الذي هم فيه . وهذه المسألة المجملة في مقدمة الكتاب مفصلة بعض التفصيل في الكتاب نفسه ولذلك لم يطالب المنتقد بيانها لأنه طلب تحصيل الحاصل أما مدنية المصريين واليونان والرومان فالناقد يعلم انها قد ماتت قبل

ظهور الاسلام وإن بقي لها آثار تدل عليها ويعلم ان الاسلام أحياها بعد موتها فأنشأ أهله — لا أهلها — بها حدائق العلم والعمل في بغداد ومصر وقرطبة أو في الشرق والغرب والوسط ومن هذه البلاد انتقل العلم والمدنية الى الامم الغربية الحية بلا نزاع

ولم يكن الكلام في ذلك التمثيل في المدنية الصناعية وإنما كان في الاصلاح البشري اي الاصلاح الذي ارتقت به عقول البشر وتهذبت نفوسهم وتوثقت روابطهم الاجتماعية وعرف بعضهم لبعض حق الانسانية فاذا كانت تلك الامم التي سبقت الاسلام بالمدنية الصناعية وبنى أهلها أهراما لم يبن مثلها المسلمون فالاسلام قد أفاد البشر مالم تفده تلك الصناعة أفادهم ارتقاء في العقول علمهم أن تلك الاهرام وما يشابهها قد بنيت باستعباد البشر وأسر أرواحهم واشباحهم وتسخير الملايين منهم لخدمة شهوة ملك من الملوك الظالمين أو لخدمة وساوسه الدينية

علمهم أن تلك المدنية كانت تسحر بعلمها المحصور في طبقة مخصوصة أبصار الأمة وتخيل للناس ما ليس له حقيقة فتسترهبهم وتحملهم على الخضوع الاعمى لأولئك الرؤساء الضالين المضلين ، الغارّين المغرورين

علمهم كيف يحكمون على اليونانيين بفساد الفكر فى الخضوع لآلهة لاوجود لها الا فى الخيال وتحكم تلك الاوهام في مدنيتهم وحربهم وصناعتهم فهيكل جوبيتير الذي يدهش الناظرين ببديع صناعته هو آية على ان تلك المدنية الصناعية كانت مقترنه بضلال العقل وفساد الفكر فى المسائل التي يمتاز بها البشر على النحل والنمل الابيض والعنكبوت وهي حشرات أتقنت أعمالا من الصناعة كانت فيها من أساتذة الإنسان كما يقول بعض العلماء

علمهم كيف يحكمون على شرائع تلك الامم وقوانينها بالظلم وهضم حقوق الانسان بما يفضلون شعوبهم على سائر الشعوب فى الحقوق فإنه لم توجد شريعة وضعية ولا سماوية معروفة قبل الاسلام تساوي بين أهلها وبين جميع من يقبل حكمها من المخالفين وان كانوا قوما معادين «ولا يَجْرِمنَّكم شنآن قوم على أن لاتعدلوا اُعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون» وهذه الآية من سورة المائدة التي هي آخر القرآن نزولا ومعناها لاتحملنكم معاداة قوم على ترك معاملتهم بالعدل فان العدل واجب مع الوليّ والعدوّ لانه من تقوى الله الخبير بالأعمال والمجازي عليها.
والمصريون كانوا يستحلون ظلم غير المصري بل يُعبِّدونه تعبيدا لملكهم كما فعلوا بالاسرائيليين . وكذلك اليونان والرومان وهذا تاريخ اليهود شاهد بأن الرومان قد ظلموا الاسرائيليين ظلما يضاهي ظلم المصريين لهم . فأين هؤلاء وأولئك من معاملة الاسلام لليهود . تقدمت الذكرى في الجزء الماضي بمساواة عمر بين عليّ بن أبي طالب (وما أدراك من هو) ورجل آحاد اليهود . وعندنا ماهو أعظم من ذلك وأشرف

روى الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي وغيرهم عن زيد بن سَعْنَةَ وكان من أحبار اليهود أنه ابتاع من النبي صلى الله عليه وسلم تمرا الى أجل وأعطاه الثمن فلما كان قبل الأجل بيومين أو ثلاثة أتاه يطالبه بالتمر (قال) : فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت ألا تقضيني يامحمد حقي فوالله إنكم يابني عبد المطلب مُطْل : فقال عمر : أي عدوّ الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك : ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى

عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال : أنا وهو كنا أحوج الى غير هـذا منك ياعمر -- أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضي اذهب به فاقضه وزده عشرين صاعامكان مارُعتَه » ففعل ثم أسلم هذا الحبر الجليل وقال بعد ذلك إنه فعل مافعل ليختبر أخلاق النبوة وعلاماتها فلما رآها كملت فيه عليه السلام آمن به

وجملة القول إن الإسلام علم البشر أصول السعادة الحقيقيـة التي لم تكن معروفة عند المصريين ولا اليونان ولا الرومان وأهمها (١) صقل العقول بصقال التوحيد الخالص وتطهيرها من صدإ الخرافات والأوهام ليكون الفكر مستقلا فيما يعتقد يرفض التقليد ويعتمد على البرهان . و(٢) بيان ان للكون سنناً ونواميس ثابتة ينبغي ان يهتدي بها الانسان فى سيره العلمي والعملي . و (٣) توسيع دائرة الجنسية بجعل شريعته تساوي بين جميع الامم والملل اذا قبلوا حكمها وقد كانت جنسية المصريين مصر واليونانيين أثينا والرومانيين رومية و(٤) القصد في المعيشة فقد اسرف القوم فى الشهوات اسرافا صاروا بها شرا من البهائم

ولو شئت أن اسرد محاسن الاسلام وأعدّد مساوي تلك المدنيات القديمة لخرجت من جواب سؤآل الى تأليف اسفار كبيرة وقد نشرنا فى الجزء الماضي نبذة معربة من كتاب أميل القرن التاسع عشر فى انتقاد آداب اليونان والرومان وفيها عبرة لمن اعتبر

فإن قيل ان النصرانية قد سبقت الاسلام الى إخراج اليونان والرومان من ظلمة الوثنية أقول أولا إن النصرانية لم تنتشر في تينك الامتين الا بعد ما داخلتها الوثنية ولكنها قربتهم من التوحيد لانها نقلتهم من عبادة مخلوقات

كثيرة الى عبادة مخلوق واحد على أن فيه معنى من الألوهية مركب من ثلاثة أقانيم . وثانياً ان النصرانية لم تجتمع مع مدنية الأمتين وانما أجهزت عليها حتي محت تلك العلوم قبل أن تبلغ كمالها ، وطمست تلك الاعمال الصناعية وشوهت جمالها ، وما زالت في تدل وانحلال ، حتى جاء الاسلام فانتاشها من براثن الاضمحلال ، ذكر المؤرخون أن المسيحية تمكنت في أثينا أثناء القرن الخامس وفي أول القرن السادس قطع يوستنيانوس أجرة المعلمين العموميين في أثينا ومنع تعليم الفلسفة لأن المدارس كانت مضرة بالنصرانية ومن ذلك الوقت أخذت أثينا بالانحطاط

ونختم القول بنتف من التاريخ في مساوئ وخرافات اليونان والرومان الذين يباري المقتطف بهم الاسلام . قال في برهان البيان : « بينما كان الرومانيون محتفلين بعمل موسم تشريف لروح قيصر إذ ظهرت نجمة ذات ذنب طويل ومكثت سبعة أيام فظنت الأمة الرومانية أن روح قيصر صعدت الى السماء وتصورت بهذه الصورة وانتظمت في سلك العالم العلوي » !!

فلولا وجد من الرومانيين من يقول كما قال النبي الامي (عليه الصلاة والسلام) لقومه عند ما كسفت الشمس يوم مات ولده ابراهيم وظنوا أنها كسفت لموته : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته »

وجاء في ذلك التاريخ أيضاً : كان من ثوابت عادات اليونان وأهل آسيا بناء هياكل للملوك بل ولكبار الحكام ليكون ذلك أقوى فى الدلالة على الانقياد والعبودية . وأما الرومانيون فكانوا يعبدون اسلافهم في معابدهم الخاصة فقط : ثم ذكر انه من عهد رومولوس الى عهد قيصر لم ينتظم أحد

في سلك الآلهة التي لها هياكل ومعابد عامة .

ومن ظلمهم ان طيباريوس اتخذ القانون القاضي بعقوبة كل من يسيء الى الأمة الرومانية آلة للانتقام كما يشتهي . وكانت الامة استعدت لذلك من زمن اغسطوس الذى سلب الامة حق التشريع والحكم في الجنايات فتفاقم الشر واستشرى الفساد في عهد طيباريوس الذي سلب الامة حق الانتخاب أيضاً لانه كان يعاقب كل من يتهم بقول أو عمل أو اشارة تعد انتقادا على الامة وكل الامة كانت عيوبا ولا بد للناس من التبرم من الشر الواقع بالقول والفعل أو الاشارة بل كانوا يحاسبون الناس على خواطرهم ويعاقبونهم ولم يكن القضاة يتوقفون في الحكم على المتهم بأدنى الشبه . وكانوا يعاقبون على أمور لا تخطر في بال أحد من أهل الممالك المستبدة التي فيها مايشبه تلك المظالم الى اليوم . من ذلك ان طيباريوس آخذ رجلا باع بيته وكان فيه صورة الامبراطور !! وان دوميشانوس حكم بالقتل على امرأة علم أنها نزعت ثيابها امام صورته !!

فهل كانت تلك المدنية محتاجة في إصلاحها الى ينبوع العدالة الإسلامية التي يستوي فيها الخليفة مع أدنى السوقة من غير المسلمين في الحقوق ؟ نعم إنها كانت في أشد الحاجة اليه ولذلك انتشر نور الاسلام بسرعة البرق

وقال صاحب برهان البيان : ولما كان الرومانيون متعودين على التلاعب بالطبيعة البشرية في أولادهم وأرقائهم كما يعلم ذلك بالوقوف على قوانين الرومانيين المتعلقة بحكم الآباء والامهات على أولادهم كان لا يمكنهم غالبا معرفة ما نسميه إنسانية وهي فضيلة الرفق .... وإذا كانت عادة الملة الجبر والقسوة في الحالة الداخلية الملكية فكيف ينتظر منها الرفق والعدالة الطبيعية . وكثيراً ما يطلع القارئ في تاريخ القياصرة على قتل أناس كثيرين

لقصد مجرد ضبط أموالهم للدولة — ثم قال — : ومن نظر في مرآة تاريخ الرومانيين رأى فيها صور الاشياء البشرية فيجد في هذا التاريخ كثيراً من الحروب الواقعة والدماء المسفوكة والامم المدمرة والوقائع الجسيمة، والنصرات العظيمة ، والتدابير الجمة ، والحكمة البالغة، والاحتراس والثبات والشجاعة . ويجد فيه أيضاً تصميم النية على التغلب على كل شيء وأنه حصل كما ينبغي واستمر وانتهى كذلك وأنه لم يترتب عليه الا إسعاد خمسة رجال أو ستة من الأشرار .

نقول: فهل كانت مثل هذه المدنية محتاجة الى ينبوع العدالة الإسلامية لإصلاحها وإحياء النفوس التي أماتها الظلم والجبروت؟ نعم كانت في أشد الحاجة الى هـذا الإصلاح ولذلك قبلت الاسلام بسهولة . ونسكت الآن عن الكلام في فساد اخلاق الرومانيين وتهتكهم في الخلاعة والفسق وانغماسهم في الترف والملاذ وفساد أخلاقهم الشخصية فقد أوغلوا في ذلك إيغالا مدهشا يثبت أن أرواحهم ماتت وكانت محتاجة للإحياء . وهنا يخطر في بال القارئ أن النصرانية هي التي سبقت لإصلاح نفوسهم وإحياء مدنيتهم التي أماتها الظلم والفسق ونقول إن النصرانية مهدت بعض التمهيد للإسلام ولكنها لم تكن محيية بل كانت مجهزة على تلك المدنية كما أشرنا الى ذلك في مسألة مدنية اليونان

(تأثير النصرانية . في المدنية الرومانية)

جاء في تاريخ القرون المتوسطة ان النصرانية لم تكد تنتشر وتقوى في بلاد اليونان والرومان ومنها بلاد مصر حتى رأى رؤساؤها وجوب هدم الهياكل وكسر التماثيل ومحو الصور اليونانية والرومانية لأنها آثار الوثنية فقاموا بهذا الواجب حتى محوا آثار صناعة البناء والفنون الجميلة وكادوا ولولا

أن بعضهم رأى تحويل بعض الهياكل الى كنائس لما بقي لتلك الامم أثر في الوجود . وقد أصدر تاودسيوس أمراً رسمياً بهدم الهياكل وتكسير الصور سنة ٣٩٠ للميلاد . ثم رأوا أن في علوم تلك الامم خطراً على النصرانية فطفقوا يحرقونها في كل مكان فقد أحرقت مكتبة الاسكندرية بأمر تاودسيوس سنة ٣٩٠ للميلاد وأحرقت مكتبة اوكتوغونه في القسطنطينية سنة ٤٧٦ للميلاد وحملت الحمية الدينية لاون اللوزرياني على تحريق مابقي من الكتب سنة ٧٣٠ . وكان في هيكل ابولون پلاتين بمدينة روميه مكتبة فيها أنفس كتب الآداب من عهد غسطوس فكانت غيرة البابا اغرغوار وتقواه عاملتين على إحراقها وحرمان الناس من تلك الوديعة التي جعلها العالم وارون في حماية إله الشعر وكنفه . (على اعتقادهم)

والامر الذي لاخلاف فيه هو ان انحطاط الامة الرومانية كان مقارنا لانتشار النصرانية فيها . فالوثنيون الرومانيون كانوا يقولون إنها هي السبب في ذلك الانحطاط والنصارى يقولون ان ذلك كان لأسباب سابقة ولكن لماذا أجهزوا على تلك المدنية ولم يصلحوها وينقوها من أوضارها بدلا من محوها وطمس معالمها؟ وماذا أبقى النصارى للعرب ؟ ما ابقوا لهم إلا نزراً من الكتب أحيوها به

أما تمهيد النصرانية للاسلام الذي أشرنا اليه فهو إضعاف تلك الوثنية واضعاف تلك الحمية الجاهلية وذلك السرف في الترف بالغلو في الزهادة والانقطاع الى العبادة ثم إضعاف الامة بالخلاف في الدين والتنازع بين دولة القياصرة ودولة الرهبان والاساقفة وانتصار هؤلاء وتحكمهم بخرافاتهم في الامة . فالذي مكن المسلمين من الاغارة على صقلية والاستيلاء على سيراقوسة هو إلزام القسيسين القيصر باسيله الأول المقدوني بأن يشغل الجيش ببناء كنيسة

القديس ميخائيل وكذلك ألزموا خلفه القيصر ليون بأن يشغل عسكر الاسطول بمثل ذلك فتيسر بذلك للمسلمين الاستيلاء على جزيرة لمنوس وأما خلافهم في عبادة الصور وما نشأ عنه من التنازع والفشل فحدث عنه ولا حرج . فثبت بذلك ان النصرانية قد زادت اليونان والرومان جهلا ووهنا فكانوا بذلك في أشد الحاجة الى ذلك الينبوع الذى فاض في أرض العرب وتفجر ماؤه على غيرها فأحيا البلاد والعباد — كما هو شأن الانهار والينابيع تفيض من مكان وتحيي ما تسير اليه — وصح تمثيلنا حتي على الوجه الذى صرفه اليه الدكتور الفاضل محرر المقتطف الاغر . وهذا جواب سؤاله بالاختصار

لاحقة سجل جمعية ام القرى

يقول (السيد الفراتي) انه بعد تفرق الجمعية بنحو شهرين ورد اليّ من الصاحب الهندي كتاب يذكر فيه انه بعد مفارقته مكة المكرمة اجتمع بأمير جليل فاضل من أعاظم نبلاء الامة ورجال السياسة . فاستطلع رأي الامير في شأن النهضة الاسلامية وبعد ان دار بينهما حديث طويل تحقق من خلاله سمو فكر الامير والتهاب غيرته ذكر له اطلاعه على سجل جمعية أم القرى واشياء من مذاكرتها ومقرراتها فأظهر الأمير سروره من الخبر وشديد شوقه للاطلاع على السجل الذى ذكره له فعندئذ وعده بإعارته نسخة من السجل ثم ارسلها اليه وبعد ايام تلاقيا فدارت بينهما المحاورة الآتية

قال الأمير: أشكر لك أيها الصاحب هذه الهدية العزيزة ويالذة ليلة أحييتها في مطالعة تلك المذاكرات النفيسة التى لم اتمالك ان اتركها تلك الليلة حتى اتيت على آخرها ثم في الايام التالية اعدت النظر فيها بالتدقيق .

قال الصاحب : يظهر من عبارة مولاي الأمير استحسانه كيفية تشكل الجمعية وامتتانه من مجرى مذاكراتها .

قال الأمير : كيف لا أعجب بذلك واطالما كنت اتمنى انعقاد جمعية يتضافر أعضاؤها على مثل هذا المقصد وتكون فيهم المزية التي ظهرت على رجال هذه الجمعية

الذين حلوا المشكلة حلا سياسياً ودينياً معاً وكنت استبعد وجود أكفاء كهؤلاء . وأعظم إعجابي هو في هذا الرجل الملقب بالسيد الفراتي كيف اهتدى في رحلة قصيرة مع اقامته اياماً قلائل في مكة لانتخاب هؤلاء الاعضاء الاجلاء .

قال الصاحب : لا بد ان يكون هذا الرجل مخلصاً في قصده فأعانه الله عليه كما ورد في الخبر : اذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه : فلعل في الاقدار شيئاً آن أوانه

قال الأمير : نعم للاقدار دلائل ولنعم البشائر .

قال الصاحب : اود ان استفيد من مولاي الامير وجوه اعجابه بهذه الجمعية ومذاكراتها لأصحح رأيي في بعض انتقادات تختلج في فكري القاصر فان أذن لي أعرضها عليه مسألة مسألة

قال الامير : قل ولعلي اقف على مالم انتبه اليه .

قال الصاحب: يظهر أن أعضاء الجمعية ليس بينهم بعض من السياسيين المحنكين فلو وجد ربما كانت تأتي المقررات أشد احكاماً

قال الأمير :لا أظن أن في الامراء والوزراء المسلمين المعاصرين من هم أعلى كعباً في السياسة من بعض هؤلاء الاعضاء الذين تشف آراؤهم عن سعة اطلاع وسموّ فكر وبعد نظر مع ملاحظات السياسة الدينية والحالة العلمية والتدقيقات الاخلاقية

قال الصاحب: أرى ان الجمعية اعطت لمباحث السياسة الدينية الموقع الاول وقد أصابت على ان السياسة الادارية أيضاً جديرة بالاهتمام فتركت بدون تدبير كاف

قال الامير: لاشك ان السياسة الادارية مهمة أيضاً وقد ابتدأت الجمعية بها ولكن رأت أفضل وسيلة لحصول المطلوب هي رفع علة الفتور إذ انتجت مباحثاتها ان علة الفتور هي الخلل الديني فحولت اهتمامها لجهة العلة حتى اذا زالت العلة زال المعلول ومع ذلك لم يترك السيد الفراتي في فصل الأسباب الادارية شيئاً من أمهات أصول الادارة الا وأشار اليه بما يغني عن تفصيله

قال الصاحب: أليس بعض الأعضاء كالعالم النجدي والمجتهد التبريزي قد اسهب كثيراً بما كان بعضه يكفي عن باقيه

قال الامير: ان مسألتي التوحيد والاستهداء ركنان مهمان في الدين وقد تطرق اليهما الخلل منذ قرون كثيرة فصار إصلاحهما وردهما الى أصلهما من أصعب الأمور وفي مثل ذلك لا بد من الاسهاب في البحث والتعميق فيه أولا يرى ولله المثل

الاعلى كيف جاء القرآن الكريم بألف أسلوب في تأييد التنزيه والتوحيد والحث على اتباع الكتاب والنبي دون التقليد .

قال الصاحب: إني أرى أيضاً بعض مكررات في المذاكرات خلافاً لما قاله السيد الفراتي ولذلك أرى أنه لو اهتم ذو غيرة في اختصارها يكون حسناً

قال الامير: اني لا أوافقك على هذا أيضاً لأنك إذا دققت النظر لا تجد مكررات وانما هي آراء فلا بد أن يعاد فيها بعض ما سبق وعلى كل حال هذا سجل قد ضبط فيه ما وقع فلا يجوز اختصاره والتصرف فيه واني أرى من أكبر محاسن هذه المذاكرات أن جاءت مباحثها متسلسلة مترقية فكل موضوع فيها يتلوه ماهو أهم منه فلا يملّ منها سامع ولا مطالع .

قال الصاحب:ماهو رأي مولانا الأمير في القانون الموضوع لأجل تشكيل جمعية تعليم الموحدين هل هو قانون محكم الترتيب وهل هو قابل الاجراء والتطبيق على الاحوال الحاضرة والمنتظرة

قال الامير : القانون هو أهم ما اثمرته الجمعية وقابل الإجراء مع الصعوبة

قال الصاحب : لا أدري هل أصابت الجمعية أم اخطأت في تعليق أكبر أملها في اعزاز الدين بالعرب دون دولة آل عثمان وملوكها العظام

قال الامير : لا يفوتك ان مطمح نظر الجمعية منحصر في النهضة الدينية فقط وتؤمل ان يأتي الانتظام السياسي تبعا للدين ولاشك انه لا يقوم بالهدي الديني ويغار على الدين أمة مثل العرب

قال الصاحب :أليس دولة راسخة الملك إدارة وعسكرية وسياسة وافرة القوى مالا وعدة ورجالا تكون أقدر على تمحيص الدين وإعزازه من العرب الضعفاء من كل وجه . واذ قد ألفت الامة سماع لقب خدمة الحرمين قديماً ولقب الخلافة أخيراً في حضرة السلطان العثماني فلا تستنكف عن الاذعان الديني له بسهولة .

قال الامير: إن حضرة السلطان المعظم يصلح ان يكون عضداً عظيماً في الأمر أما اذا أراد ان يكون هو القائم به فلا يتم قطعاً لأن الدين شيء والملك شيء آخر والسلطان غير الدولة

قال الصاحب : مافهمت المراد من أن الدين غير الملك وان السلطان غير الدولة فهل يتفضل مولاي الأمير بايضاح ذلك

قال الامير : أريد ان احترام الشعائر الدينية في أكثر ملوك آل عثمان هي ظواهر محضة وليس من غرضهم بل ولا من شأنهم ان يقدموا الاهتمام بالدين على مصلحة الملك وهذا مرادي بأن الدين غير الملك وعلى فرض إرادتهم تقديم الدين على الملك لايقدرون على ذلك ولا تساعدهم الظروف المحيطة بهم لأن دولتهم مؤلفة من لفيف أهل أديان ونحل مختلفة كما أن الهيأة التي تتشكل منها الدولة أعني الوزراء هم كذلك لفيف مختلفة الأديان والجنسيات وهذا مرادي بأن السلطان غير الدولة . فخدمة الحرمين ولقب الخلافة ورسوخ الملك ووفرة القوى كلها لاتكفي للمرجع في الدين نعم اذا بذل آل عثمان العظام قوتهم في تعضيد وتأييد من يقوم بذلك يأتون بفضل عظيم

قال الصاحب : قد وجد في هذا البيت الكريم بعض أعاظم خدموا إعزاز الدين خدماً كبيرة كالسلطان محمد الفاتح والسلطان ياوز سليم والسلطان سليمان والسلطان محمود والسلطان الحالى المعظم فهم أولى وأجدر بالخلافة من غيرهم

قال الامير : أرجوك ان لا تنظر للمسألة بنظر العوام بل بنظر حكيم سياسي فأبعد النظر ماضياً ومستقبلا وقلب صفحات التاريخ بدقة تجد أن ادارة الدين وادارة الملك لم تحدا في الاسلام تماماً الا في عهد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز فقط رضى الله عنهم واتحدتا نوعاً مافي الامويين والعباسيين ثم افترقت الخلافة عن الملك وأما سلاطين آل عثمان الفخام فانى اذكر لك أنموذجاً من أعمال لهم أتوها رعاية للملك وان كانت مصادمة للدين . فأقول هذا السلطان محمد الفاتح وهو أفضل آل عثمان قد قدم الملك على الدين فاتفق سراً مع (فرديناند) ملك (الاراغون) الاسبانيولي ثم مع زوجته (ايزابيلا) على تمكينهما من ازالة ملك بني الأحمر آخر الدول العربية في الاندلس ورضي بالقتل العام والاكراه على التنصر بالاحراق وضياع خمسة عشر مليوناً من المسلمين باعانتهما باشغاله أساطيل أفريقية عن نجدة المسلمين وقد فعل ذلك في مقابلة ما قامت له به رومية من خذلان الامبراطوية الشرقية عند مهاجمته مكدونيا ثم القسطنطينة . وهذا السلطان سليم غدر بآل العباس واستأصلهم حتى انه قتل الامهات لأجل الأجنة وبينما كان هو يقتل العرب في الشرق كان الاسبانيول يحرّقون بقيتهم في الاندلس . وهذا السلطان سليمان ضايق ايران حتى ألجأهم الى اعلان الرفض . ثم لم يقبل العثمانيون تكليف نادرشاه لرفع التفرقة بمجرد تصديق مذهب الامام جعفر كما لم يقبلوا من أشرف خان الافغاني

اقتسام فارس كي لا يجاورهم ملك سني . وقد سعوا في انقراض خمس عشرة دولة وحكومة إسلامية ومنها أنهم أغروا وأعانوا الروس على التاتار المسلمين وهولانده على الجاوة والهنديين . وتعاقبوا علي تدويخ اليمن فاهلكوا الى الآن عشرات ملايين من المسلمين يقتل بعضهم بعضاً لايحترمون فيما بينهم ديناً ولا اخوة ولامروءة ولا انسانية حتى ان العسكر العثماني باغت المسلمين مرةً في صنعاء وزبيدوهم في صلاة العيد

وهذا السلطان محمود اقتبس عن الافرنج كسوتهم وألزم رجال دولته وحاشيته بلبسها حتى عمت أو كادت ولم يشأ الاتراك ان يغيروا منها الا كمام رعاية للدين لانها مانعة من الوضوء أو معسرة له . وهذا السلطان عبد المجيد رأى من مؤيدات إدارة ملكه اباحة الربا والخمور وابطال الحدود . ورأى مصلحة في قهر الاشراف وإذلال السادات بالغاء نفوذ النقابات ففعل .

وفي هذا المقدار كفاية لإيضاح قاعدة ان مؤيدات الملك عند السلاطين مقدم على المحافظة على الدين . أما صفة خدمة الحرمين وألفة مسامع العثمانيين للقب الخلافة فهذا كذلك لايفيد الدين وأهله شيئاً وليس له مايتوهم البعض من الاجلال عند الأجانب (١)

ولو ان السلطان المعظم أخذ على نفسه تأييد الدين بما أمدّه الله به من القوة المادية بدون استناد الى صبغة معنوية لتمكن من ان يخدم دينه وملكه حقا خدما مقبولة عند الله مشكورة عند المؤمنين كافة ولرفعت له راية الحمد في شرق الارض وغربها واحترمه الابيض والاحمر وعظمه المسلم والكافر . وأظن أنه قد قرب اليوم الذي يتنبه فيه فيتروّى في الأمر فيعدل عن الاعتماد على غير الماديات ويضرب على فم بعض الغشاشين المتملقين الخائنين الذين ينسبون حضرته الى مالم ينتسب هو اليه ويشيعون عنه دعوى ما ادعاها قط أحد من أجداده العظام بوجه رسمي

وهؤلاء الغشاشون يغرون حضرة السلطان بهذه الدعوى بما يهرفون به عليه وبما يؤلفونه هم وأعوانهم من الكتب والرسائل التي يعزون بعضها لأنفسهم وبعضها لغيرهم من المنافقين أو لأسماء يسمونها أو كتب يختلقونها فيجعلون تارة آل عثمان العظام يتصلون نسباً بعثمان بن عفان رضي الله عنه وأخرى يرفعون نسبهم الى أعالي

---

(١) الاجانب لايتفوهون بأن السلطان "خليفه" الا عند ما يريدون إقامه "الحجه" على المسلمين المحكومين لهم ببعض أعماله في ملكه

قريش ويعطونها حق الخلافة مرة بالتنازل والإدلاء من العباسيين وأخرى بالاستحقاق والوراثة وآونة بالعهد وأخرى بالبيعة العامة وحينا بخدمة الحرمين الشريفين ووقتاً بحفظ المخلفات النبوية • وكأن هؤلاء الغشاشين يريدون بهذه الدسائس أن يجعلوا حضرة السلطان نظيرهم دعيّ نسب كاذب كدعواهم لأنفسهم السيادة ومتسنم مقام موهوم كدعواهم الولاية والقطبانية في أنفسهم وآبائهم وأجدادهم فيحشون في تلك المؤلفات أنسابا انتحلوها لأنفسهم مقرونة بنسب السلطان ويستطردون لحكايات كرامات لأجدادهم ملفقة مخترعة لا يعترف بها لهم أحد من المسلمين يدسونها بين حكايات وقائع الخلفاء والسلاطين

ومن المعلوم عند أهل الوقوف ان التلقب بالخلافة أو الامامة الكبرى أو إمارة المؤمنين في آل عثمان العظام حدث في عهد المرحوم السلطان محمود اذ صار بعض وزرائه يخاطبونه بذلك أحيانا تفننا في الاجلال وغلوّاً في التعظيم • ثم توسع استعمال هذه الالقاب في عهد ابنيه وحفيديه الى ان بلغ ما بلغه اليوم بسعي أولئك الغشاشين الذين يدفعون ويقودون السلطان الحاضر للتنازل عن حقوق راسخة سلطانية لأجل عنوان خلافة وهمية مقيدة في وضعها بشرائط ثقيلة لا تلائم أحوال الملك ومعرضة بطبعها للقلقلة والانتزاع والخطر العظيم ولذلك لا يزال السلاطين أنفسهم الى الآن يأبون التلقب بالخلافة رسميا في منشوراتهم ومسكوكاتهم وانما تمضغها أفواه البعض فيلوكها التركي تعظيماً لقومه والعربي نفاقاً لسلطانه والمصري اتباعاً للمرائين والهندي اعتزازاً بالوهم والاجنبي هزؤاً ومكراً بخلاف سلطان مراكش وأمير عمان وإمام اليمن المتنازعين في هذا المقام رسما المتقاطعين لأجله على انهم قد شعروا او كادوا يشعرون بضررهم السياسي في ذلك ولا نعلم متى يخلق الله من يسعى في إقناعهم جميعاً بترك هذه الدعوى الداعية للانفراد والتخاذل ويرتب بينهم قواعد محافظة الاستقلال السياسي ومراسم التشريفات والمخاطبات وروابط التعاون والاتحاد بصفة سلاطين وأمراء كما آل اليه الأمر على عهد الخلفاء العباسيين مع السلاطين الخارزمية والديلم والايوبيين وغيرهم

ثم قال الامير وقد حملتني إشارات السيد الفراتي في كلامه على الجامعة الدينية تحت لواء الخلافة ان أفكر في القواعد الأساسية التي ينبغي ان يبنى عليها ذلك فلاح لي ما قيدته في هذه المفكرة وأخرج من جيبه ورقة قرأها وعند ختام مجلسنا استنسختها منه وهذه صورتها •

(١) اقامة خليفة عربي قرشي مستجمع للشرائط في مكة

(٢) يكون حكم الخليفة سياسة مقصوراً على الخطة الحجازية ومربوطاً بشورى خاصة حجازية

(٣) الخليفة ينيب عنه من يترأس هيئة شورى عامة إسلامية

(٤) تتشكل هيئة الشورى العامة من نحو مائة عضو منتخبين مندوبين من قبل جميع السلطنات والإمارات الاسلامية وتكون وظائفها منحصرة في شئون السياسة العامة الدينية فقط

(٥) تجتمع الشورى العامة مدة شهر في كل سنة قبيل موسم الحج

(٦) مركز الشورى العامة يكون مكة عند ما يصادف الحج موسم الشتاء والطائف في موسم الصيف

(٧) تقترع الشورى يوم افتتاح كل اجتماع على انتخاب نائب الرئيس ويعينه الخليفة

(٨) تتعين وظائف الشورى العامة بقانون مخصوص تضعه هي ويصدق عليه من قبل السلطنات والامارات

(٩) ترتبط بيعة الخليفة بشرائط مخصوصة ملائمة للشرع بناءً على أنه اذا تعدى شرطاً منها ترتفع بيعته وفي كل ثلاث سنين يعاد تجديد البيعة

(١٠) انتخاب الخليفة يكون منوطاً بهيئة الشورى العامة

(١١) الخليفة يبلغ قرارات الشورى ويراقب تنفيذها

(١٢) الخليفة لا يتداخل في شيء من الشؤون السياسية والادارية في السلطنات والإمارات مطلقا

(١٣) الخليفة يصدق على تولية السلاطين والأمراء التي تجري احتراماً للشرع على حسب أصولهم القديمة في وراثاتهم للولاية

(١٤) الخليفة لا يكون تحت أمره قوة عسكرية مطلقاً ويذكر اسمه في الخطبة قبل أسماء السلاطين ولا يذكر في المسكوكات

(١٦) يناط حفظ الأمن في الخطة الحجازية بقوة عسكرية تتألف من ألفين الى ثلاثة آلاف من جنود مختلطة ترسل من قبل جميع السلطنات والامارات

(١٦) تكون القيادة العامة للجنود الحجازية منوطة بقائد من قبل أحد الامارات الصغيرة

(١٧) يكون القائد تحت أمر هيئة الشورى مدة انعقادها

(١٨) هيئة الشوري تكون تحت حماية الجنود المختلطة

أما وظائف الشورى العامة فيقتضي أن لا تخرج عن تمحيص أمهات المسائل الدينية التي لها تعلق مهم في سياسة الأمة وتأثير قوي في أخلاقها ونشاطها . وذلك مثل فتح باب النظر والاجتهاد تمحيصاً للشريعة وتيسيراً للدين وسد أبواب الحروب والغارات والاسترقاق اتباعاً لمقتضيات الحكمة الزمانية ، وكفتح أبواب حسن الطاعة للحكومات العادلة والاستفادة من إرشاداتها وان كانت غير مسلمة وسد أبواب الانقياد المطلق ولو لمثل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، وكفتح باب أخذ العلوم والفنون النافعة ولو عن المجوس وسد باب إضاعة الاوقات بالعبث ونحو ذلك من أمهات المنجيات والمهالك

ثم قال الامير وبمثل هذا الترتيب تحل مشكلة الخلافة ويتسهل عقد اتحاد اسلامي تضامني تعاوني يقتبس ترتيبه من قواعد اتحاد الألمانيين والامريكانيين مع الملاحظات الخاصة ، وبذلك تأمن الحكومات الاسلامية الموجودة على حياتها السياسية من الغوائل الداخلية والخارجية فتتفرغ للترقي في المعارف والعمران والثروة والقوة بما لابد منه للنجاة من الممات ، وما أجدر امارات الجزيرة بالسبق الى مثل هذا الاتحاد

قال الصاحب : يستشف من ظاهر فكر مولاي الأمير انه لايجوز الاتكال على الملوك العثمانيين العظام في أمر الخلافة علاوة على السلطنة

قال الامير : اني أحب العثمانيين للطف شمائلهم وتعظيمهم الشعائر الدينية ولكن النصيحة للدين تستلزم قول الحق وعندي أن آل عثمان العظام أنفسهم اذا تدبروا لايجدون وسيلة لتجديد حياتهم السياسية أفضل من اجتماعهم مع غيرهم على خليفة قرشي

قال الصاحب : أخبرني أيها الأمير أحد أعضاء الجمعية انه لما رأى السيد الفراتي يميل للتنقيب عن سياسة العثمانيين واستمالة الجمعية عليهم لا لهم ذكر له مرة ذلك متلوماً وقال له : ألا ينبغي ستر أحوالهم والمدافعة عنهم لانهم أعظم دولة اسلامية موجودة؟ فأجابه بأن ذلك كذلك لولا أن فيه تغرير المسلمين وتركهم متكلين على دولة ما توفقت لنفع الإسلامية بشيء في عنفوان شبابها بل أضرتها بمحو الخلافة العباسية المجمع عليها وتخريب ما بناه العرب وإفناء الامة بفتوحاتها شرقي أوربا ومدافعاتها عنه وانه لايقصد بكشف الحقيقة واظهارها غير إزالة الغرور والاتكال المستولين على جماهير المسلمين بسبب عدم التأمل . ثم قال له :

أليس الترك قد تركوا وفود الملتجئين يعودون خائبين ، وتركوا المستنصرين بهم

عرضة للمنتقمين ، وتركوا ثاني ملكهم طعمة للمتغلبين ؟ أفما آن لهم أن يستيقظوا ويصبحوا من النادمين على ما فرطوا في القرون الخالية فيتركوا الخلافة لأهلها والدين لحماته ويحتفظون هم على بقية سلطنتهم ويكتفون بشرف خدمة نفس الحرمين وبذلك يتقون الله في الاسلام والمسلمين ؟

وقال أيضاً انه غير متعصب للعرب وانما يرى مالا بد أن يراه كل حر مدقق يتفحص الأمر من أن الغيرة على الدين وأهله والاستعداد لتجديد عز الاسلام منحصران في أهل المعيشة البدوية من العرب اذ يرى أن المشيئة الالهية قد حفظتهم من تلك الامراض الأخلاقية التي لا دواء لها كفالج الحرية في الحواضر باعتقاد أهلها انهم خلقوا أنعاماً للامراء ، وكجذام التربية في المدن بوضعهم النساء في مقام روابط للاستمتاع ، وكطاعون الحياة في بعض الأقوام بألفتهم اللواط المميت للأخلاق الشريفة دفعة الذي جزى الله أهله بخسف الارض بهم تطهيراً لها منهم ، وكوباء النشاط في أهل الاراضي الخصبة حيث يسهل ان يغنوا فيبطروا فتفسد أخلاقهم فيخسروا الدنيا والآخرة .

قال الامير : نعم الرأي ونعم التدقيق

قال الصاحب : ان ما ذكر مولاي من حصر صفة الخلافة في خليفة قرشي في مكة ترتبط به جميع السلطنات والامارات الاسلامية ارتباطاً دينياً وما وصف من تشكيل الشورى العامة المؤيدة لهذا الارتباط الديني لأمر عظيم جداً . والغالب أن الدول المسيحية التي لها رعايا من المسلمين أو المجاورة للمسلمين تحذر من أن يجر جمع الكلمة الدينية الى رابطة سياسية تولد حروباً دينية فتعمد هذه الدول الى عمل الدسائس والوسائل لمنع حصول هذا الارتباط بالمرة فما هو التدبير الذي يقتضي اتخاذه أمام تحذر الدول من ذلك

قال الامير : لايفكر هذا الفكر غير الفاتكان وأحزابه الجزويت وأمثالهم أما رجال السياسة في انكلترا وروسيا وفرنسا وهي الدول العظام التي يهمها التفكر في هذا الشأن فقد علمتهم التجارب النتائج الآتية وهي :

(١) ان المسلمين لا ينتصرون أبداً لاسيما في زمان يبتعد فيه النصارى عن نصرانيتهم

(٢) ان المسلمين المستنيرين أفراداً وجموعاً أبعد عن الفتن من الجاهلين

(٣) إن العرب من المسلمين أقرب من غيرهم للألفة وحسن المعاملة والثبات على العهد . فاذا أرشد أولئك السياسيون لان يضموا الى معرفتهم هذه علمهم أيضاً

بالاحكام الاسلامية في مسألة الجهاد التي يتهيبونها علما يستخرجونه مما عندهم من تراجم القرآن الكريم لا من مؤلفات متعصبي الفريقين حيث يجدون نحوا من خمسين آية بأساليب شتى كلها تنهى عن الإلحاح في الهداية الى الدين فضلا عن التشديد والالزام بالقتال كقوله تعالى «إنك لا تهدي من أحببت» «وجادلهم بالتي هي أحسن» «لست عليهم بمسيطر» ويجدون آيتين في التشديد احداهما (فاصدع بما تؤمر) والاخرى (وجاهدوا في الله حق جهاده) وبمراجعة أسباب نزول هاتين الآيتين يعلمون انهما نزلتا في حق المشركين والكتابيين من العرب ولا يوجد في القرآن ملزم لاعتبار عمومية حكمهما . واذا دققوا البحث يجدون أن ليس في علماء الاسلام مطلقاً من يحصر معنى الجهاد في سبيل الله في مجرد محاربة غير المسلمين بل كل عمل شاق نافع للدين والدنيا حتى الكسب لأجل العيال يسمى جهاداً . وبذلك يعلمون أن قصر معنى الجهاد على الحروب كان مبنياً على إرادة الفتوحات والتوسل للتشجيع حين كان مجال للفتوحات كما أعطي اسم الجهاد مقابلة لاسم الحروب الصليبيه التي أشعل نارها المسيحيون

ثم بعطف نظرهم الى التاريخ يجدون أن العرب منذ سبعة قرون لم يأتوا حرباً باسم الجهاد وما كانت تعديات اساطيل إمارات الغرب الا من قبيل القرصان الذي كان مألوفاً عند جميع امارات الارخبيلين الصقلي واليونان وكلهم نصارى . اما غارات التاتار على شمالي اوربا وغارات الترك على شرقها فكذلك ليست من نوع الجهاد ولا من الحروب الدينيه وانما هي من ملحقات غارات البرابرة الشماليين على أوربا . ويجدون انهم كما أغاروا على اوربا أغاروا على البلاد الاسلاميه ثم أسلم التاتار وحسنت اخلاقهم

اما الترك فاذا دقق الاوروبيون في سياستهم يجدونهم لا يقصدون بالاستناد للدين غير التلاعب السياسي وقيادة الناس الى سياستهم بسهولة وإرهاب أو ربا باسم الخلافة واسم الرأي العام . وعدم اشتراك البلاد العربية في المذابح الارمنية الأخيرة برهان كاف على أن الاسلامية بمعزل عن الجافاة لأن العرب يفهمون معنى القرآن فيدينون به . وقد يندهش الاوروبيون اذا علموا أن السياسة التركية لم يوافقها أن تترجم القرآن الى اللغة التركية الى الآن.

ولدى رجال السياسة دليل مهم آخر على ان اصل الاسلاميه لا يستلزم الوحشه بين المسلمين وغيرهم بل يستلزم الالفه وذلك أن العرب اينما حلوا من البلاد جذبوا أهلها بحسن القدوة والمثال لدينهم ولغتهم كما انهم لم ينفروا من الامم التي حلت بلادهم

وحكمتهم فلم يهاجروا منها كعدن وتونس ومصر بخلاف الاتراك بل يعتبرون دخولهم تحت سلطة غيرهم من حكم الله لانهم يذعنون لكلمة ربهم تعالى شأنه «وتلك الأيامُ نُدَاولها بينَ الناس» (كذا) فاذا علم السياسيون هذه الحقائق وتوابعها لا يحذرون من الخلافه العربيه بل يرون من صوالحهم الخصوصيه وصوالح النصرانيه وصوالح الانسانيه أن يؤيدوا قيام الخلافه العربيه بصورة محددة السطوة مربوطة بالشورى على النسق الذي قرأته عليك.

ثم على فرض أن الدول ولو المسلمه أرادت عرقلة هذ الامر فهي لا تقوى عليه لأن افكار الأمم لا تقاوم ولا تصادم على أني لا اظن بمثل فرنسا أن تخدع لرأي أنصار الجزويت لاسيما بعد أن تعلمت من الانكليز كيف تسوس المسلمين فأبقت لتونس أميرها فاستراحت مما عانته قبلا في الجزائر بسبب السياسه التعصبيه الخرقاء

قال الصاحب : أستشف من كلام مولاي الامير ان امله ضعيف في تشكيل جمعية تعليم الموحدين مع انه معجب باتقان التدبير.

قال الامير: ان دون تشكيل الجمعيه عوائق ماليه شتى وأرجو الله تعالى أن يزيلها.

قال الصاحب : انني جاهد في الوقوف على خبر السيد الفراتي ولعلي أظفر بمعرفته فاجتمع به أو أكاتبه فهل لمولاي الامير رأي أو أمر أبلغه اياه اذا ظفرت به .

قال الامير : نعم اذا ظفرت بمعرفته فاقرئه مني السلام وبلغه عني هذه الجمل وهي اني أثني على صدق عزيمته . وعلى حسن انتخابه رفقاءه وأوصيه بالثبات والإقدام ولو طال المطال . وأن يحرص على إبقاء علاقته مع أعضاء جمعية أم القرى باستمراره على مكاتبتهم . وان لا يقنط من مساعدة القسطنطينية أو مصر أو مراكش أو طهران أو كابل أو حائل أو عمان لاسيما بعد انعقاد جمعية تعليم الموحدين ورسوخها .

قال الصاحب : اذا ظفرت به ان شاء الله أبشره بتحية مولاي الامير وأبلغه كل ما أمر به.

﴿ انتهت المحاورة ﴾

يقول (السيد الفراتي) قد ألحقت هذه المحاورة بسجل المذاكرات وكتبت بها الى باقي الاخوان تنويهاً بشأن حضرة الامير المشار اليه وشكراً على غيرته وتبصيراته وافتخاراً بحسن ظنه ونظره في هذا العاجز وتبشيراً لجنابه وللمسلمين بأن جمعية أم القرى قد أحكم تصورها وتأسيسها فهي بعناية الحي القيوم الابدي حية قائمة أبدا

﴿ تذكرة ﴾

ربما يتأخر تشكيل جمعية تعليم الموحدين مدة فالمأمول من الجمعيات الاسلامية الموجودة في الهند وقازان والقرم ومصر وغيرها أن لاتأنف من تنوير أفكارها بمباحث هذا السجل فتقتبس منه ماينا‌سبها وتتخذ القانون والوظائف مثالا وذكرى

﴿ رجاء ﴾

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وعنده شمّة حمية ومروّة فلا يتجسس عن جمعية أم القرى وأعضائها بقصد إيصال سوءالها وليعلم أن يده وان طاولت الافلاك أقصر عن الإضرار بها لان الجمعية في أمان الاخلاص ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله

﴿ تهوين ﴾

ليعلم أسراء التقليد وورثة الأوهام ومعظمو العظام ومؤلهو الطغام ان تألمهم من صدمة بعض هذه المباحث لما ألفوه عمرهم هو تألم مباغت لايلبث أن يزول متى خلوا بعقولهم وحكموا الحكمة والإنصاف وتأملوا حق الايمان وناطق القرآن وحينئذ ينجلي لهم الحق ويندمون كما ندم قبلهم الالون فيتوبون ويتوب الله عليهم والله يهدي من يشاء

(اعلان)

من أحب أن يجد مقاصد جمعية أم القرى برأي فائق أو عمل مهم أو رغب في تعضيدها بجاه أو مال وأراد مراسلة الجمعية أمكنه أن يراسل وكالة الجمعية بدون اسم بل بارسال كتاب معنون الى مدينة   الى صندوق البوسته عدد

وإذا أراد التخفي يمكنه أن يكاتبها أولا باسم له مختلق ثم بعد أخذه الجواب الاول يستعمل الكتابة الجفرية الموضحة في الجدول المذيل به هذا السجل

والذين يرجى منهم تعضيد مهم كحضرات الامراء العظام والاغنياء الكرام فلهم أن يطلبوا رسولا من قبل الجمعية ليوضح لهم ما يستوضحون   (انتهى)

(المنار) قد انتهى كتاب سجل جمعية أم القرى وما ألحق به • وقد كنا اتفقنا مع جامعه السيد الفراتي (تغمده الله برحمته) على نشره فى المنار بتصرف يختص بتصحيح عبارته وحذف مساوي الدولة العلية (ايدها الله تعالى) منه • ثم استحسن فضلاء القراء عدم حذف شيء منه فللمطلعين على ما نشرناه من أول سنة المنار الى الآن ان يثقوا بأنهم اطلعوا على هذا السجل كله بعبارة أصح الاجملة واحدة ذكر فيها خديو مصر بأنه مرجو لمساعدة الجمعية والاجدول المخاطبة الرمزية

باب الاسئلة والاجوبة

(س ١) أحوال الآخرة : على افندي مهيب بتفتيش التلغرافات بمصر : جاء في كتاب الاحياء للامام الغزالي في باب العقائد من الجزء الاول أنه لايقبل إيمان العبد حتى يؤمن بالأمور الآتية وهي (١) سؤال منكر ونكير (٢) عذاب القبر (٣) وزن الاعمال يوم الحساب بيزان ذى كفتين وصنج (٤) صراط ممدود على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف (٥) حوض مورود لمحمد صلى الله عليه وسلم (٦) شفاعة الانبياء والعلماء والشهداء (٧) فضيلة النبي عليه الصلاة والسلام على جميع الناس ومن بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي • فهل كل ذلك صحيح ثابت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم كما يقول صاحب الاحياء أفيدونا أثابكم الله ونفعنا بعلمكم

(ج) إنما ذكر الغزالي ماذكره فى أصول الاعتقاد على الوجه الذي عليه الأشاعرة وأشار الى الرد على مخالفيهم من المعتزلة والشيعة وبعض أهل السنة الذين أولوا ما ورد في بعض ذلك • والغزالي لا يقول بكفر أولئك المخالفين للاشاعرة بل صرح في مواضع من كتبه (لا سيما كتاب إلجام العوام عن علم الكلام) بأن المؤمن اذا عاش ومات ولم يعلم بتلك المسائل التي اختلف فيها المتكلمون من الاشاعرة والمعتزلة وغيرهم لايخل ذلك بايمانه • ومن تلك المسائل الخلاف في صفات الله تعالي هل هي عين الذات أو غير الذات والخلاف المعروف في كلام الله تعالي الخ فكيف يكفر أهل القبلة بعدم الايمان بالمسائل التي ليست من أصول الدين وعقائده كالتفاضل بين الصحابة • فقوله : انه لا يتقبل ايمان أحد حتي يؤمن بما أخبر به (النبي) بعد الموت : صحيح فان أركان الايمان ثلاثة الايمان بالله وصفاته والايمان بالنبوة والايمان بالآخرة وأحوال الآخرة تعرف بالسمع فكل ماصح بالتواتر وجب الايمان به قطعاً وكان انكاره كفرا بشرطه ويؤخذ على ظاهره المفهوم من اسلوب اللغة اذا لم يكن محالا عقليا فان كان ظاهره محالا فاعتقاد المحال غير مكلف به في الاسلام فلك ان تأوّل ولك ان تفوض • وان كان ما ورد غير متواتر مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فلا يكفر منكره • ومن ثبت عنده الحديث وجب عليه الايمان بمضمونه وله أن يأوله اذا كان ظاهره غير مقبول حتى ينطبق على وجه معقول

وأما ما فصله الغزالي بعد تلك الكلمة الصحيحة فى اجمالها فلا يريد به أن هذا التفصيل شرط في تقبل الايمان وانما يريد ان هذا هو الراجح عند أهل مذهبه

ولذلك أشار الى توجيهه والرد علي مخالفيه في ركن السمعيات من الفصل الثالث فى لوامع الأدلة ولم يذكر هناك الحوض وفيه أحاديث صحيحة واما وصف الصراط بما ذكر فقد رواه مسلم عن أبى سعيد موقوفا عليه فإنه قال بلغني ولم يرفعه الى النبي صلي الله عليه وسلم ولكن رفعه أحمد من حديث عائشة والبيهقى فى الشعب والبعث من حديث أنس وضعّفه • والمأولون يقولون ان الصراط هوصراط الدين اي طريقه وردعليهم بقوله تعالى «فاهدوهم الى صراط الجحيم» ولكن الآية لا تدل على ان المراد بالصراط ما كان بذلك الوصف

وأما الميزان فلم يرد في وصفه بما وصفوه به من الكفتين واللسان والصنج أحاديث صحيحة • وفى القرآن ذكر الوزن والموازين قال بعض المفسرين انها جمع موزون • والاكثرون على أن هناك وزنا حقيقيا وذهب بعض الى انه تمثيل المراد به العدل قال تعالى «ونضعُ الموازِينَ القسطَ ليوم القيامةِ فلا تُظْلَمُ نفسٌ شيئاً» روى الطبري من طريق ابي نجيح عن مجاهد أنه قال: «انما هو مثلٌ كما يحرر الوزن كذلك يحرر الحق» ومن طريق ليث بن أبي سليم عنه أنه قال «الموازين العدل» وقد نقل هذا القول عن غيره من السلف كالضحاك والاعمش • ولما أخذ المعتزلة بهذا القول عرف بهم وصار ينسب من يقول به الى الاعتزال حتى قال ابوداود عن ابى سلمة عثمان بن مقسم البري المحدث الثقة الصدوق: انه قدري معتزلي: وما كان معتزليا الا انه أنكر الميزان • والمقصود من هذه النقول أنهم لا يقولون بكفر من خالف الجمهور فى هذه المسائل فتبين بهذا أن ما ذكره الجمهور فى وصف أحوال يوم القيامة بالتفاصيل المعروفة ليس شرطا فى صحة الايمان بحيث يكفر من لا يعتقده وما ورد فيها ليس كله قطعي الثبوت والدلالة والأسلم فى الأمور الغيبية أن لا يبحث الانسان فى كيفيتها بل يسلم بما ثبت في النصوص القطعية ويفوض الأمر فى الكيفيات الى عالم الغيب والشهادة ولا يعتقد محالا عقليا

﴿ الجهر والاسرار بالصلاة وخطبة الجمعة والعيدين ﴾

(س٢) و. ز. في سوريا: لماذا شرع الجهر بالقراءة في الفجر والركعتين الاوليين من المغرب والعشاء؟ ولماذا كانت خطبة الجمعة قبل صلاتها وخطبة العيد بالعكس؟ أفيدونا لازلتم ملجأ للاسلام

(ج) إنما الجهر في الصلاة الليلية التي تصلى فى وقت الظلام غالباً فقد جاءت السنة الصحيحة بأنهم كانوا ينصرفون من صلاة الصبح ولا يكاد يرى بعضهم بعضاً. ومن

المعهود أن الانسان فى وقت الظلام لا يخلو من أحد حالين النعاس او الخواطر الكثيرة ورفعُ الصوت يعين على طرد النعاس ودفع الخواطر والوسواس كما ورد في الأثر عن سيدنا عمر رضي الله عنه. فالاقرب عندي أن هذه هي حكمة الجهر في هذه الصلوات وفي معناها اهتداء داخل المسجد ليلا الى معرفة المصلي ليأتم به • وللصوفية وغيرهم في ذلك أقوال غير جلية • وأما تقديم خطبة الجمعة فالاهتمام بها لانها هي المقصود الأول فى ذلك الاجتماع ولذلك قصرت صلاة الظهر لأجلها. وأما خطبة العيد فهي مقصود ثان حتى ان صحة الصلاة لا تتوقف عليها بخلاف الجمعة كما أنها اذا قدمت على الصلاة تجزي عند بعض الأئمة وقد فعل ذلك مروان فأنكر عليه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وقال له خالفت السنة ولكنه لم يقل بأن الصلاة لم تصح ولا طالبه باعادة الخطبة. والأثر فى البخاري وغيره وفيه أن سبب تقديم مروان الخطبة أنه رأى الناس ينصرف كثير منهم بعد الصلاة كما يفعلون الآن ولا ينتظرون سماع الخطبة فلعل هذه البدعة أقدم البدع فى ترك السنة.

(س٣) الحشيش والافيون — الشيخ محمد البهي بفاقوس: ثبت عن الفقهاء ان الحشيش ومثله الافيون يجوز تعاطي القليل منه مع أن القاعدة الأصولية أن ما اسكر كثيره فقليله وكثيره حرام والحشيش يسكر كثيره فكيف العمل بهذه القاعدة مع تجويز العلماء لما قل منه أرجوكم ان تتفضلوا بالجواب الشافي عن ذلك جزيتم عن الدين أحسن الجزاء

(ج) لا اذكر أن أحداً من الفقهاء الذين يعتد بأقوالهم أجاز قليل الحشيش على أن قول العالم اذا خالف أصول الشريعة وقواعدها الثابتة لا يلتفت اليه مالم يذكر دليلا يثبت به أن قوله لا ينافي تلك الأصول. وتحريم ما أسكر القليل منه ثابت بالأحاديث الصحيحة. وقد استحسنت ان انقل هنا عبارة أوردها ابن حجر الهيتمي في كتابه الزواجر لابتلاء الناس في هذه البلاد بالحشيش وهي:

«واعلم أن الحشيشة المعروفة حرام كالخمر من جهة انها تفسد العقل والمزاج افسادا عجيباً حتى يصير في متعاطيها تخنّث قبيح وديانة عجيبة وغير ذلك من المفاسد فلا يصير له من المروءة شيءٌ البتة ويشاهد من أحواله خئوثة الطبع وفساده وانقلابه الى أشر من طبع النساء ومن الديانة على زوجته وأهله فضلا عن الأجانب ما يقضي العاقل منه بالعجب العجاب. وكذا متعاطي نحو البنج والافيون وغيرهما مما مر قبيل البيع. والخمر أخبث من جهة أنها تفضي الى الصيال على الغير والى المخاصمة والمقاتلة

والبطش . وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة

« ورأى آخرون من العلماء تعزير آكلها كالبنج . ومما يقوي القول بأنه يحد أن آكلها ينتشي ويشتهيها كالخمر وأكثر حتى لا يصبر عنها وتصده عن ذكر الله وعن الصلاة مع ما فيها من تلك القبائح . وسبب اختلاف العلماء في الحد فيها وفي نجاستها كونها جامدة مطعومة ليست شراباً فقيل هي نجسة كالخمر وهو الصحيح عند الشافعية وقيل المائعة نجسة والجامدة طاهرة (قال) وهي على كل حال داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظاً ومعنى

« قال أبو موسى رضي الله عنه يا رسول الله أفتنا في شرابين كنا نصنعهما باليمن البتع وهو من العسل ينبذ حتى يشتد والمزر وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطي جوامع الكلم بخواتيمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مسكر حرام » رواه مسلم . وقال صلى الله عليه وسلم « ما أسكر كثيره فقليله حرام » ولم يفرق صلى الله عليه وسلم بين نوع ونوع ككونه مأكولاً أو مشروباً . على أن الخمر قد يتأدم بها بالخبز والحشيش قد تذاب فكل منهما يؤكل ويشرب . وانما لم يذكرها العلماء لأنها لم تكن على عهد السلف الماضين وانما حدثت في مجيء التتار الى بلاد الاسلام . وما أحسن ما قيل :

فآكلها وزاعمها حلالا ... فتلك على الشقي مصيبتان

فوالله ما فرح ابليس بمثل فرحه بالحشيشة . لأنه زينها للانفس الخسيسة » اه

﴿ باب التقريظ ﴾

(الجواهر الكلامية . في العقيدة الاسلامية)

الشيخ طاهر الجزائري هو أشهر العلماء ودعاة الاصلاح في بلاد الشام وقد كان ألف عقيدة مختصرة لتلامذة المدارس أيام كان مفتش معارف ولاية سوريا تحرّى فيها السهولة وجعلها أسئلة وأجوبة فكانت أمثل المختصرات للتلامذة المبتدئين وفيها ما لا يوجد في غيرها من العقائد كبيان اعتقاد المسلمين في التوراة والانجيل والزبور الموجودة الآن وما هي من المذكورة في القرآن . وفي العقيدة بعض المسائل الخلافية التي كنت اود لو لم توجد وهي قليلة وما ذكره فيها هو المشهور عن الجمهور

(الجوهرة الوسطى) ثم انه لما رأى في هذه السنة اقبال المدارس على عقيدته نقحها وألف رسالة أخرى سماها الجوهرة الوسطى سلك فيها مسلكا لطيفا في التبصرة والاستدلال ينبغي أن يختص بتلامذة المدارس الثانية أو العالية وقد طبعت الرسالتان معاً بحرف دقيق في شكل صغير فكانتا ١٢٠ صفحة فننصح لمدارس مصر الأهلية بأن تقرأ هذه العقيدة في مدارسها وثمنها قرشان صحيحان

(كتاب لسان الصدق جوابا للكتاب المسمى ميزان الحق في الرد على النصارى) تأليف الشيخ علي البحراني أحد علماء الامامية الأعلام في الهند وهو كتاب جليل في بابه محكم الوضع قوي الحجة حسن الترتيب فيه مقدمة في اثبات الصانع وصفاته واثبات الرسالة أشار فيها الى ضعف مذهب الاشعرية وغيرهم في بعض المسائل . ويتلو المقدمة ثلاث مقالات في كل مقالة مقدمة وعدة مناطق يرد بها على القسيس مؤلف كتاب (ميزان الحق) ومن مباحث المقالة الأولى اثبات النسخ في الشرائع والتحريف في التوراة والانجيل وبيان كون القرآن يغني عنهما ، ومن مباحث المقالة الثانية تفنيد دعواهم اتفاق اليهود والنصارى فيما عدا الاعتقاد بالمسيح وبيان تناقض الأناجيل وابطال ألوهية المسيح . ومن مباحث الثالثة تفنيد مطاعنهم في القرآن وفي النبي عليه الصلاة والسلام . وبيان بشارات كتبهم به . والكلام في الأحاديث النبوية . وبالجملة انه لم يترك مطعناً من مطاعنهم الا وفنده وأزال شبهتهم فيه . ثم ختم الكتاب بخاتمة في اثبات مذهب الإمامية وجعل في آخرها قصيدة اشار فيها الى مطالب الكتاب ومباحثه . وذلك ان فرقة الشيعة أشد عناية من سائر المسلمين بالدعوة الى مذهبهم

وقد كان الكتاب طبع في الهند طبعاً سقيما كسائر المطبوعات الهندية . فانتدب الكتبي الغيور الشيخ محمد المليجي وأعاد طبعه بمطبعة الموسوعات في مصر فكان طبعاً متقناً نظيفاً وبلغت صفحاته ٤٧٥ من القطع المتوسط وهو يطلب من مكتبته بقرب الازهر وغيرها فنحث أهل العلم والفضل على مطالعته

(وقاية الشبان . من المرض الافرنجي والسيلان) كتاب جديد ألفه الدكتور سعيد ابو جمرة مؤلف كتاب (حياتنا التناسلية) أما حاجة أهل هذه البلاد التي فشا فيها الفسق اليه فظاهرة واما كون الكتاب وافيا بهذه الحاجة فانا أن نحكم به او نستأنس له بتوجيه همة المؤلف وعنايته الى هذه المباحث حتى انه ألف فيها كتابين . وطبع هذا الكتاب كسابقه في مطبعة الهلال وصفحاته زهاء مئتين وثمنه ١٢ قرشا واجرة

البريد قرشان ويطلب من مكتبة الهلال بمصر

(الراوي) جريدة يوميه سياسيه تجارية أنشأها في العاصمه يوسف بك طلعت وأنشأ لها مطبعه خاصه واختار لها عدة محررين من كتاب السوريين المشهورين بالاشتغال بالصحافه فنود لو تصادف رواجا ونجاحا ولكن رجاءنا فى ذلك ضعيف الا أن تسلك الجريدة مسلكا تمتاز به ولايجده القراء فى سائر الجرائد الأخبارية وما ذاك الأن تتبرأ من الميل الى احدى القوتين الموجودتين في البلاد وتصبر زمنا طويلا على قول الحق الخالص من غير نظر الى مرضاة الناس وغضبهم وأعني بهذا أن تكون تاريخية لا سياسيه • وبعد ذلك تكون موضع ثقة جميع العقلاء والفضلاء

باب الأخبار والآراء

﴿ العربي الجواد • وهل سلم من سعاية وانتقاد ﴾

ذكرنا في الجزء الماضي خبر تعريج صديقنا محمد باشا عبد الوهاب شيخ دارين (واشهر تجار اللؤلؤ فى خليج العجم) على السويس فى طريقه الى الحج وكيف بسط يديه بالنوال حتي صار كل من لقف خبره يذكر كرم أمراء العرب الاولين ، وعطايا الخلفاء والسلاطين ، ونقول الآن انه بعد ان وزع الصدقات على الفقراء ، وأهدى الهدايا للاغنياء ، وبعد ان بذل المساعدة للمدارس الاسلاميه والقبطيه والأجنبية وبعد أن أخذ على نفقته نحو مئة وعشرين حاجا من الفقراء وبعد ان ظهر امتعاضه لأن سائر قاصدي الحج رجعوا خائبين لان سفينة (البحيرة) لم تسعهم وأوصى من كان قائما بشؤنه (وهو السيد النسيب مصطفى هاشم وكان الباشا في السويس بصفة ضيف ونزيل في هذا البيت الكريم) بأن يجمع من بقي من الفقراء وهم يعدون بالمئين ويرسلهم على نفقته فى أول وابور يحمل حجاجا من السويس • وبعد ان جاء في بعض الجرائد ان السيد المذكور وفي بما عهد اليه فاستأجر سفينة مخصوصة من بواخر شركة ليمتد (بواخر البوسطه الخديوية) فحمل عليها الحجاج الباقين = بعد هذا بعضه أو كله كافأ بعض الناس في مصر هذا المحسن الجواد ، بالسعاية والانتقاد

بينا كنا نسمع بعض الوجهاء في السويس يقول انه لم يبق بيت في هذه المدينة لم يصبه نوال هذا الأمير العربي اذا ببعضهم يقول ان أكثر هذه العطايا في غير موضعها ولو كان بنى بهذه الأموال جامعا مثلا لكان أفضل وأبقى لذكره !! فأجابه كاتب هذه السطور: ان الكرم علي قسمين كرم العقل وكرم النفس فالأول يجرى فيه الحساب والتقدير واختيار الطريق الذي يوصل الى نباهة الذكر أو زيادة النفع وهذا الكرم يكون في الغالب مكتسبا بالتربية والتعليم • واما الثاني فهو سجية في النفس يكون لصاحبها أريحية وهزة تبعثه على البذل متى وجد له طريقا ما ولا يأتي فيها الحساب والتقدير ، ولا توخي نباهة الذكر ولا حسن المصير ؛ وكرم صاحبنا من هذا النوع ومنه كرم سائر الأجواد المعروفين كحاتم الطائي وكعب بن مامة ومعن بن زائدة

ثم رأينا جريدة مصباح الشرق تسأل سؤال قضاة التحقيق عن تاريخه ونسبه وحدود بلاده وعدد رعيته ومقادير العطايا التي جاد بها وعن الحجاج الذين حملهم هل دفع عنهم التأمين الذي فرضته الحكومه على الحجاج المصريين وعن منابع ثروته واستنتجت من ذلك توهين خبر الجرائد ! ونحن نجيب بأن رواة الجرائد كتبوا اليها ما رأوه بأعينهم وسمعوه بآذانهم فلم يكن لهم حاجه في تصديق الخبر بامساك هذا الرجل عن عمل البر وإشغاله بإملاء تاريخه وتاريخ بلاده عليهم لأنه يوجد في مصر جريدة ساء ظنها بالناس حتى انها تكتفي في مقام الذم بأضعف الشبهات ، ولا تكتفي في مقام المدح بالمشاهدة حتي يؤيدها جميع ما يخطر بالبال من النظريات ،

قلنا ان الرجل أمير أي انه أمير في نفسه وقومه لا انه سلطان ذو مملكة ورعية وقلنا انه شيخ دارين أي انه رئيس تلك الجهة وان شئت قلت انه أميرها ولكن العرب هناك يفضلون كلمة (شيخ) على كلمة (أمير) فيقولون شيخ الكويت وشيخ البحرين • وأما دارين فهي ميناء نجد على خليج العجم من زمن الجاهلية وفيها قال الشاعر العربي ما يعرف فى شواهد كتب النحو وهو:

يمرون بالدهنا خفافاً عيابهم ويرجعن من (دارين) بُجْرَ الحقائب

وقد كانت عفت فأحيا معالمها محمد عبد الوهاب هذا • وأما ينبوع ثروته التي استكثرها صاحب المصباح فهو تجارة اللؤلؤ على أنه كان غنياً قبلها • ومن لطائف الاتفاق ان جريدة ثمرات الفنون الغراء كانت فى أثناء وجود هذا الرجل مبحراً من السويس تعرب نبذة فى صيد اللؤلؤ وقد جاء فيها ما نصه :

«واليك بيان كمية اللؤلؤ الذي صيد فى هذا العام : جهزت سواحل الخليج ٤٢٠ سفينة فيها ٧٥٦٠ غائصاً فاصطادوا ما قيمته ٨٤٠و٠٠٠ روبية (الروبية فرنك واحد و٦٨ سانتيما) فاشترى هذا الصيد كله تاجر واحد من جزيرة داريان (الصواب من دارين) وجهز من البحرين سبعمائة سفينة فيها اثنى عشر الف رجل فعادوا بما قيمته ٢٠٠و٠٠٠ روبية • هذا ما كان من المغائص المشهورة وأما ما أخرج فى غيرها من المغائص فلم تزل قيمته مجهولة» اه

ونحن قد علمنا من صاحبنا انه يجهز السفن وأنه يعطي الغواصين الدراهم في أثناء السنة ويحاسبهم عليها عند اخراج اللؤلؤ . فتفنيد مصباح الشرق قول بعض الجرائد انه جهز ثلاث مئة حاج بقوله ان ذلك يقتضي أن يكون قد دفع عنهم تأميناً للحكومة قدره خمسة عشر ألف جنيه على الاقل وقوله عنه اذا كان «قد بذل من خزائنه مثل هذا القدر العظيم من المال الذي يكاد يكون أبلغ ثروة تدخر بين ساكني نجد وتهامة من أول الزمن الى هذا العهد فهو بلا شك حاتم هذا الزمان وقارون هذه الايام»!! كلاهما غير سديد وقد ذهل صاحب المصباح عند كتابة الكلمة الاولى عن كون التأمين الذي تطلبه الحكومة المصرية عن كل حاج في هذا العام هو خاص بالمصريين الذين لايباح لهم السفر الى الحج بعد سفر المحمل وقد سافر هذا الأمير بفقراء الحجاج بعد سفر المحمل بأيام • هذا وجه خطأ عبارته الاولى وأما استكبار ثروة الرجل وقوله فيها فقد علم أيضاً انه في غير محله . ونؤكد له القول بأن ثروته أكبر مما استكبره على أهل نجد وتهامة من أول الزمن الى هذا العهد .

وبقي أن نشير الى معنى كلمة «السعاية» التي أشرنا في العنوان الى أن هذا المحسن لم يسلم من إساءة أهلها . وذلك أننا علمنا أن عقارب بعض السعاة المحتالين الذين يسمون هنا «جواسيس الاستانة» قد دبت الى مرجعها ودبرت حيلة لإيذاء هذا الرجل المحسن في بيت الله وحرمه الآمن بواسطة من هم أهل لذلك في الاستانة وكادوا له كيداً فنسأل الله أن يرد كيدهم في نحورهم «فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين»

﴿ اصلاح لبنان ﴾

ذكرنا في الجزء الماضي نبذة من اللائحة التي قدمت الى متصرف جبل لبنان على أنها من جماعة المهاجرين اللبنانيين وعلم من تلك النبذة أن الغرض منها إثبات ان سبب تأخر لبنان وانحطاطه هو التعصب الديني في طوائفه أو «الاستقلال الطائفي» الذي

ينافي الاستقلال الوطني الذي تعمر به البلاد وبقي علينا أن نشير الى رأي اللائحة في ملاشاة الاستقلال الطائفي الذي هو شرط الاستقلال الوطني المطلوب

بدأ كاتب اللائحة رأيه بتخطئة القانون اللبناني فى جعل وظائف الحكومة مقسمة بحسب المذاهب الدينية وقال ان هذا يزيد التعصب ثم اتبعها بنبذة افتتحها بكلمة واشنطون محرر أميركا فى أول خطاب أرسله الى الندوة بعد استقلال الولايات المتحدة وهي «يجب أن نوحّد مبدأ الشعب الاميركي المستقبل بالمدرسة» ثم قال بعد تمهيد:

«يجب أن نجعل الشعب لبنانياً ولا سبيل لنا الى هذه الأمنية الا بإعداد رجال المستقبل فكيف نعدهم ؟ بالمدرسة جعل واشنطون العظيم الشعب الأميركي بمبدإ واحد • وبالمدرسة جعله هكذا عظيما • وبالمدرسة الحرة جعله هكذا حراً • بالمدرسة يقول بسمرك انه استطاع أن يتغلب على فرنسا • بالمدرسة استطاعت اليابان أن تخرج من الظلمة الاسيوية الحالكة المدلهمة • ان الأفكار القديمة لاتجد لها مانعاً دون عقول الصغار الا المدرسة • فبالمدرسة فقط يستطيع الشعب اللبناني أن يصير وطنياً وان يتحد على مصلحته الطبيعية •

«مولاي قد قال الشارع الفرنسي في نظام التعليم الإلزامي: من حق الحكومة حامية المنافع العمومية أن تحتاط بكل وسيلة لئلا يكون فى الشعب أفراد يجهلون حقوقهم وواجباتهم فالتكن المدرسة من حق الحكومة التي ترأسونها ومن واجباتها ايضاً

«ان المدرسة التي نرجو ان تكون حاجزاً بين صغارنا وافكارنا القديمة ليست المدرسة الفرنسية ولا الانكليزية ولا الأميركية ولا الألمانية ولا الايطالية • لأننا لانريد أن يكون صغارنا مثلنا اوربيين واميركيين في لبنان وليست المدرسة الجزويتية لأننا لا نريد ان يكون صغارنا مثلنا متواكلين ضعفاء خبثاء • ولا المدرسة الطائفية لأننا لانريد ان يكون صغارنا مثلنا موارنة ودروزا وارثوذكسا وملكيين ومتاولة واسلاماً • ولا المدرسة الدينية لأننا لانريد ان يكون صغارنا مثلنا لاهوتيين يتجادلون على مالا يعلمون • إن هذه المدارس موفورة لنا وحالتنا الاجتماعية لا تزداد الا فسادا وتقهقرا • فالمدرسة التي نرجو ان تكون لنا بابا الى الحياة الجديدة هي المدرسة الوطنية الحرة • هي المدرسة التي تتولاها حكومة منفصلة عن الكنيسة كالحكومة اللبنانية» اه باختصار قليل • ثم بين طريق ايجاد المدارس الحرة والنفقة عليها وبحث عن عيوب الحكومة وبين سبيل الاصلاح

ونحن نقول ان هذه هي «الوطنية الحقة» لا التي يلغط بها بعض أحداث المصريين

فى مصر بغير فهم ولا شعور ولذلك كان هذا اللغط منه سخرية عند جميع الطوائف في مصر • واننا نعترف بصحة رأي اللائحة ونجزم بأن بلادا فيها للكنيسة سلطان على الحكومة والأمة لا يمكن ان تنجح ولا ان يتفق أهلها على ترقيتها

وليعلم رصيفنا الفاضل صاحب جريدة المناظر أن ما قاله فى المقالة التى رد فيها على مقالة السيد البكري (المستقبل للاسلام) من ان في مصر فريقين أحدهما يدعو الى الوحدة الوطنية والآخر يدعو الوحدة الاسلامية وان قوة الأول حملت السيد البكري على الانتصار للثاني كل ذلك غير واقع وانما الوطنية التي نردها ونسفه دائماً أحلام أحداثها هي وطنية خاطئة كاذبة اتخذت في وقت ما وسيلة للحطام وبقي الكلام فيها أحيانا بناموس الاستمرار • وصاحب هذه الوطنية يمقت طائفة من سكان بلاده الذين هم أعرق منه بالوطنية ويمقت من هاجروا الى هذه البلاد واتخذوها وطناً وصارت سعادتهم بسعادتها ومصلحتهم بمصلحتها وان كانت لغته لغتهم وحكومته حكومتهم ودولته دولتهم بل وان كان دينه دينهم. فهل تستطيع أيها الوطني الصادق أن تجيز لنا هذه الوطنية الكاذبة ؟

﴿ ملجأ الأيتام واللقطاء ﴾

يسرنا ان جمعية المكارم فى الاسكندرية قد شرعت فى عمل نافع عظيم وهو إنشاء ملجأ للأيتام واللقطاء وهم الآن يسعون فى جمع المال بطريقة الاكتتاب المألوفة وقد افتتح التبرع سمو الأمير بمئة جنيه ثم ان صاحبة الدولة والدة سموه تبرعت بخمسين جنيهاً • وتبرع كثيرون من الأغنياء والوجهاء بما دون ذلك • ولا شك أن سير الاكتتاب بهذا البطء والشح لا يبشر بنجاح يذكر وكأني بكثير من الاغنياء لا يجودون بما يليق بثروتهم من السعة احتجاجاً بأن الأدب يقضي بأن لا يدفع أحد مثل ما دفع الامير فمن كان أقل بذلاً كان أكثر أدباً مع سموه وما هذه الا حجة البخلاء فلو صح ان الأدب فى التقصير عما بذل الامير لكانت زيادة الادب على حسب نسبة النقص والتقصير فمن دفع قرشاً واحداً كان أكمل أدباً ممن يدفع جنيهاً !!!

الأمير يقصد بما يعطيه إظهار رضاه عن المشروع فلنا أن نقول ان من كان أكثر عطاء كان أقرب الى ما يرضيه وأكمل فضلا وآدابا فى نظره • على أن الواجب في هذا المقام طلب مرضاة الله تعالى وملاحظة المنفعة لعيال الله تعالى ولكن البخيل ينتحل لنفسه أضعف الاعذار في الامساك والشح فمن كان جازما بأن من الأدب مع الأمير ان لا يبلغ مبلغه فى البذل فليكتف من الأدب بنقص جنيه واحد عنه • ولو ان كل غني في مصر يشعر بالحاجة الى هذا العمل يلاحظ هذا ولا يبعد في النسبة لنجح العمل والله الموفق

الجزء الرابع والعشرون المجلد الخامس

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الألباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر يوم الاحد ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٠ — ١٥ مارث (آذار) سنة ٩٠٣ ﴾

﴿ رأى فى اصلاح المسلمين او رأيان ﴾

كتب الينا وكيل للمنار فى بعض الأقطار رأيه في طريقة إصلاح المسلمين في خاتمة جواب يتعلق بأمر الاشتراك والمشتركين فأحببنا أن يطلع عليه القراء لما فيه من دقة النظر وبعد الغور قال حياه الله :

« رأيك بالعناية في إصلاح النفوس والعقول والأفكار والأخلاق لا أظن أنه يوجد من يخالفك فيه على شرط أن تجمع من أيدي الناس كتب التصوّف النظري وكتب العقائد التي أُلّفت على طريقة ارسطو (لا كتب أرسطو نفسها) والتفاسير التي البسها أصحابها لباس الفلسفة اليونانية وكذا الكتب الفقهية التي كتبها الاعاجم ومن احتذى حذوهم لا الكتب التي كتبت بطريق الرواية كالموطأ وغيره وطرح القواعد التي دوّنها الأصوليون وجعلوها من أصول تعاليم الدين وتحويل تكايا الطرق الى مدارس تعلّم فيها العلوم الكونية بأسرها على شرط أن تكون إدارتها بيد أناسي من

علماء أمم أوربية صغيرة كسويسرة والبلجيك ويعزل الشبان المتعلمون عن الأمة حتى يمتنع سريان عدوي الأخلاق التي أرزأت أمم الاسلام من الاسلاف الى الأخلاف. وبعد أن تندرس هذه الرمم التي صارت مع طول الزمن ركام أقذار مفسد للتمدن يتسنّى للمصلحين ان يشيدوا على أنقاضها معاقل إصلاح

« وهيهات هيهات ان يفوز المصلحون بتلك المطالب العسيرة التي أعيت هِمماً، وبيضت لِمماً، وأشفت أمماً، ظهر كنفشيوس قبل عصرنا هذا بإحدى وعشرين قرنا لمعاناة إصلاح مذهب سكياموني وتجديد ما تداعى من بنيانه العتيق الذي كرت عليه الدهور الدهارير وبالرغم مساعيه الكبيرة وهمته القعساء وعزمه الصارم بقيت آراء سكياموني كما هي محتكرة فى الهيا كل لكهنة الشعب ولم يزدها ذلك المصلح بقارعته العظمى الا ثباتا وتمكينا. وهذا المسيح قام ليعدل سلطة اكليروس اليهود وليجدد ما اخلولق من مذهب التوراة فلم يقبل له رأيا الا من خذله في اداء الشهادة وقت المحاكمة

وماعسى ان اقول ونبينا الكريم عليه السلام قد ارسله الله مهيمنا على الكتب ومجدداً لشرائع الكون التي اقتضت سنة العمران تجديدها بتجدد المقتضيات فلم يقبل دعواه من أرباب تلك الاديان الا من نكب عن فئته، وانحاز لغير بئته، وهكذا شأن كل مصلح يفلت من أسر العادة وينسلت من قيود المصطلحات وتؤثر في نفسه الحقائق وتشعل بصيرته المشاهدات الصحيحة يستنكر مايستحسنه الناس ويستحسن ما استنكروه فيسفه أحلامهم وبين أوهامهم، الى أن يثوبوا الى رجعة الهدى، او يكون نشأ جديدا، ودون ذلك خرط القتاد على فرض مسالمة الظروف المحيطة

على أن هناك مهيعا آخر اقرب الى السلامة، واضمن للنتيجة، وهو

سبيل رجالات أوربا الكبار، ودهاقنها العظام، وبيانه ان يشتغل المصلح بعد ترقية نفسه، وترتيب منزله، وتنظيم معيشته، وتدبير مأكله، بتنمية ثروته بالطرق القانونية ويختار له منها الطريق الأضمن على شرط أن يحتذي مذهب الصدق ويتقيل نمط الامانة ولا يعتمد الا على نفسه فلا يمر عليه غير زمن قليل حتى يكون من أكبر المثرين في العالم مثل مرجان وسيسل رود وغيرهما فلا يصعب عليه بعد تكوين الثروة تأسيس المشروعات وعقد الشركات وإنشاء المدارس وفتح المعامل وارسال الفلك تمخر عباب اليم تجمع له كنوز المخلوقات

« وأما طريقة إصلاح الامم او النفوس بإلقاء الخطب وكتابة المقالات فلا تفيد المسلمين فى شيء اللهم الا من كان له هوس منهم فيهما لأن العالم والصانع والزارع والصراف والتاجر فى البلاد المربلة (١) لا يصيخون الأسماع للخطب ولا يعيرون الأبصار للمقالات الا في أوقات الفراغ من الاعمال فهي عندهم بمثابة المسليات والمنبهات. والذي يصيخ وينظر في بلادنا القاحلة هو المكسال المتقاعس عن خير نفسه ونفع جنسه واذا تنبه لبه واستنارت بصيرته فلا يكون منه غير التأوه على الاسلام والبكاء على المسلمين ولهذا اتفقت كلمة العمرانيين على ان ترقي الامم لا يفيد الا اذا كان مادياً بحتاً مطهياً على أثافي الصناعة والزراعة والتجارة وطهاته الإقدام والحزم والعزم والنشاط والثبات. وحققوا أنه لا يتوقف على دين ولا يحتاج الى بعثة رسول وإنما تدعو اليه الحاجة ويبعث اليه اختلاط العناصر المختلفة ببعضها

(١) يقال ربل الناس اذا كثروا ونموا ولا أعرف له رباعيا واربلت الارض أنبتت الربل وهو شجر م ولا معنى لهذا هنا

«يدين سكان الجابون بدين وثنيٍّ أخمد نفوس اهله آلاف السنين وأبقاهم خاملين تحت سجف طقوسه الواهنة حتى ذاق أفراد منهم عسيلة الإثراء فانبرت نفوسهم ساعية وراء التأسيسات النافعة وما فتؤا يفكرون حتى تنبه لهم الأقران فتلاحقوا بهم ثُبًى وما كادت تتنبه لهم الحكومة حتى اضطرها تفاقم المساعي الى التنازل عن كثير من حقوقها المكالة بطيلسان الكهنوتية المقدس وأتاحت لهم بغير عناد حكومة مقيدة باحتساب الأمة عليها وقد صارت الآن تضارع أعظم الأمم شوكة واقتدارا. وما دين المسيحية بأصفى منهلا من المنبع البوذيّ وهذا مبتدع وذاك مخترع والمنزع القديم فى الغالب مقتبس ومتبع (كذا) ومع ما هو عليه من التشويش والتشويه والتلبس بتلك الحجب التي حاكتها يد المجامع المقدسة لم يزل ديناً للأمم الراقية ذات الطول والحول والمنعة والعزة رغما عن النهضة العلمية والاخلاقية

لا أحاول الجدال ولا أريد الحوار وإنما غايتي أن أطلعك على فكري الخاص في اصلاح الامة الاسلامية بالوسائل الصحيحة التي لا تستلزم زمنا طويلا ولا تكلف تعباً كبيراً وهي ان نترك القادري يعمه في قادريته والرفاعيّ يعشو في رفاعيته كما تركنا النصراني يتخبط في ظلام نصرانيته والوثني يهرف في وثنيته ونسعى مع الجميع متكاتفين لنحصل فرنكا واحداً عن كل شخص من المسلمين ذاك لروح شيخه وهذا باسم وليه وذا في سبيل النهضة وهذا باسم الوطنية الى ان نتمكن من جمع مال كثير فنؤسس به مشروعا يكون جزيل الفائدة، كبير العائدة، وما علينا والصراخ في الهواء، والنداء فى الأجواء، والاحتراس من السياسة، والتوقي من الرياسة، فذاك في مذهبي شيء لا يجدي والسلام»

﴿ رأي المنار في الموضوع ﴾

لقد أحسن الكاتب النبيل القصد في قوله ولكن فيه إجمالا يحتاج الى بيان ونظرا في بعض الجزئيات . وما كان الاجمال منه الا لأنه كتبه لمن يغنيه الإجمال عن التفصيل وفرق بين ما كتب ليطوى وما كتب لينشر . ولقد سرنا توارد الخواطر وتلاقي الأفكار بيننا وبين الكاتب النبيل، والوكيل الاصيل، في وجوب عزل المتعلمين عن الامة لأن قوام التربية بالقدوة والمحاكاة المتولدتين من المعاشرة والمخالطة وقد بدأ الله تعالى تربية نبيه الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بعزله عن الناس فحبب اليه الوحدة، وألهمه الانزواء والعزلة، ثم علمه بالوحي ماشاء ان يعلّمه، ولقد قال «أدبني ربي فأحسن تأديبي» فعلينا ان نستفيد من هذه الحكمة، مع من منحه الله العصمة، وموافقةٌ أخرى فى الرأي وهي الاستعانة على تعليم الفنون والعلوم الكونية، باساتذة من أصغر الشعوب الاوربية، لأن هؤلاء أبعد عن السياسة التي تفسد كل صلاح، وتحول دون كل نجاح،

الذي لاح لي من كلام الكاتب في إخفاق رجال الإصلاح المعنوي هو أن غرضه منه تحويل وجوه المتعلمين عنه ليتولوا شطر الاصلاح المادي الذي يراه والا فان كل واحد من المصلحين الذين ذكرهم قد كان له تأثير كبير في أنواع الانقلاب الذي حدث في العالم المرة بعد المرة وليس من شرط النجاح فى المشروع ان يأخذ به كل أحد ولا ان يكمل فيه كل من أخذ به . فاذا كان الإصلاح المعنوي لم يعم أفراد الامم التي ظهر فيها فكذلك الإصلاح المادي والسبب في هذا وذاك أن الاستعداد فى البشر متفاوت تفاوتا كبيرا وكل يعمل بحسب استعداده ففي أوربا من يملك ألوف

الالوف وفيها من يموت جوعا وكأين من عالم يطلب الثروة ، وتعوزه الكسرة والحسوة ، وليس هـذا مقام بيان تأثير أولئك المصلحين العظام في الأمم والكاتب يعرفه ولـكن غرضه ماذكرنا

والقول في تأثير الخطب والمقالات يتصل بالقـول في تأثير رجال الإصلاح المعنوي لأن الخطباء والـكتاب الداعين الى الإصلاح هم ورثة الأنبياء والشارعين وهم أركان الإصلاح الاجتماعي والسياسي ومن ينكر أن للوثر وأشياعه وميرابو وأضرابه تأثيرا عظيما في تحويل أوربا عما كانت عليه ، ونقلها الى ما انتهت اليه ؟ ومن ينكر تأثير تلك المقالات والرسائل التي كانت تنشر في فرنسا قبل الثورة الـكبرى وأن ذلك التأثير هو الذي ثل عرش الملك وسلط الصعاليك على الأمراء والنبلاء ؟ فالإصلاح في جميع الأمم إنما جرى على أيدي الفقراء والمتوسطين بباعث معنوي ولم يوجـد إصلاح في الأرض بدأ به الأغنياء بتأسيس المشروعات المادية النافعة وإن شئت فقل انه لم يوجد إصلاح ماديّ بحت ولـكن كل إصلاح يرقي البشر ينتج العمران والعمران مادي وإنما يكون في النهاية لا في البداية

كل هذا يعرفه الـكاتب الفاضل ولـكن الرأي الذي أبداه انما هو في اختيار أقرب الطرق ولعمري إنه لطريق أمم لولا أن فيه من العقبات الـكؤد ما يتعذر معها سلوكه على الضعفاء المحتاجين الى الإصلاح كالمسلمين

فيا دارها بالخَيف إن مزارها قريب ولـكن دون ذلك أهوال

يقول إن الواجب على مريدي إصلاح المسلمين أن يسلكوا سبيل سسل رودس بعد إصلاح شؤن منازلهم وتنظيم طرق معيشتهم . من هم هؤلاء المريدون للإصلاح وما هي طبيعة بلادهم التي يعيشون فيها ؟ هم نفر

من وسط الناس سلمت فطرتهم ، وصفت فكرتهم ، وحسنت في الجملة وبالمصادفة تربيتهم ، وامتازوا بالميل الى البحث في الأمور العامة والاهتمام بأمر الأمة والملة . ولم يكن لهم شيء من هذه الخصائص بواسطة تعليم وتربية أودعا في نفوسهم اذ لا يوجد للمسلمين مدرسة في قطر من الاقطار تُذكر فيها مصلحة الأمة أو توجه نفوس تلامذتها في تعليم كل علم وفن الى أن المراد به الإصلاح وإنقاذ الأمة مما هي فيه . وإنما هو الاستعداد الفطري مع مساعدة التوفيق الذي يعبرون عنه بالظروف والمصادفات . ولو أن هؤلاء اشتغلوا بغير البحث في الأمور العامة وطرق الإصلاح لضعف استعدادهم فيـه لأنهم لم يتربوا عليه ولم يتعلموا طرقه تعلما فيكونَ همهم بعد المدرسة السعي في اتخاذ الوسائل لما وجههم اليه المربون والمعلمون

وأما طبيعة بلادهم فهي كما يعلم الـكاتب ليس فيها موارد قريبة للثروة الواسـعة من الطرق القانونيـة كالثروة التي جمعها سسل رودس . والاعمال الـكبيرة التي يتوقف عليها إيجاد الموارد لاتكون الا من قوم تعلموا طرقها وفنونها وتربوا تربية صاروا بها محلاًّ للثقة في إناطة الاعمال بهم وأنَّى لبلاد المسلمين بهؤلاء العاملين العالمين !! وجملة القول ان الذين يفكرون في الإصلاح من المسلمين ليس عندهم اسـتعداد لجمع الثروة الـكبيرة وان بلادهم ليس فيها الآن منابع لهذه الثروة مفجَّرة يسهل عليهم ورودها وان الامة التي يعيشون فيها ليس لها استعداد لتفجير ينابيع الثروة الطبيعية التي خص الله بلادهم بها لجهلهم وفساد تربيتهم . ونسكت عن حال حكوماتها وما ينتظران يلاقيه منهم مريد الاصلاح اذا حاول سـلوك الطرق المشروعة الشريفة لجمع المال

إن العمران المادي كان نتيجة للاصلاح المعنوي وكذلك يكون .

أما الجابون (اليابان) فلم يكن السائق لهم الى الاصلاح طلب الثروة ولم يكن تقدمهم مادياً بحتاً لاشائبة فيه للدين بل كان السائق اليه هو صاحب السلطة الدينية المقدسة والسلطة المدنية القائمة على أساس الدين وهو عاهلهم ومليكهم (الميكادو) فهذا العاهل العظيم هو الذي قيد سلطة نفسه بعد ان كانت حكومته استبدادية مقدسة وهو الذي دعَّ أمته الى العلوم والفنون دعاً ولا نقول انه دعاها دعاء . ولقد كانت التقاليد الدينية مساعدة للسلطة الدينية في عمران اليابان الحاضر كما يعلم من المقالات التي نشرت في المقتطف الأغر معربة عن أصل انكليزي لبعض كبار الكتاب السياسيين . ويذكر العارفون بالتاريخ ان أول عاهل (امبراطور) اشتغل بالاصلاح في أوربا وهو (شارلمان) كان مندفعا بدافع معنوي مشوب بالاعتقاد الديني ولولا الاصلاح الديني الذي قام به زعماء البروستنت لحبط عمله وكان هباء منثورا

والقول الفصل فى الإصلاح الاسلامي هو أن الواجب على العقلاء الذين يتألمون من ضعف الأمة وهو انها أن يسعوا في إصلاح العقول والنفوس بتعليم الصغار وتربيتهم بالمدرسة ووعظ الكبار وتنبيههم بالخطابة والكتابة ليكثر بذلك حزبهم ولا بد لهم فى سلوك هذه السبيل من مسالمة القوة سواء كانت اهلية أو أجنبية

فعلم من هذا ان أول واجب على من يشعر بالحاجة الى الإصلاح فى بلد من البلاد الإسلامية ان يشتغل بالدعوة الى ما يعتقده فى ذلك ليكون له حزب والدعوةُ خطابة وكتابة فاذا صار له حزب فالواجب عليه وعليهم السعي فى التربية الملية والتعليم الذي يعد الناشئين لأعمال العمران والاستعانة

على ذلك بالاساتذة المهرة الذين ليس بيننا وبينهم مطامع سياسية . وهذا يختلف باختلاف البلاد الإسلامية وأتمها استعداداً الآن بلاد الهند وبلاد مصر وقد بدأ مسلمو الهند يسعون في التعليم الأهلي وشعروا بأنه لا يكون تاما نافعاً الا بإنشاء المدارس الكلية فاقترح مؤتمر التربية الاسلامي فى هذا العام جمع الف الف روبية لانشاء مدرسة كلية والمرجو ان يتم لهم ذلك في وقت قريب وأن تكون التربية في هذه المدرسة ملية اسلامية كما وافق على ذلك كبراء الانكليز هناك . ولا بد لمسلمي مصر ان يتلوا تلو مسلمي الهند في ذلك عن قريب ان شاء الله تعالى وسيكون للخطب والمقالات تأثير عظيم في جمع المال اللازم لذلك فان الجرائد كالحداة ولا حداء الا ان يكون مسير كما قلنا فى العدد الثاني من منار السنة الأولى ولا يرجى من الذين اتخذوا من دون الله أولياء، وربطوا قلوبهم بقبور الاموات وقيدوا عقولهم بخرافات الاحياء ، أن يساعدوا على انشاء مدارس للعلوم الكونية ، وهم يشعرون بأنها القاضية على تقاليدهم الوهمية

هذه هي الطريقة المثلى للإصلاح ولا يجد المصلحون من الأمة غيرها . أما الملوك والأمراء فان لهم اذا أرادوا الإصلاح عملا آخر وهو أن يبدأوا بالقوة العسكرية فيعززوها ما استطاعوا لتكون الدولة آمنة من اعتداء الأعداء الذين يشغلونها عن الإصلاح الداخلي متى آنسوا منها الضعف ثم يوجهون الأمة الى تعميم التربية والتعليم وتمية الثروة بالزراعة والتجارة والصناعة ويقيمون حكومة الشورى ويجتهدون في توثيق الصلات بينهم وبين أمثالهم من الأمراء والسلاطين . ولكل حكومة إسلامية ضرب من السير في الاصلاح يختص بها ولا تبلغ الغاية بدونه . وقد أخطأ

سلطان مراكش ما يليق بحاله من السير في طريق الاصلاح فزلّت قدمه وكان الواجب عليه قبل كل شئ إصلاح الجندية كما سبق لنا القول فى غير هـذا الجزء ليأمن العـدوان الداخلي والخارجي ثم يشرع في تعليم الأمة وتربيتها مستعينا في أول الأمر بالمسلمين كالمصريين الموافقين لأهل بلاده في اللغة ثم بالأجانب الذين لا طمع لهم في بلاده عندما تستعد بلاده لذلك فلا تأنف منه .

على أن أملنا في جميع حكام المسلمين ضعيف بل نحن أقرب الى اليأس منهم منا الى الرجاء فيهم . وهكذا شأن الملوك الذين الفوا الاستبداد وما كان عمل عاهل اليابان؛ الا فلتة من فلتات الزمان ، والظاهر لنا أن كل ماهو مخبوء في الغيب من الخير لهذه الأمة فانما يكون بسعي بعض العقلاء من أفرادها دون الملوك والامراء ولله في غيبه شؤن ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون

﴿ مدنية العرب ﴾

النبذة السادسة تابعة لما نشر في الجزء ٢٣ من المجلد الثالث

ينبغي للانسان ان يجتنب الوعد ما استطاع وأن يجتنب تحديد الوعد بزمان أو مكان اذا هو وعـد الا اذا اضطر الى ذلك اضطرارا وقلما يأتي الاضطرار في الأمور العامة . كنا شرعنا في السنة الثالثة للمنار بكتابة مقالات في مدنية العرب أو مدنية الاسلام في عهد الدول العربية فكتبنا خمس نبذ في منشإ تلك المدنية وكونها قامت على أساس الدين وتولدت من تعاليمه ثم في اشتغال العرب بالعلوم الكونية وما اكتشفوه واخترعوه في علم الفلك وسائر العلوم الرياضية كالحساب والجبر والهندسة ووعدنا بأن تتم هذا المبحث فى السنة الرابعة فمرت السنة الرابعة ولم يتح لنا فيها الوفاء بالوعد

ولكننا استأنفنا وعداً آخر في آخرها بأننا نتم ذلك في هذه السنة وقد مرت السنة حتى لم يبق منها الا هذا الجزء ولم نتمكن من إنجاز الوعد لأن المقالات المتسلسلة زادت في هذه السنة عما قبلها بنشر مقالات جمعية أم القرى ومقالات « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » التي كان فيها شئ إجمالي من موضوع مدنية العرب . وقد رأينا أن نختم هذا الجزء بنبذة سادسة وفاء بالوعد بقدر الامكان فنقول :

(الجغرافيه الرياضية وتقويم البلدان)

اشهر كتب الجغرافية اليونانية كتاب بطليموس وأزياجه وقد كانت آراء بطليموس تؤخذ على علاتها لان العلم صار تقليديا حتى تناوله اجتهاد العرب فطفقوا من عهد المأمون يصححون أغلاط اليونان فى الفلك وسائر الرياضيات كما تقدم ومن ذلك انهم صححوا أرصاد المجسطى بالزيج الجديد وأعادوا تحديد أطوال الارض فكان أتمها تصحيحا تحديد بلاد العرب والخليج الفارسي والجزيرة وبلاد فارس والبحر المتوسط . ولما اشتغل الاوربيون بهذا العلم ظلوا زمنا طويلا مغرورين بكتاب بطليموس حتى ظفروا بكتب العرب وتصحيحهم لاغلاط بطليموس . بدأ العرب بتصحيح أزياج بطليموس فى أول القرن الثالث على عهد المأمون ولكن ذلك التصحيح لم يكن تاما فان البيروني فى أول القرن السابع هو الذي صحح الغلط في حساب أطوال بلاد الروم وما وراء النهر والسند وألف قانونا جغرافيا كان قدوة للمشتغلين بالقسموغرافية من بعده

وضبط عمر الخيام حساب جداول التقويم السنوية (الروزنامه) في سنة ٤٦٩ و ٤٧٠ وحدد مدة السنة الفلكية أصح تحديد . وصنع الشريف

الادريسي في اوائل القرن السادس خريطة جغرافية من الفضة لملك صقلية حفر فيها باللغة العربية صور جميع الممالك المعروفة في ذلك العهد وألف كتابا في الجغرافية بين فيه أول نقطة التماس بين جغرافية اللاتينيين وجغرافية المدارس الاسلامية وقد عكف رسامو الخرائط الجغرافية في أوربا على مؤلفه ثلاثة قرون ونصف يتقلدونه كما هو لا يزيدون فيه ولا ينقصون منه . وكان من علماء هذا الفن في المغرب ابو الحسن علي المراكشي في أول المئة السادسة للهجرة الشريفة وقد قال سيديو ان كتابه كان أجل الآثار العلمية فيما عليه العرب من علم الجغرافية . وكان لعلم الجغرافية خرائط بحرية أيضاً عثر الاوربيون على بعضها في أول المئة التاسعة للهجرة . ووجدوا خريطة بحرية أخرى من رسم عمر العربي سنة ١٦٤٨م أي سنة ١٠٥٨ هـ

اما الجغرافية الوصفية أو التخطيطية فقد عرفها العرب قبل الجغرافية الرياضية واتسعت معرفتهم بها باتساع فتوحاتهم وتجاراتهم . قال سيديو : انهم حين امتدت مملكتهم من المحيط الاطلانطيقي الى تخوم مملكة الصين انشأوا بالتدريج اربع طرق طرق عظيمة تجارية توصل بين مدينتي قادس وطنجة الى أقصى آسيا . (إحداها) تخترق أسبانيا وأوربا وبلاد سلاوونة الى بحر جرجان ومدينة بلخ وبلاد تجزجز (والثانية) تخترق بلاد المغرب ووادي النيل ودمشق والكوفة وبغداد والبصرة والاهواز وكرمان والسند والهند (والثالثة والرابعة) تعبران البحر الابيض المتوسط وتتجه إحداها من الشام والخليج الفارسي والاخرى من الاسكندرية والبحر الاحمر للتوصل الى بحر الهند . فكثرت بهذه الطرق السياحات ونقل السياحون الى اقصى البلاد ما عند العرب من الافكار والتمدن واستفاضت الاخبار الجليلة الفوائد

فنورت أذهان الملاحين وعرفتهم الأخطار التي يخشى عليهم الوقوع فيها اذا سافروا في ولايات غير مكتشفة تمام الاكتشاف واشتملت الأزياج التي حررها البتاني بالرقة سنة تسعمائة (٢٨٧هـ) وابن يونس في القاهرة سنة ألف (٣٩٠هـ) على كتاب رسم الارض بلا تغيير كبير . وأما ابن حوقل والاصطخري والمسعودي المشهورون في نصف القرن العاشر من الميلاد فوصفوا في كتبهم صورة الاكتشاف الجديد . وحسب العلامة الكومي سنة ١٠٦٧ الاطوال من ابتداء الطرف الشرقي من الارض القارة

« وزعم بعض الفرنج ان العرب كانوا متبعين في أول عصر بني العباس الروايات الهنديه مع أن كتاب مبادي الفلك المسمى بسند هند ان صح نقله الى المنصورة سنة ٧٧٥ (١٥٨) لم يكن له عظيم اعتبار عند العرب فانهم ظفروا عما قليل برسالات يونانية وتركوه لا يتفوهون باسمه الا ليبينوا ما فيه من الغلط . ولم يعولوا في شيء من الجغرافية على كتب الهنود المشاهد فيها أن شبه جزيرة هندستان في مركز العالم وان خط نصف النهار الذي يبين نقطة وسطها يخترق مدينة اوجين وجزيرة سيلان . وبحث العرب في كتبهم عن خط نصف نهار القبة الأرضية وهي قبة عرين للتنصيص على الاطوال فظن بعض الفرنج ان المراد من (عرين) مدينة أوجين وهو خطأ فان القبة المنسوبة الى عرين هي نقطة تقاطع الدرجة التسعينية من حساب بطليموس مع خط الاعتدال على بعد متساو من الجهات الاربع الأصلية وليست هي قبة أوجين فان العرب كانوا يعرفون حق المعرفة محل أوجين الجغرافي وأما « عرين » فكلمة اصطلاحية ارادوا بها جزيرة موهومة بين هندستان وبلاد الحبشة سماها المؤرخ

ديودور الصقلى جزيرة اورانوس . وبدل العرب خط نصف نهار عرين اوقبة الأرض بخط نصف النهار المار بالجزائر الخالدات فاتبع ذلك من ابتداء القرن الحادي عشر الى الثالث عشر » اه

وقد الف العرب كتباً مخصوصة في مسالك البلدان حتى صار علماً مستقلاً وفي اسماء البلاد والاماكن ككتاب مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ومعجم ياقوت والمشترك وتقويم البلدان للملك المؤيد صاحب حماه وتقويم البلدان للبلخي وكتاب اوضح المسالك الى معرفة البلدان والممالك (وهذا الف في عهد الدولة العثمانية واهداه مؤلفه محمد ابن على الشهير بسپاهي الى السلطان مراد الثالث ٩٨٠ ثم اختصره بالتركية)

﴿ العلوم الطبيعية ﴾

الكيمياء والصيدلة : قد ارتقت العلوم الطبيعية عند العرب واتسعت مذاهبها وكثر الاكتشاف والاختراع فيها على أن حظها كان دون حظ العلوم الرياضية لأن العمدة في العلم الرياضي العقل والعمل مؤيد له والعمدة فى العلم الطبيعي العمل والعقل مساعد له وما يتوقف الارتقاء فيه على العمل لا يرتقي الا بالزمن الطويل . كانت العلوم الطبيعية من عهد استاذها الاول أرسطاطاليس ضئيلة ضاوية ثم ماتت بضعفها ولما أحياها العرب باحياء الاسلام لهم تنكبوا طريق النظر المحض فيها واعتمدوا على التجربة فحولوا الكيمياء الوهمية الى كيمياء حقيقية واشتقوا منها فن الصيدلة (تركيب الادوية) وانتقلوا الى التاريخ الطبيعي فاكتشفوا بذلك خواص نبات بلادهم وصموغها البلسمية وأفادوا بها الطب والصناعة فوائد جليلة . قال سيديو : إن البحث عن الجواهر الطبية الذي مدحه ديوسقوريدس لاهل مدرسة الاسكندرية

كان من مخترعات العرب فانهم هم المنشؤن للصيدليات (الأجزخانات) الكيماوية والموروث عنهم ما يسمى الآن بقواعد تحضير الأدوية الذي انتشر بعدُ من مدرسة سالرنه فى الممالك التي في جنوب أوربا :

ومن مخترعات العرب فى الكيمياء الكحول او الغَول الذي صار قوام الاعمال الكيمياوية والصيدلية وتركيب حمض الكبريت والماء الملكي والماء المعشر والجلاب وغير ذلك من الادوية والمعاجين والمربيات والهلامات . قال فى دائرة المعارف : « وهم أول من اخترع السواغات لإذابة الاصول الفعالة للادوية سواء كانت معدنية اونباتية اوحيوانية واخترعوا الانبيق والتقطير والتسامي ووضعوا في أيام الخلفاء قانونا اقرباذينيا كانت جميع التراكيب الاقراباذينية المذكورة فيه مثبتة من طرف الحكومة لايجهز خلافها : » أي انهم هم الذين جعلوا عمل الصيدلة رسميا بمعرفة الحكومة

واشهر العلماء المخترعين في الكيمياء والاقراباذين (الصيدلة) ابوبكر الرازي صاحب كتاب (الترتيب) فيها والكتب الكثيرة فى الطب والفلسفة (توفي سنة ٣١١ هـ) وهو المخترع للمسهلات اللطيفة ولاستعمال كثير من النبات في الطب والرئيس ابو عليّ بن سينا فيلسوف الشرق واكبر اطبائه وابن رشد فيلسوف الغرب وأكبر أطبائه وقد ترجم الاوربيون اكثر كتب هذين الفيلسوفين وانتفعوا بها كما انتفعوا بكتب الشيخ ابي بكر الرازي ويشهدون للجميع بالتبريز في العلوم

الطب : لا يعرف التاريخ أمة أقدم عهدا فى صناعة الطب من المصريين فهم أساتذة اليونانيين وائمتهم ولكن طبهم كان ممزوجاً بالأوهام والتقاليد الخرافية كاعتقادهم أن الصرع يكون بدخول عفريت من الجن في جسم

الإنسان وكانوا يعالجونه بالرقى والعزائم وإنما برعوا في فرع واحد من فروع الطب وهو التحنيط وكان التشريح مذموما عندهم والأطباء من غير الكهنة محتقرين يعاقبون اذا مات من يعالجون . ثم لما دالت دولة العلم الى اليونان بعد انحلال المصريين عنوا بالطب فكان علما محترما ثم قضى الرومانيون على علم اليونان كما قضوا على دولتهم وكانت عنايتهم في المعالجة مقصورة على الرُّقى والطلاسم ومجربات العامة التي يتناقلونها . ثم أحوجتهم الحضارة اليه فأجلُّوا الاطباء بعد احتقارهم ولكن الرومان أنفسهم لم ينبغوا في الطب وفنونه بل احتقروه في أول دولتهم واحترموه في عنفوانها ثم عفا وانحل بانحلال دولتهم حتى اذا نهض الاسلام بالعرب لم تكن لهذه العلوم سوق نافقة في الارض فأحيوها بعد موتها

دائرة المعارف : ولما كانت فتوحات العرب وضربوا في طول البلاد وعرضها كان الطب كسائر العلوم في اسفل درك الهوان والخمول فنهضوا به نهضة جديدة والتقطوا شتاته من كتب اليونان وغيرهم واودعوه كتبهم مع زيادة مما توسعوا فيه بالبحث والتحري وأجادوا بتعريفه ووصفه وتقسيمه : (ثم قال) : ولم يكد يفرغ الخلفاء ومن وليهم من بني أمية من بسط جناح الإسلام حتى أخذ الخلفاء يلجون باب العلم كما ولجوا باب الفتوحات فكان للطب سهم وافر واستعانوا بعلماء اليهود والنصارى عملا بالحديث القائل « استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها » فكانت للامويين من ذلك بعض الآثار ولكن الآثار المشيدة والمساعي الحميدة إنما كانت للعباسيين في بغداد ومن ثم للأندلسيين فاتخذ السفاح العباسي أطباء ماهرين أقام بختيشوع النسطوري رئيسا عليهم وطبيبا خاصا له كما كان جويه اليهودي

عند عمر بن عبد العزيز الأموي :

— ثم ذكر بعض كبار اطباء العرب ومؤلفاتهم واكتشافاتهم وقال — :

« وعلى هذا كانت دولة العرب عروة الوصل بين طب المتقدمين وطب المتأخرين ولولاهم لانتثر ذلك العقد وعفا الكثير من معالم العلم والعرفان فان معظم ما تناوله الافرنج من علم الاقدمين قبل فتح القسطنطينية إنما كان عن العرب وظل اشتغال العرب مدة مديدة منحصراً في النقل والتقليد لا يأخذون الا بما ينقلون ويذهبون مذهب الاقدمين فبينا تراهم عالمين بالأمزجة والأغذية وباحثين في الداء والدواء واذا بهم يقولون بالتنجيم والعزائم ، والرقى والطلاسم ؛ وكان هذا شأنهم الى أن نبغ منهم علماء حكماء فاستجلوا كثيراً من الحقائق العلمية وأبقوا للخلف من مبتكراتهم وتوسعاتهم مباحث واكتشافات . فهم أول من دقق البحث في الحميات النفاطية كالجدري والحصبة والحمى القرمزية وحسبنا من ذلك رسالة الرازي . وهم الذين لطفوا المسهلات وأشاروا باستعمال المن والسنا والتمرهندي والراوند والكافور وغير ذلك . وان كانوا عرفوا منافع أكثر تلك المواد بما ترتب لهم من العلائق التجارية مع الصين والهند فليس في ذلك ما يخفض من قدرهم ويقلل من فضلهم . وهم الذين حسنوا صناعة التقطير والتخمير وتشكيل الأواني الكيموية بأشكال يسهل بها التناول واستخرجوا كثيراً من الأملاح المعدنية وكانت لهم اليد الطولى في فن الصيدلة فوضعوا أسسه ووطدوا أركانه فأفادوا العالم فائدة خلدها لهم التاريخ :

ثم قال الكاتب : وفوق اشتغالهم بطب البشر عنوا بعض العناء (كذا) بالبيطرة وهي طب الخيل والزردقة وهي طب الطيور وسائر العلوم التي

لها علاقة صريحة أو غير صريحة بالطب كالبزدرة وهي صناعة الفرس والطبيعات : (الى أن قال) ولهذا قبضوا على ناصية الطب كما استقلوا بأزمة العلم من فلك وهندسة ونبات وكيمياء ومنطق وطبيعيات وماوراء الطبيعيات . ولبثوا أربعة قرون متوالية مستودع المعرفة وملجأ الحكمة أي منذ تولى الرشيد في بغداد أو قبيل توليه الى موت ابن رشد . ولا عبرة بالفترة التي حصلت بعد وفاة ابن سينا فان العلم لم يمت في خلالها . (قال) والعجب كل العجب أنه قامت بعد ذلك للمسلمين دول شتى ذات قوة وشأن عظيم فكان منها العرب والعجم والترك والتتر ولم تفلح دولة منها هذا الفلاح وان لذلك بلا ريب أسبابا نضرب عنها صفحا لخروجها عن دائرة بحثنا : اه

نقول ان المدة التي ذكرها هي التي كان فيها العلم العربي في عنفوان شبابه وقد ولد قبلها ومات بعدها بزمن . وابن رشد مات في ٥٩٥ ولم يكن بعد ذلك للعرب دولة قوية بروح الدين وحياة الخلافة الإسلامية وان كان لدولة الترك من القوة الحربية مالم تصل اليه دولة سواها ولم تكن حياة العلم في دول العرب بالقوة الحربية وانما كانت بالقوة الأدبية التي جاءتهم من الاسلام، ولم يقم الاسلام غيرهم كما يجب أن يقام . وقد ظهرت الدولة العلية بعد موت ابن رشد بنحو مئة سنة فان انقراض الدولة السلجوقية كان سنة ٦٩٩ وعلى أنقاضها بنى السلطان عثمان الأول بناء سلطنته خلدها الله تعالى بتوفيق القائمين على سريرها للعدل والإصلاح آمين (للمقالات بقية)

﴿ الكرامات والخوارق ﴾

(المقالة السابعة تابعة كما في العدد ٤١ من المجلد الثاني)

نشرنا في منار السنة الثانية مقالات في كرامات الاولياء ذكرنا في

مقدمة المقالة الاولى منها (٢:٢٦) أن النظر في هذه المسألة من وجوه حقيقتها والحكمة فيها . حجج القائلين بجوازها ووقوعها . حجج المنكرين لها . ادعاء جميع الامم لها . منفعة الاعتقاد بها ومضرته . تمحيص الحقيقة فيما نقل من الكرامات . وقد بينا هذه الوجوه والمباحث الا مبحث منفعة الاعتقاد بالخوارق ومضرته فقد كنا عازمين على أن نرجئه الى أن ننقل طائفة من الخوارق التي تؤثر عن كهنة الوثنيين والكتابيين إيضاحا لما جاء في عرض القول من ان جميع الامم تدعي لرؤساء دينها الخوارق والكرامات . ولما كان هذا يتوقف على مراجعة كتب الدين لتلك الملل وذلك لا يتيسر الا في وقت الفراغ ظللنا نتربص هذا الوقت فمرت السنة الثالثة ولم نصبه فيما بعدها فوعدنا في آخرها بأن سنتم في الرابعة مبحث الخوارق ومبحث مدنية العرب ومرت الرابعة مختومة بوعد آخر لم نر بدا من الوفاء به مع الإيجاز كما بدأنا الوفاء بمبحث مدنية العرب ونسأل الله تعالى ان يتوب علينا من الوعود المحدودة ؛ وان كانت آجالها ممدودة ،

اضطررنا الى الوفاء بهذا الوعد (إكمال مبحث الكرامات) الذي ضاق عنه حولان كاملان في أضيق الأوقات علينا وأكثرها شواغل — في جزء آخر سنة تقدمه عيد لا عمل فيه وانحراف في المزاج من النزلة الوافدة (الانفلونزا) وزاحمه مع الاعمال الإدارية والحسابية الاشتغال بالانتقال من المنزل الذي نحن فيه الى منزل آخر مجاور له والاشتغال بتأسيس مطبعة للمنار . وهذه عاقبة من عواقب التسويف السيئة ذكرناها تأديبا لنفسنا وعبرة لغيرنا ولتكون عذرا لنا في الاختصار والإيجاز في موضوع كنا نود التطويل فيه لأن للاعتقاد بالخوارق تأثيرا في الأخلاق والآداب

والعادات وشؤن المعيشة والكسب. وان شئت فقل ان لها التأثير العظيم في سير الأمم فرسوخ هذا الاعتقاد في قوم وزلزاله أو زواله من نفوس قوم هو من علل ما عليه الاقوام من التقدم والتأخر في السيادة والثروة وضدهما

(الخوارق عند الوثنيين)

كانت الأديان الوثنية كلها قائمة بخوارق العادات وكان لقدماء المصريين منها النصيب الأوفر ولا يزال وثنيو الهند الى اليوم يأتون بخوارق مدهشة ومن أغرب خوارق البراهمة الجلوس في الهواء ولكن الأوربيين تمكنوا بصناعتهم من محاكاة هذه الخارقة. ومن خوارقهم أنهم يضعون النار في أفواههم فلا تضرهم على أنهم يلفظونها غير مطفأة. ومنها انهم يظهرون أشياء من العدم. ومنها أنهم يستنبتون الشجرة من البزرة في مدة قليلة خارقة للعادة . ومنها أنهم يذبحون الانسان ثم يحيونه . ومنها أنهم يخبرون عن المغيبات فيصيبون. ومن أحقرها ملاعبة الأفاعي والثعابين والتعرض للسعها.

وقد نشرت جريدة الاهرام من مده قريبة بعض العجائب والخوارق التي تظهر على أيدي هؤلاء الهنود . والهنود معروفون بهذه الخوارق من قديم الزمان وقد اعترف لهم بعض المتصوفة بشئ مما وصل اليهم وعللوا ذلك بأنه أثر الرياضات الشديدة التي تكون منهم (راجع كتاب الجواهر والدرر للشعراني وغيره) ومن هذا التعليل يعلم ان أصحاب تلك الخوارق لم يكونوا كلهم من الاشرار او الذين يتعرضون لايذاء الناس فتأتي التفرقة التي يفرق بها بعض المتكلمين بين المعجزة والسحر بل الكثيرون منهم عباد زهاد نساك مستمسكون بدينهم أتم الاستمساك ، أما التفرقة الحقيقية بين السحر وآيات الانبياء فقد تقدمت في بحث الآيات من الامالي الدينية

﴿ الخوارق عند النصارى ﴾

كل ماذكره الذين ألفوا الكتب منا في مناقب الصالحين وكل مايتناقله الناس فيما بينهم من كرامات أولئك الصالحين أحياء وأمواتا فيوجد مثله فى كتب النصارى وفي رواياتهم اللسانية التي يدعون انها عن مشاهدة أو ترتقي الى المشاهدة . ومن ذلك ظهور المسيح ووالدته عليهما السلام للعباد في اليقظة والمنام وظهور غيرهما من القديسين . ومنه استجابة الدعاء والإخبار بالمغيبات الذي يسميه المسلمون كشفاً ويسمونه نبوة. ومنه طي الأرض وتقريب المسافات البعيدة . ومنه إشراق الوجوه بالأنوار وقت العبادة . ومنه نزول المصايب والرزايا بمن يؤذي القدّيس . ومنه قضاء الحاجات والفوز بالخيرات لمن يتوسل بأحد القديسين والرهبان المتوحدين ويتخذه شفيعاً عند الله . ومنه شفاء المرضى والمجانين ببركات القديس الحي اذا لمس المريض أو صلى له (أي دعا) والقديس الميت اذا زار المصاب قبره. ومنه حبل النساء العواقر بالبركة والزيارة ومنه اخراج الشياطين من المصروعين . ومنه ظهور الملائكة للقديسين ومصاحبتهم ومساعدتهم اياهم في بعض الشؤن. ومنه الصبر عن الأكل والشرب زمناً طويلا ولكن الذي ينقل عن الهنود من هذه الخارقة لم ينقل مثله عن غيرهم فان احدهم يدفن في الارض نحو شهر أو أكثر ثم يخرج منها حياً. وينقلون من كرامات القديسين ماهو أعظم مما ذكر ويدعون في بعضها التواتر فقد جاء في كتاب « العيشة الهنية . في الحياة النسكية » أن من عجائب القديس اغناطيوس التى تزيد على مئة عجيبة ماهو ثابت بشهادة ستمائة وسبعين رجلا

هذا تواتر حقيقي والتواتر حجة عقلية باتفاق علماء المسلمين وغيرهم والذين يدعون هذه الدعوى للقديس اغناطيوس يسهل عليهم أن يسردوا أسماء أولئك الشاهدين ومن نقل عنهم فلا يبقى للمنكر عليهم الا أن يلجأ الى تأويل تلك الخوارق وإثبات أنها خوارق وهمية لا حقيقية . وهنا يحكم العقل السليم من شوائب التحيز والتعصب الذي ينظر الى الأمم نظراً واحداً لايريد منه الا استجلاء الحقائق بأن التأويل اذا جاز فيما ينقل عن قديسي النصارى وكهنة البراهمة جاز فيما ينقل عن شيوخ المسلمين . فاذا كانت طرق النقل عند جميع الامم واحدة فإما أن نصدق الجميع واما أن نكذب الجميع واما أن نأول الجميع ولا رابع لهذه الوجوه . ومن قال من هذه الفرق انني أثق بنقل قومي دون غيرهم لانني عالم بحسن سيرتهم يقال له وغيرك

كذلك فليس لك أن تحتج بأن ماينقل عن صالحي ملتك دليل على صحتها لأن هـذا الدليل هو الذي يسميه علماء النظر مشترك الإلزام

واذ ذكرنا القـديس أغناطيوس — وهولويولا مؤسس طغمة الجزويت التي يستغيث من طمعها سائر فرق النصرانية — فاننا نشير الى بعض عجائبه أو خوارقه على سبيل النموذج . قال القس أفرام في ترجمته عند ذكر رياضته الأولى بعـد تركه الجندية ودخوله فى الاكاركية : « وقد اتفق له مرة أنه نهض لممارسة رياضته هـذه الاعتيادية فتقدم الى أيقونة والدة الله « تعالى الله عن الوالدة والولد » وجثا أمامها بأقوى مايكون من العبادة وقدم نفسه للسيد المسيح بواسطتها وخصص حياته لخدمة الابن ووالدته المجيـدة واعداً اياها بكل نشاط نفسه أنه يخدمهما خدمـة دائمة . وفي انتهاء صلاته هذه سمع صوتا عظيما وتزلزل المكان الذي كان فيه وانكسر كل زجاج النوافذ حتى ان حائط المكان انشق أيضاً وأظهر الله تعالى بذلك سروره بتقـدمة عبده نفسه لخدمته عز وجل »اه

وكأني باخواني المسلمين وقد ضحكوا من هـذه الاعجوبة ونظموها في سمط الخوارق التي سماها المتكلمون خذلاناو تلوا قوله عز وجل « تكاد السموات يتفطرن منـه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً . أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً » ولكني أذكر لهم مالا يمكن أن يعدوه خذلانا . قال القس أفرام : « وقد شاء ابن الرجل الذي كان أغناطيوس مقيما بمنزله أن يعرف كيف يقضي الليل فرآه مرة ساجداً متأملا بوجـه ملتهب مبتلّ بالدموع ومرة أخرى أبصره مرتفعاً من على وجه الأرض ولامعاً بالنور كالشمس متنهـداً وقائلا مراراً كثيرة : يا الهي ياحبيب قلبي وسرور نفسي ليت الجميع يعرفونك حتى لايجسر أحد منهم أن يغيظك . فيا ما أعظم جودك ورحمتك لأنك تحتمل خاطئاً مثلي » وكأني بهم يقولون :ان هذه رواية آحادأو ولدان لايعتدبها في هذا المقام وان صحت: وأني أرضى بهذا القول بشرط أن لايقبل قائله مثل هذه الروايات الآحادية عن صالحي قومـه لأن ماجاء على خلاف سنن الكون لايقبل الا بالدليل القاطع الذي لايقبل النقض كمعجزات الأنبياء عليهم السلام

ومن قبيل هذه الاعجوبة قول القس المذكور عنه انه حينما كان يوما يتلو صلوات الكنيسة لاكرام مريم العذراء الجليلة رأى بغتة صورة تريه الثالوث الأقدس وهذه الرؤيا نوّرته وعزّته جـدا حـتى انه لم يقدر في ذلك النهار كله ان يكف عن ذرف

الدموع ولم يتكلم الا عن الثالوث الاقدس بنوع جلي سام بحيث كان يذهل بخطابه عقول أجلّ علماء اللاهوت مع انه كان لا يعرف حينئذ الا القراءة والكتابة . ومرة أخرى رأى في القداس حقيقة وجود جسد المسيح ودمه في القربان المقدس اه» :ولهم أن يقولوا في الكلام اللاهوتي الذي قاله من غير تعلم انه ليس من الخوارق لأن الاذكياء اذا توجهوا الى شيء واعتنوا به فلا يبعد أن يقولوا فيه قولا غير منتظر ممن في درجتهم العلمية وليس في درجتهم العقليـة . ثم اننا لا نعرف ما هو ذلك القول لنحكم أنه محل للاعجاب في الجملة فكيف نحكم بانه علم لدنيّ الهي جاء بغير تعلم وربما كان في الواقع خطأ . نعم أن أهل العلم والعقل من المسلمين يقولون هـذا ولكن فينا كثيراً من المدعين للولاية ليس لهم كرامـة الا الأقوال التي يسمونها علوما لدنيّة وما هي الا من اللغو والجهالة ومنهم دجال الزقازيق الذي يدعي أنه يفسر القرآن بالإلهام ويعتقد صدقه الجم الغفير فيقصدونه من كل جانب بالهدايا والنذور ومثله كثير.

وأما رؤية جسد المسيح ودمه في القربان ، فهى دعوى بغير برهان . ومثل ذلك دعوى ظهور الشيطان له بزي ملك النور وحثه على الرياضات والعبادة ليصرفه عن العلم عندما قلل العبادة واشتغل بالعلم (قالوا) ولكنه عرفه ولم يخدع. ولكن عندنا مثل هذه أيضاً فقد ذكروا ان الشيطان ظهر للشيخ عبدالقادر الجيلي بصورة نورانية وقال له انه رفع عنه التكاليف فعرفه عبدالقادر وقال : اخسأ ياملعون : فعند ذلك تحول الى ظلمة وقال له نجوت مني بعلمك ياعبدالقادر واني قد فتنت بهذه الحيلة كذا من العباد وذكر عددا كثيراً

ومن عجائب اغناطيوس وخوارقه التي دونوها انه عند مارجع من القدس الى أوروبا طلب من ربان سفينة « الربان رئيس الملاحين » أن يحمله الى ايطاليا حباً في الله فأبى وحمله ربان آخر فانكسرت سفينة الذي أبى ونجت سفينة الذي حمله. ومثل هذه أنه رأى مرة جماعة يلعبون « فطلب منهم الصدقة فنظر اليه واحد من الجمهور وهتف قائلا نحو القديس: ليحرقني الله حياً ان كان هذا الرجل لا يستحق أن يحرق حياً : وفي ذلك النهار عينه حضر فرجة دنيوية مبهجة وكان واقفاً على برميل ممتلئ باروداً واذا بشرارة ملتهبة وقعت على ذلك البرميل فاشتعل البارود حالا وأحرق الرجل حياً » وعجيبة أخرى من هذا القبيل وهى انه لما جمع [ينسى] بأمره الرهبان في مكان ليقرأ عليهم قوانينه التي وضعها لهم وذلك بعد الخروج من المائدة واجتمعوا انهدم

الرواق الذي كانوا يتذاكرون فيه بعد الأكل ولولا هذا الاجتماع لانهدم عليهم الرواق . وههنا يقول القارئ ان هذه الوقائع هى التي نقلها الكثيرون وعدوها عجيبة متواترة وما هي بعجيبة وانما هي وقائع حدثت بأسبابها وكان حدوثها بعد ماذكر من باب المصادفة والاتفاق لا أن سرّ القديس كان سبباً في حدوثها . ومثل ذلك يتفق لكل أحد ولكن الناس لايلتفتون الى هذه المصادفات الا اذا كان هناك من يعتقدون صلاحه . وهذا القول صحيح وهو يصدق فيما ينقله قومنا من مثل ذلك عن معتقديهم من الأحياء والأموات .

ألم يقل كثير من الناس ان الشيخ محمداً عبده اتهم في المسألة العرابية وحبس وهو بري لأن الشيخ عليشاً كان غاضباً عليه فكان ذلك كرامة للشيخ عليش . ولم يلتفتوا الى أن الشيخ عليشاً قبض عليه وحبس أيضاً ولم يقولوا إن ذلك كرامة للشيخ محمد عبده لأن الشيخ عليشاً سمع فيه وشاية وحاول إيذاءه . وذلك ان الشيخ محمداً عبده كان متهماً بالعقل والحكمة لأنه أول من قرأ في الأزهر كتاب العقائد النسفية وبعض كتب المنطق والحكمة التي لم تكن تقرأ لذلك العهد ثم صارت تقرأ بعد ذلك بلا نكير . ألم يقل بعض الناس ان ابن الشيخ الضواهري أخذ شهادة التدريس لأن والده يخدم ضريح السيد البدوي فتلك كرامة للسيد ؟ وقد أخذ مثل هذه الشهادة كثيرون ولم يعد ذلك كرامة لأحد . بل قال بعض الحمقى في هذه الايام ان الشيخ علياً البيلاوي صار شيخاً للأزهر بسر سيدنا الحسين (عليه الرضى والسلام) لأنه كان خادماً للمسجد الذي فيه الضريح المنسوب له ! وقد خدم هذا المسجد غيره ولم يكافئهم سيدنا الحسين بهذه المكافأة ونال مشيخة الأزهر كثيرون لم يخدموا المسجد الحسيني فلم يعد ذلك من الكرامات وخوارق العادات !!!

ذكرنا هذه الشواهد المتعلقة برجال معروفين من أهل الطبقة العليا في المسلمين ويعرف كل واحد من الناس مالا يحصى من أمثال هذه الشواهد التى يلهج بها الناس في كل مكان . وهي عندهم أقوى من كل برهان ، بل أقوى من الحس والعيان ، والإحساس والوجدان ، بل هي ركن الاسلام والإيمان ، ويخشى بعض الخواص من تشكيكهم فيها ان يمرقوا من الدين ، ويتفلتوا من جماعة المسلمين ، وقد نقلنا هذا الرأي فيما سبق عن بعض كبار الشيوخ وهو أنه يجب التأني في بيان الحق في مسألة الاعتقاد بالأولياء والتماس المنافع ودفع المضار من أصحاب القبور وجعل ذلك تدريجياً

لئلا نفسد اعتقاد العامة الذين لايعرفون من دلائل الدين غير ذلك . وقد تقدم في المقالات البحث في اثبات الكرامة وسنذكر في الجزء الآتي الحق الصريح الذي ينبغي تلقينه للناس في المسألة وبيان منافع هذا الاعتقاد ومضارّه ووجوه تأويل ماينقل عن جميع الأمم من الخوارق فلا يعجلنّ القارئ المغرم بهذه المسائل بالحكم حتى يقرأ المقالة الآتية مفصلة تفصيلا

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

الملكان ومسائل عبد الله بن سلام (س ١) ا . ز . ع بالسويس : سأل عبد الله بن سلام النبي صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه وكان اسمه أشماويل ألفاً وأربعمائة مسئلة وأربع مسائل من غوامض التوراة أذكر منها سؤالا نصه «أخبرني أين مقعد الملكين من العبد وما قلمهما وما لوحهما وما مدادهما ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : مقعدها بين كتفيه وقلمهما لسانه ودواتهما ريقه ولوحهما فؤاده يكتبان أعماله الى مماته : فقال صدقت يامحمد » الخ . وقرأت حديثاً في مجلة مكارم الأخلاق الاسلامية أتى به لسؤال عنوانه [القضاء والقدر] وهذا معناه « كل يوم ينزل على العبد ملكان مع كل منهما صحيفتان إحداهما بيضاء والأخرى مكتوب فيها أعمال العبد من حسنات وسيئات فيكتبان في الصحيفتين البيضاوين ماعمله طول يومه حتى اذا انتهى النهار طالع الملكان الصحيفتين اللتين كتباها على الأخريين فيجد انهما مثل بعضهما حرفاً بحرف » الخ فهذان الحديثان ينافي أحدهما الآخر ففى الأول إن لوحهما فؤاد العبد وفي الثاني انه صحيفتان ينزلان بهما فالرجاء الافادة هديتم للهدي .

(ج) كل من الحديثين غير صحيح ولا يجوز لكم أن تأخذوا بحديث ترونه في كتاب أو مجلة أو جريدة الا اذا كان موصولا بذكر من خرجه من أئمة الحديث حتى تسهل مراجعته ومعرفة صحته من عدمها أن لم يذكر مخرجه ذلك ولم يكن في الصحيحين . وهذه القصة المؤلفة في مسائل عبدالله بن سلام المذكورة في خريدة العجائب — جعبة الكذب — قصة موضوعة والذي في صحيح البخاري أن عبد الله ابن سلام سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ثلاث عن أول الساعة وعن أول طعام أهل الجنة وعن الولد ينزع الى أبيه وأمه . والرواية هكذا في غير البخاري من كتب الحديث وفي كتب السير . قالوا وكان اسم ابن سلام الحصين فلما أسلم سماه

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبدالله

﴿ ماروي في الإسراء . مستقر الارواح . عذاب القبر ﴾

(س ٢) منصور أفندي رفعت بمصر : ما ذا رأى نبينا محمد في ليلة الاسراء ؟

(ج) « لقد رأى من آيات ربه الكبرى »

(س ٣) ومنه : أين تستقر أرواحنا بعد الممات ؟

(ج) لم يرد في هذا نص صريح قطعي والعلماء مختلفون فيه والراجح عندنا اتباع طريقة السلف في تفويض الأمر الى الله تعالى في الأمور الغيبية وعدم البحث فيها وحسبنا ان ما ورد جائز عقلا وقد أخبر به المعصوم

(س ٤) ومنه : ماهو عذاب القبر المنصوص عليه وهل هو عذاب مستمر أو وقتي وهل يقع على الروح فقط أو الجسم فقط أو كليهما ؟

(ج) الإحساس بالألم أو اللذة من شأن الأحياء والجسد لا حياة له الا بالروح فاذا كانت الروح في الجسد ووصل اليها الألم بواسطته يصح أن يقال ان هذا الألم ألمّ بالروح والجسد وان كان الشعور للروح وحدها . واذا كان الروح خلقاً مستقلا مدركا كما نعتقد فلا شك أنه يجوز أن يدركه الألم في حال تجرده كما كان يدركه في حال تقيده بالجسد فعلم بهذا أن قول العلماء: إن عذاب القبر — أي الألم الذي ينزل بالانسان بعد الموت وان لم يقبر — يكون على الروح والجسد: يتضمن القول بأنه يبقى للروح بعد الموت علاقة واتصال بمادة الجسد الذي كانت فيه وان تفرقت هذه المادة وانحلت الى أجسام كثيفة وغازات لطيفة . ويستلزم هذا القول أحد أمرين إما عدم فناء مادة الجسم وإما انقطاع العذاب بفنائها . والمشهور عن المتكلمين الاشاعرة ان الجسم ينعدم على الراجح كما قال اللقاني

وقل يُعاد الجسم بالتحقيق   عن عدم وقيل عن تفريق

والقول بالتفريق أي بعدم تلاشي مادة الجسم هو الراجح عند متكلمي المعتزلة وبعض الاشاعرة وهو الموافق لرأي الفلاسفة القائلين باستحالة العدم . والراجح عندنا ماقلناه في جواب السؤال السابق من تفويض أمر عالم الغيب الى عالم الغيب سبحانه وتعالى

تأثير العين

(س ٥) أحمد أفندي كمال الكاتب بمحكمة شبين الكوم : جاء في القرآن وغيره من كتب الشرائع والديانات وكذا الامثال قديمة وحديثة ما أثبت وبرهن على وجود العين الحاسدة وتأثيرها في المحسود فارجو بيان حقيقة تلك المؤثرات التي تخرج

من العينين أو القلب وكيفية تأثيرها في المحسود من جماد ونبات وانسان بطريقة شرعية

(ج) ليس في القرآن الكريم ما يثبت العين ولكن ذكر المفسرون مسألة العين وجها في تفسير قوله تعالى « وان يكاد الذين كفروا ليُزلِقُونك بأبصارهم لمّا سَمِعوا الذِّكرَ ويقولون انه لمجنون » والمعنى المتبادر أنهم كانوا ينظرون اليه نظر الغيظ والحنق وفي آية أخرى في المنافقين « ينظرون اليك نظر المغشيّ عليه من الموت » نعم قد ورد في حديث الشيخين وغيرهما « العين حق » أي أمر ثابت عند الناس وواقع فيهم ولم يرد في بيان كيفية تأثير العين شيء في الشرع وانما ورد ما يدل على أنها تؤثر ولا حاجة في فهم هذا التأثير الى أكثر من المعروف المشهور فان لبعض الناس استعداداً نفسيّاً قوياً في التأثير ولبعضهم مثله في التأثر ومن ذلك صناعة التنويم المغناطيسي المعروفة عند الغربيين . وانتقال مطلق التأثير من نفس الى نفس معهود في جميع الناس أو أكثرهم فقلَّ من ينظر صاحب تأثر شديد بحزن أو خوف الا ويجد في نفسه أثراً من ذلك

المسألة المأمونية

(س ٦) شيخ العرب ابراهيم جلبي بالسعدين : نرجو من سيادتكم أن تفيدونا عن المسألة المأمونية التي سأل الخليفة المأمون يحيي ابن أكثم عنها حين ولاه القضاء ماهي وما جوابها

(ج) المسألة المأمونية مسألة في الفرائض وهي أبوان وابنتان لم تقسم التركة حتى ماتت احدى البنتين وتركت من في المسألة . وقد سأل المأمون عنها يحيي عند ما وُصف له وأراد توليته القضاء فقال : يا أمير المؤمنين الميت الأول رجل أم امرأة؟ فعلم المأمون من هذا السؤال أنه قد فهم المسألة لأن الاشكال فيها كان من ابهام الميت الأول الذي مات عن أبوين وبنتين . وبيان الجواب أن الميت الأول اذا كان رجلا تصح المسألتان من أربعة وخمسين وان كانت امرأة لم يرث الجد في الثانية فتصح المسألتان من ثمانية عشر

﴿ وصية بطرس الأكبر قيصر الروسيا ﴾

(ننشر هذه الوصية تمهيداً لمقال سنكتبه في فتنة مكدونيا وحال الدولة العلية وروسيا وأوربا)

المادة الاولى — من اللازم أن تقاد العساكر دائما الى الحرب وينبغي للامة الروسية أن تكون متمادية على حالة الكفاح لتكون اليفة الوغى . وترك وقت لراحة العساكر أو لأجل اصلاح المالية وتوفيرها وان كان ضروريا يلزم معه ان يكون تنظيم المعسكرات

متعاقباً وتكون مراقبة الوقت الموافق للهجوم متصلة . وعلى هذه الصورة ينبغي لروسيا أن تتخذ زمن الصلح والاماز وسيلة قوية للحرب وهكذا زمن الحرب للصلح وذلك لاجل زيادة قوتها وتوسيع دائرة منافعها

المادة الثانية — في وقت الحرب ينبغي اتخاذ جميع الوسائل الممكنة لاستجلاب ضباط للجنود من بين الملل والاقوام الذين هم أكثر علماً منافي اوروبا وكذلك في زمن الصلح يتعين استجلاب أرباب العلم والمعارف منهم ايضاً ويلزم الاعتناء بما يجعل الامة الروسية تستفيد من منافع سائر الممالك ومحسناتها بحيث لا تضيع فرصة للسعي في تحصيل المحسنات المخصوصة بمملكتها

المادة الثالثة — عندسنوح الفرصة ينبغي وضع اليدوالمداخلة في جميع الأمور والمصالح الجارية في اوروبا وفي اختلافاتها ومنازعاتها وعلى الخصوص في شؤن ممالك المانيا الممكن الاستفادة منها بلا واسطه بسبب شدة قربها

المادة الرابعة — ينبغي استعمال ضروب من الرشوة لاجل إلقاء الفساد والبغضاء والحسددائماً في داخلية ممالك (له) وتفريق كلمتهم واستمالة أعيان الامة ببذل المال واكتساب النفوذ في مجلس الحكومة حتى نتمكن من المداخلة في انتخاب الملك وبعد الحصول على انتخاب من هو من حزب روسيا من تلك الامة ينبغي حينئذ دخول عساكر روسيا في البلاد لاجل حمايتهم والتعصب لهم باحتلال العساكر المذكورة مدة مديدة هناك الى أن تحصل الفرصة لاتخاذ وسيلة تمكننا من الاقامة وعند ما تظهر مخالفة في ذلك من طرف الدول المجاورة فلاجل اخماد نار الفتنة موقتاً ينبغي أن نقاسم المخالفين في ممالك (له) ثم نترقب الفرص لاسترجاع الحصص التي تكون قد أعطيت لهم •

المادة الخامسة — ينبغي الاستيلاء على بعض الجهات من ممالك أسوج بقدر الامكان ثم نسعى في اغتنام وسيلة لاستكمال الباقي منها ولا نتوصل الى ذلك الا بوجه تضطرب فيه تلك الدولة الى أن تعلن الحرب على دولة الروسيا وتهاجمها • والذي يلزم اولا هو أن نصرف المساعي والهمة لإلقاء الفساد والنفرةدائماً بين اسوج والدانمرق بحيث يكون الاختلاف والمراقبة بينهم دائمين باقيين

المادة السادسة — يجب على الاسرة الامبراطورية الروسية أن يتزوجوا دائماً من بنات العائلة الملوكية الالمانية وذلك لتكثير روابط الزوجية والاتحاد بينهم ومشاركتهم في

المنافع اذ بهذه الصورة يمكن اجراء نفوذهم في داخل المانيا ويربطون أيضاً الممالك المذكورة لجهة منافعنا ومصلحتنا•

المادة السابعة — ان دولة انكلترة هي الدولة الاكثر احتياجاً الينا في امورها البحرية ولهذه الدولة فائدة عظيمة جداً أيضاً في أمر زيادة قوتنا البحرية فلذلك كان من الواجب ترجيح الاتفاق معها في أمر التجارة على سائر الدول وبيع حاصلات ممالكنا كالاخشاب وسائر الأشياء الى انكلترة وجلب الذهب من عندهم الى ممالكنا واستكمال أسباب الروابط والصلات الدائمة بين تجار وملاحي الطرفين فيتوسع بهذه الوسيلة أمر التجارة وسير السفن في ممالكنا

المادة الثامنة — على الروسيين أن ينتشروا يوما فيوما شمالا في سواحل بحر البلطيق وجنوبا في سواحل البحر الاسود

المادة التاسعة — ينبغي التقرب بقدر الامكان من استانبول والهند وإن من القضايا المسلمة أن من يحكم على استانبول يمكنه حقيقة أن يحكم على الدنيا بأسرها فلذلك كان من اللازم احداث المحاربات المتتابعة تارة مع الدولة العثمانية وتارة مع الدولة الايرانية وينبغي الاستيلاء على البحر الاسود شيئاً فشيئاً وذلك لاجل انشاء دور صناعات بحرية فيه والاستيلاء على بحر البلطيق أيضاً لانه خير موقع لحصول المقصود والتعجيل بإضعاف بل بمحو دولة ايران لنتمكن من الوصول الى خليج البصرة وربما تتمكن من اعادة تجارة الممالك الشرقية القديمة الى بلاد الشام والوصول منها الى بلاد الهند التي هي بمثابة مخزن للدنيا وبهذه الوسيلة نستغني عن ذهب انكلترة

المادة العاشرة — ينبغي الاهتمام بالحصول على الاتفاق والاتحاد مع دولة اوستريا والمحافظة على ذلك ومن اللازم التظاهر بترويج افكار الدولة المشار اليها من جهة ماتبتغي اجراءه من النفوذ في المستقبل في بلاد المانيا واما الباطن فينبغي لنافيه أن نسعى في تحريك عروق حسد وعداوة سائر حكام المانيا لها وتحريك كل منهم لطلب الاستعانة والاستمداد من دولة روسيا ومن اللازم اجراء نوع حماية للدول المذكورة بصورة يتسنى لنا فيها الحكم على تلك الدول في المستقبل

المادة الحادية عشرة — ينبغي تحريض العائلة المالكة في اوستريا على طرد الاتراك وتبعيدهم من قطعة الروملي وحينما نستولي على استانبول يجب علينا أن نسلط دول اوروبا القديمة على دولة اوستريا لتأخذها حربا أو نسكن حسدها ومراقبتها لنا باعطائها حصة صغيرة من

الاماكن التي نكون قد أخذناها من قبل وبعدذلك نسعى بنزع هذه الحصة من يدها

المادة الثانية عشرة — ينبغي ان نستميل الينا جميع المسيحيين الذين هم من مذهب الروم المنكرين رياسة البابا الروحية والمنتشرين في بلاد المجر والممالك العثمانية وفي جنوبى ممالك (له) ونلجئهم الى ان يتخذوا دولة روسيا مرجعاً ومعيناً لهم ومن اللازم قبل كل شيء احداث رياسة مذهبية حتى نتمكن من ايجاد نوع من الحكومة الرهبانية عليهم فنسعي بهذه الواسطة لاكتساب أصدقاء كثيرين ذوي غيرة نستعين بهم فى كل ولاية من ولايات أعدائنا

المادة الثالثة عشرة — حينما يصبح الاسوجيون مشتتين والايرانيون مغلوبين واللاهيون محكومين والممالك العثمانية مضبوطة لنا أيضا نجمع معسكراتنا في محل واحد مع المحافظة على البحر الاسود وبحر البلطيق بقوتنا البحرية وعند ذلك نظهر أولا لدولة فرانسا كيفية مقاسمة حكومات الدنيا بأسرها بيننا ثم لدولة اوستريا ويعرض ذلك على كل من الدولتين المشار اليهما كل منهما على حدة بصورة خفية جدا لقبول ذلك واذ كان لابد من ان احداهما تقبل هذه الصورة فعند ذلك ينبغى مداراة واحترام كل منهما ونجعل من كانت منهما قابلة بما عرضناه عليهما واسطة لتنكيل الاخرى. واذ تكون دولة روسيا حينئذ قد استولت على جميع الممالك الشرقية ويكون مثل ذلك أعظم قطع اروبا حديثة الدخول فى يد تصرفها فعنده يسهل عليها أن تقهر وتنكل فيما بعد أية دولة بقيت فى الميدان من الدولتين المذكورتين

المادة الرابعة عشرة — على فرض المحال ان كلا من الدولتين المشار اليهما لم تقبل بما عرضته عليهما روسيا فينبغي حينئذ لروسيا ان تصرف الأفكار لمراقبة ما يحدث من النزاع والخلاف بينهما فاذا وقع ذلك فلا بد أن أحد الفريقين يشتبك مع الآخر ويضعف كل منهما وفي ذلك الوقت يجب على روسيا أن تنتظر الفرصة العظيمة وتسوق حالا معسكراتها المجتمعة أولا بأول على المانيا فتهجم على تلك الجهات ثم تخرج قسمين كبيرين من السفن أحدهما من بحر أزق المملوء بالعساكر الوافرة المجتمعة من أقوام الاناضول المتنوعة والثاني من ليمان ارخانكل في البحر المتجمد الشمالي فتسير هذه السفن وتمر في البحر الابيض والبحر المحيط الشمالي مع الاسطول المقيم في البحر الاسود وبحر البلطيق وتهجم كالسيل على سواحل فرانسا • واما المانيا فانها تكون اذ ذاك مشغولة بحالها. وبما ذكرناه تصبح المملكتان الواسعتان المذكورتان مغلوبتين

على هذه الصورة فالقطعة التى تبقى من اروبا تدخل بالطبع تحت الانقياد بسهولة وبدون محاربة وتصير جميع قطعة أوربا قابلة للفتح والتسخير

آثار علمية ادبية

باب التقريظ

(أحسن الكلام . فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الاحكام)

سمعنا بأن أحد أعضاء المحكمة الشرعية العليا بمصر ألف كتاباً أو رسالة وانها توزع على جميع المحاكم الشرعية وعلى جميع مأذوني الشرع بالثمن فتشوفت نفوسنا للاطلاع عليها ظانين أنها في اصلاح هذه المحاكم التي يشكو الناس من سوء سيرها وقد استحضرنا نسخة منها فاذا هي كراسة للشيخ محمد بخيت المشهور في مسائل اختلف الناس فيها هل هي بدعة ينبغي تركها أم لا وقد مهد المؤلف لها بكلام في السنة والبدعة • أما المسائل المقصودة بها فهي الترقية التي اعتادها المسلمون في المساجد يوم الجمعة وكذلك قراءة سورة الكهف في المسجد الجامع عند اجتماع الناس لصلاة الجمعة والاجتماع لقراءة قصة المعراج والمولد وفضائل ليلة النصف من شعبان ورفع أصوات المشيعين للجنازة بنحو ذكر وغير ذلك • وقد كان شيخ الجامع الأزهر السابق الشيخ سليم البشري سئل عن الترقية وما في معناها فأفتى بأنها بدعة تجتنب ولكن ديوان الأوقاف صاحب السلطة على المساجد لم يعمل بهذه الفتوى لأن السلطة الإدارية لا تنفذ كل ما يفتي به رجال الدين وان كانت رياستهم رسمية من قبل رئيسها. وفي الكراسة على صغرها فوائد كثيرة منها ما يسلّم ومنها ما هو منتقد ولما كان المؤلف من كبار علماء الأزهر الذي يعتنى بكلامهم وجب علينا الاعتناء بكلامه والبحث فيه فنقول

ذكر المصنف بعد سرد الاسئلة التي كتب رسالته جواباً عنها أن الأصل في الاحكام الشرعية الكتاب والسنة والاجماع والقياس الصحيح وأن كل ما استند الى أصل من هذه الأصول فهو حكم الله وشرعه وأن كل ما لم يكن مأخوذاً من واحد منها فهو بدعة وضلالة واحداث ما ليس من الدين فيه . قال : وليس كل ما لم يفعل في عهده صلى الله عليه وسلم بدعة شرعية مذمومة بل اذا حدث فعله بعد زمنه عليه الصلاة

والسلام كان بدعة لغوية وحينئذ تعتريها الاحكام الخمسة :

ونقول ان ماذكره هو المعروف عن العلماء وذكره ابن حجر في فتاواه الحديثية وسبقه الحافظ في الفتح وفيه اجمال يحتاج الى بيان وهو ان ماحدث بعد زمن التشريع ان كان داخلا فيما لا قياس ولا اجتهاد فيه كالأمور الاعتقادية والتعبدية فهو بدعة وضلالة قطعاً لاسيما اذا اتخذ شعاراً دينياً والا لجاز لنا أن نزيد في الدين عبادات وشعائر كثيرة يعرف بها المسلمون وهي مما لم يعرف عن الله ورسوله وانما نخترع لها أقيسة نسميها بها بدعاً مستحسنة . فليحفظ القارئ هذا

وكما انتقدنا الإجمال في هذا الموضع ننتقد فيه التمثيل فقد مثل للبدعة الشرعية المخالفة للأدلة القطعية بالقول بفرضية المسح على الرجلين دون غسلهما وعلله بالمخالفة « لنص الكتاب » . وما جاء في الكتاب ليس نصاً فيما قال لايحتمل سواه بل ان قوله تعالى « وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين » على قراءة الجر (وهي قراءة ابن كثير وحمزة وابي عمرو وعاصم أي أكثر السبعة) ظاهرٌ في وجوب المسح ولذلك أوله العلماء القائلون بعدم الاكتفاء بالمسح بأن الجر في الرجلين للمجاورة وقد ردّه القائلون بالمسح بأنه قد عدّ لحنا لأنه لم يرد الا شاذاً في الشعر الذي يغتفر فيه مالا يغتفر في غيره لمكان الوزن وبأنه على شذوذه لم يرد بالعطف كما في الآية وبأنه يشترط فيه الأمن من الالتباس ولا أمن هنا . وكلام الله المعجز ببلاغته ينزه عن الشذوذ والالتباس . وتأويل قراءة النصب بالعطف على المحل أقرب من هذا التأويل . نعم ان الغسل مسح وزيادة وإنه ثبت في السنة الصحيحة وعليه الجماهير الا الشيعة وإنه أحوط ولكن هذا كله لايصحح تعليل المؤلف بأن القول بفرضية المسح بدعة لمخالفة نص الكتاب .

ثم ذكر البدعة المكروهة وعدّ منها زخرفة المساجد بغير الذهب والفضة وقال كما قال ابن حجر « وإلا كانت من القسم الأول » أي المحرم . ثم ذكر البدعة الواجبة فقال « وتارة يكون بدعة واجبة كنصب الادلة للرّد على أهل الفرق الضالة وتعليم العلوم التي يتوقف عليها فهم الكتاب والسنة » ولا أدري كيف ساغ لهم عدّ نصب الأدلة للرد على الفرق الضالة من البدع والقرآن الكريم طافح بهذه الأدلة نعم ان المتكلمين سلكوا فيها غير مسلك القرآن بعنايتهم في الأدلة النظرية المحضة وأكثر أدلة القرآن مستندة الى المحسوسات ولكن الاتيان بأدلة جديدة لايقتضي أن يكون

أصل نصب الأدلة بدعة فان البدْع والبدعة في اللغة ما كان على غير مثال سبق

ثم طفق يستدل على أن البدعة تنقسم الى الاقسام المذكورة فذكر أموراً منتقدة أولها إخراج الصحابة اليهود والنصارى من جزيرة العرب وثانيها قتالهم غير العرب من الكفار . والثاني منصوص في الكتاب والأول جاءت به السنة . أخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث عمر « ان عشت لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أترك فيها الا مسلماً » وأخرج الترمذي والحاكم من حديثه أيضاً « لئن عشت إن شاء الله لأخرجنّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب » وأخرج أحمد وأبو يعلى في مسنده والحاكم في الكنى وغيرهم عن أبي عبيدة قال : آخر ماتكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب واُعلموا ان شر الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . وأخرج أحمد من حديث عائشة « لايبقى في جزيرة العرب دينان » وبقيت أحاديث بمعنى ماذكر

وقد احسن المؤلف في قوله : « نعم ماتركه النبي صلى الله عليه وسلم مع وجود مقتضٍ لفعله كان تركه سنة وفعله بدعة مذمومة ولذلك كره أصحابه عليه الصلاة والسلام استلام الركنين الشاميين والصلاة عقب السعي بين الصفا والمروة لترك النبي صلى الله عليه وسلم لذلك مع أنه كان يعلم المناسك للناس » نقول وكذلك يقال في جميع التعبدات والشعائر الدينية لأنها مبنية على الاتباع المحض ولا مجال لاجتهاد الناس فيها لأنها ليست مما يختلف باختلاف الزمان والمكان وتقدم ايضاح هذه المسألة في غير هذا الجزء من المنار

هذا ما نقوله في تمهيد هذه الرسالة ولنا قول آخر في المسائل المقصودة منها بالذات نرجئه للجزء الآتي

الاسلام في عصر العلم — صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب وهو مؤلف من أربع كراسات [كل كراسة ١٦ صفحة صغيرة] الأولى في الفصل الاول من الباب الأول من مبحث الإنسان وهو في معرفة الانسان نفسه . والثانية في تمهيد للبحث في حياة النبي صلى الله عليه وسلم . والثالثة في البحث عما وراء المادة وعظيم شأنه عند علماء أوربا المشتغلين بمسألة استحضار الارواح . والرابعة في ملحق الكتاب الموضوع للبحث في داء الأمة ودوائها . وقد اختار المؤلف ان يصدر في كل جزء كراسة من كل باب من أبواب الكتاب لئلا يطول على القراء الكلام في المقدمات فيملّوا

وهاهنا نذكر رأياً رآه غير واحد وهو ان المؤلف الذي عني أشد العناية بتتبع أقوال الباحثين فى استحضار الأرواح ويرى أنها الذريعة الوحيدة لاثبات الدين ينبغي له ان لا يكتفي بالاطلاع على أقوال المثبتين لهذه المسألة وتعريبها بل الذي ينبغي له هو أن يشتغل بالمسألة عملا ويثبتها بالتجربة والاختبار طريق العلم في هذا العصر وعسى أن تنهض به الهمة الى السفر الى أوربا والاجتهاد بتحقيق هذه الامنية . وهنا نعيد الترغيب فى الاقبال على كتابه مساعدة له على هذه الخدمة

مذهب تولستوي — كتاب باللغة الروسية عربه سليم افندي قبعين وهو • يحتوي على مختصر ترجمة الفيلسوف تولستوي وآدابه وفلسفته وآرائه الدينية وحرم المجمع المقدس له واعتراضه واحتجاج زوجته على مضمون الحرم ثم ردود رجال الدين الروسي على آرائه الدينية [مزينا برسمه] • وقد طبع الكتاب على نفقة ابراهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية بمصر واهدانا نسخة منه ولما نتمكن من مطالعته . ويعلم القراء ان للفيلسوف تولستوي يداً فى الحركة العلميه في بلاد روسيا ولذلك كان هذا الكتاب جديراً بأن يقرأ وهو يطلب من المكتبة الشرقية

باب الأخبار والآراء

(فكاهة بدوية • في أخبار البلاد العربية)

نفكه القراء بنص كتاب أرسله بدوي نجدي الى مثله من النجديين الذين يختلفون الى هذه الديار للتجارة ونصه:

«ورد علينا جواب من بمباي ويذكر فيه بأن ابن سعود كان على ابن سبهان وابن جراد على النبقي ومعهم سبعة أسلاف من شَمَّر وحروب وقحاطين وصليلات وقطعهم قطع ومعهم جميع ذخرة ابن رشيد وجيشه والذي سلم منهم زَبَنَ بريدة وابن رشيد نازل على الحفر ويوم جاه الخبر شدّ وشمّل . ويذكر صالح الحسن وأهل القصيم معهم قيمة ٢٠٠ ذلول نازل البطان وجابر ابن صباح وقومهم على الصبيحة. هذا الذي ورد علينا والكون في ٢٨ شوال»

(تفسير الغريب) ابن سبهان وابن جراد قائدان من قواد ابن رشيد والنبقى واد فى أرض القصيم • والاسلاف الطلائع الذين يتقدمون الجيش وله أصل فى الفصيح قال فى الاساس : وسلف القوم تقدموا سلوفاً وهم سلف لمن ورائهم وهم سلاف العسكر: وحروب يريد به طوائف من بني حرب وعلى هذا النحو جمع قحطان وصليلة. والذخرة مؤنث الذخر بمعنى الذخيرة . وقوله « زبن بريدة » اي لجأ اليها وهي قرية من قرى القصيم الكبيرة . والزبن فى اللغة الدفع ومنه سمي الشرطة واعوان النار زبانية لأنهم يدفعون الناس ويدعُّونهم وجاء في كلامهم « تحته جمل يزبن المطيّ بمنكبيه » أي يسبقها . كأن البدوي هنا يريد أنهم لجأوا الى بريدة مدفوعين بقوة اعدائهم . والحفر بين البصرة وبلاد نجد كما يقولون . وشمّل سار الى جهة الشمال. وفي الفصيح : شَمَلَ به: أخذ ذات الشمال. والبطان — وقال لنا من ارسل اليه الكتاب : الصواب البطانيات — مياه ينزلون عليها في جهة الدهناء • والذلول الناقة المذللة عربية فصيحة • والصبيحة بالقرب من الكويت وهي منسوبة الى ابن صباح • وجابر هذا هو ابن مبارك الصباح شيخ الكويت • « والكون » يريد به الغزو الذي ذكره

﴿ مشيخة الجامع الازهر ونقابة الاشراف ﴾

قضت إرادة الأمير بعزل الشيخ سليم البشري من مشيخة الأزهر وقد استشار نظاره هذه المرة فيمن يولي بدلا منه فكان لهم في كل واحد من كبار الشيوخ المرشحين من سمو لهذا المنصب علة تحول دون توليته إياه حتى إذا رشح السيد الشيخ علي البيلاوي نقيب الأشراف اتفقوا عليه فأصدر العزيز أمره بتوليته فنهنئه بهذه الثقة ونسأل الله تعالى أن يجعل أيامه أيام اصلاح يتقدم فيها الأزهر تقدماً مبيناً . وان لنا مع هذا الدعاء رجاء فاننا نعهد بالسيد الرفق وهو عنوان الخير والله يحب الرفق في الأمر كله كما في حديث عائشة عند أحمد والشيخين والنسائي وابن ماجه . وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ما كان الرفق في شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه » رواه عبد بن حميد والضياء عن أنس. وأما الخرق « ضد الرفق » فان صاحبه يشغله الغرور عن الاحساس بالحاجة الى الاصلاح . وان لنا لعودة الى الكلام في الأزهر ان شاء الله تعالى

ثم قضت ارادة الأمير بأن يعيد منصب نقابة الاشراف الى نصابه الأول وهو بيت البكري الشهير فأمر باعادة النقابة الى صاحب السماحة السيد محمد توفيق أفندي البكري شيخ مشايخ الطرق وكانت تحولت عنه من بضع سنين. وعهد الى ديوان الأوقاف

العمومية بالنظر في أوقاف الاشراف وإدارتها وكان النقيب هو الذي يديرها

مدرسة ماهر

كنا استبشرنا عند ما علمنا بأن المرحوم عثمان باشا ماهر أوقف أرضاً واسعة على إنشاء مدرسة إسلامية ونوهنا بذلك تنويهاً حسناً . ولكن قد خاب أملنا في هذه المدرسة منذ علمنا أنه عين في الوقفية لكل معلم يعلم فيها راتب لا يزيد على أربع مئة قرش في الشهر وما كان لأحد يحسن التعليم أن يرضى بهذا الراتب في مصر وانما فائدة المدرسة بالمعلمين. ولقد كان الذي أشار بهذا التعيين هو الذي أحبط عمل الواقف بما جعله صورة بغير معنى. وإن هذا لمن البراهين المثبتة لرأينا بأن نجاح الامة لا يعوزه المال وإنما يعوزه الرجال فالمال كثير والرجال قليل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل،

إصلاح حروف المطابع العربية

للحروف العربيــة شكل في الافراد وشكل في تركيب الكلمات بل أشكال فائدتها الاختصار فان الكلام اذا كتب بالحروف المفردة يشغل من مساحة الورق أكثر مما يشغله اذا كتب بهذا التركيب المعروف وبهذا يفضل خطنا خطوط اللغات الإفرنجية ولكن له سيئة في الطباعة وهي كثرة أشكال الحروف التي تتألف منها الكلم وقد زاد هذه السيئة سوءاً واضعو أشكال حروف الطبع فانهم جعلوا أشكالها بضع مئين لأنهم جعلوا للحرف الواحد أشكالا مفردة وأشكالا مركبة مثنى وثلاث ورباع فبلغت أشكال الحروف في مطبعة بولاق الاميرية تسعمائة شكل وهي في غيرها من مطابع أوربا والاستانة والشام أقل من ذلك ويزعمون أن كثرة الاشكال لحفظ جمال الخط العربي ولكننا نرى ان أكثر هذه المطابع أشكالا أقلها جمالا

وقد ارتقت الطباعة العربية في الاستانة والشام وقلت أشكال الحروف الاستامبولية ووجدت هذه الحروف في مصر فحسنت بها الطباعة وصار طبع المطبعة الاميرية — وهي أشهر المطابع العربية في الدنيا — أقبح الطبع وان كانت لاتزال ممتازة بالتصحيح لذلك توجهت عناية نظارة المالية الى اصلاح هـذه المطبعة فألفت لجنة للبحث في طرق الاصلاح رئيسها ابراهيم باشا نجيب وكيل الداخليـة وأعضاؤها الشيخ حمزة فتح الله مفتش اللغة العربية في نظارة المعارف وشـيلو بك ناظر المطبعة الاهلية والجرائد الرسمية وأمين سامي بك ناظر مدرسة الناصرية وأحمد زكي بك الكاتب الثاني لاسرار مجلس النظار وكان عمل هذا النظر في اختصار صندوق الطباعة وتسهيل

جمع الحروف فاختبر حال المطابع العربية في الاستانة وأوروبا فوجد ان أقل المطابع حروفا مطبعة اكسفورد في انكلترا فأشكال حروفها ٢٨٢ شكلا وبعد البحث والتدقيق اهتدى الى جعل هذه الحروف ١١٢ يضاف اليها بعض الحروف الاعجمية المستعملة في اللغات الشرقية التركية والفارسية والهندية والجاوية والماليزية وبعض المركبات والارقام والعلامات التي لابد منها فتكون ١٧٨ وفاته أن يضيف علامات العلوم الرياضية أيضا

وذكر ان فوائد هذه الطريقة تقليل أدوات الطباعة والاقتصاد في المال والوقت والعمال والتناسق الهندسي في السطور . وقد كتب مذكرة في رأيه فقبلتها اللجنة وسمحت نظارة المالية بثمانية آلاف جنيه ونيف لتنفيذ الاصلاح

وأهل الصناعـة ينازعون في بعض الفوائد ولكنهم لاينكرونها من أصلها وقد أشرنا الى زعمهم أن هذا الاختصار يذهب ببعض جمال الخط الذي يحفظ الطبع صورته بسبب حذف بعض الاشكال واستبدال المفضول بالافضل ولو اتخذت المطبعة الأميرية صندوقا أو أكثر من الاشكال التي قضي بحذفها وخصتها بكتابة العناوين ورقاع الزيارة والدعوة ونحو ذلك لأحسنت عملا . الاقتصاد في الوقت يظهر بادئ الرأي ولعله لايتم تجربة لأن العامل يمد يده الى الصندوق الذي كل حروفه مفردة بعدد حروف الكلمة والى مافيه حروف مركبة أقل من ذلك . ومن الجلي أنه لا اقتصاد في ثمن الحروف لان قلة الأشكال لايقتضي قلة عدد الحروف . ولكن قلة الحروف مسهلة لتعليم جمع الحروف وسرعة التمرن بل هي مسهلة لتعليم القراءة والكتابة أيضاً

تنبيه للمشتركين

يرى القراء من الخاتمة الآتية انا سنزيد المنار اتقانا ولكننا لم نزد ثمنه الا قليلا بالنسبة الى خارج البلاد المصرية . فكل من قبل العدد الأول من السنة السادسة في القطر المصري فهو يعد مشتركا الى نهاية السنة ويلزم بدفع خمسين قرشاً صحيحا . وقيمة الاشتراك في خارج القطر ١٨ فرنكا وفي الهند ١٠ روبيات وفي روسيا ٧ ريالات (روبل)

خاتمة السنة الخامسة للمنار

قد تمت بهذا الجزء سنة المنار الخامسة وكان انتشاره فيها فوق ما كنا نرجو ونتوقع فقد زاد عدد المشتركين عما كنا نقدر بالقياس على السنين السابقة زيادة صالحة تجاوزت عدد جميع المشتركين في السنة الاولى والثانية . ثم ان نموه المعنوي قد زاد أيضاً وتضاءل حزب الشيطان المعارض تضاؤلا او انحل انحلالا وتنبه المسلمون الى

أن لهم مجلة دينية تخدم ملتهم بحق كما ان لسائر الأمم مجلات وجرائد دينية تخدم مللهم ونحلهم المتفرقة. نعم صار المنار موضع ثقة العلماء والفضلاء والعامة في بلاد العرب والعجم وقد سبق القول بانه صار يخطب به على المنابر. ويحتج به في المحاكم، ويعتمد عليه في رد شبهات المعترضين على الدين، وإقامة حججه للمسترشدين،

اشرنا فيما سبق الى شهادات بعض أعلام المسلمين العارفين بالمصالح العامة كوزير مصر الاكبر رياض باشا وكمحسن الملك بهادر سيد مهدي على خان ناظم مدرسة العلوم في عليكده (الهند) وبعض المجتهدين والعلماء في ايران وغيرها. ونقول الآن ان المنار ظفر برضاء كبار شيوخ الطريقة أصحاب النفوذ الروحي. ونذكر كلمة لأشهرهم في بلاد مصر والسودان وهو الشيخ علي الميرغني رئيس الطائفة المرغنية الكبيرة فقد كتب الينا في ٢٩ ذي القعدة الماضي كتاباً يقول فيه: «ويسرنا أن نبلغكم مزيد سرورنا وارتياحنا لهذه المجلة القائمة بالخدمات الصادقة الجليلة للاسلام والمسلمين ونسأل الباري أن يكلل عملكم المفيد بالنجاح والفلاح:»

ولا شك عندنا في أن هذا أثر الإخلاص وحسن النية في العمل فهذه هي بضاعتنا التي لاربح لنا في سواها والتي نرجو أن تكون مكفرة لجميع سيئات ضعفنا في العلم والتحرير، وما يلزم عنهما من الخطأ والتقصير، فاننا نتبرأ من حولنا وقوتنا الى حول الله وقوته وهو نعم المولى ونعم النصير،

كما نذكر تقريظ الفضلاء عملنا تحدثاً بنعم الله وشكراً له ولعباده الأخيار الذين ينوهون بالمنار ويرغبون الأمة فيه نذكر انتقاد أهل الفضل مع الثناء والشكر أيضاً لأن حاجتنا الى الأمرين واحدة إذ الفائدة واحدة وهي زيادة البصيرة في العمل. فاذا كان رياض باشا يثني على المنار في غيبتنا على مسمع الملأ ويقول في محفله الحافل: ينبغي لكل ذي احساس ديني أن يقرأ المنار ويساعده: فهو يذكر لنا اذا خلونا به كل مايراه منتقداً وقد انتقد مما نشر في هذه السنة أمران أحدهما الكلام في محمد علي باشا الكبير والثاني لاحقة سجل جمعية أم القرى التي فيها مافيها من مساوي الدولة العلية (أيدها الله) وقال ان ذلك ليس من موضوع المنار ولا ينبغي له

واذا كان الشيخ محمد محمود الشنقيطي ينوه بالمنار كثيراً وسبق له تقريظه بقصيدة فهو يذكر لنا مايراه أحياناً منتقداً وقد كنا ذكرنا انتقاده كلمة (الاستلفات) وتعدية التعزية بالباء داخلة على المعزى عنه. ونذكر الآن أنه انتقد ماورد في تفسير قوله

تعالى «واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» من حكاية قول للعلماء في ان الملائكة الموكلين بالعوالم الحية هم من قبيل القوى أو أرواح يكون بها نظام حياة تلك الاحياء ومن ذلك خواطر الخير في الانسان كما ان خواطر الشر من أرواح خبيثة تسمى الشياطين. نقلنا هذا القول من تفسير الاستاذ الامام وذكرنا في الهامش كلمة في المسألة للامام الغزالي في كتاب شرح عجائب القلب وقد سمى الاستاذ الامام هذا الرأي في هذا النوع من الملائكة تأويلا بل ذكر ما يقتضي انه من باب الاشارة إذ قال «فيه إيماء الى الخاصة» الخ ولم يجعله العمدة في تفسير الملائكة. وقد اشتبه هذا القول على كثيرين وتعلقوا به وغفلوا عن تصريح الاستاذ الامام بان الواجب اعتقاده أن الملائكة خلق غيبي مستقل وانهم فرق كما دل عليه قوله تعالى «وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون» وأول سور الصافات والمرسلات والنازعات. ونرى ان سبب انتقاد الشنقيطي نقل ذلك القول وان كان من الاشارة الى الخواص «وهو منهم» هو أنه مثار لأوهام العوام وهو مصيب في ذلك.

وانتقد مما نشر في هذه السنة أيضاً تشبيه النساء المهذبات بالملائكة الذى ورد في نصيحة للنساء (ج ١٥ — ٥) وقد سرى هذا التشبيه الينا من كتاب العصر الذين يكثرون منه وهو تشبيه قديم كما يدل قوله تعالى «ماهذا بشراً ان هذا الا ملك كريم» وانما ينكره الاستاذ في الكوافر

وانتقد منه أيضاً افتتاح مقالة في الرد على كاتب نصراني بقوله تعالى «يحرفون الكلم عن مواضعه» الخ والآية نزلت في اليهود باتفاق وإنما قصدنا بها الاقتباس لا التفسير

وقد فاتنا أن نذكر من قبل انتقاده ماجاء في بعض مقالات المحاورة بين المصلح والمقلد التي نشرت في المجلدين الثالث والرابع من ترجيح أحد المتناظرين حل المتعة وقد رغب الينا الاستاذ بأن ننشر احتجاج القاضي يحيي بن أكثم على المأمون عند ما أباحها ورجوع المأمون عن ذلك وسنفعل ان شاء الله تعالى. وعسى أن يتحفنا الاستاذ دائماً بما يراه منتقداً في المنار ونعده بأننا نتقبل ذلك بقبول حسن ونشكره أفضل الشكر

وههنا ننبه جميع العلماء الى القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي كاد يضيع الدين باهمالها ولا ترجى حياته الا بالقيام بها وندعو من يطلع على المنار منهم الى تنبيهنا على يرونه خطأ بالقول أو الكتابة ومن أحب منهم أن ينشر انتقاده معزوًّا اليه فاننا ننشره له مقرونا برأينا فيه مع الأدب والشكر وليس من شأن أهل

الدين أن ينكر الانسان عمل أخيه في غيبته ويكتمه عنه. وانا نسمع عن بعض الذين يطروننا ويطرون المنار أمامنا كلاماً لا يرضي وهذه شنشنة المنافقين وشر الناس يوم القيامة عند الله ذو اللسانين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه كما في حديث أحمد والشيخين

من الناس من يعتذر عن نفسه في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأن الناس لايقبلون أو بأنهم يؤذون من يأمرهم وينهاهم بالقول أو الفعل . وهانحن أولاء نقول على رؤس الاشهاد إنّ أمنّ الناس علينا وأحقهم بالشكر منا من يدلنا على مايراه خطأ في المنار فمن يدعي أن في المنار خطأ في المسائل الدينية أو غيرها ولم يذكره لنا قولا أو كتابة فهو فاسق بتركه فريضة النهي عن المنكر من غير عذر وعلى الناس أن يستدلوا من قوله على أنه فاسق أو منافق ومن كان كذلك لايقبل له قول في العلم والدين . روى ابن عدي والحاكم عن أنس وغيرهما عن غيره أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم » وقال تعالى « يا أيُّها الذين آمنوا ان جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين »

لانلحّ هذا الالحاح في حمل الناس على انتقاد المنار اعجاباً به وتوهما أنه يعلو عن الانتقاد ولكن حرصاً على بيان الحق الذى نطلبه واستعانة عليه بانصاره ، والراغبين فى اعلاء مناره ، ونقول هنا ماقال الاستاذ الامام : انه مامن أحد بأصغر من أن يعين ولا بأكبر من أن يعان :

ونعد القراء بأن سنزيد المنار اتقانا فى السنة السادسة فنجعل ورقه أجود من هذا الورق ونتحرى المباحث التي نراها أكبر فائدة وأكثر نفعاً . وفى النية العود الى التوسع فى باب العقائد وباب [آثار السلف عبرة للخلف] وفى مباحث آداب اللغة مع الاستمرار على نشر التفسير المقتبس من مفتي الد[يار] المصرية والعود الى باب [البدع والخرافات والتقاليد والعادات] وربما نجعل الحد[يث] فى شؤن النساء ومايتعلق بهن من أمر الزواج والبيوت باباً يطرق فى أكثر الاجزاء ، وان أجل تحفة نتحفهم بها فى السنة الجديدة تلك المقالة أو المقالات التي وعد بها ذلك الامام الحكيم صاحب مقالات (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) التي يبين فيها كيف تكون البدع التي رجعت بالمسلمين القهقرى هي السبب فى حياتهم الملية المستقبلة . ونختم المجلد الخامس بحمد الله ، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله ، وآله وصحبه ومن والاه ،